

في معاني الأسماء وبيان الأعلام

بتفسير القرآن

للدكتور

محمد محمود سعيد



الناشر دار الغد العربي

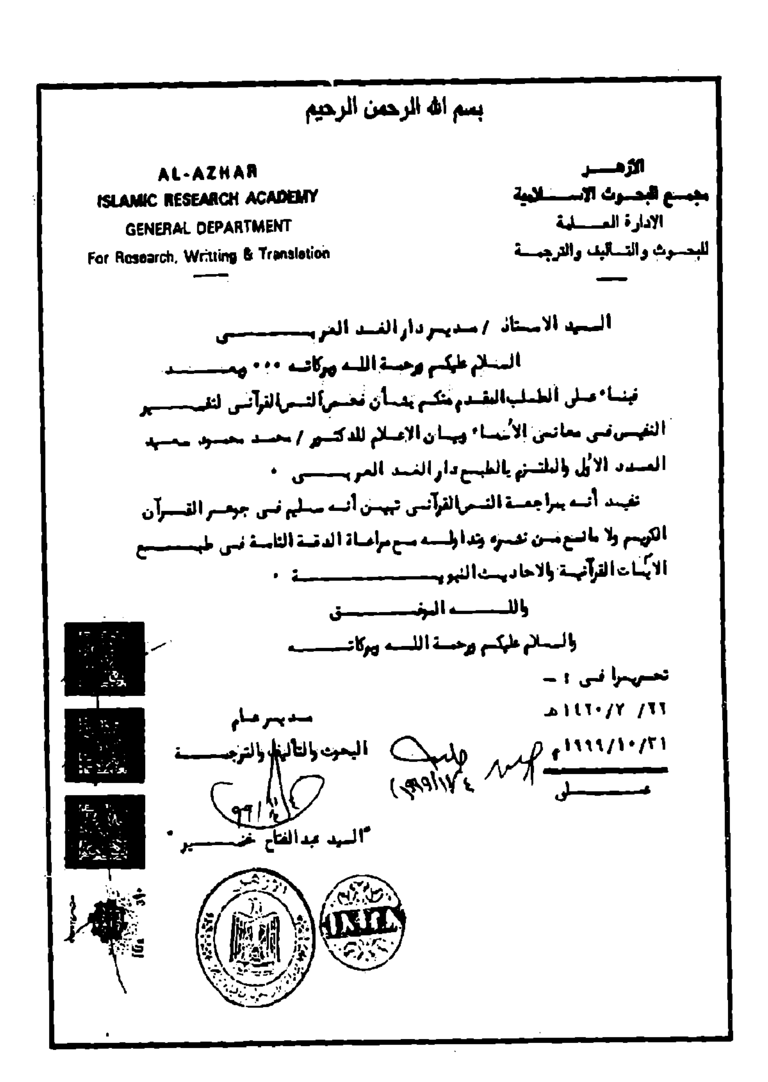
النفيس

فى معانى الأسماء ـ وبيان الأعلام

وتفسير القرآن

قام عليه وأعدَّه
خادم الكتاب إن شاء الله
الدكتور/ محمد محمود سعيد

الناشر
دار الغد العربى
٣ ش دانش ـ العباسية ـ القاهرة
ت: ٢٨٥٦١٢٢ ـ ٢٨٤٣١١٥ ـ ٤٨٢٤٣٢٩



بسم الله الرحمن الرحيم

الأزهر
مجمع البحوث الإسلامية
الإدارة العامة
للبحوث والتأليف والترجمة

AL-AZHAR
ISLAMIC RESEARCH ACADEMY
GENERAL DEPARTMENT
For Research, Writting & Translation

السيد الاستاذ / مدير دار الغد العربي

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد

فبناء على الطلب المقدم منكم بشأن فحص النص القرآني لتفسير النفيس في معاني الأسماء وبيان الاعلام للدكتور / محمد محمود [illegible] العدد الأول والملتزم بالطبع دار الغد العربي .

نفيد أنه بمراجعة النص القرآني تبين أنه سليم في جوهر القرآن الكريم ولا مانع من نشره وتداوله مع مراعاة الدقة التامة في طبع الآيات القرآنية والاحاديث النبوية .

والله الموفق

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تحريرا في : -
٢٢/ ٢/ ١٤٢٠ هـ
٢١/١٠/١٩٩٩ م

مدير عام
البحوث والتأليف والترجمة

" السيد عبد الفتاح خضير "

شعبان ١٤٢٠ / نوفمبر ١٩٩٩ م

رقم الإيداع بدار الكتب والوثائق القومية

٩٩ /١٦٧٠١

بسم الله الرحمن الرحيم

تابع تفسير سورة الأحزاب

يَحۡسَبُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ لَمۡ يَذۡهَبُواْۖ وَإِن يَأۡتِ ٱلۡأَحۡزَابُ يَوَدُّواْ لَوۡ أَنَّهُم بَادُونَ فِي ٱلۡأَعۡرَابِ يَسۡـَٔلُونَ عَنۡ أَنۢبَآئِكُمۡۖ وَلَوۡ كَانُواْ فِيكُم مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا ٢٠

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيـان مدى جبن المنافقين وخوفهم من القتال، يتساوى فى هذا المستأذنون والمحرضـون المعوقون، كما هو فى بيان عدم الانتفاع بهم فيمـا لو كانوا بين صفوف المقاتلين المؤمنين .

فيذكر تعـالى أنهم من فرط جبنهـم حسبوا ـ بعد انهـزام الأحزاب عن المؤمنين ـــ أنهم لم يذهبوا عنهم وأنهم باقون على القرب منهم يتهددونهـم. ثم يذكر تعالى ـ على سبيل الفرض ـ أنه لو عـادت الأحزاب لقتال المسلمين فإن المنافقيـن لا يتمنون إلا أن يكونوا فى البـادية مع الأعراب بعيديـن عن الخندق وعن مكـان المعركة مكتفين بـالسؤال عن أخبار المـؤمنين من قدم من مكـان قريب من المعـركة أو عرف شيئا عنها، وهـم فى سؤالهم يتمنـون أن تكون قد حاقت بهم الهزيمة من الأحزاب.

ثم إنه تعالـى يذكرـ في ذات الفرض الجدلـى ـ أنه لوكان المنافقـون مع المسلمين عند عودة الأحزاب لقتالهم لما قاتلوا مـع المسلمين إلا قليلا، والمعنى أنهم لا يقاتلون إلا للمراءاة فقتالهم قتال غير مثمر مثل الرمى بالنبـال عن بعد فى اتجاه العدو دون تصويب ، ليقال إنهم قاتلوا، وليس لتحقيق نصر.

﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾

أولا : الأســـماء :

الأسـوة : فى قـوله تعالى «لقـد كان لكم فى رسـول الله أسوة حسنة» هى الخصلـة، وهى الحالـة التى يكون عليهـا الإنسان، وقد يكـون المراد بها ـــ فى معنى الآيـة ـ هو القـدوة، وما يتأسى به.

ثانيا : التفســـــير:

يتصور أن يكـون الخطاب ـ فى الآيـة ـ إلى المؤمنيـن الذى خلص إيمانهـم، ويتصور أن يكون للمتخلفيـن من المـؤمنين عـن القتال. وعلـى الأول يكون القـول حثا للمـؤمنين علـى الاقتداء برسول الله ﷺ، وعلى الثانى يكون القـول متضمنا معنى اللوم لعدم أداء الواجب وهو الاقتداء بـرسول الله ﷺ، الذى هـو أسوة حسنة يتأسـى بها فى كـل شىء، فقد كـان ﷺ أثبت الناس فى القتال شجاعة وجرأة عن إيمان، وكان أصبرهم على الأذى، فقد شج وجهه الكريم وكسرت رباعيته وقتل عمه حمزة فما وجد إلا صابرا محتسبا .

ثم إنه تعالى بيـن أن الذى يتمثل رسول الله ﷺ ويتخذه قدوة حسنة هو مـن يرجو أن يلقى الله تعالـى مؤمنا، ومـن يصدق بالبعـث ويعمل للآخـرة عملها، ومن ذكـر الله كثيرا خوفـا من عقابه وطمعا فى ثوابه. وهذا هو حال المؤمن الصحيح الإيمان، الذى أخلص دينه لله تعالى.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْأَحْزَابَ قَالُوا۟ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ ۚ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّآ إِيمَٰنًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى ما يكون من المنافقين من مظاهر الجبن حتى إنهم يحسبون الأحزاب لم يذهبوا عنهم رغـم انهزامهم عن المؤمنين، فإنه تعـالى يذكر ـ على المقابل ـ حال المؤمنين الذين صـح إيمانهم عندمـا رأوا الأحزاب وما صدر عنهم مـن قول يعبر عن مكنـون أفئدتهم. فيذكر تعالى أنهم قالوا «هذا ما وعدنا الله ورسولـه» والمراد بالوعد هو الوعد بالجنة يكون لمن يقاتل فى سبيـل الله فيغلب أو يقتل، أو هو وعده تعالـى ووعد رسوله المذكور فـى سورة البقرة بقولـه تعالى «أم حسبتـم أن تدخلوا الجنـة ولما يأتكم نبـأ الذين خلـوا من قبلكم» ثـم إنهم يقولون «وصدق الله ورسـوله» فهم يستبشرون بما وعدهـم به الله ورسوله، فرحين بـه حتى أنهم يؤكدون حدوثه لأنفسهم بذكرهم صدقه تعالى وصدق رسوله.

ثم إنه تعـالى يذكر بصريح العبـارة أن رؤية المؤمنين الأحزاب لم تحـدث معهم إلا زيادة إيمانهـم بالله ووعده، وتسليمهم بقضـائه وقدره والرضا بـه. فيكون الفرق واضحا بينهـم وبين المنافقين .

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

النحـــب : فى قـوله تعالـى «فمنهم من قضى نحبـه» هو النذر المحكـوم بوجوبـه، وشاع

استعماله بمعنى الموت. والمـراد به ـ في معنى الآية ـ هو الشهـادة لأن الشهيد يلتزم الموت شهيدا بالتزام أسبابه، فيكون مثل من ألزم نفسه الوفاء بنذره .

ثانيا : التفســــــير:

بعد أن بين تعـالى موقف المؤمنيـن لدى مشاهدة الأحـزاب وما يكون عليه حالهـم، فإنه تعالى أخبـرعن المؤمنين الذيـن أخلصوا إيمانهم لله تعالـى، فذكر أن منهم رجالا صـدقوا ما عاهـدوا الله عليه من ثبـات مع رسول الله ﷺ فى القتـال، ثم ذكر تعـالى أن هؤلاء فئتـان، فئة قاتلت فى سبيل الله ثابتة على الحق إلى أن قتلت فى سبيل الله، وفئة أخرى لم تقتل فى سبيل الله، فهى تنتظر يوما تجاهد فيه فى سبيل الله، ترتقب الشهادة أو النصر وفى كل خير.

وقد وصف تعالى هؤلاء الذين صدقوا ما عاهـدوه عليه بأنهم لم يبدلوا عهدهم مع الله ولـم يغيروه فى كثير ولا قليل، فيكون القول تعريضا بالمنـافقين الذين ولوا الأدبار بعد أن عاهدوا لا يولون الأدبار، ليبين الفرق بين المؤمن وبين المنافق .

﴿لِّيَجْزِيَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ٢٤﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى الفرق بين الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه من الثبات مع رسول الله ﷺ على القتال وبيـن المنافقين الذيـن عاهدوا لا يولـون الأدبار ثم أخلفوا عهـدهم، فإنه تعـالى أوضح ـ فى الآية ـ أنه يجزى الذين صدقوا الله مـا عاهدوه عليه بسبب صدقهم هذا، لم يذكر تعالى ماهية الجزاء لكونه معلوما أنه ثوابـه تعالى مع إتاحة المجال للخيال للتفكير فى مبلغ عظمته ليكون الثواب أكثر بإذن الله .

كما أوضح تعالى أنه يجازى المنافقين بنفاقهم وخلفهم ما عاهدوا الله ورسوله عليه عذاب الآخرة، ثم جاء قوله تعالى «إن شاء أو يتوب عليهم» فيكون التعذيب معلقا على المشيئة وقد يكون ذلك لبيان أنه ليس عليه تعالى ما يعتبر واجبا، فالأمر رهن مشيئته تعالى، وقد تكون مشيئته هى أن يتوب على المنافق، فيتوب عن النفاق ويؤمن ويصح إيمانه ويعمل صالحا، ويكون منه ذلك قبل فوات وقت التوبة.

ولهذا جاء قوله تعالى «إن الله كان غفورا رحيما» لبيان أنه إذا قبل تعالى توبة المنافق، فإنه يغفر له ذنبه، ثم يدخله برحمته فى رحمته فيجزيه خيرا بأعماله الصالحة .

وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **الذين كفروا** : المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ أبو سفيان وأصحابه، أو كفار العرب عموما، وقيل هم الأحزاب، وقيل هم المشركون واليهود الذين تحزبوا.

٢ ـ **الذين ظاهروا** : فى قوله تعالى «وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب» هم الذين عاونوا الأحزاب من اليهود وهم بنو قريظة، وقيل بنو النضير.

٣ ـ **الصياصى** : فى قوله تعالى «من صياصيهم» جمع، مفرده «صيصة» وهى الحصون، أو كل ما يمتنع به.

ثانيا : التفسير :

القول ـ فى الآيتين ـ عود إلى ذكر ما كان فى واقعة الخندق .

فيذكر تعالى ـ فى الآيتين ـ ما كان منه مع الكافرين الذين اجتمعوا وتحزبوا على رسول الله ﷺ والمؤمنين، وما كان منه مع الذين ناصروهم من اليهود. فيذكر تعالى أنه رد الكافرين من محل اجتماعهم حول المدينة حيث تحزبوا على رسول الله ﷺ إلى مساكنهم بعد أن أرسل عليهم الريح فى معسكرهم وبث فيهم الملائكة جنودا له أثاروا فيهم الفزع فانهزموا عن رسول الله ﷺ متلبسين بغيظهم دون أن يظفروا بشىء مما كانوا يطمعون فيه ويحسبونه خيرا لهم. فكان منه تعالى أن وقى المسلمين قتالهم وكف عنهم أذاهم. فعل تعالى ذلك مع الكافرين بحكم كونه القوى على كل ما يريد، والعزيز الغالب على أمره الذى لا يدفع بأسه.

ثم يذكر تعالى أنه أنزل اليهود الذين ناصروا كفار العرب وتحزبوا معهم على رسول الله ﷺ من حصونهم، وقذف الرعب والخوف العظيم فى قلوبهم من المسلمين إلى الدرجة التى أسلموا معها أنفسهم للقتل وأهليهم وأولادهم للأسر. وقد كان القتل للرجال وكان الأسر للنساء وللذرية .

﴿وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢٧﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما فعل باليهود الذين ظاهروا كفار العرب وناصروهم على رسول الله ﷺ وتحزبوا معهم عليه، خاطب تعالى المؤمنين فى الآية ذاكرا ما أنعم به عليهم فما كان لهؤلاء الذين ظاهروا الكافرين ومن غيرهم. فذكر تعالى أنه أورث المسلمين أرضهم ومزروعاتهم، وحصونهم ومساكنهم وأموالهم من نقد ومنقولات وبهائم. ثم ذكر تعالى أنه أورث المسلمين

أيضا أرضا لم يطؤوها من قبل ، قيل إنها خيبر التى فتحت بعد بنى قريظة، وقيل إنها أرض الروم وأرض فارس، وقد يكون الصحيح أنها كل أرض فتحها الله على المسلمين .

وجاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وكان الله على كل شىء قديرا» بيانا لواقع أنه تعالى الذى فعل ما فعل بمن تحزبوا على رسول الله ﷺ، وأنه الذى أورث المسلمين ما أورثهم مما كان لليهود الذين ظاهروا الكافرين، وأورثهم ما أورثهم مما فتح عليهم من البلاد. وتذكيرا بأنه فعل هذا بحكم كونه تعالى القادر على كل شىء .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾

أولا : الأسماء :

السراح : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الطلاق .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ انتقال إلى موضع آخر، والخطاب ـ فى مبتدأ القول ـ موجه إلى رسول الله ﷺ. ومناسبة نزول القول ـ على ما قيل ـ هو أن أزواجه ﷺ سألنه الثياب التى يتزين بها وزيادة النفقة.

وفى الآية الأولى يخاطب تعالى رسوله ﷺ بقوله «يا أيها النبى» لتعلم نساؤه أنهن زوجات نبى ولسن زوجات ملك يملك فى الدنيا مظاهرها ومتاعها. ثم يأمره تعالى أن يسأل زوجاته

عما إذا كن يردن التنعم بنعم الحياة الدنيا وما يتزيـن به فيها، فإن كان أمرهن كذلك فليدعهن إلى ما طلبن بأن يطلقهن ويعطيهن متعة المطلقة التى يرى البعض أنها واجبة لمن لم يدخل بها ومستحبة لمـن دخل بها، ويرى البعض أنها واجبـة للمطلقة عموما. ويكون قـوله ﷺ فى شأن الطـلاق ببيان أنه يكون سـراجا جميلا بمعنـى أنه يكون خـاليا من الضرر حتـى لا يكون عرضه عليهن موجبا خوفهن منه أو من اختياره .

كما أمـره تعالى أن يسألهـن عما إذا كن يخترن الله ورسـوله والدار الآخرة، والمعنـى أنهن يزهدن فـى متع الدنيا ويقبلن بـديلا عنها رضاء الله وجـانب رسوله ﷺ، ويكون محـل الرجاء والمنى لديهن هو ثواب الآخرة. فإن كان أمرهن كذلك فإنهن يكن قد وعدن ما أعده الله مقابل إحسانهن من الأجر العظيم الذى لا تستقصى عظمته.

فيكون مفـاد القول فى الآيتيـن أنه ﷺ يخير زوجاتـه بين متع الـدنيا وزينتها وبيـن حسن ثواب الآخـرة، فإن اخترن الحياة الـدنيا وزينتها يكـن منه تعالـى تطليقهن مع إعطاتهـن نفقة المتعة، و إن اختـرن الحياة الآخـرة يكن منه ﷺ الإبقـاء عليهن. والمراد هـو مجرد إخبـارهن بذلـك لأنهن أمهات المـؤمنين لـم يكن متصورا فيهـن إلا اختيار جانـب الله ورسولـه والدار الآخـرة .

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأۡتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖ يُضَٰعَفۡ لَهَا ٱلۡعَذَابُ ضِعۡفَيۡنِۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا ﴿٣٠﴾

التفســـــير:

القول ـ فى الآية ـ هو قوله تعالى، والخطاب موجه إلى نساء النبى ﷺ ومضمون القول هو الترهيب من مقارفة الفاحشة التى تفصح بذاتها عـن جسامة إثم ارتكابها ببيان تشديد عقوبة فاعلتها بسبب ضعفها لتكون مثلى عقوبة غيرهـن من النساء. فالمراد بـ «الضعف» فى معنى

الآية هو المثل.

وفى معنى الفاحشـة فإنه لما كان الله تعالى قـد عصم رسوله ﷺ من الزنى، فـإنه يكون قد عصم أهل بيته منه بالتبعية، فيكون مستبعدا من معنى «الفاحشــة» فى عبارة النص.. ونــرى ـ والله أعلم ـ أن تـوجيه الخطاب إلى زوجات رسول الله ﷺ بصفتهن «نساء النبـى» مع ما هو معلوم من أن عصيان أمر النبـى فاحشة إذا ما وقع من عموم الأفراد، وكانـت الواحدة من نساء النبى تجمع ـ إلـى صفتها واحدة من الأفراد ـ صفـة أنها من نسائه ﷺ بما استوجـب تشديد عقوبتها، أن المراد بـ «الفاحشة» فى معنـى النص هو عصيان رسول الله ﷺ، يكون إذا ما وقع من إحداهن فاحشة مبينة .

وقوله تعـالى ـ فى ختام الآية ــ وكان ذلك على الله يسيرا مفاده أن اختصـاص نساء النبى بحكم خاص حال ارتكاب إحـداهن فاحشة مبينة هو أمر سهل عليـه تعالى لا تحول صفتهن دون تشريعه والعمل به.

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾

التفســــــير:

بعد أن ذكر تعـالى أن عقاب من تـرتكب فاحشة مبينـة من نساء النبى يكـون مثلى عقاب غيرها من النساء إن ارتكبته، فإنه يثبت فى الآيـة ـ استئنافا للخطاب ـ أن من تخشع منهن لله ورسولـه وتخضع وتقرن خشـوعها هذا بعمـل الصالحـات التى يثاب فـاعلها يكون لهـا مثلا الثواب الذى يحصـل عليه فاعلها، أو أنهـا تعطاه مرتين، وقـد يكون هذا لأن إحداهـن تكون قدوة لغيرها من النساء فى عمله فتثاب بعملهن، وقـد يكون تكرما من الله بأن جعل فى مقابل مضاعفة العقاب مضاعفة الثواب .

ثم إنه تعالى يخبرهن أنه قد أعد للخـاشعات منهن لله ورسوله، العاملات صالح الأعمال رزقا عظيما فى الجنة يؤتونه فيرضيهن .

يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيۡتُنَّ فَلَا تَخۡضَعۡنَ بِٱلۡقَوۡلِ فَيَطۡمَعَ ٱلَّذِي فِي قَلۡبِهِۦ مَرَضٞ وَقُلۡنَ قَوۡلٗا مَّعۡرُوفٗا ٣٢

أولا : الأســـــماء :

الذى فى قلبه مرض: المراد بـه ـ فى معنى الآيـة ـ الذى لـم يسلم قلبه من الفجـور أو نية الفجور وشهوة الإثم .

ثانيا : التفســـــــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ هو فى بيان كيفيـة تعامل نساء النبـى ﷺ مع الرجال، بـدأ تعالى القول ببيان انتفاء المساواة فى الدرجة بين نساء النبى وبين غيرهن من النسـاء، بمعنى أنهـن ـ بصفتهـن جماعة واحـدة ـ لا تماثلهـن جماعة مـن النساء ـ وأن الـواحدة منهن لا تمـاثلها واحدة من جنس النساء، والمعنى هو أفضلية نساء النبى ﷺ على غيرهن من النساء .

ثم إنه لمـا كانت هذه الأفضلية مستوجبـة اختلاف حكمهن عن حكم غيرهـن، فقد جاء قوله تعالى «إن اتقيتـن فلا تخضعن بالقول» والقول هو نهى عن الخضـوع بالقول، أو هو نهى عن التأثـر بحديث لين يقولـه رجل كما هو نهى عن الحـديث بلين لدى مخاطبـة رجل على نحو ما تخاطب المرأة زوجها. ويتصور فـى القول معنيان أولهما «إن اتقيتن الله لا تغضبونه فلا تخضعن بـالقول» والثانـى هو «إن التقيتن رجـلا أو استقبلتن رجـلا فلا تخضعن بـالقول»، إذ يكون لفظ «اتقيتـن» من «التقوى» كما يكون من «التلقـى» ونرى ـ والله أعلم ـ أنه لمـا كانت تقوى الله هى صفة ملازمة أمهات المؤمنين فإن المعنى المقبول يكون «إن استقبلتن رجلا فلا

تخضعن بالقول»

ثم بين تعالى علة النهى عن الخضوع بالقول بقوله تعالى «فيطمع الذى فى قلبه مرض» فتكون علة النهى هى درء ظن السوء بالمتحدثة باللين لدى من أصاب قلبه المرض بأن تمكن فيه الفجور فيكون منه الطمع فى الحرام. فالنهى هو من قبيل قطع الأسباب أو سد الذرائع.

ثم إنه لما كان يخشى من أن يكون النهى عن اللين فى القول مع بيان سببه سببا للغلظة فيه خوفا من أن يكون الحديث من قبيل القول اللين المنهى عنه، فقد أمر تعالى نساء النبى أن يكون حديثهن بالقول المعروف، البعيد عن اللين، والبعيد عن الغلظة، ليكنَّ فى هذا قدوة لغيرهن من النساء.

وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ التبرج : سبق بيان معناه. وقيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو المشى بتبختر وتكسر وتغنج. وقيل هو إظهار ما يكون ستره أحسن، أو إظهار ما يثير شهوة الرجال.

٢ ـ الجاهلية الأولى : قيل إنها الفترة ما بين آدم ونوح عليهما السلام، كانت المرأة خلالها تراود الرجل عن نفسه، وقيل هى الفترة ما بين نوح و إبراهيم كان فيها بغايا يلبسن أرق اللباس ويمشين فى الطرقات، وقيل هى زمان داود وسليمان عليهما السلام كانت المرأة تلبس ثوبا غير مخيط من الجانبين يظهر أثناء سيرها فخذيها وسوءتيها، وقيل هو زمان كانت المرأة فيه تجمع بين الزوج والعشيق. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه الزمان ما بين آدم ونوح عليه السلام،

درست فيـه ونسيت القـواعد الأخـلاقية والـدينية التـى أرساهـا آدم ـ وهـى العلم ــ فكانـت الجاهلية، وهـو ما يعرف بعصر مـا قبل التاريخ، كانـت فيه المجتمعات الإنسانيـة تعيش فى حالة شيـوعية جنسية، لا يختص الـرجل بامرأة معينـة، ولا تختص المرأة برجـل معين، فكـل نسـاء العشيرة أو القبيلـة لرجـالهـا، فلم يكـن وجوب لأن تخفـى المـرأة شيئا عـن أحد مـن الرجــال.

التفســــير:

قوله تعـالى «وقرن فى بيـوتكن» هو خطاب موجـه إلى نساء النبى ﷺ، وإلـى جميع نساء المؤمنين بـالتبعية ، وعلى ما تظهـره أحكام القرآن العظيم، وهـو أمر، قيل إن مضمونـه هو أن تكون نساء النبى وقورات فـى بيوتهن، وقيل إن مضمونه هو السكون فـى البيوت ولزومها أخذا بمعنى «الوقـار» وهو السكن. والذى نـراه ـ والله أعلم ـ هـو أن مضمون الأمر هو الاستقـرار فى البيوت وليس كـونهن وقورات فى بيـوتهن؛ وذلك لأن الأمر إنمـا يكون بفعل أو بالانتهـاء عن فعل، والوقار أو الاحترام هو حالة وليس فعلا فلا يكون محلا لأمر.

وقد أتبـع تعالـى أمره هـذا بالنهـى عن التبـرج تبرج الجـاهلية الأولـى، والمراد بـه إظهار إحداهــن مفاتنها التـى تثير الرجـال وعدم حفظ نفسهـا عن غير حليلهـا كما كان عليـه حال المجتمعات البدائية، وسبحـان الله العظيم كأن النص يشير إلى ما هو كـائن اليوم فيما يسمى «مستعمرات العـراة» التى يتعرى فيها جميـع من يدخلها مـن رجال ونساء خلال الفتـرة التى يقضونها فيها، و إلى ما يشاهد فى ساحات الرقص حيث يتبادل الرجال نساءهم فيراقص كل منهم زوجة الآخر يلتصق بها وتلتصق به برضاء الزوج.

ومن أسف أن كثيرين من سراة المنتسبين للإسلام هم من رواد هذه الأماكن .

وبعد هـذا جاء أمره تعـالى بإقـامة الصلاة و إيتـاء الزكاة أو الأمـر بالعبادات الإيجـابية أو المتضمنة أداء، وذلك لأن أداء العبادة المفـروضة إنما يكون من بعد الانتهـاء عن المعاصى، وفى النص ذكر تعالى عبادة بدنية وعبادة مالية ليكون المعنى هو أداء جميع العبادات .

ثم بين تعالـى علة النهى والأمر فى قوله تعـالى «إنما يريد الله ليذهب عنكـم الرجس أهل البيت ويطهـركم تطهيـرا» وهي أنه تعـالى أراد لنسـاء النبى أهل بيـت سكناه ﷺ المنـادين بالقول «أهـل البيت» بمعنى «يا أهل البيـت» أن يذهب عنهم الإثـم والنقائص، وأن يحليهم بـالتقوى وبصيـانة النفـس، والقول هـو مدح لهـن بـاعتبارهـن المصونـات العفيفات قـدوة المؤمنات.

وقيل إن معنى «أهـل البيت» هم عموم أسرته ﷺ، وقيـل هم أصله وعصبته الذيـن حرموا الصدقة بعده .

وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾

أولا : الأســـماء :

الحكمة : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو سنة رسول الله ﷺ القولية والفعلية .

ثانيا : التفســـير :

يأمـر تعالى ـ فـى الآية ـ نساء النبـى ﷺ أمرا آخر هو تـلاوة القرآن العظيم الذى يتلـى فى بيوتهن وتذكر أحكامـه، وكذا تذكر سنته ﷺ وهى كل ما قال وكل مـا فعل بصفته نبيا، والمراد بالتذكر هو الإيمان والعمل بالقرآن وبالسنة .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «إن الله كان لطيفا خبيرا» .

مفاده أنـه تعالى قـد تلطف بهن إذ نهـاهن عما نهى عنـه وأمرهن بمـا أمر به، وأنـه العليم بجدارتهن أن يكن من أهل بيته ﷺ فناسب أمرهن بما أمر دواعى حكمته.

■■■■

إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٣٥﴾

التفسـير:

قيل إن مناسبة نزول الآية أن أم عمارة الأنصارية أتت رسول الله ﷺ فقالت: ما أرى كل شيء إلا للرجال وما أرى النساء يذكرن بشيء فنزلت الآية.

وبقطع النظر عن مدى صحة الرواية، فإننا نرى ـ والله أعلم ـ أن ذكر النساء فى الآية قد كان لارتباط الآية في بعض معناها بما سبق وروده فى شأن نساء النبى ﷺ وهن القدوة والأسوة الصالحة لنساء المؤمنين، ولأن نساءه ﷺ قد توافرت فيهن الصفات المذكورة فى الآية فقد ورد ذكر النساء فيها لبيان أنهن مطالبات بتمثل أمهات المؤمنين فى هذه الصفات.

والآية هى فى بيان ما أعده الله تعالى للذين أسلموا واجتمعت فيهم شمائل المسلمين وفعالهم، جاءت «إن» فى مبتدأ القول للتأكيد، ثم ذكر تعالى المسلمين والمسلمات، فبين أن الأمر المخبر عنه يتعلق بالمسلمين والمسلمات.

فيكون المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الذين اتخذوا الإسلام الذى أرسل به محمد ﷺ دينا والقرآن كتابا ومحمدا رسولا نبيا بمعنى أنهم الذين اعتنقوا الإسلام بمعناه الخاص، فلم يكونوا من الملاحدة، ولا من المشركين، ولا من أهل الكتاب الذين بقوا على دينهم بعد بعثة

رسول الله ﷺ، ثم ذكر تعالى صفات لهم وأفعالا تعتبر بمثابة شروط يجب توافرها فيهم ليكون لهم المخبر عنه في نهاية النص، تطلب تعالى أن يكونوا مؤمنين ومؤمنات بمعنى أن يكونوا مؤمنين بما يجب الإيمان به من إيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والغيب، وتطلب أن يكونوا قانتين وقانتات بمعنى أن يكونوا مداومين على الطاعات، وأن يكونوا صادقين وصادقات في إيمانهم وفي قولهم وفي موافقة أفعالهم أقوالهم، وأن يكونوا صابرين وصابرات على الطاعات وعن المعاصي وعلى البلاء، وأن يكونوا متصدقين ومتصدقات بما فرض التصدق به وبغيره في سبيل الله تطوعا، وأن يكونوا صائمين وصائمات يؤدون الصوم المفروض ويصومون نفلا، وأن يكونوا حافظين فروجهم وحافظات عن الحرام، وأن يكونوا ذاكرين الله كثيرا وذاكرات بألسنتهم وقلوبهم.

أما المخبر عنه أنه يكون لهم أمرًا معدًّا سلفا فهو مغفرة ذنوبهم التي قارفوها قبل إيمانهم، والصغائر التي ارتكبوها في إيمانهم تكون لهم منه تعالى غير معلقة على شرط تكفير الحسنات إياها، وهو الأجر العظيم، وهو الثواب بين تعالى أنه يكاد يكون حقا لهم بوصفه أنه أجر، ثم بين عظمه بوصفه بذلك «وأجرا عظيما» .

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآية - هو بيان لحكم عام مفاده أمران: أولهما أنه ﷺ إنما يقضي في الأمور ويحكم بقضاء الله تعالى فيكون قضاؤه هو قضاء الله.

وثانيهما: أن قضاءه ﷺ في الأمر يفيد انتفاء حق الاختيار فيما يكون لدى من صدر قضاؤه ﷺ بشأنه أو في شأن من شئونه، فلا يكون منه إلا الرضوخ لقضاء رسول الله ﷺ.

ثم إنه تعالى بيـن حكم من لا يرضى بقضاء رسول الله ﷺ ويعمل برأيـه ذاته فيما كان فيه القضاء، وصفـه النص بأنه يكـون عاصيا الله ورسولـه، ثم ذكر أنه يكـون قد ضل الطريـق إلى رضاء الله، وأنه يكون ضلاله واضحا مستبينا.

وقيل فى منـاسبة نزول الآية أنه عندمـا خطب رسول الله ﷺ زينب بنت جحـش ابنة عمته لمولاه زيد بـن حارثة قالت «لا أرضـاه لنفسى» وأيدها فـى ذلك أخوها عبد الله فـنزلت الآية، فرضيا وسلمـا فأنكحها رسول الله ﷺ زيدا. وقيل نـزلت فى أم كلثوم بنت عقبة بـن أبى معيط أول امرأة هاجـرت من النساء، وهبت نفسها لرسـول الله ﷺ فزوجها زيدا فقالت هـى وأخوها «إنما أردنا رسول الله ﷺ فزوجنا عبده».

وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الذى أنعم الله عليـه وأنعمت عليه : هو زيـد بن حارثة مـولى رسول الله ﷺ أنعـم الله عليه بتوفيقه للإسلام، وأنعم عليه رسول الله ﷺ بتربيته فى كنفه ثم بعتقه.

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ هو فى واقعـة طلاق زينب بنت جحش من زيـد بن حارثة وزواج

رسول الله ﷺ منها. يذكر تعـالى رسوله ﷺ بما كان منه مع زيد بن حـارثة الذى أنعم الله عليه بتوفيقه للإسلام والذى أنعم عليه رسول الله ﷺ بتربيتـه عنده وباتخاذه مولى له، وذلك عندما أعلنه ﷺ زيـد برغبتـه فى طلاق زينـب بنت جحـش لافتخارها عليـه بشرف نسبهـا واشتداد لسانهـا عليه، وما كان مـن أمر رسول الله ﷺ إيـاه بإمساكهـا عليه بمعني الإبقاء عليهـا زوجة وعدم إجراء طلاقها، وأمره باتقاء الله فى أمرهـا بعدم التذرع بما ذكر من أسباب حجة لطلاقها حين يكون قد قصد بالطلاق الإضرار بها .

ثم إنـه تعالـى بين لـرسوله ﷺ أنـه كان يفعـل ذلك مع زيـد حال إخفـائه فى نفســه أمرا يخالف المـأمور به. وعن هـذا الأمر فقد قال البعـض إنه هو حب رسـول الله ﷺ زينب بنت جحش. وهو قول يكذبه واقع أنه ﷺ كان فى مقدوره أن يتزوجها من قبل ولا يزوجها زيدا وهو ما لـم يفعل، ويكـذبه نص الآية الذى أثبت علـة تزويجه ﷺ إياها، فيكون الأمـر المخفى فى نفسه ﷺ هو علمه ــ بطريق الوحى ـ أنه تعالـى يزوجه زينب لحكمة لديه تعـالى، فيكون فى هذا الزواج إبداء لحكمه تعالى فى الأمر وإظهار.

كما يبين تعالـى لرسوله ﷺ أنه كان يخفـى فى نفسه ما أعلمه به الله مـن أنه يتزوج زينب لأنه كـان يخشى حديـث الناس فى الأمـر أن يقولوا «تـزوج محمد زوج ابنه زيـد» ويعلمه أن خشيته الناس كانت خطأ منه، وأنه يجب ألا يخشى غير الله تعالى.

ثم إنه تعالـى يذكر لرسوله ﷺ ما كـان من الأحداث بعد ذلك، وهو أنـه بعد أن قضى زيد حاجته من زوجه زينـب بنت جحش، أو بعد أن أنهى زواجه منها بطلاقهـا، زوج تعالى رسوله ﷺ منها، وقيل فى هذا إنه ﷺ تزوجها بغير واسطـة عقد، بعث إليها زيدا يخطبها له، ثم دخل عليها ﷺ وهـى مكشوفة الشعـر فقالت: «هـذا من السماء دخلـت يارسول الله بـلا خطبة ولا شهادة» فقال «اللهتعـالى المزوج وجبريـل الشاهد»، ونرى ــ والله أعلم ـ أن إرسالـه ﷺ زيدا لخطبتها يثبت أنه كان هنـاك خطبة بمـا يعنى أنه كـان هناك عقد، وأنـه لما كـان زواجه ﷺ بزينب بنت جحـش قد أريد به التشريع للمسلميـن، فإنه يصعب أن يكون هذا الـزواج قد تم على نحو يخالف ما عليه التشريع فى أمر الزواج، مما مفاده أنه كان هناك عقد.

ثم إنه تعالى بين علة تزويجه رسوله ﷺ زينب بقوله تعالى «لكى لايكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا» فصرح بأن علة ذلك هى أن يكون زواجه ﷺ ممن كانت زوجا لمن كان يدعوه ابنا له قبل تحريم التبنى بمثابة تشريع بطريق «النسابقة» لمشروعية الزواج بزوج الابن بالتبنى، يرفع عن الناس الحرج من فعل ذلك لمخالفته ما كان عليه العرف السائد من قبل، مادام قد وقع طلاقهن من أزواجهن الذين قضوا منهن أوطارهن، وكانت عدتهن قد انقضت .

ثم بين تعالى أن ما أراده هو الكائن والمحقق «وكان أمر الله مفعولا» وهو زواجه ﷺ ممن كانت زوجا لدعيه، وتشريعه زواج الرجال بمن كن زوجات لأدعيائهم .

مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِىِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا ﴿٣٨﴾ ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه زوج رسوله ﷺ بزينب بنت جحش، فإنه تعالى أوضح فى الآية الأولى أمرين، أولهما هو عدم موافقة الحرج مما شرعه الله للنبى وأباحه له على وجه الاختصاص دون باقى المؤمنين للصحيح من الأمر، والمعنى أنه لاحرج عليه ﷺ من مباشرة ما قدره الله له، وما اختصه به دون سائر المؤمنين من زواج بأكثر من أربع نساء أو زواج بغير مهر أو غير ذلك. والثانى هو أن هذا الاختصاص بأحكام خاصة للأنبياء هو سنته التى سارت فيمن سبقوه عليه الصلاة والسلام من الأنبياء والرسل، ومنهم داود وسليمان عليهما السلام،

وقد سبق بيان ما كان لكل منهما من الأزواج ومن الجوارى. فيكون القول مبينا أنه إنما يختص تعالى أنبياءه بهذه الأحكام الخاصة لعلل جرت بها حكمته ولأسباب اختصوا بها لاتتوافر فى غيرهم.

ويكون القول ـ بهذا المعنى ـ متضمنا الرد على ما يثيره المبطلون من أنه ﷺ كان كثير الزوجات حبا منه للنساء .

ثم ذكر تعالى ما يبين منه أنه ما اختص به رسوله ﷺ من أحكام خاصة، هو قدره المحكوم بنفاذه. فأرجع الأمر إليه تعالى وحده بما ينفى أن يكون الأمر بدافع من نفس الرسل والأنبياء.

وفى الآية الثانية وصف تعالى هؤلاء الأنبياء الذين خلوا من قبل والذين جرت سنته تعالى فيهم أن يختصوا بأحكام خاصة بأنهم الذين يبلغون رسالات الله، فدل على أن اختصاصهم بأحكام خاصة لايتعارض مع رسالاتهم والإبلاغ بها، وأنه متعلق بها وإن كانت حكمة ذلك قد تغيب عن كثيرين، كما وصفهم بأنهم يخشون الله ولا يخشون أحدا إلا الله.

فدل على أن مباشرتهم ما أحل لهم دون غيرهم لا يتعارض مع خشية الله، ثم بين بذكره أنهم لا يخشون أحدا إلا الله، أن مباشرتهم ما أحل لهم دون غيرهم هو من قبيل خشيتهم الله وعدم خشيتهم أحدا إلاه، فكأنهم فى مباشرتهم ما أحل لهم مأمورون بفعل ما قد ينكره عليهم البعض وأنهم يفعلون ما يؤمرون.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وكفى بالله حسيبا» هو من قبيل حث رسوله ﷺ على عدم التأثر بأقوال المريبين، فهو تعالى الذى يحاسب بالأفعال وفقا لما انطوت عليه الصدور.

مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾

﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ۝٤٤﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يرحم المؤمنين، فإنه فى الآية يظهر من هذه الرحمة ما يكون لهم فى الآخرة يوم يلقونه، يكون منه تعالى أنه يحييهم بالسلام، قيل إنه تعالى يقول لهم «سلام عليكم عبادى، أنا عنكم راض، فهل أنتم راضون» فيقولون «يا ربنا إنا راضون كل الرضا». وقيل إن الملائكة تحييهم بالسلام إذا دخلوا الجنة.

كما ذكر تعالى أنه هيأ لهم الثواب الحسن ينتظرهم ليلاقوه.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٤٥ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَدَعْ أَذَىٰهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ۝٤٨﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ، ناداه ربه بقوله «يا أيها النبى» ثم أوجز ما بعثه به فذكر أنه أرسله شاهدا على أمته يراقب أحوالهم ويشهد أعمالهم ويشهد لهم أو عليهم بتصديقهم إياه أو بتكذيب المكذبين، فيكون عليهم شاهدا يوم القيامة كما أرسله ليبشر المؤمنين الطائعين بثواب الله وجنته، وينذر الكافرين والعصاة بعذاب الله وناره .

كما يخبر تعالى أنه أرسله ﷺ داعيا إلى الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، يكون من

ذلك بتيسير الله له سبيل الدعوة، ذلك أنه لما كان تعالى قد سبق أن ذكر أنه أرسله بالدعوة بما يعنى أنه أُذن له بذلك، فإن المراد بالإذن فى قوله تعالى «وداعيا إلى الله بإذنه» يكون هو التيسير والتوفيق، وبين تعالى أنه ﷺ يكون بدعوته إلى الله للناس مثل السراج المنير يستضاء به فيهدى، كذلك يكون ﷺ للناس هاديا يخرجهم من ظلامات الكفر إلى نور الإيمان.

ثم إنه تعالى طلب من رسوله ﷺ أن يبشر الذين يؤمنون بدعوته إلى الحق بما أعد لهم من الله تعالى من جزيل العطاء الذى يتفضل به عليهم وهو روضات الجنات لهم فيها ما يشاءون.

وأعقب تعالى طلبه هذا بنهيه رسوله ﷺ عن إطاعة الكافرين والمنافقين، والمراد بهذا إطاعتهم فيما طلبوه من عدم التعريض بآلهة المشركين، ومداراتهم. وبأمره بعدم المبالاة بإيذائهم إياه، والمراد هو أن يواصل إنذاره إياهم بشر المآل غير ملتفت إلى ما يأتمرون عليه من إيذائه، وبأن يتوكل عليه تعالى فى كل أمره. ثم إنه تعالى طمأن رسوله ﷺ إلى أنه كافيه أذى الكافرين بقوله «وكفى بالله وكيلا» .

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ
عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٤٩﴾

أولا : الأسماء :

العدّة : فى قوله تعالى «فما لكم عليهن من عدة تعتدونها» المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الأيام المعدودة التى بانقضائها يحل للمطلقة أن تتزوج .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ عود إلى ذكر أحكام الزواج أو ما تعلق من الأحكام بالنساء،

والخطاب موجه إلى رجـال المؤمنين، وهو فى شأن الطلاق قبل الجمـاع، وظاهر النص يفيد أن الخلوة لا تأخذ حكم الجماع، وفى ذلك خـلاف. والمستفاد من عبارة النص هو أن المراد بالنكاح هو عقد الزواج وليس الوطء.

فيكون معنى القول الموجـه إلى المؤمنين أنه إذا عقدتم على المؤمنـات وتزوجتموهن ثم طلقتموهن من قبل أن تجـامعوهن فإنه لا يكون لكم عليهن عدة الأيام التـى يتربصن خلالها بأنفسهن إلى تمامها .

والقول ـ بهذا المعنى ـ يشير إلى أمرين:

أولهما هو أفضلية زواج المؤمن بمؤمنة ـ مع إباحة ـ الـزواج من الكتابية ـ بدلالة قوله تعالى «إذا نكحتم المؤمنات» مع أن الحكم يسرى فى شأن الكتابيات.

والثانـى هو تعلـق الحق فى العـدة بالـزوج، وإن كان هذا لا يمنـع قبول المعـروف من أن للشرع حقا فى هذا كما أن للولد حقا فيه، فإن كانت هناك عدة بسبب الدخول لم يكن للزوج الذى طلق إسقاطها .

ثم إن النص يبين أن يكون للمطلقة من قبل الدخول بها ما يعرف بـ «المتعة» وهى قميص وخمار وملحفـة أو إزار يعتد فيهـم بحال الـزوجين مـن الغنى والفقـر فإن كـانت المطلقـة قد فرضت لها فريضة أو حدد لها مهر فإنه يكـون لها نصف المهر، والظاهر أنه لا تكون لها المتعة لقوله تعالى «وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم» وفيه لم يرد ذكر المتعة .

ثم إنه تعالى أمر الرجال بتسريح نسـائهم المطلقات قبل الدخول سراحا جميلا بمعنى أن يخرجوهـن من منازلهم لعـدم وجود عدة لهم عليهـن يعتدونها دون الإساءة إليهـن بالفعل أو بالقول، وقيل دون مطالبتهن بما آتوهن .

■■■■

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَاجَكَ اللَّاتِي آتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ
يَمِينُكَ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ
وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَامْرَأَةً مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبَتْ
نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ۗ
قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِي أَزْوَاجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا
يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٥٠﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **أزواج النبى اللاتى آتى أجورهن** : فى قوله تعالى «إنا أحللنا لك أزواجك اللاتى آتيت أجورهن» قيل إن المراد بهن ـ فى معنى الآية ـ هو زوجاته ﷺ اللاتى كن فى عصمته وقد آتاهن مهورهن، مثل عائشةد وحفصة، وسودة.

٢ ـ **ما ملكت يمينه ﷺ** : فى قوله تعالى «وما ملكت يمينك مما أفاء الله عليك» قيل إن المراد بما ملكت يمينه ﷺ ـ فى معنى الآية ـ هو ريحانة اصطفاها ﷺ لما فتح قريظة فكانت عنده حتى توفيت، وقيل هو صفية وجويرية .

ثانيا : التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، بدأ القول ببيان أنه تعالى قد أحل له ﷺ أزواجه اللاتى آتى أجورهن ـ أي مهورهن ـ ولما كان مفاد قوله تعالى «أحللنا» أن الأمر يتعلق بشىء كان محرما عليه ﷺ من قبل ثم جاء النص بتحليله ، فإنه يتصور أن يكون النص متعلقا بغير من كن فى عصمته ﷺ من النساء، لأنهن لم يكن محرمات عليه، ويكون فى شأن

غيرهن من النساء، على ما قيل من أنه لما خير ﷺ نساءه بين الله ورسوله وبين الحياة الدنيا وزينتها، فاخترنه حرم تعالى عليه التزوج بغيرهن مكافأة لهن على اختيارهن، ثم جاء النص ليحل له ما كان قد حرم عليه من الزواج بأجنبيات عموما، ولا يمنع من قبول هذا المعنى أن الفعل فى قوله تعالى «آتيت أجورهن» جاء فى صيغة الماضى، لأنه أريد به تأكيد شرط الحل وهو أداء المهر. ويفيد النص معنى أفضلية تعجيل أداء المهر على تأجيله. وقيل إن الأزواج فى قوله تعالى «إنا أحللنا لك أزواجك» هن الكائنات عنده ﷺ اللاتى اخترنه والدار الآخرة على الدنيا وزينتها. ثم إن النص بين أنه أحل لرسوله ﷺ ما ملكت يمينه من الجوارى مما أفاء الله عليه، والمعنى هو وجوب صحة سبب العبودية أو السبى. وقد استشكل فى شأن هذا الشرط بمارية القبطية التى لم تكن مسبية بل كانت مهداة من أمير القبط بمصر والى الإسكندرية، ورد على هذا بأن هدايا أهل الحرب تأخذ حكم الفىء. كما استشكل فيه بجارية أهدتها زينب بنت جحش لرسول الله ﷺ، والرد على هذا أنه قد يكون ﷺ قد تحقق من مشروعية مبدأ عبوديتها وما جرى عليها، كأن تكون مما أفاء الله به عليه فأهداها زينب بنت جحش ثم وهبته إياها.

ويذكر النص أنه تعالى أحل لرسوله ﷺ الزواج من بنات عمه وبنات عماته وبنات خاله وبنات خالاته اللاتى هاجرن معه، يدخل فيهن بنات عمه العباس وبنات غيره من أولاد عبد المطلب، وبنات أولاد بنات عبد المطلب، وبنات الخال من ولد بنات عبد مناف بن زهرة. واشترط لهذا أن يكن قد هاجرن مع رسول الله ﷺ بمعنى أن يكن قد أسلمن، أو قد هاجرن إلى المدينة. وقد جاء ذكر هؤلاء مع دخولهن فى عموم الأزواج اللاتى أوتين أجورهن تشريفا لهن بخصهن بالذكر. ثم إن مفاد النص هو مجرد إحلال الزواج بالمذكورات أو جوازه بما لا يستدعى وجوب وقوعه، والمشهور أنه عند نزول النص لم يكن تحته ﷺ واحدة من بنات عمه، ولا من بنات عماته ولا من بنات خاله ولا من بنات خالاته. ويبين النص أنه أحل أيضا لرسول الله ﷺ - بالعطف على أحللنا المرأة المؤمنة التى تهب نفسها له ﷺ من غير صداق، ومن النص يبين أنه يشترط فى المرأة التى أحلها تعالى لرسوله بناء على هبته نفسها وقبوله ﷺ الهبة أن تكون مؤمنة.

كما يبين من النص أن الحل معلق على قبوله ﷺ هبتها نفسها له «إن أراد النبى أن يستنكحها» فإرادته ﷺ النكاح يكون قبولا بإعلانه للإيجاب المعروض منها، لأن الهبة لاتتم إلا بقبول الموهوب له.

كما يبين النص أنه بقبوله ﷺ هبة المؤمنة نفسها له وإرادته نكاحها تكون واهبة نفسها قد خلصت له ﷺ من دون المؤمنين، كما أنه يستفاد من القول «خالصة لك من دون المؤمنين» معنى آخر، هو اختصاصه ﷺ وحده دون سائر المؤمنين بالنكاح بطريق الهبة، بمعنى أن هبة المرأة نفسها لرجل لاتجوز ولا يتم بها نكاح.

ومعلوم أنه ﷺ قد فرضت عليه أشياء لم تفرض على غيره، وحرمت عليه أفعال لم تحرم على غيره، وحللت له أشياء لم تحلل لغيره، ومن هذه الأخيرة النكاح بطريق الهبة .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «قد علمنا ما فرضنا عليهم فى أزواجهم وما ملكت أيمانهم لكيلا يكون عليك حرج، وكان الله غفورا رحيما» مفاده أنه تعالى قد فرض ما فرض على المؤمنين من قواعد النكاح ومنه عدم الزواج بأكثر من أربع نسوة يجمع بينهن، وأن يكون الزواج بمهر وبينة وولى، فرض ذلك بعلمه تعالى أن فيه مصلحة الفردومصلحة المجتمع، وأنه خص رسوله ﷺ بأحكام خاصة تخالف هذه المشروعة لرجال المؤمنين بعلمه أنه يحقق صالحا جرت به حكمته، ثم أنه لما كان مفاد خصه ﷺ بهذه الأحكام الخاصة قد يكون سببا للحديث فيه بما يتصور معه أنه ﷺ لم يكن قدوة للمؤمنين فى هذا الشأن، فإنه تعالى أعلمه أنه أنزل النص وبين ما بين فيه لرفع الحرج عنه إذ يعلم أنه ﷺ إنما كانا منقادا لحكم ربه، ثم إنه لما كان أناس من المؤمنين قد حادثوا أنفسهم أو حادث بعضهم بعضا فى أمر اختصاصه ﷺ بأحكام خاصة فى شأن الزواج والتسرى بالجوارى فإنه تعالى طمأن هؤلاء إلى أنه بعد علمهم بالحق واقتناعهم به وتوبتهم عن الحديث فيما تحدثوا به من قبل، يكون منه تعالى أنه يغفر لهم ما كان منهم ويدخلهم برحمته فى رحمته.

وجدير بالذكر أن نشير إلى أنه قيل إنه لم يكن عنده ﷺ موهوبة، وقيل إنه كان عنده أكثر من موهوبة اختلف فى شأنهن فقيل هن: ميمونة بنت الحارث، وزينب بنت خزيمة

أم المساكين الأنصارية، وأم شريك بنت جابر، وخولة بنت حكيم وقيل غير ذلك.

﴿۞ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاءُ ۖ وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا (٥١)﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ تتمة ما خاطب به تعالى رسوله ﷺ فى الآية السابقة، فيتصور فيه أن يكون فى شأن المؤمنات اللاتى يهبن أنفسهن له ﷺ، يخوله النص أن يرجى منهن من يشاء فيترك نكاحهن إرجاء للفصل فى هبتهن أنفسهن له ﷺ، وقيل إنه ﷺ أرجأ الفصل فى أمر نساء وهبن أنفسهن له ولم يقربهن إلى أن توفى فلم ينكحن بعده، ويخوله النص أن يقبل منهن من يشاء يؤويها إليه بنكاحها.

ويتصور فى النص أن يكون فى شأن نسائه ﷺ، ويكون معنى القول على أحد أمرين، حاصل أولهما أنه يكون له ﷺ أن يؤخر من يشاء منهن فلا يضاجعها، وأن يضم إليه من يشاء منهن فيضاجعها.

وحاصل الثانى هو أنه يكون له ﷺ الخيار فى أزواجه بين أن يقسم لهن من نفسه وماله وبين ألا يقسم، وقيل إنه كان منه ﷺ أن آوى عائشة وحفصة وأم سلمة وزينب وقسم لهن، وكان منه إرجاء سودة وجويرية وأم حبيبة وميمونة وصفية، كان يقسم لهن ما شاء.

ثم إنه تعالى بعد أن خيره فى أمر الواهبات أنفسهن له أو فى أمر نسائه ﷺ، بين له حقه فى أن يؤوى إليه ـ من بعد العزل من القسمة، والإرجاء، من رغب أن يؤويها إليه، دون أن يعتبر

ذلك منه ﷺ ميلا عن الحق يستوجب المؤاخذة أو اللوم .

وبعد أن ذكر تعالى ما خول رسوله من حق الخيار فى التعامل مع الواهبات أنفسهن له ﷺ أو مع نسائه جاء قوله تعالى «ذلك أدنى أن تقر أعينهن ولا يحزن ويرضين بما آتيتهن كلهن» بمعنى أن صدور الخيار منه تعالى من شأنه أن يجعل الواهبات أنفسهن جميعا أو نساءه جميعا مطمئنات إلى أن اختياره ﷺ هو من عند الله تعالى وإن كان ظاهره أنه من عند نفسه فلا يكون ممن أرجأ ﷺ أمرهن وعزلهن ولم يؤوهن الحزن على ما فاتهن مما كن يرجون، ولا يكون ممن آوى إليه ﷺ وقسم ، طمع فى مزيد، وعدم رضاء بما قسم لهن أو بتفضيل بعضهن على البعض.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «والله يعلم ما فى قلوبكم وكان لله عليما حليما» هو خطاب له ﷺ ولأزواجه وللواهبات أنفسهن له.

مفاده أنه تعالى يعلم ما فى قلبه ﷺ من ميل إلى بعض نسائه أكثر من البعض، كما يعلم أن نساءه ﷺ والواهبات أنفسهن له راضيات عما قدره تعالى من تفويض الأمر ـ فى شأن التعامل معهن ـ إليه ﷺ.

فيكون القول مدعاة لصفاء قلوب نسائه ﷺ والواهبات أنفسهن له. كما أن القول يؤكد علمه تعالى بما هو فى قلوب نسائه ﷺ وقلوب الواهبات أنفسهن له، وأنه يصفح بحلمه عما يكون قد غلب على قلوب بعضهن من الغيرة أو أدى إلى التلفظ بما غلب على القلب من الميول .

لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ رَّقِيبٗا ﴿٥٢﴾

أولا : الأســـــماء :

النســـاء : المراد باللفظ - في معنى الآية - هو الحرائر بحكم العرف، وبما أظهره استثناء الإماء منهن بقوله تعالى «إلا ما ملكت يمينك» .

ثانيا : التفســـــير :

الخطــاب - في الآيـة - موجـه إلى رسـول الله ﷺ، وقد تضمن نـص الآية حكما شـرعيا خاصا به ﷺ.

وقد اختلف فيمـا إذا كان هذا الحكم قـد نسخ أم لا، فقيل إنه قـد نسخ على ما ثبـت عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت «لم يمـت رسول الله ﷺ حتى أحل الله له أن يتزوج من النساء من شاء» وهـو ما قد يكون المـراد به هو قولـه تعالى «ترجـى من تشاء منهن وتـؤوى إليك من تشاء» لا يمنع من هذا أن الآيـة السابقة - في ترتيب المصحف - علـى النص الوارد بالحكم. وقيل إنه لـم ينسخ، لأنه لما اختار نساء النبـى ﷺ الله ورسوله قصره تعالى عليهـن وحرم عليه الزواج بغيرهن .

وفي قولـه تعالى «لا يحل لـك النساء من بعد» جاء الفعـل «يحل» بالياء وليـس بالتاء لأن تأنيث الجمع غير حقيقي لأنه لا مفرد له من مثلـه. ومعنى القول هو أنه لم يعد له ﷺ من بعد التسع اللاتي في عصمته عند نزول النص أن يتزوج بامرأة من الحرائر - على ما جرى به العرف في استعمال لفـظ «النساء» - فيكون معنـى «لا يحل» هو التحريـم، كما جاء بالنـص تحريم تبديل زوج بزوج ممن هن تحته ﷺ، وفي هذا قيل إنـه كان قد جرى العمل في الجاهلية على أن يقول الرجل للرجل «انزل لي عن امرأتـك وأنزل لك عن امرأتي وأزيدك» فجاء النص بنهي رسول الله ﷺ عن هذا.

وهذا غير صحيح فلم يثبت هذا عن العرب في الجاهلية، والمراد بالقول هو تحريم طلاق إحدى نسائه ﷺ والـزواج بأخرى بدلا منهـا حتى لا يزيد عـدد نسائه على التسع الـلاتي كن تحته عند نزول النص.

فيكون النص قـد تضمن حكمين هما تحريم الـزيادة وتحريم الاستبدال. وفـي النهى عن الاستبدال جاء قوله تعـالى «ولو أعجبك حسنهن» مفيدا قطعية التحريم وأنـه لا يؤثر فيه سبب شخصـى لـديه ﷺ مـن إعجـاب بحسـن امرأة مـن النسـاء. والقـول يفيـد جواز النظـر إلـى المخطوبة.

ثم إنه تعالى استثنى من جنس النساء اللاتـى حرم عليه ﷺ الزواج بهن ـ زيادة أو بدلا ـ ما ملكت يمينه أى الإماء اللاتى أفاء الله عليه بهن. فيكـون له ﷺ التسرى بهن. وقيل فى هذا إنه حرم عليه ﷺ بالنص الـزواج بغير المسلمات حتى لا تكون كافرة أما للمـؤمنين، وإنه أحل له التسرى بهن إن كن مما ملكت يمينه .

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «وكـان الله على كل شىء رقيبا» هو للمؤمنين جميعا، يعلمهم ربهم أنه مطلع على ما فى قلوبهم، عليم بمـا يكون من أعمالهم فيحاسبهم به، فيكون القول تحذيرا من تعدى حلاله إلى حرامه .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ
بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا
دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ
ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا
سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ
وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ
مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا ٥٣

أولا : الأســــــماء :

الأنـــي : في قوله تعالى «غيـر ناظرين إناه» هو ما آن أوانه، وهو ـ بـالنسبة للطعام ـ تمام نضجه، يكون أوان أكله. وقيل إن المـراد به ـ في معنى الآية ـ هو الإناء أو الـوعاء الذي يوضع فيه الطعام.

ثانيا : التفســــــير:

الخطاب ـ في الآيـة ـ إلى المؤمنين، والقول هو فـي بيان ما يجب على المؤمنيـن مراعاته في تعاملهم مع رسول الله ﷺ وهو في بيته، وفي التعريف بحرمة بيته ﷺ وما يجب مراعاته في هذا الشأن بما يعتبـر من قبيل حقوقه ﷺ التي لا يعتـدى عليها، كما أنه في بيان كيفيـة تعامل المؤمنين مع أزواجه ﷺ، في حياته وما يجب عليهم نحوه ـ في نسائه ـ بعد موته.

بدأ قوله تعالى بالنداء على المؤمنين «يـا أيها الذين آمنوا» فبين أن المأمور به والمنهي عنه هو من شعب الإيمان. ثم بدأ بالنهي عـن دخول بيوت النبي ﷺ، وهو نهي تحريم، بمعنى أن الأصل العام هو تحريم دخول بيوت النبي على المؤمنين لأي سبب من الأسباب.

ثم استثنـى تعالـى حالة الإذن منـه ﷺ بالـدخول «إلا أن يـؤذن لكم»، وقولـه تعالـى «إلى طعام» مقـروءا مع قوله تعـالي «ولكن إذا دعيتـم فادخلوا» مفـاده هو النهي عن دخـول بيوت النبي ﷺ من أجـل الطعام بغير دعوة إلى الطعـام؛ ولهذا جاء قولـه تعالى «غير ناظـرين إناه» ليبين منه أن القول تعلق بالثقلاء الذين كانوا يدخلون بيوت النبي ﷺ في مواعيد تناول الطعام ينتظرون نضجه ويترقبون ذلك ليأكلوا، فنهاهم القول عـن هذا الفعل نهي تحريم ما لم يدعوا إلى تناول الطعام من جانبه ﷺ فيكون دخولهم بيوته وأكلهم من طعامه بناء على دعوته .

ثم إنه تعالى أمر المـؤمنين بأن يكون منهم ـ بعد دخول بيوته والأكـل من طعامه بناء على دعوته ـ مغـادرة البيوت والانتشار في الأرض بمجرد الانتهاء من تناول الطعـام، وذلك على ما يبين مـن «فاء التعقيب» فـي قولـه تعالى «فـانتشروا»، لا يمنعهـم عـن هذا استئنـاس بعضهم لحديث البعض، أو تسمع حديث أهل البيت .

ثم بين تعالى علة أمره المؤمنين بالانصراف من بيوت النبى ﷺ بمجرد تناول الطعام ونهيه إياهم عن الاستئناس بالحديث سببا للمكوث بعد تناول الطعام، فذكر أن وقوع هذا وذاك منهم كان يؤذى مشاعره ﷺ إذ يكون مقيد التصرف فى بيوته ومع أهله حال وجود المؤمنين فيها.

ثم ذكر تعالى أن الحياء كان يمنعه ﷺ من أن يطلب منهم ما هو حق له عليهم وهو الخروج من البيوت والانصراف عنها وعدم الاستئناس للحديث، وأنه تعالى أمرهم بهذا لأنه الحق الذى لايستحى منه تعالى.

وبعد هذا فإنه تعالى بين ما يكون عليه تعامل المؤمنين مع زوجات النبى ﷺ حال كونهم فى بيوت النبى وفيها أزواجه، فأمرهم بأن يكون سؤالهم أوسؤال أحدهم نساءه ﷺ شيئا مما يتمتع به من الطعام والشراب أو غيره، أن يكون ذلك من وراء ستر يحجب السائل عن المسئولة.

ثم ذكر تعالى علة الأمر بالحجاب ببيان أنه تكون به طهارة القلوب من الخواطر التى يوسوس بها الشياطين للرجال وللنساء لدى نظر بعضهم إلى بعض والحديث مع الرؤية، والمراد بهذا هو التعليم لأنه لا يتصور فى حق أمهات المؤمنين أن تجول بقلوبهن خواطر من هذا النوع.

ثم بين تعالى للمؤمنين أن أفعالهم المتمثلة فى دخول بيوته بغير إذن وترقب الطعام والاستئناس بالحديث هى إيذاء له ﷺ فى مشاعره أو هى أسباب لذلك لاتليق بهم ولا يصح صدورها عنهم.

ثم أتبع هذا ببيان تحريم أزواجه ﷺ على امؤمنين بعد وفاته بما يمتنع معه الزواج بهن، والراجح أن هذا التحريم خاص بالمدخول بهن، ويبدو أنهن قد اعتبرن ـ حكما ـ أزواجه ﷺ بعد وفاته بدلالة أنه ﷺ أبقى عليهن النفقة والسكنى مدة حياتهن.

وفى ختام الآية بين تعالى جسامة إثم إيذاء رسول الله ﷺ بفعل شىء مما نهى المؤمنين

عن فعله، وكذا التـزوج بزوجاته بعد وفاته المعتبـر من الكبائر بقوله تعالـى «إن ذلكم كان عند الله عظيما» فيكون القول حثا علـى التزام أوامره تعالى ونواهيه الواردة فـى الآية، وتهديدا لمن يخالف عن أمره أو نهيه فيها .

إِن تُبۡدُواْ شَيۡـًٔا أَوۡ تُخۡفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٥٤

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ مرتبط بما سبق بيانه في الآية الســـابقة من تحريم نساء رسول الله ﷺ على المؤمنيـن لا ينكحوهن بعد وفاته، فجـاء القول إنذارا للمؤمنين بالعقـاب على إبداء الرغبة فى الزواج منهن أو إبداء العزم على هذا بالقـول كما حدث من رجل قال ـ بعد نزول آية الحجاب ـ «أنهى أن نكلم بنات عمنا إلا من وراء حجاب، لئن مات محمد لنتزوجن نساءه»، وإنذارا بالعقـاب على انتواء هذا فـى النفس دون التصريح عنـه بالقول، فمفاد علمـه تعالى بكل شىء ومنه إبداء القول المذكور أو إسراره فى النفس هو المحاسبة به والعقاب .

لَّا جُنَاحَ عَلَيۡهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ
وَلَآ أَبۡنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ إِخۡوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبۡنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ
وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ
كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدًا ٥٥

التفســـــير:

وردت عبارة الحكم الشرعى فى نص الآية تقريرية لم تخاطب بها أمهات المؤمنين مع أن

حكم النص متعلق بهن، ثم أتبع تعالى حكمه الوارد في النص بمخاطبتهن بالمأمور به ترتيبا على الحكم .

فالحكم الذى ورد به النص هو عدم إيجاب احتجاب نساء رسول الله ﷺ على الذكور المذكورين فى النص من الأقارب بالنسب أو الرضاعة وجميعهم ذوو رحم محرم، لم يذكر منهم العم والخال مع كونهما ذوى رحم محرم اكتفاء بذكر أبناء الإخوة وأبناء الأخوات بما يفيد أن علة عدم لزوم الحجاب هى العمومة والخؤولة، لكون نساء النبى عمات لبنات الإخوة وخالات لأبناء الأخوات، وقيل إنه يحتجب عنهما - وهذا ضعيف - حتى لا يكون منهما وصفهن لأبنائهن وهم من غير المحارم .

كذلك أثبت النص عدم إيجاب الاحتجاب على إماء نساء رسول الله ﷺ ومن يخالطهن من النساء .

والمراد بهن المؤمنات دون الكافرات والكتابيات، وذلك لأن غير المؤمنات لا يتورعن عن وصفهن للغير دون أن يكون لهن وازع من الدين يردعهن عن هذا.

كما أثبت عدم إيجاب الاحتجاب على ما ملكت الأيمان، وقيل إنه رغم أن ظاهر النص يتعلق بالعبيد والجوارى فإن المراد به هو الإماء فقط وقيل إنه الإماء والمكاتبين لا يكون ضرب الحجاب دونهم .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «واتقين الله إن الله كان على كل شىء شهيدا» هو أمر إلى نساء رسول الله ﷺ قدوة نساء المؤمنين بتقوى الله تكون بالتزام ما أمرهن به تعالى وما نهاهن عنه، وهو إعلام بعلمه تعالى ما يصدر منهن من أفعال عِلم شاهد الأمر، فيكون علمه بمدى إطاعتهم أوامره ومحاسبته بموجب ما علم .

إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾

التفســــــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ تشريف لـرسول الله ﷺ وبيان لعلو قـدره فى الدنيا والآخـرة بما يثبت فساد ظن كل من ظن به أو بنسائه ﷺ سوءا أو أرجف بهذا .

وفى النص يثبت تعالى أنه يصلى على نبيـه ﷺ برحمته إياه وبرضائه عنـه، كما يثبت أن ملائكته يصلون عليه ﷺ بـالاستغفار له، وقيل إنه تعالى شرف ملائكتـه بسبب صلاتهم على النبى ﷺ فجمع بينـه تعالى وبينهم فـى قوله تعالـى «إن الله وملائكته»، وقيل إنـه ليس هناك جمع بين ذكر الله تعالى وذكر الملائكة، وإن فـى الكلام حذفا تقديره «إن الله يصلى وملائكته يصلون» .

وبعد أن أثبت تعالـى واقع صلاته تعالى وصـلاة ملائكته على نبيه ﷺ، أمر تعـالى عباده بالصلاة عليه ﷺ، والمجمع عليه هو أن الصلاة على رسول الله ﷺ فرض فى العمر مرة، وأنها ـ فى كـل حين ـ سنة مؤكدة، رأى البعض أنها واجبة كلما جرى ذكـره ﷺ ورأى آخرون أنها مندوب إليهـا، وعن كيفيتها فـالمشهور أنها تكـون بقول: «اللهـم صل على محمـد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبـراهيم، وبارك على محمد وعلـى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيـم فى العالمين، إنـك حميد مجيد» .كما أمرهـم تعالى بالتسليم عليه ﷺ ، يكون بقول «السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته»، ويكون السلام من المؤمنين ـ بعد وفاته ﷺ عند حضور قبره وعند ذكره .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ
وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾
وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ
ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿٥٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في بيان جسامة إثم المؤذين بغير الحق، وفي بيان ما أعد لهم من العذاب جزاء على إيذائهم.

تعلق القول - في الآية الأولى - بالذين يؤذون الله ورسوله، ومن القول - وفق عبارته - تبين عدة معان:

منها: أن كل ما يتضمن إيذاء لله تعالى يكون متضمنا إيذاء لرسوله ﷺ، كما أن كل ما يتضمن إيذاء لرسول الله ﷺ يكون متضمنا إيذاء لله تعالى. وذلك مفهوم لأن إيذاءه تعالى إنما يكون بالكفر به تعالى أو بالإشراك به أو بالقول فيه غير الحق بما لا يليق بذاته، فيكون منه قول اليهود «يد الله مغلولة» وقول بعضهم «إن عزيرا ابن الله»، وقول فريق من النصارى «إن المسيح ابن الله» وقول المشركين إن الملائكة بنات الله، وإن الأصنام شركاؤه تعالى. وهذا جميعه يؤذي النبي ﷺ لأنه يخالف عقيدة التوحيد التي بعث بها.

كذلك فإن كل إيذاء لرسول الله ﷺ يعتبر متضمنا إيذاء لله تعالى، لأن إيذاءه ﷺ يجد سببه في قيامه ﷺ على إبلاغ الرسالة والدعوة لله، فيكون من قبيل إيذائه ﷺ تكذيبه لأنه يعني التكذيب بالقرآن العظيم الذي ينذر به ﷺ، وفي ذلك إيذاء لله تعالى، كما يكون من قبيل إيذائه ﷺ القول فيه إنه شاعر أو ساحر أو كاهن أو مجنون، وذلك لانطوائه على تكذيب قوله تعالى فيه إنه خاتم النبيين، كذلك يكون من قبيل إيذائه إيذاؤه في سلامة جسمه أو إيذاؤه بالتعريض به، على نحو ما كان من كسر رباعيته ﷺ وشج وجهه الشريف في أحد، والطعن في نكاح صفية بنت حيي. لأنه اعتداء على الرسول فيكون اعتداء على مرسله، وإنه تعالى أعلم أين يضع رسالته.

ثم إن القول يثبت أن كل إيذاء لله ولرسوله ﷺ هو اعتداء بغير الحق، أو إنه لا يتصور فيه أن يكون بحق؛ ولهذا جاء قوله تعالى - في ختام الآية - مثبتا أنه قد طرد هؤلاء المؤذين من رحمته في الدنيا والآخرة وأنه أعد لهم سلفا عذابا يذلهم ويهينهم في الآخرة.

ثم جـاء قوله تعالـى فى الآية الثـانية فى شأن الـذين يؤذون المـؤمنين والمؤمنات بغيـر ما اكتسبوا، والمعنـى أن الإيذاء كان بغير سبـب يوجبه من ارتكـاب جرم عن عمد أو عـن خطأ، فيكون إيذاء المؤذين ظلما للمؤمنين والمؤمنـات. ذكر تعالى أن هؤلاء المؤذين يحملون فعلا شنيعـا يماثـل الكذب الـذى يبهت المكـذوب عليـه لجسامتـه، كما يحملـون إثما عظيمـا بظلمهم، ، فيكـون القول مشيـرا إلى تعذيبهـم العذاب الـذى يناسـب جسامة مـا قرفـوا من الإثـــم .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥٩﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

الجلابيب : فى قولـه تعالى ﴿يدنين عليهـن من جلابيبهن﴾ جمع، مفـرده الجلباب، ثوب أوسع من الخمار ودون الرداء، وقيل هو الرداء، وهو الثوب الذى يستر جميع البدن.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن توعد تعالى الذين يؤذون المؤمنيـن والمؤمنات بالعقاب على ما حملوا من البهتان والإثم المبين، وكان من صور إيذاء المؤمنات التعرض لهن بما يخدش حياءهن من فعل ومن قول فإنه تعالى أمر فى الآية بما يكون منه ـ على الغالب ـ تجنيب المؤمنات التعرض لهن فى الطرقات إذا ما خرجـن لحاجة لهن، أمر رسوله ﷺ أن يقول لأزواجه ولبنـاته ولنساء المؤمنين أن يدنين عليهن من جـلابيبهن، فالأمر هو أمره تعالى والمبلغ بـه هو رسول الله ﷺ، ومضمونه هو بإرخاء الجلابيـب على الأجساد، وقيل إنه يكون بتقنع النساء، يستـرن رؤوسهن ووجوههن بجزء من الجلباب مع إرخاء الباقى على بقية البدن .

ثم بين تعالى علة الأمر بقوله «ذلك أدنى أن يعرفن فلا يؤذين» وفيه قيل إن من شأن هذا التقنع وإرخاء الجلابيب معرفة الحرائر اللاتى يفعلن هذا من الإماء اللاتى لا يفعلنه، فلا يكون التعرض للحرائر بما يؤذيهن، فيكون معنى «نساء المؤمنين» فى عبارة النص هو الحرائر. ونرى - والله أعلم - .

أنه يدخل فى معنى «نساء المؤمنين» الإماء المؤمنات، وذلك لأن التعرض بما يخدش الحياء أو بالتصرفات المشينة يكون - على الغالب - مع المتبرجات تتساوى فى هذا الحرائر والإماء، ثم إنه لما كانت الغاية من التقنع هى منع الأذى عن المؤمنات يتعرف عليهن من إرخائهن جلابيبهن على رؤوسهن ووجوههن وأبدانهن، ومن نتيجة ذلك التيقن بأنهن لا يستجبن للتعرض لهن، وكانت العلة متوافرة فى الأمة المؤمنة كما هى متوافرة فى الحرة المؤمنة، وهى الإيمان وتجنيب المؤمنة التعرض لأذى الفاسقين، وكانت مصلحة مجتمع المؤمنين تتطلب عدم شيوع الفتنة والفساد فيه، فقد لزم - فى رأينا - القول بسريان الأمر على الإماء المؤمنات .

وقوله تعالى - فى ختام الآية - «وكان الله غفورا رحيما» مفاده أنه تعالى يغفر ذنب من وقع منها شىء من التفريط فى الأمر بالتستر دون إصرار على ما وقع منها، وأنه تعالى يثيب من امتثلت أمره ولم تفرط فيه بما هو أهل له، يكون ذلك منه تعالى بوافر رحمته.

۞ لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦٢﴾

أولا : الأســماء :

المرجفون : جمع، مفرده «المرجف» إسم فاعل من «أرجف ــ يرجف» وهو الذي يردد الأكاذيب الملفقة التي تؤذى المشاعر أو تسبب الأذي، من «الرجفة» وهى الزلزلة، لأن الأخبار الكاذبة تكون متزلزلة فى نفسها غير ثابتة .

ثانيا: التفســير:

الخطاب - في الآيات - إلى رسول الله ﷺ، وهو تحذير لهؤلاء الذين عادوا رسول الله ﷺ في مدينة رسول الله متسترين تحت عباءات مختلفة والذين هم من ضعف إيمانهم مترددون فيكون منهم في حين ممالأة أعداء رسول الله ﷺ.

ومضمون التحذير هو أنه إذا لم ينته المنافقون الذين يضمرون الكفر ويظهرون الإيمان عن نفاقهم وهو أذى، وإذا لم ينته ضعفاء الإيمان عن ترددهم بين المؤمنين وبين المنافقين الذين يسمعون لهم، وإذا لم ينته اليهود الذين يجاورون هؤلاء ويجاورون المسلمين عن ترديد الأكاذيب فى حق رسول الله ﷺ والمؤمنين، فإنه تعالى سيكون منه دعوة رسوله ﷺ إلى قتالهم وإجلائهم عن مواقعهم ومساكنهم فى المدينة.

فيكون منه تعالى تسليط رسوله ﷺ عليهم، فيكون مؤدى هذا هو مفارقتهم جوار رسول الله ﷺ فى المدينة جبرا عن خواطرهم، فلا تستمر مجاورتهم إياه فيها إلا زمانا يسيرا هو الذى يلتقطون فيه عيالهم ويأخذون غالى أموالهم قبل مبارحتهم المدينة.

ثم إنه تعالى يذكر حال المنافقين والذين في قلوبهم مرض والمرجفين لدى مفارقتهم المدينة أوحالهم وقد فقدوا جوار رسول الله ﷺ، وهو أنهم يكونون مطرودين من الرحمة فى الدنيا كما هم في الآخرة، فيكون من أثر هذا أنهم حيثما عثر عليهم ووقع الظفر بهم أخذوا أسارى وقتلوا أبلغ القتل.

ثم يذكر تعالى أن ما يكون لهؤلاء من الأسر والقتل هو ما جرت به سنته تعالى فيمن كانوا على شاكلتهم من الأمم السابقة، وهى سنة لا تغيير لها ولا تبديل، لأن أحدا لا يقدر على تبديل

مما جرت به إرادته تعالى في خلقه .

﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾

أولا : الأسماء :

الناس : المراد بهم - في معنى الآية - هؤلاء الذين كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن وقت قيام الساعة لأسباب في النفوس المريضة وليس بقصد العلم. وكانوا ثلاث فئات: كان المشركون يسألون عن استهزاء بالإخبار عن الآخرة، وكان المنافقون يسألون تعنتا، وكان اليهود يسألون لاختباره ﷺ لعلمهم من التوراة أن أحدا من خلقه تعالى لا يعلم متى تكون .

ثانيا : التفسير:

القول - في الآية - موجه إلى رسول الله ﷺ، يخبره تعالى بما هو حاصل من المشركين ومن المنافقين ومن اليهود من سؤاله ﷺ عن وقت قيام الساعة، أو القيامة. ثم يأمر تعالى رسوله أن يرد على السائلين بما يفيد أنه تعالى وحده الذي يعلم متى تكون، وأنه استأثر بعلم هذا لم يُطلع عليه أحدا من خلقه .

ثم إنه تعالى يخاطب رسوله ﷺ بقوله «وما يدريك لعل الساعة تكون قريبا» وفيه أخبر أنه ﷺ لا يدري متى يكون، ثم أفاد احتمال كون وقوعها قريبا في عمر الزمان، ليكون المعنى هو إنذار السائلين باحتمال قرب موعد سؤالهم وتعذيبهم .

﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى - فى الآيتيـن - هو توعـد للكافرين عمـوما، من جهر منهـم بالكفر ومن نـافق فستره، ومضمون ما توعـدوا به هو لعنة الله تكون لهم فيكونون مطروديـن من رحمته، كما يكون لهم العذاب فى الآخرة سعير جهنم أعد لهم سلفا .

ثم ذكر تعالى أن حالهم فى السعير يكون هو الخلـود فيه للأبد منفردين عن الولى والناصر فلا يكون لهم راع يحفظهم ولا ناصر يدفع العذاب عنهم .

يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴿٦٦﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكـر تعالـى أن الكافريـن يلقون فـى السعير وأنهم فيـه يخلدون لا يجـدون وليا ولا نصيرا، جاء قوله تعالـى «يوم تقلب وجوههم فى النار» ظرفا لعدم وجـودهم الولى والنصير فيه تقلب وجوههم فى النار بفعل الحرارة، ويتصور أن تكون «الوجوه» تعبيرا عن الأجساد، ويكون منهم الندم على ما كان منهم من الكفر فى دنياهم فيتمنون لو كانوا فيها قد أطاعوا الله وأطاعوا الرسول وآمنوا وأصلحوا، لعلمهم أن ذلك كان من شأنه أن ينجيهم مما هم فيه من العذاب .

وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا
ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾

التفســـــير:

يذكر تعـالى - فى الآيتين ـــ ما يكون من الكافـرين حين يشتد بهم العـذاب ويعلمون أنه

جزاء على كفرهم الذى دفعهم إليه سادتهم من ذوى السلطان عليهم ورؤساؤهم الذين قادوا أفكارهم وزينوا لهم الكفر، فيكون منهم القول الذى يحاولون فيه إظهار خفة خطئهم بالقياس إلى خطأ سادتهم وقادتهم، فيقولون إنهم كفروا تابعين هؤلاء مطيعين ما أمرهم به من الكفر فكان أن أضلهم سادتهم وكبراؤهم عن السبيل الحق الموصل إلى رضاء الله وجنته .

ولما كان قولهم هذا ينبىء عن كراهتهم ـ فى الآخرة ـ سادتهم وكبراءهم فى الدنيا، ويظهر قصد التشفى فيهم، فقد ذكر تعالى قولهم الذى يدعون فيه ربهم أن يضاعف لسادتهم وكبرائهم العذاب، ليكون منه العذاب على ضلالهم فى أنفسهم ، والعذاب على إضلالهم، كما يكون منهم الدعاء عليهم بأن يلعنهم الله لعنا كبيرا، يخرجهم من رحمته ، مع المبالغة فى الطلب، والمبالغة فى اللعنة المدعو بها على الذين أضلوهم .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوۡاْ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُواْۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهٗا ﴿٦٩﴾

أولا : الأسماء :

الذين آذوا موسى: قيل إنهم الذين آذوه عليه السلام بالقول فزعموا أن فى جسمه عيبا من برص أو ورم فى خصيته هو سبب حرصه على ستر جسمه كله، ثم ظهر لهم خطأ قولهم حين تحرك الحجر بثيابه التى وضعها عليه ليغتسل فتبعه موسى إلى أن شاهده قومه .

وقيل إنهم الذين اتهموه بقتل أخيه هارون حين مات وهو على الجبل مع موسى عليه السلام، فأمر تعالى الملائكة فحملته وأتت به بنى إسرائيل ثم أخبرتهم بموته . وقيل إنهم الذين قالوا له «اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون». والذى نراه ـ والله أعلم .

أنهم الذين قالوا فى موسى غير الحق من بنى إسرائيل بسبب زواجه من المرأة الكوشية، وذلك بالنظر إلى أن الذين آذوا رسول الله ﷺ بالقول هم الذين قالوا فيه غير الحق بسبب

زواجه مـن زينب بنت جحش، وقـد برأ الله موسى بقـوله إن عبده موسـى ليس كما قالـوا وأنه أمين فى كـل بيته. وهذا ثابت فـى التوراة التى بين أيدينـا اليوم فى الإصحاح الثانـى عشر من سفر «عدد».

ثانيا : التفســـــير:

نزلت الآية ـ على المشهور ـ لما كان مـن قول بعض المؤمنين غير الحق فى رسول الله ﷺ حين تزوج من زينب بنـت جحش، فنهاهم الله تعالى عن أن يكونـوا جاهلين يؤذون رسول الله ﷺ بالقول مثـل من سبقوهم من بنـى إسرائيل الذين قالـوا غير الحق فى موسـى عليه السلام حين تزوج المرأة الكـوشية، فأعلن تعالى براءتـه عليه السلام مما قالوه فيه ورفـع قدره ومنزلته عنده تعالى بأن جعله مستجاب الدعوة أو بأن دعاه كليم الله، أو بغير هذا .

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن نهى تعالـى المؤمنين عن التمثل بالذيـن آذوا موسى عليه السلام بالقـول من قومه الذين آمنوا له، يكون بقولهم غير الحق فـى رسول الله ﷺ، على نحو ما كان حين تزوج بزينب بنت جحش، فـإنه تعالى أمـرهم باتقاء غضبـه يكون بارتكاب مـا يكره ومنه إيذاء رسـوله ﷺ بالقول، كما أمرهم أن يكون كلامهم بما يقصد به وجه الحق «وقولوا قولا سديدا» وهو أمر يزيد على مجرد الامتناع عن قول الباطل.

ثم إنه تعـالى بين ما يترتـب على تقواه وعلى التكلم بالسـديد من القول ـ جـاء فى صيغة

جواب الشرط ـ وهو أنه يكون منه تعالى إصلاح أعمال المتقين بقبولها والإثابة عليها ويكون منه مغفرة الذنوب .

ثم إنه تعالى أطمع المؤمنين فى الفوز العظيم الذى لا يعلم قدره يكون لهم إذا ما التزموا طاعة الله ورسوله، فكان القول حثا لهم على التزام طاعة الله فيما أمر به وما نهى عنه، ومنه النهى عن إيذاء رسول الله ﷺ، والأمر بالتقوى، والتزام طاعة رسول الله ﷺ. ليكون لهم الفوز العظيم الموعود به.

﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾

أولا : الأسماء :

الأمانة : قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو جميع وظائف الدين، وقيل هى الفرائض التى ائتمن الله عليها عباده وأشدها أمانة المال، ومنها ائتمان المرأة على فرجها. والذى نراه ـ والله أعلم ـ هى حرية الاختيار بالإرادة الحرة بدون قسر ولا جبر.

ثانيا : التفسير:

لما كان منه تعالى أنه بين شأن الذين يطيعون الله ورسوله ﷺ وما يكون لهم، كما بين شأن الذين يعصون الله ويعصون رسوله ﷺ وما توعدهم به من العذاب المعد لهم، وكان ربك لا يظلم أحدا مما مفاده أن الذين وجب عليهم العذاب قد استحقوه بأفعالهم التى نجمت عن سوء اختيارهم الذى كانوا فيه أحرارا غير مجبرين.

فإنه تعالى ذكر أن الإنسان منذ البدء هو الذى قبل بإرادته أن يكون مخيرا بين الخير والشر،

كما قبـل أن يكون مسئولا عمـا يختار طائعـا، فيقول تعالـى ما مفاده أنـه عرض الأمانـة وهى الحقوق الواجبـة المراعاة نحو النفس، والعبـاد، والخالق، يكون حملها بـالتكليف، ويكون تزويـد المكلف بـالعقل الـذى يفهم وبحريـة الاختيار، وتكـون مساءلتـه عما يختـار ويفعل بالتبعيـة. عرض تعالـى الأمانة علـى هذا النحو علـى السماوات وعلى الأرض وعلـى الجبال فكان منهم إبـداء عدم القبول بها وتفضيلهـن القسر والجبر مع عـدم المساءلة عليها إشفـاقا على أنفسهن من نتيجة المساءلة عن الاختيار، وأنه تعالى عرض الأمانة على الإنسان فقبلها. وقد يكـون المراد بهذا ما قيـل من أنه تعالـى عرض الأمانـة على آدم فقال: «وما هـى؟» قال تعالى «إن أحسنت أجزتك وإن أسأت عذبتك» فقال: «قد تحملتها يارب».

وقد يكون المراد بها هو الميثاق الذى أخذه تعالـى على الناس وهم فى ظهور آبائهم حين سألهم «ألست بربكم قالوا بلا» .

ثم إنـه تعالـى وصف الإنسـان بأنـه كان لدى قبـوله الأمـانة مبـالغا فـى ظلم نفسـه لأنه أخضعها للمساءلـة، كما كان جاهـلا أشد درجات الجهل فلـم يدر أن غالب أفـراده يسيئون الاختيار فيكون لهم العذاب. وقيـل إن المراد بـ «الإنسان» فى معنى الآية هو الكـافر والمنافق والعاصى.

لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٣﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أن الإنسان قد قبل أن يحمل الأمانة وأن يجزى بها أو بعمله فيها خيرا أو شرا، فإنه تعالــى بين أن عاقبة ذلك كانت تعذيبـه تعالى الذين خانوا الأمانـة وفرطوا فيها من

المنافقين والمنافقات ومن المشركين والمشركات. جاء ذكرهم على وجه الخصوص لأنهم ولأنهن أئمة الكفر وأمثلة سوء الاختيار.

كما بين أن عاقبة ذلك هى توبته على المؤمنين والمؤمنات، بقبول توبتهم عما يرتكبون من المعاصى التى لم يخرجوا بها عن نطاق الإيمان إلى الكفر.

ثم بين تعالى أنه يفعل هذا مع المؤمنين والمؤمنات بحكم كونه الغفور الذى يغفر للتائبين ذنوبهم، وبحكم كونه الرحيم الذى يبدل سيئات الذين آمنوا وعملوا الصالحات حسنات.

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة سبأ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلۡأَرۡضِ وَلَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِى
ٱلۡأٓخِرَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ
مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ فِيهَاۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلۡغَفُورُ ﴿٢﴾

التفسـير:

يثبت تعالى أنه وحده الذى له الحمد بحكم كون كل ما فى السماوات والأرض له بحكم الخلق والإيجاد، وبحكم المالكية، وبحكم التصرف.

ويبين من قوله تعالى «وله الحمد فى الآخرة» أنه تعالى هو المحمود فى الدنيا على ما أنعم به فيها على مخلوقاته ومنها الإنسان، وأنه ــ بالنص يكون له الحمد فى الآخرة، يكون له بتفرقته بين المؤمن والكافر فى المصير، وبمعاملته الكافر بعدله، وبإنعامه على المؤمنين بنعم الجنة التى يقولون معها «الحمد لله الذى صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء» .

وقوله تعالى «وهو الحكيم الخبير» يفيد أنه تعالى أحكم بحكمته أمور الدنيا وأمور الآخرة على النحو الذى أوجب على العباد حمده وشكره، وأن علمه أحاط بكل شىء فكان إحكامه أمور الدنيا والآخرة عن علم وافر غير منقوص .

ثم ذكر تعالى ـ فى الآية الثانية ـ بعضا مما أحاط به علمه، فذكر تعالى أنه يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها ، يدخل فيما يلج فى الأرض قطرات ماء المطر، وأجساد الموتى، وما يسقط على الأرض من نيازك وشهب تحترق سطحها وتغوص فى أعماقها، وما يخترق سطحها من أنواع الأشعة. ويدخل فيما يخرج منها النبات والمعادن.

كما ذكر تعالى أنه يعلم ما ينزل من السماء وما يعرج فيها، فيدخل فيما ينزل من السماء الملائكة والصواعق وأقدار العباد والنيازك والشهب، ويدخل فيما يعرج فيها الأبخرة والأدخنة والأشعة الناجمة عن التفجيرات الذرية وأعمال العباد وأدعيتهم، وغير ذلك مما لم يحط به علم الناس بعد.

وجاء قوله تعالى «وهو الرحيم الغفور» لإثبات أنه تعالى يثيب الحامدين برحمته ويغفر للغافلين غفلتهم عن الحمد إذا ما كان منهم التنبه إلى الحق من بعد الغفلة .

■■■■■

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٣﴾

التفسـير:

قيل فى مناسبة نزول الآية إنه لما نزل قوله تعالى فى سورة الأحزاب «ليعذب الله المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات» قال أبو سفيان لكفار مكة «كأن محمدا يتوعدنا بالعذاب بعد أن نموت ويتخوفنا بالبعث واللات والعزى لا تأتينا الساعة أبدا ولا نبعث فنزل قوله تعالى «قل بلى وربى لتأتينكم».

فيكون تعالى قد ذكر قول الكافرين، لم يقصدوا أن الساعة لا تأتيهم بذواتهم وإنما عنوا بالقول إنها لا تأتى أحدا على الإطلاق ممن عاصرهم أو من غيرهم، فيكون قولهم هو إنكار للساعة ـ وهى القيامة ـ والآخرة وحسابها وما يكون فيها من جنة ونار.

وجاء قوله تعالى أمرا لرسوله ﷺ أن يرد عليهم قولهم وأن يثبت ما نفوه وهو إتيانهم الساعة وتأكيد ذلك بالقسم «بلى وربى لتأتينكم» .

ثم يجيء قول رسول الله ﷺ «عالم الغيب» بدلا من المقسم به يبين أنه تعالى وحده هو عالم الغيب ومنه وقت قيام الساعة، والذى لا يخرج عن علمه ولا يبعد شيء يكون منه فعل لم يجاوز حجمه حجم الذرة أو لم يجاوز وزنه وزنها ، ولا يخرج عن علمه شيء يصدر منه فعل يكون أصغر من هذا المذكور أو يكون أكبر، فكل ما يكون من مخلوق صغر أو كبر هو داخل فى علمه تعالى مسطور فى اللوح المحفوظ، الذى هو الكتاب المبين ما يكون من العباد إلى يوم الدين .

■■■■

﴿لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿٥﴾﴾

التفسير:

بعد قول رسول الله ﷺ للمكذبين بالساعة «بلى وربى لتأتينكم» ، يجىء قوله تعالى مبينا علة مجئ الساعة يفصح عنها قوله «ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات»، بمعنى أنه تعالى يكافئهم على إيمانهم وعلى عملهم الصالحات.

ثم يبين هذاء الجزاء فى إجمال بأن يشير إليهم بـ «أولئك» ويخبر عنهم أنه تكون لهم مغفرة ما يكون قد صدر عنهم من الذنوب، كما يكون لهم الرزق الوافر من جميع الخيرات ينالونه دون تعب ولا جهد.

كما يبين تعالى أن من علة مجىء يوم الدين تعذيب المكذبين الذين سعوا بين الناس بالتكذيب بآيات الله تعالى ينالون منها بالقول السيء فيها محاولين النيل منها بالقول بعجزها عن إثبات ما تدعيه، أو عجزها عن الرد عليهم، ومعجزين الناس عن الإيمان بها.

وفى تعذيب هؤلاء فإنه تعالى يشير إليهم «أولئك» ثم يخبر أنه يكون لهم - بسبب سعيهم فى آياته معاجزين - عذاب من سيء العذاب أليم .

﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴿٦﴾﴾

أولا : الأسماء :

الذين أوتوا العلم : المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ كل من أوتى العلم الصحيح فى شأن العقيدة، فيدخل فى هؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ ومن حصل العلم الصحيح من أمته ﷺ إلى يوم الدين، كما يدخل فيهم أهل الكتاب الذين علموا الحق من كتبهم فآمنوا به لما جاءهم فآمنوا لرسول الله ﷺ.

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى تعذيبه المكذبين يوم القيامة الذين زعموا أنه لا يجىء ، فإنه تعالى أثبت فى الآية أن الذين أوتوا العلم الصحيح فى شأن العقيدة يعلمون أن القرآن العظيم الذى أنزل إلى رسول الله ﷺ من ربه هو الكتاب الحق الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه؛ ولهذا فإنهم يؤمنون به، كما أنهم يعلمون أنه يهدى إلى دين الله الذى هو الطريق الموصل إلى رضائه تعالى وإلى جنته، جاء وصفه تعالى بأنه العزيز الحميد لبيان أنه غالب المكذبين بعزته، وأنه المحمود على إثابته أولى العلم الذين عملوا ليوم القيامة الذى آمنوا به ترتيبا على إيمانهم بأن القرآن هو الحق من الله، ليكون ذلك مقابلا سوء مصير المكذبين بالقرآن الكريم وبيوم البعث العظيم .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿٧﴾ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ ﴿٨﴾

التفسير :

بعد أن ذكر تعالى رأى الذين أوتوا العلم فى القرآن العظيم الذى يدعو به رسول الله ﷺ،

فإنـه تعالى يذكـر رأى الذين كفـروا فيما يدعو إليـه رسول الله ويقول بـه، يبين من ذكرهـم فى مقابل الـذين أوتوا العلم أنهم على جهـل. ورأى الذين كفروا ينبىء عنه قـول بعضهم لبعض فى رسول الله إنه رجل يقـول بالبعث يكون من بعد تحلل الأجساد فى القبـور وصيرورتها ترابا، والمعنى أنه يقول بشىء لايقبلـه عقل، مع ادعاء الجهل به ﷺ على ما يبيـن من الإشارة إليه بأنه محض رجل من الرجال مع تمام معرفتهم به وعلو شأنه بينهم.

ثم يذكر تعالى باقى قول الكافرين فى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فهم يقولون ما معناه أنه إما أن يكـون مفتريا على الله الكذب، يزعـم أنه يكون بعد الموت وبعد فنـاء الأجساد قيام لها وحيـاة وينسب ذلك إلـى الله تعالـى، وإما أن يكون قـد أصابه الجنـون فقال بمـا لا يقبله عقل.

ثم يظهر تعـالى باطل اعتقاد الكـافرين الذين ينكـرون البعث ولا يؤمنون بالآخـرة بذكره أن مصيرهم بما يعتقدون هو العذاب يكون جزاء على سيرهم فى الضلال إلى المدى البعيد .

﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ السَّمَاءِ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾

التفسـير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ فى إثبـات جهل منكرى البعث وبيان مدى ابتعـادهم عن العقل ومقتضيات العمل به. فهو تعالى ينكر عليهم أنهم يعتقـدون عدم قدرته تعالى على إعادة بناء أجسادهم بعد الفناء وإعادة الأرواح إليها مع أنهـم يرون ما يحيط بهم من السماء والأرض هو من العظم فى الخلق إلى الدرجة التى يكون معها البعث أقل خطرا وأهون شأنا.

كما أنه تعالى ينكر عليهم أنهم لم يعتبروا بما علموا من قصص المكذبين من قبلهم التى تدل على قدرته تعالى أن يفعل بهم مثل ما فعل بالمكذبين من قبلهم، كأن يخسف بهم الأرض على نحو ما فعل بقارون أو أن يسقط عليهم قطعا من السماء تهلكهم كما فعل مع أصحاب الأيكة.

ثم إنه تعالى يبين أنهم لا يعقلون الآيات الدالة على قدرته على بعث الأجساد وإعادة الحياة إليها للحساب، بذكره أن فيما يحيط بالكافرين من خلق السماء والأرض، وما علموا من إهلاكه تعالى المكذبين من قبلهم آيات تدعو كل من يرجع إلى العقل - سبيلا يهدى إلى الحق - إلى الإيمان بالبعث، فيكون المعنى أنهم ليسوا كذلك .

۞ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَـٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَـٰبِغَـٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَـٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾

أولا : الأسماء :

١ - السابغات : فى قوله تعالى «أن اعمل سابغات» هى الدروع تسبغ على الأجساد لتقيها إصابة السلاح .

٢ - السرد : هو النسج، والمراد به - فى معنى الآية - هو نسج الدروع يكون بوصل حلقاتها بعضها بالبعض .

ثانيا : التفسير:

لما بين تعالى أن الكافرين قد أنكروا البعث لما رأوه مخالفا ما جرت به العداة، فإنه تعالى

بين لهم أنه قد كان منه تعالى ما هو عجيب مخالف ما جرت به العادة مما أجراه على أيدى رسله الكرام.

فذكر تعالى ما كان منه تعالى مع داود عليه السلام الذى كان عبدا منيبا فتفضل تعالى عليه بنعيمه و إحسانه، ثم خص تعالى من هذه النعم بالذكر أنه جعل الجبال تردد معه عليه السلام تسبيحه الله كلما سبحه، تفعل هذا بصوت مسموع معلوم، وقيل إن الجبال كانت تدفعه عليه السلام إلى تسبيح الله إذا ما نظر إليها وتأمل فى خلقها.

كما ذكر أنه سخر له الطير تسبح معه عليه السلام، وأنه ألان له الحديد يكون بين يديه مثل الشمع لينا يشكله على نحو ما يشاء بغير حاجة إلى نار مما لا يكون لأحد من البشر.

ثم بين تعالى علة إلانته الحديد لداود عليه السلام وجعله بين يديه لينا، بذكره أنه أمر داود أن يصنع منه الدروع التى تحمى المحاربين فى الحروب، وأن يعمل بفكره ويديه فى جعلها حلقات يتصل بعضها ببعض فى نسيج تتشكل به هيئتها.

ثم أتبع تعالى هذا ببيان أنه أمر داود وقومه بنى إسرائيل الذين استفادوا مما أنعم به تعالى على داود عليه السلام بتليين الحديد له ليصنع منه الدروع بأن تكون أعمالهم صالحة، وأنه أعلمهم أنه مجازيهم بأعمالهم.

فيكون المعنى أن عملهم الصالحات من قبيل شكر النعمة.

وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ ۖ وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ ۖ وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١٢﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ في الآية ـ ما تفضل به على سليمان عليه السلام مما يعد من المعجزات المخالفة لما جرت عليه العادة. فيخبر تعالى عن تسخيره الريح له كان يركبها على بساطه فتقطع به في الغدو إلى الزوال مسافة مسيرة شهر، وتقطع به في الرواح من بعد الزوال إلى الغروب مسافة مسيرة شهر، كما يخبر تعالى عن إسالته له عين القطر، بمعنى أنه تعالى أوجد عينا في الأرض على نحو العيون التي يخرج منها الماء، يخرج منها النحاس سائلا، أو مذابا، قيل إنه تعالى أجراها له ثلاثة أيام، وقيل كان تعالى يجريها له ثلاثة أيام في الشهر، كان النحاس يخرج منها سائلا مذابا باردا فيصنع منه ما يصنع من النحاس. كذلك فإنه تعالى يخبر عن تسخيره لسليمان من جنس الجن من سخر له ليعمل بين يديه ما يريد عمله من الأعمال التي أذن له ربه بعملها، وأنه تعالى كان يعاقب من يعدل من الجن عن طاعة سليمان عليه السلام التي أمره بها الله بعذاب دنيوي قيل إنه كان ضربه بسوط من نار في يد سليمان عليه السلام، وقيل إنه عقاب الآخرة يكون نار السعير.

يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ ۚ ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ ﴿١٣﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ المحاريب: المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو القصور.

٢ ـ التماثيل: المراد بها ـ في معنى الآية ـ صور حيوانات توضع في القصور من قبيل الزينة. وقيل إنها كانت للملائكة والأنبياء والصالحين، توضع في المعابد ليتخذهم الناس

قدوة لهم فيتمثلونهم فى عبادة الله تعالى .

٣ ـ **الجفان** : جمع، مفرده الجفنة، وهى «القصعة» أو الوعاء الذى يوضع فيه الطعام .

٤ ـ **الجواب** : جمع، مفرده «الجابية» وهى الحوض، فيكون معنى «الجواب» هو الحياض .

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن الجن الذين أمرهم الله تعالى بإطاعة سليمان فيما يأمرهم به والذين كانوا يعملون بين يديه، كانوا يقيمون له ما يشاء من القصور والمعابد، وأنهم كانوا يصنعون له التماثيل التى تزين بها القصور ـ ولم يكن ذلك محرما فى الشريعة وقتذاك ـ وأوعية الطعام العظيمة الحجم التى تشبه الحياض فى سعتها، والقدور الضخمة التى يطهى فيها الطعام، كانت من فرط ضخامتها ثابتات على الأثافى ـ وهى قواعدها ـ لا تتحرك ولا تنزل عنها.

وربما جاء ذكر الجفان قبل ذكر القدور لأن من يدخل على الملك قصره يكرم بإطعامه فيكون منه النظر إلى وعاء الطعام دون الاهتمام بملاحظة القدر الذى أنضج فيه وطهى.

ثم بين تعالى أن النعمة تستوجب من العباد الشكر عليها بذكره أنه أمر آل داود عليه السلام ومنهم سليمان وأهله بشكره تعالى والعمل بالنعمة خيرا يكون شكرا عليها. كما بين أن الذين يشكرونه تعالى على ما أنعم به عليهم من عباده قليلون. يكون هذا فى كل زمان وكل مكان.

فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ دابة الأرض : هى «الأرضة»، وتسمى «سرفة» بضم السين وإسكان الراء، وهى دويبة من جنس الحشرات تأكل الخشب.

٢ ـ المنسأة : فى قوله تعالى تعالى «تأكل منسأته» هى العصا، من «نسأ ـ ينسأ» بمعنى طرد، لأنه يطرد بالعصا ويزجر.

ثانيا : التفسـير :

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو أن الجن بقيت مسخرة فى خدمة سليمان تصنع له ما أمرها أن تصنعه له إلى ما بعد نفاذ ما قضى به تعالى عليه من الأزل أن يموت حين يأتى أجله، ويبين من قوله تعالى «ما دلهم على موته إلا دابة الأرض تأكل منسأته» .

عدة أمور، منها أنه عليه السلام كان يراقب الجن يباشرون أعمالهم له واقفا متكئا على عصاه، وأن الجن كانت من خشيته أو خشية عقابه مستمرة فى عمل ما أمرها أن تعمله بأمر ربه، وأنها لم تعرف خبر موته عليه السلام إلا حين رأته يسقط هاويا على الأرض بعد أن أكلت الأرضة العصا التى كان يتكىء عليها، فكان سقوطه على الأرض بعد زمان طويل من موته ـ قيل إنه عام ـ هو مبدأ علمها بموته عليه السلام، وأنه عليه السلام لم تتغير هيئته بالموت بل ظل على هيئته التى كان عليها فى حياته.

ثم بين تعالى أن الجن ـ وقد يكون المراد بهم العاملون ـ علموا حين تبين لهم أن سليمان عليه السلام قد مات منذ فترة طويلة أن كبراءهم كاذبون فى ادعائهم أنهم يعلمون الغيب بدلالة أنهم لم يعلموا الواقع وهو موت سليمان، وأنهم وكبراءهم لو كانوا يعلمون الغيب لما استمروا فى العمل الشاق الذى كلفهم به سليمان عليه السلام من بعد موته، والذى هو إذلال لهم ولكبريائهم .

■■■■■

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ
وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

سبأ : المراد بها ــ فى معنى الآية ــ هو القبيلة أو الحى، واسم القبيلة أو الحي مستمد من اسم الجد القديم لها وهو سبأ بن يشجب بن يعرب بن قطحان، وقد سبق ذكره وبيان أبنائه والقبائل المتفرعة عنهم .

ثانيا : التفسير:

بعد ذكره تعالى أخبار المنعم عليهم الشاكرين لله على أنعمه ومنهم داود وسليمان عليهما السلام فإنه تعالى ذكر فى الآية حال قوم من الذين أنعم عليهم فكفروا بأنعمه. لعله يكون فى ذكرهم وما آل إليه حالهم موعظة لقريش.

فيذكر تعالى أنه كان لقبيلة سبأ فى المكان الذى اتخذوه لسكناهم، أو فى بلدتهم آية من الآيات التى تدل على قدرة الله الخالق المنعم ، تمثلت فى جنتين، كانت إحداهما على يمين بلدتهم والأخرى على شمالها، وقد تكونت كل منهما من مجموعة من الحدائق والبساتين شأن الجنان .

فكأنه قيل لهم من قبل ربهم بالمعاينة، أو إنه قيل لهم من نبى لهم أن يتمتعوا بما أنعم عليهم ربهم من النعم التى هى من رزقه وأن يشكروا له ما أنعم به عليهم «كلوا من رزق ربكم واشكروا له» وأنه حثا لهم على الاستجابة له وصف البلد بأنه بلد طيب، ووصف الله بأنه ربهم ليبين لهم اعتناءه بهم ورعايته إياهم، وبأنه غفور بمعنى أنه يغفر لهم عدم شكرهم من قبل أنعمه إذا ما تابوا وشكروا.

■■■■

﴿فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ العرم : هو الصعب، وهو الشديد، وإضافة «السيل» إليه هى من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة. وقيل هو المطر الشديد.

وقيل هو اسم الحيوان القارض المعروف باسم «الخلد» الذى أحدث النقب فى السد فاجتاحهم السيل.

وقيل إن اللفظ هو جمع «عرمة» فى لغة الحجاز، وهى كل ما بنى ليمسك الماء.

٢ ـ الخمط : فى قوله تعالى «ذواتى أكل خمط» هو الحامض، وهو المر. وقيل هو الأراك.

٣ ـ الأثل : هو أحد أنواع النباتات «الطرفاء» التى تكون أوراقها حادة الطرف ذات شوكة، لاينبت البرى منها ثمارا وينبت ما يزرع منه فى البساتين ثمارا لاتؤكل .

٤ ـ السدر : هو شجر النبق .

ثانيا : التفسير:

يقول تعالى ـ فى الآية ـ إن أهل سبأ قد أعرضوا عن شكر الله على أنعمه أو عما طلب منهم بواسطة نبى لهم من شكره تعالى، فيكون المعنى أنهم كفروا نعمة الله عليهم، أو إنهم كفروا به تعالى شأنه.

ثم يذكر تعالى أنه كان منه أن أزال عنهم نعمته عليهم بأن أرسل عليهم السيل الشديد الذى اجتاح جنتيهم فأزالهما، فأحل تعالى محلهما بستانين كان ثمرهما مما لا يؤكل فهو حامض مر لاذع، وهو نوع مما تنبت أشجار «الطرفاء» لا يؤكل ، وشىء قليل من النبق يكون فيه

تذكيرا لهم بما كانوا فيه من النعيم من قبل الذى أذهبه عنهم كفرانهم النعمة وعدم أداء حقها من الشكر.

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴿١٧﴾﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى فعله بأهل سبأ من تبديل بجنتيهم أخريين لانفع فيهما، بين تعالى أن فعله هذا كان مجازاة بالكفور.

ثم جاء قوله تعالى «وهل نجازى إلا الكفور» استفهاما أريد به إنكار أنه تعالى يجازى بمثل هذا النوع من العقاب إلا الكافرين الذين لا يكفر الله عنهم سيئاتهم، فيخرج عنهم عصاة المؤمنين، وقيل إن ورود الفعل «نجازى» يفيد أن الجزاء كان بعد الحساب، وأن من حوسب فقد هلك، وأن المؤمن يجزى ولا يجازى.

فيكون المعنى أن ما فعل الله بهم كان ترتيبا على محاسبتهم بكفرهم وبكفرانهم النعمة.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ ٱلْقُرَى
ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَٰهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ ۖ سِيرُوا۟ فِيهَا لَيَالِىَ
وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا۟ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ
فَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **القرى التى باركنا فيها:** هى القرى الموجودة فى الشام والأردن وفلسطين، بورك فيها بالشجر والثمر والماء.

٢ ـ **القرى الظاهرة :** هى القرى الصغيرة الواقعة على الطريق من اليمن إلى الشام، كانت متقاربة بعضها من بعض، أو كانت ظاهرة لوقوعها على مرتفعات من الأرض تظهر معها للسائرين .

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ الأولى بعضا من النعم التى أنعم بها على سبأ قبل مجازاتهم بكفرانهم النعمة.

ثم يذكر تعالى ـ فى الآية الثانية ـ مظهرا من مظاهر بطرهم وكفرانهم النعمة وبعضا مما كان منه تعالى معهم .

فالمستفاد من قوله تعالى فى الآية الأولى ـ بغير النص الصريح ـ أنه كانت لهم تجارة واسعة مع دول الشام التى بارك تعالى فيها، وأن هذه التجارة استوجبت منهم السفر من بلدتهم إلى الشام.

والمذكور بصريح العبارة هو أنه تعالى قد خفف عليهم معاناة مشاق السفر بأن أوجد فى الطريق من بلدهم إلى الشام قرى صغيرة متقاربة ظاهرة، يستريحون فيها ويقضون حاجاتهم ويستوفون زادهم، يكون السير من إحداها إلى أخرى فى وقت قصير مقدر أنه فى مقدور المسافر، فلم يكن ليصيبهم تعب من سفرهم ولا نصب.

فيكون الحال قولا منه تعالى ـ على المقدر ـ بأن يسيروا فى سفرهم ، فى الليل أو فى النهار آمنين أن يصيبهم تعب أو جوع أو ظمأ.

ثم يذكر تعالى ـ فى الآية الثانية ـ ما كان منهم من البطرحين سئموا الراحة وتمنوا المشقة، طلبوا من الله تعالى أن يباعد بين أسفارهم، فكأنهم سئموا أن تكون بين القرية

والأخرى على الطريق مسافة قصيرة لا يشعرون معها بأخطار التعب والجوع والعطش تهددهم، فطلبوا بعد المسافات بين إحداها والأخرى ليشعروا بما يشعر به المسافرون من التعب والجوع والظمأ.

ويدعم هذا المعنى قوله تعالى «وظلموا أنفسهم» لأنهم بطلبهم هذا ظلموا أنفسهم بطلب تعريضها لما يشق عليها بدلا من أمنها وسلامتها.

وقيل فى المعنى قول آخر وهو أن البطر تمثل فى عدم رضائهم عما فعله تعالى من التقريب بين القرى الواقعة على الطريق على النحو الذى جعلها تعالى عليه، وأنهم طلبوا أن يكون التقريب بينها أكثر من هذا.

ثم يذكر تعالى ما جازاهم به على بطرهم هذا فى عبارة موجزة «فجعلناهم أحاديث ومزقناهم كل ممزق»، والمعنى أنه تعالى بما فعله فيهم جعلهم موضوعا للحديث بين الناس للتمثيل بحال الكافرين بالنعم المتبطرين بها وعليها. ثم يفصح عن فعله معهم ببيان أنهم قد تفرقوا وتشتتوا فى البلدان.

والمعنى أنه قد ضاق عليهم عيشهم فى بلدتهم وصعب عليهم مباشرة تجارتهم مع دول الشام بعد أن شق عليهم السفر، فاضطرت كل جماعة منهم إلى الانتقال إلى بلدة من البلدان.

كما حدث عندما لحقت الأنصار بيثرب. وغسان بالشام، والأسد بعمان، وخزاعة بتهامة، فضربت العرب بتمزقهم هذا المثل بقولهم «تفرقوا أيدى سبأ».

وجاء قوله تعالى «إن فى ذلك لآيات لكل صبار شكور» .

لبيان أن فى قصة سبأ آية يفيد منها كل مداوم على الصبر على الطاعة، دائم الشكر لله تعالى على أنعمه، فهو الذى يستفيد من معرفتها ومن تذكرها دون غيره من الملولين الكافرين أنعم الله عليهم.

■■■■

وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا
فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِم مِّن سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ
مَن يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ مِمَّنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴿٢١﴾

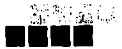
التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآية الأولى - أن إبليس قد وجد ظنه فى بنى آدم أنهم يصغون إليه ويعصون الله محققا فى أهل سبأ، ويقبل القول أن يكون ظنه قد تحقق فى بنى آدم على العموم. وتفصيل ذلك هو ما جاء بقوله تعالى «فاتبعوه إلا فريقا من المؤمنين» والمعنى أن أهل سبأ أو بنى آدم قد استجابوا لوسوسة إبليس لهم بالعصيان، لم يمتنع عليه غير فريق منهم هم المؤمنون.

ثم بين تعالى - فى الآية الثانية - أن الأصل أنه ليس لإبليس سلطان يقسر به أهل سبأ أو يقسر أبناء آدم على طاعته والاستجابة لوسوسته، وأنه تعالى قد أذن أن تكون منه هذه الوسوسة ليميز بين المؤمن بالآخرة عن يقين فيخشى الله فلا يعصاه، وبين الضعيف الإيمان الذى يتناسى الآخرة فكأنه منها فى شك فيأتى المعصية تكون بإطاعته إبليس.

وجاء التعبير عن هذا بقوله تعالى «لنعلم من يؤمن بالآخرة ممن هو منها فى شك» وليس المراد أنه أذن بهذا لكى يعلم، فسبحانه وتعالى ثبت فى علمه الأزلى كل شىء، وإنما المراد هو لكى يستبين للناس الأمر فيكون العلم بهذا وبذاك، أو ليكون ما يشهد بالحال وتكون به إقامة الحجة على من يستجيب للشيطان ويعصى الله.

وقوله تعالى «وربك على كل شىء حفيظ» مفاده أنه تعالى يحفظ على العبد كل ما يصدر عنه من طاعة أو عصيان، وأنه يجازيه عليه.



﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الشـرك : فى قوله تعالى «وما لهم فيها من شرك» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الشركة أو المشاركة فى الأمر أو فى الشىء، تكون فى ملكيته أو فى التصرف فيه.

ثانيا : التفسـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ لرسول الله ﷺ، يأمره ربه أن يطلب من مشركى مكة الذين ذكر لهم قصة سبأ والكافرين بأنعم الله تعالى أن يدعوا الذين زعموا أنهم آلهة من دون الله ليدفعوا عنهم الضر ـ قيل إنه القحط الذى أصاب مكة وقتذاك ـ أو ليجلبوا لهم الخير. فيكون الطلب للتوبيخ والتعجيز لأن عاقبته معلومة وهى عدم قدرة معبودات المشركين على دفع الضر عنهم أو جلب النفع لهم .

ثم إنه تعالى بين أن مآل الطلب معلوم سلفا بذكره تعالى واقع الأمر من قبل تحقق نتيجة الطلب، وهو أن الذين يدعونهم آلهة لا يملكون مما هو فى السماوات والأرض شيئا على الإطلاق، جاء بيان هذا ببيان أنهم لا يملكون ما يزن وزن الذرة من المادة أو حجمها.

كما ذكر تعالى أنهم لا يشاركونه ملكية شىء مما خلق فى السماوات أو فى الأرض، وأنه ليس له منهم معين ولا مساعد.

والمعنى أنهم لا يملكون، وأنهم لا يفيدون، أى أنهم فى حكم ما هو معدوم الوجود، لا تكون منهم فائدة، ولا يخشى منهم ضر.

■■■■

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعـالى أن معبودات المشركيـن لا يملكون من الأمر شيئـا، وأنهم لا ينفعون ولا يضرون بذواتهم شيئا، فـإنه تعالى انتقل فى الآية إلى إثبات شـىء آخر هو أنهم لا يملكون أن يشفعوا لديه تعالـى فى أحد، فيكون فى هذا رد على قول القائليـن إنهم شفعاؤهم عند الله أو إنهم يقربونهـم عند الله زلفى. جاء ذلك مستفادا مـن قوله تعالى «ولا تنفع الشفـاعة عنده إلا لمن إذن له» فبين أنه لا يؤذن لمعبودات المشركين أن يشفعوا لأحد عند الله إذ الإذن بالشفاعة لا يكون إلا للملائكـة والأنبياء والمستأهلين مقام الشفـاعة من الصالحين. وليـس من هؤلاء معبودات المشركين . ثم إن المشركين مطرودون مـن رحمة الله فلا تجوز فيهم شفاعة ولا يؤذن لشافع أن يشفع فيهم.

فيكون القول مفيدا معنى أنــه وإن كانت الشفاعة حقا إلا أنه لا يفيد منهـا المشركون لعدم استحقاقهم إياها ولافتقاد آلهتهم الصفات المتطلبة فى الشافع.

أما باقى القول فيتعلـق بشفاعة الشافعين فيمن تجوز لهم الشفاعـة، فبعد أن بين تعالى أن الشفاعة لا تكون إلا من بعد إذنه تعالى.

جاء القـول ليبين أن كلا من الشـافع والمشفوع فيه يكـون حال انتظار الإذن من الله تعـالى بالشفاعة فى فزع وخوف من ألا يأذن تعالى بالشفـاعة. فإذا ما أعلن تعالى الشافعين الطالبين الإذن بالشفاعة بإذنه بها أذهب بالفزع والخوف عن القلوب، فيسألهم المشفوع فيهم عما قال لهم ربهم ردا علـى طلبهم الإذن بالشفاعـة فيجيبهم الشافعون بقـولهم «قال الحق» وهـو أنه تكون الشفـاعة لمن أذن لـه، ثم يضيفون إلـى هذا قـولهم «وهو العلـى الكبير» اعترافـا منهم

بعظمة جناب العزة جل جلاله ودنو كل شيء عن بلوغ مقامه، وتقديرا لكون علو شأنه هو الذى كان سببا للإذن لهم بالشفاعة لمن هم فى حاجة إليها.

۞ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۖ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن يسأل المشركين - تبكيتا لهم وإجبارا على الإقرار بعجز آلهتهم عن فعل ما يفيد أو يضر - يسألهم عن الذى يرزقهم بما يفيض عليهم من السماء من ماء وما تخرج لهم الأرض من خيراتها. ثم إنه ﷺ لا ينتظر منهم إجابة لأنها معلومة، فيقول إنه الله تعالى الذى لم يجحد وجوده إلا المشركين.

ثم يكون منه ﷺ أنه يبين لهم أن أحد الفريقين - والمراد بهما المؤمنون والمشركون - لابد أن يكون على الحق الذى اهتدى إليه وأن يكون الآخر على ضلال من الأمر.

والمفهوم من الإجابة هو أن المؤمنين هم الذين على الهدى لتوحيدهم الله، وأن المشركين هم الذين فى ضلال مبين .

قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٢٦﴾ قُلْ أَرُونِىَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ ۖ كَلَّا ۚ بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾

التفسير:

بعد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمشركين إنهم والمؤمنين فريقان مختلفان عقيدة ومصيرا، وإن أحد الفريقين على هدى والآخر فى ضلال مبين، فإنه تعالى أمره فى الآيات الثلاث ثلاثة أقوال جاء الأول والثانى منهما تقريرا لواقع قصد الإعلام به، وجاء الثالث فى صورة طلب لإثبات المطلوب الإقرار به.

فالقول الأول مفاده إثبات أن رسول الله ﷺ أنه لا يضره شركهم وأنهم يسألون به، جاء ببيان أن المشركين لا يسألون عما أجرم المؤمنون، وقد يكون المراد من وصف أخطاء المؤمنين بأنها إجرام إبراز أن هفوات المؤمنين تكون بالنسبة لهم بمثابة الأخطاء الجسيمة، وقد يكون المراد بها ما ارتكبوا من الذنوب قبل إيمانهم بدلالة ورود الفعل «أجرمنا» فى صيغة الماضى، كما قد يكون وصف كفر المشركين وشركهم بأنه محض عمل مع ورود الفعل «تعملون» فى صيغة المضارع لبيان أن الإشراك بالله وهو كبيرة الكبائر يبدو لدى المشركين هينا لإمعانهم فى الضلال، وبيان استمرازهم عليه فى الحاضر كما كانوا عليه فى الماضى.

والقول الثانى مفاده أن الله تعالى يجمع بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة عند الحشر والحساب ثم يقضى بينهما بالثواب والعقاب يبين منه أن المؤمنين كانوا على الطريق المستقيم، وأن المشركين كانوا فى الضلال المبين.

وأنه تعالى يفتح بقضائه ما انغلق من القضايا على فهم البعض فيكون قضاؤه فتحا يبين به صحيح الأمور، لكون قضائه قضاء بما علم، وقد وسع تعالى كل شىء علما .

والقول الثالث مضمونه طلب إظهار صفة معبودات المشركين التى سوغت لهم إلحاقهم بالله تعالى من حيث استحقاق العبادة، ولما كان مقدرا عجز المشركين عن إبراز هذه الصفة، فإن القول يكون تبكيتا لهم على اتخاذهم آلهة تعبد من دون الله تعالى وإظهارا لبطلان عقيدة الشرك؛ ولذلك يجىء قول رسول الله ﷺ «كلا» ردعا لهم عن أن يزعموا أن معبوداتهم آلهة أو أن لها صفات الآلهة، واتباعه هذا بقوله «بل هو الله العزيز الحكيم» يكون ذكرا للمراد الإقرار

به، وهـو أنه ليس من إلـه غير الله تعالـى الغالب القـاهر، الذى له الحكمـة فى تقديـر الأمور، المستحق وحده أن يعبد من الخلق أجمعين .

وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ
إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾

التفسـير:

الخطاب ـ فـى الآية ـ إلى رسـول الله ﷺ. جاء من بعد أن أمـره تعالى أن يقول لمشـركى العرب ما أمره ربه أن يقـول لهم، ويبدو أنه قد أريد من القول إبعاد شبهة أنـه تعالى قد أرسل لقومه فقط فجاء القول إثباتا لعمومية رسالته ﷺ، فجاءت «كافة» فى قوله تعالى «وما أرسلناك إلا كافة للناس» حالا من الناس قدمت عليها لبيان أهميتها.

فيكون المعنى «وما أرسلنـاك إلا للناس كافة» فيكون المعنى أنه بعـث لجميع بنى آدم مع اختلاف ألوانهم وأماكنهم وأزمنتهم.

وحال المفعـول فى «أرسلناك» أنـه بشير ونذيـر، بمعنى أنـه يبشر من آمـن لدعوتـه وأسلم بالثواب والجنة، وينذر من لم يؤمن له ولم يسلم بالعقاب على كفره .

ثم يثبـت تعالى غفلـة أغلب الناس عـن الحق وجهلهـم به بما يـدفعهم إلى البقـاء على الكفر بإثباته أن أكثر الناس لا يعلمون. بمعنى أنهم لا يعلمون الحق ولا يتبعونه.

وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوۡمٖ
لَّا تَسۡتَـٔۡخِرُونَ عَنۡهُ سَاعَةٗ وَلَا تَسۡتَقۡدِمُونَ ﴿٣٠﴾

التفسـير:

بعد أن ذكـر تعالى أن أغلب النـاس لا يعلمون الحق ولا يتبعونـه وأنهم يبقون على كفـرهم لا يردعهـم عنه ما أنذروا بـه من العذاب عليه، فـإنه تعالى ذكـر أنه يكون منهم الاستهـزاء بما أنذروا به يفصح عنه استعجالهـم حلوله بهم قصد إثبات كذب المؤمنين الذيـن توعدوهم به وإثبات كذب رسول الله ﷺ فيما أنذرهم به.

ثم إنـه تعالـى يأمر رسـوله ﷺ أن يقـول لهم «لكـم ميعاد يوم» والمعنـى هو حتميـة وقوع العذاب الـذى توعـدوا به بهم، يكـون فى يـوم معلوم لـديه تعالـى وأن يعلمهم أن هـذا اليوم يفجأهم، فإذا ما جاء عجزوا عن أن يستأخروا عنه سـاعة عجزهم عن استقدامهم عليه ساعة. والمراد بهذا إثبات أنه يفجأهم وهم فى غيهم سادرون.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَلَا بِٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ
مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ ٱلْقَوْلَ يَقُولُ ٱلَّذِينَ
ٱسْتُضْعِفُواْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ لَوْلَآ أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾

أولا: الأسـماء:

الذين كفروا: قد يكون المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم كفار العرب الـذين أعلنوا كفرهم بالقرآن العظيم وكفـرهم بالكتب السماوية التـى أنزلت من قبل لتبشيرهـا برسول الله ﷺ ينزل عليه القرآن من ربه.

وقد يكـون المراد بهم اليهـود الذى أعلنـوا عدم إيمانهـم بالقرآن العظيـم وعدم إيمـانهم بالإنجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام.

ثانيا : التفسير:

بعد أن بين تعالى أن أكثر الناس لا يؤمنون لإصرارهم على الجهل بالحق، فإنه تعالى بين أن من هؤلاء كفار مكة الذين أعلنوا إصرارهم على الكفر بقولهم إنهم لن يؤمنوا بالقرآن العظيم الذى أنذرهم به رسول الله ﷺ، ثم ساءهم أن علموا من أهل الكتاب عندما سألوهم عما إذا كانوا يجدون شيئا فى كتبهم عن رسول الله ﷺ وعن كتابه فأجابوهم بالإيجاب، فكان منهم إعلانهم أنهم لن يؤمنوا بما جاء بهذه الكتب ـ وهى التوراة والإنجيل ـ لتضمنها التبشير برسول الله ﷺ وبالقرآن العظيم.

فيكون المراد بـ «الذى بين يديه» هو التوراة والإنجيل. وقيل هو الإنجيل لدى من قال إن المراد بـ «الذين كفروا» هم اليهود.

ثم إنه تعالى خاطب رسوله، والقول لكل عاقل يقف على معناه مبينا له أنه لو قدر له أن يرى ما يكون عليه حال هؤلاء الكافرين فى الآخرة لرأى فيهم الأمر المهول، وصفهم تعالى بأنهم الظالمون لأنهم قارفوا الظلم فى حق الله تعالى وفى كتابه ورسوله وفى حق أنفسهم بتعريضها للعذاب، وذكر أنهم يكونون موقوفين عند ربهم للحساب وقد علموا أنهم معذبون، فيكون بين بعضهم والبعض التحاور ومراجعة البعض قول آخرين، فيكون من التابعين المستضعفين فى الدنيا قولهم للذين علوا فوقهم فأضلوهم بإتباعهم فى الكفر «لولا أنتم لكنا مؤمنين» .

والمعنى أنه لولا إضلالهم إياهم لكان منهم الإيمان لرسول الله ﷺ، والنجاة بهذا الإيمان من العذاب الذى ينتظرهم. فيكون معنى القول أنهم يحملون كبراءهم وزر ما قرفوا من الكفر وعدم الإيمان .

قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوٓا۟ أَنَحْنُ صَدَدْنَٰكُمْ عَنِ ٱلْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَآءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى صورة من صور تخاصم أهل النار يوم القيامة، فيذكر تعالى أنه بعد أن يحاول المستضعفون إلقاء عبء كفرهم على عاتق سادتهم وكبرائهم بقولهم لهم «لولا أنتم لكنا مؤمنين»، يذكر تعالى رد كبراء الكافرين على ضعفائهم، ورد الفعل «قال» فى صيغة الماضى لبيان صدور القول منهم على وجه الحتم والإلزام وإن كان موعد صدوره هو يوم القيامة. ورد المستكبرين جاء فى صيغة استفهام أريد به إنكار ما يدعيه المستضعفون من أن المستكبرين هم الذين صدوهم عن الإيمان للهدى وهو دعوة رسول الله ﷺ لهم بالإيمان، وإثبات أنهم هم الذين ضلوا عن الحق بإرادتهم؛ ولذلك وصفوهم بأنهم كانوا بكفرهم برسول الله ﷺ وبالقرآن الذى أنذرهم به مجرمين، لبيان أنهم فاعلو الجرم بإرادتهم وأنهم لم يقسروهم عليه.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٣﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما يفيد أن المستضعفين أرادوا أن يظهروا بطلان قول المستكبرين إنهم لم يدفعوهم إلى الكفر وإنهم كفروا بمحض إرادتهم، وهذا هو ما يبين من قولهم لهم «بل مكر الليل والنهار إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا». فهم يقولون لهم «بل صدنا عن الإيمان مكركم بنا ليلا ونهارا» فيكون القول مشيرا إلى ترغيب المستكبرين إياهم فى

الكفر بتزيينه لهـم أو بأمرهم إياهم به فـي الليل والنهار، ثم إنهم بينوا هـذا المكر الذى مكروه بهم ببيان أنهـم كانوا يأمرونهـم بالكفر بالله تعالـى بكفرهم بما أرسل بـه رسول الله ﷺ، وأنهم كانوا يأمرونهم بعبادة غير الله تعالى يجعلونهم أندادا لله تعالى فى استحقاق العبادة .

ثم إنه تعالـى يذكر أن كلا من المستكبريـن والمستضعفين يسر فى نفسه الندامـة على ما كان منه فى الدنيا ولا يفصح به للآخر لدى رؤيـة ما أعد له من العذاب، فالمستكبرون يندمون على مـا كان منهم من إضـلال المستضعفين، والمستضعفون ينـدمون على أنهم ضلـوا عن الحق لما جـاءهم. ويستر كل منهم النـدامة فى نفسه ولا يبـديها للآخر لأن كلا مـن الفريقين يتنصل أمام الآخر من ذنبه فلا يفصح عما يجول فـى نفسه من اعتراف بالذنب تمكسا منه بما قال دفعا للتهمة عن نفسه.

ثم يذكر تعالى أنه يأمر بوضع القيود فى أعناق المستكبرين والمستضعفين، وصفهم تعالى بأنهم الـذين كفروا لتوافر صفـة الكفر فى الفريقين، ثـم يثبت تعالى أن ما يلقـون من العذاب ليس غير العـذاب الذى يستحقونه جـزاء على ما عملوا يدخـل فيه الكفر ويدخـل فيه الفعل بالمعاصى.

وَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾

التفسـير:

قد يكـون قوله تعالـى ـ فى الآيـة ـ لبيان دور المستكبـرين فى إضلال المستضعفيـن وقد يكون لإبعاد الغم عن رسول الله ﷺ لرؤيته العداوة من كبـراء قومه وأشرافهم، بإعلامه أنه كان هذا دأب المترفين فى كل قرية أرسل الله تعالى فيها رسولا.

فمعنى القـول أنه تعـالى لـم يرسـل فى قريـة من القـرى رسولا ينـذر بأمـره تعالـى من لا

يستجيب إلى دعوته إلى الإيمان بالله وتوحيده، إلا كان مـن مترفى هذه القرية الذين وسع لهم تعالى فى الرزق إعـلان هذا الرسول بكفرهم ليتبعهم فى هـذا المستضعفون ـ فيكون المعلوم أن فعل كبراء مكـة الذين أعلنوا رسول الله ﷺ بكفرهـم وجاهروه بعداوتهم لم يخـرج عن هذا المألوف من أمثالهم.

وَقَالُوا نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

التفســــــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية الأولى ـ هو فى بيـان علة كون الذين وسع الله تعالـى لهم فى الرزق أول الكافريـن برسل الله، يدخل فـى هؤلاء مترفو الأمم السابقـة الذين ذكرهم النـص فى الآية السابقـة كما يبين من السيـاق ومن رجوع الضميـر المتصل فى «وقـالوا» إليهم ويدخـل فيهم مترفو كفار مكـة على ما يبين من أمره تعالى رسـوله أن يقول لهم ما أمره ربه أن يقـوله لهم مما ورد ذكره فى الآية الثانية .

وعلة كفرهم بما يرسل به المرسلون هو توسعة الله عليهم فى الرزق، وكثرة أولادهم وأتباعهم بما يعنى أن إنعام الله عليهم بالمال والأولاد وهما أسباب القوة هو سبب كفرهم والمجاهرة به اغترارا بقوتهـم بدلا من شكر الله على نعمه. يعبـر عن هذا قولهم «نحن أكثـر أموالا وأولادا وما نحن بمعذبيـن» فهم يرون فى التوسعة عليهـم فى الرزق وفى الإنعام عليهم بـالأولاد وكثرتهم دليلا على كرامتهم على الله تعالى بما يتنافى معه أنه يعذبهم.

ثم إنه لما كان هذا القول هو قول مترفى كفـار مكة كما كان قول مترفى الأمم التى سبقتهم فإنه تعـالى أمر رسولـه ﷺ أن يبين لهم خطأ النتيجـة التى توصلوا إليهـا من أن إنعامه تعـالى عليهم بالنعم يفيد عدم تعذيبه إياهم، يكون ذلك منه ﷺ بأن يذكر لهم أنه تعالى يبسط الرزق

لمن شاء أن يبسط له فيه، وأنه يقدره على من شاء أن يقدره عليه دونما اعتداد بكون الشخص مؤمنا أو كافرا ، ولو كان الأمر على خلاف هذا لكان كل المنعم عليهم والموسع لهم في الرزق من المؤمنين ولكان كل من قدر عليهم رزقهم من الكافرين.

ذلك أن حكمته تعالى قد تستدعى التوسعة فى الرزق للكافر ليزداد كفرا فيضاعف له العذاب، يكون بكفره بربه، ويكون بكفره بأنعمه، وقد يكون بقصد رجوعه إلى الحق إذ يعلم أن المنعم عليه هو الله المستحق وحده الشكر على النعمة فيكون منه الإيمان. ولما كانت حكمته تعالى التى اقتضت أن يوسع فى الرزق للبعض وأن يقدره على البعض هى من مأثورات علمه لا يعلمها أكثر الناس فقد جاء قوله تعالى «ولكن أكثر الناس لا يعلمون» ليثبت أن قائلى القول المذكور هم من الذين لا يعلمون .

﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا۟ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾

أولا : الأسماء :

الغرفات : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو غرفات الجنة .

ثانيا : التفسير:

القول ـ فى الآية ـ هو قوله تعالى، والخطاب ـ على الظاهر ـ لمترفى الكافرين الذين اعتقدوا أنهم لكثرة أموالهم وأولادهم غير معذبين، أو هو لجميع الناس.

والقول إثبات لبطلان الاعتقاد فى كون النعمة دليلا على الكرامة على الله تعالى، فالقول ينفى أن تكون كثرة المال والمباركة فى الولد دليلا على القرب من الله تعالى والكرامة عليه.

وجاء قوله تعالى «إلا من آمن وعمل صالحا» لبيان أن ما يقرب من الله تعالى هو الإيمان الصحيح والعمل به، فهو ما يكون به القرب من رضاء الله تعالى والكرامة عليه ـ وقد أشار تعالى إلى هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات وأخبر عنهم أنهم يكون لهم جزاء الضعف.

والمعني يتصور فيه أن يكون هو المعنى العام الذى يفيد أنه تعالى يجزى بالحسنة عشر أمثالها، كما يتصور فيه أن يكون هو المعنى الخاص بالذين أنعم الله عليهم من الكافرين فيكون الإنعام عليهم سببا لعلمهم باستحقاقه تعالى الشكر على نعمه فيكون منهم الإيمان بالله وشكره بما يستوجب إثابتهم على إيمانهم و إثابتهم على شكره تعالى فيكون قد ضوعف لهم الجزاء بما عملوا .

ثم إنه تعالى يثبت أنه يكون لهؤلاء دخول الجنة وسكنى غرفاتها ومنازلها العالية آمنين من أن يصيبهم نصب أو تعب أو شيء مما يكرهون.

﴿وَٱلَّذِينَ يَسۡعَوۡنَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡعَذَابِ مُحۡضَرُونَ ٣٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما ينتظر الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الخير فى الآخرة، فإنه يذكر فى الآية ـ فى المقابل الذين كفروا بآياته تعالى وزادوا على هذا سعيهم فى آياته تعالى بمحاولة إبطال صحتها والتدليل على وهنها وضعفها بجهلهم ليصدوا الناس عن الإيمان بها يحسبون أنهم ينالون منها، أشار إليهم تعالى شأنه وأخبر عنهم أنهم يحضرون فى جهنم التى يلقون فيها ليحضرهم زبانيتها فيكون لهم العذاب الأليم .

﴿قُلۡ إِنَّ رَبِّي يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ وَيَقۡدِرُ لَهُۥۚ وَمَآ أَنفَقۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَهُوَ يُخۡلِفُهُۥۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ٣٩﴾

التفسير:

القول ــ في الآية ـ قوله تعالى، وهو أمر لرسوله ﷺ أن يكرر ما سبق قوله من أنه تعالى يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدره على من يشاء من عباده.

ثم إنه لما كان المتيقن منه أنه ﷺ قد قال القول ـ من قبل ـ للكافرين فإنه يكون متصورا أن يكون القول في هذه المرة أو أن يكون تكرار قوله هو للمؤمنين وللكافرين، فيكون للقول معنيان بالنظر إلى الغاية منه بحسب الموجه إليه فيكون للكافرين مفيدا ذات المعنى وهو أنه ليس مفاد الإنعام عليهم بالتوسعة عليهم في الرزق هو رضاء الله عليهم وكرامتهم عليه كما أنه ليس مفاد إمساكه تعالى عن رزق أحدهم هو هوان أمره عليه تعالى وعدم رضائه عنه.

ويكون للمؤمنين مفيدا معنى وجوب شكر الله على نعمة التوسعة في الرزق يكون أظهر ما يكون بالإنفاق في سبيل الله.

ومعنى وجوب الرضاء بما قسم الله تعالى من الرزق لمن قدر عليه رزقه وعدم القنوط من رحمته تعالى.

يدعم هذا النظر قوله تعالى «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» إذ يشير القول إلى أن المخاطبين به هم المؤمنون، فمعنى القول هو أن ما أنفقتم من المال الذى وسع به تعالى عليكم في وجه من وجوه الخير فإنه تعالى يخلفه عليكم بأن يجازيكم به.

وإذا كان متصورا أن يكون إنفاق المال في وجه من وجوه الخير من المؤمن ومن الكافر على سواء، فإن خلفه على المنفق بالثواب في الآخرة لا يكون إلا للمؤمن دون الكافر، ويدل على أنه أريد بالرزق الذى يخلفه تعالى على المنفق رزق الآخرة وهو الجنة.

قوله تعالى «وهو خير الرازقين» لأن خير الرزق هو رزق الآخرة فوجب أن يكون خير الرازقين هو الرازق رزق الآخرة بما يعنى أن المخاطبين بقوله تعالى «وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه» هم المؤمنون .

■■■■

وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾

التفسير:

القول ـ في الآية ـ قوله تعالى، والخطاب إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، ومضمون القول متصل بقوله تعالى «ولو ترى إذ الظالمون موقوفون» فيه تفصيل لما يكون مع الكافرين، وقد يكون القول متعلقا بفئة منهم هى التى قالت إن الملائكة بنات الله وأنهم يعبدون الملائكة ـ وهم فيما قيل قوم من خزاعة كانوا يزعمون أن الجن تتراءى لهم وأنهم ملائكة فعبدوها .

فذكر تعالى أنه يحشر هؤلاء المشركين فى جملة المحشورين إليه يوم القيامة ثم يسأل الملائكة فى مواجهتهم توبيخا للمشركين عما إذا كان المشركون قد عبدوهم حقا فى دنياهم».

ثم يذكر تعالى إجابة الجن على سؤاله تعالى إياهم، يستهلون القول بتنزيهه تعالى عن أن يشرك به «قالوا سبحانك»، ثم يتبعون هذا بإقرارهم بأنه تعالى وحده هو ربهم المتولى جميع أمورهم والذى دانوا له بالعبادة والتسبيح، وبإنكارهم أنهم تولوا المشركين.

ثم يكون منهم الشهادة على المشركين بأنهم إنما كانوا يعبدون فى الدنيا إبليس وأعوانه من الجن الذين زينوا لهم الباطل فأطاعوهم، مثبتين أن أكثر المشركين آمنوا بصحة ما زينه إبليس وأعوانه لهم ثم اتبعهم الباقون، أو أن أكثرهم اعتقدوا أنهم يعبدون الملائكة حين كانوا يعبدون الجن، ثم صدقهم الآخرون .

﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أنه يقال يوم القيامة للعابدين غير الله تعالى ولمعبوديهم يدخل فى المعبودين الملائكة ويدخل فيهم الجن، إن أحدا منهم لا يملك للآخر نفعا ولا ضرا. فالمعبودون لا يملكون أن ينفعوا عابديهم بذواتهم لأسباب منها أنهم لا يملكون لهم شيئا بحكم كونهم مخلوقين وليسوا آلهة، ومنها أن الملائكة من المعبودين لم يرضوا بعبادة المشركين إياهم من دون الله ، فلا يتصور منهم إرادة إفادتهم ومنها أن الجن الذين زينوا لهم الشرك يتبرؤون منهم يوم القيامة ويلقون بعبء الشرك عليهم. ومن هذه الأسباب أن المعبودين لا يملكون للعابدين الشفاعة، فالملائكة لا تستأذن فى الشفاعة لمشرك لأنه ليس لمشرك حق فى شفاعة، والجن لا تملك أن تشفع فى أحد فلا يتصور منها أن تستأذن فى الشفاعة مطلقا. كذلك فإن العابدين ـ وهم أفقر الخلق يوم القيامة لفقدانهم رحمة الله والأمل فيها ـ لا يملكون شيئا لمعبوديهم. ثم إن الجميع عابدين ومعبودين لا يملك منهم أحد أن يضر الآخر بشىء، لأن جماع الأمر كله يوم القيامة لله تعالى.

ثم يذكر تعالى أنه يقول للكافرين الذى كذبوا بيوم الدين أو الذين لم يعملوا له فكانوا مثل المكذبين به «ذوقوا عذاب النار التى كنتم بها تكذبون» والمعنى أنه يقال لهم هذا القول زيادة فى إهانتهم وفى توبيحهم على ما فرطوا فى حق أنفسهم، وإظهارا لأن ما يلقون من عذاب هو مجرد جرعة أولى من العذاب المعد لهم كما يكون تذوق الشىء مبدأ الإحساس به قبل دخوله البطن، ويكون توبيخهم وتبكيتهم بتذكيرهم أنهم كانوا فى دنياهم يكذبون ما قيل لهم من أنهم معذبون، فيكون المعنى أنه يدخل فى زمرة من يقال لهم القول هؤلاء الذين لم ينكروا البعث والحساب، ولكنهم اعتقدوا أن إنعام الله عليهم بالمال والولد دليل على أنهم لا يعذبون، وعلى كرامتهم على الله تعالى.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ وَقَالُوا۟ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى الكافرين الذين أصروا على الكفر، والقول يفيد أنهم أصروا على الكفر دونما سند من فكر أو من نص، وأنهم لهذا قد تخبطوا فى وصف رسول الله ﷺ ووصف القرآن العظيم الذى كفروا به بما يدل على أنه لم يكن لديهم سبب يسيغ لهم أن يتشككوا فى صحة كون القرآن العظيم كتابا منزلا من الله تعالى على نبى الله تعالى الحق.

فيثبت القول أنه حينما كان القرآن يتلى فيسمعه الكافرون وآياته واضحة الدلالة على أنها من عند الله، وأن ما فيها هو مما يعجز الخلق عن الإتيان بمثله، كان الكافرون يقولون فى رسول الله ﷺ إنه ليس إلا رجل مثل سائرهم ـ أى أنهم يعلنون إنكارهم نبوته ـ وإنه لا يستهدف غير صد الناس عن عبادة الآلهة المصنوعة والموهومة التى كان آباؤهم وأسلافهم يعبدونها من قبل. كما كانوا يقولون فى آيات الله البينات إنها ليست سوى تلفيقات من رسول الله ﷺ نسبها كذبا إلى الله تعالى.

ثم يذكر تعالى أنهم كانوا يقولون فى القرآن قولا آخر، هو أنه سحر واضح، وهذا وإن كان مفاده تخبطهم فيما يقولون فى القرآن العظيم بما يثبت كذب قولهم فيه، فإنه يثبت ـ من جهة أخرى ـ بملاحظة إدراكهم ما فى القرآن من بلاغة تبعد به عن أقوال السحرة والمشعوذين، أنهم إنما كانوا يقولون غير ما يعتقدون، وهذا دليل على إصرارهم على الكفر الذى اختاروه من قبل والذى استحقوا به ما أعد لهم من العذاب.

﴿وَمَا آتَيْنَاهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا ۖ وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُوا مِعْشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

المعشار : فى قوله تعالى «وما بلغوا معشار ما آتيناهم» . هو العشر فمعشار الشىء هو عشره، وقيل هو عشر العشر، بمعنى أنه جزء من ألف جزء من الشىء .

ثانيا : التفسير:

بعد أن بين تعالى أن المكذبين برسول الله ﷺ والقرآن العظيم يتخبطون فى أقوالهم لا يثبتون على قول واحد فيه ﷺ وفيما أنزل إليه من ربه نتيجة لانعدام حجتهم ولبعدهم عن الحق، فإنه تعالى أثبت ـ فى مقام أول ـ أنهم ليسوا على شىء من العلم حصلوه فيكون لهم فيه دليل على عدم صدق رسول الله ﷺ، ثم إنه لما كانت وسيلة تحصيل العلم هى الاطلاع على ما هو مدون فى الكتب أو الاستماع إلى ذى علم والأخذ عنه، فإنه تعالى قد أثبت أنهم عدموا الوسيلتين، فهو تعالى لم ينزل إليهم قبل القرآن العظيم كتبا درسوها فلم يجدوا فيها ما يخبر عن مجيئه ﷺ بالحق من ربه، كما أنه تعالى لم يرسل إليهم قبل رسول الله ﷺ رسولا أخبرهم أنه لا يبعث الله إليهم رسولا من بعده. **فيكون المعنى** هو افتقار المكذبين برسول الله ﷺ إلى دليل مقروء أو مسموع **يؤيد تكذيبهم وكفرهم** .

ثم إنه تعالى تهدد المكذبين **بالعذاب إضمارا بغير تصريح** بذكره أنه قد سبقهم إلى تكذيب الرسل أقوام آخرون **كانوا قبلهم، ثم ذكر تعالى أن** ما آتى تعالى هؤلاء المكذبين السابقين من أسباب القوة **يفوق ما آتى المكذبين من قومه** ﷺ من أسبابها من مال وبنين وسلطان، حتى أن ما أوتى كفار قومه ﷺ **لا يبلغ معشار ما أوتى** الذين من قبلهم. فلم ينفع

الذين من قبلهـم ما أوتوا من أسباب القوة ولم يـدفع عنهم عذابه تعالى الـذى أشار إليه مبينا شدته بقوله «فكيـف كان نكير» . بمعنى «فكيف كان عقابى» وهذا على نحـو ما كان مع ثمود وعـاد وغيرهمـا من المكـذبين . فيكـون القول تهـديدا للمكـذبين مـن كفار مكـة بالعـذاب الشـديد.

وقيل إن الضمير فـى قوله تعالى «وما بلغـوا» يعود إلى المكذبين السـابقين. و إن الضمير المتصل فى «آتيناهم» يعود إلى المكذبين من كفار مكة، و إن المعنى هو أن ما أنعم به تعالى على المكـذبين السابقين لـم يبلغ معشار ما أنعـم به على المكـذبين من قومـه ﷺ ، فيكون المراد من القول هو بيان درجة إثم كفار مكة الذين لم يقابلوا نعم الله العظيمة عليهم بشكر الله عليها، و إنما قابلوهـا بالكفر بها وتكذيب رسول الله ﷺ، وذلك لبيان استحقـاقهم عقابا أشد من عقاب المكذبين من قبلهم .

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾﴾

التفسـيـر:

الآية ــ فى رأينا ، والله أعلـم ـ هـى قمة الرأى العلمـى فى بيان كيفيـة الوصـول إلى رأى صحيح أو أقرب مـا يكون إلى الصحة فى كل مـا استشكل على المرء، و إن تعلق الأمـر ـ فى موضوع الآية ـ بـدعوة رسول الله ﷺ كفار مكة إلى ترك عقيدة الشـرك واعتناق الإسلام بتوحيد الله وعبادته.

أمر تعالـى رسوله ﷺ أن يقول لقـومه «إنما أعظكم بـواحدة» بمعنى أنه ينصحهـم بسماع كلمـة واحدة و إطـاعتها ــ والمراد بهـا كلمة التـوحيد: لا إلـه إلا الله ـ فيكـون سماع الكلمـه و إطاعتها هو الأمر المطلوب اتخاذ القرار بشأنه.

ثم يحدد ﷺ سبيل الوصول إلى القرار الصحيح فى المسألة أو القضية المطلوب التقرير بشأنها بقوله «أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثـم تتفكروا، ما بصاحبكم من جنـة» ومعنى «القيام» هو التجرد لـلأمر المطلوب بحثه، وكون القيـام لله مفاده هو التجرد عـن الآراء والأهواء وابتغاء وجه الحقيقة دون التأثر بالعواطف والأهواء .

فيكون المعنـى هو أن تتهيـؤا لبحث الأمر غيـر منشغلين بغيره مبتغيـن فيه وجـه الحق دون التأثر بالمصالح والأهواء. ثم إنه يبين كيفية بحث الأمر بأن يكون «مثنى وفرادى» والمعنى هو التداول فيه والمناقشة بين المتداولين، ثم عـرض الأقوال على النفس التى هى نفس الفرد مع استعراض السوابق من الأحـداث والسوابق التاريخية لتكون مرشدا يساعـد على الوصول إلى الرأى الصحيح فى المسألة .

ثم ينتقل القول إلى تطبيق العام على الخاص، بمعنى بحث الدعوة الجديدة التى دعا بها رسول الله ﷺ، يكون استعـراض السوابق فيها باستعـراض ماضيه ﷺ وما عرف عنـه من عقل حكيم أو جنون، ومـن صدق أو كذب، ومن قـراءة للكتب أو جهل بها، ومـن اعتناق الحق أو لجوء إلى السحر والسحرة.

فـإذا ما انتهـى بحث هـذه السوابـق إلى حقيقـة أنه قـد عرف عنـه ﷺ العقل والحكمـة والاتزان، وعـرف عنه التزام الصـدق فى كل أمـره، وجهله القـراءة بما لا يتصور معـه تحصيل العلم الذى أبلغ به من الكتب، كما عرف عنـه النأى عن السحر والسحرة، فإن القرار الصائب يكون بتصديقه ﷺ .

ولهذا جـاء قوله تعالـى ـ فى ختـام الآية ـ «إن هـو إلا نذير لكم بيـن يدى عذاب شـديد» شهادة منه تعـالى لرسوله ﷺ بأنـه نذير من لدنه ينـذر بالقرآن العظيم من يصر علـى الكفر أنه يكون لـه بكفره العذاب الشـديد . ومشيـرا إلى أن مضمون مـا شهد به تعـالى لـرسوله هـو ما يفترض أن يصـل إليه الـذين يتبعـون السبيل الصحيـح للوصـول إلى قـرار صحيح فـى كلمة التوحيد التى دعاهم إليها ﷺ .

■■■■■

قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ
وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي
وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِيٓ إِلَيَّ رَبِّيٓ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴿٥٠﴾

التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ فى الآيات الأربع بأقوال أربعة يقولها لكفار مكة الذين يدعوهم إلى كلمة التوحيد.

وقد يكون المراد بهذا ـ مقروءا مع الآية السابقة ـ هو بيان وجوب سماع من يبحثون أمرا لاتخاذ قرار فيه قول من يبحثون أمره لتمام الإحاطة به قبل التقرير بشأنه، وقد يكون المراد به هو إظهار حق المتهم بشىء، أو من يبحث أمر فعل أو قول صدر منه فى أن يبدى أوجه دفاعه أو حججه قبل التقرير بشأنه.

ومضمون القول الأول الذى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لكفار مكة هو أنه لم يسألهم أجرا على تبليغه إياهم رسالة ربه بما يعنى أنه لم يستهدف صالحا خاصا به و إنما استهداف ـ مع أداء ما كلف به ـ صالحهم، فإن قال منهم قائل «إنه طلب أجرا» فإنه ﷺ يتنازل عنه ليكون لهم. ثم إنه ﷺ يبين لهم أن الذى يؤجره على إبلاغه ما أرسل به هو الله، يخبر عنه بأنه على كل شىء شهيد، يشهد عمله ويشهد أعمالهم ، فيؤجره على عمله ويحاسبهم بأعمالهم.

والقول الثانى الذى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لقومه أو لكفار مكة هو أن ربه علام الغيوب يقذف بالحق، والمعنى أنه تعالى ينزل القرآن وهو الحق، جاء التعبير عن إنزاله

بالقذف لأنه يصيب بـه الباطل فيزهقه، فيكون المعنى هو أن القـرآن يقيم الحجة على بطلان عقيدة الشرك.

والقول الثالث الذى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لقومه أو لكفار مكة هو أن الكتاب الحق الذى نزل بالحق وبالأدلة والبراهين الحقة قـد جاء من الله تعالى، وفيه إثبات لكون الله تعالى هو الخـالق الموجد مـن العدم وهو البـاعث من المـوت للحساب والجزاء، وهو مـا لا يفعله الباطل ـ وهو معبـودات المشركين، والشيطان ـ فليس فى مقدور آلهتهـم ولا فى مقدور إبليس اللعين أن يخلـق شيئا ولا أن يعيد ـ مـن بعد الموت ـ أحـدا. فيكون القول مبينا وجـوب اتباع الحق .

والقول الرابع الذى أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقوله لقومه أو لكفار مكة مفاده أن الضلال عن الحق إنما يكـون من المرء وأن الهدى يكون من الله، والمعنـى أنه تعالى لم يقسـر أحدا على الضلال و إن جـرت به مشيئته تـرتيبا على علمـه الأزلى أنه يكـون من المرء اختيـار الضلال. ومفاد قوله ﷺ هو أنـه إن حدث منه أن ضل السبيل إلى الحق فإن حـدوث هذا يكون مرجعه إلى خطئه، فـإذا كان هذا هو شـأنه ﷺ وهو الأكرم على الله مـن خلقه فإنه يكـون حال جميع خلقه ـ مـن باب أولى ـ و إن كان منـه الاهتداء إلى الحق فهـو بمعونة ربه الذى أوحـى إليه ما أوحـى من القـرآن العظيـم فكـان له ﷺ بـه الهـدى . وقيل إن منـاسبـة نـزول القول هـى أن الكافرين قـالوا له ﷺ « لقد تركت ديـن آبائك فضللت » فأمره ربه أن يقـول لهم «إن كنت قد ضللت كما تـزعمون فإنما أضـل على نفسى » ونرى ـ والله أعلم ـ أن ارتباط القـول بما سبقه أوضح من تعليق المعنى على مناسبة نزول النص المقول بها .

وقوله ﷺ « إنه سميع قريب» مفاده أنه تعالى يسمـع ما يقول فى شأن إبلاغ الرسالة ويعلم إن كان على ضلال أم على هـدى ، وأنه من القرب منه وممن يبلغهم رسالـة ربه بحيث يعلم بجميع فعالهم ويعلم من هو فى ضلال ومن هو على الحق المبين ، فيجازى كلا بما علم من أمره .

■■■■

﴿ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ ٥١

أولا : الأســـــماء

الفوت : فى قوله تعالى « فلا فوت » المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو النجاة ، أو المهرب .

ثانيا : التفسير :

قد يكون قوله تعالى ـ فى الآية ـ مرتبطا بما سبق ذكره فى الآية السابقة من كونه تعالى قريبا من عباده يعلم من هو منهم على ضلال ومن هو على هدى من الأمر ، إذ بين القول أنه تعالى يأخذ الضالين بالعذاب من مكان قريب منهم تدليلا على سرعة عقابهم .

والخطاب ـ فى هذه الآية ـ هو إلى رسول الله ﷺ ، وهو فى بيان حال المكذبين به الضالين حين يبين لهم وجه الحق ويتحققوا أنهم كانوا ضالين ، فقوله تعالى «ولو ترى إذ فزعوا » معناه أنه لو هيىء لك أن تراهم حين يتبين لهم وجه الحق لرأيت منهم الفزع الشديد.

يتصور أن يكون هذا هو حالهم عند نزول بأسه تعالى بهم فى دنياهم ، ويتصور أن يكون عند معاينتهم ملك الموت يقبض أرواحهم ، ويتصور أن يكون عند الصيحة وهم فى قبورهم ؛ ويتصور أن يكون عند خروجهم من قبورهم ويتصور أن يكون عند معاينتهم عقاب الله يوم القيامة .

ثم يذكر تعالى أنه لا يكون لهم لحظة فزعهم من هول ما تبينوه سبيل إلى النجاة مما أعد لهم من البأس أو العذاب الشديد ،وعلة ذلك أنهم أخذوا بالعقاب من مكان قريب منهم هو حيث أحاط الله علما بأعمالهم ،فلا يتيح لهم قربه مسافة ولا وقت يتيح لهم النجاة من العذاب . فقرب المكان هو كناية عن انعدام الفرصة للهرب من العذاب .

﴿ وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ ٥٢

أولا : الأسماء :

التناوش : هو الرجعة ، وهو - فى معنى الآية - الرجعة إلى الدنيا ، أو التوبة ، أو تناول الإيمان.

ثانيا : التفسير :

يخبر تعالى - فى الآية - عما يكون من المكذبين يوم القيامة حين يعاينون ما أعد لهم من العذاب ، فيذكر تعالى أنهم يعلنون إيمانهم بماكذبوا به فى دنياهم يعلنون إيمانهم بالله تعالى ، أو بالقرآن العظيم ، أو لمحمد ﷺ ، وفى إعلان الإيمان بأيهم إعلان للإيمان بهم جميعا . ثم يبين تعالى عدم استفادتهم شيئا من إعلانهم إيمانهم يوم القيامة بما كفروا به فى دنياهم بإثبات استحالة رجوعهم إلى الدنيا ليؤمنوا بما كفروا به من قبل ، أو استحالة إفادتهم من إعلانهم توبتهم ، أو من تناول الإيمان ، وعلة ذلك أنهم قد أعلنوا إيمانهم أو طلبوا الرجعة أو أبدوا التوبة من مكان يبعد عن المكان الذي يكون فيه هذا ويكون مقبولا وهو مكانهم فى الآخرة ، إذ لا يكون إيمانهم ولا تكون توبتهم مقبولة إلا فى الدنيا التى فارقوها وبعدوا عنها والتى إليها لا يرجعون .

وَقَدْ كَفَرُوا۟ بِهِۦ مِن قَبْلُ ۖ وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٣﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن المكذبين بالدين يقولون يوم القيامة « آمنا به » بمعنى أنهم آمنوا بالله أو برسوله ﷺ أو القرآن العظيم ، وأنهم يطلبون الرجعة إلى الدينا ليؤمنوا ، وبعد أن بين تعالى استحالة تحقيق مطلبهم ، فإنه تعالى - فى الآية - بين أنهم قد كفروا من قبل فى دنياهم بما يعلنون فى أخراهم أنهم آمنوا به ، ثم إنه تعالى يبين أن قولهم هذا لا يفيدهم بشىء بتشبيهه بالسهم أو بالحجر يقذف به من مكان بعيد فلا يصيب هدفا ، جاء تشبيه قولهم بالغيب لبيان انعدام حقهم فيه ، وجاء تشبيه النطق به بالقذف من مكان بعيد لبيان أنه لا يصيب هدفا ،

وقيل إن المعنى هو أنهم رموا القرآن بغير الحق بقولهم إنه سحر وشعر وأساطير الأولين ، رموه من قلوب بعدت عن الإيمان فلم تعرف حقيقته .

وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ ﴿٥٤﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ في الآية ـ في تأكيد ذات المعنى ، وهو استحالة نجاة المكذبين بالدين مما أعد لهم من العذاب ، ذلك أن الذى يشتهونه ويتمنون تحققه هو النجاة من العذاب ، أو بلوغ الوسيلة التى تمكنهم من هذا مثل الرجوع إلى الدنيا لإعلان إيمانهم فجاء قوله تعالى مؤكدا أنه حيل بينهم وبين هذا الذى يتمنونه بمعنى أنه منع عنهم بلوغه أو أنهم منعوا من بلوغه ، ثم ذكر تعالى أنه قد فعل معهم مثل ما فعل بالذين شابهوهم وكانوا مثلهم من الأمم السابقة ، والمراد بهم الذين كذبوا الرسل من قبل ، تمنوا مثل ما تمنى هؤلاء الذين كذبوا برسول الله ﷺ فمنعوا من بلوغ ما تمنوا من النجاة من العذاب أو من بلوغ أسبابه ومنها التوبة ،لانقضاء وقتها .

ثم إنه تعالى بين علة استحقاقهم العذاب والحيلولة بينهم وبين النجاة منه ، هم والذين كذبوا من قبل بقوله تعالى « إنهم كانوا فى شك مريب» بمعنى أنهم كانوا فى شك يستراب به من توحيد الله ومن صدق الرسل فيما أبلغوا به ومن تبشير بالجنة وإنذار بالعذاب ،فيكون المعنى هو أنهم استحقوا العذاب بتكذيبهم الرسل .

■■■■■

﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢﴾ ﴾

التفســـــير:

بعد ما ذكر تعالى من مظاهر قدرته ما ذكر مما يستوجب من الخلق أن يحمدوه، ويشكروه، فإنه تعالى يذكر - في الآية - مظهرا آخر من مظاهر قدرته في مقابلة مع عجز غيره عن رد ما جرت به مشيئته متعلقا بقدرته، ليبين أنه تعالى وحده هو الله المستحق أن يعبد.

فيقول تعالى إنه متى أرسل من رحمته ما يشاء على الناس، فإن أحدا لا يستطيع أن يمنع رحمته عمن أرسلها تعالى إليه، والمراد بالرحمة - في معنى القول - هي نعم الله يدخل فيها الإيمان، والتوبة، والمطر، والرزق، والولد، وغير ذلك مما ينعم، وجاء التعبير عن إرسالها بالفتح تشبيها لها بالغالي من الأشياء يحتفظ به في الخزائن مغلقة ليكون فتحها للإغداق منها.

كما يقول تعالى إنه إن أمسك شيئا من رحمته أو من غيرها عن الناس أو عن أحد منهم فإنه لا يكون من بعد إمساكه من يرسل ما أمسك.

وجاء قوله تعالى « وهو العزيز الحكيم » بمثابة تعليل لنفاذ مشيئته وعدم قدرة أحد على منع نفاذها، فهو تعالى العزيز الغالب على أمره الذي لا يغالب، وهو الذي له الحكمة البالغة يكون قضاؤه بما قضت به حكمته.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى من استهلال السورة بالحمـد استحقاقه أن يحمد من جميع خلقه وبعد أن بين تعالـى أن حمده يكون على جميع ما يكـون منه ومنه الفتح من رحمته والإمسـاك فإنه تعالى بين وجوب شكره علـى ما أنعم به على الناس ، فأمره تعالى النـاس بذكر نعمته عليهم هو أمر بأداء حق النعمة من الشكر.

وقولـه تعالى « هل مـن خالق غيـر الله يرزقكم مـن السماء والأرض » هو استفهام أريـد به إثبات أن الخـالق هو الله ، وأنـه تعالى يستحق الشكـرعلى نعمة الخلـق فى حد ذاتهـا ، وقد يكون ذلك لأن المؤمن الذى يعمل الصالحات يكسب فى أخراه خيرا كثيرا ، وأنه تعالى يرزق الناس من السماوات والأرض،يدخل فى هذا الرزق المادى المحسوس من مطر ينزل من جهة العلو ونبات ومعادن تخرج من الأرض ، ويدخل فيـه الرزق العظيم الذى كان بنزول القرآن من السماء ، ونزول الملائكـة بالرحمة على المؤمنيـن وبالنقمة على المكذبين تكـون رزقا للذين آمنوا وعملوا الصالحات . كما أريد به نفى الألوهية عن غيره تعالى .

ثم إنه لما كان مفـادذلك هو توحيده جل وعلا ، فقد أكد تعـالى هذا المعنى المستخلص بصريح القول « لا إله إلا هو » .

ثم جاء قوله تعالى « فأنى تؤفكون » إنكارا على الذين يشركون به ولا يوحدون إشراكهم به، وإظهارا لبطلان عقيدتهم وافتقادها سبب يؤيدها .

وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٤﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلـى رسول الله ﷺ ، وهو للتسـرية عنه ﷺ ببيـان أنه ليس ببيـان أنه ليس وحده من بين الرسل الذين كذبه قومه ومن أرسل إليهم ، فقد سبقه فى هذا رسل كذبتهم

أقوامهم . وقد اتبـع تعالى القول بوعد للرسـول ﷺ بالثواب ووعيد للمكذبين بـالعذاب بقوله تعالى « وإلى الله ترجع الأمور » لأن مرجع الأمور إليه تعالى مفاده هو الحساب والجزاء ،يكون لرسول الله ﷺ بالثواب . وللمكذبين به بالعقاب والعذاب .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ ٥

التفســــــير:

خاطب تعالى الناس فى الآية ،وذكر وعده ووعيده اللذين تضمنهما قوله تعالى « وإلى الله ترجع الأمور » ذكرهما معا بـ «وعد الله »وأثبت أنه حق ، بمعنى أنه واقع محقق لا محال . ثم إنه تعالى بـرحمته نهى الناس عن أن تغرهم الحيـاة الدنيا بزينتها عن طاعـة الله بما تلهيهم به من زخـارفها ، ومن أن يغرربهـم الشيطان ،يوهمهـم بأن جميع ذنـوبهم مغفورة بحكم كـونه تعالى الغفور الرحيم ليتمادوا فى المعصية معتمـدين على رحمته إلى أن ينسوا ذكر الله فيموتوا على العصيان فيكون حسابهم بأعمالهم هو العذاب الأليم .

إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّاۚ إِنَّمَا يَدۡعُواْ حِزۡبَهُۥ لِيَكُونُواْ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ٦

التفســــــير:

بعد أن نهى تعالى الناس عن الانصياع إلى الشيطان يغرهم بالله فإنه تعالى بين لهم موقف الشيطان منهم ليكون منهم معه ما يتفق مع حالـه من الإنسان ، فأخبر تعالى عن الشيطان أنه

عدو للإنسان ، والمعنى أن عداوته قديمة وأنها دائمـة مستمرة ، ثم إنه لما كان العدو لا يريد خيرا بمن يعاديه ، ويكون إيعازه إليه فعل شيء مستهـدفا إضراره ، فقد جاء نصحه تعالى بنى آدم باتخاذ الشيطان عدوا ، والمعنـى هو معاملته على هذا النحو ،أى باعتبـاره عدوا بما يعنى عدم إطاعته فيما يوسوس به إليهم .

ثم إنه تعـالى أوضح للناس أن الشيطان إنما يـدعو شيعته ـ وهم الذيـن يستطيع أن يقوى عليهم ـ ليكونـوا من أهل النار ، وهو بتزيينه الـدنيا لهم ودفعهم إلى الاستجابـة إلى شهواتهم يكون داعيا لهم إلى ورود نار جهنم .فيكون القول تحذيرا للناس من اتباع الهوى ،وبيانا لكونه من الشيطان عدو الإنسان المبين .

﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٌ ٧﴾

التفســــير:

بعد أن بيـن تعالى أن الشيطـان يدعو إلـى عذاب السعيـر تحذيرا منـه الناس من إطـاعة الشيطان .

فإنه تعالـى بين فى الآية ما يكون من الكافـرين الذين أطاعوا الشيطان مـن عذاب شديد بكفرهم الذى أطاعوافيه الشيطان .

ثم ذكر فـى المقابل ما يكـون للذين استجابـوا لتحذيره تعالـى إياهم من الشيطـان فآمنوا وقرنوا إيمـانهم بعمل الصالحات ، فبيـن تعالى أنه يغفر لهم ذنـوبهم وأنهم يثابون بـإيمانهم وعملهم الصالح .

أكد تعالى حصولهم عليه بتشبيهه بالأجر يكون حقا للعامل .

■■■■

﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًاۖ فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُۖ فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ ٨﴾

التفســـــير:

بعـد أن بين تعـالى أن الشيطـان عدو لـلإنسان حـذر مـن طاعتـه ، وكان مـن الناس مـن يستعصى على الشيطان ، يطيع الله فيه فيتخذه عدوا ، ومنهم من لا يطيع الله فيه فيستجيب له، فإنه تعالى أوضح - في الآية - انعدام المساواة بين الفريقين .

جاء التعبير عن الفـريق الذى يطيع الشيطان بأنـه من زين له سوء عمله فـرآه حسنا ، فدل على أن العمل السىء من كفر وعصيان هو فى الأصـل ما تهوى إليه نفس من يطيع الشيطان ، ولعل هذا يفسر قوله تعالى فى الشيطان « إنما يدعو حزبه » .

ثم بين القول أن دور الشيطان مـع هذا هو تزيين العمل السىء الذى تـاقت له نفسه إليه ، ونتيجة ذلك هى رؤيته هذا العمل السىء عملا حسنا فيقارفه .

والفريق الثـانى الذى لا يتساوى معـه هؤلاء هو فريـق من استقبح العمل السـىء واجتنبه واختار الإيمان والعمل الصالح ، حذف من عبارة النفى لدلالة الكلام عليه .

وقولـه تعالى «فإن الله يضـل من يشاء ويهدى مـن يشاء » هو بيـان لواقع أن الذيـن هفت نفوسهم إلى الكفر والمعصية وزين لهم الشياطـان السوء فرأوه حسنا قد شاء لهم الله الضلال لما علمـه منذ الأزل أنهم يختارونـه ، وأن الذين استقبحـوا الكفر والعصيان فلم يقـدر عليهم الشيطان واختاروا الإيمان والعمل الصالح قد شاء لهم سبحانه وتعالى الهدى .

■■■■

ثم إنه لما كان ﷺ حريصا على إيمان القوم وأن يدخل الضالين فى زمرة المؤمنين ، فإنه من بعد أن أنكر عليه تعالى هذا بقوله « أفمن زين له سوء عمله » جاء طلب إقرار رسول الله ﷺ بهذا الإنكار بقوله تعالى «فلا تذهب نفسك عليهم حسرات» بمعنى «فإذا كان الأمر كذلك فلا تذهب نفسك عليهم حسرات ، لأن الله يضل من يشاء ويهدى من يشاء ».

وقوله تعالى في ـ فى ختام الآية ـ « إن الله عليم بما يصنعون » هو من قبيل الوعيد للكافرين والعصاة بمعاقبتهم على كفرهم وعصيانهم الذى هو معلوم لديه تعالى فيحاسبهم به ويجازيهم .

وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾

التفسير:

بعد أن توعد تعالى الكافرين والعصاة بمجازاتهم بكفرهم وعصيانهم على ما يبين من قوله تعالى « إن الله عليم بما يصنعون » وهى ما يفيد معنى النشور والبعث ، فإنه تعالى دلل بما جاء فى الآية على قدرته على البعث والنشور ، فذكر حقيقة علمية مؤداها أنه تعالى يرسل الرياح فتثير سحابا ، بمعنى أنها تؤدى إلى تكوين السحب و إظهارها ـ فى مقام أول ـ ثم تحمله إلى مناطق التكثيف الباردة وتحمله وتنقله إلى حيث يشاء إليه لينزل مطرا على الأرض الميتة التى لا نبات فيها ، فيكون إحياؤها وظهور النبات فيها بالمطر الذى أنزل عليها .

ثم إنه لما كان هذا جميعه إنما يتم بقدرة الله تعالى ، فقد بات مفهوما أنه تعالى يقدر على البعث والنشور من بعد الموت ليكون الحساب والجزاء بالثواب والعقاب .

■■■■■

مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلۡعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمۡكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدٞۖ وَمَكۡرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ ﴿١٠﴾

التفســـــير:

يتصور فى الخطاب أن يكون للكافرين والمنافقين ، ويتصور فيه أن يكون لعموم الناس ، فعلى الأول يكون ردا على الكافرين الذين نشدوا العزة فى أصنامهم على ما جاء بقوله تعالى « واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا » وعلى المنافقين الذين ابتغوا العزة لدى الكافرين على ما جاء بقوله تعالى «الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين أيبتغون عندهم العزة» وعلى الثانى يكون القول للذين يبحثون عن العزة ـ وهى الشرف والمنعة ـ جاء قوله تعالى « فلله العزة جميعا » بمعنى فليكن طلب العزة من الله لأنها ليست لغيره تعالى ، ومن هذا نيل المؤمنين لها بواسطة رسول الله ﷺ الذى حظى بها لقربه من الله تعالى الذى له العزة جميعا كما جاء بقوله تعالى « ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين » وقيل إن معنى القول هو أن من أراد عز الدارين فليطع الله العزيز.

وقوله تعالى « إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » هو بيان لكيفية طلب العزة من الله تعالى والفوز بها . تكون بالكلم الطيب ، وهو قول « لا إله إلا الله » يصعد بقائله عن إيمان إلى مصاف المؤمنين ، ثم يكون من قائل القول العمل الصالح يرفع القول إلى مقام التصديق الذى يكون بتصديق الفعل اللسان وتصديق اللسان القلب فتكون الطاعة سبيل نيل العزة .

ثم إنه لما كان متصورا أن يكون هناك مرائين يقولون الكلم الطيب ويعملون العمل الصالح لغاية فى نفوسهم وهذا من قبيل المكر السىء أو المكر بالسيئات فإنه تعالى توعد هؤلاء بأنه بدلا من أن تكون لهم العزة التى لا تكون إلا بموافقة العمل الكلم الطيب الخارج من اللسان بما هو فى القلب ، بدلا من هذا يكون لهم العذاب الشديد ، ويكون مكرهم إلى

البوار والفساد ، بمعنى أنه لا يحدث الأثر الذى ابتغى منه ، وقيل إن المراد بالذين يمكرون السيئات هم الذين مكروا برسول الله ﷺ حين اجتمعوا فى دار الندوة ، ونرى أن هذا لا يمنع المعنى العام للقول الذى سبق إيضاحه .

وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا ۚ وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِۦٓ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١١﴾

أولا : الأسماء :

المعمر: فى قوله تعالى « وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره » هو من طال عمره وزاد عن المألوف فى زمانه ومكانه لعامة الناس ، ويتصور أن يكون هذا هو المراد به فى معنى الآية. ويتصور أن يكون كل شخص بالنظر إلى أن له عمرا محددا ينقص منه دوما بقدر ما يكون قد مضى منه فى الدنيا .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فى ذكر دليل آخر على قدرته تعالى على البعث والنشور، فيذكر تعالى أنه خلق الناس من طين ، والمراد بهذا مادة خلقه آدم عليه السلام أبى الناس جميعا ، ثم خلق ذريته من النطفة ، ثم جعل الإنسان أزواجا ذكورة وإناثا . ثم بين تعالى أنه مامن أنثى تحمل من ذكر وتضع مولودها إلا بعلمه تعالى ، وأنه ما يكون عمر أحد من الناس طويلا يزيد على المألوف أو على ما يطلق عليه متوسط عمر الإنسان فى مجتمع ما ، وما يكون عمر آخر قصيرا يقل عن المألوف أو عن ما يطلق عليه متوسط عمر الإنسان إلا وكان ذلك معلوما لديه تعالى مسطورا فى اللوح المحفوظ ، ثم إن القول يقبل أن يكون معناه أنه ما من إنسان يمضى من عمره ما يمضى حيا فينقضى به ما بقى له فى الحياة إلا كان ذلك

مسطورا فى اللوح المحفوظ ، ويقبل أيضا معنى جواز مد الله تعالى فى عمر إنسان بسبب عمل معين يعمله وجواز إنقاصه ممن عمره إذا لم يعمل هذا العمل ، مع بيان ذلك جميعه مسطورا فى اللوح المحفوظ ، فيكون المعنى أنه تعالى علم سلفا أن هذا الشخص يعمل العمل الذى يزيد له به تعالى فى عمره أو أنه لا يعمله فينقص له من عمره ، ثم يكون هذا مسطورا فى اللوح المحفوظ .

وجاء قوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ « إن ذلك على الله يسير » بيان لكون هذا جميعه المذكور فى الآية هو ـ على عظم ما فيه ـ أمرا هينا عليه تعالى لا يحتاج لتحقيقه ولم يكن فى أى وقت محتاجا إلى أسباب ، فيكون المراد إثباته هو عدم صعوبة البعث والنشور عليه تعالى .

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ ۖ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا ۖ وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى ذكر مظهر آخر من مظاهر قدرته يستدل بها على قدرته على البعث والنشور الذى ارتاب فيه بعض الكافرين . فقوله تعالى « وما يستوى البحران » يفيد أنه تعالى الذى أوجد النوعين من البحار وهما الأنهار، والبحار والمحيطات ، وأنهما مع كونهما مجمعين للمياه ، إلا أنهما غير متماثلين وليسا على سواء من الأمر .

ثم إنه تعالى ذكر شيئا من الاختلاف بين الأنهار والبحار الذى جعلهما غير متماثلين فبين

أن ماء الأنهار حلو طيب يزيل العطش لدى شربه ، وأنه تستسيغه النفس ولا تعافه بما يجعله صالحا للشرب .. هذا عذب فرات سائغ شرابه ..، وأن الآخر طعمه مالح ، شديد الملوحة غير مستساغ الشرب منه « وهذا ملح أجاج » . ثم ذكر تعالى أنه مع اختلاف تكوين المياه فى الأنهار عنها فى البحار حيث تزيد نسبة كلوريد الصوديوم بما يجعل الماء مالحا طعمه ، فإن الناس يأكلون من الإثنين لحما طريا غضا ـ وهو السمك ، أو السمك وغيره من الكائنات البحرية ـ ويستخرجون حلية يلبسونها ، والمراد بهذا اللؤلؤ والمرجان يتحلى بهما الرجال والنساء مع اختلاف نوع التحلى . وقد يكون المراد بهذا ـ مع ما هو معلوم من أن اللؤلؤ والمرجان يستخرجان من البحار وليس من الأنهار ـ أن حياة اللؤلؤ والمرجان فى البحار تتطلب استمرار تدفق مياه الأنهار فى البحار ، وقد يكون المعنى هو استخراج ما يتحلى به من البحار وحدها فيكون فى النص إخبار عن أحد البحرين بعد جمعهما كما جاء بقوله تعالى : « ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله » . وقد يؤيد هذا قوله تعالى ـ من بعد ـ وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ، وهو ما يكون فى البحار خاصة إلا إذا شمل معنى « الفلك » الصغير منها الذى يسير فى الأنهار ، يكون بها ابتغاء فضل الله بالصيد والتجارة .

ثم بين تعالى أن فيما جعل فى البحرين من منافع للناس ما يوجب عليهم القيام بأداء حقوق الله تعالى بتوحيده وطاعته وشكره على نعمه « ولعلكم تشكرون » ليكون من لا يفعل نائيا عن العقل وما يوجبه .

يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ١٣

أولا : الأســـــماء :

القطمير : فى قولـه تعالى « ما يملكـون من قطمير » هو القشـرة البيضاء الرقيقة بيـن التمر والنواة ، يضرب بها المثل فى الضآلة والحقارة وقلة القيمة .

ثانيا : التفســــير :

بعد أن ذكـر تعالى من مظـاهر قدرته ووحـدانيته خلقه الإنسـان من تراب وما أعقـب هذا الخلـق ، وخلقه الأنهـار والبحار مختلفيـن ليستفاد منهمـا ذات الإفادة مـع وجود الاختـلاف بينهما ، فإنه تعـالى وصف نفسه فى الآية بأنــه فاعل الأفعال المذكورة فـى نص الآية ، وهى إدخاله الليل فـى النهار والنهار فى الليل ، وتسخيره الشمس والقمر لصـالح عمارة الأرض وما عليها وتحريكهما وسيرهما إلى حيث لا يعلم إلا الله على ما سبق بيانه فى شرح دوران الأجرام حول نفسها ودوران المجموعـة الشمسية حول الشمس ودورانها جميعا فـى المجرة ، واتجاه المجرة فى سيرها إلى حيث لا يعلم إلا الله وهو الأجل المسمى .

ثم جاء قـوله تعالى « ذلكم الله ربكم لـه الملك » مشيرا إلى فاعل هـذه الأفعال العظيمة الشأن ، مخبرا أنه الله رب النـاس والخلق أجمعين ، وصفته ـ فى النص ـ أنــه الذى خلص له ملك كل شىء عظم أم حقـر ، فليس مثله تعالى شىء ولا أحد ثم جاء قولـه تعالى للمشركين الذين يعبدون غيـره تعالى « والذين تدعـون من دونه ما يملكون من قطميـر » تقريرا لانفراده تعالى بملك كل شـىء وبيانا لحال معبودات المشركين التى لا تملك مـن خلقه تعالى أحقر ما يتصـور من المخلوقـات ، فيكون القول تدليـلا على جهل المشـركين ونأيهـم عـن العقل ومقتضياته .

إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى المشركين ، فبعد أن أخبرهم تعالى أن ما يعبدون من دونه لا يملكون من الخلق شيئا ، جاء قـوله تعالى ـ فى نص الآية ـ بالنتـائج المترتبة على هذا مما يتعلق بالمشركين أنفسهم .

فذكر تعـالى أنه إذا توجه المشـركون إلى معبوداتهـم بالعبادة أو الدعاء فـإن معبوداتهم لا تسمع شيئا من العبادة بالقول أو من الدعاء . وهذا مفهوم بالنسبة للأصنام والأجرام السماوية، فهى لكونها من الجمادات لا تسمع شيئا .

وبالنسبة لغيـرها من الملائكـة والرسل فإنه قـد يكون المراد أنهم قـد حفظهم الله من أن يسمعـوا هذا الـدعـاء لقبحه وثقلـه علـى أسماعهـم ، أو أنهـم فى شغـل شـاغل منعهـم أن يســـمعوه .

ثم يذكر تعالى أنـه لو فرض سماع معبودات المشركين دعاءهم فإنـه لا تكون منهم الإجابة بقول ولا بفعـل ، قد يكـون هذا لأنـه ليس من وظـائفهم إجـابة الدعـاء ـ بـالنسبة للمـلائكة والأنبياء ـ وقد يكون لما فى الإجابة بـالقول من انتقاص من الخضوع لله . أما الأصنام فمعلوم عدم قدرتها على الإجابة بحكم كونها جمادات .

ثم إنه تعالى أخبـر المشركين بما يكون من معبوداتهم يوم القيامـة وهو أنهم يكفرون بشرك المشركين ، بمعنى أنهم يجحدونه وينكرونه عليهم .

قد يكون من الأصنام بأن ينطقها الله ، ويكون من الملائكة والأنبياء بتبرؤهم من المشركين ومن شركهم .

ثم بين تعـالى أن ما أخبر بـه هو الحق الذى لا يـأتيه الباطل مـن بين يديه ولا مـن خلفـه لكـونه صـادرا منه تعـالـى الخبير العـالـم الذى لا تخفـى عليه خافيـــة فى الأرض ولا فـى الســـماء .

■■■■

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾﴾

التفسير:

لما كان تعالى قد دلل فى الآيات السابقة على ألوهيته ووحدانيته وقدرته بما يفيد توجيهه الناس إلى توحيده وعبادته .

فإنه تعالى فى الآيات بين للناس عدم حاجته إلى الناس وما يكون منهم من توحيده وعبادته .

وجه تعالى الخطاب إلى الناس وأخبرهم أنهم الفقراء إلى الله ، والمعنى أنهم الفقراء - فى مقام أول - حتى لكأن غيرهم من المخلوقات لا يعد فقيرا إذا ما قيس بهم ، وذلك لتعدد احتياجات جنس الإنسان وتنوعها ، وأنهم فقراء إليه تعالى - فى مقام ثان - بمعنى أنهم يحتاجونه تعالى ويرجون عونه وفضله .

كما أثبت تعالى أنه هو الغنى الحميد . فهو تعالى غنى عن العالمين ، وهو غنى لديه ما يتفضل به على الناس - وهم المحتاجون - فيستحق أن يحمد على ما يتفضل به تعالى عليهم وينعم .

ثم إنه زيادة فى إيضاح عدم حاجته تعالى إلى الناس أخبرهم أنه إذا شاء إذهابهم والإتيان بقوم آخرين من جنس غير جنس الإنسان فإنه تعالى يفعل هذا بغير معقب ، أو يذهب بالكافرين - فى قول آخر - ويأتى بآخرين من جنسهم يوحدونه ويعبدونه .

ثم أثبت تعالى أن فعل ذلك عليه يسير أو أنه لا يمتنع عليه ولا يصعب ، ليكون القول فى حث الناس على الإيمان بالله وتوحيده .

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ ۚ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان مبدأ « شخصية العقوبة » المرتبط بالعدل ، وتطبيقه فى الآخرة . فيذكر تعالى أن أية نفس آثمة لا تحمل إثم نفس آثمة أخرى فتعفيها من العقاب ، وقد يكون المراد بهذا أنها لا تحمل إثم نفس أخرى مختارة ، فهو تعالى يحمل المضلين إثم الضالين الذين أضلوهم ، وقد يكون القول ردا على من قال من الكافرين لبعض المؤمنين «اكفروا بمحمد وعلى وزركم » ثم إنه ـ تطبيقا لذات المبدأ ـ ذكر تعالى إنه إذا دعت نفس آثمة نفسا أخرى لتحمل عنها ذنوبها شيئا تعذب به بدلا منها ، فإن النفس المدعوة ترفض الاستجابة لهذا الطلب ولو كانت ذات قربى من النفس الداعية .

ثم إنه تعالى خاطب رسوله ﷺ أنه إنما ينذر بهذه الآيات وبغيرها الذين يخشون ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة ، والمعنى أن الذين يتعظون بما ينذر به ﷺ وهم الذين يخشون ربهم غائبا عنهم بمعنى أنهم آمنوا به دون أن يروه وخشوا عذابه الذى لم يعاينوه لأنهم كملوا إيمانهم فآمنوا بالغيب الذى حدث به رسول الله ﷺ . وجاء به القرآن العظيم ، وهم الذين أقاموا الصلاة ولم يهملوا فيها ، والمعنى أنهم عملوا بالطاعات .

ثم إنه تعالى بين أن تطهير النفس يكون بالعمل بالطاعات وباجتناب المعاصى وأن فعل هذا إنما يعود على المرء بالخير ولا يعود على الله بشىء « ومن تزكى فإنما يتزكى لنفسه » والمستفاد من قوله تعالى ـ من بعد ـ « وإلى الله المصير » أنه يجازى الذين اتعظوا بإنذاره ﷺ فخشوا ربهم بالغيب وأقاموا الصلاة وزكوا أنفسهم خيرا ، وأنه يجازى الذين أعرضوا

فحملوا أوزارهم عذاب الهون بما كانوا يعملون .

وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا
ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا
ٱلْأَمْوَٰتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ ۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾

أولا : الأســـماء :

الحـــرور : هى ريح السموم إذا كـانت بالليل والنهار إذ الغالب أنها تكـون بالنهار ، وهو شدة حر الشمس ، وقيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو النار .

ثانيا : التفســـير :

قوله تعالـى - فى الآيات - هو فى بيـان الفروق بين المؤمنين والكافريـن ، والقول فى الآية الأولى جـاء معطوفا على قـوله تعالى « ومـا يستوى البحران » ، مثل تعـالى للكافر بـالأعمى وللمؤمن بالبصير وأثبت أنهما ليسا سواء أو أنهمـا غير متساويين ، ثم مثل للكفر بالظلمات ، وللإيمان بالنـور وأثبت أنهما غير متساويين ، كما مثـل لعاقبة الإيمان بالظل كنـاية عن الجنة ولعاقبة الكفـر بالحر الشديـد كناية عن نـار جهنم وأثبت عدم تسـاويهما . ثم مثل للـمـؤمنين بالأحياء لأنهم قد سمعوا لما يحييهم ، ومثل للذين أصروا على الكفر بالأموات لأنهم أعرضوا عما يحييهم أو يحيى قلوبهم ، ثم ذكر تعالى أنـه يسمع من يشاء ، والمراد أنه يسمع من يشاء سماع التـدبر والتفكـر الذى يؤدى إلـى الإيمان . ثم ختـم تعالـى قوله بمخـاطبة رسـوله ﷺ فأعلمه أنه مهما بـذل من جهد مع الذين ختم الله على سمعهم من الـذين أصروا على الكفر فإنهـم لن يؤمنـوا له ، ولـذلك شبههم تعـالى بالأمـوات الذيـن فى القبور ، لا يسمعـون قولا فيجيبون .

■■■■

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ۝٢٣ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ۝٢٤﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه الذى يسمـع من يشاء، والمعنى أنه الذى يهدى للإيمان من يشاء هدايته، وأن رسوله ﷺ لا يسمع مـن فى القبور، والمعنى أنه لا يستطيع أن يهدى من لم يشأ الله هدايته، فإنـه تعالى أوجز رسالة رسوله ﷺ فى قول «إن أنـت إلا نذير»، والمعنى أنه ليس عليه سوى أن ينذر بالقرآن، وأنه ليس عليه إيمان الناس .

ثم إنـه تعالى بين أنـه أرسل رسوله ﷺ مصحـوبا بالقرآن العظيـم وهو الحق ليبشر الـذين يؤمنون بالجنـة، وينذر الذين يصرون على الكفر بـالنار والعذاب. ثم ذكر تعالـى ما جرت عليه سنته فى الأمـم من البشر، وهو أنـه ما من أمة منهـا إلا كان منه تعالـى أن يرسل فيها مـن ينذر بعذاب الله يكون للكـافرين والعصاة، وعموم اللفـظ يفيد أنه لا يشترط فيه أن يكـون نبيا، فقد يكون نبيا وقد يكون رجلا صالحا من أهل العلم .

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ۝٢٥ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ۝٢٦﴾

التفســـير:

بعد أن بين تعـالى لرسوله ﷺ أنـه ليس عليه سوى الدعـوة بالقرآن مبشرا به ومنـذرا، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ الأولى يشير إلى أنه سيكون من قومه ﷺ من يكذبه .

ثم إنه تعالى سرى عنـه فأعلمه أن من سبقوا قومه من الأمم قد كذبـوا الرسل الذين بعثهم الله إليهم وقد جـاءوهم بالآيات الدالـة على صدقهم وعلـى نبوتهم ـ وهى المعجـزات ـ كما جاؤوهم بالصحف المنزلة من ربهم مثل صحف إبراهيم، وصحف موسى، والزبور، وعموم ما أنزل من الله تعالى.

كما جاءوهم بالكتب جاء جمعها فى صيغـة المفرد «وبالكتاب المنير» لأن المراد بها هو التوراة والإنجيـل وهما مـن جهة الشـريعة كتاب واحـد وشريعة واحدة، ولأن الإنجيـل كان لتصحيح العقيدة كما وردت فى التوراة بعد الانحراف عنهـا. ولهذا كان الكتابان بمثابة كتاب واحد.

وصفه تعالى بأنـه منير لأنه يهدى إلى الحق فى شأن العقيـدة، ولتضمنه أحكام الشريعة، ولأنه يبشر بـرسول الله ﷺ ويخبر عن صفاتـه فيكون نورا يهـــدى من آمن به إلـى الإيمـان لرسول الله ﷺ وما أرسل به.

ثم إنه تعـالى بين لرسـوله ﷺ أنه قد نصرـ من قبل ـ رسله علـى الذين كذبـوهم، ليكون القول طمأنة له أنه تعالى فاعل بالمكذبين به فعله بمن سبقهم إلى تكذيب الرسل وهو أخذه تعالـى إياهـم بالعذاب، جـاء التدليل علـى شدتـه بالاستفهام التعجبـى «فكيف كـان نكير» بمعنى: فكيف كان عقابى إياهم على تكذيبهم الرسل.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ
ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ
بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ
وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ
إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **الجُــدد** : فى قوله تعالى «ومن الجبال جـدد بيض وحمر» جمع، مفرده «الجدة» وهى الطريق.

٢ ـ **الغرابيب** : فى قولـه تعالى «وغرابيـب سود» جمع، مفرده «الغـربيب» هو ما أبعـد فى السواد وأغرب فيه، بمعنى أنه يقال للشىء الشديد السواد.

ثانيا : التفســـــير :

الآيتان فيما نرى والله أعلم ـ من الآيات التى تجمع معانى كثيرة متنوعة فى عبارات موجزة فى بلاغة يعجز عنها البلغاء من البشر.

فهما ـ مـن جهة ـ يدلـلان على أن الاختلاف فى الطبـع والطبيعة فى الجنس الـواحد من المخلوقات هو مـا جرت به سنته تعالى فى الخلـق، فيكون القول مرتبطا ـ مـن هذه الناحية ـ بما سبق ذكـره من أن الناس يكون منهـم مهتدون ويكون منهم ضـالون مكذبون. وهمـا ـ من جهة ثانيـة ـ يأتيان بأدلة تعـاين بطريق البصر وتعقل بـإعمال العقل تثبت قدرته تعـالى على إحداث الاختلاف حيث يجب أن يكون التوحد، فيكون القـول متعلقا بالبينات التى تدعو إلى الإيمان بالله وتوحيده وعدم تكذيب الرسل.

والخطاب ــ فى الآية ــ هو إلى رسـول الله ﷺ ـ علـى الظاهر ــ وإلى كل ذى بصيـرة فى حقيقة الأمـر، فيه تنبيه إلى المشـاهد من أنه تعـالى ينزل المـاء من السحاب من جهـة العلو لتجرى به الأنهار وليغيب منه ما يغيب فـى أعماق الأرض، ولتروى به الأرض مطرا ينزل عليها، ثم تكون ثمار ما تنبـت الأرض من أشجار ونباتات متنوعة مختلفة فـى الشكل واللون والطعم والفائدة مع كونها جميعا نتاج الأرض، والتى تسقى بمـاء واحد مما كان مفترضا معه أن تكون متماثلة، فجاء الاختلاف دليلا على قدرة لا يملكها إلا من ليس لقدرته حدود.

وفيه تنبيـه إلى المشاهـد من حال الجبـال، فرغم أنهـا جميعا تحفظ الأرض أن تميـد بما عليها إلا أنهـا تختلف لـونا، فمنها مـا يكون الغـالـب علـى لونه البيـاض لتكون أحجـاره من

الكالسيوم يكـون بعضها من الحجر الجيرى ويكون بعضـه من الرخام، ومنها مـا يغلب على لونه اللون الأحمر، سواء لاحتوائه على خام الحـديد أم لغير ذلك من الأسباب، ومنها ما يغلب عليه اللون الأسـود فيكون «غربيبا» ثم جـاء قوله تعالى «سـود» بدلا من «غرابيب» وهـو ما قد يكون لغلبـة حجر البازلت الأسـود على مكونـاته أو لغير ذلـك من الأسباب. فيكون فـى هذا الاختلاف بين الجبال الدليل على كمال قدرة الله تعالى بما يدعو إلى الإيمان به وتوحيده.

ويتصور أن يكون المراد بالاختلاف ـ فى شأن الجبـال ـ هو اختلاف لون الطرق التى تكون فيها عن اللون الغالـب عليها ذاتها، أو اختلاف ألوان الجبال التى تنشأ بفعـل الترسيبات مما تأتى به الأنهار من الجبال التى ينزل عليها المطـر، وهذه التى تنشأ بفعل الثورات البركانية وما ماثلها فى اللون عمـا هو موجود من قبل، فيكون اختلاف اللون مـع أنها جميعا ما وجدت إلا لغاية واحدة دليلا على عظمة قدرة الخالق بما يستوجب الإيمان به وتوحيده.

كذلك فإن قوله تعـالى ـ فى الآية الثانية ـ يشير إلى اختـلاف ألوان الناس مع أنهم جميعا من أصل واحد فهم أبناء آدم وحواء بما كان مفترضـا معه أن يكونوا على لون واحد، فإذا منهم الأبيض والأسود والأصفر، فيكون اختلاف اللون دليلا على عظمة الخالق وقدرته بما يستوجب الإيمان به وتـوحيده، كما أنه يشيـر أيضا إلى اختلاف ألـوان الأنعام وصفاتها وإن كـانت من فصيلة واحدة، وإنـك لتشاهد الحصان العربـى مختلفا فى الحجم والهيئـة والصفات وطول الساقيـن الأماميتين عـن ذلك فى الحصـان الاسكتلندى مثـلا، مما يجعل الأول أفضـل فى سباقات المسافات القصيرة، ويجعل الثانى أفضـل فى القفز فوق السدود، كما تشاهد الفرق فى الجسم والقوة بيـن البغل فى دول الشرق الأوسط وبين البغل الاسترالـى، مع كون الاثنين من فصيلة واحدة ونوع واحد. وفى هذا دليل علـى عظم قدرة الخالق المصور يوجب الإيمان به تعالى وتوحيده.

ولهذا جاء قوله تعالى ـ من بعد ـ «إنمـا يخشى الله من عباده العلماء» بيانا لأنه كما يكون من المؤمنين الذين يخشون ربهم هؤلاء الذين يخشونه بالغيب استجابة لدعوة رسول الله ﷺ، فإنه يكـون منهم من دفعهم إلى هذا الإيمـان علمهم الذى حصلوه بالمعاينـة والتبصر لأنهم

يدركون مما يعاينون مبلغ قدرته تعالى فتكون منهم خشيته تعالى فلا تقبل نفوسهم الشرك به، ويكونون الأقرب إلى الإيمان الذى يدعوهم إليه رسول الله ﷺ .

وقوله تعالى «إن الله عزيز غفور» هو تقرير لواقع كونه تعالى المستحق وحده أن يخشى عقابه لكمال قدرته على كل شىء، والجدير أن يرجى عفوه وغفرانه لمن يؤمن ويعمل صالحا. وقد تكون مناسبة ذكره بعد ما قيل هو التنبيه إلى أنه تعالى معاقب من يبقى على الكفر وتكذيب الرسول ﷺ بعزته، وأنه غافر ذنوب الذين يؤمنون .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَـٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ
وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾
لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الذين يخشونه هم العلماء، جاء قوله تعالى «إن الذين يتلون كتاب الله» فكأن القول يبين أن خير وسيلة لتحصيل العلم النافع الذى يدعو إلى خشية الله هو العلم الناتج عن تلاوة القرآن العظيم كتاب الله بفهم وتدبر، فضلا عما يشير إليه القول من وجوب تلاوة القرآن العظيم تعبدا. ثم إن فى قوله تعالى «وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية» ما يفيد أن قراءة القرآن العظيم دون الإيمان به لا تفيد من يقرأه أو يتلوه، ما لم تكن قراءته وتلاوته قصد تدبره وصولا إلى غاية هى الإيمان الصحيح . كما أن فيه ما يفيد وجوب العمل بما فى كتاب الله فلا ينفع المرء أن يتلو كتاب الله ثم يعصاه فيما أمر به فى الكتاب. ومما أمر به تعالى فى كتابه إقامة الصلاة والإنفاق فى سبيل الله سرا فيما يكون فيه الإنفاق فى السر أفضل، وعلانية فيما يكون فيه الإنفاق فى علانية أفضل ومنه الإنفاق المفروض وهو الزكاة. يكون الإنفاق ـ فى الحالين ـ من رزق الله الحلال .

وقد أخبر تعالى عن هؤلاء الذين يتلون كتابه ويقيمون الصلاة وينفقون مما رزقهم سرا وعلانية بأنهم يكسبون ثوابا لا يفسد ولا يهلك ، جاء التعبير عن هذا بتشبيه إيمانهم وعملهم الصالحات وإنفاقهم فى سبيل الله بالتجارة مع الله، يرجون فيها من الكريم الذى لا يرد سائلا عمل بالصالحات الكسب ـ وهو الثواب ـ يكون خيرا دائما لا يعتريه نقص ولا فساد.

ثم إنه تعالى أعلم مؤكدا أنه مجازيهم بإيمانهم وعملهم الثواب الذى وعدهم يكون لهم بمرتبة الحق ـ وإن لم يكن شىء عليه تعالى حقا ـ كما ذكر أنه تعالى يزيدهم على هذا ثوابا وخيرا تفضلا منه ورحمة.

ثم أتبع هذا بقوله «إنه غفور شكور» ليدل على أنه تعالى يغفر لهم ما يكون منهم من الذنوب، وأنه يشكر لهم حرصهم على طاعته، فيكون القول مشيرا إلى أن ما يقع منهم من ذنوب يكون عن غير قصد العصيان .

وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾

أولا : الأسماء :

١ - **المقتصد** : فى قوله تعالى «ومنهم مقتصد» المراد به - فى معنى الآية - الذى يتردد بين العمل بالقرآن العظيم وبين مخالفته، فيكون منه التزامه حينا ومخالفته حينا دون إنكاره.

٢ - **دار المقامة**: هى الجنة لأن من يدخلها يقيم فيها خالدا لايخرج منها فتكون هى المقام الدائم .

٣ - **اللغوب** : فى قوله تعالى «ولا يمسنا فيها لغوب» هو الملل والفتور يكون من أثر التعب الجسمانى، فهو ما ينال النفس من أثر تعب الجسم .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو إيجاز شامل لبعثه تعالى رسوله ﷺ بالحق، وما يكون من شأن المؤمنين له ﷺ وبما أرسل به فى الدنيا والآخرة.

بدأ القول بمخاطبته تعالى رسوله ﷺ، فذكر له تعالى أن الذى أوحى به إليه - وهو القرآن العظيم - هو من الكتاب ، وأنه الحق مصدقا لما بين يديه. فهو من الكتاب باعتبار أن الكتاب يشمل التوراة والإنجيل - كما أنزلا - ويشمل القرآن العظيم. فهو منهم لأنهم جميعا جاءوا بعقيدة واحدة هى عقيدة التوحيد، وهو منهم لأن التوراة قد سبقته بإيراد شريعة كانت هى شريعة الإنجيل، ثم جاء القرآن بالشريعة التامة، فنسخ ما نسخ من شريعة التوراة وأبقى على ما أبقى منها باعتبارها شريعة الله فى القرآن فكان به وحدة العقيدة ووحدة الشريعة التى يكون بها ما أتى به هو الدين عند الله؛ ولهذا وصف تعالى القرآن بأنه الحق لأنه جاء بالدين مشتملا على العقيدة والشريعة التى هى دين الله إلى أن يرث تعالى الأرض وما عليها.

ثم إنه تعالى وصف القرآن العظيم بأنه مصدق لما بين يديه، والمراد بهذا أنه مصدق للتوراة والإنجيل بمعنى أنه لم ينكر نزول التوراة والإنجيل، كما أنه وافقهما فى شأن عقيدة التوحيد، وأنه جاء منزلا على النبى الأمى الذى يبعث فى مكة من نسل إسماعيل على نحو ما أخبرت به التوراة والإنجيل فكان بهذا المعنى تصديقا لما ورد فيهما من التبشير به .

وقولـه تعالى «إن الله بعباده لخبيـر بصير» مفاده أنـه لعلمه بأحـوال عباده ألزمهم فـى كتبه جميعا عقيدة التـوحيد، وغاير فـى أحكام الشريعة لتكـون مناسبة أحوال النـاس مع اختلاف الزمان ، وأنه بصير بما يكون منهم فى اتباع ما جاءت به الكتب فيحاسبهم بما يكون منهم.

وبعد هذا انتقل القول إلى موضوع آخر هو فـى بيان ما يكون من الناس من دعوة رسول الله ﷺ إلى الديـن الحق، وبيان أحوال الذيـن يؤمنون له ﷺ فى الـدنيا. فقوله تعالـى «ثم أورثنا الكتاب الذى اصطفينا من عبادنا» مفاده أنه يكون من الناس من يؤمن لرسول الله ﷺ، ومن لا يؤمن له، وأن الذين يؤمنون له هم الذيـن اختار لهم الله الإيمان له فسهله عليهم وهداهم إليه. جاء التعبيـر عنهم بأنهـم الذين أورثهم الله الكتـاب لبيان أن القرآن العظيـم أصبح أمانـة فى أعناقهـم يفيدهـم كما يفيـد الإرث الورثة، ويحفظـونه فـى أنفسهم ومـن الاعتداء عليـه كما يحافظ الوارث على ما ورث.

ثم إنـه تعالى يذكـر أحوال الذين آمنـوا لرسول الله ﷺ وبالقـرآن العظيم فى الدنيـا، أو إنه تعالى يـذكر أحوال المسلمين مـن بعد رسول الله ﷺ فى كـل زمان ومكان، فيخبر تعـالى أنه يكون منهم الظـالم نفسه وهو الـذى يقصر فى العمل بـالطاعات ويسرف علـى نفسه فيعمل بالمعاصى، يكون ظـالما نفسه لأنه يعرضها للعذاب بالعصيان، ويدخـل فى عداد الظالمين أنفسهم الذين يظلمون غيرهم لاستحقاقهم العذاب بهذا الظلم.

كما يخبر تعـالى أنه يكون منهم المقتصـد الذى يعمل الصالحات ويعمـل السيئات فهو تارة من الطائعين وتارة من العاصين مع بقائه على الدين والملة غير منكر فى العقيدة. ويخبر تعالى أيضا عن أنه يكـون منهم من هو سابق بالخيرات، بمعنى أنه تقـدم غيره فى القرب من الله تعالى ونيـل رضائه بسبب أعمالـه الصالحة - فهى الخيـرات - بين تعالـى أن أفعال هؤلاء وأعمالهـم التى تنزلهم هـذه المنزلة أو التى تقـربهم من الله إنما تكـون بتوفيق الله إياهـم إليها بقوله تعالى «بإذن الله» .

ثم بين تعـالى أن توفيق هؤلاء السـابقين بالخيرات إلى مـا هدوا إليه هو من فضلـه تعالى الكبير، وقيل إن الفضل الكبير منه تعالى يشمـل توريث القرآن والاصطفاء لهذا، فيكون متعلقا

بجميع المسلمين الذين آمنوا لرسول الله ﷺ وبالقرآن العظيم .

وقد يكـون قوله تعـالى «جنات عـدن يدخلونهـا» مؤيـدا ـ والله أعلم ـ ما قلناه مـن تعلق الفضل الكبير بـالسابقين بالخيرات، إذ تكـون «جنات عدن» بدلا من الخيـرات، فهم يسبقون غيرهـم من المسلميـن إليها بالـدخول وفيها يحلـون من أسـاور من ذهب كمـا يحلون لـؤلؤا ويلبسون ثيابا من حرير.

ويذكر تعالى أن هـؤلاء السابقين بالخيرات يقولون لدى دخـولهم الجنة «الحمد لله الذى أذهب عنـا الحزن، إن ربنا لغفـور شكور» يحمدون الله أن أدخلهـم الجنة حيث لا يحـزن فيها أحد ولا يخشى زوال نعمة، والذيـن أذهب عنهم من قبل حزن أهوال يوم القيـامة والخوف من عدم قبول أعمالهـم الصالحة، مقرين أنه كان منهـم مقارفة الذنوب التى غفرهـا لهم سبحانه وتعالى والذى شكر لهم عملهم الصالح فأثابهم به.

ثم إنهم يصفون ربهم الذى حمدوه من قبيل الشكر له تعالى بأنه الذى أنزلهم الجنة مقاما دائما لا يخـرجون منه، يتمتعـون فيها بنعم الله دون أن تنـال أجسادهم مشقـة، ودون أن يعترى نفوسهم قلق. والمعنى أنه يكتمل لهم فيها نعيم الجسد ونعيم الروح .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ
عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا
رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ
فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴿٣٧﴾

التفسـيـر:

بعد أن ذكر تعالى أحوال الـذين آمنوا لرسول الله ﷺ فى الدنيا والآخرة، فإنـه تعالى ذكر فى

الآيتين أحـوال الذين كذبـوا برسول الله ﷺ ولم يـؤمنوا له، وأول ما يـلاحظ فى النص هـو أنه تعالى لـم يورد شيئا عن أحوالهم فـى الدنيا ولا عن فنائهـم فيها، على نحو ما كان منـه تعالى لدى الحديث عن المؤمنين، وقد يكون هذا لتساويهم في الكفر، وقد يكون لأنهم يجازون فى الدنيا بأعمالهم ومنها أعمالهم الصالحة، مما لم يستدع بيان الحال لكونه معروفا .

والذى يذكره النص هو أنه تكون لهم نار جهنـم، فكأنها قد أعدت سلفا لتكون لهم مقاما. ثم يذكـر النص أنهم لا يقضى عليهـم فيموتوا، والمعنى أنهـم يخلدون فيها أحياء لا يمـوتون موتـة ثانية من أثـر الحريق بـل يبقون أحياء فيها معـذبين. كما يـذكر أنه لا يخفف عنهـم من عذاب نار جهنم شيئا يدخل فى هذا عـذاب الحريق، إذ كلما خبت زادها الله سعيرا، ويدخل فيه عذاب الزمهرير.

ثم يثبت تعالى أنـه على هذا النحو يكون منه الجزاء لكل كفـور، والمعنى أنه يعذب على هذا النحو كل من كذب الرسل الذين كانوا من قبله ﷺ.

وبعد هذا يصف تعـالى ما يكون من هؤلاء المكـذبين حال تعذيبهم فى نـار جهنم فيذكر تعالى أنهم من فرط الألـم يصرخون طالبين ـ بإضمار القول أو بالقـول الصريح ـ الخروج من النار والـرجوع إلى الدنيـا واعدين أن يكون منهـم العمل الصالـح الذى يقبل منهم بمـا يعنى إيمانهم بمـا كفروا به من قبل ــ وفى قولهم «نعمل صالحـا غير الذى كنا نعمل» إقـرار بأن ما كان منهم فى الدنيا هو عمل غير صالح.

ويذكر تعالى ما يجاب به المكذبون ردا على طلبهم «أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكر» والمعنى هو: ألم نرزقكـم عمرا يكفى لكى يتذكر فيه المرء ويعرف الحـق ويميزه عن الباطل، والذى كان من البعض فيه أنهم تذكروا واختاروا الإيمان، فيكون الاستفهام متضمنا إنكار عدم تذكر المكـذبين مع إتاحة الفـرصة لهم للتذكر، ومتضمنا معنـى التوبيخ لعدم التذكـر. ثم إنه تعالـى يبين جسامة إثمهـم بذكره تعالـى لهم فيما يقـال لهم أنه قد جـاءهم من الرسـل من أنذرهـم بعاقبـة التكذيب فلـم يسمعوا له. فيكـون القول شـاملا الذيـن كذبـوا بمحمد ﷺ، والذين كذبوا الرسل من قبل .

وآخر ما يقال للمكذبين فى ذلك الموقف هو «فذوقوا فما للظالمين من نصير» وهو أمر لهم ـ فى الظاهر ـ مفاده استمرار معاناتهم العذاب، يبين منه أن العذاب مترتب على عدم تذكرهم وعدم استماعهم للمنذرين، وأنهم الذين ظلموا أنفسهم بتكذيبهم الرسل فعرضوها للعذاب، وأنه ليس لهم من يدفع عنهم العذاب أو يخففه .

إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

التفسـير:

لما كان تعالى قد ذكر أنه يكون من المؤمنين من يتردد بين الطاعة والعصيان ولم يذكر تعالى بشأنه أنه يخلد فى العذاب و إنما جاء القول مبينا اختلاف درجة المؤمنين فى القرب منه تعالى ومن نيل رضائه، وكان قد ذكر أن المكذبين تكون لهم نار جهنم لا يموتون فيها ولا يخرجون، فإنه تعالى أثبت أن قضاءه فى هؤلاء وهؤلاء هو الحق، لأنه إنما كان بحكم علمه تعالى بكل ما غاب عن الإنس والجن العلم به، ومنه العلم بما انطوت عليه الصدور، فيكون حسابه تعالى بالأعمال وبالنوايا، ليس فيه ظلم لأحد فى مفهوم الناس أنفسهم .

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا ۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلْكَٰفِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا ﴿٣٩﴾

التفسـير:

يتصور فى القول أن يكون المخاطب به هو جميع الناس يمن عليهم ربهم بأنه جعلهم خلفاءه تعالى فى الأرض يتصرفون فيها وينتفعون بها بإذنه، ويتصور أن يكون المخاطب به

أهل مكـة ، يمن عليهـم ربهم بأنـه جعلهم خلفاء الـذين سبقـوهم من القبـائل التى كـانت تجوب المنطقة ثـم دان الأمر لهم فيها من دون هـؤلاء، ويتصور أن يكون المخاطـب به عموم الكافريـن يمن عليهم ربهم بـأنه أورثهم الأرض من بعـد هلاك المكذبين مـن قبلهم، فيكون الهـدف من المـن هـو الاتعـاظ بهلاك السـابقيـن مـن المكذبيـن ليكـون الإيمـان بدلا مـن التكـذيب.

ثم إنه تعالى أنذر المكذبين سوء المصير إذا ما أصروا على تكذيب رسول الله ﷺ بذكره أن التكذيـب يكون وبالا علـى المكذب يعذب بـه، وأنه ـ وهـو كفر بـالله ورسوله وكتـابه ـ يـزيد الكافـرين عند ربهـم غضبا وبغضا فـوق غضبه تعالى عليهـم وبغضه إياهـم. كما أنه يـزيد الكافرين خسارة فوق خسارتهم لعدم إثابتهم بأفعالهم الحسنة، وطردهم من رحمة الله، وهذا هو الخسران المبين .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا فَهُمْ عَلَىٰ بَيِّنَتٍ مِّنْهُ ۚ بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا ﴿٤٠﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى التدليل على بطلان عقيدة الشرك بالله بطريق المحاجة بالعقل والمنطق خلوصا إلى النتيجة التى يقبلها العقل.

أمر تعالى رسولـه ﷺ أن يوجه نظر المشركين إلى معبوداتهم ثـم يطلب منهم أن يظهروا له أى رقعة مـن الأرض خلقوها أو خلقوا مـا عليها من كـانت. ثم إنـه لما كانت نتيجـة الطلب معروفة وهى أن المشركين لن يدعوا أن آلهتهم خلقت رقعة من الأرض أو ما عليها من كائنات حية، فإنه تعالى أمـر رسوله ﷺ أن يطلب من المشركين دليلا على أنهم شـركاء لله تعالى فى

ملك السماوات، ثم إنه لما كان معلوما أن المشركين لن يقدموا مثل هذا الدليل، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يطلب منهم تقديم محرر مكتوب من الله تعالى يثبت فيه أن معبوداتهم شركاء له في الملك يكون حجة للمشركين ولمعبوداتهم. ثم إنه لما كان غير متصور أن يأتي المشركون بمثل هذا الكتاب أو المحرر، فإنه لم يعد متصورا غير أمر واحد، هو أن معبودات المشركين ليست آلهة، وأن عبادتهم بزعم أنها آلهة أو بزعم أنها تشفع لعابديها عند الله تعالى ليس سوى باطل نقله السلف الضالون إلى الخلف، واتبع فيه التابعون سادتهم، اغترارا بهم وبما وسوس به إليهم الشيطان.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمۡسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنۡ أَمۡسَكَهُمَا مِنۡ أَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا ٤١﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن معبودات المشركين لا تملك شيئا من السماوات ولا من الأرض، فإنه تعالى أثبت ـ في الآية ـ أنه من بعد إيجاده السماوات والأرض بالخلق يحفظهما من الزوال، وأنه تعالى لو قدر زوالهما فإن أحدا لا يستطيع أن يمسكهما .

وقيل إن المراد من «الزوال» في معنى الآية هو الانتقال من المكان، وقيل أن المراد به هو الدوران، وهذا غير صحيح علميا لما ثبت من تحقق حركة الأرض والأجرام السماوية، كان سبب الوقوع فيه عدم توافر العلم بهذا لدى الأقدمين.

والذي نراه ـ والله أعلم ـ أنه تعالى قد ذكر في الآية قدرته العظيمة على المحافظة على السماوات والأرض وعدم زوالهما إلا بحلول الأجل الذي جعله تعالى لزوالهما. وعظم قدرته تعالى تبين من معرفة أن سبب عدم زوال السماوات والأرض هو تساوي مادة الكون مع المادة المضادة، ومن وسائله تباعد النجوم والمجرات بعضها عن البعض بمسافات شاسعة تمنع

تلاقى مادة الكون مـع المادة المضادة لها وهو ما يؤدى إلى فناء الكـون وزواله. بيان ذلك هو أنه اكتشـف حديثا أن للجسيمـات الذرية العاديـة جسيمات ذرية مضـادة، فالذرة العـادية تتكون من نواة بها بروتونات موجبة الشحنة ونيوترونات متعادلة، ويدور حول النواة اليكترونات سالبة. أمـا الذرة المضادة فتتكون من الجسيمات المضـادة، فالبروتون الموجب يقـابله فيها بروتون سالب، والنيـوترون يقابله نيوترون مضاد بعزم مغناطيسى معـاكس، والالكترون السالب يقابله الكتـرون موجب يسمى «البوزيترون»، وإذا حـدث التقابل وقع الفناء. ولمـا كان بعض النجوم والمجرات من نـوع المادة العادية والبعض الآخر من نوع المـادة المضـادة ، فإن التقاء النوعين أو قربهمـا معناه زوال السماوات والأرض، ولو حدث زوالهما فإنـه لا يكون فى مقدور غير الله إعادتهما.

لذلك كان قوله تعالى مثبتا أن بقاء السماوات والأرض على حالهما هو فعله تعالى وحده، وأنه إن شاء زوالهما ، لم يكن فى مقدور أحد منعهما من أن تزولا .

وقوله تعالى ــ فى ختام الآية ـ «وكان الله حليما غفورا» هو فى بيـان أن حلمه تعالى جعله لا يعجل العذاب للمشـركين، لعل منهم من يعدل عـن الشرك إلى التوحيد فيؤمـن لرسول الله ﷺ، فيغفر له تعالى ما تقدم من ذنبه قبل الإيمان .

وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ
لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا
زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ
ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ
ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾

أولا : الأسماء :

الأمم : المراد بهم ــ فى معنى الآية ــ الذين كذبوا موسى عليه السلام ممن بعث إليهم يدخل فيهم فرعون وقومه، وقارون ومن كذب موسى من بنى إسرائيل، والذين كذبوا المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام من قومه بني إسرائيل فلم يؤمنوا له .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى فى كفار مكة الذين بلغهم أنه قد كذب موسى كما كذب عيسى عليه السلام ممن بعثا إليهم من أهل الكتاب فلعنوهم لكفرهم أنبياءهم وأقسموا بالله أنه إذا أرسل تعالى فيهم رسولا من أنفسهم كما كانوا يتمنون، فإنه يكون منهم اتباعه فيكونون باتباعه أهدى من اليهود ومن النصارى الذين كان من كل منهما من كذب النبى المبعوث إليها.

ثم يذكر تعالى ما كان من كفار مكة حين بعث فيهم رسول الله ﷺ نذيرا بالقرآن، وهو ازدياد نفورهم من الحق والابتعاد عنه تمسكا بالضلال.

وبين تعالى أن نفور كفار مكة من الحق الذى بعث به رسول الله ﷺ كان استكبارا من أنفسهم أن يتركوا دين آبائهم ومكر السىء من جانبهم، بمعنى أن حالهم كان خداع الناس لصدهم عن الحق الذى دعا إليه رسول الله ﷺ .

وبعد أن بين تعالى مكرهم السىء برسول الله ﷺ، ذكر تعالى ما قضت به حكمته فى شأن الذين يمكرون السوء «ولا يحيق المكر السىء إلا بأهله» فبين أن الإيذاء الذى يضمره من يمكر السوء ويريد إنزاله ــ عدوا ـ بالغير، لا يصيب غيره، وقد يكون من هذا ما حاق بالكافرين يوم بدر من مكرهم السىء .

ثم خاطب تعالى رسوله ﷺ فى شأن كفار مكة فى استفهام عما ينتظر الكافرون تحققه لكى يؤمنوا بالحق الذى جاءهم، فالقول تعجب من عدم مبادرتهم إلى الإيمان، ثم يتوعدهم تعالى بالعذاب بتشبيههم بالمنتظرين أن يجرى تعالى شأنه فيهم ما جرت به سنته فى

المكذبين من قبلهم من تعذيبهم فى الدنيا والآخـرة. يؤكد تعالى وقوع عذابه بهم ببيان أنه لا يكون منه أن يبدل بعذاب المكذبين رسلهم رحمة منه، كما لا يكون منه تحويل العذاب عنهم إلى غيرهم .

أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۚ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٤﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ فى التدليل علـى قدرته تعالـى على تعذيب المكـذبين رسلهم واستشهادا بكفار مكة ذواتهم الذين ساروا فى الأرض وشاهدوا، والذين علموا مما سمعوا أنه تعالى قد أهلك عـادا وثمود وأصحاب مدين وغيرهم الذين ملكوا مـن أسباب القوة أكثر مما ملك كفار مكة فلم تمنعهم قوتهم من بأس الله لما جاءهم.

ثم أثبت تعالى لذاته أنه ليس فى السماوات ولا فى الأرض من يحول بينه وبين إهلاك من قدر تعالى إهلاكه أو تعذيب من شاء تعالى أن يعذب.

وأعقب هـذا ببيان أنه إنمـا يهلك أو يعذب من يستحـق ذلك بما ثبـت فى علمه تعـالى، فيجرى فيه عذابه بموجب قدرته التى لا يقف دونها أحد .

وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۖ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِ بَصِيرًا ﴿٤٥﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآية ـ هـو فى بيان جسامة مـا يرتكب الناس من الذنـوب والآثام، الأمر الذى كان مفترضا ـ حال مؤاخذته تعالى الناس بها فور مقارفتها ـ أنه تعالى يهلك كل ما على الأرض من كائن حى دب عليها، كما فعل تعالى بإغراقه الأرض بالطوفان. وقيل إن المراد هو إهلاكه الجن والإنس، وقيل هو الإنس وحدهم. ثم بين تعالى أنه لم يشأ هذا فكان منه تعالى ـ من بعـد بعثة رسول الله ﷺ ـ تـأخير حساب الناس إلى أجـل مسمى عنده تعالـى فى اللوح المحفوظ هو يوم القيـامة. يكون فيه حسابهم بمـا علم من أحوالهم وأفعالهـم التى أحاط بها علمه تعالى إحاطة البصر بالمنظور.

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يسٓ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾

التفســـــير:

افتتحت السـورة بقوله تعـالى «يسٓ». وفيه قيـل الكثير. قيل هـو اسم أعجمى جعـل اسما

للسورة ، وإن معنى القول هو «اذكريس». وقيل إن معناه هو «يا رجل» أو «يا إنسان»، وقيل هو اسم لمحمد ﷺ - بدلالة قوله تعالى «إنك لمن المرسلين» - وقيل هو اسم من أسماء الله، وقيل هو من الحروف المقطعة في أوائل السور. أتبع ذكره تعالى بالقسم بالقرآن الحكيم، وصفه تعالى بأنه ذو حكمة وجواب القسم في مخاطبته تعالى رسوله ﷺ بأنه من المرسلين من الله تعالى إلى عباده، وهو رد على الذين قالوا لرسول الله ﷺ «لست مرسلا».

ثم أخبر تعالى عن رسوله ﷺ أنه على صراط مستقيم، أو أن حال المرسلين جميعا - وهو منهم - أنهم على صراط مستقيم، أي على الطريق الهادي إلى رضاء الله وجنته، ثم بين أن التنزيل ، أو القرآن هو من الله العزيز الرحيم، يعز به المؤمنين ويرحمهم.

لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ۝٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨

أولا : الأسـماء :

المقمحون : في قوله تعالى «فهي إلى الأذقان فهم مقمحون» جمع، مفرده المقمح، وهو من رفع رأسه بطريق إمالتها للخلف فيكون معها غض البصر، وهي في الأصل حال من رفع رأسه لسف البر المتخذ من القمح.

ثانيا : التفسـير:

مفاد القول أنه تعالى أنزل القرآن أو التنزيل على رسوله ﷺ لينذر به - في مقام أول - قومه وصفهم تعالى بأنهم لم ينذر آباؤهم من قبل رسول من الله تعالى، ولذلك فإنهم غفلوا عن الحق الذي لم يعلموا به، فيكون القول بمثابة تعليل لبعثه ﷺ فيهم وهو إنذارهم. وعلى هذا المعنى يكون المراد بآبائهم هم الأدنون لأن الأبعدين منهم قد أنذرهم إسماعيل عليه السلام

وقيل إن المعنى هـو «لتنذر قوما مثـل ما أنذر آباؤهـم» وهو بعيد فيما نـرى ـ والله أعلم ـ لقـوله تعالى «وما آتيناهم من كتب يدرسونها وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير» .

ثم أثبت تعالـى فى شأن قومه ﷺ أنه حق فـى أكثرهم قوله تعالـى لإبليس «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين»، وأنهم لهذا لا يؤمنون ، بل يبقون على كفرهم الذى اختاروه .

ثم ذكر تعالى أنه جعل فى أعناق هؤلاء الذيـن لا يؤمنون أغلالا تكون إلى أذقانهم فيكونون مقمحين. وقيل إن القول نزل فى أبى جهل والوليد بن المغيرة ومخزومى آخر الذين أقسموا أن يرضخوا رأس رسول الله ﷺ بحجر، فلما رفع أبو جهـل الحجر ليرمى به رسول الله ﷺ أومأ إليه فرجعت يده إلى عنقه والتصق الحجر بيده، ولمـا رفع الوليد الحجر أعمى الله بصره، ولما رفع الثالث الحجـر رجع القهقرى ثم خـر على قفاه مغشيا عليـه. وبقطع النظر عن صحـة القصة المروية أو عدم صحتها، فإننا نرى ـ والله أعلم ـ أنها لا تفسر النص، لأن القول فى النص تعلق بأكثـر قومه ﷺ، وهؤلاء ثـلاثة نفر فقـط من قومـه. والذى نراه ـ والله أعلـم ـ أن القول هـو فى المكذبيـن من قومه ﷺ، وأن فـى القول تشبيها، فـإصرارهم علـى الكفر هو الأغلال التـى فى أعناقهـم، واستكبارهـم فى أنفسهم الـذى منعهم مـن الإيمان لرسـول الله ﷺ، ومن مظـاهر الاستكبار رفع الـرأس هو المقامح التـى تكون تحت الأذقان ــ وهى الحلقة الكبيرة فـى نهاية الأغلال ـ فيكون القول فى المكذبين برسول الله ﷺ مـن قومه عموما الذين حق عليهم القول أن يملأ تعالى بهم جهنم والجنة أجمعين .

وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَـٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَـٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾

التفســـــير:

قيل إن الضمير فى «أيديهم» و «خلفهم» يعود إلى الثلاثة الذين أرادوا شج رأس رسول الله ﷺ بالحجر، وقيل إنه يعود إلى أبى جهل وأمية بن خلف، وعتبة وشيبة ابنى ربيعة الذين ترصدوا رسول الله ﷺ لإيذائه فخرج عليهم يقرأ «يس» وفى يده تراب رماهم به وهو يقرأ «وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا» فأطرقوا حتى مر عليهم ولم يبصروه .

ونرى ـ والله أعلم ـ أن القول هو فى كفار مكة المصرين على الكفر مثل تعالى لانحصارهم فى دائرة الكفر بمن جعل أمامه سد عظيم ومن خلفه سد عظيم، والمراد بهذا هو إحاطته من جميع الجهات بما يمنع تحركه وخروجه عن البقعة من المكان التى هو فيها ـ والمراد بها فى معنى الآية دائرة الكفر ـ ثم كان من أثر انحصار أبصارهم فى المكان الضيق إصابتهم بالعشا وضعف البصر، والمراد أنهم عموا عن الحق فلم يبصروه.

وقيل إن المراد بالقول هو أنه يصيبهم العمى على الحقيقة فى الآخرة لقوله تعالى «ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عميا»، وقول أحدهم «قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا» .

ثم إنه تعالى يبين لرسوله ﷺ أن قضاءه تعالى فيهم أنهم يموتون كافرين بقوله له «وسواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون» أن يتساوى فى شأنهم إنذارهم وعدمه لاختيارهم الكفر وجريان مشيئته تعالى لهم به على ما اختاروا وثبت فى علمه الأزلى.

ثم يخبر تعالى رسوله ﷺ بمن يؤتى الإنذار معه الأثر المرجو منه وهو الإيمان، فيقول إنه من اتبع الذكر أى الذى آمن بالقرآن العظيم وعمل به بعد أن فتح الله قلبه للإيمان، وكان من شأنه أنه خشى الرحمن بالغيب دون أن يراه ولم يغتر برحمته فارتكب المعاصى متعللا بأن رحمة الله تعالى تنجيه.

وقد أمر تعالى رسوله ﷺ أن يبشر هذا بمغفرة ذنوبه التى ارتكبها قبل إيمانه، وبالثواب العظيم يكون أجرا عظيما له لا يضيع .

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى الفريقين: فريق المكذبين المصرين على الكفر، وفريق الذين اتبعوا الذكر وخشوا الرحمن بالغيب، أو إن القول لهما، فهو وعيد الكافرين ووعد للمؤمنين. ومفاد القول أنه تعالى يحيى الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، وأنه يحاسبهم بأعمالهم أحياء وبما خلفوا وراءهم بعد موتهم من آثار، فمن الآثار الحسنة كتاب مؤلف يستفاد به، وبناء ينتفع به، ومن الآثار السيئة سن قانون يشرع الظلم ونشر مذهب فاسد بين الناس.

وقيل إن المراد بالآثار هو آثار السير إلى المساجد.

ثم إنه تعالى يؤكد محاسبته الناس بكل أفعالهم وآثارهم بذكره أن كل شىء قد أحصاه تعالى عليهم وأثبته فى شىء عظيم قيل إنه اللوح المحفوظ، وقيل هو القرآن العظيم.

وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

١ - القرية: قيل إنها أنطاكية، وهى من المدن التى توجه إليها تلاميذ عيسى عليه السلام الحواريون للتبشير بدعوته بعد رفعه إلى السماء.

٢ ـ المرســــلون : المراد بهم ـ في معنى الآية ـ رسل عيسى عليه السلام إلى الناس للدعوة بتوحيد الله.

٣ ـ **الاثنان ، والثالث** : قيل إن الاثنين هما: يوحنا وبولس، وقيل هما توما وبولس، وقيل شمعون ويوحنا، وقيل هما صادق وصدوق، وقيل نازوحي وماروحي.

وقيل إن الثالث هو شمعون الصفا الذى يقال له «سمعان»، وقيل هو شلوم، وقيل بولس.

وفى سفر أعمال الرسل فى كتاب العهد الجديد الذى بين أيدينا اليوم أن الاثنين هما برنابا وشاول، ذهب برنابا فى بداية الأمر وحده ثم توجه إلى طرسوس وعاد منها بشاول توجه معه إلى أنطاكية ، وأن الثالث هو أغابوس .

ثانيا : التفســـــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن يضرب للمكذبين به مثلا من قصة حدثت لقوم ماثلوهم هم أصحاب القرية، وهم ـ فيما قيل ـ أهل أنطاكيــة التى جاءها المرسلون، وهم المرسلون من قبل المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام إلى الأمم بدعوته.

فيقول تعالى إنه أرسل إلى أهل المدينة اثنين من هؤلاء التلاميذ الرسل، ولا يعنى هذا كونهما من الأنبياء، فهما من الرسل بحكم كونهما رسولين من رسل الله ولأنه تعالى الآمر بإرسالهما والذى يسر لهما ذلك.

ويذكر تعالى أن أهل المدينة كذبوا الرسولين، ويحتمل المعنى أن يكون التكذيب متعلقا بكونهما رسولين، وأن يكون متعلقا بما أرسلا به.

ثم يذكر تعالى أنه قوى الاثنين بثالث يدعو معهما بما دعا به المسيح عليه السلام من توحيد الله، وكان مبدأ قول الثلاثة لأهل القرية هو أنهم مرسلون إليهم برسالة كلفوا بها من الله، لا يمنع من هذا من كونها بواسطة المسيح عليه السلام، لأنها بأمره تعالى .

■■■■

قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى - فى القصة - التى يرويها رسول الله ﷺ لكفار مكة بأمر ربه أن أهل القرية أعلنوا المرسلين بعدم تصديقهم وبسبب ذلك وهو كونهم بشرا مثلهم فكأنهم يطلبون ملائكة رسلا أو بشرا يفضلونهم فى شىء.

وهو الأمر المفتقد فى الرسل الثلاثة، كما أعلنوهم برأيهم وهو أنه تعالى لم ينزل كتابا على النبى الذى يدعون بدعوته بقولهم.

والمعنى أنهم أنكروا نبوة المسيح عليه السلام، ثم قرنوا هذا باتهامهم الرسل صراحة بالكذب.

ومن القول يبين أن أهل المدينة أو القرية كانوا يؤمنون بوجود الله تعالى، وأنهم كانوا يشركون بعبادته شأن مشركى مكة.

ثم يذكر تعالى أن الرسل الثلاثة استشهدوا على صدقهم بعلم الله تعالى بأمرهم وهو أنهم مرسلون إلى أهل القرية بدعوة المسيح عليه السلام بتوحيد الله تعالى وعبادته .

ثم أضافوا قولهم إنه ليس عليهم سوى واجب إبلاغ الدعوة على النحو الواضح الذى يتيح لمن له عقل أن يفهم ويعى فيكون منه الإيمان، وإنهم غير مكلفين بإلزام الناس الإيمان بما يدعون إليه.



﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ١٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى من أخبار القصة المروية أن أهل القرية عندما عدموا سببا يبدونه لتكذيب المرسلين يكون مقبولا عقلا كان منهم القول الجاهل وهو أنهم يتشاءمون بهم أو منهم، وقيل إن سبب ذلك أنه حبس عنهم المطر، وقيل أصابهم الجذام.

ثم إنهم هددوا المرسلين بأنهم ما لم يكفوا عن دعوتهم إلى التوحيد فإنهم سيقتلونهم رجما بالحجارة أو يعذبونهم بعذاب دون ذلك .

ثم يذكر تعالى أن المرسلين أجابوهم بأن سبب شؤمهم راجع إليهم بمعنى أن سبب ما أصابهم من الضر هو إشراكهم بالله وعملهم بالسيئات، وأنهم أتبعوا هذا بقولهم «أئن ذكرتم» .

وهو استفهام وشرط، يكون فيه إجابة الاستفهام يستغنى به عن تقدير جواب الشرط.

فيكون المعنى «أئن ذكرتم بالحق، ووعظتم بما فيه خيركم تتطيرون وتتوعدون» .

ثم إنهم أعلنوهم بحقيقة أمرهم وهى أنهم قوم مسرفون، من طبعهم الإسراف فى العصيان ومجاوزة الحد الذى هو سبب لحلول غضب الله تعالى عليهم .



وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ
يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ
﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ
ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ
﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الرجـل : فى قـوله تعـالى «وجـاء رجل من أقصـى المدينـة يسعى»، هـو رجل مـن أهل المدينة أو القـرية على ما يبين مـن قوله «يا قوم» قيـل إن اسمه حبيب بن إسرائيـل، وقيل ابن مرى كان يعمل نجارا، وقيل حراثا، وقيل صانع أصنام.

وفى سفر أعمال الرسل فى كتاب العهد الجديـد أنه الذى أتى هو بولس، ويبعد أن يكون هو المقصود بالقول فى عبارة النص لأنه لم يكن من أهل المدينة .

ثانيا : التفســـير :

يخبر تعالى ـ فى الآيات ـ عن واقعة حضـور رجل من أهل المدينة مجلس المحاجاة بين الرسل وبين أهل المدينة ونصحه قومه أن يؤمنوا للرسل، ويذكر قوله لهم.

فيخبر تعالى عـن رجل جاء من أبعد مواضـع المدينة عن مكان المرسليـن والقوم ـ حيث كان الجدل دائرا ـ يستحث السير ويسرع فيه، وأنه مـا أن وصل إلى المكان حتى خاطب أهل المدينة بقولـه «ياقوم» ثم نصحهم بتصديق المـرسلين واتباعهم فيما دعوا إليـه من توحيد الله تعالى «اتبعوا المرسليـن»، ثم بين لهم دليل صدقهم ببيان أنهم لم يطلبـوا منهم أجرا على ما

دعوهم إليه ، ومستشهدا بما هو ظاهر فيهم من ثبات على الهدى إلى وجه الحق «اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون» ثم إنه لام قومه وقرعهم على عبادة غير الله تعالى و إن كان قد تلطف بهم قصد جذبهم إلي الإيمان بدعوة المرسلين، فنسب إلى نفسه ما ينكره على قومه من الإشراك بالله بقوله «ومالى لا أعبد الذى فطرنى» فكأنه ينصح نفسه بعبادة الذى أوجده من العدم.

والمراد هو نصحه قومه، ثم شفع قوله بتهديد قومه من الاستمرار على الشرك بالله بقوله «وإليه ترجعون» فبين لهم أنهم يبعثون بعد الموت للحساب فيرجعون إلى ربهم يجازيهم على شركهم بالعذاب إذا بقوا على شركهم ويثيبهم إذا آمنوا للرسل والتزموا عقيدة التوحيد.

ثم كان منه العودة إلى تسفيه عقيدة الشرك بالله فى قول جاء فى صيغة الاستفهام المراد به إنكار الفعل ـ وهو الشرك ـ ونفى الألوهية عن المعبودات من دون الله تعالى، مع التلطف مع قومه بنسبة الأفعال إلى شخصه بقوله «أأتخذ من دونه آلهة إن يردن الرحمن بضر لا تغن عنى شفاعتهم شيئا ولا ينقذون» أنكر على نفسه أن يتخذ من دون الله معبودات لا حول لها ولا قوة حتى إنها لا تستطيع أن تدفع عنه ضررا أراده الله به.

فيكون القول نافيا عنهم الألوهية، ثم أتبعه ببيان أنها لا قيمة لها عند الله حتى إنها لا تملك أن تشفع لدى الله فى أحد من عابديها.

فضلا عن أنها لا تستطيع إنقاذ عابديها مما أعد لهم من العذاب وبعد هذا فإنه أعلنهم بالنتيجة المترتبة على ما عرض عليهم من فكر منطقى وهى أن من يشرك بالله تعالى يكون فى ضلال واضح وخطأ بين «إنى إذا لفى ضلال مبين».

وكانت خاتمة قوله لهم أنه أعلنهم بأنه آمن بالله تعالى ووحده، ووصفه بأنه ربهم بمعنى أنه الذى يرعاهم ، ثم طلب منهم أن يسمعوا له، والمراد سماع الإجابة، يكون بقبول قوله والسماع للرسل بالطاعة .

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾

التفسـير:

مفاد قوله تعالى «قيل ادخل الجنة» يتصور فيه أمران، أحدهما أنه بشر بدخول الجنة فى حياته، أو بشر بذلك من الملائكة لدى قبض روحه.

والثانى أن يكون قد مات عقب قوله ما قال لقومه فأدخل الجنة، بمعنى أنه بشر بدخولها مع داخليها يوم القيامة، أو بدخول روحه فيها دخول أرواح الشهداء.

والمشهور هو أن القوم وثبوا عليه فور الانتهاء من القول وقتلوه ـ قيل بالوطء بالأقدام، وقيل بالنشر ـ ثم ألقوه فى بئر هى «الرس» فيكون القوم هم أهل الرس.

ويذكر النص أنه بعد أن بشر بالجنة أو بعد أن دخلتها روحه تمنى لو علم قومه ما آل إليه أمره من دخول الجنة أو من صيرورته إليها بحكم ما بشر به، وبما كان من الله تعالى معه من مغفرة ذنوبه والتفضل عليه بالكرامة السنية، ليكون منهم الإيمان مثله بالله وتوحيده ونيل الخير العظيم.

فيكون الرجل قد نصح لهم حبا مبتغيا مصلحتهم ، وتمناها لهم بعد موته، شأن المؤمنين الذين يقابلون السيئة بالحسنة.

﴿۞وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾

التفســـــير:

يثبت تعالى ـ فى الآيتيـن ـ أنه أهلك قوم الرجل الذى قيل له «ادخـل الجنة» وأنه من بعد موته أو قتله أو رفعـه إلى السماء ـ فى قول ـ لـم يرسل لإهلاك قومه ملائكـة جنودا لإهلاكهم، وما كـان منه تعالىٰ أن ينـزل ملائكة جنودا لإهـلاكهم، وقد يكـون ذلك تحقيرا لشأنهـم، وقد يكون لبيان لرفعة شأنه ﷺ الذى أنزل تعالى الملائكة جنودا لنصره على الكافرين .

ثم يثبـت تعالى أن هـلاكهم إنمـا كان بصيحة واحـدة، والمراد بها صيحـة جبريـل عليه السلام، صاح بها على باب المدينة فماتوا جميعا .

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠﴾

أولا : الأســــماء :

العبــاد : قيل إن المراد بهـم ـ فى معنى الآيـة ـ هم الرسـل الذين قتلهم المكـذبون، و إن المتحسرين هم المكذبون تحسروا على قتلهم الرسل حينما عاينوا عذاب الهلاك.

وقيل إنهم المكذبون الرسل تتحسر عليهم الملائكة، أو يتحسر عليهم الرجل الذى قيل له ادخل الجنة، ونرى ـ والله أعلم .

أن المراد بهم ــ فى معنى الآية ـ هـم القوم الذين كـذبوا الرسل، يدل علـى هذا وصفهم بأنهم كانوا يستهزئون بالرسل .

ثانيا : التفســــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أن المكذبيـن الرسل ومنهم هـؤلاء أهل القرية جـديرون أن يتحسر عليهم لما سينالهم من العذاب أوما نالهم بالفعل.

ويتصور أن تكون الملائكـة هى التى تحسرت عليهم أو تحسر عليهم الرجـل الذى قيل له «ادخل الجنة».

والمستفاد من قولـه تعالى «ما يأتيهم مـن رسول إلاكانوا به يستهزئون» أن القـول هو ـ من جهة ـ بيان لحال المكذبيـن بالرسل عموما، وهو من جهة ثانيـة بيان لسبب إهلاكهم بعذاب استدعى التحسر عليهم .

أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾

التفسـير:

القول ـ في الآية الأولى ـ هو في أهل مكة.

والمـراد بيانـه هـو وجوب علمهـم بأن الـذيـن يهلكهم الله بعـذاب منـه لا يرجعـون إلـى الحيـاة.

فيكون معنـى القول هـو: «ألم يـروا أن القـرون الذيـن أهلكناهـم أنهـم إليهـم لا يرجعون».

وقيل إن مفاد القـول أن الذى كان يتعين علـى أهل مكة تبينه هـو أنه تعالى أهلـك القرون التى كانت قبلهم لعدم الرجوع عن عقائدهم الفاسدة إلى الرسل وما دعوهم إليه.

ثم إنه تعالى أثبت ـ فى الآية الثانية ـ أن الرجوع إنما يكون إليـه تعالى فى المحشر فليس من رجوع إلى الدنيا.

والرجوع إلى الله تعالى يكون للمهلكين من قبل ولكفار مكة رجوع العقاب.

فيكـون القـول دليـلا على أن المعـذبين بالهـلاك فى الـدنيا لا يعفـون من عـذاب الآخـرة.

■■■■

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ
ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾
وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآيات - تناول الرد على منكرى البعث من بعد الموت وإقامة الدليل على هذا، ثم جاء فى الدليل ما هو من قبيل النعم التى أنعم بها تعالى على الناس ومنهم الذين كذبوا بالبعث.

ولهذا أوجب النص عليهم شكر الله وتوحيده ليكون ختام القول تنزيهه تعالى عما لا يليق بذاته ومنه إنكار البعث .

فالدليل الذى ساقه تعالى إلى منكرى البعث يتمثل فى الأرض الميتة التى عدمت النبات، فهى مثل الأموات من بنى الإنسان، يحييها تعالى بإنزاله المطر عليها فتنبت وتزهر وتثمر ويخرج منها الحب الذى يأكله الناس.

فلا يبعد على من يحيى الأرض أن ينشىء أجساد الموتى نشأة أخرى وأن يعيد إليها الروح فتكون فيها الحياة.

ثم إنه تعالى يذكر أن الأرض التى يحييها بعد الموات يجعل فيها جنات من نخيل وأعناب، وأنه يخلق فيها ما يكفل استمرار وجود جنات النخيل والأعناب وهو العيون يفجرها تعالى بالماء. ولا يبعد على من يفعل هذا أن يجعل من يبعث من الموت قادرين على فهم

ما يحاسبون عليه، وأن يتنعم منهم المؤمنون، ويعذب منهم الكافرون .

ثم إنه تعالى يجعل القول فى شأن مكذبى البعث يذكر أنهم يأكلون من ثمار النخيل والأعناب التى نبتت بها الأرض التى كانت ميتا فأحياها الله، كما يأكلون مما تصنعه أيديهم من هذه الثمار من أنواع الشراب والحلوى.

فيكون القول متضمنا بيان دليل فوق دليل على قدرته تعالى إحياء الموتى ومتضمنا ذكر نعمة أنعم بها على الناس ومنهم المكذبون بالبعث والنشور؛ ولما كانت النعمة تستوجب شكر الله عليها يكون من بعد توحيده.

فقد جاء قوله تعالى «أفلا يشكرون» مبينا أنه كان مفترضا من معاينة هذا أن يؤمن المكذبون بوحدانية الله وقدرته على البعث والنشور، وأن يؤدوا حق النعمة من الشكر.

ويتصور أن يكون معنى «وما عملته أيديهم» أن ما أخرجت النخيل والأعناب من الثمار ليس من نتاج عمل الناس و إن قاموا بالزراعة وما تحتاجه و إنما هو فعله تعالى كان بقدرته، وهذا أيضا يستوجب شكره تعالى .

ثم إنه لما كان ما سبق بيانه من أدلة على قدرته تعالى على البعث والنشور، وما هو من قبيل النعم المنعم بها على الإنسان هو من العظم بمكان، فقد جاء قوله تعالى «سبحان الذى خلق الأزواج كلها» تنزيها له تعالى عن أن يظن به عدم القدرة على شىء وعن أن يترك شكره.

جاء وصفه تعالى ذاته بأنه الذى خلق الأزواج كلها، فبين أن جميع المخلوقات أزواج ، بمعنى أن لكل منها ما يماثله أو ما هو ضد له.

وبين أن المخلوقات منها ما يكون من الأرض من النبات، ومنها ما يكون من أنفسهم مثل خلق حواء من آدم وخلق الأبناء من الآباء، ومنها ما لم يحيطوا به علما، وما لم يحيطوا بكيفية خلقه من العدم علما. ولعله من هذا ما هو معروف حاليا عن مولد نجوم لم تكن موجودة لا يحيط الخلق بكيفية خلقها إلا بالنذر اليسير.

وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ
تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ
مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن
تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ **المنـازل** : في قوله تعالى «والقمر قدرناه منـازل» قد يكون المراد بها المنازل الثمانية والعشرون التى ينزل القمر كل ليلة بمنزلة منها وهى :

الشـرطان، والبطيـن، والثـريا، والـدبـران، والهقعة، والهنعـة، والـذراع، والنثرة، والطـرف، والجبهة، والخـراتان، والصـرفة، والعواء، والسمـاك، والغفر، والزبـانيان، والإكليـل، والقلب، والشولة، والنعـائم، والبلدة، وسعد الذابح، وسعـد بلع، وسعد السعود، وسعـد الأخبية، والفرغ المقدم، والفرغ المؤخر، وبطن الحوت.

وقد يكون المراد بها المنازل المعروفة للقمر فى الشهر القمرى وهى:

الهلال الجـديد فى الأفـق الغربى، والتربيـع الأول، والبدر، والتربيـع الثانى، والهـلال فى الأفق الشرقى. والمحاق .

٢ ـ **العرجـون القـديم** : هـو العذق المقـوس أو السباطـة اليـابسة إذا مـر عليها الحـول وجفت.

ثانيا : التفسـيـر:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى بيان آيات عظيمة من خلقه تعالى تعلقت جميعها بدورة الفلك ومـا يترتب عليهـا، ثم إنها لمـا كانت متطورة ومـرعية لأهل البـادية ومنهم كفـار مكة

والمكذبون بالبعـث فإن ذكرها يعتبر من قبيل التـدليل على وحدانيته تعالى وقـدرته على كل شيء بما يستوجب توحيده والإيمان بالبعث .

ذكر تعالى أن للكـافرين فى الليل يسلخ منـه النهار فيكونون فى ظلام. وفـى معناه قيل إنه تعالى جعـل ذهاب الضوء ومجيء الظلمة كالسلـخ، فإذا جاءت الظلمة لفَّت النـاس فكانوا مظلمين. والذى نراه ـ والله أعلم ـ غير هذا.

فالقـول يذكر حقيقـة علمية وهى أن الأصـل الذى يلف السمـاء حول الكرة الأرضيـة هو الظلام ولا يكون منيرا من الغلاف الجوى المواجه للشمـس أثناء النهار إلا ما يزيد سمكه على مائتى كيلومتر فالانسلاخ عن هذا الحيز من الغلاف الجوى يكون معناه هو الظلام، وبانسلاخ النهار على سطح الأرض تعود حالها للأصل وهو الظلام .

كما ذكر تعالـى أن الشمس تجرى لمستقر لها، وهذا إثبات لحقيقة علميـة هى وجود مدار للشمس حول المجرة، وكون الشمس والمجرة يسيران إلى حيث لا يعلم إلا الله وهو مستقرها؛ ولذلك قـال تعالى «ذلك تقديـر العزيز العليم» جعل تعالـى حركة الشمس وسيرهـا محكومة بقدرته وعلمه إلى أن يكون مستقرها فى الأجل الذى حدده.

ثم يذكر تعالى نزول القمر فى منازله الثمـانية والعشرين، والمنزل هو المسافة التى يقطعها القمر فـى يوم وليلـة إلى أن يصبـح فى نهايـة الشهر مثـل عذق النخلـة المقوس أو السبـاطة اليابسة.

وقد يكون فـى القول إشارة إلى انعدام الحياة علـى القمر لتشبيهه بالعرجون القـديم الذى ليس به حياة .

وقوله تعـالى «لا الشمس ينبغى لهـا أن تدرك القمر ولا الليل سـابق النهار، وكل فـى فلك يسبحون» يشيـر إلى كـروية الأرض بـدليل كرويـة غلافهـا الجوى بليلـه ونهاره، وإلـى عملية التبادل بين النهار والليل نتيجة دوران الأرض حول نفسهـا، وإلى وجود الليل والنهار فى نفس الوقت حول الكرة الأرضية، فنصف الأرض المواجه للشمس يكون نهارا والنصف الآخر يكون

ليلا فيتعاقب الليل والنهار ولا يلتقيان ولذلك لا تدرك الشمس القمر. ولكل منهما فلك يسبح فيه، فمدار القمر حول الأرض، ومدار الشمس حول المجرة. وسبحان الله العظيم ذكر القرآن العظيم هذه الحقائق العلمية قبل أن يصل إليها العلم الحديث بقرون عديدة .

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى في الآيات الثلاث آيات عظيمة له في الخلق هي من قبيل النعم ليكون للكافرين الاتعاظ بها، ويكون بها إعلامهم بوجوب أداء حقها من الشكر، كما يذكر من مظاهر قدرته ما يعتبر بمثابة إنذار للكافرين بالإهلاك إذا ما بقوا على كفرهم.

فيذكر تعالى أنه حمل ذرية الناس فى الفلك المشحون، وقد يكون المراد بالذرية هم الآباء والأجداد الذين حملهم تعالى شأنه فى سفينة نوح.

وقد يكون المراد بها هم الناس عموما أو أهل مكة، وقد يكون المراد بهم الأبناء الذين هم أضعف من أن يعتمدوا على أنفسهم فى التنقل بذواتهم فسخر لهم الفلك ينقلهم إلى ما بعد من الأمكنة.

كما ذكر تعالى أنه خلق لهم ما يركبونه فى البر على نحو ما جعل السفن ما يركبون فى البحر، أو أنه تعالى خلق لهم من الفلك أنواعا مختلفة الشكل والهيئة والحجم، وقد يكون في القول إشارة إلى البوارج والغواصات كما فيه إشارة إلى القوارب الصغيرة. وهذا جميعه من النعم كما هو من الآيات الدالة على قدرته تعالى .

ثم يجيء الإنذار المستور فى صورة الإخبار بقوله تعالى «وإن نشأ نغرقهم فلا صريخ لهم ولا هم ينقذون إلا رحمة منا ومتاعا إلى حين». وفيه يبين تعالى أنه إن شاء إهلاك المكذبين وهم فى الفلك فإنه ــ وقد تكامل ما يحدث هلاكهم ـ قادر على هذا، وإن شاء فإنه لا يكون لهم منقذ من دونه تعالى، ينقذهم برحمته إذا شاء فتكون نجاتهم من الهلاك إلى حين من الزمان ينتهى بانقضاء آجالهم التى حددها تعالى لهم .

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ
اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم
مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ
أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ
يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ
هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً
تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ فى كفار مكة عموما والمكذبين منهم بالبعث على وجه الخصوص، وفى أقوالهم وفعالهم، وما كانوا يردون به على المسلمين من قول يكون تعبيرا عما فى نفوسهم .

فيذكر تعالى إنه عندما كان ينصحهم المؤمنون - من أجل نيل رحمة الله - أن يتقوا ربهم فيما مضى من أمورهم باستغفاره عما قارفوا من الذنوب، وفيما هو آت منهم فى مستقبل الأيام يكون بتجنب مقارفة المعاصى، فيكون المراد بما هو بين أيديهم هو ما مضى، والمراد بما خلفهم هو الآتى - وقيل العَكس - عندما كان ينصحهم المؤمنون كانوا يعرضون عن القول وعن قائليه، حذف الجواب نصا لمعرفته وللاستدلال عليه بقوله تعالى «وما تأتيهم من آية من آيات ربهم إلا كانوا عنها معرضين»، وهو يفيد - فضلا عن هذا - أنهم كانوا حين يدعون لسماع آيات القرآن العظيم كانوا يعرضون عن الدعوة وعن الاستماع.

كذلك يذكر تعالى أنه عندما كان يطلب منهم الإنفاق على الفقراء مما وسع عليهم ربهم من الرزق كانوا يقولون للمؤمنين «أنطعم من لو يشاء الله أطعمه» فهم يستهزئون بالمؤمنين لقولهم إن الله هو الرزاق العليم، أو يستنكرون - بقولهم - أن يرزقوا من أفقره الله.

وقوله تعالى «إن أنتم إلا فى ضلال مبين» يتصور فيه أن يكون قول الكافرين نسبوا إلى المؤمنين الذين طلبوا منهم الإنفاق مما رزقهم الله الضلال المبين بقولهم «لو شاء الله لأغنى المعوزين»، أو إنهم نسبوا إليهم الضلال المبين لاتباعهم رسول الله ﷺ. ويتصور فيه أن يكون قول المؤمنين للكافرين ، أو قوله تعالى فيهم .

ثم يذكر تعالى أن الكافرين يسخرون من المؤمنين بقولهم «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» والمراد هو الوعيد بالعذاب فى الآخرة على المستفاد من قول المؤمنين لهم «اتقوا ما بين أيديكم وما خلفكم» فهم إما منكرون للبعث أو منكرون للعذاب الذى توعدوا به.

ثم إنه تعالى بين أن العذاب آتيهم بقوله «ما ينظرون إلا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون» والمعنى أنهم لا ينتظرون - على الحقيقة - إلا نفخة الصعق التى ينفخها إسرافيل تأخذهم وهم على حالهم يختصمون فى أمور دنياهم فيموتون على الفور.

ثم بين تعالى أن النفخة تفجأ الناس أو تفجأ - فى معنى الآية الكافرين - بقوله «فلا يستطيعون توصية ولا إلى أهلهم يرجعون»، بمعنى أن المرء لا يملك وقتا يوصى خلاله بما يريد الإيصاء به، كما أن من كان خارج داره لا يجد وقتا يرجع فيه إلى أهله، ومن كان يحادث

آخر لا يملـك أن يرجـع لــه قولا. وقيـل إن المعنى أنهـم متى مـاتوا فـإنهم لا يـرجعون إلـى أهليهــم .

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى مـا يكون عليه الكافرون فى الآخرة منذ لحظة الخروج من القبور. يقول تعالى «ونفخ فى الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون» بمعنى أنه ينفخ إسرافيل النفخة الثانية التى هى للنشأة الأخرى يخـرج الكافرون من قبورهم إلى حساب ربهم مسرعين. ثم إنهم حيـن يعلمون أنهم معذبون يصيحون بالويل والهـلاك كأنهم يطلبون النظر إلى الـويل الذى ينتظرهــم والتعجب منه، ثم يتسـاءلون عمن بعثهــم من قبورهم. وقـد يكون سبب هذا أنه يرفع عنهم العذاب فيما بين النفخة الأولى والنفخة الثانية.

فتكون لهم الإجابة على سؤالهم «هذا مـا وعد الرحمن وصدق المرسلون» يتصور أن تكون الإجابة من جهة الملائكة، أو أن تكون من جهة المـؤمنين، يخبرونهم أن بعثهم هذا هو ما وعد الرحمـن أنه يكون للحسـاب والجزاء، وهو الـذى توعدهـم به المرسلـون وأنهم فيه يعـذبون بكفرهم، ظهر الدليل على صدق المرسلين بوقوعه على نحو ما أخبروا به، كما يتصور أن تكون

الإجابة من بعض الكافرين قالوا بها عندما عاينوا الحق فأقروا بصدق المرسلين وخطئهم بتكذيبهم إياهم حيث لا ينفعهم إقرار بالذنب ولا توبة.

ثم إنه تعالى أكد أن بعثهم و إحياءهم كان بنفخة واحدة من إسرافيل، قيل إنها قوله «أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء».

ويذكر تعالى أنه يترتب على الصيحة أنهم يكونون جمعا واحدا، صفته أنه محضر عند ربه للحساب.

وفى شأن الحساب أثبت أن نفسا ما لا تظلم شيئا، والمعنى أنه لا ينقص لها من ثواب عمل، ولا يزاد لها فى ذنب خطأ. مع ملاحظة أن النفس الكافرة تجزى بعملها الصالح فى الدنيا وليس فى الآخرة، فيكون الجزاء بما كان من الأعمال فى الدنيا .

إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ
وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ
وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الشغل : هو الشأن الذى يشغل المرء عن سواه، قد يكون لكمال المسرة فيه، وقد يكون لكمال المساءة.

٢ ـ الفاكهون : في قوله تعالى «فى شغل فاكهون» جمع، مفرده «الفاكه» وهو الطيب النفس الضحوك، وهو الفرح .

٣ـ **الأرائك** : جمع، مفرده الأريكة، وهى كل ما يتكأ عليه، وهى السرير المنجد المزين فى قبة أو في بيت .

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى ما يكون عليه حال الكافرين فى الآخرة، فإنه تعالى انتقل فى الآيات إلى بيان حال المؤمنين الذين عملوا الصالحات، وصفهم بأنهم أصحاب الجنة، للتدليل على ملازمتهم إياها، ثم أخبر عنهم أنهم يكونون مبتهجين مسرورين بما يتمتعون به فيشغلهم عن أى شىء سواه لفرط ما فيه من لذة لهم. ثم أثبت تعالى أن هذا هو حالهم وأزواجهم، والمراد بهم أزواجهم المؤمنات فى الدنيا أو الحور العين اللاتى زوجهم الله إياهن في الجنة، يكونون فى ظلال الجنة التي ليس فيها شمس ولا زمهرير وقد أظلهم الله برحمته فهم فى ظله وحماه أن ينالهم نصب متكئين على الأرائك فى راحة ودعة.

ثم ذكر تعالى أنه يكون لهم فى الجنة ما يتلذذون به من المأكل والمشرب وكل ما يطلبون لأنفسهم من شىء مادي أو نعيم روحى. ثم تكون غاية المنى نيلهم السلام من ربهم قولا يقال لهم من جهته تعالى «سلام» بغير واسطة. وقيل يكون بواسطة الملائكة .

وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ اصْلَوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾

أولا : الأسـماء :

الجِبِــل : في قـوله تعالـى «ولقد أضل منكـم جبلا كثيرا» هـو الأمة العظيمة، وقيـل هو الجماعة أو الأمة عموما .

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى ـ في الآيات ـ هو في أقوال يقولها تعالى للكافرين أثناء تعذيبهم أو حين يتأكد لهم أنهم معـذبون، والمقبول أنها تقال لهم بـواسطة الملائكة. أو بواسطة مـلائكة العذاب، فتكون الأقوال من قبيل الإهانة التي يعذب بها الكـافرون ليكون عذابهم مهينا، وهذا ظاهر من كونها من قبيل التقريع، وارتباطها بالعذاب.

وصف تعالى الكافرين بأنهم المجرمـون، وقد يكون هذا لدخول العصاة فيهم. وفي القول بأمـرهم تعـالى يوم الـدين بـالانفراد عن المـؤمنين لاختـلاف مصيرهم وهـو النار عـن مصير المؤمنين الجنـة، فيكون قد تم التمييـز بين الكافريـن وبين المؤمنين، ويتصـور في المعنى أن يكون مفيـدا انفراد كل طـائفة من طـوائف الكافرين عـن غيرها لتكـون كل منها متميـزة عن الأخرى لسبب لديه تعالى.

ثم إنه تعالى يبين لهم أن مخالفتهم عهده وأوامـره و إطاعتهم الشيطان رغم تحذيره تعالى إياهـم هو الذي أدى بهـم إلى سوء المصيـر، وفي النص خـاطبهم بأنهـم بنو آدم تذكيـرا لهم بعداوة الشيطان لآدم، وتوعده أبناءه بالإضلال ليكـونوا من أصحاب السعير، وجاء التعبير عن إطاعة الشيطـان بعبادته، لأن من مظـاهر العبادة ومقوماتهـا الطاعة، مع دخـول عبادة غير الله تعالى في مضمون عبادة الشيطان، ودخول الإلحاد أيضا و إنكار وجود الله فيه. ويبين التقريع في القول مـن تذكيره تعالـى الكافرين بأنـه حذرهم من الشيطـان ووصفه لهم بأنـه عدو لهم واضحة عداوتـه، ويؤكده ويبين جسـامة إثم الكافريـن ارتباط إطاعتهم الشيطـان بعصيانهم الله، وارتباط عبـادتهم الشيطان بكفـرهم بالله، فمفاد قـوله تعالـى «وإن اعبدوني هـذا صراط مستقيم» هو العلاقة المتناقضة بين عبادة الله وعبادة الشيطان وبين طاعة الله وطاعة الشيطان، فلا يكون متصورا في الأمـر الواحد أن يطاع الله تعالى وأن يطاع الشيطان. فـإذا كان تعالى قد

أمر الناس بعبادته وبين لهم أن هذا هو الطريق المستقيم الموصل إلى رضائه والجنة، فخالف المجرمون عن أمره وعبدوا الشيطان وأطاعوه فإنهم يكونون قد أعرضوا بإرادتهم عن الطريق المستقيم إلى الطريق المعوج الموصل إلى غضب الله وعذابه، فيكونون قد استحقوا بفعلهم العذاب المهين.

ثم إنه تعالى زاد فى تقريع الكافرين أو إنه يزيد فى تقريعهم فيما يكون فى الآخرة ببيانه لهم أنهم لم يتبينوا أنه قد أضل قبل المتأخرين منهم أقواما قبلهم حق عليهم العذاب ومنه عذاب الدنيا، مما كان مفترضا معه أن يحذروه، وهو ما لم يفعلوه ومن الاستفهام الإنكارى فى قوله تعالى «أفلم تكونوا تعقلون» وفيه إنكار عدم تبصرهم وفهمهم من آثار المهلكين أن إطاعتهم الشيطان هى التى أوجبت فيهم عذابه تعالى يبين زيادة إثم اللاحقين على إثم السابقين لعدم اتعاظهم بما عاينوا وعلموا .

ثم يبين تعالى عاقبة أمر المجرمين بما يؤمرون به ويعلنون، إذ يشار إلى جهنم ويخبر عنها بأنها العذاب الذى توعدوا به فأنكروه فيكون فى تعريفهم بأنها مصيرهم عذاب لأرواحهم، ثم يكون الأمر بإلقائهم فيها والاصطلاء بنارها مع بيان سبب ذلك «اصلوها اليوم بما كنتم تكفرون» فيكون سبب دخولهم النار والاصطلاء بها هو كفرهم بالله وكفرهم الرسل وما أرسلوا به ومنه كفرهم بيوم الدين وما يكون فيه من حساب وثواب وعقاب.

ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ ما يكون وقت الحساب، فقوله تعالى «اليوم نختم على أفواههم» معناه أنه تعالى يمنع المجرمين من أن يشهدوا لأنفسهم بألسنتهم عن إرادة منهم، قد يكون

هذا بالختم على أفواههم على الحقيقة، وقد يكون القول كناية عن منعهم من التكلم بألسنتهم ولا يمنع هذا من أن ينطق الله ألسنتهم وأفواههم بكلمة الحق شهادة منها على أصحابها تكون بغير إرادة من الكافرين، وقوله تعالى «وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون» مفاده أن أعضاء أجسام الكافرين تشهد عليهم، جاء التعبير عن شهادة الأيدي بالكلام لأن أغلب الفعل يكون منها فكأنها تخبر عما وقع منها من أفعال، وجاء التعبير عن كلام الأرجل بالشهادة لأنها فى مرتبة من عاين الفعل فإن كانت قد سارت بصاحبها إلى طريق الإثم فقد كانت مقسورة على هذا فتكون بمرتبة الغريب عن أدائه يكون شاهدا. وموضوع كلام الأيدى وشهادة الأرجل وسائر الأعضاء هو ما اكتسب صاحبها من الأفعال فى دنياه، ولما كانت أفعال الكافر آثمة، فإن الشهادة تكون عليه .

وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ فى بيان أمرين هو وقوع الكافرين والمكذبين بالبعث فى قبضته تعالى يوم القيامة على النحو الذى يقدر معه تعالى أن يعذبهم بعذاب من قبيل ما عذب به فى الدنيا أو ما يكون به العذاب فى الدنيا فضلا عما هو مقدر لهم من عذاب الحريق وهو عذاب الآخرة. والثانى هو استحقاقهم العذاب .

فيذكر تعالى أنه لو شاء أن يمحو أبصارهم لكان منه مسح عيونهم و إزالتها بالكلية أو إذهاب أبصارهم، فيكون أنهم لو أرادوا الاستباق وسلوك طريق اعتادوا سلوكه من قبل، لعجزوا عن هذا لافتقادهم حاسة الإبصار.

كما يذكر تعالى أنه لو شاء أن يعاقبهم بالمسخ لكان منه هذا، يمسخهم قردة أو خنازير أو حجارة أو غير هذا. يكون منه هذا وهم فى أماكنهم قائمون، فلا يستطيعون أن يمضوا إلى شيء أو مكان كانوا يقصدونه اختيارا بهيئاتهم، ولا أن يرجعوا إلى أماكنهم إن أبعدوا عنها. وقيل إنهم لا يقدرون على الرجوع إلى هيئتهم الآدمية .

وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى قدرته على مسخ الكافرين فإنه تعالى ذكر فى الآية دليلا على قدرته فى الخلق وهى أنه إذا عمر شخصا عمرا طويلا فإنه ينكسه فى الخلق، بمعنى أنه يضعف قواه الذهنية والبدنية من بعد قوة. وهذا معلوم علميا بهلاك الخلايا الحية التى يتكون منها نسيج الجسم، وبما يعترى الذاكرة من ضعف نتيجة أمراض الشيخوخة ومتاعبها إلا من رحم ربك.

وقوله تعالى ـ فى ختام الآية ـ «أفلا يعقلون» هو استفهام إنكارى لعدم تعقل المراد إثباته، وهو أن القادر على تنكيس المعمر فى الخلق قادر على مسخ من يشاء مسخه.

وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾
لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو فى نفى قول بعض الكافرين فى القرآن العظيم إنه شعر وإن رسول الله ﷺ شاعر، وفى آيات أن القرآن العظيم هو كتاب الله الذى أنزل على رسوله ﷺ لينذر به .

فنفيه تعالى أنه علم الشعر رسوله ﷺ يفيد أنـه ﷺ لم يكن شاعرا مطبوعا يقول الشعر دون أن يتعلم بحوره وكيفية نظمه، ويثبت أنه لم يتعلم الشعـر، فيكون مفاد هذا أنه لم ينطق بشعر من عنـده، كما أنه تعالى لم ينـزل عليه شعرا علمـه إياه فيكون القـول نفيا لصفة الشعـر عن القرآن العظيـم. وهذا أمر يـدركه العرب أربـاب القوافـى شكلا وموضـوعا، فليس القـرآن هو الكلام الموزون المقفى، وليـس مضمونه هو الخيال والمبالغة والكذب؛ ولهـذا بين تعالى أن القرآن العظيـم ذكر وقرآن مبيـن، فهو ذكر لله ولأحكـامه المنزلـة ، وهو كلام الله المتلـو المتعبد بتلاوته، والفاصل بين الحق والباطل على نحو ظاهر.

ثم إنه تعالى بين أنه أنزل القرآن على رسوله ﷺ لينذربه، فيفيد من الإنذار من كان ذا عقل يعى ويتدبـر، وصفه تعالى بـأنه من كان حيـا، لأن القرآن حياة النفوس، ويحـق وقوع العذاب المنذر به على الكافرين به، يكون المستفاد من المقابلة بينهم وبين الأحياء ، هو بيان أنهم فى حكم الموتى لعدم سماعهم كلام الله .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾

التفسـيـر:

قوله تعـالى ـ فى الآيـات ـ هو فى بيـان نعم الله التى أنعم علـى الناس بها بما يستـوجب شكره تعالى عليها، والقول هـو فى الكافرين عموما والمشركين بالله، جـاء الاستفهام فى قوله تعالى «أولـم يروا» للإنكار والتعجيـب والأمر الذى ينكره تعالـى على الكافريـن والمشركين أنهم لـم يعتبروا بما عاينوه من أنه تعالى خلق لمنفعتهم مما خلق بذاته بغير واسطة أنعاما، ثم

خولهم سلطة عليها بأن ملكهم إياها .

كما ذكر تعالى أنه ذلل ما خلق من الأنعام للإنسان فأذهب عنها وحشية الطبع فتم استئناسها فتمكن منها الناس ومنهم هؤلاء الكافرون، فاتخذوا منها الركائب والمأكول .

كما بين تعالى أن للإنسان في الأنعام فوائد أخرى فوق ركوبها وأكلها، منها ما هو معروف اليوم ومنه الإفادة من جلودها وحوافرها، وشرب لبنها، ومنه ما قد يتبينه الإنسان مع تقدم العلم. ثم إنه لما كان هذا مستوجبا من الإنسان شكر الله تعالى على هذه النعم فقد جاء قوله تعالى «أفلا يشكرون» مبينا أنه كان على الكافرين شكر الله على هذه النعم، وأنهم قد قصروا فى أداء حق هذه النعم من الشكر .

وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى نعمه التى أنعم بها على الناس مما كان مستوجبا منهم شكره تعالى، فإنه ـ فى الآيات ـ يبين موقف المشركين منه تعالى وقد نالوا من هذه النعم ما نالوا، فذكر تعالى أنهم ـ بدلا من توحيده وشكره ـ تجاوزوه تعالى إلى معبودات لهم وصفوها بأنها آلهة معتقدين أنها تنصرهم بمعنى أنها تحقق لهم النفع وتمنع عنهم الأذى .

ثم يثبت تعالى أن معبودات المشركين لا تملك شيئا مما اعتقده المشركون فيها، فليس فى مقدورها أن تحقق نصرهم الذى أملوه فيها. فكان واقع الحال أن المشركين قد جندوا

أنفسهم لخدمة هذه المعبودات حاضرين لعبادتها دونما نفع يعود عليهم من ذلك.

ثم إنه تعالى - بعد أن بين حال المشركين - خاطب رسوله ﷺ ناهيا إياه عن أن يحزن لما يسمع من قولهم. وقد يكون المراد بهذا قولهم إنه ﷺ شاعر، وقد يكون هو قولهم إن لله تعالى شركاء في الملك. ثم أتبع تعالى نهيه هذا بقوله «إنا نعلم ما يسرون وما يعلنون».

فذكر تعالى علة النهى عن الحزن، وهى أنه تعالى معذبهم بقولهم وبما انطوت عليه نفوسهم مما كان دافعا لهم على القول.

أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - عود إلى بيان أدلة قدرته تعالى على البعث، فيكون القول ردا على منكرى البعث من الكافرين والاستفهام فى قوله تعالى «أو لم ير الإنسان» هو للإنكار والتعجيب، فالقول ينكر على الكافرين أنهم لم يتبصروا مما ورد ذكره فى النص قدرته تعالى على البعث. والأمر الذى كان مفترضا الخلوص إليه هو أن من خلق الإنسان من نطفة من ماء مهين ثم كان منه بلوغ أشده فأصبح قادرا على المخاصمة والجدال بالحق والباطل، قادر على أن يبعث الأموات إلى الحياة فى الآخرة.

ثم يذكر تعالى صورة من صور الجدال بالباطل للكافرين المنكرين البعث، وهى ضربهم مثلا ليثبتوا به زعمهم الباطل أنه تعالى لا يبعث من فى القبور، وهو ما جاء به قولهم «من يحيى العظام وهى رميم» فكأنهم يرون أنه ليس أحد قادرا على هذا.

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يجيب سؤال المكذبين بالبعث بقوله لهم إن الذى يحيى العظام وهى رميم هو الذى خلقها أول مرة من العدم.

ثم أثبت تعالى أنه بكل خلقه عليم، ويتصور أن يكون هذا مما يقوله صلى الله عليه وسلم للمكذبين بأمر ربه .

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

أولا : الأسماء :

الشجر الأخضر: قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو «المرخ، والعفار» يتخذ من المرخ الزند العلوى ومن العفار الزند السفلى، ويسحق الأول على الثانى وهما خضروان فتنقدح النار.

ثانيا : التفسير:

جاء قوله تعالى ـ فى الآيات ـ بذكر دليل آخر على قدرته على البعث، وهو قدرته على توليد النار التى تحرق وليس مجرد شرر النار من سحق العود من شجر المرخ على مثله من شجر العفار وهما خضراوان يقطر منهما الماء. فالتناقض بين الماء الذى هو فى خضرة الشجر وبين النار يجعل خروج النار من الشجر الأخضر غير متصور، فيكون القادر على هذا قادرا

بالضرورة على إحياء الموتى.

كما أتبع تعالى هذا بذكر دليل آخر هو خلقه السماوات والأرض وما فيهن على عظمها وما يحكم عدم زوالها، وذلك لأن القـدرة على هذا تفيد بالضرورة القدرة على إعـادة خلق ما هو أهون من ذلك وأحقر وهو خلق الكافرين النشأة الأخرى.

وقد جـاء بيان ذلـك فى صيغـة استفهام منفـى، «أوليس الـذى خلق السمـاوات والأرض بقادر» ثم أجاب تعالـى على السؤال بقوله «بلى» والمعنى أنه تعالـى قادر على أن يخلق مثل المكذبين ثانية من بعـد الموت، وقوله تعالى «وهو الخلاق العليم» يفيد أنـه تعالى قادر على خلق ما هو أعظم من ذلك.

ثم إنه تعـالى بين أن ما يراه المكـذبون شيئا أجل علـى التحقق هو أمر هين عليـه تعالى ، بقوله «إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون» والمعنـى أنه تعالى يوجد ما يريد إيجاده بالكلمـة وحدهـا، وكما أن الكلمـة لا تصعب على المـرء الصحيح البـدن واللسان، فـإن ما صعب من الخلق لا يعدو أن يكون كلمة تقال .

ولهذا فإنه تعالى نزه ذاته عن أن يتصور فيـه العجز عن فعل شىء، وهو الذى بيده ملكوت كل شىء معلوم وغيـر معلوم. والذى يرجع إليه النـاس للحساب يوم الدين. فهو مـالك الدنيا والآخرة .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾

التفســـــير:

أقسم تعـالى بالمـلائكة فهم الصـافات صفا وهـم الزاجرات زجـرا، وهم التاليـات ذكرا. والتأنيث قد يكون لأن الواحد منها نفس وذات وهى مؤنثة، أوهو تأنيث لفظى.

ومعنى الصافـات يقبل أن يكون لقيامهـم على تنظيم صفوف الخلـق، أو لصفهم أنفسهم وفقا لدرجة قربهم من الذات. ومعنى الزاجرات هـو أنهم الذين يزجرون العباد عن المعاصى، والشياطين عـن استراق السمع، ومعنى التـاليات ذكرا هو أنهم الـذين يأتون بـالكتاب من الله يتلونه على النبى ﷺ، والذين يتلون آيات الله وكتبه على أنبيائه ورسله.

وجواب القسـم هو أن إله الخلـق واحد، وأنـه هو رب السماوات ورب الأرض ومـا بينهما ورب المشارق.

جاء اللفظ فى صيغة الجمع لأن مشارق الشمس هـى بعدد أيام السنة أو لأنها مائة وثمانون ، لأن المشارق تكون من رأس السرطان ـ وهو أول بروج الصيف ـ إلـى رأس الجدى ـ وهو أول بروج الشتاء ـ متحدة معها من رأس الجدى إلى رأس السرطـان، فباعتبـــار ما كـانت عليه وما عادت إليـه تكون مائة وثمانين. أو لأن للشمس مشـرقا كما أن للقمر مشرقـا، أو لأنه نظرا لكرويـة الأرض تتعدد المشـارق، أو لتعدد الشمـوس فى السمـاء وتعدد مجمـوعاتهـا تتعدد المشارق.

إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الدحـــور**: فى قوله تعالى «دحورا ولهم عذاب واصب» هو الطرد والإبعـاد .

٢ ـ **الواصب** : هو الدائم الذى لا انقطاع له .

ثانيا : التفســـــير:

مفاد قوله تعالى أنه جعل الكواكب ـ والمراد بها الكواكب والنجوم المشاهد ـ فى السماء الدنيا، أى القـريبة من الأرض، وإنها بـالنسبة لمن على الأرض إذا كـانت السماء الدنيـا لهم سقفا بمثابة الزينة لهذا السقف. كما أن من وظائفها منع المردة من الشياطين من بلوغ السماء وذلك لأن النيازك والشهب إنما تكـون مما انفصل عن الكواكب، ولهذا جاء قـوله تعالى «لا يسمعون إلـى الملأ الأعلـى ويقذفـون من كـل جانـب» بيانـا للوسيلـة التى يمنـع بها مـردة الشياطين عن بلوغ السماء وهى قذفهم ورجمهم بالشهب والنيازك من كل جانب فلا يقتربون

من السماء ولا يكون فى مقدورهم سماع الملائكة ـ وهم الملأ الأعلى ـ فيكون الشياطين بفعل رجمهم مطرودين مدحورين، وليكون تعذيبهم بما يقذفون به دائما مستمرا كلما حاولوا الاقتراب من السماء إلى أن يكون عذابهم الدائم فى الآخرة .

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الخطفة** : المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الكلمة أو القول من كلام الملائكة

٢ ـ **الثاقب** : فى قوله تعالى «فأتبعه شهاب ثاقب» المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو المضىء، كأنه يثقب بضوئه ظلام الغلاف الجوى للأرض .

ثانيا : التفسير :

استثنى تعالى من الحكم العام المذكور في الآية الثامنة وهو منعه على الشياطين الاستماع إلى حديث الملائكة من يختلس كلمة من حديث الملائكة ينزل بها إلى الأرض فيخبر بها الكهنة والسحرة مما يكون من أقدار الناس، فيقول بها هؤلاء بعد أن يضيفوا إليها من عندياتهم الكثير فيؤمن الناس لهم ويعتقدوا قدرتهم على التنبؤ .

ذكر تعالى أن من يفعل هذا من الشياطين يقذف أو يرجم بشهاب ثاقب يحرقه ولا يميته .

والمتصور أن ذلك كان مقدورا للشياطين قبل بعثة رسول الله ﷺ ثم امتنع عليهم بعد البعثة .

﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنْ خَلَقْنَا ۚ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ۝١١﴾

التفســـــير:

لما كان تعالى قد بين قدرته على خلق ما عظم من الخلق، وأظهر سلطانه على الملائكة التى ترجم الشياطين بالشهب إذا ما اقتربوا من السماء، وقدرته على مردة الشياطين إذ منعهم من استراق السمع، ولما كان الكافرون قد عتوا فى أنفسهم عتوا كبيرا واعتقدوا قوتهم وجبروتهم، فإنه تعالى أمر رسوله، ﷺ أن يستخبرهم أهم الأقوى خلقا أم من خلق من الملائكة ومردة الشياطين.

فيكون المراد هو إظهار ضعفهم وهوانهم، وهو ما أثبته تعالى بعد ذلك ببيان أنه خلقهم من طين لازب وهو الملتصق أو المتخمر.

بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا
ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴿١٤﴾ وَقَالُوا
إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا
لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾

التفســـــير:

الخطاب فى الآيات إلى رسول الله ﷺ، وهو فى شأنه تعالى مع المكذبين بيوم الدين، فيقول له تعالى إنه ﷺ تعجب من أنه كان منهم بعد أن رأوا الآيات الدالة على قدرته تعالى على البعث أنهم أنكروه، وأنه كان من المكذبين فى المقابل السخرية مما قيل لهم أنه يكون بعث بعد الموت، وسخرية مما قيل لهم فى التدليل على هذا.

ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن المكذبين إذا ما وعظوا بالإيمان بالبعث وأبديت لهم الأدلة

على حدوثه وقدرة الله عليـه، يكون منهم عدم الاتعاظ وعدم الاقتناع بالأدلـة من فرط جهلهم وضلالهم. ثم يضيف تعالى قوله فـى فعل آخر لهم وهو أنهم إذا رأوا معجزة لرسول الله ﷺ أو دليلا على صدقه سخروا من المعجزة وسخروا من الدليل بقولهم فيه إنه سحر.

ثم يكـون منهم إنكـار البعث والنشـور صراحـة بقولهـم «أئذا متنا وكنـا ترابـا وعظامـا أئنا لمبعوثون» والمعنى أنهم ينكرون أن تكون قيامة لأجساد فنيت وعظام بليت وبعث للروح فيها من بعد مفارقة لها. وينكرون بالمثل أن يبعث آباؤهم الأولون. وذلك لإنكار البعث أصلا .

قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ ﴿١٨﴾
فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا يَا وَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ
الدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ الْفَصْلِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾

التفسـير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يجيب على سؤال المكذبين بالبعث عما إذا كانوا يبعثون من بعد الموت ويبعـث آباؤهم الأولون بـالإيجاب، ثم بيـن لهم أن هذا البعـث يكون لهم صاغـرين أذلاء. ثم بين تعالى أن البعث يكون أثرا لزجرة واحدة، والمراد بها هو النفخة الثانية في الصور يترتب عليها قيامهم من مراقدهم أحياء مبصرين.

ثم يـذكر تعالـى أنه يكون مـن هؤلاء المكذبيـن حال قيـامهم من مـراقدهم أنهـم ينادون بالويل بعد علمهم بما يكون لهم من العذاب، ليكـون قول الملائكة لهم تقريعا لهم وتوبيخا هو «هذا يوم الفصـل الذى كنتم به تكذبون» بمعنـى أنه اليوم الذى يقضى فيه بـالحق والذى كذب به الكافرون الذين أنكروا يوم القيامة وما يكون فيه .

■■■■■

ﭐحْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ اللَّهِ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات الثلاث ـ هو أمره تعالى للملائكة فيما يكون منهم مع المكذبين يوم الدين، ويتصور أن يكون من قول الملائكة بعضهم لبعض. ومضمون أمره تعالى إلى الملائكة أو قول بعض الملائكة لبعضهم الآخر هو مباشرة فعل حشر المكذبين بالدين وأزواجهم الذين هم على شاكلتهم من الكفر والتكذيب، ومعبوداتهم من الأصنام التى عبدوها من دون الله تعالى ، ليكون دفعهم إلى الطريق الموصل إلى الجحيم، والقيام على حبسهم فى الموقف وذلك لتحقق مسئوليتهم عن عقائدهم الزائفة وأعمالهم السيئة .

مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٧﴾ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَا إِنَّا لَذَائِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَاكُمْ إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى باقى ما يكون مع المكذبين يوم القيامة وما يكون بين بعضهم والبعض وبين بعضهم وأوليائهم أو آلهتهم التى عبدوها من دون الله، وما يكون منه تعالى معهم .

يذكر تعالى أنه يقال لهم «ما لكم لا تناصرون» يقال لهم القول من الملائكة، أو يقال لهم ولمعبوداتهم، أو لهم ولرؤسائهم الذين أضلوهم.

ومن القول يبين أنهم كانوا فى الدنيا يتناصرون وأنهم فى الآخرة لا يتناصرون، ولهذا يتعجب الملائكة من حلول التنافر محل التناصر.

ثم يذكر تعالى أنه يكون منهم جميعا الاستسلام لما أريد بهم أو أن بعضهم يسلم البعض للهلاك. ويذكر ما يكون بينهم فيبين تعالى أنه يدور حوار بين التابعين والمتبوعين، يحاول فيه التابعون أن يلقوا تبعة ضلالهم على المتبوعين فيقولون لهم إنهم كانوا يأتونهم عن اليمين، والمعنى أنهم يأتونهم من جهة الخير، بمعنى أنهم يزينون لهم الكفر ويظهرونه لهم خيرا، أو أنهم كانوا يتفضلون عليهم بالخير لإغوائهم بالكفر.

ثم يذكر تعالى أن المتبوعين يجيبونهم بأنهم لم يكونوا مؤمنين أو قابلين للإيمان بذواتهم، والمعنى أنهم يتنصلون من تبعة الإلقاء باللوم عليهم ويلقون به على عاتق التابعين، ثم يؤكدون هذا بأنه لم يكن لهم على تابعيهم سلطان يقسرونهم به على إطاعتهم فيما يطلبونه منهم، ثم يتهمون التابعين بأنهم كانوا طاغين، جاوزوا الحد فى الكفر مختارين.

وقول «فحق علينا قول ربنا، إنا لذائقون» هو قول المكذبين جميعا ضالين ومضلين، أو تابعين ومتبوعين، بعد أن تبين لكل من الفريقين أنه قد قارف ما يستحق به العذاب. كذلك فإن القول «فأغويناكم إنا كنا غاوين» يفيد إقرار المتبوعين بأنه كان لهم دور فى إغواء تابعيهم بالكفر فيكونون قد أغووهم كما غووا ليكون المستفاد هو استحقاق الفريقين العذاب؛ ولهذا جاء قوله تعالى «فإنهم يومئذ فى العذاب مشتركون» وهو بيان منه تعالى لاستحقاق الفريقين العذاب وحلوله بهما.

ثم بين تعالى أن هذا لم يخرج عما جرت به سنته تعالى وهى أنه يجازى الكافرين المكذبين ـ وصفهم بأنهم المجرمون ـ بما يكون منهم من كفر وعصيان.

■■■■

إِنَّهُمْ
كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا
لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾

التفسير:

يبين تعالى ـ فى الآيات ـ ما استحق به المكذبون أن يوصفوا معه بأنهم المجرمون.

فيذكر تعالى أنهم عندما كانت كلمة التوحيد تقال لهم بالدعوة والتلقين، كانوا يستكبرون فى أنفسهم فلا ينطقون بها، ثم يبدون سبب إعراضهم عن النطق بها وهو رفضهم الانتهاء عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم ترتيبا على نفى الألوهية عن آلهتهم، متهمين رسول الله ﷺ داعيهم إلى التوحيد بأنه شاعر مجنون .

ثم يذكر تعالى ماهية رسوله ﷺ ويشهد له قول الحق، وهو أنه جاء بالحق من ربه وهو القرآن العظيم ودين الإسلام، وأنه صدق المرسلين، آمن بهم أنبياء مبعوثين من الله، وجاء على نحو ما بشروا به أقوامهم فكان تصديقا بصحة ما بشروا به.

إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير:

القول مما يقال لمكذبى الرسل الكافرين، ومعناه أنهم معذبون عذابا أليما لا خلاص لهم منه ، وأنه ليس إلا الجزاء الذى يستحقونه على تكذيبهم الرسل وكفرهم وأعمالهم السيئة.

إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٤٣﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾

التفسـير:

بعد أن يعلن تعالى المكذبين الكافرين بأنهم ذائقو العذاب الأليم جاء قوله تعالى «إلا عباد الله المخلصين» استثناء من ذوق العذاب ، وفيه جاءت« إلا » بمعنى «لكن» لتبين أن المكذبين وحدهم هم ذائقو العذاب وليس عباد الله الذين أخلصوا دينهم ، ثم إنه تعالى يشير إلى عباده المخلصين ويخبر عنهم أن لهم رزقا معلوما بمعنى أن صفاته معلومة ، ومنها أنه لا مقطوع ولا ممنوع ، لذيذ الطعم ، طيب الرائحة ، ثم بينه تعالى بأنه فواكه بمعنى أنه إنما يؤكل لمجرد التلذذ به وليس لاحتياج الجسم إليه ، يناله أصحاب الجنة وهم مكرمون لا يشقون من أجل الحصول عليه ولا يلحقهم بسبب ذلك هوان وعلة ذلك أنهم فى جنات النعيم التى ليس فيها إلا ما يتنعم به وليس منه الشقاء ولا الهوان . ثم بين تعالى أحوال هؤلاء المكرمين فى الجنة فذكر أنهم يكونون على سرر يقابل بعضهم بعضا للاستئناس بالحديث.

يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍۭ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾

أولا : الأسماء :

الغول : فى قوله تعالى « لا فيها غول » هو الغائلة ـ أى الفساد ـ والمراد به ـ فى معنى الآية

ـ هو الضرر، وقيل هو الصداع ، وقيل هو السكر .

ثانيا : التفسير :

مفاد قوله تعالى ـ في الآيات ـ أن أهل الجنة الجالسين على السرر متقابلين ، يطاف عليهم بالشراب ، والطائفون عليهم هم خدم أهل الجنة ، أو هم الولدان المخلدون ، يطوفون عليهم بكؤوس خمر مجلوب من عيون في الجنة « معين » وصف تعالى الكؤوس بأنها بيضاء لذة للشاربين ، فهي بيضاء لشدة بياض لون الخمر الذي لا يشبه خمر الدنيا ، وجاء وصفها بالمصدر «لذة» مبالغة فيى بيان أنها تلذ شاربيها . ثم وصفها تعالى بأنها لا تضر شاربيها ولا تذهب عقولهم «لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون»

وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾

أولا : الأسماء :

العين : في قوله تعالى « قاصرات الطرف عين » جمع ، مفرده « العيناء » وهي الواسعة العينين في جمال .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ في بيان نعمة أخرى يتنعم بها عباد الله المخلصون في الجنة والمراد بهم الذكور .

يذكر تعالى أنه يكون لديهم أزواجا في الجنة يقصرن أبصارهن على أزواجهن المؤمنين ، أو أن أحدا غير أزواجهن لا يمتد إليهن بصره ، أو أنهن ذابلات الأجفان ، ومن صفاتهن جمال عيونهن الواسعة التي تسر أنظار أزواجهن .

ثم إنه تعالى وصف صفاء لون بشرتهن ونقاءهن وعدم المسساس بهن من قبل أحد قبل عباد الله المخلصين بالبيض الذي كنه الريش في العش ، يكون محفوظا من أن يتغير لونه

بشيء من الصفرة من أثر التعرض لاختلاف الضوء والظلمة عليه ومن العبث به من قبل جنس الحيوان.

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٥٠
قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ۝٥١ يَقُولُ أَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ۝٥٢ أَإِذَا
مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣ قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ
۝٥٤ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ۝٥٥

التفسـير:

المستفاد من قوله تعالي ـ فى الآيات ـ أن القول يتعلق بما يدور من أحاديث بين أهل الجنة المتقابلين فى الجلوس على السرر خلال شربهم من خمر الجنة ، جاءفيه الفعل «يتساءلون» لإفادة تعلق الحديث ـ في جانب منه ـ بتذكر ما كان فى الدنيا وسؤال من سبق فى الموت من تأخر عنه عما حدث من أمور بعد موته . كما جاء الفعل « أقبل » فى صيغة الماضى مع تعلقه بأمر مستقبل لبيان حتمية حصول المخبر عنه .

والوارد فى القول أن الحديث يدور على الشراب بين أهل الجنة ومنه سؤال وجواب ومنه أن أحدهم يقول إنه كان له صاحب فى الدنيا من المكذبين بالبعث يسخر منه لإيمانه بالبعث فينكر عليه ذلك بقوله « إئنك لمن المصدقين » ثم يبدى له حجته الدالة على عدم حدوث البعث ـ برأيه ـ بإظهار عدم تصور أن يكون من بعد الموت وصيرورة لحم الجسد ترابا وبقاء العظم إلى حين تحلله ، أن يكون من بعد هذا قيام للأجسام وبث الروح فيها ليكون حساب وجزاء ، وقوله تعالى « قال هل أنتم مطلعون » يتصور فيه أن يكون القائل هو الله أو أحد الملائكة بأمره تعالى ، ومعناه هو عرض مشاهدة حال المكذب بالبعث على

المتحدثين، ويتصور فيه أن يكون القائل هو ذات المتحدث المخبر عن الحدث عرض على إخوانه أن يريهم حال قرينه هذا الذى روى لهم قصته . وقد تكون رؤية أهل النار ممكنة لهم بوقوفهم على الأعراف أو بوجود طاقات فى الجنة ينظرون منها فيشاهدون أهل النار ، أو بغير ذلك من الوسائل التى أوجدها الله لهم .

ثم يذكر النص أن المتحدث اطلع على أهل النار ، والمعنى أنه اطلع ومن كان يحادثهم فى أمر قرينه ، فشاهد قرينه فى الدنيا هذا فى وسط الجحيم .

قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾
وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾

أولا : الأسماء :

المحضرون : فى قوله تعالى « لكنت من المحضرين » المراد بهم - فى معنى الآية - الذين أحضروا أو جىء بهم من أجل أن يعذبوا .

ثانيا : التفسير :

يذكر تعالى - فى الآيات - قول المؤمن الراوى قصة قرينه ، الذى يقوله له حال رؤيته إياه فى سواء الجحيم ، يقسم له أنه كاد بما وسوس به إليه فى الدنيا أن يرديه فى هاوية التكذيب لولا أن تداركه الله برحمته ، أشار إلى هذه الرحمة بوصفه إياها بأنها نعمة أنعم بها تعالى عليه، وأنه لولا أن أنعم الله بها عليه لكان شأنه أنه كان من الذين أحضروا للعذاب .

ثم يكون منه الاستهزاء بقرينه وتوبيخه على ما كان منه مبينا له فساد عقيدته وعلمه بهذا بمعاينته العذاب ، وذلك عن طريق إعادة قوله الذى كان يقول فى الدنيا ، فى استفهام

إنكارى ، ينكر فيه عليه ما كان يقول من أنه لا تكون حياة بعد الموت ، ولا يكون حساب وعذاب ، وفى وصف الموتة بأنها الأولى « إلا موتتنا الأولى » قيل إن المؤمنين - حين يبعثون - يعتقدون أنهم يموتون من بعد البعث إلى أن يذبح الله الموت فيعلمون أنهم يخلدون ، فيكون القول من المؤمن قبل ذبح الموت. ولا نستطيع أن نقبل هذا - والله أعلم - لأن المؤمنين قد علموا فى دنياهم من الكتاب أنهم يخلدون . ونرى أن المؤمنين إنما يتحدثون عن الواقع الصحيح وهو أنه ليس سوى ميتة واحدة ، فلا يعنى وصفها بـ « الأولى » أن هناك ثانية ، أو أن الكافرين هم الذين اعتقدوا أنهم ما داموا قد حيوا ثانية فإنه لابد أن يكون موت من بعد هذه الحياة ، فيكون القول مبينا جهلهم نتيجة عدم إيمانهم بالكتاب . ثم إن قول المؤمن « وما نحن بمعذبين » هو استهزاء آخر من المكذب بالبعث وتوبيخ على قوله فى الدنيا إنه لا يكون من بعد الموت حساب وجزاء . يقوله له بعد أن تأكد المكذب من أنه وأمثاله معذبون .

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ﴿٦١﴾

التفسير:

يتصور فى القول أن يكون قول المؤمن تتمة لحديثه ، والأظهر أنه قوله تعالى يعلم فيه رسوله ﷺ أن جميع ما أخبر به أنه يكون للمؤمنين بدءا من قوله تعالى « أولئك لهم رزق معلوم» هو الفوز العظيم ، فيكون المشار إليه هو ما أعد للمؤمنين من خير فى الآخرة ، والمخبر عنه أنه هو الكسب الذى لا يعد معه أى كسب جديرا أن يدعى كذلك ، مع وصف هذا الخير المعد للمؤمنين بأنه عظيم .

ثم بين تعالى أن الصحيح هو أن يعمل الناس لنيل هذا الخير ، فلا يكون عملهم ابتغاء نفع غيره ، لأن كل نفع ينالهم غيره من خير الدنيا هو قليل بالقياس إليه ، ثم إنه زائل بالموت أو بانقضاء الدنيا ، حين أن خير الآخرة عميم ، وخالد لا يفنى .

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

شجرة الزقوم : هى شجرة تنبت فى الأرض الجدباء ، معروفة فى إقليم « تهامة » بالجزيرة العربية ، أوراقها صغيرة كريهة الرائحة إذا قطعت أو جرحت خرج منها سائل فى لون اللبن إذا أصاب جسم الإنسان ورم والتهب .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى ما أعد للمؤمنين من رزق معلوم فى الآخرة ، فإنه تعالى قارن بينه وبين طعام الكافرين المكذبين فى النار فى الآخرة ، جاء الاستفهام فى القول ، وموضوعه المفاضلة بين الطعامين من قبيل التهكم بالكافرين والتوبيخ لهم على اختيارهم هذا الطعام المؤذى وهو « شجرة الزقوم »

ثم قال تعالى إنه جعل شجرة الزقوم فتنة للظالمين ، وهم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وبتكذيبهم رسول الله ﷺ ، وقد كانت فتنة لهم فى الدنيا لأنهم حين أخبروا أنها تنبت فى الجحيم ليأكلوا منها ، سخروا من هذا لإنكارهم أن يكون هناك شجر فى النار ومن صفاتها أنها تحرق الأشجار، ثم إنها فتنة لهم فى الآخرة لأن الأكل منها يكون محنة وعذابا لهم.

ثم بين تعالى أن شجرة الزقوم المذكورة فى النص تنبت فى قاع الجحيم لتمتد أغصانها إلى دركاتها ، ثم وصف طلعها ـ وهو أول ما تخرج لإنتاج الثمار ـ بأنه يشبه رؤوس الشياطين ، والمراد بهذا هو إثبات قبح منظر الطلع ، لأن العرب كانت تقرب المثل فى القبح برأس

الشيطان ولـم يشاهدوه ، لأنـه لما كان مـن الشيطان الضرر المحـض ، كان تصور هيئتـه أنها القبح ذاته مجسدا .

فَإِنَّهُمْ لَآكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾

أولا : الأسماء :

الشوب : فى قولـه تعالى « لشوبا من حميـم » هو « الخليط » والمراد بهـ فـى معنى الآيةـ هو الشراب المكون من سائل ومن حرارة شديدة أو شيء ذى حر شديد .

ثانيا : التفسير :

لما ذكر تعـالى أنه جعل شجرة الـزقوم عذابا للكافريـن في الآخرة ، فإنه بيـن في الآية أن التعذيب بها يكـون بأكلهم منها إلى أن تمتلىء بطـونهم ـ على ما يكون فـى هذا من عذاب ـ قد يكون هذا لفرط جوعهم أو لإجبارهم على هذا .

ثم يذكر تعالى أنهم من بعد أكلهم منها يشربون على ما أكلوا شرابا ممزوجا بالحميم .

وقوله تعـالى « ثم إن مرجعهـم لإلى الجحيم » قد يفيـد معنى أن مصيرهم الـدائم هو إلى الجحيم ، وقـد يفيد معنـى أنهم يخـرجون من الجحيـم إلى مكـان يشربـون فيه الحميـم ثم يرجعون إلى الجحيم .

وقد يؤيد هذا المعنـي قوله تعالى « هذه جهنم التى يكذب بها المجـرمون ، يطوفون بينها وبين حميم آن » .

■■■■■

إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ
ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ
كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى مبتدئه ـ هو فى كفار مكة المكذبين ، يذكر تعالى أنهم حين وجدوا فى الحياة صادفوا آباءهم ضالين عن الحق إلى الباطل ، والمعنى أنهم وجدوهم كافرين .

ثم يذكر تعالى أنهم أسرعوا فى الاقتداء بآبائهم دون إعمال عقولهم ، فكان إسراعهم إلى الاقتداء بآبائهم فى الكفر سببا حال بينهم وبين الإيمان لرسول الله ﷺ.

ثم ذكر تعالى أنه قد كان من قبل هؤلاء الكافرين المكذبين من قومه ﷺ من كذب الرسل وبقى على الكفر، وأن هؤلاء المكذبين السابقين كانوا أكثر من المؤمنين .

ثم بين أنه تعالى قد بعث فى هذه الأمم السابقة رسلا منذرين ، وأن عاقبة الذين كذبوا رسلهم كانت إهلاكهم بالعذاب ، وهو معنى قوله تعالى « وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ».

والقول تضمن معنى طلب النظر فيما حاق بالمكذبين من العذاب نتيجة تكذيبهم الرسل والاعتبار به .

ثم بين النص أنه تعالى قد خلص من الهلاك بالعذاب عباده الذين أخلصهم له بتوفيقهم إلى الإيمان والعمل الصالح .

■■■■■

وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥ مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُۥ هُمُ ٱلْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿٨٢﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى ـ فى إجمال ـ أنه عاقب مكذبى الرسل فى الأمم السابقة بالهلاك، وأنه أنجى من الهلاك عباده المخلصين، فإنه تعالى شرع فى الآيات، فى ذكر قصة من قصص مكذبى الرسل المهلكين، والناجين من العذاب من عباد الله المخلصين.

والقصة هى قصة نوح عليه السلام مع قومه، كان البدء بذكرها من قصص المكذبين والمؤمنين لكونه عليه السلام أسبق المذكورين زمانا، ولكون قومه أول المعذبين المذكورين بالهلاك.

ومفاد قوله تعالى هو أن نوحا عليه السلام نادى ربه داعيا على مكذبيه من قومه بالهلاك، ولنفسه ولمن آمن له بالنجاة

وقوله تعالى « فلنعم المجيبون » معناه هو « فوالله لنعم المجيبون نحن »، والمراد أنه تعالى أجابه إلى ما دعا به أحسن الإجابة.

ثم إنه تعالى أوجز نتيجة إجابته دعاءه ببيان أنه تعالى أنجاه وأهله ـ والمراد بهم الذين آمنوا له من قومه ومن أهل بيته ـ من الغم الشديد، يشمل إساءة الكافرين لهم ويشمل عذاب الله الذى حل بالقوم وهو الأظهر، لوصفه الكرب بأنه عظيم.

ثم أتبع تعالى هذا ببيان أنه جعل ذرية نوح عليه السلام هم الباقين، وهم أبناؤه سام وحام ويافث وذرياتهم، وقد يكون منهم ابن المغرق من ولده وذريته، لدى من قال بوجوده في السفينة. ولدى من يقول إنه تعالى أهلك جميع من على الأرض إلا هؤلاء، فإن جميع الناس يكونون من ذريته عليه السلام، ولدى من يرى أن الطوفان لم يشمل الأرض جميعها - لأنه عليه السلام لم يرسل للناس كافة - فإنه يكون من الناس من ليس من ذريته عليه السلام، وعلى القولين فإن مفاد النص هو أن أبناء الذين كانوا مع نوح في الفلك لم يعقبوا خلفة أعقبت نسلا بقى بعد موتهم.

ثم ذكر تعالى أنه ترك على نوح عليه السلام « ثناء فى الأمم الأخرى »، إذ يثنى عليه من اليهود والنصارى كما يثنى عليه من أمة رسول الله ﷺ، بل إننا لنجد في آداب الأمم القديمة إشارة إلى قصة الطوفان وإليه عليه السلام وإن لم يذكر باسمه مع الثناء عليه، نجد ذلك فى ملحمة جلجامش، وفى الأدب السومرى القديم، والفارسى والهندى. ثم جاء سلامه تعالى على نوح عليه السلام « سلام على نوح فى العالمين » مثبتا سلامه تعالى عليه فى العالمين من الملائكة ومن الإنس والجن، وذلك ليسلم الناس عليه اقتداء بربهم، ثم ذكر تعالى علة سلامه عليه بقوله « إنا كذلك نجزي المحسنين » فبين أنه من أهل الإحسان، دعا إلى الله تعالى وصبر على أذى المكذبين كما بين أن هذا هو جزاء المحسنين، ثم ذكر تعالى علة كونه عليه السلام من المحسنين بذكره أنه كان من عباد الله المؤمنين، والمعنى الذين كمل إيمانهم، فيكون القول مدحا لإخلاص الإيمان والعبودية لله تعالى.

ثم بين تعالى أن نجاة نوح والذين آمنوا من أهله وقومه كانت من الغرق الذي أهلك باقى قومه الكافرين « ثم أغرقنا الآخرين » وقيل إنه كذا كانت « ثم » - فى القول - للتراخى فإنها تفيد أن نجاته عليه السلام ومن معه كانت متأخرة عن الإغراق، ونرى عكس ذلك - والله أعلم - وهو أنها كانت بأسبابها - وهى الركوب فى السفينة - سابقة على الإغراق، ويتصور ألا تكون « ثم » للتراخى، وإنما للتعديد.

■■■■■

﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ فى ذكر رسول من رسله الذين تعرضوا لتكذيب أقوامهم وهو إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وصفه تعالى بأنه من شيعة نوح عليه السلام ، والمعنى أنه كان على عقيدته التى نادى بها وهى عقيدة إسلام الوجه لله وتوحيده ، أو أنه كان على شريعته إذ أنه تعالى أنزل على نوح شريعة ـ أنسيت من بعد ـ لم ينسخها سوى الشريعة التى أنزلت على موسى عليه السلام ، فكان عليها إبراهيم عليه الصلاة والسلام .

وقيل إن الضمير فى « شيعته » يعود إلى رسول الله ﷺ ، فيكون المعنى هو أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام من شيعة محمد ﷺ ، وهو بعيد المعنى ، والقول الأول أظهر .

وفى مشايعة إبراهيم عليه الصلاة والسلام نوحا عليه السلام ، ذكر تعالى أنه جاء ربه بقلب سليم ، بمعنى أنه اتجه إلى الله تعالى وعبده بقلب خال من الشرك والعقائد الباطلة ، أخلص لله .

ثم يذكر تعالى من أفعال إبراهيم عليه السلام التى أتاها بحكم سلامة قلبه ما كان منه مع أبيه وقومه ، وقد كان أبوه من عبدة الأصنام ، حين كان آخرون من قومه من عبدة الأجرام السماوية والكواكب والنجوم .

فيكون المستفاد مـن القول أنه عليه الصلاة والسلام اتجـه بالقول إلى الفريقيـن . سألهم عما يعبـدون ، ولما كـان عالمـا بما يعبدون ، فقـد ظهر أن السـؤال هو لإنكـار عبـــادتهم ما يعبدون ، ولبيـان أن معبوداتهـم ليست جـديرة أن تعبد ثـم كان منـه صلى الله عليـه وسـلم تقريعهم على عبـادتهم إياها مع بيان أنهـم بعبادتها يقصدون إفكا ، أو إنهم يعـدون أفاكين . فقوله « أئفكا آلهة دون الله تريدون » معناه « أتريدون آلهة من دون الله لأجل الإفك » .

ثم أتبع هذا ببيـان ضلالهم وعدم معرفتهم الله حـق المعرفة ، فقوله لهم « فمـا ظنكم برب العالمين » هو بمثابة تصريح بأنهم يعتقدون أنـه تعالى له شركاء ، أو أنه يقبل شفاعة آلهتهم ، وكلا الاعتقادين خطأ وضلال ، فهم قد ظنوا فى الله غير الحق .

وقوله تعالى « فنظر نظرة فى النجوم فقال إنى سقيم » هو ذكر لحدث حدث أو واقعة وقعت منه عليه الصلاة والسلام .

قيل فيها إنه دعى إلى حضور عيد للمشركين فاعتذر من عدم حضوره بأن النجوم تخبر من أنه يصاب بمرض . ونرى ـ والله أعلم ـ أن ذلـك كان منه عليه الصلاة والسلام تمهيدا لإثبات بطلان عقيدة تأليه الكواكب والنجوم وعبادتها .

فقد جرى منهجـه فى إثبات بطلان العقيـدة من منطلق فعل مـا يفعل المؤمنون بهـا كما فعـل مع أصنـامهم حيـن قـال « بل فعلـه كبيرهـم هذا » فكـان منـه أن فعل مـا يفعله عبـدة الكواكب الـذين يعتقدون أنها تقـدر أقدار البشر ، نظر إلى النجـوم ثم قال إنها تـدل على أنه سيصاب بمـرض ، وذلك تمهيدا لمـا يكون منه مع ظهـور الكوكب ثـم القمر ثم الشمـس وما يكون منه عند أفولهـــا .

ثم يذكر النص أن قـومه حين قال لهم هذا أعرض القوم عنه وتركـوه ، وذلك لأنه لإيمانهم أن الكواكـب تخبر عن الغيـب اعتقدوا صحة مـرضه فخشو العـدوى ، أو لشعورهم أنـه عليه الصلاة والسلام أنهى حديثه معهم الذى لم يرق لهم فانصرفوا عنه .

■■■■

فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمۡ فَقَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمۡ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيۡهِمۡ ضَرۡبَۢا بِٱلۡيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقۡبَلُوٓاْ إِلَيۡهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعۡبُدُونَ مَا تَنۡحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآيات ـ هو في فعل إبراهيم عليه الصلاة والسلام في الأصنام يذكر تعالى أنه ذهب إلى أصنامهم أو أنه مال إليها في سيره ، ثم توجه إليها بسؤال كأنها مما يسمع ويعقل ويجيب ـ على ما جرى عليه فعله من البدء من نقطة انطلاق معينة هي فعل ما يفعل المؤمن بالعقيدة الباطلة توطئة إلى إثبات فسادها وبطلانها ـ وقيل إن القوم كانوا قد وضعوا أمام الأصنام طعاما .

والسؤال الذي وجهه إلى الأصنام هو « ألا تأكلون » ثم قال لها « ما لكم لا تنطقون » فأثبت أنها لا تأكل وأنها لا تنطق ، فهي ليست من الأحياء ، ثم أثبت عدم مقدرتها عن رد الأذى عن نفسها بأن مال عليها ضربا بيمينه التي هي القوية ، أو لكون اليمين موضع الحق والعدل .

وهذا هو الضرب الذي جعل الأصنام جذاذا أو فتاتا ، ثم أقبل عليه عابدو الأصنام يختالون فكان من جرأته في الحق أنه لم يخش غضبتهم بل بادرهم بقوله « أتعبدون ما تنحتون » فهو ينكر عليهم أنهم يؤلهون ويعبدون ما تنحت أيديهم من أصنام .

وكان قوله هذا فيما يبدو ردا على قولهم « من فعل هذا بآلهتنا » ثم إنه لم يكتف بهذا بل سفه عقيدتهم وبين أن المنطق والمعلوم ينكرانها بقوله « والله خلقكم وما تعملون » فهم وأصنامهم المعبودة مخلوقون من الله ، فلا يحق لأحدهما أن يعبد الآخر من دون الله .

ثم إنهم هم الذين يصفون معبوداتهم ، فإذا كان لمعبود أن يشكر معبودا فإن واجب الشكر يكون على معبوداتهم لهم لأنهم الذين يصنعونها .

فيكون القول مثبتا حق الله تعالى وحده أن يعبد - بحكم المنطق - وفساد منطق عبادة المشركين ما يصنعون من أصنام.

قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآيتين - أنه بعد أن انهال إبراهيم عليه الصلاة والسلام ضربا على الأصنام ، وبعد أن وبخ عابدى الأصنام وعرض بهم وبجهلهم ، أن قومه تآمروا عليه فقال بعضهم لبعض بوجوب بناء بنيان توقد فيه النار فيلقى فيها فتكون حوائطه أسوارا يحيط بالنار الموقدة والملقى فيها .

والظاهر من القول أنه قد وقعت الموافقة على هذا القول وجرى تنفيذه ، كان ذلك مكرا من المشركين بإبراهيم واحتيالا عليه ، فأنجاه الله مما فعلوا ، وجعلهم الأسفلين ، بمعنى أنهم المندحرون المغلوبون، أو بمعنى أصحاب الدرك الأسفل من النار.

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴿١٠١﴾

التفسير:

الواقعات التى أوردتها نصوص الآيات وقعت بعد نجاة إبراهيم عليه الصلاة والسلام من

النار، قال إنـه ذاهب إلى ربه سيهديـه، أكد بقوله «سيهديـن» أنه ذاهب إلى ربه وأنـه تعالى سيهديه.

فيكون المستفاد أنه أوحى إليه بهذا من ربه. وفى ذهـابه إلى ربه فلما أنه كان مع الله بقلبه وإيمانه، فيكون معنى ذهابه إلى ربه هو انتقاله إلى مكان آخر، قد يكون هو مصر وقد يكون هو الشام، إذ انتقل عليه الصلاة والسلام إلى المكانين. وذلك ليكون فى هجرته إلى الله هداية له إلى ما يحبه تعالى ويرضاه.

ثم إنـه سأل ربه أن يهبه بعـض الصالحين يصـدقونه ويتبعـونه. وقد يكون المستفـاد من «الفاء» فى قوله تعالى «فبشرناه» أنه ترتيبا على دعـائه ربه بهذا الدعاءبشرناه بأنه يكون له ولد حليم، والمراد به إسماعيل عليه السلام، فيكون أمـة من الصالحين وحده يعين أباه، ولا يمنع هذا أن يوهب له غيره من المؤمنين الصالحين .

وقـد وصـف تعـالى الغـلام المبشر بـه بالحلـم، والمعنى أنـه يكون حليمـا صبورا وهـو لا يـزال غلامـا، وقد كان هذا خلق إسماعيـل عليه اسللام الذى أطاع أباه إلـى حد الرضوخ للذبح .

فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعْىَ

قَالَ يَٰبُنَىَّ إِنِّىٓ أَرَىٰ فِى ٱلْمَنَامِ أَنِّىٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٠٢﴾

التفسـيـر:

يفيد قولـه تعالى ـ فى الآيـة ـ أن البشارة بالـولد تحققت وأن المولود بلـغ حد السعى أى المرحلـة السنية التى يستطيـع فيها أن يسعى إلى رزقـه، كما يفيد أنـه آمن لأبيه عليـه الصلاة والسلام فكان صالحا، كما كان حليما.

والمعنى أنه عندما بلغ الغلام مرحلة السعى كان سعيه مع أبيه، فهو سعى لله تعالى وفى سبيله، كان من إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه رأى فى منامه رؤيا تمثلت فى أنه قائم على ذبح ابنه فاعتبرها واقعا وأمرا من الله لأن رؤيا الأنبياء حق، أو أنه رأى رؤيا يكون تأويلها ذلك، وأنه عليه الصلاة والسلام أخبر ابنه بهذا فطلب منه الرأى فيما يكون من أمر تنفيذ ما رأى فى رؤياه، أو ليعد نفسه لما هو ملاقيه. فكان من ابنه أنه قال له «يا أبت افعل ما تؤمر، ستجدنى إن شاء الله من الصابرين» ومن القول يبين إيمان الابن لنبوة أبيه، وإيمانه بأن الرؤيا هى أمر من الله تعالى واجبة إطاعته، وأنه لشدة إيمانه لم يجزع لما علم أنه حادث به، بل إنه ـ فوق هذا ـ أخبر أنه سيصبر بإذن الله على الذبح .

فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٠٥﴾

التفسير:

يقول تعالى ـ فى الآيات ـ أنه عندما استسلم إبراهيم عليه الصلاة والسلام لأمر الله بالذبح، وكان من إبراهيم أنه ألقى ابنه إلى الأرض وجبينه إليها، نودى إبراهيم ـ والمعنى أنه ناداه ملك بأمر ربه ـ وكان النداء باسمه، وفيه أعلن بأنه قد صدق الرؤيا، أى أنه قد انصاع لأمر ربه مع ما فيه من شدة على النفس، وفيه بيان لعلو درجة إيمانه. ثم جاء قوله تعالى «إنا كذلك نجزى المحسنين» بمثابة تبشير بانتهاء الاختبار بالمحنة، وبيان لعلة ذلك وهى كونه عليه الصلاة والسلام من المحسنين الذين يجزيهم الله تعالى أحسن الجزاء .

وفى شأن الابن الذى أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام بذبحه، قيل إنه «إسحاق» واستدل على هذا بأقوال للعباس بن عبد المطلب وابنه عبد الله، ولعبد الله بن مسعود، ولعلى بن أبى

طالب وعبد الله بن عمر، وقيل هو قول عمر رضى الله عنهم، كما استدل عليه بأن إبراهيم عليه الصلاة والسلام إنما بشر بإسحاق «وبشرناه بإسحاق» ، فيكون المعنى أن الرؤيا قد وقعت قبل أن ينكح إبراهيم هاجر وقبل أن يولد له إسماعيل. وقيل إنه إسماعيل عليه السلام، قال بهذا أبو هريرة ، وروى عن ابن عمر وابن عباس، ويؤيده من الواقع أن واقعة الذبح كانت بمكة، ولم يحدث أن دخل إسحاق مكة.

كما يؤيده أنه تعالى وصف الابن بأنه «غلام حليم» أى أنه يكون صابرا، وأنه تعالى وصف إسماعيل بالصبر بقوله «وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين».

كما يؤيده أنه تعالى فى تبشير إبراهيم بإسحاق قال «وبشرناه بإسحاق نبيا» بمعنى أنه أعلم من البداية أنه يعيش حتى يوحى إليه ويصير نبيا» فلا يستقيم مع هذا أن يكون الأمر بذبحه غلاما.

كما أنه تعالى بشر سارة أنها تنجب إسحاق وأنه ينجب يعقوب «فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب» فلا يستقيم مع هذا أن يكون الأمر بذبح إسحاق غلاما .

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ
عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾
كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١١١﴾

أولا : الأسماء :

الذبح العظيم : فى قوله تعالى «وفديناه بذبح عظيم» الذبح هو الحيوان الذى يذبح، والمراد به ـ فى معنى القول ـ هو الكبش الذى ذبحه إبراهيم عليه الصلاة والسلام بدلا من ابنه.

قيل إنه وصف بالعظم لأنه كان من عند الله، وقيل لأنه من كباش الجنة، وقيل لأنه جرت به السنة أن يذبح مثله إلى أبد الدهر.

ثانيا : التفسير:

يقول تعالى إن اختبار إبراهيم عليه الصلاة والسلام بأمره أن يذبح ابنه كان اختبارا من الله تعالى وابتلاء ظاهرا.

ثم يذكر تعالى - في تفسير الجزاء الذى جعله للمحسنين - أنه فدى الغلام بحيوان يذبح بدلا منه، هو الكبش الذى أنزله تعالى بواسطة ملك ليذبحه إبراهيم بدلا من ابنه .

ثم يذكر تعالى أنه ترك لإبراهيم عليه الصلاة والسلام مأثرة عند اللاحقين عليه أنهم يسلمون عليه تسليما، فهذا ما يفعله المسلمون وما تقوم به اليهود والنصارى، إذ كل يتشرف بانتسابه إليه أو بانتمائه إليه ويسلم عليه تسليما.

ثم يذكر تعالى أن هذا هو جزاء المحسنين، ثم يخص إبراهيم عليه الصلاة والسلام بالثناء مبينا أنه من عباده المؤمنين .

وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَٰرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰٓ إِسْحَٰقَ ۚ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾

التفسير:

يقول تعالى إنه بشر إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه يولد له ولد يدعى إسحاق وأن حاله فى قضاء الله وتقديره أنه يكون نبيا وأنه يكون من الصالحين .

ثم يذكر تعالى أنه تفضل بالبركات على إبراهيم عليه الصلاة والسلام وعلى إسحاق وهى

بركات الدنيا والآخرة، وجميعها ببركة الدين الحق إسلام الوجه لله وتوحيده.

ثم بين تعالى أنه يكون من ذرية إبراهيم ومن ذرية إسحاق. من يكون مؤمنا صلح عمله، ومن يكون كافرا ظلم نفسه بالكفر والعمل بالمعاصي. فيكون ظلمه نفسه واضحا ظاهرا.

وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾
وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ
ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ
ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - في نبيين آخرين من أنبيائه تعالى الذين تعرضوا لتكذيب المكذبين الذين أوضح تعالى فعله بهم جزاء على تكذيبهم الرسل وعلى كفرهم كما أوضح نصره رسله.

فيذكر تعالى أنه من على موسى وهارون بنعمه الكثيرة، أجلها نعمة النبوة، ومنها المعجزات التي أيدهما بها، ثم بين تعالى أنه أنجاهما وقومهما من الكرب العظيم وهو استعباد فرعون القوم وقتله أبناءهم، وقد يكون منه الغرق الذي نجى منه بنو إسرائيل وأهلك فرعون ومن معه.

ثم ذكر تعالى أنه نصر موسى وهارون عليهما السلام أو نصرهما وقومهما على فرعون وجيشه، بإنجائه تعالى موسى وهارون وقومهما وإهلاكه فرعون وجيشه بالغرق، وبين أنه بنصره تعالى إياهم كانوا هم الغالبين، وأنه لولا هذا لغلبهم فرعون وجنوده.

ثم يذكر تعالى أنه آتى موسى وهارون الكتاب الذى بين أحكام العقيدة والشريعة، والمراد هو التوراة التى أنزلت على موسى بعد أن أنجاه الله من فرعون، وبين تعالى أنه كان بها هداية قوم موسى وهارون إلى الطريق المستقيم لتضمنها عقيدة التوحيد وتبشيرها برسول الله ﷺ ودعوتها للإيمان له، فتكون بشارة بالإسلام الطريق المستقيم الموصل إلى رضاء الله وجنته.

ثم يذكر تعالى أنه نزل على موسى وهارون سلام من يأتى بعدهم، وهم النصارى والمسلمون، فالنصارى يؤمنون أن شريعة موسى عليه السلام هى شريعتهم لم تنقض، فيسلمون على موسى وهارون، والمسلمون يؤمنون برسل الله وكتبه فيسلمون على موسى وهارون.

ثم يثبت تعالى أن هذا هو جزاء المحسنين عنده تعالى ، ويبين أن موسى وهارون من عباده تعالى المخلصين الذين أخلصوا دينهم و إيمانهم .

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٢٦﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

إليـاس : هو - فى قول - إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيازر بن هارون عليه السلام، من سبط «لاوى» من بنى إسرائيل.

وقيل إنه من أقارب يوشع بن نون. كان وجوده بعد وفاة يوشع بن نون، وبعد أن ملك بنو إسرائيل فلسطين. ومن النص يبين أنه نبى أرسل إلى قومه.

ثانيا : التفســـــير:

يذكـر تعالـى - فى الآيـات - أن إلياس عليـه السلام هـو من أنبياء الله الـذين أرسلـوا إلى أقوامهم برسالات من الله تعالى، وأنه أنذر قومه بعذاب الله تعالى إذا هم لم يتقوه ، طالبا منهم الانتهاء عما يغضب الله عليهم، وهو عبادتهم البعل وفـى كتاب العهد القديم الذى بين أيدينا اليوم أن البعل «هو البعليـم»، وأن بنى إسرائيل عبدوه وعبدوا «عشتاروت» معه ـــ على ما جاء فى الإصحاح الثانى مـن سفر القضاة - ثم إنه عليه السلام وبخهم علـى عبادة البعل وتركهم عبادة الله تعالـى، وصفه بأنه أحســن الخالقين، دون أن يعنى هـذا أن هناك خالقين آخـرين، و إنما فى إشارة إلى أنهم يصنعون البعل تمثالا ثم يعبـدونه، فهم صانعوه صناعة ناقصة لأنه يخلو من الحياة، فيبقى تعالى وحده هو الخالق خلقـا فيهم الحياة، ثم بين أنه تعالى هو ربهم ورب آبائهم الأولين، فهو الـذى رعاهم وحفظهم من أعدائهم كما كان منه تعـالى - من قبل - مع آبائهم السابقين .

فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ
﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

إل ياسين : قيل هو إلياس عليه السلام، و إنه لغة فـى الاسم ذاته، وقيل هو اسم أبيه، وقيل هو جمع «إلياس» فيكون المراد به هو التابعون لإلياس وهم قومه وذريته .

ثانيا : التفســـــير:

مفاد قوله تعالى - فى مبتدأ القول - أن قـوم إلياس عليه السلام كذبوا أنه نبى من الله تعالى وأنهم لـم يستجيبوا لدعـوته، وأنـه نالهم بسبـب ذلك عذاب، جـاء التعبير عنـه بقوله تعـالى

«فإنهم لمحضرون» لبيان أنهم أحضروا للعذاب أو أنهم يحضرون يوم القيامة للعذاب. وفى كتاب العهد القديم الذى بين أيدينا اليوم أن الله تعالى غضب عليهم فدفعهم إلى أيدى أقوام آخرين نهبوا أموالهم وأخذوهم أسرى، وباعوهم عبيدا، وأنهم لم يستطيعوا الوقوف أمام أعدائهم آنذاك، إلى أن تاب الله عليهم. ثم إنه تعالى استثنى من العذاب الذى عاقب به المكذبين هؤلاء الذين أخلصوا لله الدين.

ثم يذكر تعالى أنه ترك لإلياس حسن الذكر من أقوام آخرين يسلمون عليه، ومن ذلك تسليم المسلمين عليه بحكم إيمانهم بجميع الأنبياء والرسل وسلامهم عليهم. كما بين أن هذا هو جزاء المحسنين عنده تعالى حسن الذكر، ثم أثبت له أنه عليه السلام من عباده المؤمنين الذين كمل إيمانهم.

وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْءَاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ انتقال إلى ذكر قصة نبى آخر ممن كذبوا، وبيان لما حاق بالمكذبين من العذاب جزاء على تكذيبهم رسولهم.

يثبت تعالى أن لوطا عليه السلام كان نبيا مرسلا، ثم يذكر تعالى أنه أنجاه وأهله جميعا إلا عجوزا نالها من العذاب ما نال القوم، والمراد بها زوجه عليه السلام.

ثم يبين من القول أن النجاة كانت من الدمار الذى أصاب الآخرين، وهم الذين كذبوه عليه السلام الذين أهلكوا بالعذاب.

وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾

التفسير:

الخطاب - في الآيتين - لأهل مكة وهو توبيخ لهم لعدم اعتبارهم بما نال الذين كذبوا لوطا من العذاب المهلك، رغم معرفتهم به وبسببه، ومعاينتهم أثره لدى مرورهم بمكان قرية سدوم في سفرهم إلى الشام داخلين في الصباح، وفي المساء.

والمنكر عليهم الذي استحقوا به التوبيخ هو عدم تعقلهم الأمر، وعدم خشيتهم أن يصيبهم من العذاب مثل ما أصاب الذين كذبوا لوطا عليه السلام، إذا ما استمروا على تكذيب رسول الله ﷺ.

وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾

أولا: الأسماء والأعلام:

١ - يونس: اسم علم، وهو نبي الله يونس، وهو يونس بن متى، وفي كتاب العهد القديم هو يونان. وقد سبق بيانه.

٢ - المدحضون: في قوله تعالى «فكان من المدحضين» جمع، مفرده «المدحض»، اسم مفعول من «دحض - يدحض» بمعنى غلب، والمعنى أنهم المغلوبون.

٣ - المليم: في قوله تعالى «وهو مليم» هو من دخل في الملامة، بمعنى أنه أتي بما يستحق به أن يلام.

ثانيا : التفســــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيات ـ هـو فى ذكر قصة يونـس عليه السلام، أثبت تعالى ـــ فى مبتدأ القول ـ أنه كـان نبيا مرسلا من الله تعالى، ثم ذكـر تعالى أنه هرب من قومـه مبتعدا عنهم بغير إذن ربه على ما هو واجـب على الأنبياء من أنهم لا يهاجرون إلا بأمر ربهـم، كما بين أن هروبه كان إلى سفينة قد امتلأت بما هو مقدر لسعتها، وقـوله تعالى «فساهم فكان من المدحضين» فيه إيجـاز ما جرى فـى السفينة حين تـوقفت عن السير ثـلاث مرات ـ علـى ما قيل ـــ أو أنها أوشكت على الغرق فقال البعض إن فيها من حل عليـه غضب ربه أو إنه قيل إن حملها يزيد على طاقتها بما استـوجب على الحالين ـ إلقاء البعض منها، يكـونون هم المغضوب عليهم من ربهم، أو الذين يجـب التخلص منهم لنجاة السفينة، ثم كان إخراج هـؤلاء بطريق القرعة بأن يلقى كل فرد سهمه ليخرج سهم المشؤوم أو الذى يجب التخلص منه.

ومن القول يبين أن يونس عليه السلام كان ممن خـرجت سهامهم باعتبارهم الذين يجب التخلص منهم، وأنه ألقى فى البحر.

ثم يبيـن تعالى أنـه من بعد إلقـائه فى البحر ابتلعه الحـوت وحاله أنـه كان قد اقتـرف ما يستحق عليه اللـوم، وأنه لولا أنه عليـه السلام كان من الذيـن يسبحون الله كثيرا لما كـانت له نجاة مـن بطن الحوت، والمراد بقـوله تعالى «للبـث فى بطنه إلـى يوم يبعثون» هو بيـان طول الأمد الذى كان يظل فيـه فى بطن الحوت، وقد يكون المعنى أنه يهضـم كطعام للحوت، ثم يفنى بموت الحوت إلى أن يبعثه الله مع الخلق يوم القيامة .

۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿١٤٨﴾

أولا : الأســماء :

١ - الســقيم : فى قوله تعالى «وهو سقيم» هـو من به سقم» من مرض أو ضعف. والمراد به ما كان بجلد جسمـه عليه السلام من ضعف ووهن، قد يكون فيمـا نرى والله أعلم من آثار العصارة الهاضمة فى بطن الحوت .

٢ - اليقطين : فى قوله تعالى «شجرة من يقطين» هو القرع، من خصال شجرته أنها تصلح لأن يستظل بها ويحتمى لعظم ورقها، ولأن فيها برد الظـل والملمس. وقد يكون غيرها، سماه الله تعالى باسمها فى الآية .

ثانيا : التفســير :

بدأ القول - فى الآيات - بذكر ما كان مـن بعد التقام الحوت يونس عليه السلام، ومن بعد ذكره تعالى أن تسبيح يونس كان سببا لنجاته من البقاء فى بطن الحوت .

والمذكور أنه تعالى نبذ يونس بالعراء وحـاله حال المريض الضعيف. والمعنى أنه تعالى أمر الحـوت أن يلفظه من جوفـه ففعل فألقاه فـى بقعة من الأرض جدبـاء، وهو فى حالـة من الوهن والضعف ظـاهرة قيل إنها تمثلت فى ضعـف جلده وهو ما قد يكون مـن آثار العصارة الهاضمة التـى تعمل على إذابة الطعام ليكون امتصـاصه، وأنه تعالى أنبت عليـه شجرة تظله من يقطين تحميه من الحرارة وتقى جلده الواهن الضعيف حرارة الشمس .

إنه تعالى عاد إلى ذكـر مبتدأ قصة يونس مع أهله وقومه من قبـل واقعة التقام الحوت إياه، فذكر أنه تعـالى أرسله نبيا إلى قوم يبلغ عـددهم مائة ألف نسمة أو ما يزيـد على هذا العدد. والذى نراه - والله أعلم - أن مفاد القول أنه تعالى بعثه من بعد هذا إلى هؤلاء القوم - وهم أهل نينوى - وأنه كان منهـم الإيمان الصحيح بعد هذا الإرسال الثانى، لايمنـع منه أنهم آمنوا بعد أن رأوا علامات الهلاك. فـى الإرسال الأول أو يكون الإيمان الثانى هو الإيمـان الكامل وليس الإيمان المبنى على الخوف من الهلاك ويؤيده قولـه تعالى «فمتعناهم إلى حين» بمعنى أنه تعالى متعهم إلى انتهاء آجالهم فى الدنيا، وهو ما كان من بعد الإرسال الثانى.

فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾

التفسـير:

الخطاب ــ فى الآيتين ــ إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر بتبكيت القائلين من الكافرين ـ بطريق الاستفتاء ـ أنه جعل الملائكة إناثا، وأن الملائكة بنات الله، وهو قول قبائل جهينة وخزاعة وبنى سليم وبنى مليح.

لأن المعنى أنه يكون تعالى قد جعل للناس البنين وحرم نفسه ذلك، ثم بين أن قولهم هذا باطل وأنه لاسند لهم يدل على صحته، بدلالة أنهم لم يشهدوا خلق الملائكة.

ثم إنه لما كان القول بأنه تعالى لايتصور منه أن يختص ذاته بإنجاب البنات قد يعتقد فيه أنه لاينفى أنه تعالى يتخذ البنين أولادا، فقد جاء نفى هذا بطريق القطع فى الآيات اللاحقة.

أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٥٢﴾

التفسـير:

جاءت الآيتان لإثبات إمعان القائلين باتخاذه تعالى الولد فى الإفك وقول الزور بإثباته أن القائلين بهذا يقولونه من فرط كذبهم، ثم يقطع تعالى بكذبهم.

فيكون المعنى هو نفى اتخاذه تعالى الولد على سبيل القطع .

﴿أَصْطَفَى ٱلْبَنَاتِ عَلَى ٱلْبَنِينَ ١٥٣ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ١٥٦ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبِكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ١٥٧﴾

التفسـير:

بعد أن أثبت تعالى خطأ من يدعى أنه تعالى اتخذ ولدا، فإنه تعالى بين أن الذين يقولون إن الملائكة بنات الله من قبائل العرب قد جاوزوا العقل بما قالوا، لأن معناه أنه جعل صفوة خلقه الإناث، وأنه جعلهم لنفسه، ولما كان الأول غير صحيح، فقد لزم أن يكون الثانى غير صحيح أيضا.

ثم أثبت تعالى مخالفة هذا القول للمعقول بقوله «ما لكم كيف تحكمون» وهو إنكار لما يقولون مما يخالف العقل، ثم ينكر عليهم عدم تبينهم بطلان قولهم «أفلا تذكرون» .

ثم يبين تعالى أنه ليس لديهم دليل على ما يقولون ولا حجة، فيكون المراد بالاستفهام فى قوله تعالى «أم لكم سلطان مبين» هو تقرير انعدام دليلهم على ما يقولون» أتبعه بتحديهم أن يأتوا بدليل من كتاب لديهم يخبر عن هذا، وهو طلب تعجيزى، لأنه من المستحيل أن يأتوا بمثل هذا الدليل.

ولهذا يكون قوله تعالى «إن كنتم صادقين» هو من قبيل إقامة الحجة على كذبهم فيما يدعون على الله» .

■■■■■

وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الجنة: قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم الملائكة ، لأنهم لا يرون، أو لأنهم القائمون على الجنان. وقيل هم بطن من بطون الملائكة. وقيل هم الجان الذين قال بعض الكافرين إن الله تعالى صاهرهم فتزوج من بنات كبارهم وأنجب منهن الملائكة .

٢ ـ النسب : يتصور فيه أن يكون المصاهرة التى قال بها بعض الكافرين أنها كانت بزواجه تعالى من بنات الجن، ويتصور فيها أن تكون بمعنى قرابة النسب لدى القائلين بأنه تعالى وإبليس أخوان، كان تعالى للخير وكان إبليس للشر. وهذا القول متأثر بعقيدة المجوس من وجود إلٰهين: أحدهما للخير هو «هرمز» والآخر للشر وهو «هرمن»، ومتأثر أيضا بالأسطورة المصرية القديمة التى جعلت من «أوزوريس» إلها للخير ومن أخيه «ست» إلٰها للشر.

ثانيا : التفسير:

يقول تعالى إن الكافرين المخصوصين بالنص الذين زعموا أن الملائكة بنات الله قد جعلوا بينه تعالى وبين الجان مصاهرة بتزوجه تعالى من بناتهم وإنجابه منهن الملائكة. أو أنه تعالى تزوج من الملائكة وأنجب فبينه تعالى وبينهم علاقة مصاهرة، أو أنه وإبليس أخوان.

ويتصور أن يكون المراد بالنسب ـ فى معنى الآية ـ هو الصلة والمناسبة وهى استحقاق العبادة، أشركوا الجن فى العبادة بأن عبدوها معه تعالى.

ثم إنه تعالى يثبت أن الجنة علمت أنهم لمحضرون، والمعنى أنهم يحضرون للعذاب يوم القيامة. وعلى معنى أن الجنة هم الملائكة يكون المحضرون هم الذين زعموا أن بينه تعالى وبينهم نسبا. وعلى معنى أن الجنة هم جنس الجان فإن المراد بالمحضرين يكون هو الجان الذين زينوا للكافرين هذا القول .

ثم إنه تعالى ينزه ذاته عن القول الباطل الذى قاله الكافرون فوصفوه تعالى بما لايليق بذاته من زواجه من بنات الجن أو من الملائكة .

ثم إنه تعالى استثنى من المحضرين للعذاب عباد الله المخلصين، وهم الذين طهر الله قلوبهم من رجس الشرك والكفر، الذين عجز الشيطان عن إغوائهم بقوله «لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين» .

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾﴾

التفسـير:

الخطاب ـ فى الآيات ـ بدأ موجها إلى المشركين الذى عبدوا الأصنام والذين عبدوا الشياطين بإطاعتهم يخبرهم الله تعالى أنهم وما يعبدون من دون الله من أصنام وشياطين غير مستطيعين أن يغووا من الناس إلا من قدر تعالى أن يكون من المعذبين الذين يصلون الجحيم، فيكون القول تأكيدا لاستثنائه تعالى عباده المخلصين من المحضرين يوم القيامة للعذاب .

﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الصافون** : جمع، مفرده «الصاف» وهـو من صف نفسه فى مجموعـة من جنسه أو من صف غيره.

٢ ـ **المسبحون** : جمع، مفرده «المسبح» وهو من سبح الله تعالى بتنزيهه عما لا يليق به، أو القائل «سبحان الله» وقيل إن المراد بهم هو «المصلون».

ثانيا : التفســـــير :

القول هو قوله تعالـى وهو ذكر لقول الملائكة، ذلك أنه تعالى لمـا كان قد ذكر فى الآيات السابقة أن المشركين ومعبوداتهم فى مرتبة واحـدة من حيث إغوائهم الناس بالشرك، وكانت الملائكة هى من معبـودات بعض المشركين، فقد جاء نص الآيات ليـدل على خروجهم من زمرة معبودات المشركين المـذكورة فى الآية ١٦١، فأثبت تعالى أن المـلائكة تقول إنه ليس منهـا ملك إلا لـه مقام معلـوم عند ربـه لا يجـاوزه، أو له مكـان للعبادة لا يستطيـع مجاوزتـه وتخطيـه .

ثم إنها وصفت نفسها بأنها التى تتم صفوفها الأولى وتتراص في الصف وتستوى عند ربها عابدة. أو أنها التى تصف أجنحتها فى الهواء فى انتظار ما تكلف به من أوامر، أو الصافة حول العرش.

كما وصفـت نفسها بأنهـا المسبحة، بمعنى القـائمة بتسبيح الله تعـالى أو عبادتـه. فيكون قولها منطويا على تكذيب القائلين إنها بنات الله .

وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾
لَوْ أَنَّ عِندَنَا ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾
فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ عود إلى الحديث فى شأن كفار مكة، يثبت أنهم دأبوا على الكذب، فيذكر تعالى أنهم كانوا يقولون قبل أن يبعث تعالى رسوله ﷺ بالهدى ودين الحق، أنه لو كان تعالى قد أنزل إليهم كتابا مثل ما أنزل على الذين من قبلهم ـ وهم اليهود والنصارى ـ لكانوا قد آمنوا وأخلصوا لله دينهم.

ثم يذكر تعالى أنهم كفروا به، والمعنى أن الكتاب قد أتاهم وأنزل إليهم ـ وهو القرآن العظيم ـ وأنهم كفروا به، وهذا يخالف قولهم السابق، ثم توعدهم تعالى سوء العذاب يكون عاقبة كفرهم بالقرآن العظيم .

وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾
إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو تأكيد لحصول ما توعد به تعالى الكافرين من العذاب بتقريره تعالى أنه سبق به القول، وأن القول كان للرسل الذين لا ينطقون بالكذب.

فيكون المعنى أن قوله تعالى هو الحق. والقول هو أن الرسل ينصرون على الكافرين، والمعنى هو انتصار دعواتهم، وهو بحكم المآل، فإن مات أحد الأنبياء المرسلين قبل انتصاره على عدوه، فإن النصر يكون بانتشار دعوته بعد موته، يكون نصرا له.

فيكون القول وما بعده من أنه تعالى سبقت كلمته بانتصار جنده على الكافرين وعدا للمؤمنين بالنصر على الكافرين.

وفى القول نسب تعالى جنود المؤمنين إليه تعالى تشريفا لهم وبيانا لأنهم يحاربون فى سبيل الله.

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾﴾

التفسـير:

الخطاب - فى الآيتين - إلـى رسول الله ﷺ يأمره تعالى أن يعرض - صابرا - عن الكافرين إلى وقت معين، يتصـور فيه أن يكون هو انتهاء مدة وقف القتال ويتصـور أن يكون يوم بدر، أو يوم الفتح، ويتصور أن يكون يوم القيامة.

ثم يعلمه تعـالى أنه سيبصرهم وهم فـى أسوأ حال، وهو حال القتل والأسـر أو حال العلم بالعذاب.

جاء التعبير عن هذا بصيغـة الأمر بالإبصار، كما يعلمه تعالى أن الكـافرين سيبصرون عند حلول أجل انتهاء الإعراض عنهم نصره ﷺ عليهم، أو ما أعد لهم من العذاب يوم القيامـة.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾
فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ
﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾
وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الساحة : فى قولـه تعالى «فإذا نـزل بساحتهم» هى ساحـة الدار، أو العرصة الـواسعة فيه، وهى كل مكان واسع بالمعنى العام.

ثانيا : التفســـــير :

الخطاب ـ في الآيات ـ بدأ موجها إلى رسول الله ﷺ، جاء في صيغة استفهام عما إذا كان الكافرون يستعجلون وقوع العـذاب الذي توعدوا به بهم، استخفافا منهم بـالوعيد، والمراد هو إنكاره تعالى عليهم استعجالهم العذاب وتوبيخهم عليه.

ثم بين تعالى جهلهـم ببيان أنه متى حل بهم ونزل بساحتهم كـان بئس الصباح صباحهم وذلك لحلول العذاب الذي أنـذروا به بهم ـ ثم إنه تعالى أمر رسـوله ﷺ أن يعرض عنهم إلى حين وقوع العذاب بهم.

فيكون القول تأكيدا لوقوع العذاب بالكافرين. ثم جاء قوله تعالى «وأبصر فسوف يبصرون» تأكيدا آخر لوقوع العذاب بالكافرين وأنه ﷺ سيبصره أو يعلمه سواء أكان عذاب الدنيا أم كان عذاب الآخرة، كما أن الكافرين سيبصرون العذاب المعد لهم ويعرفونه .

ثم إنه تعالـى نزه ذاته عن كل ما وصفـه به المشركون مما ورد ذكره فـي السورة مما لا يليق بمقام ذاته. مبينا أنه تعالى هو صاحب العزة وأنـه العزيز بذاته، لا يؤثر فيه ولا ينتقص من قدره ما يصفه به المشـركون، كما شرف الرسل بـالسلام عليهم، وبين أن صفاته العليـا جل جلاله تستوجـب وتستتبع أن تكون فعـاله بخلقـه عظيمة في التفضيـل عليهم بالنعـم بما يستـوجب حمده وشكره؛ ولهذا جاء إثبات أن الحمد لله رب العالمين .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾

التفسـير:

بدأت السورة بقوله تعالى «ص» وفى معناه قيل: إنه فعل أمر من الفعل صاد يصادى، والمعنى هو: عارض يعارض، وليست هى المعارضة بمعنى التضاد لكنها المعارضة التى تكون بالمماثلة، كما هو الحال فى المعارضة فى الشعر، بأن ينشأ الشاعر قصيدة من ذات البحر وبذات القافية وفى نفس المعنى مماثلة لقصيدة أخرى .

فيكون المعنى هو: ليكن عملك بالقرآن مماثلا ما جاء فيه من الأوامر والنواهى، وقيل: إنها حرف من الأحرف أو من أسماء الأحرف الراجح فى شأنها أنها من المتشابه من القرآن، ثم جاء قوله تعالى : «والقرآن ذى الذكر» قسما بالقرآن، وصفه تعالى بأنه ذو الذكر.

والمعنى: أنه يرفع ذكر وشرف من يؤمن به ومن يتلوه مؤمنا به، فبه يرتفع ذكر المؤمن، ثم إن المقسم عليه هو أن الذين كفروا بالقرآن العظيم فى عزة وشقاق.

والمعنى أنهم قد اغتروا فى أنفسهم واعتزوا بها عن كذب وكبر، فكانوا فى جانب وكان الحق فى جانب آخر، أو أنهم فى جانب وهو تعالى ورسوله ﷺ فى جانب آخر.

■■■■

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴿٣﴾﴾

أولا : الأســـماء :

المناص : فى قوله تعالى «ولات حين مناص» هـو: الخلاص بمعنى الخلاص مما فيه شر أو ضرر، قد يكون بالتأخر، وقد يكون بالفرار أو بغير ذلك بالوسائل التى تؤدى إلى الخلاص.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو وعيد للكافريـن الذين اغتروا فى أنفسهم بأنه تعالى معذبهم أو مهلكهم بعذاب من عنده جزاء لهم على كفرهـم. مثل لهم بمن سبقهم من الأمم التى كفرت رسلها وكذبتهـم، ويبين من كم وهـى للاستفهام عن العـدد أن المراد بها هو بيـان كثرة الأمم المهلكة بسبب كفرهم وتكذيبهم الرسل، ثم بيـن تعالى أنه كان منهم أنهم يستغيثون أو أنهم ينادون معلنين تـوبتهم ولكن حين لاتنفـع استغاثة ولا تجدى تـوبة والمعنى هو ضـرورة وقوع العذاب والهلاك بهم.

﴿وَعَجِبُوا أَن جَاءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ الْكَافِرُونَ هَٰذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ الْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَاحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾

التفســـير:

قوله تعالى هو فى كفار مكة ، يذكر تعالى أنهم قد أنكروا أن يكون المنذر بشرا من بينهم أو واحدا منهـم وتعجبوا من ذلـك، كما يذكـر تعالى أنهـم قد اتهموا رسـول الله ﷺ بأنه سـاحر كذاب، والمعنى أنه قـد جاء بالقرآن الذى يشبه بـزعمهم ما يكونه السحر أو أنـه يفعل به فعل السحرة من التفريق بين الناس.

وأنه قد كذب على ربه إذ نسب القرآن العظيم إليه تعالى. ثم إنه تعالى يذكر من أقوالهم أنهم قد استفهموا منكرين عن جمعه الآلهة المتعددين بزعمهم فى إله واحد، والمعنى هو: إنكارهم عقيدة التوحيد، ثم إنهم أبدوا تعجبهم من عقيدة التوحيد هذه بزعم أنها شىء عجاب، أى أنه مفرط فى كونه أمرا عجيبا .

وَٱنطَلَقَ ٱلۡمَلَأُ مِنۡهُمۡ أَنِ ٱمۡشُواْ وَٱصۡبِرُواْ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمۡۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٞ يُرَادُ ۝٦ مَا سَمِعۡنَا بِهَٰذَا فِي ٱلۡمِلَّةِ ٱلۡأٓخِرَةِ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا ٱخۡتِلَٰقٌ ۝٧

أولا : الأسـماء :

١ ـ المـلأ : المراد بهم أشراف الكافرين، قيل إنهم أبو جهل وشيبة، وعتبة أبنا ربيعة بن عبد شمس وأمية بن خلف والعاص بن وائل، وأبو معيط .

٢ ـ **الملة الآخرة** : قيل إن المراد بها فى معنى الآية هو النصارى باعتبار أن المسيح عيسى ابن مريم هو الرسول الذى سبق رسول الله ﷺ، وقيل: إن المراد هو آباء الكافرين الذين ماثلهم أبناؤهم .

ثانيا : التفسـير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن أشراف قريش وكفار مكة انطلقوا مهاجرين بيت أبى طالب وذلك بعد أن طلبوا منه أن ينصفهم، فكان اجتماعهم فى داره برسول الله ﷺ ، انطقلوا من البيت وهم يرددون فى أنفسهم بوجوب المشى والابتعاد عن البيت الذى دار فيه الحوار مع رسول الله ﷺ وذلك لما رأوا من إصراره ﷺ على الدعوة وعلى نشر دينه وعدم امتثاله لمقترحاتهم وإغراءاتهم ولذلك فإنهم تنادوا بينهم بوجوب الصبر على عبادة آلهتهم وبرروا ذلك بأن إنهاء عبادتهم هو شىء يريده ويصر عليه رسول الله ﷺ ثم إنهم برروا إصرارهم

بالبقاء على الكفر أنهم لم يسمعوا بتوحيد الآلهة فى إله واحد، لم يسمعوا بهذا فى ملة النصارى المعاصرين لهم أو أنهم لم يسمعوا به فى ملة آبائهم.

وقد يكون سبب ذلك أن النصرانية فى وقتهم كان قد نالها التحريف ودخلتها عقيدة التثليث فابتعدت عن التوحيد وأن آباءهم كانوا يعبدون أصناما متعددة، ثم أنهم قالوا إن القول بالتوحيد وما أنزل فى القرآن متعلقا بهذا ليس إلا محض اختلاق منه ﷺ فهو إنكار لنبوته و إنكار لصحة العقيدة التى دعا إليها وهى عقيدة التوحيد.

أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ
بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ ﴿٨﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ
رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ ﴿٩﴾ أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا
بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾

التفسير:

يذكر تعالى فى مبتدأ القول قول الكافرين أو قول أشرافهم «أأنزل عليه الذكر من بيننا».

والمعنى أنهم ينكرون أن يكون الله تعالى قد اختصه واصطفاه من بينهم لينزل عليه القرآن العظيم، وعلة ذلك أنهم كانوا يرون أنهم أو أن منهم من هو بحكم غناه وزيادة أمواله من هو أجدر من رسول الله ﷺ بالاصطفاء بالنبوة و بإنزال القرآن العظيم عليه، فالاستفهام فى القول هو لإنكار أن يكون نزل القرآن عليه ﷺ من بينهم.

ثم يذكر تعالى واقع أمرهم وهو أنهم فى شك من القرآن العظيم وذلك لأن قلوبهم لن تهيأ لأن يدخلها الإيمان وذلك لسبق اختيارهم الكفر.

ثم يذكر تعالى أنهم لم يذوقوا عذابه حتى هـذه اللحظة، وأنهم لو كانوا قد ذاقوا عذابه تعالى، لكان منهم غير ذلك .

والمعنى أنهم ليسوا ممن يؤمنون بإرادتهم عن طوع وأنهم لا يؤمنون إلا إذا رأوا العذاب، فكأنهم يشبهون من سبقوهم ممن استغاثوا بعد فوات وقت الاستغاثة والتوبة .

وقوله تعالى «أم عنده خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب» استفهام آخر أريد به إثبات بطلان منطقهم وفساد حجتهم فإنكارهم أن يكون ﷺ مصطفى من ربه لا يجد ما يبرره، فلا يبرره إلا أن يكون لديهم خزائن رحمة الله التى تتجلى فى عظيم رحمته بالاصطفاء بالنبوة، بحكم كونه العزيز الذى لا يغلب على أمره والوهاب الذى يؤثر فى الهبة وأجل ما يهب المؤمن هو الاصطفاء للنبوة .

ثم يذكر تعالى ما يفيد انتفاء الحجة لديهم التى تبرر إنكارهم اصطفاءه ﷺ للرسالة لبيان أنه قد يكون لهم هذا إذا كان لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما لأن ملكها يفيد ملك ما فيها ومن فيها.

وحرية التصرف فى أمورهم ثم إنه لإثبات أنه ليس لهم هذا قال تعالى «فليرتقوا فى الأسباب».

والمعنى: أنه طلب منهم إن ادعوا أن لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما أن يسيروا فى معارج السماوات ليصلوا إلى حيث تقدر أمور العباد فلما كان ذلك محالا فإنه تعالى يكون قد أثبت بطلان قولهم كما أثبت انعدام الحجة لديهم.

ثم إنه تعالى بين حقيقتهم بذكره أنهم محض جند والمراد أنهم جنود الشيطان، ثم بين أنهم إما أن يكونوا من الضعف بحيث أنه تعالى وصفهم بأنهم من الأحزاب، و إما أن يكونوا من الكثرة التى لا يجمعها جامع فكان حالها هو الضعف .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ
وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْئَيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ
الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾ وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا
مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أن كفار مكة قد كذبوه ﷺ فإنه تعالى بين فى الآيات أنه قد سبقهم ممن كذب الرسل من كانوا أقوى منهم وأنه تعالى أهلكهم بتكذيبهم الرسل، فذكر تعالى من المكذبين قوم نوح كما ذكر عادا وفرعون وصفه تعالى بأنه ذو الأوتاد فيكون المعنى أنه الذى ملك دواعى القوة فاستتب ملكه فكان ملكه شبيها بالبناء الذى اتصل بالأرض عن طريق الأوتاد، وقيل إنه كان يعذب أعداءه بربطهم فى أوتاد أربعة وتركهم فى العراء للسباع وللهوام.

كما ذكر تعالى من المكذبين ثمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة وصفهم بعد ذلك بأنهم الأحزاب بمعنى أنهم الذين تحزبوا على الرسل، وفى الإشارة إليهم بـ «أولئك» ما يفيد التهوين من شأنهم وتحقيرهم ثم إنه تعالى وصف كلا منهم بأنه كان مكذبا الرسل وبين أنه استحق لتكذيبه الرسل ما حاق به من العذاب .

ثم إنه تعالى أشار إلى كفار مكة وقال بشأنهم إنهم لا ينتظرون إلا صيحة واحدة والمراد بها صيحة يوم القيامة فهى موعدهم مع العذاب، وصفها تعالى بأنها ليس لها من فواق، بمعنى أنها لا تستأخر عن موعدها فترة قصيرة ولو ماثلت الفترة التى تكون بين حلب الناقة مرة وحلبها مرة ثانية. فيكون القول حتمية وقوع العذاب لكفار مكة .

وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ
عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا
سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ
كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ
ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾

أولا : الأسـماء :

القـط : فى قوله تعالى «عجل لنا قطنا» المراد به - فى معنى الآية - هو جزء من العذاب، أو جزء من النعيم، وذلك لأن القط من الشىء هو الجزء منه أو القطعة.

ثانيا : التفسـير:

يذكر تعالى قول الكافرين لرسول الله ﷺ حين سمعوه يتلو آيات الوعيد للكافرين أو آيات النعيم بالجنة للمؤمنين أن يعجل لهم نصيبهم من العذاب الذى توعدوا به أو أن يعجل لهم النعيم الذى وعد به المؤمنون فيكون قولهم من قبيل السخرية بما سمعوا والاستهزاء إذ طلبوا أن ينالهم شىء من الوعيد أو الوعد قبل يوم القيامة .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ بالصبر على إيذاء الكافرين له بالقول ، وعلى استهزائهم بالقرآن ثم إنه - على سبيل التسرية عنه - يذكر له ما كان من داود عليه السلام، أو إنه يطلب منه ﷺ أن يذكر قصته للكافرين، وصفه بأنه ذو الأيد بمعنى أنه ملك أسباب القوة.

فيكون المعنى أنه إذا نال النبى ذا القوة أذى من قومه فإنه يكون متوقعا منه ﷺ أن يلقى مثل ما لقى داود .

ثم إنــه تعالى وصف داود بـأنه أواب بمعنى أنه كـان يرجع إلـى الله تعالى بالاستغفـار من الذنب دائما فهو يئوب إليـه ويرجع على الدوام. ثم إنه تعالى ذكر مـن بين ما قوى به داود أنه سخر الجبال تسبح معه بالعشى والإشراق بمعنى أنـه كانت تسبح معه من زوال الشمس إلى الصباح وفى وقـت الإشراق. كما ذكر تعالى أن حـال الطير معه عليه السلام هـو الحشر وذلك من أجل ترجيع تسبيحه عليه السلام، وهذه من مظاهر دعمه من الله تعالى وتقويته.

ثم يذكر تعالى أنه قد دعم ملك داود وقـواه بجميع أسباب القوة يدخل فى هذا المقاتلون والمال والصنعـة والعدة والسلطة كما أنـه أتاه الحكمة وفضـل الخطاب يدخل فـى الحكمة النبوة ويدخل فيها العلم بالشريعة والعلم النافع.

كما أثبت تعـالى أنه أعطاه القـدرة على أن يفصل فى الخصـومات بالحق، فـالفصل فى الخطاب أو فصل الخطاب هو القضاء فى الخصومة ولما كان تعالى قد تفضل عليه بهذا فإنه يكون بالفصل فى الخصومات بالحق .

۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾
إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا
عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾

أولا : الأســـماء

١ ـ الخصـم : هو الطـرف فى خصـومة، يقـال للواحـد، وللاثنيـن، وللجمع. وقيـل إنهما ملكان ظهرا فى صورة البشر، وقيل إنهما جبريل وميكائيل عليهما السلام.

٢ ـ المحراب : المراد به ـ فى معنـى الآية ـ هو الغرفة التى فى صـدر مجلس الدار، أو هو اسم خاص لصدر المجلس .

ثانيا: التفسـ ـــير:

الخطاب فى القول ـ إلى رسول الله ﷺ، والسؤال أريد به التشويق لسماع القصة ولروايتها أو تلاوة الآيات الخاصة بها، وهى عن أخصام كانوا اثنين أو أكثر على ما يبين من الفعل «تسوروا»، والمذكور أنه كان هناك خصوم اعتلوا محراب دار داود عليه السلام بأن علوا فوق سور المحراب.

ثم يذكر تعالى أن الخصوم دخلوا على داود عليه السلام حيث كان يجلس للعبادة على ما قيل من أن اليوم كان يوما خصصه للعبادة.

ويبين من القول أنه لم تكن هناك فترة زمنية طويلة بين تسورهم المحراب وبين دخولهم على داود.

ويذكر تعالى أن داود عليه السلام نال منه الفزع حين شاهد هؤلاء الأشخاص ـ حسب هيئاتهم ـ وقد اعتلوا سور المحراب الذى هو من الارتفاع بحيث لا يمكن أن يعلوه أحد، ثم وهم ينزلون منه ويدخلون عليه فى سرعة، شعر بالخوف. قد يكون لاعتقاده أنهم يريدون به أذى، وقد يكون لمظنة هوان أمره على رعيته حتى أنهم تجرءوا عليه فدخلوا عليه محرابه دون استئذان منه، أو لمظنة أن القائمين على الحراسة قد تغافلوا عن واجبهم.

ثم يذكر تعالى أن الذين دخلوا على داود عليه السلام المحراب طمأنوه إلى أنهم لا يريدون به شرا وأنهم متخاصمون إليه فى قضاء يفصل فيه بينهم.

وقولهما إنهما خصمان، ثم قولهما إن بعضهم قد بغى على بعض، قد يفيد معنى أنهما كانا اثنين، يمثل كل منهما جمعا من الأفراد أو قبيلة وقع من بعض أفرادها اعتداء على بعض أفراد الأخرى. وقد يفيد أن المتخاصمين كانوا جماعتين ناب عن كل منهما واحد فى الحديث باسمها.

وقد يفيد معنى أنهما كانا اثنين ـ والجمع هو اثنان فأكثر ـ فجاز أن يكون التعبير عن الواحد منهما بالبعض.

والظاهر من القول أنهما أبديا فى مبتدأ الأمر ـ فى إجمال ـ سبب حضورهما على هذا النحو وهو أن البعض من أتباع أحدهما اعتدى على البعض من أتباع الآخر، أو أن أحدهما اعتدى على الآخر، وأنهما حضرا إلى داود عليه السلام ليحكم بينهما، ثم طلبا منه أن يحكم بينهما بالعدل لا يتجاوزه، دون شطط، وأن يهديهم بقضائه إلى وسط طريق الحق، بزجر المعتدى، والإرشاد إلى الطريق المستقيم .

إِنَّ هَٰذَآ أَخِي لَهُۥ تِسۡعٌ وَتِسۡعُونَ نَعۡجَةً وَلِيَ نَعۡجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ ﴿٢٣﴾

أولا : الأسـماء :

النعجة : هى الأنثى من الضأن، ومن البقر الوحشى، والشاء الجبلى، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ على ما قيل ـ هو المرأة بطريق الاستعارة .

ثانيا : التفسـير :

مفاد قوله تعالى ـ فى الآية ـ أن أحد الخصمين عرض القضية التى جاء للاحتكام فيها ـ من وجهة نظره ـ فذكر أن الآخر ـ وصفه بأنه أخوه لبيان أنه تجمعه به أخوة الدين، أو الأصل الواحد، أو لكون الاثنين ملكين ـ ذكر أن الآخر له تسع وتسعون نعجة، أو تسع وتسعون امرأة، إن كن زوجات فإن المعنى أن ذلك كان مباحا فى شريعة المتخاصمين، وإن كن إماء وسرارى فهو جائز.

كما ذكر أنه ليس له إلا نعجة واحدة أو امرأة واحدة. ثم قال إن الآخر طلب منه أن يملكه نعجته، أو أن يجعله المتكفل بأمر امرأته ـ بمعنى أن يطلقها، ويتركها حتى تنتهى عدتها، ليتزوجها هو، وأنه قد غلبه فى طلبه هذا بقوته فاستطاع أن يغلبه بأن يحقق ما ابتغاه من تملك النعجة أو التزوج بامرأته .

وقيل إن عـرض القضية على هـذا النحو أريد بـه بيان خطأ داود عليـه السلام فيما فعلـه حين شاهد زوجة أحد ضباط جيشه وهو «أوريا الحثى» وهى تستحم فأعجب بجمالها، وأنها لما رأته استترت بشعرها فزادها جمالا أشعل حبها فى قلبه فأمر أحد قواده بأن يجعل زوجها فى موقع خطر من مواقع المعركة فقتل، فلما أكملت عدتها تزوجها داود عليه السلام.

والقصة ـ على هذا النحو ـ هى المذكورة فى كتاب العهد القديم الذى بين أيدينا اليوم، ونقول ـ والله أعلم ـ .

إن النص القرآنى لا يذكر شيئا عنها، بل إن طلب كفالة المرأة من زوجها بمعنى طلب تطليقها ليتزوج منها الآخر ـ على المعنى المذكور فى تفسير نص الآية استنادا إلى ما ورد فى كتاب العهد القديم ـ يتنافى مع قصة زواج داود عليه السلام من زوجة أوريا الحثى، فلم يحدث ـ فى القصة ـ أنه طلب ذلك من أوريا.

ثم إن الفعل نفسه وهو وضع زوج المرأة فى موقع يتعرض فيه للقتل دون ابتغاء مصلحة عامة، بقصد الخلاص منه، هو مما لا يقع من شخص يتحلى بالأخلاق الفاضلة، فما بالنا بنبى؛ ولهذا فإننا لا نقبل القصة .

قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾

أولا : الأســـماء :

الخلطاء : هم الشـركاء الذيـن اختلطت أموالهـم فى عمـل واحد أو تجارة واحـدة، وهم أصحاب الحرفة الواحدة، والمهنة الواحدة .

ثانيا : التفســـير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآية ـ أن داود عليه السلام فصـل فى القضية بعد سمـاعه عرض المدعى.

فذكر أن خصمه المدعـى عليه قد ظلمه بطلبه أن يضم نعجته إلى مـا يملك من النعاج، وأنه برر قضـاءه بأن المعتاد هو أن الشركاء فـي عمل واحد أو تجارة واحدة يكون مـن أحدهم الافتيات علـى حقوق الآخـرين، أو أن أصحـاب الحرفة الـواحدة أو المهنـة الواحـدة يحاول أحدهم سلـب الآخر عملاءه ليفيد هو من التعـامل معهم، وأنه استثنى من هـذا الحكم العام الذين آمنوا وعملوا الصالحات، ثم ذكر أنهم قليل.

وقيل إنه عليه السلام سأل الخصم المدعى عليه فلم يحر جوابا، وقيل إنه أقر بالفعل، لأن النبى لا يقضى بدون سماع أقوال أطراف النزاع .

ثم يذكر تعالى أن داود عليه السلام ظن أن الله تعالى قد ابتلاه، وأن المراد بالظن هو العلم، وأنه علم بهذا حين صعد الملكان إلى السماء وشاهدهما في صعودهما.

واختلف فى مـاهية الذنب الذى استغفر منـه ربه فقيل إنه تطلعه إلى زوجـة أوريا الحثى، وقيل هو أمره بوضعه فى مكان خطر فى تشكيل المعـركة يتوقع فيه قتله، وقيل هو خطبته المرأة فوق خطبة أوريا لها.

وقال الذيـن ينكرون القصة أنه عليه السـلام استغفر ربه لقضائه دون سماع دفـاع المدعى عليه .

والذى نراه ـ والله أعلم ـــ غير هذا، ذلك أن داود كان يرى أنه تعالى قـد فضل إبراهيم عليه

الصلاة والسلام عليه، فأخبره ربه أن إبراهيم ابتلى بالـرمى فى النار وبذبح ابنه، فاجتاز الابتلاء والاختبار فكان له من الله تعالى ما فضله به على النبيين من بعده إلا رسول الله ﷺ، فطلب داود أن يبتلى ويختبر.

ثم إنه لمـا كان عليه السلام قـد أوتى فصل الخطاب بمعنـى أنه أوتى فصل القضـاء فى الخصومات بالحق.

فقد جعل تعالى ابتلاءه فى هذا المجـال، فكان عرض القضية عليه من الخصمين، فكان فصله فيها على ما يبين من قوله «وإن كثيرا من الخلطاء ليبغى بعضهم على بعض» .

هو فصل بناء علـى حكم عام حصله بطريق الخبـرة من معاينة أحوال الناس، تـأثر به فى قضائه، فلم يفعل ما كان واجبا عليه فعله من بحث الحالة الخاصة بالقضية المعروضة عليه، فكان قضاؤه فيها متأثرا بعلمه فى غيرها، أثـر فى قضائه، وهو ما يجب أن يتحرز منه القاضى، ثم كان من داود عليـه السلام عندما علم أن الخصمين ملكان، أو بعـد أن فصل فى القضية ، أنـه اعتقد أن الأمـر كان اختبـارا من الله لـه، وتحقـق أنه ظلـم نفسه حيـن طلب أن يتعـرض للاختبار معترضا على إرادة الله تعالى فى تفضيل بعض الرسل على بعض، فكان منه استغفار ربه لما وقع منه وخر راكعا ـ والمعنى أنه خر سـاجدا ـ لأن الركوع يكون بداية للسجود، ورجع إلى الله تعالى تائبا .

• فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾

التفسـيـر:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أنه غفـر لداود عليه السلام الخطأ الذى استغفر منه الله، كما يثبت أنه له من الله تعـالى ـ من بعد المغفرة ـ قـرب المكانة، وأن له حسن المرجـع فى الآخرة وهو الجنــة .

يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - فيما قال لداود عليه السلام بعد أن غفر له ما استغفر منه ربه من الخطأ.

فيذكر تعالى أنه جعله خليفة فى الأرض، بمعنى أنه تعالى جعله خليفة فى الأرض التى حكمها ملكا «خلفا» للأنبياء الذين كانوا من قبله.

ثم بين علة ذلك بأمره أن يحكم بين الناس بالحق، فهو بحكم كونه ملكا يقضى بين الناس بسلطانه، وبحكم كونه نبيا خليفة لأنبياء سبقوه يحكم بمقتضى الشريعة التى بعث للعمل بها وتعليمها الناس، ثم نهاه تعالى أن يحكم بالهوى.

وهو ما تهوى النفس، يكون سببا للبعد عن الحق، ولا يمنع كونه نبيا من أن ينهى عن ذلك، فقد دعاه هوى النفس إلى فضل من الله يزيد على ما قدره له إلى طلب الاختبار، كما دعاه اعتزازه بعلمه بالسوابق إلى أن يقضى بها دون دراسة القضية التى عرضت عليه دراسة خاصة.

ثم إنه تعالى بين علة النهى عن اتباع الهوى ببيان أنه يؤدى إلى الضلال عن سبيل الله الموصل إلى رضائه .

ثم أعقب تعالى هذا بإنذاره الذين يضلون عن سبيل الله ومنهم القضاة الذين يحكمون

بالهوى، والذين لا يقضون بالحق عن عمد فبين أنهم والضالين عن سبيل الله عموما يكون لهم يوم القيامة العذاب الشديد جزاء على نسيانهم يوم الحساب، والمعنى أنهم عملوا ما عملوا متناسين أنهم محاسبون على أعمالهم فكان منهم البعد عن القصد وعن سواء السبيل.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا
بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾

التفسير:

لما نهى تعالى عن الحكم بالهوى، وبين أن الذين يضلون عن سبيل الله يعذبون عذابا شديدا يوم القيامة الذى نسوه أو تناسوه.

جاء قوله تعالى لإثبات أنه تعالى قد خلق كل شىء بحكمة لديه تعالى، فلم يكن خلقه تعالى السماوات والأرض خلقا باطلا بغير حكمة، ولم يكن من قبيل اللهو أو العبث، ولهذا فإنه تعالى يحاسب المكلفين مما خلق فى الآخرة، يؤمن بها الذين آمنوا فيعملون لها عملها وقد علموا أنه تعالى خلق الخلق لحكمة اقتضت أن يكون منه الحساب، ولا يذكرها الذين كفروا سواء لكفرهم بها أو لتناسيهم إياها، ولهذا توعدهم ربهم بعذاب النار.

فيكون القول مفيداً ترتب الويل للكافرين على ظنهم الباطل .

أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ
أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾

التفسير:

الاستفهام في الآية هو للإنكار، والذى ينكره تعالى هو المساواة بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين الذين كفروا، وصفهم تعالى بأنهم المفسدون في الأرض لأن فعل الكافر هو فساد يسعى به في الأرض.

ثم إنه لما كانت الدنيا هي مبلغ هم الكافرين فإنهم لا يتورعون عن فعل ينالون به خيراتهم؛ ولهذا فإن حالهم في الدنيا كثيرا ما يفضل حال المؤمنين الذين يعملون الصالحات.

فجاء قوله تعالى مثبتا أنه لا تكون بينهم مساواة في الآخرة في المصير، أو يكون رفع المؤمنين إلى أعلى عليين ورد الكافرين إلى أسفل سافلين.

ثم إنه تعالى أكد ذات المعنى بإثباته عدم المساواة بين أتقياء المؤمنين الذين خشوا الله فاتقوا غضبه، وبين الفجار أشقياء الكفرة في المصير يوم القيامة، فيكون النعيم للمتقين، ويكون العذاب للفجار الكافرين.

كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - إلى رسول الله ﷺ، يشير تعالى إلى القرآن العظيم ويخبر عنه بأنه كتاب أنزله إليه تعالى، فمعنى القول هو «هذا كتاب أنزلناه إليك»، ثم وصفه تعالى بأنه مبارك، والمعنى أنه كثير الخير، يجمع بين خير الدنيا وخير الآخرة.

ثم بين تعالى علة إنزاله وهي تدبر آياته والعمل بها، كما بين أن الذين يفيدون منه هم أصحاب العقول الواعية لأنهم يؤمنون به ويعملون فيكون لهم به خير الدنيا والآخرة.

وَوَهَبْنَا لِدَاوُودَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الصافنات** : جمع ، مفرده « الصافن » وهو من الخيل الذى يقف على مقدم حافر إحدى يديه أو رجليه . وقيل هو الواحد منها الذى يجمع يديه ويسويها .

٢ ـ **الجياد** : جمع ، مفرده « الجواد » يقال للذكر وللأنثى ، وهو الطويل العنق من الجيد وهو العنق .

٣ ـ **الخير** : هو المال الكثير ، ومنه الخيل فهى من الأموال ، ثم العرب تدعوها بالخير.

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ عود لذكر قصص الأنبياء ، فبعد أن ذكر تعالى ما ذكر عن داود عليه السلام فإنه ذكر فى الآيات أنه وهب له سليمان ابنا صالحا ونبيا ، وصفه بأنه نعم العبد على سبيل المدح ، كما وصفه بأنه كثير الرجوع إلى الله تعالى بالتوبة .

ثم ذكر تعالى واقعة حدثت مع سليمان عليه السلام بعد أن خلف داود أباه فى الحكم والنبوة ، وهو أنه عرضت عليه خيل قيل إنها كانت فيئا ، وكان عرضها بالعشى بمعنى من وقت زوال الشمس إلى آخر النهار .

وصف تعالى هذه الخيل بأنها صافنات جياد أى أنها كانت لإحساسها بجمالها تقف مختالة بنفسها كعادة الخيل ، وأنها كانت تتميز بطول أعناقها .

ويروى القول عن سليمان عليه السلام أنه قـــال « إني أحببت حب الخير عن ذكـــر ربى » وفيه قيـل إن عرض الخيل كان جميـلا ، وأنه استهوى سليمان عليـه السلام الـــذى كان يحـب الخيل حتى شغلـه عن الصلاة وعن ذكـر الله ، إلى أن غربـت الشـــمس ، فلم يصل صـلاة العصر ، أو إلى أن غـابت الخيل عـن نظره فى السبـاق الذى كان يجـرى بينها ، فكـان منه أن أسـف لهـذا ، وحزن أن تشغلـه الخيـل وأن يشغلـه حبه لهـا عـن ذكر الله وعـن الصـــلاة .

واعتبر أنهـا كانت سببـا لفتنته ، فطلب رد الخيل عليـه ، ثم أخذ يضـرب سوقها وأعنـاقها بالسيف فقطعها وفى محاولة لتبرير هذا الفعل المقول به قيل إنه جعلها قرباناً لله تعالى .

والذى نراه ـ والله أعلم ـــ هو أن معنى قوله عليه الســـلام « إنى أحببـت حب الخيـــر عن ذكر ربـى » أنه قـد تعلم حـب الخيل عما ورد فـى كتاب ربـه أو مما ورد فـى كتاب ربـه وهو التـــوراة .

وليس كما قيل من أن حب الخيل شغله عن الصلاة وعن ذكر الله ، لأن مثل هذا لا يحدث من مؤمن صلح إيمانه ، فلا يكون متصورا أن يكون من نبى .

ثم إنه لا يتصور أن يكون درء الفتنة بالخيل هـو قتلها ، وإنما يكون إصلاح الحال بإصلاح النفس بنهيهـا عن الانشغال عـن ذكر الله ، وإلا لكان واجبا قتل جميـع الخيل الموجـودة فى مملكته عليه السلام ، فضلا عن أن قتل الخيل ـ وهى أمـوال ـ هو نوع من تبديد المال يجاوز الإسراف المنهى عنه ، مع انعدام مسئولية الخيل عما خلقها الله عليه من الجمال حتى يكون الانتقام منها بقتلها .

ولا يتصور أن يكون التقرب إلـى الله بقتل الخيل لأنه لا ينتفع بهذا ، فيكـون المراد بالمسح بالسوق والأعناق هو مسحه عليها بيده وتربيته عليها .

■■■■■

وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ
كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى
لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ
رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾
وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾

أولا : الأسماء :

الجسد : فى قوله تعالى «وألقينا على كرسيه جسدا». قيل إنه وَلَدٌ وُلِدَ لسليمان عليه السلام ناقص التكوين، ألقته القابلة على كرسى سليمان.

وقيل إنه شيطان اتخذ شكل سليمان وهيئته وجلس على كرس الحكم.

وقيل إنه سليمان نفسه أصابه المرض فأضعف قواه الذهنية والبدنية فأصبح مجرد جسد بغير قوة روح وطاقة نفس.

ثانيا : التفسير :

مفاد قوله تعالى ـ فى الآيات ـ أنه عاقب سليمان عليه السلام على خطأ ارتكبه، فيكون معنى «ولقد فتنا» هو «ولقد عاقبنا»، وصورة العقاب هى إلقاء جسد على كرسيه.

قيل إنه كان ولادة ابن له ناقص التكوين، فكان نصف جسد، وقيل كان سيطرة شيطان على ملك سليمان لفترة زمنية هى مدة العقاب، اتخذ فيها شكل سليمان وجلس على كرسى

الحكم، وقيل هو مرض أضعف سليمان فلم تعد به قوة على الحكم، فأصبح مثل مجرد جسد يجلس على كرسى الحكم.

وقيل فى الخطأ الذى ارتكبه سليمان فعوقب به، إنـه كان زواجه من مشركة، وكان قد نهى عن الزواج من غير بنـات إسرائيل، وقيل كان اعتكافه عن الحكم بين النـاس لمدة ثلاثة أيام. وقيل كان قـوله إنه سينجب مـن نسائه تسعين ولدا يحملـون السلاح ويدافعون عـن دين الله، دون أن يقرن ذلك بتعليق الأمر على مشيئة الله تعالى.

ثم يـذكر تعالـى أن سليمان رجع إلـى الله، والمعنى أنـه أقر بالـذنب وثاب إلـى الله ورجع إليـه.

ثم بين تعالى أن رجوعه عليه السلام إليه كـان باستغفاره، وأنه بعد أن غفر له ربه ذنبه سأل الله تعالى أن يهـب له من فضله سلطـانا لا يمنحه تعالـى أحدا من بعده، وأنـه تشفع إلى الله بصفته أنه الوهاب، الذى يكثر العطاء ويجزل فيه.

ويبين تعالى استجابتـه لدعاء سليمان ويبين ماهية السلطان الـذى أعطاه ولم يعطه أحدا من بعده، وهو تسخيره تعالى الريح تطيعه فيما يـأمرها به بأن تحمله ومن يشاء من جنوده إلى حيث قصد أن تذهب به وبهم، فيكون سيرها بهم إلى حيث يشاء لينة طيعة، وأنه منه تسخيره تعالى الشياطيـن تطيعه فيما يأمرهم به، فكـان منه عليه السلام أن جعل منهم مـن يبنى له ما شاء من الصروح والمحـاريب، ومن يغوص فى البحر فيـأتى له باللؤلؤ والمـرجان، كما مكنه تعالى مـن مردتهم فقيدهم بـالقيود والأصفاد ليعملوا لـه الشاق من الأعمال غير قـادين على الهرب.

ثم يذكر تعالى أنه خاطب سليمان ـ والـراجح أن ذلك كان وحيا أو بواسطة ملك ـ فأخبره أن ما تمتع بـه سليمان من القوة هـو عطاء الله له، وأنه تعـالى خوله أن يمـن أو أن يمسك عن المن، وفيه قيل إنه تعالى قد أعطى سليمان قـوة غير عادية على الجماع، وأن معنى القول هو تخويله حق الاختيار بين أن يجامع وينزل المنى وبين ألا ينزل منه فى نسائه.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ غير هذا، وهو أنه تعالى خيره بين أن يمن على عبيده من الإنس والجن بالإعتاق وبين ألا يفعل هذا، يكون هذا منه دون محاسبة من الله تعالى عليه على اختياره أحد الأمرين دون الآخر.

ثم إنه تعالى بين حال سليمان عليه السلام ومرتبته عنده، فبين أنه له عنده تعالى قرب المكانة والمنزلة، وأن له فى الآخرة حسن الرجوع، وهو الجنة.

وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾
ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ
وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ
ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ
أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾

التفسير:

يأمر تعالى ـ فى الآيات ـ رسوله ﷺ أن يذكر لقومه قصة أيوب عليه السلام، ثم يذكر منها تعالى مناداته عليه السلام ربه مخبرا عن حاله فذكر أن الشيطان قد أصابه بما أرهقه وأتعبه وكان سببا لعذابه.

وفى القول نسب أيوب ما أصابه إلى الشيطان، وهو من قبيل الأدب فى مخاطبة الله، وقد يكون مراده أنه عوتب على ذنب أطاع فيه وسوسة الشيطان، ويكون فى ذكر ما ناله من التعب والعذاب إشارة إلى ما أصابه من ألم نفسى بسبب فقد الولد والمال وما أصابه من ألم بسبب

المرض.

ويلاحظ فى القول أن أيوب لم يسأل الله شيئا بصريح القول لعلمه أنه تعالى يعلم ما فى نفسه.

ثم يذكر تعالى أنه قال لأيوب اركض برجلك، وهو أمر بأن يضرب عليه السلام الأرض برجله، ويبين من القول أن أيوب عليه السلام فعل هذا وأنه خرج من الأرض ينبوع من الماء بارد يغتسل منه أيوب عليه السلام ويشرب.

وفى القول تعليم منه تعالى الناس إلى وجوب اتخاذ الأسباب توصلا إلى تحقيق النتائج، ومنها الاستشفاء بالدواء، لأنه تعالى كان قادرا على أن يبرىء أيوب عليه السلام من علله دون استعمال الماء لكنه اضطره إلى استخدام الماء ليتعلم الناس أن يأخذوا بالأسباب مع التوكل على الله.

ثم يذكر تعالى أنه من بعد شفائه أيوب وهب له أهله الذين فقدهم بالموت، وقيل إنه تعالى أعادهم إلى الحياة، وإنه رزقهم الذرية فكأنه تعالى وهبه مثل عددهم معهم. وبين أن ذلك كان رحمة منه تعالى بأيوب، وأن فيه عبرة يعتبر بها أولوا الألباب فيعلمون أن الصبر على المكاره وعدم التبرم بقضاء الله مع التوكل عليه واللجوء إليه بالسؤال مع التذرع بالطاعات، وسيلة رفع الضرر عن المبتلين.

كما يذكر تعالى أنه أمر أيوب عليه السلام أن يأخذ ضغثا، وهو حزمة من عيدان حطب قيل إنها مائة عود، وأمره أن يضرب بها.

وقيل إنه عليه السلام كان قد حلف على أن يضرب زوجه مائة ضربة لخطأ وقع منها، قيل إنه كان اتفاقها مع الشيطان الذى ظهر لها فى مظهر طبيب مداو، أعطاها دواء لأيوب، على أن تقول أو أن يقول أيوب بعد شفائه إنه هو الذى شفاه.

وقيل إنه كان قصها شعرها وبيعه دون إذن منه عليه السلام. ومعنى القول هو أن يأخذ حزمة الحطب المكونة من مائة عود، يضرب بها زوجه ضربة واحدة، فتكون بمثابة مائة ضربة

بعود واحد، فلا يكون قد حنث بيمينه .

ثم إنه تعالى يثنى على أيوب عليه السلام، فيذكر أنه تعالى وجده صابرا، كما يمدحه بأنه نعم العبد، ويصفه بأنه أواب، يرجع إلى الله دائما إن أخطأ أو لم يخطىء .

وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾

التفسـير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكر لأهل مكة قصص إبراهيم وإسحاق ويعقوب عليهم السلام. وصفهم تعالى بأنهم عباده، والمعنى أنهم عباده المخلصون، كما وصفهم بأنهم أولو الأيدى والأبصار، بمعنى أنهم الذين أوتوا القوة في الدين وفى العقيدة بما آتاهم الله من النعم ومنها النبوة والمكانة العالية فكان منهم إرشاد الناس إلى الصواب، وأنهم أوتوا البصائر، والمراد هو الحكمة، بمعنى ترتيب النتائج على المقدمات، أى إنهم كانوا يخلصون إلى وجه الحقيقة فى كل أمر بما آتاهم الله من حسن النظر فى الأمور.

ثم يذكر تعالى أنه أخلصهم إليه فجعلهم من عباده المخلصين وبين وسيلة ذلك وهى تذكرهم الدار الآخرة وما يكون فيها من الحساب، فكان عزوفهم عن متع الحياة الدنيا، وسعيهم إلى كسب الآخرة، فأخلصوا لله دينهم وكانوا من عباده المخلصين.

كما يثبت تعالى أنهم عنده من الذين اصطفاهم من بنى آدم للنبوة، وأنه اصطفاهم لهذا لكونهم ـ فى أنفسهم من الأخيار، فهو تعالى لا يصطفى للنبوة إلا خير خلقه من بنى آدم .

﴿وَاذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْأَخْيَارِ ۝٤٨﴾

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يذكر لقومه قصص إسماعيل واليسع وذى الكفل - وقد سبق بيانهم - ثم وصفهم تعالى بأنهم من الأخيار. وهذا معلوم لأنه تعالى لا يصطفى للنبوة إلا خير خلقه من الإنس.

﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَآبٍ ۝٤٩ جَنَّاتِ عَدْنٍ مُفَتَّحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ۝٥٠ مُتَّكِئِينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ۝٥١ وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾

أولا: الأسماء:

الأتراب: جمع، مفرده «الترب» وهو الواحد من ضلوع الصدر. والمراد بها - فى معنى الآية - المتماثلات فى كل شىء، يدخل فى ذلك السن، والحسن.

ثانيا: التفسير:

يشير تعالى إلى ما سبق بيانه من قصص الأنبياء وما ورد بشأنهم فى القرآن العظيم، ويخبر عنه بأنه ذكر، والمعنى أنه شرف لهم وتعظيم لشأنهم.

ثم بين تعالى أن تشريفه إياهم هو من قبيل إحسانه للمتقين ومنه إحسانه لهم فى الآخرة بحسن المصير والمآل بأن تكون لهم الجنة.

ثم بين تعالى ماهية حسن المآل ببيان أنه جنات عدن التى وعد المتقون. تكون أبوابها مفتحة لهم، حتى لكأنه مقرر سلفا أنهم يدخلونها بغير حساب.

يكون حالهم فيها أنهم يجلسون متكئين على السرر يتمتعون فيها بالفاكهة الكثيرة والشراب وفى ذكر الفاكهة، وهى مما يلتذ بتناوله إشارة إلى أنهم لا يأكلون فى الجنة لحاجة أجسادهم للطعام، وإنما يأكلون للتلذذ بالطعام، والشراب.

ثم يذكر تعالى أنه يكون لهم فى الجنة زوجات حسان متماثلات فى الشباب يقصرن أنظارهن على أزواجهن فى الجنة لا يصرفونها إلى غيرهم.

ثم إنه تعالى أطمع الناس فى نيل ما ذكر من النعم التى تكون للمتقين، فأخبر عن أن ما ذكر من النعم هو ما وعد به المؤمنين أنه يكون لهم يوم القيامة.

ثم أخبر عنه بأنه رزقه الذى رزق المؤمنين المتقين ووصفه بأنه لا ينفد، والمعنى أنهم يخلدون فى النعيم ، وأن نعمه لهم لا تنقطع عنهم فى الجنة.

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾
هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿٥٦﴾
هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ﴿٥٨﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الحميم : فى قوله تعالى «حميم وغساق» هو الماء الحار.

٢ الغساق : هو صديد أهل النار.

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ انتقال إلى بيان مصير الكافرين المكذبين، وصفهم تعالى بأنهم الطاغون، لأنهم طغوا بكفرهم واستكبروا على ما دعاهم إليه رسلهم من الإيمان.

بدأ القول بالإشارة إلـى ما ذكر تعالى عما يكون للمتقين، والخبر عنـه محذوف وتقديره أنه حق. ثم كـان الانتقال إلى الإخبار عـن حال الكافرين فبيـن أن مصيرهم هو شـر المصير، بينه بأنه جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، ووصفها بالذم فيها بأنها شر مكان يتخذ مهدا .

ثم أشـار تعالى إلـى وجود الكافـرين فـى جهنم وأخبر أنهـم يجبرون على تـذوق العذاب حميما وغساقا ـ علـى ما يبين من فعل الأمر «فليذوقوه» فهم يجبـرون على شرب الماء الحار وعلى شرب مـا سيل منهم من الصديـد، كما يذكر تعـالى أنه يكون لهم عـذاب آخر له ذات صفات شرب الماء الحار والصـديد يكون أجناسا متماثلة ومتضادة. وفـى إبهام هذا العذاب مزيد من الترويع منه. ليكون فى ذلك تحذير من الكفر والعصيان .

هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا
بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا
مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾

التفســـــير:

القول ـ فى الآيـات ـ هو فيما يكون من بعد دخـول بعض الكافرين النار. يـذكر تعالى أن الملائكـة تقول للذيـن دخلوا النار قبـل غيرهـم، ويتصور فيهم أنهـم رؤساء الكفر «هـذا فوج مقتحم معكم» والمعنى هو أنـه يلقى فى النار معكم فريق من الكافريـن أهل النار يقتحمونها عليكم ليقاسوا ما تقاسون فيها من العذاب.

• فيكون قول الرؤساء المتبوعين هو «لا مرحبا بهم» ثم إن الملائكة تبين جدارة الداخلين النار بالدعاء عليهم بقولهم «إنهم صالوا النار» بمعنى أنهم استحقوا أن يعذبوا بدخول النار.

ثم يذكر تعالى أن الأتباع الذين جيء بهم ليلقوا فى النار يقولون للمتبوعين رؤساء الكفر الموجودين فيها «بل أنتم لا مرحبا بكم» ثم يبينون لهم سبب الدعاء عليهم بهذا ببيان أنهم الذين أغروهم على الكفر وزينوه لهم، وأن هذا هو ما يستحقون به أن يكون لهم سوء القرار. وأنهم يضيفون إلى هذا سؤالهم الله أن يزيد فى عذاب رؤساء الكفر فيكون عذابهم فى النار ضعف عذابهم، وذلك لأنهم الذين أضلوهم، فيكون تعذيبهم بإضلالهم وبضلالهم .

وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآيات ـ ما يفيد أن أهل النار يقولون فيها ما يفيد تعجبهم من عدم رؤيتهم أناسا كانوا يرون فيهم أنهم أشرار.

والمعنى أنهم لا يرون معهم فى النار ضعفاء المؤمنين وفقرائهم الذين كانوا يحسبون فى دنياهم أن الله تعالى لم يمن عليهم بالقوة والمال لأنهم أشرار يكون مصيرهم فى الآخرة دخول النار.

ثم يكون منهم تبريرهم لأنفسهم عدم مشاهدتهم معهم فى النار بذكر سببين لهذا، أولهما أن يكون قد وقع منهم خطأ فى حق هؤلاء إذ سخروا منهم بغير موجب للسخرية .

والثانـى هو أن تكون أبصارهـم قد زاغت عنهم فلـم يشاهدوهـم مع وجودهم معهـم فى النـار.

ثم يشير تعالى إلى جميع ما ذكر من وقوع التخاصم بين المتبوعين والتابعين من أهل النار، ومن قولهـم فيمن كانوا يحتقرونهـم ويسخرون منهم فى الـدنيا هو حق والمعنى أنـه يقع كما أخبر عنه تعالى .

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ ۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ
وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ
مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن
يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

التفسـير:

بدأ قوله تعالى ـ فى الآيات ـ بمخاطبـة رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لكفار مكة أنه ليس سوى منذر بالقرآن العظيم، فيكون قوله ردا علـى اتهامه صلى الله عليه وسلم بأنه ساحر وبأن القرآن العظيم هو سحر، ثم بأن يقول لهم فـى إيجاز إن دعوته هى دعوة إلى الإيمان بالله وتوحيده «وما من إله إلا الله» ووصف الله بأنه الـواحد القهار، هو بيان لفساد عقيدة الشرك التى عليها كفار مكة ببيان أنه ليس من إله آخر غيره الواحد.

ووصفه تعـالى بأنه القهـار، هو إثبات لقـدرته تعالـى على الكافريـن بنصر رسولـه عليهم ويهلكهم بكفرهم .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام يصف ربه للكافرين بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما وأنه العزيز الغفار، ليبين لهم أنه مالك أمر كل ما فى السماوات والأرض وما بينهما والمتصرف فى أحوالهم وهم من هؤلاء الذين يملك التصرف فى أمورهم بحكم قدرته وعزته، كما أنه الغفار، يغفر ذنوب الذين يتوبون عن الكفر وعن الذنوب، فيكون القول إطماعا للكافرين فى مغفرة الذنب بالإيمان بالله وطرح الكفر والتكذيب .

كما يأمر تعالى رسوله أن يقول للكافرين إن ما أخبرهم به من أنه منذر بالقرآن وأن عقيدته التى دعا إليها هى عقيدة التوحيد هو نبأ عظيم الفائدة، تكون لمن يؤمن له، ثم أخبرهم بأنهم يحرمون أنفسهم من هذه الفائدة بإعراضهم عن تصديقه فيما أخبرهم به وعن الإيمان بالتوحيد الذى دعاهم إليه .

ثم إنه عليه الصلاة والسلام يدلل لهم على صدقه فيما ذكره لهم من أنه منذر بالقرآن وأنه رسول من رب العالمين بإعلامهم أنه لم يعلم بما أخبرهم به عن وقوع الاختصام فى الملأ الأعلى بين الملائكة وبين إبليس فى أمر تنفيذ أمر الله تعالى بالسجود لآدم إلا عن طريق الوحى، إذ لم يقرأ ذلك فى كتاب ولم يخبره به أحد من أهل الكتاب .

ثم إنه ﷺ يؤكد لهم أنه فى كل ما يقول فى أمر الدين يقول بما يوحى إليه من ربه، وأن مفاد ما يوحى إليه به من ربه هو أنه نذير يوضح الدين ويوضح جزاء المؤمنين ويبين عذاب المكذبين فهو نذير مبين .

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو ذكر لقصة اختصام الملأ الأعلى الذى ذكر رسول الله ﷺ لأهل مكة أنه لم يعلم من أمرها شيئا إلا ما علمه ربه بطريق الوحى، والمراد هو أن طريق علمه بها كان هو القرآن العظيم.

والقصة تبدأ - كما ورد فى الآيات - بإخباره تعالى الملائكة أنه سيخلق فى الأرض بشرا من طين، بمعنى أن يجعل مادة خلقه أو خلق أول جنسه من الطين. وطلبه منهم أن يكون بعد تسوية صورته فى الهيئة البشرية أو الإنسانية، ونفخ الروح فيه أن يخروا له ساجدين.

والمراد هو سجودهم لقدرة الله على خلقه على النحو الذى بينه وأنه كان بعد خلقه تعالى آدم على النحو الذى ذكره أن سجد الملائكة جميعهم دون أن يتخلف عنهم أحد مطيعين أمره تعالى.

ثم جاء استثناء إبليس من عداد الساجدين - وكان من الجن معدودا فى زمرة الملائكة - ذكر تعالى أنه استكبر على السجود لآدم وعلى أمر ربه بالسجود، وعلة ذلك أنه كان من الكافرين، فيكون المراد بهذا أنه كان مقدرا فى علمه تعالى أنه يكون من الكافرين، فكان عصيان أمر ربه هو أول ما ظهر به كفره.

قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ ﴿٧٦﴾ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾

التفســــير:

قولـه تعالى ـ فـى الآيات ـ فيمـا كان منه تعـالى من إبليس حيـن عصى أمر ربـه وفى رد إبليس اللعين عليه تعالى .

يذكر تعالى أنه أنكر على إبليس عصيانه الأمر بالسجود لآدم ووبخه على ذلك بسؤاله عما منعه من السجود لآدم وصفـه تعالى بأنه ما خلق بيـديه تدليلا على أنه تعـالى شرف آدم بهذا ورفع قدره .

ثم إنـه تعالى ذكـر لإبليس سببين ليقول أيهمـا كان دافعه إلـى عدم السجود، أولهمـا هو استكبار اللعين علـى آدم اعتقادا منه أنه يفضلـه مرتبة ومكانـة، أو استكباره على أمر ربـه لما يعتقده من أفضليته على آدم.

والثانـى هو كونه مـن العالين، ويتصـور فيه أن يكون مـن العالين من المـلائكة الذيـن لم يصدر إليهم الأمر بالسجود.

أو أنه هو استحقـاقه العلو بالفعل ثـم إنه لما كان معلوما أنـه ليس من العالين فـإنه يكون واضحا أنه استكبر على أمر ربه وعلى ما خلق بيديه .

ثم يذكـر تعالى أن إبليس أجاب الله تعـالى بقوله إنه خيـر من آدم، وعلل ذلك بأنـه تعالى خلقه من نار وخلـق آدم من طين، وأنه يرى أن النار أشـرف من الطين فيكون هو بالتـالى أعلى قدرا من آدم بما لا يستقيم معه السجود لآدم.

وفى الرد وقاحة لأن اللعين تجرأ على ربه فناقشــه فى أمر جرت به حكمته، وكانت مناقشته على أساس من علمه المحدود لمن وسع علمه كل شــىء.

ويذكر تعالى أنه كـان منه تعالى أنه طرد إبليس من الجنة إذ أمره بـالخروج منها كما أخبره أنه رجيم، بمعنى أنه مطرود وبأنه ذليل.

كما أخبـره بأنـه ملعون منـه تعالـى إلى يوم الـدين، مطـرود من رحمتـه، تلعنه المـلائكة والمؤمنون من الإنـس والجن .

قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾

التفسير:

القول - في الآيات - هو في بيان باقي ما دار من حوار بينه تعالى وبين إبليس في شأن امتناع إبليس عن السجود لآدم.

فيذكر تعالى أنه بعد أن أعلن إبليس بطرده من رحمته إلى يوم الدين، قال له إبليس «رب فأنظرني إلى يوم يبعثون» والمعنى أنه طلب من ربه أن يمهله إلى يوم يبعث الناس للحساب يوم الدين، فيحييه ولا يميته، لتكون له فرصة يتاح له فيها إغواء ذرية آدم بالفساد ليدلل بهذا على عدم استحقاق أبيهم آدم التكريم الذي كرمه الله به.

ثم يذكر تعالى أنه أمهل إبليس إلى يوم الوقت المعلوم، وهو يوم النفخة الأولى وليس يوم البعث الذي طلبه إبليس، فيكون المعنى أن إبليس يموت مع من يكون حيا من الخلق ويموت عند النفخة الأولى.

ويذكر تعالى إن إبليس أقسم بعزة الله أن يغوي أبناء آدم أجمعين، ثم استثنى منهم عباد الله المخلصين. الذين أخلصهم الله لطاعته وعصمهم من الغواية، وأنه تعالى قال له إن القول الحق، وإن المعلوم أن كل قوله حق، هو أنه يكون منه تعالى أن يملأ جهنم من إبليس وقبيله الكافرين وممن اتبعه من الناس، يملأ بهم جميعا جهنم جزاء لهم على عصيانه تعالى.

﴿قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾

التفسير:

يأمر تعالى ـ فى الآيات ـ رسوله ﷺ أن يقول للكافرين ـ إثباتا لصدقه ـ إنه لم يسألهم على القرآن العظيم الذى أبلغهم به وأنذرهم شيئا من أجر الحياة الدنيا، كما أنه لم يعرف عنه أنه من المتكلفين الذين يتحلون بصفات ليست من صفاتهم.

فيكون هذا دليلا على أنه لم يدع النبوة كذبا، وأن يقول لهم إن حقيقة القرآن العظيم الذى ينذرهم به هو أنه ذكر للعالمين فهو يذكرهم بما ينفعهم وهو الذى به وبالإيمان به يرتفع شأنهم ويتشرفون.

ثم يكون منه توعدهم بالعذاب لدى الإصرار على الكفر به. بما يفيد به قوله «ولتعلمن نبأه بعد حين».

والمعنى أنهم سيعلمون صحة ما جاء به من وعد ووعيد فى وقت إثابة المؤمنين وتعذيب المكذبين، يدخل فى هذا عذاب الكافرين فى الدنيا وعذابهم فى الآخرة.

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزمر



التفســــير:

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ هو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو «هـذا القرآن» أو «هذه السورة» فيكون المعنى هو أن هذا القرآن هو تنزيل من الله العزيز الحكيم، ويكون فى وصفه تعالى ذاته بأنه العزيز إشارة إلـى نصره تعالى دينه وكتابه، وفى وصفه تعالى ذاتـه بأنه الحكيم إشارة إلى عظم ما تضمن القرآن العظيم من الأحكام التى استوجبتها حكمته .

إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ② أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ③

التفســـــير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ والمراد بالقول هو إعلام المؤمنين بمضمون المخبر به في القول، وهو أنه تعالى أنزل إلى رسوله ﷺ القرآن العظيم بالحق، فهو منزل من الحق ونزل بقول الحق وبالقول الحق .

ثم أتبع تعالى هذا بأمره الرسول والمؤمنين بعبادة الله مخلصين له الدين، بمعنى أن يخلصوا الدين في عبادتهم فلا يعبدون عن مراءاة ولا ابتغاء مصلحة، وإنما يستهدفون وجه الحق سبحانه وتعالى.

ثم يذكر تعالى أن له الدين الخالص، والمعنى هو أن الدين الذى أمر الناس أن يكونوا عليه هو الدين الصحيح المبرأ من كل شائبة باطلة. ثم إنه لما كانت الشوائب التى تشوب الدين الحق القائم على التوحيد هي شوائب الشرك فإنه تعالى بين أن من هذه الشوائب اتخاذ المشركين معبودات لهم، وتبريرهم فعلهم هذا بأن المعبودات يتولون أمورهم وجلب المنافع لهم ودفع الضر عنهم وذلك بالتشفع لهم لدى الله وتقريبهم منه .

ثم بين تعالى فساد عقيدة المشركين القائلين بهذا ببيان أنه تعالى يفصل بينهم وبين المؤمنين الموحدين بالله تعالى بحكمه فيهم يوم القيامة بالثواب والعقاب، فيعلم المشركون أنهم كانوا على الضلال .

ثم بين تعالى أن الذين يصرون على الشرك لا يهديهم الله إلى طريق الإيمان، لأنهم جبلوا على الكذب والتكذيب، به كان كفرهم، وباختيارهم الكفر استحقوا ألا يكونوا من المهديين المهتدين .

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝٤﴾

التفسير:

القول فى الآية هو فى القائلين إنه تعالى اتخذ ولدا، يدخل فى هذا القائلون إن الملائكة بنات الله، والقائلون إن المسيح عليه السلام ابن الله.

ويبين من أداة الشرط «لو» امتناع إرادته تعالى أن يتخذ ولدا، وامتناع جواب الشرط بالتالى وهو اتخاذه الولد.

كما يبين منه أنه لو تحقق المستحيل وكانت إرادته تعالى قد اتجهت إلى اتخاذ الولد لكان قد تحقق ذلك بطريق اصطفائه من خلقه من يشاء يقربهم منه ليكونوا بمنزلة الولد، وبالتالى فإنه لا يكون له ولد على الحقيقة، وإنما الكائن والمقدور هو أنه تعالى يصطفى ممن يشاء من يقربهم منه دون أن يكون قد أراد أن يجعلهم أولادا له ودون أن يكونوا كذلك.

ثم كان منه تعالى تنزيه ذاته عن قول المشركين بهذا وإثباته وحدانيته التى من مقتضاها نفى المماثلة ونفى أن يكون له ولد بالتالى، لأن الابن يماثل أباه، وإثباته أنه القهار الذى يقهر من يخرج عن دينه وعن طاعته ومن يشرك به.

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾

التفسير:

يذكر تعالى من دلائل وحدانيته وقدرته خلقه السماوات والأرض بالحق، بيانا لما فى

خلقهما من تحقيق المصالح، وتكويره الليل على النهار والنهار على الليل، وقد سبق تفصيل هذا من الناحية العلمية وبيان علاقته بكروية الأرض ودورانها حول محورها، ويذكر منها أيضا تسخيره الشمس والقمر وجريان كل منهما لأجل مسمى - وقد سبق شرح ذلك بالتفصيل* من الناحية العلمية - ثم أتبع هذا ببيان أنه العزيز الغفار، تهديدا للمشركين بتعذيبهم بحكم كونه العزيز الغالب على أمره وحثا لهم على الإيمان والتوحيد ببيان أنه يغفر لهم شركهم إذا ما تابوا عن الشرك وآمنوا بالله ووحده .

خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ۚ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ ۖ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾

التفسير:

الخطاب - في الآية - للناس جميعا، والقول هو في بيان آية أخرى من آيات قدرته تعالى ووحدانيته، فيقول تعالى للناس أنه خلقهم من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، خلق حواء زوجه من جسده ثم كان منهما الناس ذرية لهما، وأنزل لهم من الأنعام ثمانية أزواج، بمعنى أنه تعالى كان قد قدر في اللوح المحفوظ أن الأنعام تكون ثمانية أزواج من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين، كان تحقق ما ورد في اللوح المحفوظ في هذا على الأرض إنزالا لما قدر تعالى في السماء إلى الأرض فكان القول «وأنزل لكم».

كما ذكر تعالى أنه يخلق الناس في بطون أمهاتهم خلقا من بعد خلق في ظلمات ثلاث.

وهو ما يكون من أمر الناس إذ يكونون نطفة فعلقة فمضغة فعظاما عارية ثم مكسوة لحما، يكون ذلك فى ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة..

ثم يشير تعالى إلى ذاته مخبرا أنه رب الناس، والمراد هو إثبات أن صاحب هذه القدرة العظيمة هو الله رب الناس، ثم يصف تعالى ذاته بأنه الذى له الملك، والمعنى أنه مالك كل شىء فى الدنيا والآخرة.

ثم يوحد ذاته «لا إله إلا هو» ليوحده الناس وقد عاينوا الدليل على وحدانيته. ثم يجىء قوله تعالى للمشركين «فأنى تصرفون» إنكارا للمنصرفين عن عبادته وللمشركين به عليهم أفعالهم ببيان أنه ليس من موجب يدعو إلى الإشراك به وعدم توحيده..

إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى الناس جميعا. فمن بعد ذكره تعالى الأدلة التى تثبت قدرته على كل شىء والتى تثبت وحدانيته بما يوجب على الناس خصه تعالى بالتوحيد والعبادة، جاء منه القول للناس مبينا لهم أنه تعالى فى غنى عن إيمانهم به وعن عبادته، فقال لهم إنهم إذا كفروا به فإن كفرهم لا يضره شيئا لكونه فى غنى عن عبادتهم.

ثم بين تعالى أن الكفر إنما يضر الكافر وحده؛ ولهذا فإنه تعالى لا يرضى لعباده الكفر، لأنه لا يحب لهم ما يضرهم. وأنه إذا كان منهم الإيمان بالله وشكره على أنعمه، فإنه يرضى

لهم هــذا الشكر ويقبله، فيكون القبـول والرضاء بـه سببا لإثابـة الشاكرين، فتكـون المصلحة عائدة على الشاكرين وليس عليه تعالى.

ثم إنه تعالى أثبـت مبدأ شخصية العقوبة ومسئولية كل شخص عمـا يصدر منه من عمل بذكره أن نفسـا خاطئة لا تحمل من إثـم نفس خاطئة أخـرى شيئا من الذنب يخفـف به عنها العذاب.

ثم يجيء قوله تعـالى «ثم إلى ربكم مرجعكم فينبئكم بما كنتـم تعملون، إنه عليم بذات الصدور» إنذارا للكـافرين الذيـن لم يؤمنوا بـالله ويوحدوه بعد مـا ذكر تعالى مـن الأدلة على وحدانيتـه بالعـذاب على ما كـان منهم فـى الدنيا، فـإليه تعـالى يكون مـرجعهم فـى الآخرة للحساب كمـا يكون الأمر مع النـاس جميعا، ثم يكـون الحساب والجزاء بالثـواب والعقاب سبيلا يعلم بـه كل شخص حقيقة مـا كان منه من العقيـدة ومن العمل، جاء بيـان أن الجزاء يكون على العمل لظهوره فى دنيا الواقع.

وجاء بيان أنه يكون على العقيدة وعلى الدافع على العمل، يكون به الحساب، ببيان علمه تعالى بذات الصدور، وهو ما انطوت عليه ولم يظهر من الأفعال ما يدل عليه.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۝٨﴾

التفســــير:

قوله تعالى ــ فى الآية ـ هو فى جنس الإنسان، وهو فى ذكـر حال أغلبهم أو الكثرة منهم،

نسب فعلهم إلى الجنس كله، باعتبار ما سبق بيانه من استثناء عباد الله المخلصين من قبيح الأعمال.

والمذكور فى الآية من أفعال الناس هو أنه إذا ما أصاب الضر أحدهم فى صحة أو ولد أو مال أو شىء تيقن فى ذاته أنه ليس إلا الله من يقدر على رفع الضر عنه، فيكون التجاؤه إليه والرجوع إليه.

وأنه إذا ما رفع تعالى الضر عن المضرور وأنعم عليه بنعمه، فإنه يكون منه نسيان التجائه إلى الله من قبل والرجوع إليه، ويكون منه الشرك بالله أو العودة إلى الشرك بالله باتخاذه معبودات أخرى يساويهم برب العالمين فى العبادة، ليكون بذلك علامة ضلال للناس تضلهم عن سبيل الله المستقيم وهو التوحيد .

ثم يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم وكل فرد من المؤمنين أن يقول لمن يكون منه مثل هذا الفعل «تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار». والأمر بالفعل لايعنى الطلب بالفعل، و إنما هو تهديد للكافر بإعلامه أنه يتمتع بكفره زمنا قصيرا هو - على أقصى تقدير - مدة حياته فى الدنيا، وأنه يكون له بعد هذا الخلود فى النار فى الآخرة، التى هو من أصحابها، بمعنى أنه وجد ليكون من ساكنيها الذين أعدت لهم لتكون لهم مهدا وقرارا .

أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا
يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ
وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان انعدام المساواة بين المؤمن بالله ، العامل بالطاعات وبين الكافر بالله والمشرك، جاء بيان انعدام المساواة بينهم دون بيان ماهية الشىء الذى لا

تكون فيه لكون ذلك من المعلوم، ولسبق الإفصاح عنه.

وجاء ذكره تعالـى المؤمن العامل بالطاعات بـأنه القانت آناء الليل ساجـدا وقائما يحذر الآخرة ويـرجو رحمة ربـه، بمعنى أنه القـائم على الطاعـات والمداوم على العبـادات، وجاء خص الليل بوقوع القنوت فيه لأنه وقت الراحة.

فيكون من قـام فيــه على الطاعات وداوم علـى العبادات غير مقصر فى فعل هـذا بالنهار. وحاله المذكورة فى النص هى السجود والقيام.

فيكون المعنـى أن من قنـوته الصـلاة، وتلاوة القـرآن والسجود أثنـاء التلاوة فـي مواضـع السجود. ثـم إنه تعالـى يبين دوافع المـؤمن وما انطوى عليه صدره ممـا كان دافعا لـه على القنوت والخشوع لله.

فيذكر أنه الحذر من الآخرة ورجاء رحمة به، فهو يؤمن بالآخرة ويخشى أن يكون منه تقصير فى حق ربه تعالى يحـاسب به ويعاقب فى الآخرة، وهو يرجو رحمـة ربه فيعمل على أن يكون ممن يدخلهم الله فى رحمته، وذلك بالمداومة على عمل الطاعات.

ولم يذكر النص المقابل لهذا المؤمن والضد لـه وهو الكافر العامل بالمعاصى، اكتفاء بما سيجـيء ذكره مـن إخبـار عن الـذيـن لا يعلمون، وهـم الـذين تنعـدم المسـاواة بينهم وبيـن المؤمنيـن.

ويبين من نفيه تعالـى المســاواة بين الذين يعلمون وبين الـذين لا يعلمون، أن القــانتين آناء الليـل ساجـدين وقائميـن هم الذيـن يعلمون، وأن الكافـــرين العصـــاة هم الـذين لا يعلمــون.

فيكون المـراد بالعلـم هو العلـم بوحدانيتـه تعالـى واستحقاقـه العبادة والشكـر، والعمل بموجب هذا العلم. ويكـون عدم العلم هو الجهل بحقيقة الحق تعالـى ووحدانيته أو تجاهل هذا وعدم العمل بموجباته.

ثم إنه تعالـى بين أن الذين يسمعون ما قال تعـالى فى شأن توحيده ويفيـدون من هذا هم

أصحاب العقول التى تسمع القول فتتدبره ويكون منها الإيمان والعمل بموجباته، دون الذين أغلقت عقولهم فشابهوا الأنعام فهم لا يعقلون .

قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ، يأمره تعالى أن يأمر المؤمنين بالتقوى، يتقون الله باتقاء غضبه بتجنب ارتكاب المعاصى.

ثم يحببهم تعالى فيما أمرهم به ببيان أنه يكون لمن فعل حسنة فى الدنيا حسنة الآخرة وهى الجنة. ثم إنه ﷺ يبين لهم أن لا حجة لأحدهم فى الانصراف عن الإيمان إلى الكفر، والانصراف عن الطاعة إلى المعصية، ببيان أنه إذا ما صعب على أحدهم عبادة الله فى وطنه أو فى موقعه من الأرض فإنه يكون مطالبا بالهجرة منها إلى حيث يمكنه عبادة الله، فهذا هو معنى أن أرض الله واسعة

وقوله تعالى «إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب» يتضمن معنى عاما وهو أنه تعالى يكافىء الصابرين على صبرهم ثوابا يكون لهم بمثابة الأجر يكون وفيرا حتى إنه يكاد يكون غير قابل العد والحصر.

ويتضمن معنى خاصا، هو أن الذين يصبرون فى أوطانهم على أذى الكافرين مثابرين على الطاعة مستمسكين بالإيمان يوفون أجورهم على هذا ويجزل لهم فى العطاء منه تعالى، يكون بغير حساب .

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾

التفسير:

القول ـ فى الآيات ـ موجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو مجموعة من الأوامر ينفذها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويقتدى به المسلمون فيما عدا ما اختص به عليه الصلاة والسلام دونهم .

فهو تعالى يأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول إنه أمر من ربه بعبادته مخلصا له الدين، والمعنى هو أن يخلص فى العبادة عن إيمان، فلا تشوب عبادته شائبة من شرك ولا من رياء. وهو صلى الله عليه وسلم ـ فى هذا ـ قدوة للمسلمين .

ويأمره تعالى أن يقول إنه أمر أن يكون أول المسلمين، بمعنى أنه الذى يقدمهم في الدنيا والآخرة، فهو صلى الله عليه وسلم الذى دعا إلى الإسلام بمعناه الخاص، فكان أول المسلمين بحكم أنه من أنزل عليه القرآن كتاب المسلمين، وبحكم كونه الداعى له، وهذه صفة خاصة به صلى الله عليه وسلم، لا يشاركه فيها أحد من المسلمين .

وهو تعالى يأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول إنه يخاف إن عصى ربه عذاب يوم عظيم، فهو لا يعصى بفعل أو قول ربه، وهو يخشى ربه وعذابه، ويخبر بهذا ليعلم المؤمنون أنهم الأجدر أن يخشوا ربهم.

فيكون صلى الله عليه وسلم قدوة للمسلمين فى هذا.

ثم إنه تعالى يأمره صلى الله عليه وسلم أن يقول إنه يعبد الله مخلصا له دينه. والقول إعلان منه يبين أن دينه هو الإسلام وأن يعبد الله عليه، وأنه لا قيمة للعبادة دون الإخلاص في الدين، بمعنى ألا تكون العبادة بقصد شيء من منفعة، وإنما تكون إحساسا بالدين وبموجباته، وعبادة لله ذاته وقصد ذاته .

فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾

التفسير:

قوله تعالى «فاعبدوا ما شئتم من دونه» يتصور فيه أن يكون قوله تعالى، ويتصور فيه أن يكون من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمشركين، وهو تهديد لهم بالعذاب إذا ما أصروا على الشرك بالله وعبادة غيره تعالى.

ثم يأمره تعالى أن يقول لهم إن الجديرين أن يدعوا خاسرين هم المشركون، وذلك لأنهم يخسرون أنفسهم وأهليهم يوم القيامة بإيرادهم أنفسهم وإيرادهم أهلهم وأتباعهم النار. ثم وصف تعالى هذا الخسران الذى يصيبهم بأنه هو الخسران المبين، والمعنى أنه هو الخسران الكبير الذى يكون ظاهراً لا يخفى .

وبعد أن بين تعالى ــ فى إجمال ــ خسارة المشركين يوم القيامة، ذكر تعالى شيئا من تهاويل العذاب الذى هو من خسران المشركين فقال إنه يكون لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل، فتكون النار فوقهم وتكون أسفل منهم .

ثم بين تعالى أن وصفه ما يكون عليه عذاب المشركين هو لتخويف عباده من أن يعرضوا أنفسهم لمثله، والظاهر من القول أن المراد بعباده هم المؤمنون؛ ولهذا جاء قوله تعالى «ياعباد فاتقون» أمر عباده المؤمنين بتقواه ليتجنبوا أن يكون لهم العذاب، والأمر كان حرصا منه تعالى على صالح المؤمنين .

وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الذين اجتنبوا الطاغوت : قيل إن المراد بهم - فى معنى الآيتين - هم الذين أنزل فيهم القول وهم: عمرو بن نفيل، وسلمان، وأبو ذر. وقيل هم عبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبى وقاص، وسعيد بن زيد. وهم - بالمعنى العام - كل من تجنب عبادة غير الله .

ثانيا التفسير:

قوله تعالى أنزل فيمن لم يعبدوا ما عبد آباؤهم من أصنام فى الجاهلية قبل بعثة رسول الله ﷺ، فهم الذين اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها، وهم الذين آمنوا لرسول الله ﷺ فأسلموا حين بعث صلى الله عليه وسلم بالقرآن .

يذكر تعالى أن لهم البشرى. والمعنى هو أن لهم البشرى بالجنة وحسن الثواب .

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يبشرهم بهذا، وصفهم تعالى بأنهم الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه .

وقيل فى معنى هذا أنه إذا كان فى أمر ما وجهان أحدهما واجب والآخر مندوب إليه، يكون منهم اختيـار الواجب، وإذا كان أمـران أحدهما مباح والآخـر مندوب إليه كان منهـم اختيار المندوب إليه. والذى نراه غير هذا ـ والله أعلم ـ فهم الذين يسمعون فى كل أمر ما يقال فيه ثم يعملون عقولهم فيما يسمعون، ويكون اختيارهم على هدى من عقولهم. إذ كان من أمر هؤلاء الذين أنزل فيهم القـول أنهم استمعوا إلى قول المشركين فى آلهتهم، وعـرضوه على عقولهم فلم تقبلـه، فلم يشركـوا بالله، فلما جاء رسـول الله ﷺ بالقرآن العظيـم، استمعوا إليه وعـرضوه على عقولهم فقبلته عقـولهم، فآمنوا لرسول الله وبالقرآن. ثم إن هذا هـو شأن الناس إلى اليوم يكون منهـم من هـو على ملة غيـر الإسلام، يقرأ كتـابها ويعـرضه على عقلـه، ثم يقـرأ القرآن العظيم ويعرضه على عقله فيقبله فيعلن إسلامه: ولهذا قلنا إن القول هو فى جميع الناس إلى يوم القيامة.

ثم إنـه يؤكـد هذا قولـه تعالى ــ من بعـد ـ «أولئك الـذين هداهـم الله، وأولئك هـم أولوا الألباب» فبين أن الله قـد هدى هؤلاء وأمثالهم إلـى الحق، وأنهم هم أصحـاب العقول. فدل بهذا على أن المعنيين بالقـول والذين هم يستمعون القول فيتبعون أحسنه هـم الذين يعرضون كل قول على عقولهم، ويتبعون ما تقبله عقولهم، لا يتبعون غيرهم اتباع الأنعام راعيها.

أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْقِذُ مَنْ فِي النَّارِ ﴿١٩﴾

التفســــير:

الخطاب فى الآية إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وهـو فى شأن أضداد الذين هداهم الله، وهم الذين حقت عليهـم كلمة العذاب. يخاطب تعالى رسولـه صلى الله عليه وسلم فى شأنهـم فيقول لـه إن الذيـن حقت عليهم كلمـة الله أن يكونـوا فى ضـلال،لن يهتـدوا، وهم أصحاب النار. وفـى النص جاء القول فى صيغـة الاستفهام لتقرير المعنى. وأنكـر على رسول الله أنه ينقذ الضالين، لأنـه صلى الله عليه وسلم كان يتمنى لوآمن عمه أبـو طالب وولده ومن

تخلف من عشيرته عن الإيمان. فجاء القول يعلمه أنه لن ينقذ هؤلاء من النار. والمعنى أنهم لن يؤمنوا.

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ٢٠﴾

التفسير:

جاءت «لكن» فى بداية القول لبيان التناقض بين حال المذكورين بعدها وبين حال المذكورين قبلها، أو بين حال الذين اتقوا ربهم وحال الذين خسروا أنفسهم الذين بين القول أنه تكون لهم ظلل من النار من فوقهم ومن تحتهم، فذكر تعالى أنه يكون للمتقين غرف من فوقها غرف مبنية.

والمعنى أنها تكون درجات بعضها فوق بعض، وأنها معدة سلفا لهم، فهى مبنية الآن وتبقى إلى أن تلقاهم، وتجرى من تحتها الأنهار لتتوفر للمتقين فى الجنة المتع الروحية مع المتع المادية.

ثم بين تعالى أن هذا الذى ذكره هو وعده للمتقين الذى يتحقق بإذنه تعالى لأنه لا يخلف وعدا وعده.

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يُخۡرِجُ بِهِۦ زَرۡعٗا مُّخۡتَلِفًا أَلۡوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصۡفَرّٗا ثُمَّ يَجۡعَلُهُۥ حُطَٰمًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢١﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ على ظاهره هو لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو فى حقيقته إلى جميع الناس، والمراد به أمران، أحدهما معنى قريب، وهو إثبات قدرته تعالى على فعل كل شىء، والثانى بعيد، هو إثباته تعالى أن الحياة الدنيا مهما ازدهرت وجملت وأينعت فهى إلى زوال.

والمعنى أنه تعالى الذى أنزل جميع الماء الذى فى الأرض فى مبتدأ الأمر من السماء، أو من جهة العلو ـ وقد سبق بيان أن بخار الماء كان يحيط بالكرة الأرضية منذ بدء انفصالها عن الشمس، ثم إنه لايزال ماء المطر ينزل من جهة العلو ـ ثم بين تعالى أن ماء المطر ينفذ إلى باطن الأرض بقدرته تعالى التى تكون خزانات للمياه كبيرة وصغيرة، ثم يخرج الماء بعد ذلك من الأرض عيونا وينابيع يكون بها وبالماء عموما خروج النبات من الأرض زرعا مختلفة أنواعه وأصنافه تكون خضراء يانعة ثم تيبس ويصفر لونها، ثم تتكسر من شدة يبوسها.

وبعد أن ذكر تعالى هذه الحقائق التى يعاينها الناس. والتى هى من دلائل قدرته العظيمة على فعل كل شىء، فإنه أثبت أن فى هذه الأمور المذكورة تذكيرا لأصحاب العقول على أنه تعالى وحده الله القادر المستحق العبادة لايشرك به.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٖ مِّن رَّبِّهِۦۚ فَوَيۡلٞ لِّلۡقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٢٢﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى الفرق بين حال المتقين الذين أسلموا وحال الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة، جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ بمثابة تعليل لما صار إليه حال كل فريق من الفريقين وإثبات لعدم المساواة بينهما، فبين تعالى أن المتقين هم الذين وسع الله صدورهم

فوسعت الإيمان دخلها، هداهم الله فاهتدوا بنور ما وسع به قلوبهم إلى الطريق الموصل للمراد وهو رضاء الله وجنته، ووصفت تعالى الكافرين والمشركين بأنهم القاسية قلوبهم من ذكر الله، ضاقت صدورهم واشتدت فلم تسع الإيمان ولم تذكر الله ذكرا حسنا. توعدهم الله بالعذاب بقوله «فويل للقاسية قلوبهم» فأثبت ـ من جهة ـ عدم المساواة بينهم وبين الذين شرح الله صدورهم للإسلام، وأثبت ـ من جهة ثانية أنهم يعذبون بقسوة قلوبهم عن ذكر الله.

ثم إنه تعالى أشار إليهم وأخبر عنهم أنهم في ضلال مبين، فدل على أن من لا يتخذ الإسلام دينا من بعد ما بلغه من العلم يكون في ضلال مبين.

ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ٢٣

أولا: الأسماء:

١ـ أحسن الحديث: هو أحسن الكلام أو أفضل ما يسمع وما يتحدث به، وهو القرآن العظيم.

٢ـ المتشابه: في قوله تعالى «كتابا متشابها» المراد به ـ في معنى الآية ـ أن بعضه يصدق بعضه، ويشابهه في الصدق والحكمة.

٣ـ المثاني: في قوله تعالى «كتابا متشابها مثاني» هو المردد والمكرر، ويتصور أن يكون المراد به ـ في معنى الآية ـ أنه يتضمن الثناء على الله تعالى، وأنه يثنى به على المتكلم به.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن أثنى تعالى على الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، فإنه تعالى بين فى الآية أن أحسن القول أو الحديث هو القرآن العظيم.

وأنه تعالى هو منزله، ثم وصفه تعالى بـأنه متشابه، وأنه مثانى، بمعنى أن بعضه يشبه بعضا فى كمال إحكامه، وأن بعضـه يصدق بعضه، وأنه تثنى فيه القصص والأحكام، ثـم ذكر تعالى أن من آثـاره فى نفـوس الذين خلـق تعالى فـى قلوبهـم خشيته أنه لـدى تلاوتهـم القرآن أو سماعهـم تلاوته تقشعـر جلدوهم، بمعنى أنهـا تنقبض بشدة، وقيـل إن هذا يكون عنـد تلاوة آيات الوعيد.

وقد يكون الصحيح أن هذه الحال لاترتبط بتـلاوة آيات الوعيد، فقد تصيب قارىء القرآن إذا ما تصور قوله تعالى فى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وهو يبنى و إسماعيل بيت الله الحرام، ثم يسـأل ربه قبول عملـه «ربنا تقبل منـا» فينظر إلى ضـآلة قدره بـالقياس إلى أبـى الأنبياء، وينظر إلـى عمله الحقير بـالقياس إلـى بناء بيت الله، فيمتلـىء قلبه بالخـوف من عـدم قبول عمله، فيقشعر جلده كما ذكر تعالى أنه يكون مـن بعد ذلك لين جلود هؤلاء وقلوبهم إلى ذكر الله.

وفيـه قيل إنـه يكون عنـد تلاوة آيـات الرحمـة، وقـد يكون الصحيـح أن لين الجلـــــود والقلـوب هـو كناية عن اطمئنان النفس وهـى فى حضرة كلام الله يدخل القلـوب فيكون بها أمنها.

ثم يشيـر تعالى إلى القـرآن العظيم ويخبر عنه أنـه هداه، به يهـدى من يشاء إلى الطـريق الموصل إلى رضائه وإلى جنته.

فأما من لم يشـأ تعالى هدايته لسبق اختياره الضلال، فإنه يخلـق فيه الضلال فيعرض عن القرآن العظيم موصدا قلبه دونه، فلا يكون له من هاد ينجيه من الضلال وتبعته.

■■■■■

أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

التفسير:

يبدأ قوله تعالى ـ في الآيات ـ ببيان الفرق بين حال المهتدي وحال الضال يوم القيامة، وفيه قيل إن المراد بمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة هو الضال، لايستطيع أن يتقى لفح النار بيده لأنها تكون مغلولة إلى عنقه، فيحاول ذلك بوجهه، وأن المعنى هو أن حاله يخالف حال المهتدى الذى لايتعرض لمثل هذا العذاب . والذى نراه ـ والله أعلم ـ هو أن المراد بمن يتقى بوجهه سوء العذاب يوم القيامة، هو المهتدى الذى اتقى بالهدى تعريض وجهه للفح نار جهنم، وأن المعنى هو أن حاله لايماثل حال الضال الذى لم يتق أن يعذب يوم القيامة بالنار تلفح وجهه أشرف ما فيه وتلفح جسده كله. ثم يذكر تعالى أنه يقال للضالين حال تعذيبهم من خزنة النار ـ على سبيل التوبيخ ـ أن يذوقوا جزاء كفرهم، جاء التعبير عنه بأنه ما كانوا يكسبون من قبيل السخرية بهم والاستهزاء .

ثم إنه تعالى بين أن الضالين المكذبين رسول الله صلى الله عليه وسلم. لم يكونوا بدعا فى ذلك، و إنما سبقهم فى التكذيب والضلال أقوام كانوا أمثالهم يذكر تعالى أنهم أتاهم عذاب الدنيا، بالقتل والأسر، أو بالإهلاك من جهة لم يدر بخلدهم أنه يأتى منها. بمعنى أنه كان عذابا بغتهم، فيكون القول وعيدا للمكذبين بين رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا

بإيقاع العذاب الدنيوى بهم. وصفه تعالى بأنـه الخزى فى الحياة الدنيا لأنه يذلهم ويحقر من شأنهـم، فبين أنهم يحيون بعـده فى الدنيا أذلاء صـاغرين، فـلا يكون العذاب بالإهـلاك، ثم أخبر تعالى أن عذاب الآخرة المعد لهم أشد منه مع ديمومته، كما أخبر أن حالهم هو حال من لا يعلم هذا، أو أنهم لا يعلمون هـذا بالفعل، وأنهم لو علموه ما كان منهـم الإصرار على الكفر وتكذيب رسول الله ﷺ.

وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

التفسـيـر:

قوله تعالـى ـ فى الآيتين ـ فى بيـان انعدام حجة المكذبين للإعـراض عن القرآن العظيم والإيمان به، فيـذكر تعالى أنه قـرب معانيه للناس بطريـق ضرب الأمثلة فى كل أمـر من أموره سواء ما تعلق بالعقيدة أو الأحكام أو القصص أو المـواعظ، وذلك لكى يكون من الناس فهمه وتدبره والعمل به.

ثم ذكر تعالى حـال القرآن العظيم فبين أنه عربى، بمعنى أنه عربـى اللفظ، أنزل على نبى من أمة العرب، وأنه يخلـو من الخلل مهما ضؤل، وهذا أبلغ فى التدليـل على استقامته لفظا ومعنى. كمـا بين تعـالى علـة ذلك فـأوضح أنها أن يكـون سبيل النـاس لاتقاء غضـب الله وعذابه.

ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـة ـ تطبيق لما سبق تقـريره من ضربه تعـالى فى القرآن مـن كل مثل ليفهم النـاس المعنى المـراد إيصالـه إليهم. فهـو تعالـى يضرب للمشـرك بالله مثـلا بالعبـد المملوك لعدد من السادة المختلفين فيما بينهـم، فمثل لمعبودات المشرك المتعددة بالسادة المتعددين الذين يشتركون فى ملكية عبد رجل واحد. ويضرب تعالى المثل للمؤمن الموحد بالله بالعبـد الذى سلمت ملكيته وخلصـت لسيد واحد هو مـالكه. فيكون المراد إيصـاله من المعنى هـو تردد المشـرك بالله وحيرتـه حيرة العبـد الذى تعـدد مالكوه فـلايملك إرضـاءهم جميعا، وهدوء نفس الموحد بالله الذى خلصت ملكيته لله تعالى.

وجاء قولـه تعالى «هل يستـويان مثلا» إنكارا لاستـواء الاثنين وتماثل حـالهما واستبعادا للقول بالمساواة بينهما. ثم جاء قوله تعالـى «الحمد لله» للإعلام باستحقاقه تعالى أن يحمد من قبل الموحدين على ما أنعم به عليهم مـن هدى إلى عقيدة التوحيد، وعلى إقامته الحجة على المشركين بفساد عقيدة الشرك، بطريق المثل المضروب.

ثم أثبت تعـالى أن المشركين ليسوا من أهـل العلم ولذلك فإنهم جهلـوا انعدام المساواة بينهم وبين الموحدين بالله، أو إنهم لم يعلموا الحق فأشركوا بالله .

إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فـى الآيتين ـ موجه إلـى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويتصـور فى معناه أن يكون لجميـع المؤمنين. والمعنـى المباشـر له هو أن مصيـر رسول الله ﷺ فى الـدنيا هـو إلى انقضاء أجله بالموت، وأن هـذا المصير هو مصير الكافرين المكذبيـن، ثم إنه يكون جمعهم جميعا عنده تعـالى يوم القيامـة للحساب فيقع الاختصام بينـه ﷺ وبين الكافريـن، إذ يشهد

عليهم ﷺ أنـه أبلغهم وأدى الرسالـه، وهم يدفعـون عن أنفسهم ذنـوبهم بإلقاء التبعـة على سادتهم والذين أضلوهم، وباقتدائهم بآبائهم.

والمعنى العام للنص يتصور فيه أن الاختصام يقع بيـن بعض المؤمنين وبعـض، كأن يقع بين فريقى المتحاربين من المسلمين فى كل خصومة وفتنة وحرب كانت بينهم أو بين الظالم والمظلوم.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الذى جاء بـالصدق: هو سيـدنا محمـدﷺ، جاء بكلمـة التوحيـد «لاإلــه إلا الله» القول الصدق، وبالقرآن العظيم، وهو القول الصدق ودعا للإسلام الدين الحق والصدق.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أن رسوله ﷺ وأتباعه يكونون خصوما للكافرين الذين بلغتهم الدعوة يوم القيامة، فإنه تعالى أثبت أن أشد الناس ظلما لأنفسهم ولله تعالى ورسله هم المشركون الذين أشركوا بالله والـذين قالوا إنه اتـخذ ولدا، وأنهم أيضا الذين كذبوا الرسل وأعرضوا عنهم وعما دعوهـم إليه من إيمان بـالله وتوحيده، ثـم إنه تعالى تـوعد هؤلاء الكـافرين ببيان أن مثـواهم

جهنم. حسبهم أنهم يصلونها.

ثم انتقل تعالى بالقول إلى أن خصوم هؤلاء الكافرين عند ربهم يوم القيامة هم المتقون، بدأ تعالى القول بذكر رسوله صلى الله عليه وسلم أول المؤمنين والمسلمين واصفا إياه بأنه" الذى جاء بالصدق، ثم عطف عليه الذى صدق به،يدخل فيه كل من آمن لرسول الله ﷺوآمن بما دعا إليه، ثم أشار تعالى إليه ﷺ وإلى كل من آمن له وأخبر أنهم هم المتقون. ثم أخبر عنه خبرا ثانيا وهو أنه يكون لهم عند ربهم ما يشاءون، والمراد أنه يكون لهم هذا يوم القيامة . يدخل فى هذا تكفير السيئات والأمن من الفزع الأكبر ومن أهوال يوم القيامة ثم أشار تعالى إلى هذا الذى يكون لهم وأخبر أنه من قبيل ما جاء به القول أنه يكون للمحسنين جزاء إحسانهم. أى أن ما ينالونه من خير هو ما ينالونه بصفتهم محسنين.

ثم إنه تعالى بين أنه جعل للمؤمنين المتقين عنده ما يشاءون ليكفر بذلك عنهم سيئات أعمالهم وليعطيهم ثواب أحسن أعمالهم. بدأ تعالى بيان رفع الضر عنهم ثم ثنى ببيان الإثابة، لأن دفع الضر مقدم على جلب المنفعة .

أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾
وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾

التفســــير:

الخطاب ـ فى الآيتين ـ إلى رسول الله ﷺ، والقول كان بمناسبة توعد المشركين رسول الله ﷺ بالخبل تصيبه به أصنامهم لتحقيره ﷺ إياها، فجاء قوله تعالى «أليس الله بكاف عبده» استفهاما أريد به إثبات أنه تعالى كاف من يعتمد عليه شر أذى الغير ممن يقدر على الأذى وأن هذه الحقيقة هى من الظهور لأصحاب العقول بحيث لايتصور رؤية غيرها، ثم إنه تعالى

ذكر تخويف المشركين رسوله ﷺ بأصنامهم التى عبدوها من دون الله، ويبين من عبارة القول الاستهانة بعملهم والاستخفاف بعقولهم التى اعتقدت ما هددت به. ثم أثبت تعالى أنهم بشركهم وبتهديدهم رسول الله ﷺ بآلهتهم، هم أهل الضلال الذين أضلهم الله فلا يهتدون ويعدمون هاديا يهديهم إلى الحق. والقول يفيد ضلال كل من يهدد أخذا اعتمادا على سلطان أحد من الخلق ذى سطوة أو نفوذ، وأنه تعالى يكفى من توكل عليه صادقا أذى الخلق يدفعه عنه ويرده.

ثم ذكر تعالى أن من يهديه إلى الحق لايكون فى مكنة أحد أن يضله عما هداه الله إليه. وقد يكون فى هذا إشارة إلى أنه لايخشى إلا الله وإن هدده أهل الضلال بذوى السلطة والجبروت.

ثم يجيء قوله تعالى «أليس الله بعزيز ذى انتقام» لتأكيد أنه تعالى هو الغالب على أمره. ينصر من يتوكل عليه وينتقم له ممن عاداه وحاول إيذاءه مستعينا عليه بالغير أو بالسلطة والقوة.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾

التفسير:

الخطاب - فى الآية - إلى رسول الله ﷺ، والقول هو فى المشركين، يقول له تعالى إنه لو سألهم عمن خلق السماوات والأرض، باعتبارهما أعظم مخلوقاته لكانت إجابتهم إن

خالقهما هو الله، والمعنى أنهم يؤمنون بأنه تعالى الخالق الأعظم، أو أن هذه الحقيقة هى من الوضوح بحيث إنهم لايستطيعون إنكارها. ثم إنه تعالى يطلب من رسوله ﷺ أن يقيم الدليل على بطلان اتخاذهم آلهة من دون الله تعالى بـإظهار انعدام قدرة معبوداتهم على شىء فجاء الاستفهام فى قوله ﷺ للمشركين ـ بأمر ربـه ـ «قل أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادنى الله بضر هل هن كاشفـات ضره أوأرادنى برحمة هل هن ممسكات رحمتـه» لأسباب عجز آلهتهم عن مناقضة إرادته تعالى بما يثبت أنه تعالى وحده صاحب الإرادة النافذة، إذا أراد أن يصيب الإنسان بأذى لم يكن فى مقدور معبوداتهـم منع الأذى عمن أريد به ولا رده عنه، و إذا أراد به خيرا لم يكن فى مقدورها حجبه عمن أريد له الخير.

ثم يجىء قوله ﷺ ـ بأمر ربه ـ «حسبى الله عليه يتوكل المتوكلون » إقرارا منه باعتماده على ربه فى جميع أمره، يكفل له الخير ويدفع عنه الشر والأذى ، و إثباتا لأن هذا هو فعل المؤمنين الذين على ربهم يتوكلون .

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُواْ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

التفســــــير:

الخطاب ـ فى الآيتين ـــ إلى رسول الله ﷺ، وهو أمر منه تعالى لرسـوله أن يتهدد المشركين بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة إذا ما أصروا على شركهم. فهو صلى الله عليه وسلم يطلب منهم ـ على سبيـل التحدى ـ أن يظلوا علـى ماهم عليه من إصـرار على الشرك ومن معـاداته، جاء التعبير عن حالهـم بـ «المكانة» ـ وهى مـن المكان ـ لبيان ملازمة الشـرك والعداء لهم، وهو صلى الله عليه وسلـم يخبرهـم أنه سيعمل على مـا يشاء له ربه من الحال الـذى يكون عليه، والمستفاد هو أن عملـه صلى الله عليه وسلم يكون فـى مقابلة عملهم. ثم يخبـرهـم ﷺ أنهم

سوف يعلمون بطريق المعاينة من الذى يصيبه ـ من فريقى المؤمنين، والمشركين ـ عذاب فى الدنيـا يهينه ويـذله، ثـم يحل عليـه ويحيط بـه عذاب دائم بعـد ذلك وهـو عذاب الآخـرة. والمعنى هو أن عذاب الهـزيمة والقتل والأسر يلحق المشركين فى الـدنيا، وأن عذاب جهنم الدائم يكون لهم فى الآخرة .

إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾

التفسـير:

الخطـاب ـ فـى الآيـة ـ إلـى رسول الله ﷺ، وهـو للتسـرية عنـه ﷺ كيـلا يحزن لإعـراض المشـركيـن عـن الإيمـان لـه. وفـى القـول يخبر تعـالـى عـن إنـزالـه القـرآن العظيـم علـى رسوله ﷺ متلبسا بالحق، ويذكر بأن من يؤمن بالقرآن العظيم ويهتدى به إلى الحق، فإن ذلك يكون لخيـره نفسه ومصلحته، وبأن مـن يعرض عنه ويبقى علـى الضلال، فإن ضلالـه يكون وبالا على نفسه لأنه يكون سببا لعذابها.

ثم إنـه تعالى يقـول لرسولـه ﷺ إنه ليس مـوكلا به أمـر إيمانهم، فمـا هو إلا بشير ونـذير، لا يسأل عما يكون منهم من إعراض عن الإيمان و إصرار على الكفر.

ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾

التفســـــير:

قولـه تعالى ــ فى الآية ــ هو فى آيـة من آيـات قدرته ووحـدانيته، والآية متعلقــة بقبض الأرواح .

فيذكر تعـالى أنه يقبض الأنفـس عن الأبدان، يقبضها إليـه وقت موتها ، والمـراد هو وقت موت الأبدان. كما يذكـر تعالى أنه يقبض الأنفس التى لم تمت أثنـاء نومها. بمعنى أن هناك أنفـس تقبض إليـه أثنـاء نوم الأبـدان، وأخـرى لا تقبـض أثناء ذلـك، وأن قبـض الأولى يتـم بإمساكهـا وعدم ردها إلى الأبدان النائمـة، وهذه هى الأنفس التى قضى تعـالى فى الأزل أن تقبض إليه أثناء النوم.

أما الأنفس الأخرى فإنـه تعالى يردها إلى الأبدان فتبقى الأبـدان حية إلى أن يحين الأجل الذى حدده تعالى لقبضها إليه.

وقد يكون القول مشيرا إلى التفرقة بيـن النفس والروح، لأن مفاده أن النفس تفارق الجسد أثناء النوم، فيكون المراد بها هو الإدراك، وأن الروح لا تفارقه فيكون المراد بها هو الحياة .

وفى رأينا ـ والله أعلم ـ يشير النص إلى مـا يعرف بالموت الإكلينيكى، أو موت جزع المخ، فيكون معنى قـوله تعالى «الله يتـوفى الأنفس حين موتهـا» هو أنه تعالـى يقبض الأرواح حين تموت الأبدان بفقدان القدرة على التحرك بالإرادة.

ويكون المـراد بالأنفس التـى لم تمت فـى منامهـا هو الأنفس التـى لم تقبض إليـه حال انعدام القـدرة على تحـريك الجسـد بالإرادة، أو هى حـال بقاء الـروح فى الجسـد مع زوال التحكم فيه، وهـى حالة الموت الإكلينيكى، تظـل الروح فى الجسد إلى الأجـل الذى حدده تعالي لقبضها إليه فيه .

ثم يذكر تعالى أن فـى فعاله هذه آيات عظيمة للذين يعملون عقولهـم تدل على وحدانيته وعلى عظم قدرته تطمئن بها قلوبهم إلى توحيد الله وعبادته .



أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾
قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾

التفسـير:

لما أثبت تعالى عدم اتصاف معبودات المشركين بصفة الألوهية، مما مفاده نأى الاعتقاد فى ألوهيتهم عن العقل ومقتضياته بإثبات عدم ملكيتهم شيئا فى السماوات ولا فى الأرض، فإنه تعالى دحض فى الآيتين الحجة الثانية للمشركين في لجوئهم إلى معبوداتهم بالدعاء والعبادة، وهى قولهم إنها تشفع لهم عند الله فى الدنيا أو الآخرة .

جاء قوله تعالى «أم اتخذوا من دون الله شفعاء» جاءت فيه «أم» دالة على قولهم السابق الذى ثبت بطلانه وهو القول بأن المعبودات آلهة، وجاء الاستفهام بعدها لإنكار القول الثانى وهو قولهم إن معبوداتهم يشفعون لهم؛ وجاء قوله تعالى «من دون الله» لإفادة معنى أن معبوداتهم تشفع لهم دون إذن الله بذلك ـ ثم جاء أمره تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم «أو لو كانوا لا يملكون شيئا ولا يعقلون» لإثبات فساد عقيدتهم بإثبات أن معبودات المشركين لاتملك من أمر غيرها ولا من أمر نفسها شيئا، وأنها لاعقل لها، ولا يتصور مما لاعقل له أن يكون شفيعا يشفع ويبدى سببا للشفاعة يقبل .

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يقول إن لله الشفاعة جميعا بمعنى أنه تعالى مالك أمرها جميعه يدخل فى هذا تعيين من تكون منهم الشفاعة، ومن تكون فيهم أو لهم، ثم يكون له أمر قبولها أو عدمه .

والقول ـ بهذا المعنى ـ يثبت الشفاعة يوم القيامة .

وفى القـول وصف تعـالى ذاتـه بأن لـه ملك السمـاوات والأرض، وأن جميع النـاس إليه يرجعون يوم القيـامة، فبين اختصاصه بملك السماوات والأرض وجميع مـن فيهما وما فيهما، بما يفيد انتفـاء حول غيره وقدرته على إفـادة أحد إلا بإذنه، فيكون القول مفيـدا بطلان اعتقاد المشركين أن معبوداتهم تفيدهم من دون الله.

كما أن فـى القول إشارة إلـى محاسبته المشـركين على قـولهم الباطـل وتعذيبهم بـه مع تعذيبهم بشركهم بحكم أنهم إلى الله يرجعون للحساب والجزاء .

وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

التفسـير:

بدأ القول ـ فى الآيتيـن ـ ببيان حال المشركين ـ الذى يعملون عمل مـن لا يؤمن بالآخرة ـ ومدى تعلقهم بحب آلهتهم الزائفة وكراهتهم الحق بالنفـور من كل من يذكر به، فيذكر تعالى أنه إذا مـا ذُكر الله تعالى وحـده على مسمع منهم، كـأن تقال كلمة التـوحيد، أو تذكر آيـة من القرآن العظيم فيهـا ذكر الله تعالى وحـده، أو نطق مؤمن بـذلك أو بمثله، انقبضت صـدورهم وضاقت بما سمعت، وأنه إذا ذكرت آلهتهم على مسمع منهم استبشروا بذلك وسعدوا اعتقادا منهم أنهـا ستذكر بـالخير، ولو كـان ذلك فـى القرآن العظيم حيـث لا يتصور أن يكون ذكـرها بالخير، وعلة ذلك هو ما خيم على قلوبهم من الباطل لفرط حبهم إياه ولسيطرة الشيطان على قلوبهم وعقولهم بما جعلهم لا يعقلون .

ثم إنه لما كان فعل المشركين هو نتاج عقديتهم الباطلة فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يدعوه وأن يلتجيء إليه فى شأن المشركين مناديا إياه بأنه عالم الغيب والشهادة، الذى يعلم ما انطوت عليه صدور المشركين ويعلم ما يصدر عنهم من أفعال فى الغلن.

ثم إنه لما كان تعالى يحاسب الخلق بما يكون منهم وهو ما يعلمه تعالى كان قول رسوله ﷺ - فى ندائه ربه - «أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون» جاء فيه ذكر المسند إليه «أنت» لبيان أنه تعالى وحده هو الحاكم الفرد وتبعه ذكر أنه يحكم بين العباد ليكون بمثابة طلب وسؤال لما هو محقق وهو فصله تعالى بين الموحدين والمشركين بالثواب والعقاب، يكون دليلا على صحة عقيدة التوحيد، وبطلان عقيدة الشرك .

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا
وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ
ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾

التفسـيـر:

بعد توجه رسول الله ﷺ إلى ربه أن يفصل بقضائه بين المؤمنين والمشركين يوم القيامة، جاء قوله تعالى فى الآيتين فى بيان حال المشركين يوم القيامة، وصفهم تعالى بأنهم الذين ظلموا لظلمهم ربهم بقولهم إن له شركاء، وظلمهم أنفسهم بتعريضها للعذاب.

وفى القول يصرح تعالى بأن أحدهم لو كان له ملك جميع أموال الأرض ومثلها معها لدفعها فدية يدفع بها عذاب يوم القيامة.

والمستفاد من أداة الشرط «لو» وهى للامتناع أن المراد بالقول هو بيان شدة العذاب الذى يهون معه أى مال يؤدى من أجل تجنبه .

ثم يبين تعالى أنه يظهر للمشركين من صنوف العذاب ما لم يدر بخلدهم وما لم يتصوروه «وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون» .

ثم أوضح تعالى أن هذا يكون حال المشركين منذ أن تعرض عليهم صحائف أعمالهم فيعلمون منها ما استحقوا به العذاب «وبدا لهم سيئات ما كسبوا»، كما أوضح أن العذاب الذى كانوا يستهزئون به حين يتوعدهم المؤمنون به، يحيط بهم يوم القيامة فلا يكون لهم منه خلاص «وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون» .

فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ الإنسان : قيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو حذيفة بن المغيرة، الذى قال إن الله أنعم عليه بالثروة لعلمه تعالى أنه يستحق ذلك بما له من حظوة لديه تعالى وحظ عظيم.

وقد يكون الصحيح - بقطع النظر عن سبب النزول - أنه كل كافر بنعم الله .

٢ - الذين من قبلهم : هم قارون وكل من قال قوله .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى - في مبتدأ الآيات - هو في الإنسان عموما بتغليب أكثر أفراده بمعنى أن القول يتعلق بعمل أغلب أفراد جنس الإنسان، أو هو في الكافرين عموما أو الكافرين نعم الله عليهم.

يذكر تعالى أنه إذا أصاب أحدهم ضر أو أذى تحرك فيه الإيمان الفطرى والتجأ إلى الله داعيا سائلا رفع الضر عنه والأذى، ثم إنه إذا أفاء الله عليه بخير تفضل به عليه وأنعم أرجع ذلك إلى نفسه. كما نرى ممن يجنى خيرا من وراء علم اكتسبه أو فن أجاده أو رياضة تفوق فيها، ينسى من تفضل عليه بالقدرات التى تفوق فيها بإذنه، ويرجع ذلك إلى قدراته الذاتية، ثم يذكر تعالى أن واقع الأمر هو أنه تعالى يختبر من ينعم عليهم بما أنعم لينظر أيشكر أحدهم أم يكفر، بمعنى هل يكون من المنعم عليه الإقرار بفضل الله عليه وشكره على هذا أم يكون منه جحد النعمة ونسبة أسبابها لنفسه وكفاءته وقدراته الذاتية. ثم بين تعالى أن أكثر الناس أو أكثر المنعم عليهم لا يعلمون أنهم مختبرون بما أنعم الله به عليهم. ثم إنه تعالى يتوعد منكرى نعم الله تعالى عليهم بسوء المصير، بذكره أن أناسا قبلهم أنعم الله عليهم بنعمه فجحدوا نعمه ونسبوا فضلها إلى ذواتهم، وهم قارون ومن ذهب مذهبه فى هذا.

ثم يذكر تعالى أن جميع ما اكتسبوا من أسباب القوة لم يغن عنهم شيئا مما أراد الله معاقبتهم به، فيكون المعنى هو تهديد هؤلاء بأن يكون مصيرهم - حال بقائهم على حالهم من إنكار نعم الله عليهم - هو ذات مصير الذين قالوا قولهم من قبل.

ثم يبين تعالى ما كان عليه فعله مع هؤلاء السابقين ، فيذكر أنه أصابهم سيئات ما كسبوا، بمعنى أنه نالهم جزاء سيئات أعمالهم الذى هو سيء مثل العمل الذى كان جزاء عليه.

وبعد ذلك يشير إلى المشركين - وصفهم بأنهم الظالمون - أو إلى الذى نسبوا النعمة

المنعم بها إلى ذواتهم من بينهم، ويخبر عنهم أنه سيصيبهم سيئات ما كسبوا، بمعنى أنه سينالهم عذاب يسوؤهم شأن أعمالهم السيئة، كما يخبر بأنهم لا يستطيعون الإفلات مما قدر لهم من العذاب الدنيوى الذى يشاؤه تعالى لهم. ثم إنه تعالى يبين جهل هؤلاء المنعم عليهم الذين ينسبون فضل الإنعام عليهم إلى ذواتهم أو إلى تفضيل الله إياهم على غيرهم من خلقه بذكره ما يفيد أنهم لم يعلموا أن بسط الرزق وإمساكه هو أمر يتعلق بمشيئته تعالى وحكمته التى لا يدركها الجاهلون. ثم إنه تعالى بين أن فى التوسعة فى الرزق وفى التضييق فيه آيات عظيمة من آيات حكمته لا يدركها إلا المؤمنون الذين كمل إيمانهم، فيكون القول مبينا أن المؤمنين هم أهل العلم، وأن الكافرين نعم الله هم الجاهلون .

۞ قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ
أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ
جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن
قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ
إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾
أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ
ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾
أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ
قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾

أولا : الأســـــماء والأعلام :

١ ـ **الذين أسرفوا على أنفسهم** : قيل إن المراد بالقول هو هشام بن العاص بن وائل السهمى، الذى أسلم واتفق مع عمر رضي الله عنه وعياش بن عتبة على الهجرة، ثم منعه مانع من الهجرة، ثم فتن بالكفر فافتتن، ثم أراد التوبة والعودة للإيمان فاعتقد أنه لا تكون له توبة، فنزلت الآية. وقيل هو وحشى قاتل حمزة والقول أنهم الذين أفرطوا فى المعاصى لعمومية التعبير.

٢ ـ **جنب الله** : المراد به هو حق الله .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى بيان رحمته تعالى بالناس التى كان مقتضاها غفرانه تعالى ذنوب العباد و إدخالهم فى رحمته، وفتح باب التوبة لهم، ونصحهم بالرجوع إليه تعالى مع تحذيرهم من الإصرار على الإعراض عن الحق ببيان مصير المكذبين .

بدأ قوله تعالى ــ فى الآيات ـ بأمره رسوله ﷺ أن يقول للذين أفرطوا فى ارتكاب المعاصى، فاستقر فى نفوسهم أنهم معذبون، يقول لهم ألا ييأسوا من رحمة الله تنالهم فلا يكون تعذيبهم بما قرفوا من المعاصى، وأن يبين لهم أنه تعالى يغفر الذنوب جميعها لمن يشاء بحكم كونه الغفور، وأنه يدخل من يشاء فى رحمته بحكم كونه الرحيم. وفى معنى مغفرة الذنوب قيل إنه تعالى لا يعاقب بها، وقيل إنه تعالى يمحوها من الصحف، ثم إن القول ـ على ظاهره ـ يفيد عدم تقييد المغفرة بوجوب التوبة ، بمعنى أنه تعالى يغفر لمن يشاء ولو لم تكن من مرتكب الذنب توبة، ويبدو أن الإطلاق فى المعنى لا يقيده إلا قوله تعالى «إن الله لا يغفر أن يشرك به و يغفر ما دون ذلك لمن يشاء» .

وبعد ذلك كان من رحمته تعالى أن أمر الناس أو أمر العصاة والكافرين بالرجوع إليه بالتوبة و إسلام الوجه والأمر له والانقياد، وصفهم بأنهم عباده ليفتح أمامهم باب الأمل فى أن يكونوا بطاعته من بين عباد الرحمن، وذلك بطريق التوبة التى أمر بها حتى لا يعتمد الناس

على مغفرته تعالى الذنوب وعلى رحمته فلا يكون منهم انقطاع عن ارتكاب المعاصى. وجاء أمره تعالى هذا مشفوعا بتحذيره العباد من تأخير التوبة والرجوع إليه إلى وقت لا تنفع توبة، وهو ما يكون لدى إنزاله تعالى العذاب الدنيوى بالكافرين أو لدى وقوع غرغرة الموت، فيكون المآل هو عذاب الآخرة لا يمنعه عن الكافرين والعصاة مانع.

ثم كان من مظاهر رحمته أيضا أن أمر الناس - بلسان رسوله ﷺ - أن يتبعوا القرآن العظيم، وصفه تعالى بأنه أحسن ما أنزل إلى الناس من ربهم، وذلك صحيح فقد اشتمل على عقيدة التوحيد التى جاءت بها الكتب والصحف المنزلة منه تعالى، كما جاء بالأحكام وكانت قبله توراة موسى عليه السلام وما أنزل على نوح عليه السلام قد تضمن أحكاما، إلا أن أحكام شريعة نوح أنسيت، وأحكام شريعة موسى عليه السلام، نُسخت، وبقيت أحكام القرآن العظيم هى الشريعة إلى أن تقوم الساعة، ثم إنه الكتاب الذى اختصه تعالى وحده بحفظه من لدنه، فهو أحسن ما أنزل إلى الناس من ربهم. وارتبط أمره تعالى هذا بتحذير الناس من التأخر فى الإيمان بالقرآن العظيم والعمل به فيكون حلول العذاب بهم فجأة فلا يملكون دفعه، قد يكون هو عذاب الدنيا، يفجأهم المسلمون بقتال يقتلون فيه ويؤسرون، وقد يكون هو عذاب الآخرة، يستحقونه بموتهم دون الإيمان، فيكون الموت الذى يفجأهم هو مبدأ عذابهم.

ثم يبين تعالى ما يكون ممن لا يطيع الله ما أمربه من الرجوع إليه بالتوبة، ومن اتباع القرآن العظيم، يبينه قصد تحاشى أن يكون للمخاطبين ذات المصير. والمذكور هو تحسر نفس العاصى على ما كان منها فى الدنيا من تفريط فى أداء حقوق الله، ولما كانت حقوق الله هى فى جانب عبادته، وفى جانب آخر إطاعة أوامره وتجنب نواهيه، فإن التحسر يكون على عدم الإيمان بالله، وعلى الشرك به وعلى العصيان، وعلى التقصير فى أداء المأمور به. والمفهوم أن سبب التحسر يكون معاينة العذاب أو التيقن من مواقعته.

كما يبين تعالى أن التحسر يكون على السخرية بدين الله أو بأوامره تعالى ونواهيه «وإن كنت لمن الساخرين» وإنك لتشاهد أحدهم وقد جلس فى مكانه يعاقر الخمر، فإذا نصحته أن يتجنبها رد عليك قائلا «تركت لك خمر الجنة» فهو - وإن كان لم يكفر بالآخرة وما يكون

فيها من ثواب وعقاب ـ إلا أنه يبدى استهزاء بما سمع .

فالقول يثبت أن مثل هـذا يتحسر يوم القيامة على سخريته ممـن أسمعه قـول الله أو ذكره به .

ومما يحـذر تعالـى الناس منـه أن يضطر أحدهـم لدى معـاينته العـذاب فى الآخـرة إلى التمسح فى الأسباب الواهية لدفع مسئوليته عن عصيان ربه بقوله «لو أن الله هدانى لكنت من المتقين»، أو أن يضطـر إلى أن يقول لـدى رؤيته العذاب المعـد له «لو أن لـى كرة فأكـون من المحسنين» بمعنـى أنه يتمنـى محالا وهـو رجوعه إلـى الحياة الـدنيا ليـؤمن ويطيـع ويعمل الصالحات.

ثم إنه تعـالى يجيب على هـؤلاء وهؤلاء قول كل منهمـا، فيخبر أنه قد جـاءت كلا منهما آياتـه تعالـى التى أمرتهـم جميعا بالإيمـان بالله والإيمـان لرسول الله ﷺ والتصـديق بكتـابه والعمل به، إلا أنه كان منهم التكذيب بها بإنكار أنها من عند الله، والاستكبار عليها بالإعراض عنها فكانوا بذلك من الكافرين الذين استحقوا العذاب .

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

المفـــازة : فى قـوله تعالى «وينجـى الله الذين اتقوا بمفـازتهم» مصدر ميمى مـن الفعل «فاز يفوز»، أو اسم الفوز. والمراد بها ـ فى معنى القول ـ هو الفوز بالمبتغى والمأمول .

ثانيا : التفســـــير :

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو فى بيان المـزيد من الفروق التى تكون ظاهرة يوم القيامة بين أحوال الكافرين وأحوال المؤمنين المتقين. جاء الخطاب موجها إلى رسول الله ﷺ، والمعنى أنه يكون لكل فرد من المـؤمنين، أخبر تعالى أن رسوله ﷺ يرى يوم القيامـة الذين كذبوا على الله وجوههم مسـودة. جاء الإخبار بأنه ﷺ يرى المخبـر عنه، لبيان أنه يكون حتمـا كما أخبـر عنه.

والمخبر عنه أنه يري الـذين كذبوا على ربهم وحالهم أن وجوههـم تكون مسودة. والذين كذبوا على ربهم هم الذين قالوا إن له ولدا والذين أشركوا بعبادته، والذين أنكروا وجود إله من الملاحـدة، والذين حـرفوا مـا أنزل ونسبوه إليـه تعالى. وحـالهم التـى يكونون عليهـا هى أن وجوههم تكون مسودة على الحقيقة، أو أنها تظهر عليها علامات الكآبة.

ثم إنـه تعالى يخبر أن مصيـر هؤلاء هو أن جهنـم تكون لهم مقـاما. جاء القول فـى صيغة الاستفهام المـراد به تقرير المستفهـم عنه، ووصفوا بأنهـم المتكبرون لأنهم عتوا فـى أنفسهم واستكبروا على كلمة الحق فلم يؤمنوا بها ولم ينقادوا لله تعالى ولم يؤمنوا لرسوله ﷺ .

ثم ذكر تعالـى ـ فى المقابل ـ حال الـذين اتبعوا أحسن ما أنزل إليهـم من ربهم، وصفهم بأنهم الذين اتقوا، وأخبر عنهم أنه ينجيهم من أهوال يوم القيامة ومن جهنم يبعدهم عنها وقد ظفروا بما أملـوا فيه وهو الجنة ونعيمها، كما أخبـر أنهم لا يمسهم سوء من أى نـوع وبأى قدر وأنهم لا يحزنون ، وهذا هو حال أهل الجنة .

ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾

أولا : الأســــــماء :

مقاليد السماوات والأرض : قيل إن «مقاليد» جمع لا واحد له من لفظه، وقيل إن مفرده هو «مقليد» وقيل «مقلاد»، وإن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو مفاتيح السماوات والأرض، وقيل هى قول: «لا إلٰـه إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، أستغفر الله، ولا حـول ولا قوة إلا بالله العلى العظيـم، هو الأول والآخر والظـاهر والباطـن، يحيى ويميت، بيـده الخير وهو علـى كل شىء قدير» .

ثانيا : التفســــــير:

بعد أن بين تعالـى ما يكون من حال الكافريـن وحال المؤمنين المتقين يوم القيـامة، فإنه تعالى أثبت أنه خالـق كل شىء، يدخل فى هذا المخلوقات المادية، ويـدخل فيه ما هو غير مادى مجسد مثل الخير والشر، ومثل الإيمان والكفر.

كما أثبت تعالى أنـه يتصرف فى كل شىء خلقه وفق حكمته، وأن كـل شىء خلقه هو فى احتياج إليه، وأنه تعالى فى غنى عن كل شىء.

كذلك أثبت تعالى أنه له مقاليد السماوات والأرض، فكل ما يقدر فى السماوات وما ينزل منها وما يكون فيها، وكـل ما هو فى الأرض وما يخرج منها هو فى ملكـه تعالى وهو المتصرف فيه .

وبعد هذا جاء قـوله تعالى «والذين كفـروا بآيات الله أولئك هم الخاسـرون» ليدل على أن جميع ما سبق ذكره من صفاته تعالى .

قد قامـت عليه الدلائل العقلية وأخبرت بـه آياته المنزلـة، مما يكون معه توحيـده هو فعل أصحاب العقول الذين ينجيهـم الله بمفازتهم يوم القيامة؛ ولهذا أخبر تعالـى عن الذين كفروا بـآياتـه بأنهـم هـم الخاسـرون، حتـى لكأنـه ليس مـن خـاسريـن غيـرهم إذا مـا قيس بهـم الخاســرون.

■■■■

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾

التفســـــير:

جاء قوله تعالى - فى الآيات - بمناسبة عرض مشركى مكة على رسول الله ﷺ أن يستلم آلهتهم مقابل أن يؤمنوا بالله تعالى. فجاء أمره تعالى إلى رسوله ﷺ أن ينكر عليهم طلبهم هذا منه، وأن يصفهم بالجهل لأن طلبهم هذا منه ﷺ وهو الهادى إلى التوحيد، البشير للمؤمنين والنذير للمعرضين عن التوحيد يدل على جهلهم بالله وبرسوله .

ثم إنه تعالى يخاطب رسوله ﷺ معلما أنه قد أوحى إليه وأوحى من قبله إلى كل رسول بعثه بأنه إذا أشرك بالله، فإنه يخسر جميع عمله ومنه صالح أعماله التى كانت قبل الشرك فيكون من الخاسرين الذين خسروا ثواب الأعمال الصالحة وجنوا إثم الكفر والأعمال السيئة.

وليس مفاد القول هو تصور إمكان وقوع الشرك منه ﷺ أو من أحد من رسل الله تعالى، وإنما جاء القول لتيئيس المشركين من الأمل فى أن يطيعهم رسول الله ﷺ فيما طلبوه منه من استلام آلهتهم .

ثم أتبع تعالى ذلك بأمره رسوله ﷺ بعبادة الله وحده، وشكره على ما أفاء به عليه من النعم

وأعلاها نعمـة الاصطفاء للنبوة. وينصرف الأمر إلـى جميع المؤمنين بعبـادة الله وحده وشكره على نعمه وأخصها لهم نعمة الإيمان الذى يسره لهم.

وبعد هذا يجىء قوله تعـالى فى المشركين فيثبت فى حقهم أنهم لم يـوفوا الله تعالى حقه من التعظيم والإجـلال، فهم لم يعرفوا قـدره تعالى، ولهذا أشـركوا معه فى العبادة مـن هو من خلقه فى السماوات أو فـى الأرض، يدخل فى هذا أجرام السماء والملائكـة مما فى السماء، ويدخل فيه الأنبياء والأصنام مما عبد فى الأرض.

جاء الدليـل على عدم استحقاقهـم أن يعبدوا من دون الله ببيان أن الأرض جميعهـا تكون قبضة واحدة له تعالى يوم القيامة، وأن حال السماوات أنها تكون مطويات بيمينه تعالى.

والمراد بهذا هو بيان سيطرته تعالى علـى السماوات والأرض، وضآلة قدرهما بالقياس إلى قدرته تعالـى، فإذا كان هذا هو حالهمـا بما فيهما، فإن حال المعبودات التـى هى من الخلق فيهما هو أشد ضآلة.

فيكون القول دالا علـى جهل المشركين وعلى أنهم لـم يعرفوا لله تعالى قـدره، وأنهم لهذا ولذاك أشركوا بعبادته ما عبدوا من دونه تعالى.

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ
فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ
فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ
لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾

أولا : الأســماء والأعلام :

١ ـ من شاء الله : هم الذين لا يصعقون عند النفخة الأولى، قيل إنهم جبريل، و إسرافيل، وميكائيل، وقيل هم وحملة العرش و إنهم يموتون بعد ذلك، وقيل هم رضوان والحور، ومالك والزبانية، وقيل هم الذين ماتوا قبل ذلك.

٢ ـ الكتــاب : قيل إن المراد بـه ـ في القـول ـ هو الحساب، وقيل هو صحائف الأعمال، وقيل هو اللوح المحفوظ .

٣ ـ الشــهداء : المراد بهم ـ في معنى القول ـ هو الحفظة يشهدون على الأمم، ويشهد على كل شخص بعمله .

ثانيا : التفســير :

قوله تعالى ـ في الآيات ـ في رواية أحداث الآخرة، فيذكر تعالى أنه ينفخ في الصور، وفي القول جاء الفعل في صيغة الماضي لبيان حتمية وقوعه ـ وقيل إن النافخ هو إسرافيل وقيل إنه اثنان ـ ويترتب على النفخ في الصور موت جميع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ألا يموتوا من أثر النفخة وهم جبريل و إسرافيل وميكائيل، وفي قول آخر إنهم وحملة العرش، كما قيل إنهم رضوان والحور، ومالك والزبانية.

كما يذكر تعالى أنه ينفخ في الصور نفخة أخرى يكون من أثرها قيام جميع الأموات من قبورهم ينتظرون ما يفعل بهم أو ما يؤمرون به.

ثم يذكر تعالى أن الأرض تشرق بنور ربها، وقيل إن الأرض ـ في القول ـ هي أرض المحشر وليست الأرض التي نحيا عليها، تشرق بنور ربها دون شمس ولا قمر، وفيه قيل إنه نور الحق، وقيل إنه نور تجليه تعالى، أو نور يخلقه تعالى لذلك، وأنه يوضع في الكتاب وهو الحساب أو صحائف الأعمال أو اللوح المحفوظ، تضعه الملائكة العمال، كما يذكر تعالى أن النبيين والشهداء يستحضرون يستحضر النبيون ليسألوا عن إبلاغهم أممهم ما أرسلوا به، ويستحضر الملائكة الحفظة ليشهدوا على كل بعمله، ثم يقضي تعالى بين العباد وفيهم بالعدل، فلا يظلم أحد بنقص ثواب يستحقه أو بزيادة عقاب لا يستحقه. ثم يذكر تعالى أنه بهذا القضاء

تكون كل نفس قد أخذت جزاءها على ما عملت فى دنياها، وهو ما علم به تعالى الذى يحيط علمه بكل ما كان منهم، فيكون القول تأكيدا لمعنى مجازاة العباد بأعمالهم دون ظلم لهم.

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾

أولا: الأسماء:

الزمر: فى قوله تعالى «وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا» جمع، مفرده «الزمرة» وهى الجماعة الصغيرة أو القليلة العدد.

ثانيا: التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - هو فى تفصيل بعض ما يفعل بالكافرين يوم الآخرة. فيذكر تعالى أنهم يساقون مدفوعين - والمفهوم أن الملائكة هى التى تسوقهم - يساقون إلى جهنم تكون موصدة الأبواب، فما أن يجيئوا إليها إلا وتفتح أبوابها لهم ليلقوا فيها وفى القول جاء بيان كيفية سوقهم إلى جهنم بأنهم يساقون جماعات بعضها يتبع بعضا ليكون إلقاؤهم فيها بعد أن تفتح أبوابها فوجا من بعد فوج.

ثم يذكر تعالى أن خزنة جهنم يقرعونهم ويوبخونهم على ما دخلوا به جهنم، فيذكرون لهم

أنه قد أرسل فيهم رسل من جنسهم تلوا عليهم آيات الله تعالى فلم يؤمنوا لهم وأنذروهم بالعذاب وبدخول النار الذى يعانونه فى يومهم.

وفى القول يكون قول الخزنة فى صيغة استفهام منفى «ألم يأتكم رسل منكم» فتكون إجابة الكافرين على السؤال هى «بلى» يثبتون على أنفسهم أنهم جاءتهم رسل منهم تلوا عليهم آيات الله وأنذروهم بالعذاب الذى يلقونه فى يومهم. ثم يضيفون إلى هذا قولهم إنه مع حدوث هذا إلا أنه قد وجب تحقق كلمة الله المقضى بها أن يكون العذاب للكافرين. فيكون قولهم اعترافا منهم بكفرهم الذى استحقوا به تحقق كلمة الله فيهم أن يعذبوا .

ثم يذكر تعالى أنه يقال للكافرين من بعد ذلك «ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها» والمعنى أنهم يلقون فى جهنم ليكون خلودهم فيها، كما تذم لهم جهنم ببيان أنها بئس المثوى والمقام، ويعلمون بأنهم استحقوا دخولها والخلود فيها لاستكبارهم على الحق بما أدى إلى عدم انقيادهم للرسل المنذرين .

وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَـٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾

التفسير:

يذكر تعالى ما يكون مع المؤمنين لدى الذهاب بهم إلى الجنة، فيهم يستحثون على الإسراع فى التوجه إليها لنيل ما يوعدون، أو إنهم تساق ركائبهم لتسرع بهم للوصول إلى

الجنة، يكـونون أفواجا بعضهـا يتبع بعضا. فإذا جـاءوها وقد فتحت أبـوابها دعا لهم خـزنتها بالسلام وسلموا عليهم تحية من أنفسهم داعين لهـم أن يطيبوا نفسا، أو مخبرين عن دخولهم الجنة لكـونهم قد طهروا مـن إثم المعاصـى. ثم يدعـونهم إلى دخولهـا مقدرين أنهـم فيها يخلدون .

كما يذكر تعالى أن أهل الجنة يحمدون ربهم آنذاك واصفين إياه تعالى بأنه الذى صدقهم وعده بالبعث وبالإثـابة، ويذكرون أثر ذلك فى أنفسهم وهو أيلولـة الأرض إليهم حتى لكأنهم وارثوها، وليس المراد بالأرض هو أرض الدنيا التـى فنت و إنما المراد هو الأماكن التى يمشى عليها فى الجنة ـ سواء أسميت «أرضا» أم لم تسم بـذلك ـ وأنهم يتبوءون من أماكن الجنة ما يشاءون، أو أن كلا منهم يتبوأ من أماكن الجنات الواسعة ما يشاء مما أعد له .

وقوله تعـالى «فنعم أجر العاملين» يتصـور فيه أن يكون من قول أهل الجنـة ويتصور فيه أن يكون قول الله تعالى، وهـو إعلام بأن ما يتنعم به أهل الجنة هو أجرهـم على إيمانهم وعملهم الصالح الموهوب لهم من الله تعالى، ومدح له ببيان أنه هو أفضل أجر يعطى لعامل .

وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾

أولا : الأســـــماء :

الحافـــــون : فى قولـه تعالى «وترى الملائكـة حافين من حول العـرش» جمع، مفرده ـ فـى اللفظ ــ هـو «الحاف» و إن كـان لا يتصـور أن يكون الحفـوف ــ وهو الإحـاطـة بالشـىء والإحداق به ـ من فرد واحد؛ ولهذا قيل إنه ليس له واحد.

والحافون هم المحيطون بالشىء والمحدقون به، أو الداثرون حوله .

ثانيا : التفسـير:

القول هو فى بيان حتمية وقوع المذكور فى الآية، بمعنى أن الذى يرى هو كل من تتأتى منه الرؤية. والمرئى هو إحداق الملائكة بالعرش وإحاطتهم به بمعنى رؤيتهم وحالهم هى الدوران حول العرش والإحاطة به، وتسبيحهم بحمد ربهم.

وقوله تعالى «وقضى بينهم بالحق» مفاده أنه يكون قد قضى فى العباد بالحق والعدل، فليس الضمير المتصل فى «بينهم» عائدا إلى الملائكة.

وقوله تعالى «وقيل الحمد لله رب العالمين» هو ذكر لما يقوله المؤمنون من الذين قضى بينهم بالحق، يقولونه وقد قضى لهم.

ثم إن القول يفيد أن حمد الله هو ختام كل أمر، أو أن قوله تعالى «الحمد لله رب العالمين» يجب أن يكون خاتمة مجالس العلم والذكر، والحمد لله رب العالمين .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة غافـــر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
حمٓ ١ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ٢ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ
التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ ٣

أولا : الأســــماء :

الطـــول : المراد به ــ فى معنى القول ـ هو الفضل يكون بالإثابة والإنعام، أو هو السعة والغنى .

ثانيا : التفســــير:

بدأت السورة بأسماء الأحرف «حمٓ»، وهى من المتشابه من القرآن ـ على الراجح ـ ثم جاء قوله تعالى «تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم» وفيه يتصور أن تكون شبه الجملة «تنزيل الكتاب» خبرا لمبتدأ تقديره «السورة» أو خبرا عن «حمٓ» ، ويتصور أن تكون مبتدأ، ويكون خبره هو «من الله»، ثم إن النص يصف الله تعالى بأنه العزيز الذى لايغلب والعليم بكل شىء كما يصفه بأنه غافر الذنوب لمن يشاء من عباده والقابل توبة العاصين ، ويتصور أن يكون «غافر الذنب وقابل التوب» بدلين ، وبأنه الشديد العقاب يأخذ الكافرين المكذبين بالشدة فى العقاب.

كما يصفه بأنه ذو الفضل العظيم والعطاء الواسع. ثـم أتبع هذا بتوحيده بإثبات أنه وحده الإله ونفـى الألوهية عن غيـره تعالى لبيان استحقـاقه وحده أن يطـاع، مع بيان أنه يكـون إليه المصير، وهو من قبيـل التحذير المستتر من عصيانه، لأنـه مفاد الرجوع إليه تعالـى هو الرجوع للحساب وللإثابة والعقاب .

مَا يُجَـٰدِلُ فِىٓ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ﴿٤﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَـٰدَلُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَنَّهُمْ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٦﴾

أولا: الأسماء والأعـــلام:

١ ـ الذيـن كفروا : قيل إن المقصـود بالقـول هو الحـارث بن قيـس السلمى، الـذى كان يستهزىء بآيات القرآن العظيم ويجادل فيها بغير الحق .

٢ ـ الأحـــزاب : هم جميع المتحزبين على رسل الله تعالى، المعادون لهم .

ثانيا : التفســـــير:

بدأ القول ـ فى الآيات ـ بذكر حقيقة مفـادها أنه لا يجادل فى آيات القرآن العظيم ـ قصد النيل منها ـ بالباطـل إلا الذين ملك الكفر عليهم قلوبهم، وذلك لدلالـة الآيات على أنها من الله تعـالـى، فلا ينكـر هـذا إلا مـن ضاق صدره عـن أن يسـع الإيمـان لاختياره الكفـر علـى الإيمـــان.

ثم أتبع تعالى ذكره هذه الحقيقة بالنهى عن الاغتـرار بما يشاهد من تقلب هؤلاء الكافرين فى البلاد مباشرين تجارتهم، متكسبين بها. فيكون المراد بالاغترار هو ظن أن يكون تقلبهم فى البلاد والتـوسعة عليهـم دليلا على رضـائه تعالـى عنهم. والقـول صالح فـى كل زمـان، فهو للمؤمنين اليـوم ينهاهم الله تعالـى عن الاغترار بأحوال المبتعـدين عن حظيرة الإيمـان الذين يتنقلون فى البلاد سائحين فى طلب المتعة .

ثم إنه تعالى يـدلل على أن التوسعة على هؤلاء وتنقلهم فى البـلاد ليس دليلا على رضائه تعالى عنهم ببيان أن ذلـك كان مع من سبقهم من الأمم، ذكر منهـم ـ على وجه التخصيص ـ قوم نوح الذيـن كذبوا رسول الله إليهم، كما ذكر ـ بصفـة عامة ـ كل قوم تحزبـوا على رسولهم وعادوه من بعد قوم نوح، وأخبر عن الجميع بأنهم شرعوا فى الإيقاع بالرسل أو بكل رسول من الرسل الذين بعثوا إليهم ليأخذوه بما قصدوا إلحـاقه به من قتل أو أذى، كما أخبر بأنهم فعلوا فعل كفار مكة وهو مجادلتهم الحق المنزل من ربهم بالباطل قصد القضاء على الحق ومحوه و إزالته. ثـم يبين تعالـى أن سعى هـؤلاء كان إلى بـوار وأنهم عوقبـوا بما فعلـوا بقوله تعـالى «فأخذتهم، فكيف كان عقاب» .

والمعنى أنه تعالى أخذهم بالعذاب المهلك، ثـم جاء الاستفهام عن كيفية معاقبته تعالى إياهم، لكونـه مشهودا لكفار مكة الذين يعـاينون فى أسفارهم آثار المهلكيـن من عاد وثمود، لبيان مدى شدة ما وقع بهم من العذاب.

ليكون القول تحذيرا لكفار مكة المجادلين بالبـاطل من سوء العاقبة لدى استمرارهم على ما هم عليه .

ثم أعقب تعـالى قوله هذا ببيـان أنه قد حقت كلمته تعـالى فى كفار مكة المجـادلين فى القرآن العظيـم بالبـاطل أن يكونـوا بكفرهـم هم أصحـاب النار فى الآخـرة، مع استحقـاقهم العذاب الـدنيوى الذى يستدل عليـه من قوله تعـالى «كذلـك» فيفيد معنى استحقاقهـم من العذاب الدنيوى ما كان للذين كذبوا الرسل من قبل وهموا بهم.

■■■■

ﭐلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ
بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْۖ رَبَّنَا وَسِعۡتَ
كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ
عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧ رَبَّنَا وَأَدۡخِلۡهُمۡ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمۡ وَمَن
صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٨
وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ
ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الذين يحملون العرش** : هم الملائكة العظام الذين يحملون العرش يوم القيامة، والمشهور أنهم ثمانية.

قيل فى وصف عظم هياكلهم الكثير ومنه أنه ما بين موق أحدهم إلى مؤخرة عينه مسيرة خمسمائة عام .

٢ ـ **من حوله** : هم الملائكة الذين يحيطون بالعرش ويكونون حوله، وهم كثيرون لا يعلم عدتهم إلا الله تعالى.

ثانيا : التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى جزء منه بيان لما يكون عليه حال الملائكة حملة العرش يوم القيامة والملائكة الذين يحيطون به ويكونون حوله، وهو فى جزء آخر بيان لما يكون منهم

وما يصدر عنهم لصالح المؤمنين التائبين عن الذنوب الراجعين إلى الله تعالى من بعد كفر أو عصيان.

فيذكر تعالى أن المـلائكة الذين يحملون العرش يوم القيامة ـ وهـم ثمانية على المشهور، والملائكة الـذين يلتفون حوله، وهـم جميعا أصحاب منزلة ساميـة وقرب منه تعالى ينـزهونه تعالى عما لايليق بذاته ويؤمنون به إيمانا كاملا. وربما جاء وصفهم هذا لبيان استحقاقهم أن يجابـوا إلى ما يسألـون الله إياه، وهو أن يغفـر للذين آمنـوا «ويستغفرون للذين آمنـوا». ويبين تعالى كيفية استغفارهم للمؤمنين ببيان أنهم يقدمون للاستغفار بقولهم «ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما» بمعنى أنهم يتوسلون إليه تعالى بصفته الـواسع الرحمة العليم بالظاهر والباطن والكائن والغيب، فيكاد قولهم واستغفارهم أن يكون من قبيل الشفاعة للمؤمنين.

ثم يسـألونه تعالـى أن يغفر للذيـن تابوا عن الكفـر والمعاصى مـا كان منهم بحكم كـونه الرحيم العليم، أو بسبب ذلك، على ما يبين مـن «الفاء» فى لفظ «فاغفر». والمستغفر لهم هم الذين تابـوا، ثم كان منهم اتباع سبيل الحـق التى دعا إليها الإسلام ورسولـه ﷺ. كما يدعون لهم صراحة بما هو مفهوم من المغفرة وهو أن يقيهم الله عذاب الجحيم .

ومن باقى دعـاء هؤلاء الملائكة الكرام على ربهـم للمؤمنين ما ذكره النص مـن إدخالهم جنات عدن التى وعدهـم الله فى كتابه وعلى ألسنة رسله أنهم يـدخلونها ويخلدون فيها، وأن يدخل معهم فيها من صلح قلبه وفعله من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم ـ وإن كان صلاحه دون صلاح المؤمنيـن ـ والحكمة من الدعـاء هى كفالة تمـام سرور المؤمنين التائبيـن وابتهاجهم باجتماعهم بهؤلاء المقربين إليهم فى الجنة.

ويذكر تعـالى أن الملائكة المقـربين يتوسلون إليـه تعالى لإجابـة دعائهم بصفته العـزيز الحكيم، الذى لايمتنع عليه شيء، والذى يقدر كل شيء وفقا لحكمته .

ثم يذكر تعـالى أن الملائكة يدعون للمـؤمنين التائبين بأن يقيهم الله السيئـات والظاهر أن المراد بالسيئات هـو العقوبات لأنها تسيء من توقـع به، وقيل إن المراد بالدعـاء هو وقايتهم جزاء السيئات والمعاصى. وهو لا يختلف عن الأول .

ويذكر تعالى أيضا أن الملائكة تقول «ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته» والمعنى هو أن منع العقاب عن المؤمنين إنما يكون برحمة الله، لأنه ما من أحد إلا وقد قرف ما يستوجب المؤاخذة. ويتصور فى المعنى أن يكون أن من وقاه الله فى الدنيا فإنه يكون قد رحمه من عذاب يوم الحساب والمؤاخذة .

ويبين تعالى أن رحمته المشار إليها باسم الإشارة «ذلك» هى الفوز العظيم الذى لا يماثله ولا يدانيه فوز آخر.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ
أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى الْإِيمَانِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا أَمَتَّنَا
اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ
مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو شروع فى بيان أحوال الكافرين فى النار من بعد دخولها، والمعنى المستفاد من قوله تعالى «إن الذين كفروا ينادون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم» هو أن الكافرين يمقتون أنفسهم التى زينت لهم الكفر فأوردتهم النار، وأنه ينادى عليهم وهم فى النار فيقال لهم إن مقت الله إياهم أشد من مقتهم أنفسهم، وأنه يذكر لهم سبب ذلك وهو أنهم كانوا يدعون إلى الإيمان من الرسل وممن قام بواجب الدعوة بعدهم فكانوا بهم يكفرون ويبقون على ما هم عليه من الكفر لا يؤمنون .

ويذكر تعالى أن الكافرين ينادون الله تعالى بقولهم «ربنا» ثم يقولون إنه تعالى أماتهم

مرتين وأحياهم مرتين، وأنهم اعترفوا بذنوبهم التي عوقبوا بها، ومنها إصرارهم على الكفر والعمل بالمعاصى، وإنكار البعث، وأنهم يسألونه تعالى محالا وهو إرشادهم إلى سبيل للخروج من النار أو للعودة إلى الدنيا .

وفى شأن الإماتة مرتين والإحياء مرتين، قيل إن الموتة الأولى هى حال وجودهم فى أصلاب آبائهم، لأنه لم يكن لهم وجود ظاهر ملموس فكانوا مثل العدم، والعدم مثل الموت، ثم تبع ذلك احياؤهم فى الدنيا، ثم كانت الميتة الثانية بانقضاء آجالهم فى الحياة الدنيا، وتبعها إحياؤهم بالبعث للحساب. والذى نراه ـ والله أعلم ـ هو أن الموت لا يكون إلا من بعد حياة، وأن الوجود فى الأصلاب لا يكون موتا، وأن المراد بالموت هو موت القلوب بالكفر لأن الإيمان حياة للقلوب والنفوس، لا يمنع من ذلك ذكر الإماتة فى النص قبل ذكر الإحياء، لأنه ـ على ما سبق القول ـ لا يكون موت إلا من بعد حياة. والواضح من النص هو أن اعتراف الكافرين بذنوبهم لا يفيدهم شيئا، وأنه لا سبيل لتحقيق ما يطلبون .

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُۥ كَفَرۡتُمۡ وَإِن يُشۡرَكۡ بِهِۦ تُؤۡمِنُواْۚ فَٱلۡحُكۡمُ لِلَّهِ ٱلۡعَلِيِّ ٱلۡكَبِيرِ ١٢﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو بمثابة رد على أمل الكافرين أن يفيدوا من اعترافهم وعلى سؤالهم عن سبيل يخرجون به من النار.

فيكون المعنى أنه بمثابة تعليل لعدم إفادتهم من إقرارهم بالذنب ولرفض مطلبهم بذكر السبب، وهو أنهم كانوا فى دنياهم إذا ما ذكر الله تعالى وحده، أو متصفا بالوحدانية كفروا به أو بوحدانيته وإذا ما سمعوا عن الإشتراك به كان منهم الإيمان بالشرك. فيكون هذا هو ما استحقوا به دخول النار والخلود فيها.

ثم إنه تعالى بين استحقاقهم هذا العذاب ببيان أن هذا هو حكم الله تعالى فيهم المتصف بالعلو والكبر فلا يكون منه إلا العدل .

هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم
مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ
ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى
ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم
بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ
﴿١٦﴾ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ
ٱلْحِسَابِ ﴿١٧﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الدرجـات : المراد بها ـ في معنى القول ـ هو مصاعد الملائكة إلى أن يبلغوا العرش، أو هو السماوات تعرج الملائكة من سماء إلى سماء إلى أن يبلغوا العرش.

٢ ـ الـروح : قيل إن المراد بـه ـ في معنى القـول ـ هو الوحي، وقيل هو القرآن، وقيـل هو جبريل عليه السلام .

وقيل هو كل ما ينعم به تعالى على عباده المهتدين ليكمل أيمانهم وعلمهم .

ثانيا : التفسير:

بدأ الخطاب - فى الآيات - موجها إلى جميع الناس ببيان أنه تعالى أرى الناس ولايزال يريهم آياته الدالة على قدرته وعلى وحدانيته بما يوجب عليهم الإيمان به وتوحيده وعبادته، ثم خص بالذكر- من الآيات - إنزاله الرزق من السماء إلى الناس، يكون بإنزال المطر من جهة العلو، و إنزال الوحى من السماء فيه خير الناس، ثم بين تعالى أنه لايعى هذا ويفيد منه إلا من يرجع إلى الله فيرفض الكفر أو الإصرار عليه والبقاء فى أسره.

ثم جاء أمره تعالى الناس بما هو مترتب عقلا على ظهور آياته من عبادته تعالى مع الإخلاص فى الدين وتخليص النفس من الشرك ومظاهره، وأن يكون منهم هذا ولو ساء المشركين أمر عبادتهم الله والإخلاص له فى الدين وشق عليهم، فيكون القول داعيا إلى عدم المبالاة بما يكون من المشركين إزاء إيمان المؤمنين بالله وعبادته .

ثم ذكر تعالى من صفاته ما ذكر، ووردت فى القول مرفوعة لإضافتها إلى الفاعل. فذكر تعالى أنه رفيع الدرجات، بمعنى أن مصاعد الملائكة فى عروجهم إلى عرشه تعالى رفيعة، وذكر أنه يلقى الروح بأمر من أوامره على من يصطفى ويختار من عباده للرسالة لينذر به من عذاب يوم البعث، أو يوم التقاء السماء بالأرض، أو التقاء أهل السماء وأهل الأرض.

ويتصور فى الروح أن يكون المراد به هو الوحى الذى يوحى به إلى الأنبياء ، ويتصور فيه أن يكون هو جبريل عليه السلام، أو كلام الله .

ثم يصف تعالى هذا اليوم بأنه اليوم الذى يكون فيه الخلق بارزين ظاهرين لا يحجبهم شىء ولا يسترهم، لأن الأرض تكون قاعا صفصفا لا عوج فيها ولا أمتا ولا يخفى من أمرهم على الله شىء من هيئاتهم ولا من أعمالهم. ثم يسأل تعالى «لمن الملك اليوم» ويجيب تعالى على السؤال بقوله «لله الواحد القهار». فيكون القول إعلاما بأنه تعالى وحده مالك أمر هذا اليوم، وأنه القاهر جميع الخلق على الانقياد لأمره.

ويتصور أن يكون السؤال من الملائكة، وأن تكون الإجابة من الناس مؤمنين وكافرين .

ثم يـذكر تعالى أنـه تكون مجازاة كـل نفس ـ فـى ذلك اليوم ـ بمـا كان منها، أو إنـه يقال للناس ـ من بعد إقـرارهم بأن الملك اليوم لله الواحد القهار ـ إن كـل نفس تجزى بما كسبت. وأنهم يخبـرون بأنه لا يظلم أحـدهم بالانتقاص مـن عمله الخير أو بـالزيادة له فـى العقاب. وبأنه تعالى سريع الحساب يحاسبهم ويجازيهم فى أقصر وقت لعدم حاجته إلى الوقت يتم فيه الحساب، وقد أحاط بكل شىء علما .

وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾

أولا : الأســـماء :

يوم الآزفـــة : هو يوم القيامة، ذكر باسم «يوم الآزفة» لبيان قرب زمانه، باعتبار أن كل محقق الوقوع هو قريب .

ثانيا : التفســـير :

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن ينذر الناس بعذاب يوم القايمة ليتقوا مباشـرة أسبابه من كفـر وعصيان، ثم يصف تعـالى أحوال النـاس فيه فيبين أن قلوبهـم تكون كأنها وقعت فى حناجرهم وأنهم يمسكـون عليها خشية أن تخرج قلوبهم مع النفس. والمراد هو بيان هول ذلك اليوم وأثره فى الناس.

ثم يذكـر تعالى أنه لا يكون للكافـرين ـ فى ذلك اليـوم ـ وصفهـم تعالى بأنهـم الظالمون

لظلمهم أنفسهم وظلمهم الله بشركهم، لا يكون لهم صديق تنفعهم صداقته ولا يكون لهم شفيع تقبل شفاعته أو يؤذن له فيها، فيكون القول مفيدا معنى وقوع ما أعد لهم من العذاب بهم.

ثم إنه تعالى يبين محاسبته الناس بكل ما يكون قد وقع منهم ببيان علمه بما يكون قد وقع من نظرة خائنة كالنظرة إلى المحرم النظر إليه، وكنظرة التجسس على الناس، وعلمه بما انطوت عليه الصدور من البواعث على الأعمال.

ويبين تعالى أن قضاءه فى الناس يكون ـ ترتيبا على ما ذكر من صفاته ـ هو القضاء بالحق الذى لا لبس فيه، ثم يعرض تعالى بالمشركين فى تهكم بهم على عبادتهم غيره تعالى ببيان أن الذين عبدوهم من دونه وما عبدوه من الجمادات لا يقضى بشىء.

فيكون القول مبينا جهل المشركين بعبادتهم من لا يملك أن يقضى فى أمرهم بشىء.

ثم يذكر تعالى أنه هو السميع البصير، تدليلا على موافقة قضائه فى الناس للحق، بحكم سماعه ما صدر عنهم من قول وعلمه ما صدر عنهم من فعل علم من شاهد.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآيتين ـ هو فى تحذيـر المشركين والكافرين من البقاء علـى حالهم من الإشراك بالله والكفر بـه، بطريق التهديد بأن ينالهـم من العذاب الدنيوى ما حـاق بالمكذبين رسلهم من قبلهم.

جاء الاستفهام المنفـى فى بدء القول لتقـرير واقع أن المشركيـن قد ســـــاروا فى الأرض وعاينوا عـاقبة أمر المكذبين مـن قبلهم، وهم عاد وثمـود. ولإنكار عدم اعتبارهم بمـا شاهدوا وعاينوا.

ثم ذكر تعالـى أن المهلكين من المكذبين رســـــلهم قبل كفار مكة كانوا أشـــــد منهم قـــوة، بمعنـى أنهم ملكوا من أســـباب القـوة ما لم يملكه كفار مكـــــة، وأن آثارهم فى الأرض مما أقامـوه عليهـــا من حصون وقلاع وغيـره هى أعظـــم مما فعل كفار مكـة فى مكـــة.

ثم إنه تعالى يبين أن قوة هؤلاء وسلطانهـم الذى خلفوا به آثارهم فى الأرض لم يحل دون أن يأخذهم تعالى بذنوبهم .

وأنه تعـــالى أهلكهـم بذنوبهـم فلم يكن لهـم مانـع يحـــول دون ما قدر الله لهـم من العذاب .

ثم بين تعالى سبب إهلاكه هؤلاء الغابرين، فـذكر أنه كانت تأتيهم رسلهم بالآيات الدالة على صحة ما يدعون إليه، وبالمعجزات الدالة على نبوتهم، وأنهم كانوا يكفرون بهذه الآيات وبمن بعثوا بها، فكان أن أخذهم الله بعذاب من عنده.

ووصف تعالى ذاتـه بأنه قوى شديد العقـاب، لبيان أن قوة الكافرين هـى فيما بينهم وأنه تعالى فوقهم هو القوى الذى يملك أن يكون فيهـم نفاذ أمره، وأنه يعاقب من اشتد كفره فكفر بآياته بما يستحق من العذاب الشديد.

■■■■

وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُواْ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا قَالُواْ ٱقۡتُلُوٓاْ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُواْ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾

التفســــــير:

قوله تعالى - في الآيات - هو شروع في ذكر قصص المهلكين ممن كذبوا الرسل ممن لم يعاين كفار مكة آثارهم. والمقصودون في نصوص الآيات هم فرعون وقومه ومن ذهب مذهبهم.

يذكر تعالى أنه أرسل موسى عليه السلام بآياته تعالى الدالة على صدقه، ومعجزاته كما أرسله بحجة ظاهرة، قد يكون المراد بها هو العصا، وقد يكون المراد بها هو ذات الآيات. ويخبر تعالى عن أن الإرسال كان إلى فرعون ووزيره هامان وإلى قارون الذى كان من قوم موسى فبغى عليهم - على المعنى الذى سبق بيانه فيه - والمعنى أنه عليه السلام أرسل إليهم بصفتهم رءوس أتباعهم.

ويذكر تعالى أن هؤلاء قالوا فى موسى عليه السلام غير الحق، وأنهم اتهموه بأنه ساحر كذاب، فهو فيما أتى من معجزات ساحر، وهو كذاب فى ادعائه النبوة .

ثم يذكر تعالى أنه حين أبلغ موسى هؤلاء الذين أرسل إليهم بما أرسل به إليهم من ربه، وهو الحق - غير مبال بما اتهموه به - كان منهم الأمر بالتنكيل بمن آمن لموسى عليه السلام،

وذلك بقتل أبنـائهم الذكور واستحيـاء نسائهم. والذى نراه ــ والله أعلم ـ أن الأمر هنـا هو غير الأمر القـديم الذى أصدره فـرعون بقتل ذكور بنـى إسرائيل والإبقاء علـى إناثهم، لأنه تعـالى نسب الأمـر فى القول إلـى فرعون وهـامان وقارون، فيكـون هو أمر كـل منهم فيمن هـم تحت سلطانه من الخدم والعبيد ولو كانوا من قوم فرعون أو من المصريين .

ثم إنه تعـالى يثبت أن كيد هؤلاء ــ وصفهم تعالى بأنهم الكـافرون ـ وهو كيدهـم لموسى كان إلى ضياع بمعنى أنه انعدم أثره فلم يفلح فى تحقيق النتيجة التى استهدفت منه :

وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾

التفســـــير:

المستفاد من قوله تعالى «وقال فرعون ذرونـى أقتل موسى» أنه عليه اللعنة كان يحاول قتل موسى أو أنه كان يبـدى عزمه على هذا ليمنعه آخرون، وقد يكون هذا لاقتنـاعه فى قرارة نفسه بنبوة موسـى، وأن قوله «وليدع ربه» أريد بـه ـ من جانبه ــ إبداء استخفافه بالإله الـذى يدعو موسى عليه السلام لعبادته.

ويذكر النص أن فـرعون كان يبدى أسباب عزمه علـى قتل موسى بأنها خـوفه من أن يبدل دين القوم بأن يصرفهم عن دين فرعون إلى عبادة الله أو أن يكثر عدد أتباعه فيطيعوه ولا يطيعون فرعون فيكـون بذلك ظهور الفسـاد فى الأرض بعدم إطاعـة فرعون، أو بالانصـراف عن العمل

فيما يأمر أن يكون فيه العمل .

وفى رأينا - والله أعلم - أن الفساد الذى خشى فرعون تفشيه فى الأرض - برأيه - هو عودة المصريين إلى عبادة الله تعالى التى دعاهم إليها إدريس عليه السلام والانصراف عن عبادة الأوثان التى كان يعبدها الهكسوس ومنهم فرعون ذلك الوقت. فيكثر أعوان موسى بالمصريين الذين يؤمنون له فيقوى على فرعون، وهو ما يخشاه فرعون.

ويذكر النص أن موسى عليه السلام حين بلغه قول فرعون فيه أو بشأنه أنه قال «إنى عذت بربى وربكم من كل متكبر لا يؤمن بيوم الحساب» وهو ما يبين منه أن قول فرعون فيه نقل إليه بواسطة بعض المؤمنين؛ ولذلك قال عليه السلام لهم إنه يتعوذ بربه وربهم وهو الله تعالى ، وفى القول وصف فرعون المتعوذ منه بأنه متكبر، لأنه استعلى على الحق لما جاءه، كما وصفه بأنه لا يؤمن بيوم الحساب. وقد يكون فى هذا دليل على أن فرعون لم يكن مصريا لأن عقيدة المصريين وقتذاك كانت قائمة على الإيمان بالبعث فى الآخرة للحساب، والثواب والعقاب، والآثار على هذا هى من الكثرة بحيث لا تدع للشك فى هذا مجالا.

وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَـٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَـٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾

التفســــير:

يذكر تعالى ـ فى الآيتين ـ من أحداث قصـة موسى مع فرعون وهامان وقارون أن رجلا كان مؤمنا من آل فـرعون برب موسى عليه السلام الـذى دعا له وبنبوة موسى، وكـان يخفى إيمانه عن فرعون وملئه، خـاطب أتباع فرعون منكرا عليهم أن يقصدوا قتـل موسى، وأن يكون سبب قصدهم قتله هـو قوله «ربى الله» وأنه بين لهـم سبب إنكاره عليهم هذا بذكـره لهم أن موسى عليه السلام قد جـاءهم بالآيات الدالة علـى صدقه، دعمه بها ربهم. ونـرى ـ والله أعلم ـ أن قول الرجل يشيـر إلى إيمانه تلميحا وإن لم يصـرح بذلك، بذكره أن موسـى عليه السلام جاء بالآيات من ربهم الذى هو إلٰه موسى، كما أن فيه دعوة مستترة إلى الإيمان مما يعتبر من قبيل الأمر بالمعروف. كما يبين من النص أن الرجل حاول إثنـاء القوم عن محاولة قتل موسى بذكره لهم أنه إذا كـان موسى كاذبا فـإنه لن يصيبهم بـأذى وسيكون عائد كذبه وبـالا عليه، وأنه إذا كان صادقا فيما ادعـى من اصطفائه نبيا، فإنه يكون من وراء استهدافه بـالقتل أنه يصيبهم ما توعـدهم بـه من صنـوف العذاب ، أو يصيبهـم البعض منـه. فيكون القـول تهديـدا لهم بمـا يصرفهم عن محاولة قتل موسى عليه السلام أو إيذائه .

ثم يذكـر تعالى ما يفيد أن الرجـل المؤمن استرسل فى تهـديد قوم فرعون من محـاولة قتل موسى أو إيذاء أتباعه، وذلـك بأن بين لهم أنهم يقولون قولهم فى مـوسى ويقتلون ذكور أتباعه بحكم كونهـم أصحـاب الملك فـى أرض مصـر، الظاهـريـن علـى أتباع مـوسـى بقوتهـم والمتحكمين فـى أمورهم. ثـم أعلمهم أن هذا حـال لا يدوم إذا ما نـالهم عذاب الله وعقـابه بفعلهم أو بنواياهم السيئة، وأنه متى جاء عذابه تعالى فإنهم يعدمون ناصرا يمنع عنهم عذاب الله تعالى .

ثم يذكـر تعالى أن فرعون حين بلغـه قول الرجل المؤمـن خاطب قومه بالـرأى الفصل من جهته، فأعلنهم أنـه لا رأى فى شىء إلا ما يراه ـ وهذا شـأن كل حاكم فرد مستبد بـالرأى ـ ثم زعم كذبا أنه برأيه لا يهدى إلا إلى طريق واحد هو طريق الصواب والصلاح .

■■■■

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾
مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ
مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَكُمْ
يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ
قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ
مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ الذى آمن : قيل إنه موسى عليه السلام، واستدل على هذا بقوة خطابه، وقيل ـ وهو الراجح ـ إنه مؤمن آل فرعون .

٢ ـ يوم الأحزاب : هو يوم عقاب كل حزب من الأحزاب التى عادت الرسل والأنبياء .

٣ ـ يوم التناد : المراد به ـ فى معنى القول ـ هو يوم القيامة، يكون فيه التنادى، إذ ينادى فيه أصحاب الأعراف رجالا يعرفونهم بسيماهم، وينادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، وينادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء، وتنادى الملائكة أصحاب الجنة أن تلكمو الجنة أورثتموها بما كنتم تعملون .

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى ذكر قول مؤمن آل فرعون، بعد أن سمع قول فرعون،

والقول يكـاد يكون تحريضا لقـومه على عصيان أمـر فرعون الـذى قال لهم «ما أريكـم إلا ما أرى»، وذلك بتخويفهم من أن يكون جزاؤهم هو جزاء المكذبين من قبلهم .

وصف تعالـى الرجل بأنـه الذى آمن، ثم أخبـر أنه نادى الناس بقـوله «يا قوم» لإظهـار أنه واحد منهم يريـد صالحهم، ثم أخبرهم أنه يخـاف عليهم يوما يكون مثل يـوم عذاب كل قوم من الأقوام التى تحزبت على رسلها، ثم بيـن أن يوم العذاب الذى يخشى أن يكون لهم يكون مثل يوم العقـاب الذى قدر جزاء على مـا دأبت عليه كل مـن عاد وثمود من تكذيـب الرسل وإيذائهم، وأيام العقاب التـى قدرت لمن جاء بعدهم من الأمم التى كـذبت رسلها مثل قوم لوط .

ثم بين لهم أنه تعالـى لايظلم عباده ولا يريد لهم الظلم؛ ولهذا فإنه كمـا أنه لم يرض لهم الكفر فـإنه لم يـرض لهم ظلمـا بتعذيبهم، فيكـون القول بيانـا لكونهـم إنما عذبـوا وأهلكوا بكفرهم وبذنوبهم عدلا منه تعالى وحقا .

وبعد أن أخبرهم أنه يخاف عليهم يوم عذاب الدنيـا، فإنه أخبرهم بأنه يخاف عليهم ـ إذا هم أطاعوا فـرعون ـ عذاب يوم القيامة، ذكـره بأنه يوم التنادى لأنه يكون فيـه النداء من الناس بعضهم لبعـض، كما يكون مـن الملائكة. فيفيـد القول معنى أن عـذاب الدنيا لا يمحـو عن الكافر عذاب الآخرة .

ثم وصف الرجل المؤمـن يوم التنادى بأنه يوم يولون مدبرين ليـس لهم من الله من عاصـم. والمعنى أنهم إذا ما بقوا على كفرهم مطيعين أمر فرعون فإنهم ينصرفون عن المحشر مخلفينه خلفهم ليتجهوا إلى النـار مساقين مدفوعين، لا يعصمهـم من العذاب بها على ما قـدر تعالى أحد.

ثم إن الرجل أتبع هذا بقوله «ومن يضلل الله فما له من هاد» فكأنه أراد بهذا أن يعلمهم أنه لم ينصح لفرعون لعلمـه أنه ممن أضلهم الله، ولهذا فقد حقت عليه كلمـة العذاب فليس من أمل أن يكون له هاد يهديه إلى الحق فينجيه من العذاب.

وبعد هذا ذكر الرجل قومه بما كان منهم حين كان نبى الله يوسف بن يعقوب عليه السلام بينهم فقال لهم إنهم كانوا ـ طوال حياته داعيا ـ فى شك من كونه نبيا، وفى كون ما بعث به هو من رب العالمين، ثم كان منهم بعد موته أنهم جزموا وقطعوا بأن الله لن يبعث من بعده رسولا.

وفى هذا قيل إن الرجل المؤمن قصد أن يبين لهم أنهم ـ فى حياة يوسف عليه السلام ـ شكوا فى كونه نبيا، ثم انقلب شكهم هذا يقينا بعد موته فقطعوا بأنه عليه السلام لم يرسله ربه نبيا، كما أنه تعالى لن يبعث من بعده رسلا أنبياء.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ غير هذا، إذ يبين من القول أن القوم ـ والمراد هم آباؤهم ـ كانوا فى شك فى أمر نبوة يوسف عليه السلام أثناء حياته، فلما مات أيقنوا أنه كان رسولا، وقالوا إن الله لن يبعث من بعده رسولا آخر.

فيكون ظاهرا أن الرجل المؤمن أراد تحذيرهم من الوقوع فى ذات الخطأ بالشك فى أمر موسى عليه السلام فى حياته، ثم الوثوق بنبوته بعد موته؛ إذ يكون للقول فائدة ترجى وهى حث القوم على المبادرة إلى الإيمان لموسى عليه السلام .

ثم ذكر الرجل أنه على مثل أمر آبائهم الذين جحدوا نبوة يوسف عليه السلام فى حياته ومثل أمر فرعون الذى أضله الله عن الحق.

فإنه تعالى يضل عن الحق المنجى من العذاب من أسرف فى العصيان، وارتاب فى الحق إذ جاءه ودلت عليه الآيات .

ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾

التفســــير:

يتصور في القول أن يكون قول الله تعالى، ويتصور فيه أن يكون تتمة قول مؤمن آل فرعون. وفيه جاء الاسم الموصول «الذين» بدلا من «من هو مسرف مرتاب» أو صفة له، فيبين القول أن المسرفين المرتابين هم الذين يجادلون في آيات الله المنزلة بغير علم أتاهم من الله تعالى في كتاب أو صحيفة مما أنزل تعالى أو من خبر أخبر به رسول الله من رسل الله تعالى.

ثم إن القول يخبر أن هذا الفعل ممقوت غاية المقت من الله تعالى ومن الذين آمنوا فيكون القول ذما للفعل ولفاعليه.

ثم إن القول يذكر أنه على مثل هذا النحو البغيض الممقوت الذي يسم فعال المســـرفين المرتابين يطبع تعالى على كل قلب متكبر جبار، والمعنى أنه يطبع عليه الكفر فلا يكون منه إيمان وإنما يكون الإصرار على الكفر والمجادلة في آيات الله بالباطل ليحق عليه العذاب .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾

التفســــير:

يذكر تعالى - من أحداث القصة - أن فرعون بعد أن سمع بقول الرجل المؤمن لقومه، خشي أن يؤدي قوله المعتمد على المنطق وعلى أحداث التاريخ إلى إيمان القوم لموسى

عليه السلام، فحاول إقناع الناس بكذب موسى بطريقة علمية فى حدود العلم آنذاك، فطلب من وزيره هامان أن يبنى له صرحا عاليا، والمعنى أنه كلفه باتخاذ إجراءات هذا البناء، وبين أن أسباب بنائه هى بلوغه الأسباب، أوردها مبهمة لاستثارة الشعور إلى معرفتها ثم أفصح عنها بأنها أسباب السماوات، ويتصور فى المعنى أن يكون هو طرقها - وهو ضعيف فى رأينا - أو أن يكون هو أسباب وقوع الأحداث والمعرفة بها - وهذا ما نعتقده - فيكون البناء العالى الذى طلب فرعون من هامان بناءه هو من قبيل ما يعرف اليوم باسم «المرصد» يكون الغرض من إقامته هو رصد حركة الكواكب والأفلاك والغاية من هذا هى معرفة ما إذا كان الله تعالى قد اصطفى موسى نبيا رسولا أم لا.

وقد كان من فرعون محاولة تهيئة نفوس الناس ليسمعوا منه قوله فى موسى من بعد رصد النجوم والكواكب بقوله لهم «وإنى لأظنه كاذبا».

ثم يذكر تعالى أنه على هذا النحو زين لفرعون سوء عمله، وهو تكذيبه موسى عليه السلام ومحاولته إقناع الناس بكذبه، وأنه بهذا صد عن سبيل الحق فلم يتبعه.

ثم بين تعالى أن ما كاد به لموسى عليه السلام، من محاولة التدليل على كذبه قد باء بالفشل والخسران.

وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ
سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ
هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا
بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ في الآيات ـ هو أن مؤمن آل فرعون قد أعلن إيمانه صراحة لموسى عليه السلام وبالله تعالى، بل إنه أكثر من هذا اتخذ سبيل الدعاة .

فيذكر تعـالى أنه طلب مـن قومه اتباعه فيمـا يدعوهم إليـه فيكون منه هديهـم إلى سبيل الرشاد الذى يوصلهم إلى الخير الذى يرجونه.

والقول ـ على هذا النحو ـ يتضمن تعريضا بفرعون وبيانا لكونه لا يـوصل إلى الرشاد كما ادعى فرعون كاذبا .

ثم إن الرجل يزهدهم فى الدنيا كيلا يقبلوا الكفر حرصا عليها بذكره لهم أنها ليست سوى متاع، والمعنى أنها بما فيها مجرد عرض زائل.

ثم يقارن بينهـا وبين الآخرة فيبين أن الآخرة هـى دار القرار، بمعنى أنه يكـون فيها الخلود، فيكون ذلك دافعا إلى الحرص عليها .

وبعد هذا يدعو الرجل المؤمن قومه إلى اجتناب المعاصى والعمل بالطاعات، بذكره لهم أن من يعمل سيئة لا يجزى فى الآخرة إلا سيئة مثلها.

بمعنى أنـه يعاقـب عقـابا يتكـافأ مـع جسامـة السيئة، وأن مـن يعمل فـى الدنيـا أعمالا صالحـة وهـو مؤمن فـإنه يـدخل الجنة يـرزق فيها بغير حسـاب، يتساوى فـى هذا الذكـــر والأنثى .

ومن القول يبين أن شرط الإثابة على العمل الصـالح فى الآخرة هو الإيمان، وأن الكافر لا يدخل الجنة.

وأن معنى أن يكـون الرزق بغيـر حساب، هو أنـه يزاد فيـه فضلا من الله وكـرما دون مـراعاة التسـاوى مـع العمـل الصـالـح، فيكـون عـدم المسـاواة هـو لصالـح المـؤمـن العـامـل بالصالحـات.

۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِيٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِيٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾
تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ
إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي ٱلدُّنْيَا
وَلَا فِي ٱلْأٓخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾

التفسـيـر:

يذكر تعالى - فى الآيات - تتمة قول مؤمن آل فرعون لقومه، كرر نداءهم ودعاهم قومه لإيقاظ نفوسهم وتهيئتها للانقياد له.

ثم بين لهم أن دعوته إياهم هى دعوة لما ينجى من العذاب على حين أن دعوتهم إياه إلى اتباع دين فرعون هى فى حقيقتها دعوة إلى النار، فيكون القول إعلاما منه إياهم بأنه على هدى وأنهم على ضلال.

ثم يفصل ما يدعونه إليه وما يدعوهم هو إليه، فيذكر أنهم يدعونه إلى الكفر بالله وأن يشرك بعبادته إلٰها أو آلهة ليس لديه علم بأنها آلهة ولم يقم لديه دليل على هذا، على حين أنه يدعوهم إلى الله القادر على الانتقام والتعذيب، وصاحب المغفرة.

فيكون القول مشيرا إلى أن الإصرار من جانبهم على الكفر يعرضهم لعذاب ربهم، وأن إيمانهم يكون سببا لمغفرة ذنوبهم .

وبعد هذا فإنه جزم ببطلان معبوداتهم، فقوله لهم «لا جرم أنما تدعوننى إليه ليس له دعوة فى الدنيا ولا فى الآخرة وأن مردنا إلى الله وأن المسرفين هم أصحاب النار» معناه أنه لاشك أن

ما ثبت، أو أن الحق هو أن ما تدعوننى إلى عبادته من آلهتكم ليس له دعوة ولا دين فى الدنيا ولا فى الآخرة، فيكون المراد بيانه هو نفى الألوهية تماما عن معبوداتهم. ثم أعقب هذا ببيان أن مرجعه وإياهم فى الآخرة هو إلى الله، وأن مصير الذين أسرفوا على أنفسهم فى القتل بقتلهم ذكور مواليد المؤمنين وقصدهم قتل موسى عليه السلام، والذين أسرفوا فى الضلال فبلغوا حد الشرك، أن مصير هؤلاء هو إلى النار أعدت لهم حتى لكأنهم أصحابها .

وفى نهاية قوله فإنه تهددهم بالعذاب، فقوله لهم «فستذكرون ما أقول لكم» معناه أنهم سيتذكرون نصحه إياهم بالإيمان لدى معاينتهم عذاب الله فى الآخرة. أتبعه بالتصريح بتوكله على الله وتفويضه التصرف فى أمره، ثم وصف الله تعالى بأنه بصير بالعباد، والمعنى أنه تعالى يعرف أحوالهم فيحمى من يلوذ به ويدفع عنه المكاره والشرور، ويخذل الكافرين فى الدنيا ويعذبهم فى الآخرة .

فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾
ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

التفســـــير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ هو أن آل فرعون مكروا بالرجل المؤمن وأنهم أرادوا به سوءا، وأنه تعالى وقاه شر مكرهم ـ بحكم تفويضه الأمر إليه تعالى ـ وأنه حاق بفرعون وآله سوء العذاب، لم يذكر ـ فى النص ـ فرعون، اكتفاء بذكر آله لكونه أكثر منهم استحقاقا للعذاب .

والمراد بسوء العذاب هو إغراقهم فى مبتدأ الأمر، ثم هو ـ من بعد ذلك ـ النار يعرضون عليها غدوا وعشيا، وفيه قيل إنه عذاب القبر، وقيل إنه عذاب البرزخ يكون بعرض أرواحهم على النار مرتين إحداهما فى الصباح والأخرى فى المساء فى حكم اليوم من أيام الدنيا .

وقد يكون المراد بالعرض على النار هو الاصطلاء بها. ثم يكون يوم القيامة أنهم يؤمرون بدخول جهنم ليكون لهم فيها أشد العذاب، أو أن الملائكة تؤمر بإدخالهم جهنم ليذوقوا أشد العذاب.

وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِى ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُا۟
لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا
مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ
ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِى ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُوا۟ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ
عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓا۟ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَالُوا۟ فَٱدْعُوا۟ وَمَا دُعَٰٓؤُا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في أهل النار عموما، من كفار جميع الأمم، وقيل هو في آل فرعون. يذكر تعالى أن ضعفاءهم في الدنيا يقولون لكبرائهم إنهم كانوا لهم أتباعا وخدما في الحياة الدنيا، ويسألونهم بحكم هذه التبعية أن يدفعوا عنهم جزءا من عذاب النار، فالاستفهام في قولهم «فهل أنتم مغنون عنا نصيبا من النار» أريد به الطلب، وقد يكون المراد به هو الاستهزاء بالكبراء للعلم بأنهم لا يغنون عنهم المطلوب.

ثم إنه تعالى يذكر أن الكبراء يعلنون عجزهم عن هذا بدلالة أنهم لم يستطيعوا أن يدفعوا عن أنفسهم شيئا من العذاب، وأنهم مثلهم ملقون في النار.

ثـم يشفعون قـولهم بـذكرهـم إن الله قد حكـم بيـن العباد، والمعنـى أنه قـدر مســئولية المتبوعين عن كفرهم كما قدر مسئوليتهم عن إضلالهم؛ ولهذا فإنه تعالى جمعهم جميعا فى النار.

ثم يـذكر أن الذين فـى الناريلتجئون إلى خـزنة جهنم يسألـونهم أن يدعوا ربهـم ليخفف عنهم من العذاب عذاب يـوم من أيام الدنيا. وأن الخزنة يجيبونهم بقولهـم «أو لم تك تأتيكم رسلكم بـالبينات»، والمعنى أنهـم يبدون رفضهم الاستجـابة لطلبهم وأنهـم يوبخونهـم على عدم إيمانهم بالرسـل الذين جاءوهم بالبينات، فالاستفهام فى قول المـلائكة هو لتقرير واقع إتيان الرسل ـ فى الدنيا ـ أهل النار بالبينات، ولإنكار عدم إيمان أهل النار لهم عليهم.

كما يـذكر تعالى أن أهـل الناريجيبون على سـؤال خزنة جهنـم بقولهم «بلى» فهـم يقرون بمجىء الرسل إليهم بـالبينات وبكفرهم بها، وترتيبا على هذا فإن خـزنة جهنم يبدون رفضهم أن يدعوا لهم ربهم بتخفيف العذاب عنهم قائلين لهم فليكم الدعاء منكم أنتم.

والمعنى أن الخزنة لا يجـرءون على الدعاء بالمطلوب لسبق القول إن الكـافرين يخلدون فى النار،ولأن الدعاء لا يكون إلا بما يمكن تحققه. ثم إنهم يعلمون أهل النار بأن دعاءهم هو إلى ضياع لا يجاب، وعلة ذلك أنه دعاء قوم كافرين .

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّـٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ ۖ وَلَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

الأشـــــهاد : جمع، مفرده «الشهيد» وهو الشاهد .

ثانيا : التفسير:

لما كان تعالى قد بين أن الرسل والمؤمنين لهم يقاسون فى الدنيا من معاداة الكافرين لهم، فإنه بين - فى الآيتين - أنه تعالى ينصر رسله والذين آمنوا لهم - فى الحياة الدنيا - على أعدائهم الكافرين، لاينال من هذه الحقيقة ما يشاهد من ارتفاع للكافرين على المؤمنين وإن طال زمان هذا.

لأنه تعالى قد يمهل الكافرين ليزيد من عذابهم وقد يمتحن المؤمنين أو يعاقبهم لعصيان كان منهم، ثم تكون عاقبة الأمور تحقق وعده بنصر المؤمنين على عدوهم فى الدنيا، ثم يكون منه تعالى نصر رسله والمؤمنين لهم فى الآخرة على عدوهم الكافرين حين يشهد الأشهاد للرسل بالإبلاغ وعلى الكفار بالتكذيب، فينعم الله رسله والمؤمنين، ويعذب الكافرين المكذبين، فيكون ذلك منه تعالى نصرا للرسل وللمؤمنين على الكافرين .

ثم يبين تعالى أن «يوم يقوم الأشهاد» الذى ينصر فيه المؤمنين على الكافرين هو «يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم» .

وفيه يتصور أن يكون المراد بالقول أن الكافرين لا يستطيعون إبداء معذرتهم، ويتصور أنهم يبدونها غير أنها لا تقبل منهم.

ثم يذكر تعالى أنه تكون لهم اللعنة، بمعنى أنهم يطردون من رحمته، وأنه تكون لهم سوء الدار، والمراد بها جهنم تكون لهم دارا ومقاما، ليس لهم فيها إلا ما يسوؤهم .

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾

التفســــــير:

المراد بالآيات ـ فى رأينا والله أعلم ـ هو طمأنة رسول الله ﷺ إلى نصر الله يأتيه والمؤمنين، وأنه يتـرك المؤمنين من بعـده على عقيدة وشريعـة من الله ولو كره الكـافرون، وأنه تعالـى مثل لرسوله ﷺ بما كان منه مع موسى ومن آمن له.

بدأ تعالـى القول بأن ذكر أنـه آتى موسى الهدى وأورث بنـى إسرائيل الكتاب، فهـو تعالى هدى موسى عليه السلام إلى الحق، وآتاه الصحف والتوراة يهدى بها.

ثم إنه عليه السلام خلف في بنى إسرائيل بعد مـوته التوراة، كانت هاديا إلى الصواب فى العقيدة وقانونا يعمل به فى الشريعة.

يفيد منها أصحاب العقول الذين يقرنون الإيمان بالعمل بما يؤمنون به.

ونرى ـ والله أعلم ـ أنه تعالي مثل لحال محمد ﷺ والمؤمنين له بحال موسي عليه السلام والمؤمنين له.

فلقد هدى الله محمدا ﷺ، وآتاه الكتاب والحكمة يهدى بهما، ثم إنه بعد موته ﷺ خلف فى أمته ما لا يضيع ، كتاب الله وسنة نبيه.

ولهذا جاء أمـره تعالى رسولـه ﷺ «فاصبر إن وعد الله حق» أمـره بالصبر، كما صبـر موسى على أذى فرعون وقومه.

وأكد له أن وعده بنصر رسلـه والمؤمنين متحقق بإذن الله كما نصر موسـى والذين آمنوا معه على فرعون وقومه.

ثم أمره أن يستغفر لذنبه ليكون فى هذا ـ وهو المعصوم ـ إماما للمؤمنين فيستغفرون ربهم، كما أمـره أن يسبح بحمد ربـه بالعشى والإبكـار وأن يداوم على هـذا، ليكون للمؤمنيـن قدوة و إماما.

■■■■■

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِى صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ ۚ فَٱسْتَعِذْ
بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ
مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ
وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ
﴿٥٨﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

التفسير:

الخطاب - في الآيات - إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى يعاديه الكافرون، وأشدهم كفرا هم الذين يجادلون في آيات الله المنزلة قصد العيب عليها والنيل منها.

فأثبت تعالى أن الذين يجادلون في آياته المنزلة في كتبه ومنها الآيات الدالة على البعث والحساب، والذين يجادلون في القرآن العظيم بغير الحق دون أن يكون لديهم دليل من كتاب منزل أو قول لرسول أو برهان عقلي هم أناس لا يدفعهم إلى ما هم عليه إلا كبر في صدورهم يحول بينهم وبين الإيمان، فهم يستكبرون على التخلي عن آلهة عبدها آباؤهم، وعن الإيمان لرسول الله صلى الله عليه وسلم الذى لم يؤت سعة من المال.

ثم بين تعالى أنهم لن يبلغوا ما استهدفوا تحقيقه من وراء مجادلتهم في آيات الله بالباطل، بمعنى أنه تعالى مظهر كتابه ودينه.

ثم إنـه تعالى أمر رسـوله بالاستعـاذة بالله، فبين أن فعـل المجادلين بالبـاطل هو مـن فعل الشيطان، وأخبر عن ذاته بأنه السميع البصير، ليعلم صلى الله عليه وسلم والمؤمنون أنه تعالى معهم، وأنه محاسب أعداءهم على أعمالهم .

ثم إنه تعالى يذكر آية تدل على قدرتـه على البعث للحساب من بعد الموت وهو ما ينكره بعض الكافرين.

فبين أن خلقـه تعالى السماوات والأرض مـن العدم وتسييرهـا على النحو الذى سخـرها عليه هو أعظم شأنــا من خلق الناس أول مرة، والذى هو أعظم مـن إعادة خلقهم أو بعثهم فى الآخرة.

ثـم ذكر تعـالى أن أكثـر الناس لا يـدركون هـذه الحقيقة، والمـراد بهم منكـرو البعث مـن الكافرين .

ثم أتبـع تعالـى هذا ببيـان عدم تسـاوى الكافـرين عمـوما ــ ومنهم منكـرو البعث ــ مع المؤمنيـن، فمثل للكافـرين بالأعمـى لأنهم لا يبصـرون الآيات فيتدبـرونها، ومثل للمـؤمنين بالبصير، ثم ذكر عدم تساوى الذين آمنوا وعملوا الصالحات مع المسيئين.

وأثبت أن كثيرين من الناس لا يدركون هذا أو أن الناس لاتدرك هذه الحقيقة إلا قليلا.

وقد يكون فى القول إشارة إلى ما يقولـه بعض الناس حين يرون العصاة متنعمين من أنه لا فرق بين محسن ومسىء.

وربما لهذا جـاء قوله تعالـى ـ من بعد ـ «إن السـاعة لآتية لا ريب فيهـا» لأن الاستواء بين الكافر والمؤمن، وبين المحسن والمسىء ممتنع تصوره فى الآخرة.

ثم أخبـر تعالـى أن أكثر النـاس لا يؤمنـون بهذا ــ وهم منكـرو البعث ــ أو أن أكثر النـاس يتناسونه فلا يعملون للآخرة عملها .

■■■■

وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

التفســـــير:

يطلب تعالى من الناس بصريح القول أن يدعـوه فتكون منه الاستجابة. وفي معنى الدعاء قيل إنه العبادة، وإن الاستجابة تكون بالإثابة عليها.

وقيل إن الدعاء هو دعاء اللسان المعبر عن القلب المؤمن المبتعد عن المعاصي.

ثم بين تعـالى أن الذين يستكبرون عـن عبادته تعالـى يجازون على هذا بدخـولهم جهنم صاغرين أذلاء.

وقيل إن المراد بالعبادة هو الدعاء أو أنه مـن أفضل أنواعها لانطوائه على الخضوع فيكون مقابلا لاستكبار المستكبرين عن عبادته تعالى.

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾

التفســـــير:

بعد أن طلـب تعالى مـن الناس عبادتـه ودعاءه وتوعـد المستكبرين عـن عبادته بـدخول

جهنم أذلاء صاغرين، فـإنه تعالى ذكر فى الآيات بعض دلائل قدرتـه وفضله على الناس بما يوجب عليهم الإيمان به وعبادته وشكره.

فذكر تعالى من نعمه التى أنعم بها علـى الناس والتى هى من دلائل قدرته أنه خلق الليل وجعله مظلما ليكون سببـا لسكون الناس فيه للراحة وللنوم لاستعـادة نشاط الأبدان والعقول، وأنه خلق النهار وجعله ذا نور ليكون فيه الإبصار فيكون فيه السعى إلى الرزق.

ثم بين تعالى أن فعله هـذا هو مما تفضل به على الناس مما يوجب عليهـم له تعالى حق الشكر.

ثم ذكـر صراحـة أن أكثر النـاس يغفلون شكـره تعالـى كفرا بـالنعمة أو جهـلا بالنعمـة أو المنعـــم .

ثم إنه تعالى أشار إلى ذاته المنعم وأخبر أنه خالق كل شىء، فيكون المعنى أنه وحده هو الخالق، وأنه مـا من مخلوق فى الكون إلا وهو عبـد من عبيده تعالى وخلق ممـا خلق، فيكون تعالى وحده هو المستحق العبادة .

ولهذا فإنـه تعالى أورد كلمة التـوحيد، نافيا الألـوهية عن غيره، مثبتهـا لذاته. ثم خـاطب المنصرفين عن عبـادته تعالى، والمتخذين معبودات مـن دونه تعالى بقوله «فـأنى تؤفكـــون» وهو استفهـام أريد به إثبات أنـه ما من سبيل يبـرر الانصراف عن عبادتـه تعالى إلى عبــــادة غيره.

ثم إنه لما كان الواقـع يثبت أنه يكون فى كل وقت كافرون ومشركـون، فإنه تعالى أثبت أن ضلال هؤلاء و إفكهم ليس جديدا فى عمر البشرية فعليـه كان أقوام آخرون كانوا بآياته تعالى يجحدون .

بمعنى أنهم كانوا ينكـرون آياته فى الخلق أن تكون دليلا على الخالق الـواحد، كما كانوا ينكرون آياته المنزلة أنها من رب العالمين .

■■■■

ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ
صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾ ۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ
مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾

التفسير:

الآيات هى فى بيان المزيد من مظاهر قدرته تعالى الدالة على ألوهيته ووحدانيته وما أنعم به على جنس الإنسان بما يوجب على الناس الإيمان به وعبادته وشكره، أتبعها أمره تعالى رسوله ﷺ أن يعلن الناس بما أمر به وما هو عليه.

بدأ القول بذكره تعالى واقع أنه الذى سخر الأرض لتكون صالحة لحياة الناس وسائر الحيوان عليها بعد أن كانت كرة ملتهبة انفصلت عن الشمس، وبأنه الذى جعل السماء بناء يحيط بالأرض يهتدون بنجومها وكواكبها ويحميهم غلاف الكرة الأرضية من النيازك والشهب ومن الأشعة السينية للشمس فتكون مثل البناء أو القباب فى حماية من تحتها، وبأنه الذى صور الإنسان على أحسن هيئة تناسب سعيه، وأنه الذى رزق الناس الرزق الذى يطيب لهم.

ثم أشار تعالى إلى ذاته وأخبر الناس أنه ربهم، بمعنى أنه راعيهم وكافلهم والمتولى أمورهم.

وأنه خلق ما ذكر مما خلق بصفته هذه، ثم إنه أعلى قيمة ذاته بذاته وبين كثرة الخير يكون

منه، واصفا نفسه بأنه رب العالمين، بيانا لشمول نعمه العالمين جميعهم .

ثم إنه تعالى أخبر عـن ذاته بأنه هو الحى، بمعنى أنه وحده المنفرد بـالحياة السرمدية وأن كل ما هو دونه إلى فناء.

ثم أورد تعالى كلمة التوحيد لنفى الألوهية عن غيـره و إثباتها لذاته، وأتبع هذا بأمره الناس أن يعبدوه مخلصين له الدين.

بمعنى أن يخلصوا فى عبادته لا يشركون معـه أحدا عَلنا أو فى خفاء، وأن يحمدوه بقولهم «الحمد لله رب العالمين» على ما أنعم به عليهم من النعم، وما تفضل به عليهم من فضله.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يعلن إلى الكـافرين والمشركين أنه نهى من ربه عن عبادة ما يعبدون من دون الله.

وأنه قـد جاءته الآيات الـدالة على استحقـاق ربه وحده العبـادة، يدخل فى هـذا الآيات الكونية وآيات الذكر الحكيم، وأن يعلن إليهم أنه أمر من ربه أن يسلم لرب العالمين، ينقاد له ويسلم وجهه إليه تعالى بالعبادة ويكون أول المسلمين .

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾

التفســـير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى جميع الناس، وهو فى ذكـر بعض آيات قدرته تعالى الدالة على

وحدانيته بما يوجب خصه تعالى وحده بالعبادة.

فيذكر تعالى من دلائل قدرته خلقه آدم عليه السلام أبا البشر من تراب.

ثم خلقه الناس من النطف تكون فى الأرحام بعد ذلك علقات ـ على ما سبق بيانه تفصيلا من الناحية العلمية ـ فى إشارة إلى مراحل تكوين الجنين.

ثم يكون خروج المواليد من الأرحام أطفالا، يكون نموهم بعد ذلك إلى أن يبلغوا أشدهم وهو تمام اكتمال قوة أبدانهم ونماء عقولهم وقدراتهم الذهنية.

ثم يكون بعد ذلك استمرار من يبقى منهم حيا إلى حين بلوغ مرحلة الشيخوخة.

كما يذكر تعالى أنه يكون من الناس من يموت قبل بلوغ مرحلة الأشد أو كمال النمو وتمامه أو قبل بلوغ مرحلة الشيخوخة.

وأنه يكون من بعد الوفاة التى هى مصير العباد جميعهم بلوغ الأجل المحدد من الله للحساب وهو يوم القيامة.

وأتبع تعالى ذكره هذه الآيات من آيات قدرته بقوله «ولعلكم تعقلون».

وهى ما يعنى أن فى هذه الآيات الأدلة التى يتبين منها أصحاب العقول أنه تعالى وحده هو الخالق وهو المعيد وهو المحاسب والمجازى فيعبدونه لا يشركون به شيئا.

ثم إنه تعالى ذكر ـ بصريح العبارة ـ ما هو مستفاد عقلا مما سبق ذكره من مظاهر قدرته، فذكر أنه الذى يحيى الموت ويميت الأحياء.

وأن قضاءه فى شىء لا يعجزه وإن عظم، لأن تحقق قضائه إنما يكون بكلمة «كن» يكون بها قضاؤه فى الأمر نافذا متحققا.

■■■■

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ أَنَّى يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ
وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ
وَالسَّلَاسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ
أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَلْ لَمْ نَكُنْ
نَدْعُو مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ
تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ
جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾

أولا : الأســـــماء :

الحميم : هو ما اشتد حره فبلغ منتهى الشدة .

ثانيا : التفســــــير:

الخطاب ـ فى الآيات ـ وجه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو ـ فى معناه ـ إلى المؤمنين أو إلى كل من له عقل يعى ويفهم .

جاء الاستفهام فى قوله تعالى «ألم تر» لبيان وجوب الملاحظة والفهم. والمطلوب ملاحظته وفهمه هو ما هو حادث من المكذبين الذين يجادلون فى آيات الله المنزلة بالباطل، وأنهم ـ فى واقع الأمر ـ يعدمون حجة على الانصراف عنها وعدم الإيمان بها .

ثم يصفهم تعالى بأنهم الذين كذبوا بكتبه جميعها وبما أرسل به تعالى رسله، فيدخل فى

هؤلاء كل من كذب بالتوراة وبالإنجيل قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكل من كذب الأنبياء والرسل وما بعثوا به من الكتب والصحف والزبور، كما يدخل فيهم الذين كذبوا بالقرآن العظيم كتابا منزلا من الله تعالى وكذبوا رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ثم إنه تعالى توعد هؤلاء المكذبين بالعذاب بقوله «فسوف يعلمون» بمعنى أنهم سوف يعلمون حين يواجهون عذاب جهنم حقيقة تكذيبهم بالكتب والأنبياء وحقيقة جدالهم بالباطل ليدحضوا به الحق، وأنه كان باطلا أرداهم فاستحقوا به العذاب.

وبعد هذا يصف تعالى عذابهم الذى يعلمون منه أنهم كانوا على الباطل، فيذكر أنهم تكون فى أعناقهم الأغلال والسلاسل يسحبون بها فى النار أو فيما اشتد حره مثل المعدن المنصهر من شدة الحرارة، ثم يكون لهم من بعد ذلك أنهم يحرقون فى النار ظاهرا وباطنا.

ولا يقف تعذيبهم عند هذا الحد من التعذيب المادى، وإنما تعذب نفوسهم بالاستهزاء بهم وبما أشركوا به، إذ يقال لهم من الملائكة «أين ما كنتم تشركون من دون الله» يسألون عن معبوداتهم التى عبدوها فى الدنيا لبيان أنهم إنما عبدوا ما لا ينفع شيئا ولا يضر، فتكون إجابة المشركين هى: «ضلوا عنا» بمعنى أنهم غائبون عنهم أو أنهم لا وجود لهم.

ثم يذكر تعالى أن الكافرين يقرون بعد ذلك بأنهم لم يعبدوا شيئا ذا قيمة أو أنهم إنما عبدوا عدما أو ما يشبه العدم، وذلك لانعدام فائدة معبوداتهم «بل لم نكن ندعو من قبل شيئا».

ثم يجيء قوله تعالى «كذلك يضل الله الكافرين» بيانا لكيفية إضلاله تعالى الكافرين فى الدنيا والآخرة.

إذ يكون منهم فى الدنيا المجادلة فى آيات الله بالباطل، ويكون منهم فى الآخرة التردد فى شأن معبوداتهم فيذكرون تارة أنها ضلت عنهم ويذكرون أخرى أنهم لم يكونوا يعبدون شيئا.

ثم إنه تعالى يذكر ما عذب به المشركون والكافرون فى الآخرة على النحو المذكور، بقوله

تعالـى «ذلكم بما كنتـم تفرحون فى الأرض بغيـر الحق وبما كنتـم تمرحون»، والمعنـى أنهم عذبـوا على هذا النحـو من العـذاب الشديد لأنهـم كانوا فـى أرض الدنيـا يفرحون بكفـرهم ويبتهجون بما يقـولونه فى آيـات الله ظنا منهم أنهم ينـالون منها، ولأنهم كـانوا يفرحون غـاية الفرح إذا ما كادوا لرسل الله تعالى وللمؤمنين.

ويجيء قوله تعالـى «ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها، فبئـس مثوى المتكبرين» إظهارا لمقام الكافرين فى الآخرة فهم يؤمرون بدخول أبواب جهنم.

وقد يكون مفاد أنهم يـؤمرون بهذا هو أنهم يلقون فيها رغما عـن إرادتهم، ويكون دخولهم فيها هو مبتدأ خلودهم فيها، إذ لا يكون لهم خروج منها.

ثم إنـه تعالى يذم جهنـم ويذمهم بذكـره أن شر المقام هـو جهنم تكون لشر الخلـق وهم المتكبرون الذين استعلوا على كلمة الحق فلم يؤمنوا.

فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾

التفســــير:

بعد أن ذكر تعالى أن وعده هو أن ينصر رسله والذين آمنوا، وبعد أن بين ما يكون للمكذبين من العذاب الشديد فى الآخرة.

جاء أمره تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بـالصبر على أذى الكافرين المكذبين، مؤكدا له أن وعده بالنصر عليهم متحقق بإذن الله وكذا وعده بتعذيبهم فى الآخرة.

وإثباتا لـذلك فإنه تعـالى أخبره أن تعذيبهـم فى الدنيا بـانتصار المؤمنين عليهـم متحقق بإذنه تعالى سواء أراه الله ذلك فى حياته بنصره علـى الكافرين وقتله منهم من يقتل أو يأسر أو لم يـره ذلك حـال موته صلـى الله عليه وسلم قبـل تحققه ــ وقد تحقق ذلـك فى حيـاته ﷺ

والحمد لله رب العالمين، ثم أكد تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم تحقق وعده بتعذيبهم فى الآخرة بقوله «فإلينا يرجعون» إذ المعنى أنهم يرجعون إليه تعالى فى الآخرة للحساب وللعذاب .

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ۗ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - خطاب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم الذى كان الكافرون يطلبون منه آية مادية من قبيل ما أرسل به موسى وعيسى عليهما السلام.

فجاء قوله تعالى فى الآية مبينا أن المكذبين الرسل قد طلبوا من رسلهم ما هو أكثر من هذا وأنه عليه الصلاة والسلام لم يعرف من أخبار هؤلاء الرسل وأقوامهم إلا القليل مما ذكره تعالى لرسوله فى القرآن العظيم، كما بين له تعالى أن أمر المكذبين هو إلى العذاب .

وفى القول يذكر تعالى أنه أرسل قبل رسول الله صلى الله عليه وسلم رسلا عديدين إلى أقوامهم، منهم من قص تعالى فى القرآن العظيم على رسوله قصصهم ومنهم من لم يقص عليه قصصهم .

فيكون المراد إظهاره هو كثرة الرسل وكثرة المكذبين لهم، وكذا كثرة الذين طلبوا من رسلهم الآيات إمعانا فى ركوب الباطل.

يبين هذا قوله تعالى «وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله» إذ مفاده أنه قد طلب من الرسل آيات خلاف هذه التى أيدهم بها ربهم، وأنهم لم يأتوا من الآيات إلا بما أذن به الله.

فإذا كان هذا شأنه صلى الله عليه وسلم فقد كان شأن من سبقه من الرسل.

ثم يؤكد تعالى تعذيبه المكذبين رسلهم ومنهم مكذبوه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى «فإذا جاء أمر الله قضى بالحق وخسر هنالك المبطلون» والمعنى أنه إذا جاء الأجل الذى حدده تعالى لتعذيب المكذبين - فى الدنيا - يكون لهم ذلك بالهلاك أو بالقتل والأسر أو غيره.

وإذا جاءت الساعة عذبوا عذاب الآخرة فكانت خسارتهم التى لا تعدلها خسارة. وصفهم تعالى بأنهم المبطلون لبيان أن عذابهم إنما كان لتمسكهم بباطلهم الذى أرادوا أن يدحضوا به الحق لما جاءهم .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى
جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَـٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ
وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾
وَيُرِيكُمْ ءَايَـٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾

التفسـير:

الخطاب - فى الآيات - هو إلى جميع الناس، وهو فى ذكر بعض آيات خلقه مما هو من قبيل النعم المنعم بها على الإنسان بما يوجب على الناس توحيده تعالى وعبادته وشكره.

فهو تعالى يذكر الناس بأنه الذى ذلل لهم الأنعام ليركبوا وليأكلوا منها، بمعنى أن كل البعض منها صالح للأكل وللركوب، فجميعها صالح للأكل وبعضها مثل الإبل يصلح للركوب مع صلاحيته للأكل .

كما ذكر تعالى أن للناس فيها منافع أخرى، وهى إشارة إلى الإفادة من جلودها وأصوافها وأوبارها وحوافرها وقرونها و إلى غير ذلك منها فى أغراض أخرى خلاف الأكل والركوب.

كما ذكر تعالى أنه يكون للناس بها بلوغ حاجات لهم تختلج بها صدورهم مثل حمل الأثقال و إدارة السواقى واتخاذها وسائل للجر، وأتبع ذلك بقوله تعالى «وعليها وعلى الفلك تحملون» فبين أنه تعالى كما سخر من الأنعام ما يحمل الناس فى البر، فإنه سخر لهم الفلك لتحملهم فى البحر.

ثم إنه تعالى بين للناس انعدام حجتهم على عدم الإيمان بوحدانيته تعالى وخصه وحده بالعبادة وبالشكر، بذكره لهم أنه يريهم كل يوم الجديد من عظيم آياته فى الخلق، وهو ما يدفع أصحاب العقول إلى الإيمان به. ثم إنه تعالى ينكر على الكافرين عدم إيمانهم مع رؤيتهم هذه الآيات بقوله تعالى «فأى آيات الله تنكرون» وهو تعريف بأنه ليس من آياته تعالى إلا ما يثبت وحدانيته وقدرته مما لا يكون معه لأحد أن يقول بغير هذا.

أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ
فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ
وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾
فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم
مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا
بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ
سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

التفســـــير:

الخطاب ـ فى الآية ـ هو إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمـؤمنين، وهو فـي شأن المكذبين، يفترض علمهم بمضمون ما خوطب به رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون ، ليكون القول تحذيرا لهم من الاستمرار على الكفر وعلى التكذيب.

جاء القول فى مبتدئه فى صيغة الاستفهـام المنفى «أفلم يسيروا فى الأرض» لبيان واقع أن الكافرين قـد ساروا فى الأرض ونظروا وشاهدوا عاقبـة أمر المكذبين من قبلهم ومـا نالهم من العذاب المهلك، مما كان عليهم الاعتبار به والاتعاظ.

ثم وصف تعالى المهلكيـن من قبل كفار مكة بأنهم كانوا أكثر منهـم عددا وأشد منهم قوة وأنهم خلفوا فـي الأرض آثارا تفوق ما فعل كفار مكـة، وبين أن ما حازوا من أسبـاب القوة لم يمنع عنهم قضاء الله فيهم بالعذاب جزاء على ما اكتسبوا من الإثم .

ثم كان منه تعالـى أن بين مظاهر تكذيب السابقين المهلكيـن رسلهم وأسباب ذلك، فبين أنه عندمـا كانت تأتيهم رسلهـم بالأدلة على صدقهـم وبقول الله الحق، كانوا يـرفضون ذلك قناعة منهم ورضاء بعقائدهـم الزائغة عن الحق اعتقادا منهم أنها العلم.

واعتقادا من البعـض بأن ما حصلوه من علم بـالفلسفة التى نبغ فيها بعـض السابقين، أو علوم الفلـك والطب التى بـرع فيها آخرون، يغنى عمـا جاء به الأنبيـاء ويكون أكثر منـه نفعا، ولهذا فـإنهم كانـوا يستخفون بما جـاء به الأنبيـاء ويستهزئون به وبهـم. فكان منه تعـالى أن عاقبهم بما توعدوا بـه فيما جاء به الرسل من كتب وصحائف كانـوا بها يستهزئون، وجزاء منه تعالى على هذا الاستهزاء بآياته ورسله.

ثم يذكر تعالى أن هـؤلاء المكذبين السابقين كان منهم لدى معاينتهم شـدة عذابه تعالى بهم أنهم أعلنوا إيمانهم بالله ووحدوه، كما أعلنوا كفرهم بما عبدوا من دونه تعالى.

ليثبت تعالى أن إيمانهـم هذا لم ينفعهم بشىء، فلم يمنع عنهم عـذاب الدنيا، كما أنه لا تغفر لهم به خطاياهم وكفرهم فى الآخرة، وعلة ذلك أنه حدث حين رأوا عذابه تعالى.

ثم إنه تعالى يبين أن عدم الإفادة من الإيمان الذى يكون لدى معاينة العذاب هى سنته تعالى فى خلقه، كما كان الأمر مع فرعون. فلا يكون لمن يعلن الإيمان وقتذاك إلا الخسران المبين، وعلة ذلك أنه يموت كافرا وإن أعلن إيمانه، على المستفاد من وصفه تعالى المؤمنين بألسنتهم عند معاينتهم العذاب بأنهم الكافرون فى قوله تعالى «وخسر هنالك الكافرون».

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة فصلت

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا
عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ
لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا
وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾

التفسير:

بدأت السورة بأسماء الأحرف «حمٓ» قيل إنها جعلت اسما للسورة وإنها قد تكون خبرا

لمبتدأ محذوف تقديره «هذه» أو تكون مبتدأ، وخبره هو «تنزيل من الرحمن الرحيم». والراجح أنها من المتشابه من القرآن على ما سبق بيانه.

وقوله تعالى «تنزيل من الرحمن الرحيم» يتصور فيه أن يكون مبتدأ ويكون خبره هو «كتاب فصلت آياته» وفى جميع الأحوال فإن مفاد القول هو أنه تعالى يقرر فى شأن ما أنزل منه تعالى الرحمن الرحيم على رسوله صلى الله عليه وسلم، أنه كتاب فصلت آياته بمعنى أنها فسرت وبينت. حال كونه قرآنا عربيا أنزل ليفيد منه قوم يعلمون الحق فيتبعونه أو يعلمون معانيه لكونه منزلا بلغتهم .

وعلى هذا فإن القول يثبت عدة أمور فهو يثبت ـ فى مقام أول ـ أن القرآن العظيم منزل منه تعالى، فيكون فى هذا الرد على الذين زعموا أن رسول الله ﷺ افتراه على الله كذبا، ويثبت ـ فى مقام ثان ـ أنه نزل من الله تعالى بصفته الرحمن الرحيم ، والمعنى أنه رحمة للناس فى دينهم ودنياهم، ثم إنه يثبت ـ فى مقام ثالث ـ أنه أنزل مفصل الآيات يفسر بعضه بعضا، وقرآنا يقرأ ويتلى فيتعبد به.

جاء باللفظ العربى فقطع بأنه إن كان قد تضمن ألفاظا هى فى الأصل أعجمية، فقد جرى استعمالها وجرت على لسان العرب حتى أصبحت من لغتهم، لما هو معلوم من أن اللغة ينالها التغيير بتغير الأحوال، كما يثبت أن الذين يفيدون منه هم الذين يعلمون الحق فيكون منهم اتباعه، ولا نرى أن المراد بالقوم الذين يعلمون أنهم العرب الذين يعرفون لغة القرآن، لأنه أنزل إلى الناس كافة وليس للعرب فقط.

ثم يذكر تعالى حال آيات القرآن العظيم أو يصف القرآن فى قوله «قرآنا عربيا» بأنه بشير ونذير، بمعنى أنه يبشر من يؤمن به ويسلم برضاء الله وجنته، وينذر من أعرض عنه وكذب به بسخط الله وعذابه.

ثم يذكر تعالى حال أهل مكة حين أبلغوا بالقرآن العظيم وتلى عليهم فيخبر أن أكثرهم ـ وهم الكافرون ـ أعرضوا عنه فلم يعطوه آذانهم وعقولهم وإن تلى عليهم وسمعوه، فكانوا مثل من لا يسمع.

ثم يذكر تعالى أن كفار مكة أعلنوا عن كفرهم بالقرآن العظيم بقولهم «قلوبهم فى أكنة» بمعنى أنها مغطاة بأغطية ثقيلة منعت وصول ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ إلى قلوبهم، وأن فى أذانهم صمما أن يسمعوه بمعنى أنهم أصموا آذانهم عنه وإن قرىء عليهم، وأن بينهم وبين رسول الله ﷺ وما يتلوا عليهم ساتر غليظ يمنع من التواصل بينه وبينهم، وهو كفرهم وعقيدتهم الباطلة التى لا يتصور أن يكون بينها وبين الإيمان بالله وتوحيده صلة .

كما يذكر تعالى أن كافرى مكة تحدوا رسول الله ﷺ فى أمر الدين، طلبوا منه أن يعمل ما فى وسعه لدحر كفرهم ونصر ما يدعو إليه، وأعلنوه أنهم عاملون قدر طاقتهم على دحر دينه ﷺ ونصرة آلهتهم وعقيدتهم الباطلة. فكأنهم يتهددونه ﷺ بما يسفر عنه هذا التحدى من النتائج .

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾

التفسير:

يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكافرين إنه ليس إلا بشر مثلهم، فهو من جنسهم وليس من الملائكة، اختلف عنهم فى اصطفاء الله إياه رسولا نبيا بأن أوحى إليه، وجماع ما أوحى به إليه من ربه هو توحيد الله «إنما إلهكم إله واحد»، ولأن المعلوم أن جميع الرسل والأنبياء قد دعوا إلى عقيدة التوحيد، فإنه ﷺ قد أوضح لهم أنه لم يأت بغير معروف ولا بشىء لا تقبله العقول؛ ولهذا فإنه ﷺ يأمرهم بعد أن يوضح لهم هذا ـ بأمر ربه ـ بالاستواء إلى الله تعالى بتوحيده و إخلاص العبادة له، وباستغفاره عما كان منهم من كفر وما سلف من أعمالهم الفاسدة ثم يتوعد المشركين الذين لا يستجيبون له بالعذاب والويل جزاء على شركهم .

ويصف هؤلاء المشركين بأنهم الذين لا يؤتون الزكاة، لا يؤدونها لبخلهم ولعدم إيمانهم

أنها تنفعهم، وبأنهم بالآخرةهم كافرون، ينكرونها أو ينكرون أنهم يعذبون فيها، أو إنهم لا يعملون لها عملها، فصاروا مثل من يكذب بها.

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

التفسير:

بعد ذكر المشركين وعدم إيتائهم الزكاة وتوعدهم بالعقاب جزاء على هذا، جاء قوله تعالى - فى الآية - فى شأن أضدادهم وهم المؤمنون الذين عملوا الصالحات ومنها إيتاء الزكاة والتصدق فى سبيل الله، فذكر تعالى أنه يكون لهم أجر غير مقطوع، بمعنى أنه يكون لهم نعيم دائم، يكون لهم فيه حق يشبه حق العامل فى أجره، وإن كان منة من الله وفضلا لأنه لا يجب عليه حق لأحد من خلقه.

۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ
لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ
ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا
وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ
إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا
قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ
فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ
تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ
صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾

التفســـير:

الخطاب - فى الآيات - إلى رسول الله ﷺ، يأمره ربه أن ينكر على الكافرين والمشركين كفرهم وشركهم وقد أثبت خلقه تعالى الكون قدرته ووحدانيته، وأن يوبخهم على هذا بطريق المحاجة. فيأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم «أئنكم لتكفرون بالذى خلق الأرض فى يومين وتجعلون له أندادا» .

جاء الاستفهام لإنكار كفرهم به تعالى وأثبت القول أنه تعالى خلق الأرض فى يومين من الأيام الستة التى خلق فيها الكون.

وقد سبق القول إننا نرى - والله أعلم - أن المراد بالأيام هو «الحقب الزمنية» وفى القول ينكر ﷺ على المشركين اتخاذهم أندادا لله تعالى يعبدونهم معه تعالى أو من دونه، ويصف صلى الله عليه وسلم ربه فى القول بأنه رب العالمين.

ثم إنه ﷺ يذكر لهم من عظيم قدرته تعالى أنه جعل فى الأرض رواسى من فوقها وهى الجبال الرسوبية التى تتكون على شواطىء البحار - وقد سبق بيان معنى أنها رواسٍ من الناحية العلمية - وقيل إن معنى «من فوقها» هو أنها تكون فوق الأرض ، ونرى - والله أعلم - أن المراد هو أن تكوين هذه الجبال كان مصدره من فوق الأرض، لكونها مكونة من رواسب الأنهار التى تأتى بها الأنهار من الجبال البعيدة التى تنزل عليها السيول فتجرى أنهارا.

يؤكد هذا قوله تعالى «وبارك فيها وقدر فيه أقواتها»، وذلك لأن الأنهار التى تحمل الرواسب هى التى تنشر البركات بمياهها اللازمة للحياة فلا بركة بغير ماء. وبهذا الماء كان تقدير أقوات الأحياء على الأرض منه تعالى.

ويذكر تعالى فيما يقوله ﷺ، أن ذلك جميعه قد تم فى أربعة أيام، والمعلوم أن يومى خلق الأرض داخلان فى حساب هذه الأيام الأربعة، وجاءت بلاغة التعبير وموافقتها العلم لأنه كان هناك - على ما ثبت علميا - تداخل واتصال بين مراحل الخلق الأربع.

وقوله تعالى «سواء للسائلين» .

مفاده أن مدة خلق هذا جميعه كانت أربعة أيام صحيحة لا زيادة فيها ولا نقصان، وذلك لعلم من يسأل عن مدة خلق الأرض وما عليها وتدبير أقواتها . وكما سبق القول فإننا نرى أن المراد بالأيام هو الحقب الزمنية .

ومما يذكره رسول الله ﷺ للكافرين من قدراته تعالى في الخلق استواءه إلى السماء وهي دخان وقوله لها وللأرض ائتيا طوعا أو كرها وقولهما: «أتينا طائعين». ونرى ـ والله أعلم ـ أن «ثم» في قوله تعالى «ثم استوى إلى السماء» لا تفيد الترتيب الزمني، وأن معناها هو «زيادة على ذلك» وذلك لأن السماوات والأرض كانتا رتقا، فيكون المتصور هو أن خلق السماوات قد صاحب خلق الأرض. أما المعجزة في القول فهي تضمنه معلومة علمية لم تعرف إلا حديثا، ذلك أنه تعالى يقول عن السماء وقت استوائه تعالى عليها «وهي دخان» فيكون القول مشيرا إلى الحرارة المتوافرة في السديم بالمعنى الفلكي، وإلى القوام الغازي للسماوات كما أن قوله تعالى للسماوات والأرض «ائتيا طوعا أو كرها» إشارة إلى خضوع السماوات والأرض للأوامر الإلهية والقوانين الطبيعية التي جعلها الله تحكم سيرها ووجودها.

وفي النص يذكر تعالى أن السماوات والأرض قالتا: «أتينا طائعين» بمعنى أنهما انقادا لأمره تعالى.

ثم إنه ﷺ يذكر للكافرين بأمر ربه أنه تعالى قضى السماوات سبعا في يومين، فتكون أيام الخلق ستة أيام أو ست حقب زمنية ويذكر تعالى أنه أوحى في كل سماء أمرها، بمعنى أنه تعالى أوحى إلى أهل كل سماء أوامره وتكليفاته التي تليق بهم. كما يذكر لهم ﷺ ـ بأمر ربه ـ أنه تعالى زين السماء الدنيا بمصابيح وحفظا، بمعنى أنه جعل فيها النجوم والكواكب مثل المصابيح تتفاوت في الارتفاع والانخفاض، وأنه بقدرته تعالى حفظها من الزوال ـ وقد سبق بيان ذلك من الناحية العلمية، وأثر المسافات بين النجوم والكواكب المحسوب بقدر منع زوال الأجرام السماوية ـ وقيل إنه تعالى حفظها من الشياطين المسترقة السمع. وقوله ﷺ «ذلك تقدير العزيز العليم» هو إعلام للكافرين بأن ذلك المذكور هو تقديره تعالى صاحب العزة والقوة، العظيم القدرة، البالغ في العلم .

ثم إنـه تعالى ـ وهـو العليم بطبائع المشركيـن ـ يأمر رسـوله ﷺ، إن رأى من الكـافريـن إعراضا عن قـوله وعن الإيمان له أن يقول لهم إنـه أنذرهم صاعقة تصيبهم ــ والمراد بها هو العذاب ـ تمـاثل صاعقة عاد وصـاعقة ثمود. بمعنى أن ينالهـم عذاب فى الدنيا مثـل ما نال عادا وثمود العذاب.

إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا
بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ
ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ
أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا
صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ
فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا
كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾

أولا: الأسـمـاء:

النحسات: فى قـوله تعالى «فـى أيام نحسات»، جمـع مفرده «النحسة» صفة مشبهـة من «نحس ـ ينحس نحسا». والنحس هو الشؤم، والنحسات هى المشائيم.

ثانيا : التفســـــــير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو تفصيل لما سبق إجماله فى شأن ما عذب به تعالى كلا من عاد وثمود.

ذكر تعالى أن كلا منهما أو أن أهل كل منهما جاءتهم الرسل من بين أيديهم ومن خلفهم، والمعنى أنهم جاءوهم من جميع الجهات، وليس المراد بهذا أن الرسل كانوا من الكثرة بحيث أحاطوا بالقوم من جميع الجهات وإنما أن الرسل كانوا يلاحقونهم بالدعوة لايغفلون عنهم حتى بدوا كأنهم كثيرون وإن قلوا، إذ كان ذلك يحدث من الرسول الواحد.

وبين تعالى أن دعوة الرسل كانت إلى توحيده تعالى، بالأمر بعبادة الله وحده وعدم الشرك به. كما يذكر تعالى أن القوم قد كذبوا الرسل محتجين عليهم بأنه تعالى لو أراد أن يبعث رسلا لجعلهم ملائكة، وأنهم أعلنوا الرسل بكفرهم بما دعوهم إليه من توحيد الله تعالى.

ثم إنه تعالى يفصل أمر عاد فيذكر أنهم استكبروا فى الأرض بغير الحق، بمعنى أنهم عظموا أنفسهم وتعالوا على الامتثال لأمر الله فيهم، وحسبوا أن قوتهم تقيهم من بأس الله كما حمتهم من اعتداءات البشر، فكان من اغترارهم بقوتهم أنهم قالوا «من أشد منا قوة»، ثم إنه تعالى بين جهلهم لعدم تبينهم أن الذى خلقهم لابد بالضرورة أن يكون أشد منهم قوة. فيكون من أسباب إيقاع العذاب بهم اغترارهم بقوتهم.

ثم يذكر تعالى إلى جوار ذلك . سببا ثانيا هو أنهم كانوا ينكرون آياته تعالى الدالة علم وحدانيته فى الخلق، وآياته المنزلة على رسله.

ويذكر تعالى فى شأن عذابهم أنه أرسل عليهم ريحا من ريح السموم شديدة الحرارة فى أيام كانت عليهم شؤما، أذلتهم وأهلكتهم، فكان بها من الله تعالى أنه أذاقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا .

ثم أخبر تعالى أنه يكون لهم عذاب الآخرة أخزى من عذاب الدنيا الذى عذبوا به، كما صرح بأنه لايدفعه عنهم دافع، إذ المقدر فى شأنهم أنهم لاينصرون.

ثم يخبر تعالى عن ثمود أنه هداهم إلى الحق، بمعنى أنه بينه لهم وفرق بينه وبين الباطل،

فكان منهم أنهم اختاروا الضلال وفضلوه على الهدى «فاستحبوا العمى على الهدى»، ثم يذكر تعالى أنه أخذهم بالعذاب وهو صاعقة العذاب الهون، بمعنى أن العذاب ألحق بهم الخزى والهوان مع إهلاكهم. وهو ما كان بخروج النار من السحاب على ما هو معروف من أسباب الصواعق. ثم يذكر تعالى أن هذا العذاب كان جزاء لهم على تفضيلهم الضلال على الهدى على ما يبين من قوله تعالى «بما كانوا يكسبون».

وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾

التفسـير:

بعد أن أثبت تعالى أنه أخذ ثمود بالصاعقة أهلكتهم باختيارهم الضلال على الهدى فإنه أثبت - فى الآية - أنه ميز الذين آمنوا - وهم صالح عليه السلام ومن آمن له على الكافرين، وذلك بإنجائهم من العذاب.

ووصفه تعالى المؤمنين بأنهم الذين كانوا يتقون بين أنهم اتقوا بإيمانهم غضب الله تعالى وعذابه الدنيوى الذى حل بقومهم.

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فـي الآيات ـ هو فى ذكر عذاب الآخرة الذى أعد للكـافرين المكذبى رسلهم من بعد ذكر ما نالهم من عذاب الدنيا. وصفهم تعالى بأنهم أعداء الله لبيان علة تعذيبهم على النحو المـذكور، وأخبر أنهم ـ فى يـوم يحشرون ـ يكون حشـرهم إلـى النار، يساقون إليهـا ويدفعون مجموعين، بأن يمسك بأولهم ليلحق به آخرهم فلا يتفرقوا.

ثم يذكر تعالى أنهم ما أن يحضروا النار حتى تشهد عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بأفعـال العصيان التى كـانوا يقارفـونها فى دنياهــم. والمستفاد من القـول أنهم يسألـون عن جناياتهم فينكرونها فتشهد عليهم جوارحهم والجلود.

ويذكر تعالـى أن الكافرين العاصين يقـولون لجلودهم «لم شهدتـم علينا» وقيل إن المراد بالجلود هو الفروج. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن المـراد بها هو جلد الإنسان، وقد يكون للتوجه إلى الجلود ـ على وجه التخصيص ـ بالسؤال سببه، إذ الجلـود هى مكامن الإحسـاس بما أودعه الله فيها من الأعصاب المتصلة بمراكز الإحساس فى المخ، فمنها يكون مبدأ الإحساس باللذه وبالألم.

فيكون السؤال من قبيل التعجب من أمرها أن تشهد على صاحبها وهى أول من جنى ثمار العصيان بالإحساس باللـذة. وأول ما يشعر بألم التعذ يب بالنـار، فيكون عجبا أن تشهد على المعصية التى التذت بها، وأن تكون شهادتها من أجل أن تتألم بعذاب النار.

ثم يـذكر تعالـى أن الجلود ترد علـى أصحابهـا فتبين لهم أن الله تعـالى هو الـذى أنطقها بمعنى أنه تعـالى أكسبها القدرة على النطق فشهـدت على أصحابها بأعمالهــم القبيحة. ثم إنها تصفـه تعالى بأنـه الذى أنطق كـل شىء فيكون القـول دالا على أن كل جماد ينطـق يوم القيامة بأمر ربه كمـا يكون من الأصنام التى تشهد على عابديها بأنهـا لم تضلهم وأنهم كانوا هم الضالين.

ثم إن الجلـود تبين لأصحابهـا أن إنطاقهـا ليس على الله بعـزيز. فهو الـذى أوجدهــم من العدم بخلقهم أول مرة، وهو أمـر أشد إعجازا من إنطاقها، كما أنه الـذى بعثهم للحساب من

بعد الموت والفناء، وهو أيضا أشد إعجازا من إنطاقها. كما يشير القول إلى وجوب نيلهم جزاء أفعالهم فى حياتهم الدنيا، لأن هذا هو المبتغى من الرجوع إليه تعالى.

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - يتصور فيه أن يكون قولا يقال منه تعالى للكافرين العصاة توبيخا لهم وتقريعا، تقوله لهم الملائكة، ويتصور فيه أن يكون تتمة قول الجلود أو قول الجوارح عموما.

ومعنى القول هو أن العصاة حين كانوا يستترون فى الدنيا أثناء ارتكابهم الفواحش لم يكن عن خوف من أن تشهد عليهم جوارحهم وجلودهم بما كانوا يفعلون، ولا عن كراهة أن يحدث ذلك، وإنما كانوا يفعلون ذلك ظنا منهم أنهم باستتارهم هذا يحجبون أنفسهم عنه تعالى فلا يعلم ما يعلمون؛ ولهذا فإنهم استتروا عن خلق الله ولم يستتروا عنه تعالى العالم كل شىء.

ثم إنه تعالى يشير إلى ظنهم هذا، أو تشير إليه الجوارح، ويخبر تعالى عنه، أو تخبر جوارحهم بأنه ما ظنوه بربهم، وأنه الذى أهلكهم بعذاب الآخرة، فأصبحوا من الخاسرين الذين خسروا نعيم الآخرة واستبدلوا به العذاب الأليم.

فَإِن يَصۡبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡۖ وَإِن يَسۡتَعۡتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلۡمُعۡتَبِينَ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية هو فصل الخطاب فى أمر المكذبين العصاة، فيذكر تعالى إنهم سواء أصبروا على العذاب أم جزعوا منه فإنه يبقى أن النار تكون مثوى لهم على الحالين، وأنهم إذا طلبوا أن يستعتبوا منه تعالى على ما كان منهم طلبا لرضائه، فإن ذلك لاينفعهم فقد قدر لهم ألا يكونوا من المعتبين، والمعنى أنه لابد لهم من عذاب النار.

۞ وَقَيَّضۡنَا لَهُمۡ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَحَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان كيفية وقوع المكذبين العصاة فى شرك الكفر والمعصية فى الحياة الدنيا، فيذكر تعالى أنه قيض لهم قرناء كان منهم أنهم زينوا لهم ما بين أيديهم وما خلفهم، بمعنى أنه تعالى جعل لهم أصحابا وأخدانا من الجن ومن الإنس استولوا عليهم وسيطروا على إرادتهم فزينوا لهم الآخرة والدنيا تشجيعا لهم على العصيان، زينوا لهم الآخرة بأن أقنعوهم أنه لايكون حساب ولا جزاء فى الآخرة، أو أنهم لايعذبون من الله لكونهم مكرمين لديه، بدلالة ما أنعم عليهم فى الدنيا. وزينوا لهم الدنيا بأن زينوا لهم متعها المحرمة، فكان أن ثبت فيهم قوله تعالى لإبليس «لأملأن جنهم منك وممن تبعك منهم أجمعين»، ثم بين تعالى حالهم من العذاب والتعذيب الذى حق عليهم وهو كونهم من

جملة أمم كثيرة سبقت فى تقديره تعالى أنها تكون من أهل النار من الجن والإنس الكافرين العصاة. ثم بين تعالى واقع حالهم جميعا أو سبب استحقاقهم العذاب وهو أنهم كانوا خاسرين، خسروا أن يكونوا من الذين تشملهم رحمة الله فكانوا من المعذبين.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾
ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا
يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير:

يذكر تعالى - فى الآيات - قول الكافرين فى القرآن العظيم وعملهم مع الناس بشأنه، كما يذكر جزاءهم على هذا.

بدأ قوله تعالى ببيان أن أئمة الكفر أو المحرضين عليه قد نهوا غيرهم عن الاستماع إلى القرآن العظيم لدى تلاوته منه ﷺ أو من المؤمنين، كما أمروهم أن يلغوا فيه، بأن يأتوا باللغو عند تلاوته للتشويش على القارىء وعلى المستمع، وأنهم كانوا يعللون نهيهم وأمرهم بأنه قد يتحقق لهم به غلبة رسول الله ﷺ والقارئ القرآن على قراءته، أو الغلبة على القرآن بمنع انتشاره وانتصاره.

ثم إنه تعالى يقسم على أن يذيق هؤلاء الكافرين عذابا شديدا، جاء نكرة مع وصفه بالشدة لإتاحة الفرصة للخيال لتصور مبلغ شدته ونوعيته، كما أقسم تعالى أن يجازيهم أسوأ الجزاء يماثل أسوأ أفعالهم السيئة.

ثم يشير تعالى إلى أسوأ الجزاء هذا ويخبر عنـه أنه جزاء أعداء الله، ويبينه بأنه هو النار، ثم يذكر أن النار تكون لهم دار الخلد، بمعنى أنها دار إقامتهم إلى الأبد ثم يبين تعالى أن العذاب المذكور واتخـاذ النار دارا يخلدون فيها هو جزاء إنكـار آيات الله تعالى ومنه التحـريض على عدم الاستماع إلى القرآن وعلى اللغو فيه.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾

التفسـير:

قوله تعالى ــ في الآية ـ هو في الكافرين وهم في النار، فيذكر تعالى أنهـم ينادونه تعالى بقولهم «ربنا» ثم يسألونه أن يريهم الذين أضلوهم في الدنيا من الجن والإنس. ويلاحـظ أن الفعل «قال» ورد في صيغـة الماضي مع كون الحدث مستقبلا، للتدليـل على حتمية حدوث المخبر عنه وأن الاسم الموصـول «اللذين» قد يفهم منه أن الذين أضلوا الكـافرين اثنان، قيل إنهما إبليس من الجن، وقابيل من بني آدم.

وقد لايكون هذا صحيحا ـ والله أعلم ـ إذ كان قابيل مؤمنا عاصيا ولم يكن كافرا.

فإن كان يحمل إثما عن كل قتل في الدنيا.

فإنـه لايتصور أن يقع منـه تحريـض على الكفر، فيكـون المراد هو فـريقي الجـن والإنس الكافرين يزينان الكفر للكافرين ويحرضان عليه.

والمراد بـالرؤية المطلوبـة هو التمكين، على مـا يبين من قول الكـافرين الذي يـوضح أن الغاية مـن المطلوب هي جعل هؤلاء المحرضيـن تحت أقدامهم ليكونوا فـي الدرك الأسفل من النار، أو من الأسفلين مذلولين مهانين.



إِنَّ ٱلَّذِينَ
قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ
وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ
فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أحوال الكافرين المكذبين فى الدنيا والآخرة، فإنه تعالى يذكر فى الآيات أحوال المؤمنين، ذكرهم بأنهم الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا، بمعنى أنهم آمنوا بالله تعالى إلها وربا، ووحدوه، وبقوا على إيمانهم وتوحيدهم لم يرجعوا عنه، واستقاموا على الطريقة بالمداومة على الفرائض والطاعات. ثم أخبر تعالى عنهم بأنهم تتنزل عليهم الملائكة يتصور أن يكون هذا فى الحياة الدنيا بإلهامهم إلى الصواب، فيكون ذلك فى مقابل قرناء السوء الذين يقيضهم الله للكافرين يغوونهم، وأن يكون عند الموت، ثم فى القبر، ثم عند البعث. والذى يكون من الملائكة معهم أنهم يطمئنونهم من الخوف ومن الحزن، يطلبون منهم عدم الخوف من عدم قبول حسناتهم لكونها مقبولة إن شاء الله، وعدم الحزن على ذنوبهم لأنها مغفورة بإذن الله، كما يكون منهم تبشيرهم بدخول الجنة التى وعدهم به الله فى كتبه وعلى ألسنة رسله عليهم السلام.

وفى تفصيل ما يكون من الملائكة مع المؤمنين يذكر تعالى أن الملائكة تقول لهم «نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة» بمعنى أنهم كانوا أعوانا لهم فى الدنيا يرشدونهم إلى ما فيه خيرهم وصالح أمرهم فى الدين والدنيا، وأنهم فى الآخرة يستغفرون لهم ويشفعون

لهم. فيكون ذلك فى مقابل ما يكون من تخاصم بين الكافرين وبين أعوانهم فى الدنيا على الكفر حين يرون العذاب. كما يذكر تعالى أن الملائكة تخبر المؤمنين أنه يكون لهم فى الآخرة ما تشتهى أنفسهم من اللذائذ والطيبات، وكل ما يتمنون ويطلبون، مبينين لهم أن ذلك يكون ثوابا من الله وكرما، تصفه الملائكة بأنه الغفور الرحيم لمغفرته ذنوب المؤمنين وشمولهم برحمته.

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

من دعا إلى الله وعمل صالحا: قيل هو محمد، رسول الله ﷺ، وقيل هو والصحابة رضوان الله عليهم. وهو ﷺ وهم رضى الله عنهم ممن يثبت منهم القول، ثم إنه يشمل كل من يدعو إلى الله تعالى وتوحيده و إلى دينه بالقرآن العظيم وسنة نبيه ﷺ.

ثانيا : التفسير:

بعد أن بين تعالى أن أسوأ قول هو قول الكافرين للكافرين «لاتسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه» فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يذكر أفضل قول وأفضل قائل، جاء التعبير عن هذا بالاستفهام «ومن أحسن قولا»، أريد به تقرير أنه ليس من قول يعدل قول من دعا إلى الله وعمل صالحا. ولا شك أن خير من دعا إلى الله وعمل صالحا هو رسول الله صلى الله عليه وسلم، وبعده يجيء كل من سار على نهجه فى الدعوة إلى دين الله، وقيل إن المراد بالدعاء ـ فى معنى الآية ـ هو الأذان للصلاة، ويدحض هذا القول أن السورة مكية وأن الأذان شرع بالمدينة. كذلك قيل إن العمل الصالح هو الصلاة والصيام، وقيل هو كل عمل صالح. وقد يكون الصحيح أنه العمل بالطاعات وتجنب المعاصى، لأن الداعى إلى دين الله يجب أن يكون قدوة للناس،

فلا يقبل الناس ممن يعرض عن الطاعات أمرا بالطاعة، ولا ممن لا يتجنب المعاصى نهيا عنها. ثم إنه تعالى يذكر من صفات هذا الذى ليس أحد أحسن منه قولا بأنه يقول إنه من المسلمين، يعلن ذلك فى الناس بلسانه افتخارا بأنه على دين الحق وإبداء لسعادته بكونه أحد المنعم عليهم بالهدى إلى دين الله تعالى.

وَلَا تَسْتَوِى
ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ
عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ
فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ـ الحسنة: قيل إنها حب رسول الله صلى الله عليه وسلم وآله، وقيل هى كلمة «لا إله إلا الله»، وقيل هى الحلم. ونرى ـ والله أعلم ـ أنها كل خصلة حسنة.

٢ـ السيئة: قيل هى بغض رسول الله ﷺ وآله، وقيل هى الشرك، وقيل هى الفحش. وقد تكون ـ والله أعلم ـ هى كل خصلة سيئة.

٣ـ الذى بينك وبينه عداوة: قيل إن المراد به هو أبو سفيان بن حرب، كان عدوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم صاهر رسول الله ﷺ، ثم أسلم، فصار وليا فى الإسلام، حميما بالمصاهرة. وقيل. هو أبو جهل. وبقطع النظر عمن أنزل فيه القول، فإن القول يسع كل من يعادى المؤمن.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أفضل الأقوال فى التعامل مع الله فإنه تعالى يخبر- فى الآيات - عن أفضل ما يقال فى التعامل مع البشر. فالآيات هى فى كريم الخلق وما يصدر عنه. يثبت تعالى - فى مقام أول - عدم استواء الخصال الحسنة والفعال والأقوال الحسنة مع الخصال السيئة والأفعال والأقوال السيئة. ثم أتبع تعالى ذكر هذه الحقيقة بأمره رسولهﷺ والمؤمنين أن يدفعوا إساءة المسيئين بأحسن ما يمكن الدفع به من الحسنات، بمعنى أن يكون من المؤمن الإحسان إلى من أساء إليه، فإذا كان المسىء من الكافرين كان المقبول هو أن حكم النص قد نسخ بآية السيف وإذا كان من المؤمنين كان حكم النص قائما بأن يدفع المؤمن بحلمه جهل من يجهل عليه.

أما نتيجة دفع السيئة بالحسنة فيبينها تعالى بقوله «فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم»، والمعنى أن العدو المسىء لايصلح وليا حميما بالفعل، وإنما يكون فعله الظاهر هو فعل الولى الحميم فلا تتصف أفعاله بالعدوانية، فيكون فى ذلك كف أذاه.

ثم إنه لما كان مقابلة السيئة بالحسنة هو أمر لاتقدر عليه إلا النفوس العالية فإنه تعالى أثبت أنه لايلقى هذه الخصلة الشريفة إلا من أسبغ عليه تعالى صفة الصبر وكان ذا حظ عظيم من كمال النفس. وقيل إلا من كان ذا حظ عظيم فى نيل ثواب الله لأنه ينال الجنة، وهى أعظم الثواب.

ثم إنه لما كان مقابلة السيئة بالحسنة هو مما يصعب على كثيرين، وكان من شأنه أن ينيل من أطاع الله فيما أوصى به من مقابلة السيئة بالحسنة ثواب الله تعالى وهو ما يسىء الشيطان عدو الإنسان، فإنه كان متصورا أن يكون من الشيطان الوسوسة بمقابلة السيئة بالسيئة ، ليجنى من ذلك تفشى أفعال الاقتتال فى مجتمع المسلمين والحرمان من ثواب الطاعة. ولهذا أمر تعالى من يوسوس له الشيطان بعدم إطاعة ما أوصى به تعالى بالاستعاذة به تعالى من شر الشيطان فيسمع له عالما بنواياه فيعينه على الشيطان. وعمومية القول تفيد أنه تكون الاستعاذة بالله من الشيطان عند كل نزغ من الشيطان بعصيان.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۝٣٧ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۝٣٨﴾

التفســــير:

الآيتان الشريفتان فى ذكر أفعال من أفعاله تعالى العظيمة الشأن وفى الأمر بما تستوجبه ملاحظة هذه الأفعال من إفراده بالعبادة .

فذكر تعالى أن من آياته العظيمة فى الخلق خلقه الليل والنهار والشمس والقمر. يدخل فى هذا كيفية ايجادها وخلقها أول مرة، ويدخل فيه تعاقب الليل والنهار وتسخير الشمس والقمر وحركة كل منهما والجريان إلى أجل مسمى.

ثم إنه لما كان من شأن عظم الشمس والقمر آيتين أن أناسا أكبروهما فعبدوهما، فإنه تعالى نهى عن عبادتهما والسجود لهما، وأمر أن تكون العبادة له تعالى وأن يكون السجود له تعالى حال عبادته وعلة ذلك أنه الذى أوجد الشمس والقمر والذى سخرهما.

فيكون معنى «إن كنتم إياه تعبدون» هو حال أن تكونوا له تعالى عابدين، فيكون المراد هو بيان وجوب السجود لله تعالى حال عبادته .

ثم إنه لما كان من الناس من يستكبر على الحق فيرفض الانتهاء عن السجود لمخلوقات الله العظيمة وأن يجعل سجوده لله وحده، فإنه تعالى بين أنه لا حاجة له بسجودهم، كما بين أن الملائكة عليهم السلام الذين هم فى حضرة قدسه عز وعلا يسبحون له فى كل وقت، كأن تسبيحهم يستغرق ليل أهل الأرض ونهارهم كله، لا يملون تسبيحه .

■■■■■

• وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ
تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ
أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ آية أخرى من آيات قدرته تعالى يلحظها الناس ويدركونها، وهى أن الأرض تكون يابسة قاحلة تشبه من أذله الفقر فخشع وتذلل، ثم إذا ما أنزل تعالى عليها المطر تحركت بالنبات وانتفخت قبل بزوغه منها مثل من أصابه متاع الدنيا فانتفخت أوداجه ومشى مزهوا بنفسه.

ثم يذكر تعالى أن الذى أحيا الأرض بعد موتها هو الذى يحيى الموتى بالبعث فى الآخرة، وأنه على كل شىء ـ ومنه بعث الأموات ـ قدير. فيكون المثل المضروب فى الآية هو للتدليل على قدرته تعالى على بعث الموتى.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ
ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾

أولا: الأسماء:

الذين يلحدون فى آياتنا: هم الذين يميلون بألفاظ القرآن العظيم ومعانيها عما أنزلت فيه

عمدا قصد النيل منه، أو الذين يضعون الكلام فى غير مواضعه. وقيل هم الذين يكذبون بالقرآن العظيم ويشوشون على تلاوته بالصفير واللغو. والأول أظهر.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ فى فئة من الكافرين أمعنت فى الفُجر فحاولت النيل من القرآن العظيم بطريق تغيير النطق ليعبر عن معنى خلاف المقصود، وبطريق التأويل غير الصحيح لمعانيه قصدا.

ذكر تعالى أنهم لا يخفون عليه، بمعنى أنه تعالى يعرفهم ويعرف أفعالهم القبيحة. والقول ـ بهذا المعنى ـ هو توعد لهم بالعقاب جزاء على فعلهم الخبيث، أفصح عن هذا العقاب قوله تعالى «أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمنا يوم القيامة» أريد بالاستفهام بيان أن عقاب الذين يلحدون فى آياته تعالى هو الإلقاء فى نار جهنم، كما أريد به بيان أن مصير الذين يؤمنون بآياته تعالى هو دخول الجنة ـ يستخلص بمفهوم المخالفة ـ وفيه إنكار المساواة فى المصير بين الذين يلحدون فى آياته تعالى وبين الذين يؤمنون بها .

ثم جاء قوله تعالى «اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير» تهديدا لهؤلاء الذين يلحدون فى آياته بأنه معاقبهم بأفعالهم الدنيئة التى يعلمها لا يفوته منها شىء .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَـٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن الذين يلحدون فى آياته من الكافرين وهم أئمة الكفر فإنه تعالى

يخبر في الآيتين عن الكافرين عامة فيثبت أنهم الذين كفروا بالقرآن العظيم لما جاءهم من الله دون أن يحاولوا التأمل فيه والتدبر وإعمال العقل، ثم يصف تعالى القرآن العظيم بأنه كتاب عزيز لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، بمعنى أنه ليس له نظير أو مثيل، وأنه يعز على غير الله أن يأتي بمثله، كما أنه يعز على أعداء الله أن يغلبوه، كما قد يكون من مظاهر عزته أنه لاينسخ، وذلك فضلا عن أنه ممتنع على الباطل، فهو الحق، نزل من الله الحق بكل ما هو حق؛ ولذلك فهو الصادق فيما أخبر به من قصص، وما أخبر به عن أحداث مستقبلة، وهو المتضمن العقيدة الحقة، والأحكام التى تصلح إلى أن يرث الله الأرض.

ثم وصفه تعالى بأنه تنزيل من حكيم حميد، ليثبت أنه تنزيل منه تعالى، بما استوجبته حكمته وأنه لما فيه من مصالح العباد جدير بأن يحمل على حمد الله وشكره على إنزاله لكونه رحمة للعالمين.

فيكون القول هو إن الذين كفروا بالقرآن الذى من صفاته العزة والصحة هم الكافرون حقا.

﴿مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا
مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ ۖ
أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ۖ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى أن الكافرين هم الذين كفروا بالقرآن العظيم ، ومن مقتضيات هذا

التكذيب تكذيب رسول الله ﷺ والقول فيه غير الحق، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ بقوله «ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك» وفيه قيل إنه للتسرية عن رسول الله ﷺ ببيان أن ما يقوله فيه الكافرون هو ما قاله الكافرون للرسل من قبله ﷺ. ونرى ـ والله أعلم ـ غير هذا، فنرى أن المراد هو أنه تعالى إنما قال لرسوله بطريق الوحى ما قاله للرسل من قبله فى شأن العقيدة من عبادة الله وتوحيده وعدم الشرك به؛ وأنه لهذا جاء قوله تعالى من بعد «إن ربك لذو مغفرة وذو عقاب أليم» بيانا لأنه تعالى يغفر لمن يؤمن للرسل وما أرسلوا به فيكون من المؤمنين الموحدين، ويعاقب الذين لا يؤمنون لهم فيلحدون أو يشركون بالعقاب الأليم.

وبعد أن ذكر تعالى أن من الكافرين من يلحد فى آيات القرآن العظيم، وأن منهم من يكتفى بالكفر بها، فإنه تعالى أثبت فى الآية أن كفرهم بالقرآن العظيم ليس سوى عناد من أنفسهم وإصرار على الباطل.

والمشهور أن كفار مكة قالوا «هلا أنزل القرآن بلغة العجم» وسواء أكانوا قد قالوا هذا أم لم يقولوه، فإنه تعالى يقول إنه لو كان القرآن قد أُنزل بلغة من لغات العجم لقال كفار مكة «لولا فصلت آياته» يبررون كفرهم به بعدم فهمهم عبارته لكونها بغير لغتهم، وأبدوا تمنيهم لو كان قد أنزل بلغتهم فكانت آياته مفهومة لهم على التفصيل.

ولما كان القرآن قد أنزل بالعربية فإنه يكون واضحا أنه ليس ثمة محل لأن يقول كفار مكة «لولا فصلت آياته».

وفى قوله تعالى «أأعجمى وعربى» قيل إنه جاء ردا على قول الكافرين «هلا أنزل بلغة العجم» وإنكارا له، لأنه يناقض المنطق أن يكون القرآن بلفظ أعجمى ويكون المنزل إليه رسولا عربيا، أو يكون المنزل إليهم ـ فى مبتدأ الأمر ـ هم العرب. كما قيل إنه يعنى أن القرآن تضمن ألفاظا عربية وأخرى أعجمية، وقال أصحاب هذا الرأى تدليلا على صحة قولهم إن لفظ «السجيل» هو فارسى مكون من «سفك» ،و «كيل» بمعنى: طين وحجر. وأن كلمة «فردوس» رومية، وكلمة «القرطاس» رومية. ونرى ـ والله أعلم ـ عدم صحة القولين، فنحن لانستطيع أن نتصور عقلا أن يقول عرب فى كتاب أنذروا به «هلا أنزل بلغة أخرى» لمنافاة

ذلك للمنطق فضلا عن أنـه لم يثبت أن منهم من قال هذا، ثم إنـه بفرض وجود بعض ألفاظ معدودة علـى أصابع اليد مـن ألفاظ لغات غيـر العربيـة فـإن ذلك لا يعنى أن القرآن قـد أنزل بالعـربية وبلغات أخـرى، مادامت معـانى الألفاظ غيـر العربية مفهـومة المعنى للعـرب من السياق، ولأن غير العرب لن يفهموا القرآن لمجرد وجود هذه الألفاظ من لغاتهم فيه.

ثم إن الواقع يثبت أن الألفاظ التى قيل إنها أعجميـة الأصل كانت مستعملة وجارية على اللسان العربـى، مفهومة من العرب فأصبحـت من لغتهم المتطورة. والذى نـراه هو أن معنى «أعجمى» فى قوله تعالى «أأعجمى وعربى» هو الذى لا يفصح ولا يبين.

فيكون القـول مبطلًا حجـة يقولهـا الكافرون أن آيـات القرآن غيـر مفهـــومة لهـم أو غير مفصلـــة وذلك لكونـه منزلا بلغتهم، فلا يبقـى إلا أن عنادهم وإصـرارهم على الكفر هـو ما صدهم عنه .

ثم إنه تعالـى يأمر رسوله ﷺ أن يعلم أن مـرجع الإيمان بالقرآن العظيم، وعـدم الإيمان به هو الشخص المبلغ به؛ ولذلك فإنه للذين آمنـوا هدى وشفاء ، بمعنى أنه يهـــدى إلى الحق وإلى طريـق الله المستقيم الموصل إلى رضائه وجنتـه، وأنه شفاء لما فى الصدور مـن شـك وريبة، إذ يكون به الاطمئنان إلى أمان النفس فى الـدنيا والآخرة، حين أنه يكون على الذين لا يؤمنـون عمى لأنهـم أصموا آذانهـم عن سمـاعه فضلـوا عن الحـق كما يضـل الأعمى عـن السبيل.

ثم أشار تعالى إلى هؤلاء الذين لا يؤمنـون وأخبر عنهم أنهم ينادون من مكان بعيد، والقول فيه تمثيل لحالهم بحـال من ينادي عليه من مكان بعيد، لا يفهم مما ينـادى به عليه ويقال له شيئا.

وقيل إنهم يوم القيامة ينادون بكفرهم وبأقبـح أعمالهم من بعد ليسمع ذلك أهل الموقف فيكون فى ذلك فضح لهم .



وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن
رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا
فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾

التفسير:

الآيتان فى بيان أنه تعالى ما أنزل من كتاب على رسول من رسل الله إلا وكان من الناس اختلاف فيه بين إيمان وتكذيب، ثم فى بيان أن كلا من المؤمن بما ينزل الله والمكذب يحاسب بما يكون منه.

خاطب تعالى رسوله مبينا أنه آتى موسى عليه السلام الكتاب ـ وهو التوراة ـ وأنه اختلف فيه بين مؤمن به ومكذب. وجاء ذكر التوراة لأنها عقيدة وشريعة مثل القرآن العظيم، فيكون القول مشيرا إلى ما وقع من اختلاف من الناس فى القرآن بين مؤمن به ومكذب.

ثم ذكر تعالى أنه لولا أنه قد سبق منه القول فى قومه صلى الله عليه وسلم أن يؤجل حسابهم إلى يوم القيامة «بل الساعة موعدهم» لكان قد قضى بين المؤمنين بالقرآن العظيم وبين المكذبين به فى الحياة الدنيا بإهلاك الكافرين بعذاب دنيوى.

ثم إنه تعالى يقرر فى شأن الكافرين بالقرآن العظيم أنهم فى شك منه بمعنى أنهم فى شك من كونه منزلا من الله تعالى شكا يريبهم فى أحكامه وصحتها.

وبعد هذا يذكر تعالى أن من صلح منه العمل فآمن بالقرآن العظيم، يكون ذلك لصالح نفسه، وأن من ساء عمله فكفر بالقرآن يكون قد أساء إلى نفسه، فعليه يقع ضرر عمله السيء، يكون عقابا مساويا ذنبه لا يكون فيه ظلم فيما لو وقع من غير الله تعالى الذى لا يظلم ولو عاقب بغير سبب.

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَاتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِي قَالُوا آذَنَّاكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾

أولا : الأسـماء :

الأكمـام : فى قوله تعالى «وما تخرج من ثمرات من أكمامها» جمع، مفرده «كم» بالكسر، وهو وعاء الثمرة .

ثانيا : التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه يجازى من يؤمن بكتبه ومن يكفر بها يوم القيامة دون ظلم لأحد، وكان من الكافرين أن سألوا متى يكون هذا اليوم، فقد جاء قوله تعالى «إليه يرد علم الساعة» بمعنى أنه إذا سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم من أحد ــ مؤمنا كان أم كافرا ــ أن يرد إليه تعالى العلم به، بمعنى أنه صلى الله عليه وسلم لا يعلم جواب السؤال، وأنه يقر بخلوص العلم به لله تعالى. ثم إنه تعالى بين أنه يعلم أمر كل ما يكون فى الدنيا، ليعلم الكافرون أنهم محاسبون بكل ما يكون منهم، فذكر تعالى أنه ما من ثمرة من ثمار الأشجار تخرج من وعائها إلا كان خروجها بعلم منه تعالى وبمشيئته، وأنه ما من أنثى من النساء أو من إناث الحيوان تحمل وتضع حملها إلا كان ذلك بعلم منه تعالى وبمشيئته. فالعلم ـ فى النص ــ يفيد المشيئة، تكون مصاحبة وقوع الحدث .

ثم يذكر تعـالى أنه فى يوم القيامة الـذى يسأل عن وقته الكافرون المشركـون يسأل تعالى شأنه المشركين عن معبوداتهم التى أشركوا بالله إذ عبدوها، فيجيبونه بقولهم «آذناك ما منا من شهيد» بمعنى أنهم أخبروه تعالى - من قبل - أنه ليس منهم من يشهد أنهم آلهة. فيكون القول مفيدا أنهـم سبق لهم الإجابـة عن السؤال بأنـه ليس منهم من يشهـد بألوهية معبـوداتهم، أو بأنهم عبدوها، فيكونوا قد كذبوا على الله .

ثم يـذكر تعالـى أن آلهتهم التى عبـدوا فى الـدنيا تضل عنهـم فى الآخرة، بمعنـى أنها لا تنفعهم بشىء، وأن المشركين يتيقنون أنهم ليس لهم من العذاب الذى توعدوا به مهرب، وأنه واقع بهم .

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآيات - يبدو كأنه انتقـال إلى حديث غير الحديث، وأنه فى بيان طبيعة الإنسان والذى نراه - والله أعلم - أنه مرتبط بما سبـق ذكره فى شأن الكافريـن بالقرآن العظيم والكافـرين بكتب الله المنزلـة على رسله، وأن طبيعتهـم الموصوفـة فى الآيات تبين أنهـم قد

فطروا على الإيمان يظهر فيهم حين يتعرضون للبلاء، وأنهم يتغلبون عليه لفساد طبيعتهم الضالة حينما تصيبهم النعمة .

فيذكر تعالى أن الإنسان ـ وأغلبه الكافر ـ لايمل من طلب الخبر والدعاء به، وأن الكافر إذا أصابه الشر في مال أو صحة أو ولد ييئس من فضل الله عليه يرفع عنه البلاء .

ثم يذكر تعالى أنه إذا ما فرج عن الكافر كربه وأنعم عليه من بعد ما أصابه من ضر، يكون منه القول أن ما أصابه من خير هو حق له استحقه بقدراته ومكناته، أو بتفضيل الله إياه على غيره، وقد يدفعه تنعمه إلى إنكار قيام الساعة، أو إلى القول إنها إن قامت فإنه تكون له الكرامة عند ربه، يكرمه في الآخرة كما أنعم عليه في الدنيا وفي شأن هذا وأضرابه من الكافرين يذكر تعالى أنه سيعلمهم حقيقة أعمالهم بمحاسبتهم عليها، فيعلمون أن أعمالهم أدت إلى تحقيرهم وإهانتهم في الآخرة وليس إلى إكرامهم، كما يذكر تعالى أنه ـ في الآخرة ـ يذيقهم عذابا من العذاب الغليظ يلتصق بهم فلا يستطيعون منه فكاكا .

كما يذكر تعالى من أعمال الكافر أنه إذا أنعم الله عليه بالنعم، يكون منه الإعراض على شكره تعالي على ما أنعم به عليه، وتكبر في نفسه ومال عن العباد رعن المؤمنين، فأما إذا مسه الشر، فإنه يكون منه الالتجاء إلى الله بالعبادة والدعاء المستمر. أي أنه يتذكر الله وقت الشدة، ويعرض عنه وقت اليسر .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ
عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾
سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ
أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ
مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

أولا : الأســـماء :

الآفـــاق : جمع، مفرده «الأفق» وهو الجهة أو الناحية .

ثانيا : التفســــير:

بدأ القـول ـ فـي الآيات ـ بأن طلـب تعالـى من رسـوله صلـى الله عليه وسلـم أن يقول للكافرين «أرأيتم إن كـان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هـو فى شقاق بعيد» والقول متعلق بارتيـابهم فى كون القـرآن العظيم منزلا من الله تعالـى، فيكون معنى قولـه ﷺ هو «أفلا ترون أنه متى ثبت لكم ـ بتعذيبكم بكفركـم ـ أن القرآن العظيم منزل من عند الله تعالى، يكون قد ثبت لكم أنكم أضـل خلقه جميعا، خالفتم الحق، وذهبتم فى مخـالفته إلى أبعد مدى» . فيكون قـوله صلـى الله عليه وسلـم لهم تهديـدا لهم بـالعذاب على كفـرهم بـالقرآن، وبيـانا لاستحقاقهم بذلك أشد العذاب .

ثم إنه تعالى يعد بـأنه سيرى الكافرين فى عصره صلى الله عليه وسلـم وفى كل زمان آياته الدالة علـى ألوهيته وقدرتـه ووحدانيته فى جميـع الجهات والنواحى والأمـور، وفى أنفسهم، حتى يتبين لهم أن القرآن العظيم هو الحق من الله.

وفى هذا قيل إن المعنى هو أن الكافرين يشاهدون الفتوحات الإسلامية فى جميع الأنحاء على يدى رسول الله صلـى الله عليه وسلم وأيدى خلفائه، كما يشاهـدون نصره صلى الله عليه وسلم عليهم فيتبيـن لهم أن القرآن ـ بمـا وعد به ـ هـو الحق من الله الحق. والـذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه تعـالي وعد فى الآيات أن يرى الكافـرين آياته فى المستقبل فـى كل شىء، يكون ذلك حين يثبت العلم صحة ما ورد فى القرآن العظيم فيمـا لم يكن للناس علم به يدخل فى هذا نشأة الكـون، والقوانين التى تحكمه مثل قـوانين: الجاذبية، والطواف، والنسبيـة، وكروية الأرض ودورانها حول الشمس، والظواهر الجوية وغيرها.

كما وعد أن يريهـم آياته فى أنفسهم بما يثبتـه العلم عن مراحل تطور الجنيـن وولادته ثم حياته إلى موته، حتى يتبين الكافرون أن القـرآن الذى أخبر عن هذا لابد أن يكون منزلا من الله

تعالى، فإذا بقى منهم - من بعد تبين هذا - مصر على الكفر بالقرآن، فإن الله غنى عن إيمانهم بالقرآن إذ يكفى به شهيدا على أن القرآن منزل منه تعالى، وهو تعالى على كل شىء شهيد .

ثم يذكر تعالى أن حقيقة الكافرين بالقرآن كتابا منزلا منه تعالى هى أنهم فى شك من البعث ومن الحساب؛ وأنهم لهذا لا يولون القرآن العظيم ما هو جدير به من الإحاطة، فيكتفون بالبحث العلمى لا يقرنونه بما ورد بشأنه فى القرآن؛ ولذلك جاء قوله تعالى «ألا إنه بكل شىء محيط» بمعنى أنه تعالى يعلم بواعثهم فى الانصراف عن مطابقة ما يسفر عنه العلم على ما أخبر به القرآن، ليحولوا بين أنفسهم و إدراك أن القرآن حق من الله الحق، فلا يكون منهم أنهم يؤمنون .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الشـورى

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ
ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٣ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ
٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ
رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ٥

التفسـيـر:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف حمٓ، عٓسٓقٓ، جاءت فى آيتين، فقيل إن «حمٓ» مبتدأ، وإن خبره هو عٓسٓقٓ. وقيل إنها إشارة إلى إهلاك مدينتين تبنيان على نهريشق مجراه بينهما يجتمع فيهما الجبارون، فيبعث الله على إحداهما نارا ليلا فتصبح سوداء محترقة، ويخسف بالأخرى فى الليلة التالية. وقيل غير ذلك. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنها من المتشابه من القرآن .

ثم إنه تعالى خاطب رسوله ﷺ فبين له أنه على هذا النحو الكائن فى السورة يوحى إليه ربه ما أراد إعلامه به وما أراد الإبلاغ به كما أوحى إلى الرسل من قبله.

فيكون القول مشيرا إلى تضمن السورة ما جاء بالكتب والصحف المنزلة على الرسل من قبل فى شأن عقيدة التوحيد. ووصفه تعالى ذاته بأنه العزيز الحكيم يشير إلى أنه تعالى ناصر بعزته عقيدة التوحيد على النحو الذى تقضى به حكمته تعالى.

ويخبر تعالى عن ذاته بأن له ما فى السماوات والأرض، بمعنى أنه مالك كل ما فى السماء وما فى الأرض، وأنه العلى فوق الخلق، الذى له وحده العظمة .

ولما كان تعالى قد أخبر عن ذاته بأنه العلى العظيم، ومن علوه أنه يكون عرشه ويكون كرسيه فوق السماوات، ومن عظمته أن مخلوقا لايتحمل مظاهر عظمته تعالى، فإنه تعالى ذكر أن السماوات تكاد تتشقق من ثقل ما فوقها وخشوعا لعظمته، كما ذكر أن الملائكة يسبحون بحمد ربهم بمعنى أنهم ينزهونه عما لا يليق بذاته متلبسين بحمده.

كما يذكر تعالى أنهم يستغفرون لمن فى الأرض، ويبدو من عمومية القول أنهم يستغفرون للمؤمن وللكافر، وقد يكون المراد باستغفارهم للكافر الدعاء له بالهدى والإيمان يغفر له بهما ذنبه.

ثم يجىء قوله تعالى «ألا إن الله هو الغفور الرحيم» مؤكدا أنه تعالى يغفر لمن يشاء وأنه الذى يرحم عباده حتى إنه قيل إنه ما من أحد إلا وله من رحمة الله نصيب .

■■■■

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ
عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ
ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ
وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن
يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ أم القـرى : هى مكة المكرمة. هى للبلاد بمثابة الأصل والأم.

٢ ـ من حولها : هم العرب الذين يقطنون فى جوار مكة، وقيل هم جميع أهل الأرض.

ثانيا : التفسـير :

بدأ تعالى القول ـ فى الآيات ـ ببيان أنه تعالى هو الموكول إليه أمر المشركين الذين تولوا غيره بالعبادة وبيان أنه صلى الله عليه وسلم ـ المخاطب بالقول ـ ليس الموكل بأمر إيمانهم. ثم أعقب هذا بأن رسالته صلى الله عليه وسلم هى الإنذار بالقرآن وليست إلزام الناس بالإيمان والمسئولية عن هذا.

فأشار تعالى إلى إنزاله تعالى القرآن على رسوله صلى الله عليه وسلم بطريق الوحى قرآنا باللفظ العربى، يقرأ بالعربية ويكون مفهوما لأول من ينذر به، وهم أهل أم القرى مكة المكرمة أصحاب اللسان العربى، وأهل ما جاورها من البلاد والقرى، ولينذر به من عذاب يوم القيامة.

وصفه تعالى بأنه يوم الجمع لقوله تعالى فيه «يوم يجمعكم ليوم الجمع»، قرر بشأنه تعالى

أنه لا ريب فيه بمعنى أنه آت لاشك فى هذا. كما بين أنه يكون فى هذا اليوم بعد جمع الناس فى الموقف أنه يكون تفريقهم فريقين يستقر أولهما فى الجنة، ويستقر الآخر فى السعير.

ثم يذكر تعالى أنه لو كان قد شاء أن يجعل مصير الفريقين ـ فى الآخرة ـ واحدا، لكان قد فعل هذا بجعل الفريقين ـ فى الدنيا ـ على عقيدة واحدة من الهدى أو من الضلال. ثم يبين أنه لم يشأ هذا، فكان منه تعالى أن أدخل من شاء له الهدى فى رحمته، ثم بين أن الذين لم يدخلهم رحمته هم الذين اختاروا الكفر.

ولهذا وصفهم بأنهم الظالمون، ثم أخبر عنهم أنهم لا يكون لهم ولى يشملهم برحمته ولا نصير يدفع عنهم عذاب الله الذى استحقوه بكفرهم.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أن الكافرين لا يجدون لهم يوم القيامة وليا ولا نصيرا، جاء قوله تعالى «أم اتخذوا من دونه أولياء».

وفيه قيل إن معناه هو «بل اتخذوا من دون الله أولياء» وأن المقصودين هم الأصنام. ونرى ـ والله أعلم ـ أن الاستفهام إنكارى، معناه هو «أم أنهم اعتقدوا أن الذين عبدوا وما عبدوا هم أولياء على الحقيقة يتولونهم ويحمونهم ويدفعون عنهم الأذى» فيكون الاستفهام مفيدا تقرير واقع أنهم عبدوا غير الله، ومنكرا أن تكون معبوداتهم صاحبات قدرة وتكون منهم الولاية.

ولهذا أتبع تعالى هذا بقوله «فالله هو الولى» أثبت تعالى أنه وحده الولى الذى ينفع من تولاه، وأنه الذى ينفع المؤمنين الموحدين.

ثم ذكر من مظاهر قدرته أنه يحيى الموتى، لبيان أنه يرحم من تولاه ويعاقب من تولى غيره، ثم ذكر أنه على كل شىء قدير، ليكون ذلك مقابلا لعجز معبودات المشركين غير القادرة على شىء.

وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى
ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ
يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١٢﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه لم يجعل الناس على عقيدة واحدة، وأنهم مختلفون بين مؤمن وكافر.

جاء قوله تعالى «وما اختلفتم فيه من شىء فحكمه إلى الله» دل باقى القول على أنه قول يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين على المستفاد من قوله تعالى «ذلكم الله ربى عليه توكلت و إليه أنيب».

فيكون المعنى أنه صلى الله عليه وسلم يقول للمؤمنين إن الحكم فيما اختلفوا فيه مع الكفار هو إلى الله تعالى يكون بإثابة المؤمنين وتعذيب الكافرين، ثم يكون منه صلى الله عليه وسلم أن يبين لهم حاله مع ربه ليقتدوا به.

فيذكر لهم أنه متوكل عليه فى جميع أموره وأنه يرجع إليه دائما طالبا عونه، كما يرجع إليه بالتوبة والاستغفار.

ثم إنه صلى الله عليه وسلم يخبر عن ربه بأنه فاطر السماوات والأرض، بمعنى أنه الذى أوجد السماوات والأرض من العدم، وأنه الذى جعل الناس أزواجا بخلقه حواء من آدم، كما جعل الأنعام أزواجا ذكورا و إناثا، ليكون تكثيرهم وكثرة ذراريهم مترتبا على خلقه إياهم أزواجا.

ويتصور فى القول أن يكون خاصا بالمخاطبين - وهذا هو الراجح - ويتصور فيه أن يكون متعلقا بهم وبالأنعام باعتبار تغليب العقلاء.

ثم يخبر عنه تعالى بأنه ليس كمثله شيء.

وقد يكون الإخبار بهذا قد أريد به إظهار أنه تعالى - وهو الخالق - لا يتصور أن يكون له زوج، حين أن جميع الأحياء لهم أزواج ، وعلة ذلك أنهم مخلوقون .

وقوله تعالى ﴿وهو السميع البصير﴾ .

إذ جاء بعد تقرير أنه تعالى ليس كمثله شيء يفيد أنه تعالى يسمع ويبصر ولكن ليس كما يسمع الناس والأنعام بواسطة الحواس، كما أن سمعه وبصره تعالى ليسا محدودين بحدود قدرة أو مجال.

ثم إنه تعالى يخبر عن ذاته أو يخبر عنه رسوله صلى الله عليه وسلم بأن له مقاليد السماوات والأرض - على ما سبق بيانه فى تفسير الآية ٦٣ من سورة الزمر - ومن خلوص كل شيء فى السماوات والأرض له تعالى يكون منه تعالى أنه يوسع لمن يشاء فى الرزق، يقدره فى السماء ويخلق أسبابه فى الأرض، وأنه يضيق على من يشاء، يفعل هذا وغيره وفقا لعلمه الذى وسع كل شيء، فيكون أمره النافذ بما فيه المصلحة يتبينها الناس أو لا يتبينونها .

■■■■■

﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ
وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟
فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ
وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ
بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ
بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾
فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ
ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ
لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ
بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآيات ـ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. يقول لهم تعالى فى مبتدأ القول إنه شرع لهم من الدين ما وصى به نوحا والذى أوحى إلى رسوله صلى الله عليه وسلم.

والذى نراه فى معنى القول ـ والله أعلم ـ أن القول يتعلق بالشرائع والأحكام، وهى بعض من الدين أو جزء منه، لأن الدين عقيدة وشريعة.

فيكون المستفادمن القول هوأنه تعالى قد أنزل على نوح عليه السلام شريعة، فيكون ما دعا إليه نوح هو توحيد الله، أو العقيدة، وتطبيق شريعة الله، كما يكون القول مشيرا إلى أن القرآن الذى أوحى به تعالى إلى رسوله ﷺ هو عقيدة التوحيد والشريعة.

كما بين تعالى أنه شرع للمسلمين بمعنى أنه وضع لهم حكما آمرا بإنفاذ و إعمال ما وصى به إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام من إقامة الدين وعدم التفرق فيه. وإقامة الدين هى المحافظة عليه والتزامه، فيكون الجميع مأمورين باتباع العقيدة الواحدة التى نادى بها جميع الرسل وهى توحيد الله وعدم الشرك به، وعدم التفرق هو عدم الاختلاف فى عقيدة التوحيد، وفى وجوب التزام أحكام الشريعة .

ولا يقول قائل إن الأمر بعدم الاختلاف يتعلق بالعقيدة وحدها دون الشريعة لكونها متغيرة؛ وذلك لأن الشريعة تكون سارية مادامت لم تنسخ ، فأما إذا ما نسخت بتعديله تعالى بعض أحكامها ، فإن ما نسخ منها لا يكون ساريا، ويكون السارى هو ما نزل به الشرع محدثا ، فيكون الأمر بعدم الاختلاف فى هذا بتمسك البعض بالمنسوخ من أحكامها.

وعلى هذا فقد كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام على شريعة نوح عليه السلام، ثم أنزل الله الشريعة على موسى كانت سارية بدعوته ودعوة عيسى عليهما السلام، ثم أنزل تعالى الشريعة على محمد صلى الله عليه وسلم فنسخت شريعة موسى وأصبحت الشريعة الإسلامية هى السارية والمأمور بعدم الاختلاف فيها بالتمسك بأحكام شريعة موسى. يؤكد هذا قوله تعالى «كبر على المشركين ما تدعوهم إليه» فيكون المعنى أنه عظم على الذين يشركون بعبادة الله ما تدعوهم إليه يا محمد صلى الله عليه وسلم من توحيد الله تعالى وخصه بالعبادة، وأنه عظم على الذين يشركون بالله من أهل الكتاب ما تدعوهم إليه من ترك شريعة موسى عليه السلام إلى شريعة الإسلام .

ويجىء قوله تعالى «الله يجتبى إليه من يشاء ويهدى إليه من ينيب» داعما ـ فى رأينا والله أعلم ـ ما نقول به، وذلك لأنه شق على أهل الكتاب أن ينزلوا عن شريعة أنزلت على رسول من بنى إسرائيل إلى شريعة أنزلت على رسول من أبناء إسماعيل عليه السلام، فجاء قوله

تعالى لإفادة معنى أنه تعالى يصطفي للرسالة من يشاء، ومن ذلك اصطفاؤه تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليدعو إلى الدين الكامل عقيدة وشريعة، وللإعلام بأنه تعالى يهدى إلى الحق - يكون باتباع دعوته صلى الله عليه وسلم - من لديه الاستعداد للرجوع إلى الحق، وعدم التسمك بما كان عليه من قبل، من بعد أن يتبين له الحق .

ثم إنه تعالى يذكر أن أتباع الرسل السابقين بدءا من نوح عليه السلام لم يتفرقوا فى الدين إلا من بعد أن جاءهم العلم بالحق مما دعاهم إليه الرسل، وأن اختلافهم كان نتيجة بغيهم بمعنى أنه كان أثرا لطلب المصالح الدنيوية فكان منهم ظلم الحق والمناداة بغير العلم الصحيح الذى جاءت به الرسل.

ومن ذلك على سبيل المثال - فى شأن العقيدة - عبادة بنى إسرائيل العجل، وطلبهم أن يكون لهم إله مثل آلهة عبدة الأوثان، وقول بعضهم إن عزيرا ابن الله. وقول النصارى إن المسيح هو الله، أو إنه ابن الله. وفى شأن الشريعة إباحة أكل الخنزير وشرب الخمر مع تحريمهما فى شريعة موسى.

ثم يبين تعالى أنه لولا أنه سبق منه تعالى القول أن يرجىء الفصل بين المختلفين من أصحاب الشرائع السابقة إلى أجل معين لديه تعالى، قد يكون هو يوم القايمة، وقد يكون آخر أعمارهم لكان قد فصل فى اختلافهم بإهلاك المبطلين. ثم يذكر تعالى أن الذين أورثوا الكتاب من بعد هؤلاء السابقين هم فى شك منه مريب.

والظاهر أن المراد بالذين أورثوا الكتاب من بعد السابقين هم كفار العرب الذين نزل فيهم القرآن العظيم كتاب الله على رسوله صلى الله عليه وسلم فشكوا فيه وارتابوا. وقيل إنهم اللاحقون من أهل الكتاب ارتابوا فى التوراة والإنجيل .

وبعد هذا جاء أمره تعالى رسوله أن يدعو إلى دين الله الحق وأن يثبت على الدعوة كما أمره الله، وعلة ذلك كما يبينها قوله تعالى «فلذلك فادع واستقم» هى ألا يكون تفرق فى الدين، كما نهاه تعالى عن اتباع أهواء أهل الكتاب التى كانت سببا لتحريفهم الكتاب.

كما أمره تعالى أن يقول لهم إنه صلى الله عليه وسلم يؤمن بما أنزل الله من الكتب على رسله، فجميعها قامت على عقيدة التوحيد، وجميعها بشرت بالإسلام وكتابه ورسوله، وأن يقول لهم إنه أمر من ربه بأن يعدل بينهم، يكون ذلك بإبلاغهم الرسالة والعدل بينهم فى القضاء. وأن يعلمهم أنه ما من إلٰه إلا الله هو رب المسلمين وربهم، بما يعنى أن دعوته شابهت دعوة الرسل الذين يقولون باتباعهم، وأنه ليس بين المسلمين وبينهم خصومة تستوجب اللجوء إلى الحجة من فريق على الآخر، وذلك لتبين وجه الحق من بعد نزول القرآن العظيم.

ثم يكون منه صلى الله عليه وسلم بعد هذا تهددهم بالعذاب يوم القيامة إذا ما أصروا على الاختلاف فى الحق وقد ظهر، ببيان أنهم والمسلمين يجمعون إلى الله يوم القيامة ليقرر فى أمر مصير كل منهم يكون هو الجنة والنعيم أو النار وعذابها .

وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾

التفسير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكافرين «لا حجة بيننا وبينكم»، فإنه تعالى يذكر حال بعض الكافرين وهم الذين يحاجون فى دين الله محاولين إظهار بطلان الإسلام والنيل منه، وقد حدث منهم هذا بعد أن استجاب الناس لدعوة رسول الله ﷺ ودين الله.

يثبت تعالى أن ما يقيمون من حجج للتدليل على ما فى نفوسهم المريضة لإثبات مطاعنهم فى الإسلام والقرآن، هى حجج وأدلة باطلة عنده تعالى وهو الحق، فهى والعدم سواء. ثم إنه تعالى يقرر فى شأنهم أنهم يكون عليهم واقعا غضبه، ويكون لهم عذاب شديد.

والقول توعد لهم بسوء الجزاء على سوء فعلهم .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ
قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ
مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ
بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في مظاهر الفرق بين المؤمنين والكافرين فيما يتعلق بالمجادلة في الحق.

أثبت تعالى في مبتدأ القول أنه الذي أنزل الكتاب بالحق والميزان. بمعنى أنه تعالى الذي أنزل القرآن متلبسا بالحق وبالعدل، أو أنزل الكتب على رسله على هذا النحو. ولما كان إنزال الكتاب أو الكتب بالحق والعدل مفيدا الحساب في الآخرة بالضرورة. فقد جاء الإنذار بها «وما يدريك لعل الساعة قريب» فيعمل الناس للآخرة عملها ويخشون عقابها.

ثم يذكر تعالى أن الذين يستعجلون الساعة يطلبون وقوعها هم الذين لا يؤمنون بها، أي إنهم مكذبوا البعث، فيكون استعجالهم إياها هو نوع من المحاجة الباطلة قصد إثبات كذب القرآن فيما أخبر به عن وقوعها. ثم يخبر تعالى عن موقف المؤمنين من الساعة أو من يوم القيامة، فيذكر أنهم مشفقون منها ويعلمون أنها الحق. بمعنى أنهم يخشون هول الموقف والحساب، مؤمنين أن كل ما ورد ذكره في الكتاب عنها هو الحق؛ ولذلك فإنهم يخشونها إيمانا بالغيب .

ثم يقرر تعالى فى شأن المجادلين فى الساعة أو فى يوم القيامة ولا يؤمنون بها أنهم فى ضلال بعيد، بمعنى أنهم ذهبوا فى الضلال إلى مدى بعيد، وقد يكون هذا لأنهم قصروا إيمانهم على المحسوسات دون الغيبيات، مع كون كثير من الغيبيات مقطوعا بوجوده وإن لم يكن مدركا بالحواس وهذا منهم من قبيل الضلال الذى ذهب إلى أقصى المدى .

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ
ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾

التفسير :

نرى - والله أعلم - أنه بعد أن أثبت تعالى أن المؤمنين يشفقون من الساعة خوف عذاب الآخرة، فإنه تعالى أعلم فى القول أنه - وإن كان يعذب الكافرين - إلا أنه لطيف بعباده بار يفيض عليهم من نعمه، ومن مظاهر هذا أنه يوسع فى الرزق لمن يشاء، وذلك لأجل أن يحتاج الفقير إلى الغنى فتسير مصالح الناس - وهذا من البر بهم - ولأجل أن يختبر الله الغنى بالفقير، ويختبر الفقير بالغنى .

أعقب تعالى هذا ببيان أنه القوى العزيز للتدليل على أن لطفه بالناس هو من مظاهر قوته، فهو بمثابة عفو القادر، وأنه النافذ أمره فى كل شئ، ومنه التوسعة فى الرزق لمن يشاء والتقدير فيه لمن يريد .

ثم يذكر تعالى من مظاهر لطفه بالمؤمنين أنه يزيد فى ثواب من جعل الآخرة جل همه، فعمل لها عملها، على ما يبين من تشبيهه تعالى أعمالهم فى الدنيا بالبذور تبذر فى الأرض، ثم أخبر عن نتيجة هذا بذكره أنه يضاعف لهم ثمارها أو يزيدها، بمعنى أنه يزيد لهم فى ثواب أعمالهم، وهذا من لطفه تعالى بالمؤمنين .

كما يذكر تعـالى أن من يريد بأعماله حـرث الدنيا وهو متاعها وزينتها يكـون منه تعالى أن يعطيه من هـذا ما قدره له، وهذا أيضـا من مظاهر لطفه به لأنـه لا يحرمه أجر سعيه فـى الدنيا التى عمل لها، ثم يكون منه تعالى حرمانه مـن أجر الآخرة التى لـم يجر ذكرها فى نيته وقصده. ولا يعتبر من هؤلاء مـن عمل للدنيا وسعى للآخـرة، فالقول مقصور على الذيـن أغفلوا الآخرة ولـم يعملوا لغير دنياهم الفانية .

أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ هو فى الكافرين الذين أنكـروا البعث والحساب واستعجلوا قيام الساعة، وفـى المشركين، وفى الذيـن لم يعملوا لغير الدنيا. جـاء قوله تعالى «أم لهـم شركاء شرعوا لهم مـن الدين ما لـم يأذن به الله» وفيـه جاءت «أم» للإضراب عما سبق ذكـره من قوله تعالـى «شرع لكم مـن الدين»، وجـاء الاستفهام للتقـرير والتقريـع، كما يتصور فيـه أن يكون للإنكار. فيكـون المراد إثباته، أو المراد إنكاره عليهـم هو أن لهم فيما هم عليـه من الشرك أو إنكار البعث أو المجادلة فى الدين بغير الحـق، أو السعي للدنيا دون الآخرة، شركاء من الجن والإنس زينوا لهم ما نهى تعالى عنه وما ليس من دينه فأطاعوهم وعصوا ربهم .

ثم يثبت تعـالى أنه لولا كلمـة الفصل وهى قولـه تعالى «بل السـاعة موعدهـم» لكان منه تعالى القضاء بين الكافـرين والمؤمنين فى الدنيا بمعاقبة الكافرية وإثـابة المؤمنين. ثم أخبر تعالى عن أنـه يكون للكافرين ـ وصفهم تعالـى بأنهم الظالمون ـ عذاب أليم. يبيـن من قوله تعالى «ولولا كلمة الفصل» أن المراد به هو عذاب الآخرة .

﴿تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ
مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي
رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ
(٢٢) ذَٰلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ۗ
قُل لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً
نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ (٢٣)﴾

أولا: الأسماء:

١ - الحسنة: في قوله تعالى «ومن يقترف حسنة» المراد بها - في معنى الآية - هو المودة في القربى.

٢ - الحُسن: في قوله تعالى «نزد له فيها حسنا»، المراد به - في معنى الآية - هو الثواب.

ثانيا: التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه يكون للظالمين - وهم الكافرون - في الآخرة عذاب أليم، خاطب تعالى رسوله ﷺ فأخبر أنه يكون منه ﷺ ومن كل من تكون منه الرؤية أنه يرى هؤلاء الظالمين خائفين غاية الخوف مما قرفوا في الدنيا من السيئات - جاء التعبير عن هذا بالكسب من قبيل السخرية بهم وبأعمالهم - ثم أثبت تعالى أن ما يخافونه من العذاب هو واقع بهم بالفعل لا مفر منه.

ثم ذكر تعالى أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يكونون آنذاك مستقرين في أطيب بقاع الجنات متمتعين بكل ما يشتهون من ربهم، ينالونه في جناته.

ثم بين تعالى أن ما ينعم فيه المؤمنون هو الفضل الكبير الذى يقصر دونه فضل غيره تعالى للكافرين فى الحياة الدنيا، وأنه لا يقدر قدره.

كما بين تعالى أنه - أى هذا الفضل الكبير - هو الذى يبشر تعالى به عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والمستفاد من ورود الفعل «يبشر» فى صيغة المضارع هو استمرار التبشير، ليكون هذا دافعا الكافرين إلى الإيمان وعمل الصالحات .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لكفار مكة إنه لا يطلب منهم أجرا على تبليغهم الرسالة وعلى تبشيرهم بثواب الآخرة إذا هم آمنوا وعملوا الصالحات، غير مودتهم إياه بسبب قرابته منهم. وفى هذا رد على ما عرضوا عليه من المال لينصرف عن دعوتهم إلى الإيمان.

ثم يجىء قوله تعالى «ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا، إن الله غفور شكور» حثا للكافرين على الإيمان وعمل الصالحات، إذ يفيد القول أن من يؤمن لرسول الله ﷺ وتكون منه مودته، يكون قد اكتسب حسنات، ويكون منه تعالى أنه يزيد له فى حسناته فيضاعف ثوابه عليها. وأنه تعالى يغفر له ما كان منه من الكفر والمعاصى، ويشكر له إيمانه ومودته رسوله ﷺ بالإثابة على هذا .

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ
كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ
بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ
عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ
عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى شأن كفار مكة الذين أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم إنه لا يسألهم أجرا إلا المودة فى القربى - بدأ القول باستفهام أريد به تقرير واقع أنهم يقولون إن محمدا ﷺ ادعى النبوة كذبا على الله وافتراء.

ثم يرد تعالى على قولهم هذا أبلغ رد، جاء به قوله «فإن يشأ الله يختم على قلبك» يثبت تعالى فيه - فى مقام أول - كذب قولهم، ويثبت - فى مقام ثان - أن ذلك لا يكون إلا من ختم الله على قلبه، بأن طبع عليه الكفر، ثم يثبت أيضا أن الكافرين القائلين هذا القول هم الذين ختم الله على قلوبهم.

فيكون معنى القول هو «إنه لو شاء الله أن يجعلك ممن يفترون عليه الكذب، لكانُ قد ختم على قلبك بالكفر مثل فعله بقلوب من اتهموك بهذا، لكنه تعالى لم يشأ هذا، فأنت من الصادقين».

ثم يؤكد تعالى هذا المعنى بقوله تعالى «ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته» والمعنى أنه تعالى جرى قلمه على إحقاق الحق ومحو الباطل، ومن آيات ذلك أنه ينصر دينه الذى دعا إليه رسوله ﷺ ويمحق فى مكة الكفر، يكون ذلك منه بكلماته التى وردت بقضائه؛ فيكون القول وعدا بنصر دينه تعالى.

ثم يجىء قوله تعالى «إنه عليم بذات الصدور» مفيدا معنى علمه تعالى بما انعقدت عليه نيته ﷺ وما انطوت عليه صدور الكافرين وأنه يجازى كلاً بما علم.

ثم إنه تعالى - بعد هذا - يفتح باب التوبة عن الكفر وعن معاداة رسوله ﷺ أمام الكافرين بقوله «وهو الذى يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات» يخبرهم أنهم إذا تابوا إليه تعالى عن الكفر والعصيان فإنه يقبل توبتهم ويعفو عما قرفوا من السيئات ومنها مناصبة رسوله ﷺ العداء. مخبرا أنه تعالى يعلم جميع ما يفعل العباد من خير ومن شر والمعنى أنه تعالى يجازيهم بهذا.

ثم يخبر تعالى أن الذين يستجيبون لدعوته تعالى إلى التوبة هم الذين قدر لهم تعالى شأنه أن يؤمنوا وأن يعملوا الصالحات، كما يخبر عن أنه يزيدهم من فضله، بمعنى أنهم يزيدهم ثوابا فوق ما استحقوا وما طلبوا، ويتهدد الذين يصرون على الكفر بأنه يكون لهم عذاب شديد .

﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان مظهر من مظاهر حكمته تعالى التى قد تغيب عن كثيرين.

والقول يبدو أنه تمهيد لذكر مظاهر قدرته تعالى على التفضل على الناس والإنعام عليهم، وقدرته على تعذيبهم .

يبين من قوله تعالى «ولو بسط الله الرزق لعباده» أنه تعالى لم يبسطه لهم كل البسط، وإنما كان بسطه تعالى إياه بقدر.

ثم يبين تعالى علة ذلك بأنه لو فعل هذا لبغي الناس بعضهم على بعض لكون الغنى مبطرة لذوى النفوس الضعيفة ولزاد التحاسد بين الناس.

ثم أثبت تعالى أن بسطه الرزق يكون بقدر محسوب لديه تعالى مما يشاء من الرزق، وعلى من يشاء، ثم بين أن ذلك يكون لمصلحة العباد بقوله تعالى «إنه بعباده خبير بصير» فبين أن بسطه الرزق بقدر يكون ترتيبا على خبرته تعالى بأحوال الناس وعلمه التام بما يكون منهم.

فيكون المستفاد أنه إنما يكون على مقتضى ما استوجبته حكمته تعالى.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ
ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾
وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ
عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَـٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا
كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ
وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

التفســـير:

بدأ تعالى القـول ـ فى الآيات ـ بذكر آيـة من آيات قدرته وفضله علـى الناس، وبيان علة تفضله على الناس بما ذكر.

فأخبر تعالـى عن ذاته بأنه الذى ينـزل من جهة العلو المطر الذى يغيـث الناس وينفعهم، يكون منه هذا من بعد يـأسهم من نزوله ونيلهم به الخير، فينشر بواسطـة الغيث الخير ينتفع به، فيكون هذا من مظاهر رحمته بخلقه الذين يحتاجون إلى الغيث .

ثم بين تعالى أن هذا الفضل منه يكون بحكم كونه تعالى متولى أمور عباده الذى يرعاهم، وهو ما يستحق به الحمد والشكر.

ثم صرح تعالى بـأن من آيات قدرته خلق السماوات والأرض وتوزيعـه فيهما المخلوقات التى تدب فيهما.

وقيل فى هذا إن المـراد بما بث تعالى فى السماوات والأرض هو المـلائكة والناس، وقيل جميع ما يـدب على الأرض. ونرى ـ والله أعلم ـ أن القـول يشير إلى خلقه تعالـى فى ملكوت

السماوات وما تضمن من كواكب أنواعا من الأحياء تناسب طبيعة هذه الكواكب، أو التى شاء تعالى أن يجعل فيها حياة.

ثم ذكر تعالى قدرته على حشرهم بعد البعث يوم القيامة متى شاء جمعه ووقت أن قدر هذا الحساب.

فيكون القول مشيرا إلى وحدة يوم الحساب لجميع خلقه على تنوع أماكن حياتهم .

ثم بين تعالى للمخاطبين بالقول - وهم جميع الناس المكلفون - أن ما أصابهم من المصائب يكون مرجعه إليهم، إذ قد يكون عقابا منه تعالى فى الدنيا .

وقد يكون تكفيرا عن الذنوب من قبيل رحمته، كما بين أنه يعفو عن كثير من ذنوب عباده فلا يؤاخذ بها، فهو تعالى العفو الغفور.

ثم إنه لما كان تعالى معاقبا الكافرين والعصاة فى الآخرة، وكان قد أثبت أنه يصيب المؤمنين بالمصائب فى الدنيا بذنوبهم.

فإنه أثبت أنه ما من أحد قدر تعالى أنه يصيبه بمصيبة فى الدنيا يكون معجزا الله عن إدراكه و إصابته بها، وأن جميع خلقه المخاطبين بالقول ليس لهم من دون الله من يتولى أمورهم فينفعهم ولا من يدفع عنهم قضاء الله فيهم فى الدنيا والآخرة .

وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى
ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ
إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟
وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم
مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾

أولا : الأسـماء

١ ـ **الجوارى** : فى قوله تعالى «ومن آياته الجوار فى البحر» هى السفن، تجرى فى البحر بأمر الله .

٢ ـ **الأعلام** : جمع، مفرده «العلم» وهو الجبل .

ثانيا : التفسـير:

يقول تعالى إن من آيات قدرته فى الخلق وفى أخذ الناس بالعذاب فى الدنيا إذا شاء لا يقدرون على الخلوص منه، قدرته تعالى على ما هو كائن من تسيير السفن فى البحر مثل الجبال، وفى القول إشارة إلى ما كان بعد نزول النص بزمان طويل من سير السفن والناقلات العملاقة التى تشبه الجبال فى البحر طافية فوق الماء رغم عظم أحجامها.

ثم يذكر تعالى ما يفيد أن جريانها فى البحر هو بأمره، بذكره أنه إذا شاء أسكن الريح فبقيت السفن على سطح البحر راكدة لاتتحرك.

وهذا مفهوم بالنسبة للسفن الشراعية، أما فى شأن السفن التى تسير بقوة المحركات، فإن القول يشير من جهة إلى ما يحدث من تجمد سطح البحر بفعل البرودة، يؤدى إلى استمراره سكون الريح، كما يشير إلى فعل التيارات البحرية التى تؤدى إلى إعاقة قوة المحركات والتى يزيد منها سكون الريح.

ثم يخبر تعالى عن تضمن ما ذكر من مظاهر قدرته آيات لكل من وطن نفسه على النظر فى آيات الله وتدبرها وشكر الله فى السراء والضراء .

ثم ذكر تعالى أن من مظاهر قدرته فى خلقه وفى تعذيب الناس بذنوبهم، أنه إذا شاء أهلك راكبى السفن بما قرفوا من الذنوب، أو أهلك البعض منهم وأنجى آخرين.

وقد يكون لنا من القول آية فيما كان من أمر السفينة «تيتانيك» التى كانت أضخم سفينة صنعها الإنسان، تجبر صانعوها فقالوا بامتناعها على الغرق متناسين قدرة الله ومغترين بما صنعوا، فكان منه تعالى أن أغرقها بإسكان الريح التى كان من شأن إسكانها وجود جبل من

الجليد تحت سطح الماء لا يتحرك اصطدمت به فحطمها واندفع الماء إليها فأغرقها، لم ينج من راكبيها إلا من أراد له الله النجاة .

ثم إنه لما كان المستفاد من قوله تعالى المذكور هو أنه لا يحول دون قضائه تعالى فى خلقه مانع، فإنه تعالى أثبت أن الذين يعاندون فلا يؤمنون، والذين يجادلون فى آياته تعالى بالباطل، أثبت أن هؤلاء يتعين عليهم أن يعلموا من آياته المذكورة أنه ليس لهم من مهرب من قضائه فيهم بالعذاب .

﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَمَا عِندَ
ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱلَّذِينَ
يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟ هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾
وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ
وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ
﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ
لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ كبائر الإثم : قيل هى ما يوجب الحد من الذنوب، وقيل هى البدع .

٢ ـ الفواحش: قيل هى الذنوب النابعة عن شهوة الغريزة الجنسية، وقيل هو كل ما فحش وعظم قبحه .

٣ - الذين استجابوا لربهم : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول - هم الأنصار، دعاهم رسول الله ﷺ إلى ربهم فأطاعوه واستجابوا له .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن بين تعالى أن الذين يجادلون فى آياته ليس لهم مهرب من العذاب، جاء قوله تعالى لحث الناس على السعى للآخرة والعمل لها بعملها، بإثباته أن غاية ما يحصل عليه الموسع لهم فى الرزق فى الحياة الدنيا ليس سوى متاع الحياة الدنيا القليل النفع، غير الدائم بمعنى الذى هو إلى زوال. ثم يصف تعالى ثوابه الذى أعده للذين آمنوا به وتوكلوا عليه وليس على غيره بأنه خير من متاع الدنيا - من حيث النوع - وأبقى مكثا لخلوده وعدم انتهائه .

ثم إنه تعالى مدح هؤلاء الذين آمنوا به وتوكلوا عليه بوصفهم بأنهم الذين يجتنبون كبائر الإثم، يدخل فيها الجرائم التى جعل تعالى عقوبتها حدا من الحدود، ويدخل فيها البدع، ويجتنبون الفواحش وهى الذنوب المرتبطة بالقوة الشهوانية والغريزة الجنسية، أو ما عظم قبحه من الذنوب، ويكون منهم إذا ما تعرضوا لما يغضبهم من أحد من خلقه تعالى أنهم يسيطرون على القوة الغضبية فيهم، فيغفرون لمن أغضبوهم ما أغضبهم من أعمالهم، قبل أن يستغفرا ربهم لأنفسهم .

كما مدحهم تعالى بما كان منهم من استجابة إلى رسول الله ﷺ حين دعاهم إلى الله فأجابوا دعوته بإيمانهم بالله ورسوله وكتابه، وأقاموا الفرائض، جاء التعبير عنها بذكر فريضة الصلاة لكونها أم الفرائض والعبادات البدنية، وكان أمرهم بينهم هو التشاور فى الأمور التى يتعين فيها أن يكون الأمر شورى بين الناس لا يستقل به أحدهم، وهو ما قد يكون فى الأمور المتعلقة بالمصالح العامة لمجتمع المسلمين، أو التى تقتضى تدبير نفقات عامة تجبى من المسلمين، ومنها إعلان الحرب أو مباشرتها.

كذلك فإنه تعالى مدح هؤلاء المؤمنين به بأنه إذا ما بغى عليهم من باغ فإنهم ينتصرون لأنفسهم أو ينتصرون لله تعالى دون أن يعتدوا .

ثم بين تعالى وجوب عدم تجاوز حد المساواة فى الانتصار من البغى بذكره تعالى أن جزاء سيئة يكون سيئة مماثلة لها. وحث على العفو وإصلاح ذات البين بقوله تعالى «فمن عفا وأصلح فأجره على الله» .

فبين أنه أحب إليه تعالى أن يكون من المؤمن العفو عمن أساء إليه والعمل على إصلاح ما بينه وبينه بذكره أن العافى المصلح يثاب منه تعالى على هذا ثوابا يشبه أجر العامل فى كونه مستحقا له، جاء مجهلا للإطماع فى نوعه وقدره.

ثم بين تعالى أنه لا يحب ممن عاقب بمثل ما أوذى به تجاوز حد المساواة، واصفا من يفعل هذا بأنه يكون من الظالمين .

وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم
مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ
فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ
ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ - الذين يظلمون الناس: قيل إن المراد بهم - فى القول - هم عتبة بن ربيعة، وشيبة ابن ربيعة، والوليد بن عتبة، وأبو جهل، والأسود. وقيل هم كل من قاتل من المشركين فى بدر.

٢ - من صبر وغفر: قيل هم أبوبكر، وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، ومصعب بن عمير، وقيل هم جميع أهل بدر من المؤمنين .

ثانيا : التفسير:

أكد تعالى ذات المعنى الذى سبق بيانه وهو حق المعتدى عليه فى رد الاعتداء بما يساويه بذكره أن من انتصر لنفسه ممن ظلمه بالاعتداء عليه بغير حق، لا يكون عليه إثم يعاقب به ولا عيب يلام عليه.

ثم بين تعالى أن العقاب واللوم يكون على الذين يظلمون الناس، وذلك ببدئهم بالعدوان أو بتجاوز حد المساواة لدى المعاقبة بالمثل أو الاقتصاص من المعتدى، كما ذكر تعالى أن العقاب يكون على الذين يبغون فى الأرض بغير الحق، قيل إنهم الذين يتكبرون فى الأرض بالظلم بغير الحق.

والذى نراه - والله أعلم - أنهم الذين يخرجون على طاعة الحاكم بغير الحق دون أن يقارفوا من الأعمال المادية تنفيذا لما اتفقوا عليه ما يعتبر جرائم معاقبا عليها بعقوبات مقدرة حدا أو قصاصا، فيكون عقابهم على مجرد الخروج على الطاعة أو على التآمر على هذا بعقوبة تعزيرية.

ثم أخبر تعالى عن مصير الذين يظلمون الناس والذين يبغون فى الأرض بغير الحق - فى الآخرة - فأثبت أنه يكون لهم عذاب أليم، يكون سببه بالنسبة للذين يظلمون الناس هو الاعتداء على حق العباد، ويكون بالنسبة للذين يبغون فى الأرض بغير الحق هو اعتداؤهم على مصلحة عامة لمجتمع المسلمين لا تتحقق إلا بإطاعة ولى الأمر.

ثم إنه تعالى كرر الحث على الصبر على الأذى وغفرانه للمؤذى، بوصفه أنه من عزم الأمور، بمعنى أنه من عزائم الله المأمور بها، وإثباته أنه يكون لمن يفعل هذا أجر من أخذ بعزائم الله المأمور بها.

والراجح أن هذا يكون حال كون المسىء إلى المؤمن من المؤمنين إذ يكون الأمر متعلقا بالعمل على تحقيق مبدأ الأخوة فى الإيمان .



وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ
يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ
أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

أولا : الأسماء :

الطرف الخفى : قيل هو مسارقة النظر بتحريك الجفن حركة ضعيفة، وقيل هو النظر بالقلب لأن الكافرين يحشرون عميانا .

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى أن من يضلله الله عن الحق لا يجد من يتولى أمر هدايته إلى ما فيه صالحه، ومن هؤلاء الذين أضلهم الله الذين أعرضوا عما دعاهم إليه رسول الله ﷺ من الإيمان والمودة فى القربى، ومن لم يصدق بالبعث وبأن متاع الحياة الدنيا قليل. ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ وكل من تتأتى منه الرؤية يخبره أنه يرى الكافرين الضالين ـ لدى معاينتهم عذاب النار ـ يطلبون أن يردوا إلى الحياة الدنيا ليؤمنوا بما دعاهم إليه رسول الله ﷺ وليعملوا بالطاعات، يسألون عن سبيل يوصلهم إلى هذا وهو محال. كما يخبره ويخبر كل من تتأتى منه الرؤية أنه يرى الكافرين يعرضون على النار، حالهم لدى نظرهم إليها هو الخشوع من الذل بمعنى أن علة تضاؤلهم هى ما لحقهم من الذل. ينظرون إلى النار ـ لدى عرضهم عليها ـ بتحريك أجفانهم حركة خفيفة ضعيفة من فرط تخوفهم مما سيشهدون .

ثم يذكر تعالى أن المؤمنين يقولون يوم ذاك «إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة» بمعنى أن الجديرين أن يدعوا خاسرين هم الكافرون، خسروا أنفسهم يوم القيامة لأنهم أوردوها النار، وخسروا أهليهم، لأنهم إن كانوا من أصحاب النار يكون لهم ذات المصير، و إن كانوا من أهل الجنة تبرءوا منهم، أى تبرأ منهم أهلوهم، ولم ينتفعوا هم بمكانة أهليهم فى الجنة.

كما يذكر تعالى أن المؤمنين يقولون تعقيبا على ما يرون «ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم» وهو تقرير لواقع أنهم يقيمون فى عذاب جهنم إقامة دائمة.

ثم يذكر تعالى أنه لا يكون للكافرين يوم القيامة ولى يتولى أمرهم فيدفع عنهم العذاب على نحو ما اعتقدوا فى دنياهم حين أشركوا بالله. ثم يكرر ما سبق تقريره ـ قصد تأكيد المعنى ـ وهو أن الكافرين هم من أضلهم الله، وأن من أضله الله لا تكون له إلى النجاة سبيل.

اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ ۗ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول فى الآيتين بمخاطبة المكلفين عموما من الناس، أمرهم بالاستجابة إليه تعالى، وهو ما يكون بالاستجابة إلى ما يدعوهم إليه رسول الله ﷺ، وما ينذرهم به بالقرآن، طلب منهم تعالى شأنه هذا قبل أن يأتى يوم القيامة، وصفه تعالى بأنه يوم لا مرد له من الله،

بمعنى أنه ليس هناك من يرد مجيئه على ما قضى به تعالى ولا يرد ما قدره فيه تعالى، ثم إنه تعالى تهدد الناس بأنه لا يكون لمن كفر وعصى ربه من ملاذ يلجأ إليه فينجيه من عذابه تعالى، ولا يكون له فائدة تجنى من إنكاره ما كان منه من كفر وعصيان. فيكون القول مفيدا انقطاع أمل الكافر في النجاة مما أعد له من العذاب .

ثم إنه تعالى خاطب رسوله ﷺ، فذكر له عدم مسئوليته عما يكون منهم من استجابة له أو عصيان و إعراض، بقوله له ﷺ بأنه إذا أعرض الناس عنه وعما دعاهم إليه من الإيمان، فإنه ليس عليه الاهتمام بهذا والانشغال به، فهو ﷺ غير مكلف بإلزامهم الإيمان والإجابة وليس عليه سوى إبلاغهم ما أرسل به.

وبعد هذا ينقل تعالى حديثه إلى موضوع آخر يتعلق بطبيعة الناس، فيخبر أنه إذا ما أذاق الواحد من جنسهم رحمة منه بأن أنعم عليه بنعمة من النعم، فإنه يفرح بما أفاء الله عليه من النعم، والمعنى أن هذا هو حال الناس أو حال أغلبهم.

كما يذكر تعالى أنه إذا أذاق الناس، أو أذاق الواحد من جنسهم سيئة، بأن أصابهم أو أصاب أحدهم بضرر أو بلاء بسبب ما ارتكب من السيئات، يكون منهم أو منه نسيان ما سبق أن أنعم به الله عليه وكفرانه به.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الإنسان يفرح بالنعمة ينعم بها عليه ربه، ويكفر بها إذا ما أصابه ـ من

بعد - شيء من البلاء، فإنه تعالى بين أنه يجب أن يكون عند إذاقة الرحمة ونيل النعمة شكر الله عليها، وأن يكون عند الإصابة بالمحنة الرجوع إليه تعالى وعدم كفران ما أنعم الله به من قبل. بدأ تعالى القول ببيان أن له ملك السماوات والأرض، بما يعني خلوص التصرف فيهن وما فيهن له تعالى، كما بين أنه يخلق فيهن ما يشاء، فمرجع الأمر إلى مشيئته تعالى، لا يكون شيء واجبا عليه ثم ذكر من مظاهر تصرفه في خلقه كيف يشاء أنه يهب لمن يشاء إناثا ينجبهن، ويهب لمن يشاء الذكور ينجبهم، ويجعل لمن يشاء من النسل أزواجا ذكورا وإناثا. قد يوافق هذا إرادة من أنجب وقد لا يوافقها، فيكون عليه شكر ربه على ما أعطاه والرجوع إليه إذا لم يوافق ما وهبه الله ما كان يتمناه كما ذكر تعالى أنه يجعل من يشاء عقيما؛ ليكون المعنى أنه تعالى يقسم النعمة والبلاء كيف يشاء، مما يجب معه شكره على النعم وعدم الاعتراض على قضائه لدى الإصابة بالبلاء أو بما لا تهوى النفس. ثم يجيء قوله تعالى «إنه عليم قدير» إثباتا لكون نعمه ونعمته من أثر علمه بما لا يعلم الناس، تكون بموجب قدرته؛ ولذلك فإنهم - بحكم عدم علمهم بالغيب وما تكون به مصالحهم - يتعين عليهم الشكر على النعمة والصبر على البلاء والرجوع إلى الله .

۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ
إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ
إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى
مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ
عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

التفســــير:

بدأ قوله تعالى - فى الآيات - ببيان الوسائل التى يكلم الله بها البشر، لا يكون كلامه تعالى مع أحد منهم بوسيلة أخرى.

وقيل فى أسباب نزول القول أن اليهود قالت لرسول الله ﷺ إن موسى عليه السلام كلم ربه ونظر إليه، وإنهم لن يؤمنوا له ﷺ إلا إذا كلم ربه ونظر إليه، فقال لهم ﷺ إن موسى لم يكلم الله ناظرا إليه، ثم نزلت الآية تثبت أن أحدا من البشر لا يتأتى له أن يكلمه الله إلا أن يكون هذا وحيا منه تعالى إليه بأن يلقى القول أو الأمر فى قلبه فى اليقظة أو فى المنام، أو بأن يكلمه تعالى محجوبة عنه رؤيته، كما كان من أمره تعالى مع موسى عليه السلام، أو بأن يرسل إليه ملكا رسولا بكلامه تعالى كما كان منه تعالى مع رسول الله ﷺ.

وأكثر العلماء على أنه ﷺ رأى ربه ليلة الإسراء، وأنكرت ذلك عائشة محتجة بقوله تعالى ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ وبالآية ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب﴾.

وبين تعالى أنه بهذه الوسيلة الثالثة - إرسال ملك رسولا - يوحى تعالى بإذنه ما يشاء إلى من نزل عليه الملك.

ثم بين تعالى أن حدوث الكلام على هذا النحو هو أثر من آثار علوه تعالى على الخلق، وكونه مما جرت به حكمته.

ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ فيخبره أنه على هذا النحو المذكور كان منه تعالى أن أوحى إليه ﷺ روحا من أمره، يتصور أن يكون هو القرآن، وصف بأنه روح من أمره تعالى لأنه به تحيا النفوس، ويتصور أن يكون الروح هو جبريل عليه السلام، وقيل إنه ملك أعظم من جبريل وميكائيل.

ثم إنه تعالى قال لرسوله ﷺ إنه لم يكن يدرى ما الكتاب ولا الإيمان والمراد أنه لم يكن يدرى هذا وذاك قبل أن يوحى إليه. ولا يعنى هذا أنه ﷺ لم يكن مؤمنا قبل أن يوحى إليه،

وإنما معناه أنه كان مؤمنا بفطرته ولكنه لم يعلم من كتاب ولا من أحد أحكام الإيمان وأركانه وشروطه التى شرعها تعالى .

ثم يذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه جعل الكتاب الذى أوحى به تعالى إليه نورا عظيما يهدى به تعالى من يشاء أن يهديه إلى رضاء الله وجنته، كما يشهد له ﷺ بأنه يهدى إلى صراط مستقيم، بمعنى أنه ﷺ مهدى إلى الحق، وهاد إلى الإسلام طريق الله المستقيم.

ثم يصف هذا الطريق أو الصراط بأنه صراط الله، بمعنى أنه ما اختار لعباده ونسبه إليه تعالى لبيان أنه وحده الموصل إلى رضائه، ثم وصف ذاته بأنه الذى له جميع ما فى السماوات والأرض ليعلم الناس عظم قدر الطريق الذى شرفه بأن نسبه إلى ذاته، ثم جاء قوله تعالى ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وعدا لمن يختار طريقه المستقيم بخير الدنيا والآخرة، ووعيدا لمن نأى عنه فضل عن الحق بالعذاب وسوء المصير.

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزخرف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾
وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ
صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾

أولا : الأســــــماء :

١ - الكتـــاب : يتصور فيه أن يكون المراد به - فى معنى القول - هو القرآن العظيم، ويتصور أن يكون جنس الكتب المنزلة من الله تعالى. وقيل هو الكتابة والخط .

٢ - أم الكتاب : المراد به - فى معنى القول - هو اللوح المحفوظ، أو علمه تعالى الأزلى .

٣ - الصفح : فى قوله تعالى «أفنضرب عنكم الذكر صفحا» هو الإعراض. ويغلب استعماله فى التعبير عن الإعراض عن الانتقام أو عن أخذ الحق والاقتصاص من المعتدى .

ثانيا : التفســــير:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف حمٓ وقد سبق بيان ما قيل بشأنها. ثم أقسم تعالى بالقرآن العظيم، وصفه بأنه الكتاب المبين، لأنه تضمن تفصيل أمور الدين والدنيا فكفل للناس ما يحتاجونه وناسب كل زمان. ثم ذكر تعالى أنه جعله قرآنيا عربيا ليمكن فهمه والعلم بأحكامه، أو ليكون التفكر فيه. وعلى المعنى الأول يكون القول مخاطبا العرب، وعلى الثانى يكون مخاطبا العرب والعجم. ولعل الصحيح - والله أعلم - أن جعله عربيا قد جهل فهمه قريبا من العرب والعجم، لأن بتلبية الناس من جميع أنحاء الأرض دعوة إبراهيم قدم إلى أرض العرب جميع أجناس الأرض فأحاطوا بلغة القرآن علما مكنهم من البدء فى دراستها ففهموا القرآن ثم نقلوا علمهم وما تعلموه إلى أقوامهم .

ثم أثبت تعالى أنه فى علمه الأزلي أو فى اللوح المحفوظ هو العلى القدر بين الكتب المنزلة منه تعالى على رسله، والمتضمن الحكمة البالغة؛ ولهذا فهو لا ينسخ إلى أبد الدهـــر.

ثم خاطب تعالى قوم رسوله صلى الله عليه وسلم ليثبت لهم أنه ما كان منه الإمساك عن إنزال القرآن لما كان منهم من إسرافهم على أنفسهم فى الكفر وعدم إيمانهم به. جاء التعبير عن هذا باستفهام أريد به إنكار تصور وقوع هذا .

وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ
﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ
مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أن قومه ﷺ لم يؤمنوا بالقرآن العظيم في مبتدأ أمر نزوله، أو أن الكافرين منهم أصروا على الكفر به، جاء قوله تعالى مثبتا أنه أرسل أنبياء كثيرين في الأمم السابقة، جاءت «كم» في قوله تعالى «وكم أرسلنا من نبي» خبرية لإفادة الكثرة. ثم أثبت تعالى أن هؤلاء السابقين كانوا يستهزئون بكل نبي يبعث فيهم أو يرسل إليهم. فيكون القول ـ بهذا المعنى ـ تسلية لرسول الله ﷺ عن استهزاء الكافرين من قومه به. ثم أعقب تعالى هذا توعده الكافرين المستهزئين بالعذاب أو بتهددهم به بذكره تعالى أنه أهلك من السابقين المكذبين رسلهم والمستهزئون بهم من كانوا أشد منهم قوة وبطشا، ثم يخبر عن أنه قد سبق بيان قصص هؤلاء المهلكين في القرآن من قبل، أو أن عقابهم قد مضى وخلف آثارا يستدل بها عليه.

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ
مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾
وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ
﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا۟ عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ
رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

أولا : الأســـــماء :

المقرنون : فى قولـه تعالى «وما كنـا له مقرنين» جمـع، مفرده المقرن، وهو مـن تمكن من تذليل الدابة والسيطرة عليها، وهو المماثل فى القوة .

ثانيا : التفســــير:

خاطـب تعالـى رسولـه ﷺ فى شـأن مشركـى مكة فيقـول له إنـه إن سألهـم عمن خلـق السمـاوات والأرض فإنهـم يجيبون بـأن الذى خلقهـن هو الله يصفـونه بـأنه العـزيز العليـم، والمعنى أنهم يؤمنـون به تعالى ويكونه الخالـق كل شىء وأنه العزيز العليـم، وأنهم يناقضون هذا بإشراكهم به وعبادتهم أصنامهم .

ثم يصف تعالى ذاته للمشركين بأنـه الذى جعل الأرض لهم ممهدة مثل الفراش، وجعل لهم فيها طرقا يمشون فيها ومعايش، ثم بيـن أنهم كان عليهم أن يستدلوا بهذا على أنه وحده الجدير أن يعبد فلا يشركوا به شيئا فيكونوا من المهتدين .

ويصف تعالى ذاته أيضا بأنه الذى نـزل من جهة العلو الماء مطرا بقدر محسوب، لا يكون طوفـانا مغـرقا ولا قليلا لا يفيـد فيكون بـه إحياء الأرض الموات يخـرج منها النبـات فيكسبها الحياة ومظاهـرها، ثم بين تعـالى للمشركين أنه علـى ذات النحو الذى يخرج بـه النبات من الأرض، يكون خـروجهم من قبـورهم حيـن البعث، أو أنه علـى النحو الذى يحيـى به تعـالى الأرض الميتة، يكون منه تعالى إحياؤهم بعد الموت للحساب .

كذلـك فإنه تعالـى يصف ذاته بأنـه الذى خلق جميـع أصناف المخلوقات، وأنـه الذى مكنهم من صناعة الفلـك وأوجد ما يصنعونه به، كما أوجد خلقا الأنعام التـى يركبون منها ما يركبون.

ثم ذكـر تعالى أنـه جعل لهم مـن الأنعام ما يـركبون ليكون منهـم الاستواء على ظهـورها، فاللام فى «لتستووا» هى لام التعليل بمعنى كى، أو هى لام الصيرورة، ولكى يكون منهم تذكر نعمة الله لدى الاستواء على ظهور الأنعام، يتذكرونها بقلوبهم معظمين الله تعالى حامدين إياه

بألسنتهم معترفين له بفضل تسخيره الأنعام لهم بقولهم «سبحان الذى سخر لنا هذا»، ثم يقرون بأنهم لولا ما مَنَّ به الله عليهم لما كان فى مقدورهم السيطرة على الدابة لقوتها التى تفوق قوتهم. وما يقال فى الدابة أو ما يركب من النعم يقال فى المعدات الحديثة مثل الطائرات والسيارات. ثم يقرون بأنهم يرجعون فى الآخرة إلى الله تعالى للحساب، فيكون المستفاد من القول هو أن الراكب يتعين عليه إذا عاين طول السفر يصل بعده إلى المكان الذى يقصده، أن يتذكر أنه بعد مقامه فى الدنيا يصل إلى يوم الحساب والجزاء وأن يعمل لـه.

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾

أولا : الأسماء

١ - الجزء : فى قوله تعالى «وجعلوا له من عباده جزءا» المراد به هو الولد، لأنه فى الأصل جزء من أبيه.

٢ - الكظيم : فى قوله تعالى «وهو كظيم» هو الحزين المكروب الذى يضطره الحزن إلى السكوت.

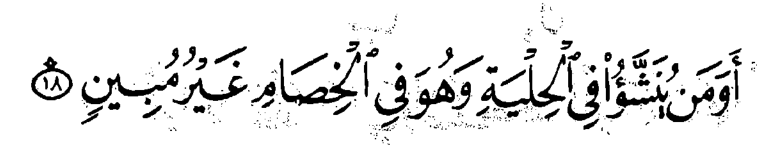
ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى مشركى العرب الذى قال تعالى إنهم يقرون أنه تعالى الذى خلق السماوات والأرض. يذكر أنهم جعلوا له تعالى بقولهم الجاهل الولد. جاء التعبير عنه بأنه «جزء» لأنه فى الأصل جزء من أبيه، ثم وصف تعالى المشرك بأنه كفور مبين، بمعنى

أنه مبالغ فى كفر النعمة مفصح عن هذا وأظهر ما يفصح به هو الشرك بالله .

ثم إنه لما كان مشركو العرب قالوا إن الملائكة بنات الله فإنه تعالى خاطبهم ليثبت لهم بعدهم عن المنطق فى قولهم، لأن معناه أنه تعالى اختص ذاته بإنجاب البنات، وفضلهم على ذاته بأن جعلهم ينجبون البنين. فالاستفهام فى قوله تعالى «أم اتخذ مما يخلق بنات» هو للإنكار والتعجيب .

ثم يبين تعالى كيف أنهم نسبوا إليه تعالى ما لا يحبونه لأنفسهم وهو إنجاب البنات، فأفاد بأن أحدهم إذا ولدت له أنثى اغتم وملأه الهم فظهر الأسى على وجهه، وتملكه الغيظ حتى أسكته.



التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان تميز البنين على البنات فى بعض النواحى الهامة مما لا يتصور معه أن يختص تعالى ذاته بالبنات وأن يهب المشركين البنين.

جاء الاستفهام فى قوله تعالى للإنكار بمعنى إنكار الندية بين البنات والبنين ـ ولإثبات تميز البنين عليهن.

فذكر تعالى أن البنات ينشأن متمتعات بلبس الحلى من الذهب ولبس الثياب من الحرير، وليس هذا شأن البنين، فيكون البنون هم الأقدر على ما يحتاج قوة وجلد، وقيل إن القول يفيد أيضا أن البنات ـــ فى المجادلة ـــ أضعف حجة من البنين، أو أن هذا هو شأن النساء مقيسا بحال الرجال. ونرى ـ والله أعلم ـ أن ضمير الغائب «هو» فى قوله تعالى «وهو فى الخصام غير مبين» يعود إلى قائل القول «إن الملائكة بنات الله» فيكون المعنى أنه لا حجة له تدعم قوله هذا عند المجادلة .

وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَٰنِ إِنَاثًا ۚ أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْأَلُونَ ﴿١٩﴾

التفســــير:

يذكر تعالى - فى الآية - أن المشركين زعموا بقولهم إن الملائكة - الذين خلقوا عبادا للرحمن مكرمين - إناث.

ثم يثبت تعالى كذب زعمهم بإثبات انعدام الدليل لديهم على هذا الزعم الباطل، فالاستفهام فى قوله تعالى «أشهدوا خلقهم» ينكر عليهم أن يكونوا قد شهدوا خلق الملائكة فعرفوا حقيقة ما إذا كانوا ذكورا أم إناثا أم كانوا خلقا مكرمين لا يعرف حقيقتهم إلا الله تعالى.

ثم إنه تعالى يتهددهم بالعذاب جزاء على قولهم هذا، عبر عنه النص بأنه شهادتهم على الملائكة أو فى شأنهم.

بذكره تعالى أن قولهم هذا سيكتب فى ديوان أعمالهم، وأنهم سيسألون عنه يوم القيامة، والمعنى أنهم سيعاقبون به.

وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَاهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِّن قَبْلِهِ فَهُم بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾

التفســــير:

يذكر تعالـى أن المشركين الذين عبدوا المـلائكة قائلين إنهم بنات الله ينفـون مسئوليتهم عن عبادتهـم بقولهم إنه لـو شاء تعالى ألا يعبـدوا الملائكة لكان منـه صدهم عن عبـادتهم. والقول فيه حق أريـد به باطل، لأن كل شىء هو بـأمره تعالى، ولكنه شاء لهـم الشرك لما ثبت فى علمه الأزلى أنهم يختارونه فجرت مشيئته على ما ثبت فى علمه.

ثم يذكر تعالـى أنهم فى زعمهم هذا لا يستندون إلى علم حصلـوه بطريق النقل أو التلقين من نبى أو أحد مـن أهل العلم، وأنهم يكذبون. كما يذكـر أنهم لم يؤتوا من قبله تعـالى كتابا جاء به هذا القول الـذى يزعمون فصدقوه وتمسكوا به، جاء التعبير عـن هذا باستفهام إنكارى ليثبت انعدام الدليل فى كتاب على زعمهم.

ثم يبين تعالى أن المشـركين ـ مع انعدام حجتهم ـ لا يجدون سـوى القول بأنهم مقلدون وجدوا آباءهم على عقيدة الشرك فاقتدوا بهم وساروا على آثارهم.

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ
مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ﴿٢٣﴾
۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا
بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾

التفســـير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ فيخبره أنه على النحو الذى جاء به قول المشركين كان الأمر مع

من أرسل تعالى من الرسل قبله، فما من رسول أرسله تعالى فى قرية منذرا بأمر الله إلاكان من المنعمين فيها والمتبوعين قولهم فى تبرير كفرهم وشركهم أنهم وجدوا آباءهم على عقيدة الشرك فاقتدوا بما تركوا لهم فى شأن عبادة آلهتهم .

ثم يذكر تعالى أن كل رسول من الرسل ممن سبقوا رسول الله ﷺ كان يستنكر من مشركى قومه أنهم يكفرون بما جاءهم به من الحق ويتمسكون بالضلال الذى كان عليه آباؤهم، رغم إيضاحه لهم أنه جاءهم بما هو أهدى وأرشد مما وجدوا عليه آباءهم.

جاء التعبير عن هذا المعنى بذكره تعالى أن الرسول كان يسأل قومه عما إذا كانوا يبقون على ملة آبائهم ولو كان ما جاءهم به أهدى مما وجدوا عليه آباءهم من العقيدة.

ثم يذكر تعالى أن المشركين كانوا يجيبون رسلهم بالتصريح لهم بأنهم يكفرون بهم، أو إن قوم كل رسول كانوا يعلنونه بكفرهم به وبجميع الرسل.

ثم يذكر تعالى أنه انتقم من هؤلاء المشركين الذين كذبوا رسلهم بعذاب الاستئصال، ويطلب من رسوله ﷺ والمؤمنين النظر فى عاقبة أمر المكذبين.

وقيل إن القول هو فى شأن مشركى العرب الذين كذبوا رسول الله ﷺ.

وأن ما طلب تعالى من رسوله ﷺ النظر إليه من عاقبة أمرهم هو ما أصابهم من القحط ومن القتل والأسر.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ البــراء : فى قوله تعـالى ـ«إننى براء مما تعبدون» هو البرىء مـن الشىء، جاء التعبير بالمصدر لبيان الزيادة فى الصفة .

٢ ـ الكلمــــــة : فى قوله تعالى «وجعلها كلمة باقيـة» هى كملة التوحيــد «لا إلٰه إلا الله» .

ثانيا : التفســــير:

لما كـان المراد بقولـه تعالـى المذكور فـى الآيات السابقـة فى شـأن المشركين عمـوما، ومشركى الأمم السابقة هو التعريض بمشركى العرب .

فإنه تعالى ـ فى الآيات ـ يحدثهم عن أبيهـم الذى يتشرفون بالانتساب إليه، فكأنه تعالى يقول لهم: إذا كنتم تقتدون ـ فى شأن العقيدة ـ بآبـائكم، فالأولى بكم هو الاقتداء بإبراهيـــم ﷺ .

فيذكر تعالى أن إبراهيم أعلن أباه وقومه أنه متبرىء مما يعبدون من آلهة، ثم أعلنهم أنه لن يعبد إلا الله وصفه بأنه الذى فطره فأوجده من العدم.

ثم أخبر عنه أنه سيهديه الحق. ويجب ألا يفهم من قوله «إلا الذى فطرنى» أنه استثنى من معبوداتهم الله تعـالى فاطره. لأن المعنـى ـ على هذا النحو ـ يفيد المساواة بينه تعـالى وبين سائر المعبودات.

وإنما معناه أنه عليه الصلاة والسلام لن يعبد إلا الله؛ ولهذا جاء قوله تعالى «وجعلها كلمة باقية فى عقبه» بمعنـى أنه أبقى كلمة التوحيد فى ذريته لا يخلو زمان مـن قائل منهم فيه بها. وقوله تعالى «لعلهم يرجعون» .

مفاده أنه قـد يكون من شأن وجود من يقـول بكلمة التوحيد أن يقتدى به آخـرون فيرجعون عن الشرك بالله إلى توحيده تعالى .

بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ
حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا
سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ
ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم
مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ
لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾

التفسـير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في أهل مكة في زمان رسول الله ﷺ، يشير إليهم سبحانه وتعالى في القول ويخبر عنهم أنه متعهم ومتع آباءهم من قبل بما أفاء عليهم من نعم الدنيا إلى أن جاءهم الحق وهو القرآن العظيم والدعوة بالتوحيد وجاءهم رسول يبين بالأدلة حقيقة ما بعث به.

وقد يكون في قوله تعالى أنه متع أهل مكة وآباءهم إشارة إلى كونهم المترفين الذين دأبوا على قول إنهم وجدوا آباءهم على أمة وإنهم على آثارهم مقتدون.

كما يخبر تعالى عن أنه عندما جاءهم الحق في القرآن وفي دعوة رسول الله ﷺ قالوا في القرآن إنه سحر وأعلنوا كفرهم به .

كما يذكر تعالى أنهم حسدوا رسوله ﷺ على اصطفاء الله إياه وتمنوا لو كان القرآن قد أنزل على رجل عظيم بالمال والجاه من أهل المدينتين: مكة والطائف، فكأنهم يرون أنه تعالى يكرم الناس بحسب ما يملكون من الأموال .

ثم إنه تعالى أنكر عليهم قولهم هـذا المستحق أن يتعجب منه بقوله «أهم يقسمون رحمة ربك» فالاستفهام هو لإنكار أنهم يكون لهم رأى يعمل به فى مسألة تقسيمه تعالى رحمته بين الناس ومنها اصطفاء مـن يشاء بالنبوة. ثم يبين تعـالى أن من مظاهر اختصاصـه تعالى وحده بتقسيم الحظوظ والأنصبة فى كـل شىء بين العباد أنه قسم بينهم معيشتهم فـى الحياة الدنيا بأن وسع على بعضهم وقـدر على الآخرين أرزاقهم، ولم يجعل أمر ذلك لهـم، كما أنه تعالى رفع بعضهـم على البعض درجـات فجعل منهم الحكام والمحكـومين، وجعل منهـم السادة والخدم، وذلك ليستخدم بعضهم آخرين فى تحقيق مصالحهم فى الحياة الدنيا التى يولونها أجل اهتمامهم.

ثم يذكر تعالـى أن رحمته خير من كل ما يجمعون فى الدنيا مـن المتاع. وتوجيه الخطاب إلى رسول الله ﷺ، يبين أن الرحمة المقصودة فى القول هى نعمة النبوة والاصطفاء لها.

وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

أولا: الأسـماء:

١ - المعارج: فى قوله تعـالى «ومعارج عليها يظهرون» جمع، واحـده هو «المعراج» وهو السلم.

٢ - **الزخرف** : فى قولـه تعالى «وزخرفا، وإن كل ذلـك لما متاع الحياة الدنيـا» هو النقوش والتزاويق. وقيل إنها المراد بها - فى معنى القول - ما كان من الذهب .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعـالى - فى الآيات - هـو فى بيان مدى تفاهـة قيمة متع الحياة الدنيا التـى يتحاسد الكافرون عليها، يفهم هذا من بيانه تعالى أنـه لولا كراهة أن يجتمع الناس على الكفر لرؤيتهم تمتع الكافـرين بمتع الحياة الدنيـا، لكان منه تعالى التوسعـة فى الرزق للكافريـن لدرجة أن تكون لبيوتهم سقفا مـن فضة، وكذلك تكون درجات مدارج بيوتهـم التى يصعدون عليها إلى أسطح بيوتهم من الفضة.

ولكان منه تعالى أيضا أن جعل لبيوتهم أبوابا، ووضع فيها سررا يتكئون عليها وهذه وتلك من الفضة، وتكون بيوتهـم مزخرفة مزدانة بجميع صور التزاويق والنقـوش أو ما جمل منها مما صنع من الذهب، ثم يذكر تعالى أن كل مـا جرى ذكره لا يعدو كونه متاع الحياة الدنيا، القليل القيمة، القصير الأجـل لكونه إلى زوال. ثم يذكـر تعالى أن الآخرة معدة عنده تعـالى للمتقين الذين اتقـوا الشرك، فيكون المستفاد أن حقارة قيمة متـع الحياة الدنيا هى بالقيـاس إلى متع الآخرة .

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ
شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ
ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ
فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾

أولا : الأسـماء :

المشـرقان : فى قوله تعالى «قال ياليت بينى وبينك بعد المشـرقين» قيل إن المراد بالمشرقين فى معنى القول هو: المشرق والمغرب، وقيل هو: مشرق الشتاء ومشرق الصيف.

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى كل من ابتعد عن القرآن العظيم، دعاه تعالى فى القول باسم«ذكر الرحمن» فهو كلامه تعالى يكون فى تلاوته وسماعه وملازمة الله ويكون فى العمل به طاعته.

ولذلك قال تعالى إن من يعش عنه يقيض له شيطانا يكون له قرينا فى الدنيا والآخرة.

والذى يعشو عن القرآن وعن ذكر الله هو من تعامى عنه فكان كالأعشى، يدخل فى هذا الكافر ويدخل فيه المؤمن الذى ابتعد عن القرآن. يكون من الله تعالى أن يتيح له شيطانا يلازمه لا يفارقه يكون له قرينا.

ثم يذكر تعالى أن الشياطين التى تلازم الذين تعاموا عن ذكر الله تصدهم عن سبيل الله المستقيم الذى يدعو إليه القرآن أو يدعو إليه ذكر الرحمن، ويعتقد هؤلاء أن الشياطين مهتدون إلى الحق فيتبعونهم ويهتدون بهم ولكن إلى الضلال .

ويبين تعالى أنه فى الآخرة حين يجيء الواحد ممن عموا عن ذكر الرحمن وتعاموا إلى ربه للحساب يكون منه أنه يقول لقرينه الشيطان «ياليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين» يلعنه - بعدما تبين له أنه أضله وأرداه - أنه يتمنى لو كان قد بعد ما بينهما من المكان فبلغ بعد مشرق الشتاء عن مشرق الصيف، وما عرف أحدهما الآخر ولا رافقه، ثم يكون منه ذمه بإعلانه أن بئس القرين هو .

ثم يبين تعالى أن هذا الندم من الذى عشى عن ذكر الرحمن فى الدنيا لا ينفعه، كما أنه لا

ينفع قرينـه تمنيهما المباعدة فى الـدنيا التى ظلما فيها بالتعـامى عن ذكر الرحمـن وبالعمل بالمعاصى، وأنه يقال لهما إنهما بسبب ظلمهما فى الحياة الدنيا يشتركان فى عذاب الآخرة، وأن جميع من ماثلوهم من الإنس والشياطين فى العذاب مشتركون .

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن
كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾
أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ
بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ
وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾

التفسـير:

لما بيـن تعالى أن المشـركين والكافـرين تعاموا عـن القرآن العظيم بفعلهـم، فإنه تعـالى خاطب رسوله ﷺ منكرا عليه ﷺ أن يعتقد أن فى مقدوره هدايتهم إلى الحق فى تعجيب من أن يعتقد هذا.

جاء هـذا بوصفه الـذين عشوا عـن ذكر الرحمـن بأنهم صـم عمى، سادرون فـى الضلال الواضح، ثم بين له ﷺ أنه ليس فى مقدوره هـدايتهم إلى الحق، جاء هذا فى صيغة استفهام أريد به إنكار الاعتقاد والتعجيب منه .

ثم يخبر تعالى رسوله بوجوب انتقامه تعالى من هؤلاء الذين كفروا بالقرآن العظيم من قومه ﷺ، فيعلمه أنه إذا قبضه تعالى إليه قبل انتقامه تعالـى منهم، فإن انتقامه تعالى يقع بهم بعد موته ﷺ.

وأنه إذا ما أحياه إلى أن يشهد عذابهم فى الدنيا الذى وعد به رسوله ﷺ وتوعد به المكذبين فإن ذلك يكون بحكم قدرته تعالى عليهم وعدم استطاعتهم الفرار مما توعدوا به.

ثم إنه تعالى - ترتيبا على ما سبق بيانه - يأمر رسوله ﷺ بالتمسك بآيات القرآن العظيم والعمل بها، ويعلمه أنه على طريق الله المستقيم وهو دين الإسلام.

ويخبره أن القرآن العظيم الذى أمره بالتمسك به هو شرف عظيم له ﷺ ولقومه الذين أنزل القرآن بلغتهم، كما أنه تذكرة له ولهم وموعظة.

ولهذا قال تعالى إنه ﷺ وقومه سيسألون يوم القيامة عن عملهم بالقرآن وعلى خدمته والقيام بحقوقه .

وَسْئَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان انعدام سبب الإعراض عن القرآن العظيم من جانب المشركين وقد أمر بتوحيد الله وهو ما جاء به جميع الرسل قبله ﷺ .

يبين هذا من طلبه تعالى من رسوله ﷺ أن يسأل الرسل الذين بعثهم الله قبله - يكون ذلك بالنظر فى الكتب التى أنزلت عليهم، وفى دعواتهم - عما إذا كان تعالى قد أوصى بعبادة آلهة أخرى.

والمراد بالقول هو تقرير واقع أنه تعالى لم يأمر على ألسنة رسله، وفيما أنزل إليهم بغير توحيده تعالى وعبادته، وبيان أن ما دعا إليه رسول الله ﷺ ليس بدعا منه .

■■■■■

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ
بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا
جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا
هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟
يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا
كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾

التفســــــير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ شروع فى ذكر قصص الرسل الذين دعوا إلى توحيد الله وعبادته قبله ﷺ. فذكر تعالى ـ فى شأن قصة موسى عليه السلام ـ أنه تعالى أرسله منصورا بآياته ومعجزاته تعالى الدالة على نبوته وصدقه إلى فرعون وأشراف قومه، أعلنهم عليه السلام أنه رسول من رب العالمين ، والمستفاد من كونه عليه السلام مرسلا من رب العالمين هو أن رب العالمين واحد، فتكون دعوته عليه السلام هى إلى التوحيد وخص الله وحده بالعبادة .

ثم يذكر تعالى أنه حين جاء موسى عليه السلام فرعون وملأه بآياته تعالى ومعجزاته الدالة على صدقه عليه السلام فاجأهم الضحك، والمعنى أنهم استخفوا بها واستهزؤا فكان منهم الضحك منها.

كما يذكر تعالى ويبين أنه لم يكن لهم الاستهزاء بهذه الآيات، لأن كلا منها ـ منظورا إليها فى حد ذاتها ـ كانت تبدو كأنها أعظم من باقى الآيات فى التدليل على صدقه عليه السلام وعلى نبوته، دون أن يعنى هذا وجود المفاضلة بين الآيات بعضها والبعض.

ثم بين تعالى أنه أخذ فرعون وملأه بالعذاب قصد الرجوع عن ضلالهم والإيمان لموسى عليه السلام، والمراد بهذا هو إصابتهم بأنواع البلاء المعروفة من أخذهم بالسنين، وتسليط الجراد والقمل والضفادع عليهم، وغير ذلك.

ثم يذكر تعالى ما كان من فرعون وملئه حين ضربهم الله باللعنات المذكورة وهو التجاؤهم إلى موسى والنداء عليه بما فيه تعظيم له بأنه الساحر. أو بما فيه تحقير له وتدليل على عدم تصديقهم له فيما قال به من أنه رسول من ربه رب العالمين، سائلين إياه أن يدعو لهم ربه بما عاهده عليه من أن يستجيب لدعائه، بأن يرفع عنهم ما ابتلاهم به من صنوف البلاء، واعدين إياه بأنهم إذا ما استجاب الله لدعائه ورفع عنهم البلاء فإنهم يؤمنون له فيكونوا قد اهتدوا لما دعاهم إليه من توحيد الله .

ويذكر تعالى ما يفيد أنه استجاب لدعوة موسى عليه السلام أن يرفع تعالى عنهم ما أنزل بهم من العذاب المذكور في الدنيا «فلما كشفنا عنهم العذاب» ويصرح بأنهم نكثوا وعدهم، بمعنى أنهم لم يؤمنوا لموسى عليه السلام، وأنهم بقوا على عقيدتهم الضالة .

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ
قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ ۖ أَفَلَا
تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾
فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾
فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا
ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا
لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى ذكر باقى قصة موسى عليه السلام مع فرعون، يذكر تعالى أن فرعون نادى فى قومه جميعهم أو فى أشرافهم وقادتهم لينقلوا قولة إلى أتباعهم، أكد لهم تميزه على موسى وجدارته أن يطاع من دونه فيما يدعو إليه بذكره لهم أنه الذى له ملك مصر جميعها والذى تجرى من تحته الأنهار فى أرضها بأمره جاء تعبيره عن هذا باستفهام منفى أريد به تقرير ما أراد إثباته من استحقاقه أن يطاع وأفضليته على موسى عليه السلام، واختتم قوله معهم بحثهم على الإقرار له بما زعم بقوله لهم «أفلا تبصرون» والمعنى أن هذا الذى يقول به مدرك مشاهد لكل من له بصر.

كما يذكر تعالى أنه فى مجال المقارنة بينه وبين موسى عليه السلام وطلبه الإقرار بأفضليته عليه وصف موسى عليه السلام بأنه مهين، بمعنى أنه ضعيف حقير لا يملك المال الوفير مثله، وأنه إذا تكلم لا يفصح عما يريد قوله لعيب فى لسانه. ثم طلب من القوم الإقرار بأنه خير من موسى عليه السلام وأفضل. ثم أعقب هذا بقوله فى موسى عليه السلام «فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب أو جاء معه الملائكة مقترنين» والمعنى أنه أراد أن يدلل لقومه على كذب موسى فيما ذكره من أنه رسول من رب العالمين ببيان أنه افتقد دليل ذلك وهو أن تلقى عليه أسورة من الذهب - وهو ما كان يتحلى به أغنياء القوم - تلقى عليه من ربه فتكون دليلا على إكرام الله إياه، أو أن تأتى الملائكة معه تلازمه وتشهد بصدقه.

ثم يبين تعالى أن فرعون تمكن من عقول قومه التى استخف بها بأقواله الباطلة فكان منهم إطاعته فيما أمرهم به من بعد اقتناعهم بأفضليته على موسى وأحقيته عليه بواجب الطاعة، والذى أمرهم به فرعون فأطاعوه فيه هو الخروج وراء موسى وقومه لإبادتهم أو لاعادتهم لخدمتهم. وهو ما أسخط الله عليهم فكان منه تعالى أن انتقم منهم بإغراقهم أجمعين، والمراد بالمغرقين هم فرعون وأفراد قواته الذين خرجوا معه وراء موسى وقومه. ثم يذكر تعالى أنه جعلهم سلفا للآخرين، بمعنى أنه تعالى جعلهم قدوة فى الكفر والعناد لمن يأتى بعدهم من الكافرين، كما جعلهم سلفا إلى النار ومثلا يعتبر به ويتعظ لمن يأتى بعدهم.

وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾
وَقَالُوا أَآلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ
﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾
وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان مجادلة المشركين بالباطل ليدحضوا به الحق. خاطب تعالى رسوله ﷺ فى شأن واقعة حدثت، وهى أنه لما نزل قوله تعالى «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» طلب عبد الله بن الزبعرى مناظرة رسول الله ﷺ، فلما سأله قومه عما يقوله فى المناظرة قال إنه سيقول له إن اليهود أو بعضهم يعبدون عزيرا، وإن النصارى تعبد المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فهل يكون عزير والمسيح من حصب جهنم فكان من المشركين حين سمعوا منه هذا أن ضجوا بالفرح مثل ضجيج الإبل. فهذا هو معنى قوله تعالى «ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون» فيكون المعنى أنه حين سمع قومك من عبد الله بن الزبعرى قوله فى شأن ما يقوله عن المسيح عليه السلام، فرحوا وتهللوا وأحدثوا جلبة تشبه ما تحدثه الإبل لدى تحركها.

كما يذكر تعالى أن المشركين قالوا له ﷺ - بناء على ما سمعوا من عبد الله بن الزبعرى - إنه إذا كان عزير والمسيح من أهل النار فإننا نرضى أن تكون آلهتنا معهما. والمعلوم أنه تعالى أنزل فى الرد عليهم قوله تعالى «إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون»، ثم يخبر تعالى رسوله ﷺ أن المشركين لم يقولوا له هذا القول إلا من قبيل الجدل الذى لا يكون منه غير المجادلة والخصام دون أن يسفر عن وجه الحق؛ ولهذا بصفهم تعالى بأنهم قوم خصمون، بمعنى أنهم يقصدون المخاصمة لذاتها دون ابتغاء وجه الحق.

ثم يقرر تعالى فى شأن المسيح عيسى ابن مريم حقيقة أمره، وهى أنه عليه السلام ليس سوى عبد من عبيده تعالى وعباده، أنعم عليه تعالى بالنبوة، وجعل أمره عجيبا لبنى إسرائيل الذين بعث عليه السلام فيهم، وذلك بولادته من غير أب، وبدعمه بالمعجزات التى منها إحياء الموتى و إبراء الأكمه والأبرص، ليكون منهم الإيمان له .

ثم يخاطب تعالى المشركين الذين عبدوا الملائكة مبينا لهم عدم استحقاق الملائكة أن تعبد كما أثبت عدم استحقاق المسيح عليه السلام أن يُعبد بعد أن بين تعالى أنه عبد من عبيده، فقال لهم إنه لو شاء تعالى لجعل بدلا منهم ملائكة يخلفونهم على عمارة الأرض أو لحول بعض الناس إلى ملائكة تحيا على الأرض، فيكون المراد بيانه هو أنه ليس فى إمكان الملائكة السماء من الشرف ما يجعلهم جديرين بالعبادة لأنه تعالى لو شاء لأسكنهم الأرض. فيكون القول إثباتا لاستحقاقه تعالى وحده العبادة من دون غيره من المعبودات، يدخل فى هذا الأنبياء والملائكة .

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾

التفسير:

يخاطب تعالى الناس فى الآيتين أو يخاطب المشركين فيذكر لهم أن عيسى ابن مريم عليه السلام هو علم للساعة، ويتصور فى معنى القول أنه دليل على قدرة الله تعالى على بعث الناس للحساب بعد الموت فيكون دليلا على صحة ما أخبر به تعالى عن يوم القيامة، وذلك لما كان من معجزة فى أمر خلقه بغير أب وما أجرى تعالى على يديه من المعجزات التى منها إحياء الموتى.

ويتصور فيه أن يكون المراد هو بيان أن نزوله فى آخر الزمان حكما عدلا يدعو للإسلام ويكسر الصليب هو من علامات يوم القيامة .

ثم يتبع تعالى هذا بنهيه المشركين عن الشك فى وقوع الساعة وقيام القيامة وأمره إياهم باتباعه واتباع شريعته ورسوله ﷺ، ثم يشير تعالى إلى ما أمرهم به ويخبر عنه بأنه صراط مستقيم بمعنى أنه طريق يوصل إلى رضاء الله تعالى وجنته .

ثم ينهاهم جل شأنه عن الاستجابة للشيطان يصدهم عن اتباعه تعالى وطاعته فيما أمرهم به، ويحذرهم منه بإخبارهم عنه أنه عدو لهم ظاهرة عداوته ، بما يعنى وجوب الاحتراز منه.

وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى ذكر باقى قصة عيسى ابن مريم عليه السلام مع قومه بنى إسرائيل .

يذكر تعالى أنه لما جاءهم بالأدلة التى تثبت أنه المسيح المتنبأ به وأنه رسول من رب العالمين كان منه أن أخبر قومه أنه قد جاءهم بالحكمة والمراد بها هو الإنجيل المنزل إليه من ربه، وأنه جاءهم ليبين لهم بعض الذى يختلفون فيه من أحكام شريعة موسى عليه السلام.

ثم أمرهم باتقاء غضب الله، وهو ما يكون باتباعهم قوله وطاعته فيما يبين لهم، لأنه إنما جاء ليصحح العقيدة ويبين صحيح الأحكام .

ويذكر تعالى أنه عليه السلام أعلنهم برسالة التوحيد وطلب منهم عبادة الله وحده «إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه» وأبلغهم أن توحيده تعالى هو طريق الله المستقيم المؤدى إلى الفلاح.

ثم يبين تعالى أن القوم اختلفوا من بينهم فصاروا أحزابا، منهم من آمن للمسيح عليه السلام ومنهم من كفر به وقال فيه غير الحق، فكانت النصارى وكان اليهود.

ثم اختلف كل فريق من الفريقين فصار أحزابا ـ على ما سبق بيانه فى ذكر طوائف اليهود والنصارى اختلفوا فى شأن العقيدة واختلفوا فى شأن الشريعة.

ثم إنه تعالى توعد الظالمين الذى ابتعدوا عن الحق بعلمهم والذين لم يقولوا فى المسيح عليه السلام إنه عبد الله ورسوله توعدهم تعالى بالعذاب الأليم يكون يوم القيامة .

ثم تحول تعالى بالحديث ليكون فى شأن كفار مكة، أظهره أن مسلكهم فى تأخر إيمانهم يثير العجب حتى لكأنهم ينتظرون أن تفجأهم الساعة ليؤمنوا حين لا ينفعهم الإيمان.

وأظهر تعالى أن الساعة تفجأهم بذكره أنها تأتيهم بغتة دون التحسب لها والشعور بها من مقدماتها.

■■■■■

ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾
يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾
يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ
وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا
كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾

أولا : الأسماء :

الصحاف : في قوله تعالى ﴿يطاف عليهم بصحاف من ذهب﴾ جمع، مفرده «الصحفة» وهي الآنية من أواني الأكل .

ثانيا : التفسير:

يذكر تعالى ما يكون من الناس يوم القيامة وما يكون معهم. فيخبر تعالى أن المحبة والصداقة بين الأحباء والأصدقاء تنقطع ، وأن الكافرين يكون بعضهم لبعض عدوا، وأن المتقين يكون حالهم خلاف هذا إذ تبقى بينهم المودة والحب في الله.

كما يخبر تعالى عما يكون معهم إذ ينادى عليهم مع إعلامهم بأنه لا خوف عليهم مما يعذب به الكافرون، وأنهم لا يصيبهم حزن ولا غم.

ثم يخبر تعالى عن هؤلاء المبشرين بعدم الخوف وعدم الحزن أو يصفهم بأنهم الذين آمنوا بآياته تعالى المنزلة وكانوا مسلمين.

فيكون المراد بهم الذين آمنوا بكتب الله المنزلة قبل بعثه ﷺ، والذين آمنوا لرسول الله ﷺ بعد أن بعثه تعالى رسولا نبيا فكانوا مسلمين .

كما يخبر تعالى عن أنه يقال لهم يوم القيامة ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم تحبرون، والمعنى أنه يحدث ما قيل لهم وهو دخولهم الجنة ونسائهم المؤمنات، يسرون فيها ويسعدون كما يصف تعالى أحوالهم في الجنة، فيذكر أنه يطاف عليهم - من الأولاد المخلدين - بأواني أكل وأكواب للشرب من الذهب، وأنه يكون لهم في الجنة ما تشتهيه نفوسهم من أنواع الملذات، كما يكون لهم فيها ما تنعم الأعين بمشاهدته، والمعنى أنه يكون لهم فيها اللذات المادية والمعنوية، وأنهم يتنعمون أبدانا وأرواحا. كما يذكر تعالى أنهم يخلدون في الجنة لا يخرجون منها ولا يموتون .

ثم يخاطب تعالى أهل الجنة الذين آمنوا بآياته وكانوا مسلمين مشيرا إلى الجنة قائلا إنها ما أورثهم سبحانه وتعالى بإيمانهم وإسلامهم وبأعمالهم الصالحة التي قبلت منهم. ثم يخبرهم أنه يكون لهم فيها فاكهة كثيرة وأنهم منها يأكلون، تدليلا على أنهم إنما يأكلون فيها للتلذذ بطعم الأكل وليس لحاجة أجسامهم إليه، وبيانا لعدم نفاد ثمار أشجار الجنة وعدم نقصها .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ
فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا
ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - انتقال بالحديث إلى الكافرين، وصفهم تعالى بأنهم المجرمون لإجرامهم في حقه تعالى بالشرك وإجرامهم في حق الناس بظلمهم، وإجرامهم

فى حق أنفسهم بتعريضها للعذاب، يخبر تعالى عنهم بأنهم يخلدون فى عذاب جهنم، ثم يصف هذا العذاب بدوام الشدة بذكره أنه لا يخفف عنهم، ويقول فى حالهم فيه إنهم يكونون مبلسين أى إنهم يكونون فى حزن مقيم نتيجة يأسهم من الخلاص من العذاب .

ثم يبين تعالى أن سوء مصير الكافرين إنما مرجعه إليهم بتقريره تعالى أنه لم يظلمهم بتعذيبهم على هذا النحو، وأنهم الذين ظلموا أنفسهم بكفرهم وعدم الإيمان بآياته ورسله.

وَنَادَوْاْ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ لايزال فى الإخبار عن الكافرين وأحوالهم فى نار جهنم، يذكر تعالى أنهم ينادون مالكا خازن النار باسمه يسألونه أن يدعو ربه أن يقضى عليهم بإفنائهم بالموت، يكون لهم به خلاص من عذاب جهنم. كما يخبر تعالى عما يكون من مالك وهو إجابتهم بأن الله تعالى قضى فيهم أمره بقوله تعالى إنهم يمكثون فى النار، والمعنى أنهم يخلدون فيها أحياء لايموتون .

كما يذكر تعالى أنه يقال للكافرين وهم فى النار توبيخا وتقريعا ـ من الملائكة إنه تعالى قد جاءهم بالحق. نزلت به كتبه وأبلغتهم به رسله عليهم السلام، ثم كان منهم أو من أكثرهم مخالفة الحق إلى الباطل واتبعهم الباقون فيكون القول بيانا لأنهم استحقوا ما هم فيه من العذاب بكفرهم وبسوء أعمالهم .

أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾

التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيتين ـ هو فى مشـركى مكة الذين تآمروا على رســول الله ﷺ وكادوا له.

جاء الاستفهام فى قـوله تعالى «أم أبرموا أمرا» لإثبـات أنهم أبرموا أمرا بالفعـل وهو التآمر على رسول الله ﷺ قصـد إيذائه والنيل منه، أو أنهم تـآمروا على دين الله الذى دعـا إليه رسول الله ﷺ.

ثم أثبت تعالـى أنه أبرم أن يكيد لهم فى مقابـل كيدهم، أى أنه تعالى شـاء ذلك فكانت مشيئته أمرا نافذا وهى الانتقام منهم.

ثم إنه تعالى بين أنهم أبرموا كيدهم فـى السر معتقدين أنه تعالى لا يعرف مادار بينهم مما أخفوه عن الناس.

فجاء الاستفهام فى قولـه تعالى «أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجـواهم» إثباتا لحصول التـآمر منهـم علـى رسول الله ﷺ فـى السـر، ولاعتقـادهم أن أمـره يخفـى على الله، وإنكـارا لاعتقادهم.

ثـم إنه تعالى أكد علمه بكل ما يدور بينهم فى السر وما يتناجون به بينهم بقوله تعالى «بلى ورسلنا لديهم يكتبون».

فيه يثبت تعالى أنه يسمع سرهم ونجواهم ويطلع على أعمالهم كما يثبت أن رسله تعالى من الملائكة يلازمونهم حافظين عليهم أعمالهم، يكتبونها ليحاسبوا بها ويجازوا عليها.

■■■■

قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ فأمره أن يقول للمشركين الذين عبدوا الملائكة قائلين إنهم بنات الله، إنه إذا كان لله تعالى - وصفه بأنه الرحمن - ولد فإنه عليه الصلاة والسلام يكون أول من يتقدم إلى ولده بالعبادة. فالقول - بهذا المعنى - يفيد أنه تعالى لا يجوز عليه تصور أن يكون له ولد، وأنه لما كان عليه الصلاة والسلام لا يعبد إلا الله فإنه يكون المستفاد عقلا هو بطلان عقيدة المشركين أن الملائكة بنات الله، بدلالة أنه ﷺ لا يعبدها . ثم إنه تعالى نزه ذاته عما وصفه به المشركون من أنه له ولد. وأتبع هذا بأمره تعالى رسوله ﷺ أن يتركهم على حالهم وألا يلتفت إليهم ولابتعادهم عن الحق، يكون منهم الخوض كما يشاؤون فى أحاديث الإفك والباطل لاهين عن الحق إلى أن يلاقوا حسابهم فى الآخرة وما توعدوا به من العذاب فيكون القول تهديدا للمبطلين بتعذيبهم بقولهم فى الله غير الحق.

وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو إثبات وحدانيته تعالى وأنه وحده الواجبة عبادته، بدأ بيان هذا بإثباته تعالى أنه الذى فى السماء إلٰه وفى الأرض إلٰه، والمعنى أنه تعالى وحده هو المعبود فى السماء، تعبده الملائكة وتسبح بحمده فيكون هذا إقرارا منها بألوهيته تعالى، واختصاصه وحده بأن يُعبد، فيكون إقرارها - وهو حق - موجبا على القائلين بأنهم بنات الله والعابدين إياهم أن يتوقفوا عن هذا الإفك وأن يقروا بوحدانيته تعالى وأن يخصوه وحده بالعبادة، فيكون منهم الإقرار بواقع أنه تعالى وحده هو الإلٰه فى الأرض، فيكون إقرارهم هو الموافق للحق.

وفى القول يصف تعالى ذاته بأنه هو الحكيم العليم، لبيان أن أى معبود من دونه هو دونه تعالى فى الحكمة والعلم، مما مفاده نفى الألوهية عنه وعدم استحقاقه أن يعبد من دونه تعالى. وبعد هذا يقول تعالى فى ذاته إنه تبارك وتزايد وتعاظم الخير منه فى جميع ملكه، ويذكر أن له ملك السماوات والأرض وما بينهما خالصا، لا يشاركه فيه أحد. وأن عنده وحده علم الساعة، أى متى تكون القيامة، كما يذكر أنه إليه يرجع الخلق للحساب وللثواب وللعقاب.

ثم إنه لما كان من المشركين من قال إنه إنما يعبد الأصنام لتقربه إلى الله زلفى، فإنه تعالى أثبت أن ما يعبدون من دون الله لا يملكون الحق فى الشفاعة، ثم استثنى تعالى من معبودات المشركين من يشهد بالحق وهو وحدانية الله، والمراد هم الملائكة وعزير والمسيح عليهم السلام، جاء قوله تعالى مفيدا أنه تعالى قد يأذن لمن يشاء منهم أن يشفع فى المؤمنين وقد يقبل شفاعتهم.

ثم بين تعالى أنهم يشهدون بما يعلمون صحته وهو أنه تعالى الله الواحد فى السماوات والأرض وما بينهما وأنه وحده الجدير أن يعبد، لا يعبد معه ولا من دونه أحد ولا شىء.

■■■■

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

التفسـير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ فى أمر المشركين مخبرا أنهم يقرون فى أنفسهم أن الذى خلقهم هو الله، وأنهم يفعلون ما يناقض هذا إذ يعبدون غيره. يدل على هذا قوله لرسوله ﷺ أنه إذا سألهم عمن خلقهم، فإنهم يجيبون بأن الذى خلقهم هو الله. وتعقيبا على تناقض فعلهم مع ما يقرون به جاء قوله تعالى «فأنى يؤفكون» بيانا لأن كفرهم وإشراكهم بالله بعدم حجة مدعمة فيظهر كذبه .

ثم يشير تعالى إلى قول المسيح عليه السلام فى قومه الذين أنكروه والذين ألهوه، وهو أنهم قوم لا يؤمنون بالحق وهو أنه ما من إله غير الله، وأنه عليه السلام رسول من الله.

ويتصور أن يكون القول المشار إليه هو قول رسول الله ﷺ فى قومه المشركين، يصفهم بأنهم قوم لا يؤمنون بالحق الذى جاءهم به وأنذرهم وهو القرآن العظيم .

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يصفح عن مشركى قومه وأن يعرض عنهم. وفيه قيل إن حكم الأمر قد نسخ بآية السيف، أو بقوله تعالى «فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» وقيل إنها لم تنسخ ، كما يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم «سلام» والمعنى هو أن يودِّعهم وليس أن يسلم عليهم.

ثم إنه تعالى يتوعد المشركين بالعذاب إذا ما بقوا على كفرهم وشركهم على ما يبين من قوله تعالى «فسوف يعلمون»، والمعنى أنهم سيعلمون حين ينزل بهم عذاب الله فى الآخرة أنهم كانوا ضالين خاطئين .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا
مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَا ۚ إِنَّا كُنَّا
مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾

التفسير:

افتتحت السورة بأسماء الحروف «حمٓ» ـ وقد سبق بيانها ـ ثم أقسم تعالى بالقرآن العظيم، وصفه بأنه الكتاب المبين، ويتصور أن تكون «حمٓ» جواب القسم، ويتصور أن يكون جواب القسم «إنا كنا منذرين» أو أن يكون هو «إنا أنزلناه».

وفى القول يثبت تعالى أنه أنزل القرآن العظيم فى ليلة مباركة كثيرة الخير وهى ليلة القدر ـ وقيل هى ليلة النصف من شعبان ـ والمعلوم أنه تعالى أثبت أنها ليلة القدر بقوله «إنا أنزلناه فى ليلة القدر» والمعنى أنه تعالى أنزل القرآن كله إلى السماء الدنيا فى هذه الليلة لينزل بعد ذلك منجما على مقتضى الأحوال والأسباب. كما يبين تعالى أن مقتضى إنزال القرآن هو الإنذار به.

وفى القول بين تعالى علة وصف ليلة القدر بأنها مباركة فبين أن فيها يفرق كل أمر حكيم،

بمعنى أنه يقضي فيها بما يكون متعلقا بجميع المخلوقات من أمور ـ ومنهم الناس ـ إلى ذات الليلة من العام القادم، ويكون تكليف الملائكة وتوزيع التكاليف عليهم ـ ومنها ما يكون منهم مع الناس ـ إلى مثل الليلة من العام المقبل، فيكون قضاؤه ويكون توزيعه التكاليف على الملائكة بموجب حكمته؛ ولهذا بين تعالى حال قضائه فى العباد في تلك الليلة وهو أنه أمر من عنده تعالى فبين أنه لابد أن يكون أمرا حكيما .

ثم أتبع ذلك سبحانه وتعالى بمخاطبته رسوله ﷺ معلما أن شأنه تعالى هو إرساله رحمة من لدنه، واصفا ذاته بأنه رب رسوله ﷺ، ويتصور أن تكون الرحمة المرسلة منه هى القرآن العظيم كما يتصور أن تكون رسول الله ﷺ، إذ أن كلا من إرسال القرآن و إرسال رسول الله ﷺ هو من أبواب رحمته تعالى بالمربوبين .

وقوله تعالى «إنه هو السميع العليم» يفيد معنى إحاطته تعالى بجميع أمور العباد فهو تعالى يسمع أقوالهم ويعلم أحوالهم، يكون قضاؤه فيهم بحكم ما علم وبمقتضى حكمتــه .

رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾

التفسير:

وصف تعالى ذاته المذكورة في قوله «رحمة من ربك» بأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، بمعنى أنه موجدهن وما بينهما وما فيهن وما هو بينهن، والمتولي حفظهن وما فيهن وما بينهن . وقوله تعالى «إن كنتم موقنين» معناه إن هذا المخبر به عن صفاته تعالى هو ما يفترض إدراكه من جانب المخاطبين بالقول ـ وهم جميع المكلفين، أو هم أهل مكة ـ فكأنه

تعالى يقول لهم «إن كنتم ممن لديهم الاستعداد للاقتناع بالحق إذا قام لديهم الدليل عليه، فإنكم ستيقنون أن هذه الصفات من صفاته تعالى».

ثم أتبع تعالى قوله هذا بتقرير وحدانيته تعالى «لا إله إلا هو» وأنه الذى يحيى الأرض بعد موتها ويحيى الخلق بعد الموت بالبعث فى الآخرة، والذى يميت الأحياء. ثم أخبر عن ذاته بأنه رب المخاطبين بالقول ورب آبائهم الأولين، يتولى أمرهم كما كان منه تولى أمور آبائهم فحق عليهم ما حق على آبائهم من توحيده وعبادته.

بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾
فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾

التفسير:

بعد أن خاطب تعالى الناس أو أهل مكة فأعلمهم أنهم إن كانوا ممن يقبلون الحجة والدليل والذين يوقنون بصحة ما قام الدليل عليه فإنهم يوحدونه لا يشركون به شيئا، خاطب رسوله ﷺ فى شأنهم فقال إنهم فى شك يلعبون، بين أن الشك استولى عليهم فهم لا يبحثون عن الحق وأنهم - فى أمر العقيدة والدين - يلهون ويلعبون، فنفى عنهم أن يكونوا ممن يدرس الأدلة والحجج بجدية وأن يكونوا من الموقنين؛ ولهذا فإنه تعالى توعدهم بعذاب، أمر رسوله ﷺ أن ينتظره مترقبا، وهو أن تأتى السماء يوما بدخان مبين. وفيه قيل إنه من علامات الساعة، تأتى به السماء فيمكث فى الأرض أربعين يوما يصيب المؤمن بما يشبه الزكام ويدخل فى أنوف الكافرين والفجرة فيثقب مسامعهم، وقيل هو القحط وجدب الأرض الذى أصاب قريشا فكان الرجل يرى كأن بين السماء والأرض دخانا، وقيل هو الغبرة التى ثارت من أثر سنابك الخيل يوم فتح مكة. ونرى - والله أعلم - أنه لما كان الكفار متواصلين فإن القول يفيد

أنه تعالى يفعل ذلك بالكافرين فى قـادم الأيام كما كان منه تعالـى سنة ١٩٠٨ حين أسقط نيزك «تنجوسكـا» فى روسيا، انفجر على ارتفاع مـا بين ألف إلى خمسة آلاف متـر فوق سطح الأرض منفجرا بقوة تعادل قنبلـة ذرية أو ثلاثة ملايين طن مـن مادة ت ت. ن. ت لدى ظهور الشيوعية فى روسيا و إنكار وجود الله واعتناق المبدأ المادى. وما كان بانفجار المفاعل الذرى فى تشرونبيل.

وقد يكون فيه توعد بانفجار ثورات البراكين تملأ ما بين السماء والأرض بدخان بين ظاهر، أو بسقوط طائرات تحمل قنابل ذرية يكون فيما تثير مـن سحابات ذرية عذاب للكافرين. ثم يصف تعالى هذا الدخان بأنه يغشى الناس فيقول لهم تعالى شأنه «هذا عذاب أليم» لأن من لا يموت منهم يحيا فى عذاب أليم من أثر ما يخلفه فيه .

ثم يذكر تعـالى أن الكافرين يسألون الله حيـن يقع بهم عذاب الدخان أن يـرفع عنهم هذا العذاب واعدين أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ .

أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ
وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾
إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ
ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾

الأسـماء :

البطشة الكبرى : قيل إن المراد بها ـ فـى معنى القول ـ هـو ما أصاب كفار مكـة يوم بدر، وقيل هو عذاب جهنم يوم القيامة .

ثانيا : التفسير :

بعد أن ذكر تعالى أن الكافرين يعدون بالإيمان والإسلام إذا ما رفع تعالى عنهم عذاب الدخان، فإنه تعالى ينفى صدقهم فى الوعد «أنى لهم الذكرى» فالاستفهام أريد به إثبات أنهم لا يتذكرون وعدهم ولا يفون به، ويثبت تعالى هذا ببيانه حالهم إذ جاءهم رسول ظاهر أمره أنه حق بما بعث به من القرآن العظيم، فكان منهم أنهم أعرضوا عما دعاهم إليه وقالوا فيه غير الحق، إذ قالوا فيه مرة إنه علمه شخص مًّا ما صاغه قرآنا، وقالوا فيه أخرى إنه مجنون. وهذا قد كان من كفار قريش، ولايزال يردده الكافرون إلى يومنا هذا تبريرا لإصرارهم على الكفر بما بعث به رسول الله ﷺ، مما يفيد تعلق القول بالحاضر والمستقبل تعلقه بالماضى.

وقوله تعالى «إنا كاشفوا العذاب قليلا، إنكم عائدون» هو إظهار لكذب الكافرين، وأنهم لا يفون بعهدهم، إذ يخبر تعالى أنه سيكشف عنهم العذاب بالدخان شيئا قليلا أو زمانا قصيرا، وأنهم سيعودون إلى كفرهم وضلالهم وقولهم فى رسوله ﷺ غير الحق؛ ولهذا فإنه تعالى يتوعدهم بأن يبطش بهم البطشة الكبرى تكون يوم القيامة إذ يذيقهم عذاب جهنم، فينتقم تعالى منهم. وقيل إن البطشة الكبرى هى يوم بدر، والذى نراه - والله أعلم - أن هذا غير صحيح، لأن البطشة الكبرى تكون من بعد العذاب الأول، فإن كان العذاب الأول هو يوم بدر فقد لزم أن تكون البطشة الكبرى بعده.

۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ
رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾
وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ ۖ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي
وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الكافرين لا يوقنون لأنهم فقدوا الاستعداد للاقتناع بالدليل، يدخل فيهم كفار مكة الذين أصروا على الكفر ويدخل فيهم الكفار عموما الذين بلغتهم دعوة رسول الله ﷺ وهيىء لهم معرفة ما جاء به القرآن العظيم، فإنه تعالى بين فى الآيات أنه اختبر قوم فرعون من قبل، يتصور أن يكون الاختبار بما وسع تعالى عليهم فى الرزق لينظر أيكون منهم الكفر أم يكون منهم الشكر، ويتصور أن يكون الاختبار بإرساله موسى عليه السلام إليهم يدعوهم إلى الله لينظر أيكون منهم دراسة البراهين والأدلة والتيقن من صحة ما دعاهم إليه، أم يكون منهم اللعب فى أمر الدين والإصرار على الكفر.

وفى القول ذكر تعالى أنه أرسل إليهم رسولا كريما ، وصفه تعالى بهذا لبيان أنه مرسل من لديه تعالى وأنه مكرم عنده تعالى معظم .

ثم يذكر تعالى ما كان من موسى عليه السلام مع قوم فرعون فيخبر أنه طلب منهم أن يسلموه بنى إسرائيل، يطلقونهم من العبودية ويسلمونه إياهم، وأنه حثهم على الاستجابة لطلبه بأن بين لهم أنه أرسل بهذا الطلب من ربه لم يضف إليه شيئا ولم ينقص منه شيئا، على ما يبين من وصفه نفسه بالأمانة فى الرسالة، وأنه عليه السلام نصحهم ألا يكون منهم الاستعلاء والاستكبار فى أنفسهم يدفعهم إلى التعالى على إطاعة أمر الله وإلى عصيان رسوله، وأنه حاول جذبهم إلى قبول الأدلة التى تثبت صدقه فأوضح لهم أنه سيأتيهم بحجج واضحة تدل على هذا وتدفع إلى اليقين .

كما يذكر تعالى أن موسى عليه السلام قال لقوم فرعون أنه تعوذ بربه وربهم بمعنى أنه التجأ إليه وتوكل عليه ليمنع عنه أذاهم يكون برجمه أو بما هو دونه من العذاب وقد يكون فى القول إشارة إلى أن القوم هددوه بالقتل إذا ما استمر على دعوته إياهم إلى ما يكرهون. وأنه طلب منهم ـ حال إصرارهم على الكفر وعدم الاستجابة له لعدم الإيمان له ـ أن يكون منهم اعتزاله، يكتفون به دون أن يتعرضوا له بالأذى .

■■■■

﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا ۖ إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾

أولا : الأسماء :

الرهو : فى قوله تعالى «واترك البحر رهوا» مصدر من «رها - يرهو رهوا» والمعني السكون، فيكون معنى القول هو «واترك البحر ساكنا»، وقيل هو اليابس .

ثانيا : التفسير:

جاء قوله تعالى «فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون» إيجازا معجزا للمراد إثباته وهو أن القوم لم يؤمنوا وأصروا على البقاء على الكفر، وأن موسى عليه السلام يئس من أن يؤمنوا وأنه دعا ربه أن يجازيهم بما يجازى به الكافرين وأن يعجل لهم الجزاء أو العقاب.

ثم يخبر تعالى عن أمره موسى عليه السلام يسير بمن آمن له من المصريين ومن قوم فرعون وبنى إسرائيل ليلا من مصر، دعاهم تعالى عباده.

كما يخبر تعالى - فى القول - أنه أعلم موسى عليه السلام أنه ومن معه متبَعون، بمعنى أن فرعون وجنوده سيتبعونهم لإعادتهم أو لقتلهم.

وأنه أعلمه أنه سيعبر البحر بمن معه وأن البحر سيكون ساكنا من بعد عبوره أو منفرجا، وأمره أن يتركه على حاله فلا يضربه بعصاه، ثم بين له علة أمره أن يترك البحر على حاله وهى تحقق إغراق فرعون وجنوده فيه.

فيكون المستفاد أنهم سيعبرون من خلف موسى ومن معه ثم يطغى عليهم ماء البحر وموجه فيموتوا غرقى .

■■■■

﴿كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **النعمة** : في قولـه تعالى «ونَعمة كانوا فيهـا فاكهين» بفتح النون، هي النعمـة ينعم بها على المرء فيتنعم بها، تختلف عن النِّعمة بكسر النون قد لا يتنعم بها من ينعم بها عليه.

٢ ـ **الفاكهون** : في قوله تعالى «كانوا فيها فاكهين» جمع، مفرده «الفاكه» وهو من تنعم بما هو ترفي فوق ما هو ضروري وما هو تكميلي .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعـالى ـ في الآيات ـ فـي بيان أثر ما حاق بفـرعون وجنوده، فبين تعالى أنهـم أغرقوا مخلفين وراءهم جنـات كثيرة ـ وهي الحـدائق والبساتين ـ فيهـا تتفجر عيون الماء بمـا يكثر الزرع وما يسـر الأعين. وفي قوله تعـالى «كم تركـوا» جاءت «كم» لبيان الكثرة، كمـا بين أنهم بموتهم قد نزعوا عن زروع لهم ومقام عال كبير كان لهم في البلاد ، ونعم كانوا يتمتعون بها من النعم الترفية .

ثم يذكر تعالى أنه أورث ما خلفوا وراءهم قوما آخرين، قيل إنهم بنو إسرائيل، وقد سبق أن بينا عـدم صحة هـذا القول لأن التـاريخ يثبـت عدم رجـوع بني إسـرائيل إلـى مصر مـن بعد خروجهم مع موسى، وإن جاز تصور عودة المؤمنين لموسى من المصريين إلى وطنهم من بعد خروجهم مع موسـى. والذي نراه ـ والله أعلم ـ أن الذين ورثوا هذه النعـم هم المصريون لأنه

بعد فناء فرعون - وهو آخر ملكوك الأسرة الهكسوسية الأولى - عادت البلاد بما فيها من الخيرات إلى أهلها .

ثم إنه تعالى يبين هوان أمر فرعون وجنوده وعدم الاكتراث بما أصابهم بقوله تعالى «فما بكت عليهم السماء والأرض» شبه فيه السماء والأرض بالإنسان يبكى على فراق العزيز ولا يبكى لفراق من لا قيمة له. كما يخبر عن واقع أنه تعالى لم يمهل فرعون وجنوده إلى يوم القيامة ليكون فيه عذابهم، وأنه تعالى عجل لهم العذاب فى الدنيا ولم يعفهم من عذاب الآخرة.

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾

التفسـير:

يخبر تعالى - فى الآيات - عما كان منه من إنجاء بنى إسرائيل من العذاب المذل المهين المتمثل فى استعبادهم وفى قتل أبنائهم الذكور واستحياء نسائهم، يسومهم إياه فرعون الذى كان تعذيبهم بأوامره ، وصفه تعالى بأنه كان عاليا من المسرفين، بمعنى أنه كان متكبرا مستعليا فى ذاته على عباد الله، كما كان مسرفا فى الكفر والفساد .

ويذكر تعالى أنه اختار بنى إسرائيل ليشملهم برحمته وقتذاك على علم منه تعالى باستحقاقهم هذا، وأنه اختارهم عالين على العالمين - وهم أهل زمانهم - وذلك لأنهم الذين كانوا على ملة التوحيد وعلى شريعة من الله دون غيرهم من الشعوب التى كانت على الكفر بالله والإشراك .

ثم يذكر تعالى أنـه آتاهم من الآيات الدالة على وحدانيته وقـدرته ما يتضمن اختبارا لهم وامتحانا، قد يكون منها فلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى عليهم.

فيكون القول مشيـرا إلى ما كان منهم مـن كفر بهذه الآيات بعبادتهـم العجل، وطلبهم أن تكون لهم آلهة مثل الوثنيين، وهو ما استحقوا به أن من بعد ضربهم بالذلة والمسكنة، وبوأهم بغضب من الله. فيكون مـا ابتلاهم به تعالى هـو البلاء المبين لأنه أظهر حقيقة أمـر من خلفوا الذين اختارهم الله واصطفاهم على علم على العالمين.

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾

التفسـيـر:

يدلل تعـالى - في الآيـات - على مشابهـة كفار مكة المكذبيـن بالبعث آل فرعـون الذين أصروا على الكفر وامتنعوا عـن قبول الأدلة والحجج التى تدفع إلى الإيمـان، فيشير إلى كفار مكة ويخبـر عنهم أنهم يقولـون إنه ليس من مـوت لهم إلا موتتهم الأولـى التى يعرفونهـا، بها تنقضي حياتهم فلا تكـون حياة بعدها و لاموت؛ وأنهم يصرحون بأنهم لـن ينشروا من قبورهم أحياء، فيكون قـولهم تأكيدا لقولهـم إنه ليس سوى مـوتتهم الأولى، وهى الموتـة التى يعنيها قولـه تعالى «وكنتـم أمواتا فـأحياكم ثم يميتكـم ثم يحييكم» أي التـى تكون بعد الحيـاة فى الدنيـــا.

كما يذكر تعالـى من جدالهم فى الحق بالباطل أنهم يطلبـون من رسول الله ﷺ والمؤمنين الذين وعدوهم بالنشور - على سبيل التعجيز - أن يحيوا آباءهم الميتين إثباتا لصدقهم. وقيل إنهم طلبـوا من رسـول الله صلى الله عليه وسلـم أن يحيى لهـم قصى بن كـلاب ليسألـوه فى صحة النبوة والبعث.

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

تبع : هو تبع الأكبر من حِمْيَر في اليمن، قيل إن اسمه أسعد، وقيل إنه كان ملكا انتهى بالجيوش إلى سمرقند ثم رجع وتوجه إلى الشام ثم انطلق عائدا إلى اليمن، وفي الطريق اتجه إلى الكعبة وأسلم وأحرم ودخلها محرما وقضى نسكه ثم قفل عائدا إلى اليمن فأنكر عليه أشراف قومه إسلامه، وخيروه بين العودة إلى دين آبائهم ليظل ملكا عليهم وبين أن يبقى على إسلامه ويتركهم، وقيل إنهم احتكموا إلى الله فأنزل نارا أكلت أصنامهم فآمن معه قوم وكفر آخرون. وقيل إنه بعد موته كفر القوم جميعهم، وقيل إنه لهذا يذكر تعالى - في القرآن - قوم تبع، ولا يذكره .

ثانيا : التفسير:

جاء قوله تعالى - في الآية - في بيان أن كفار مكة لا يستعصون عليه تعالى إن أراد إهلاكهم بعذاب دنيوى. فالاستفهام في قوله تعالى «أهم خير أم قوم تبع والذين من قبلهم» أريد به إثبات أن كفار مكة هم دون قوم تبع والذين من قبلهم ممن أهلكهم الله في القوة، وأن قوة هؤلاء المذكورين لم تغن عنهم من الله شيئا، فيثبت تعالى أنه أهلكهم، ويذكر علة إهلاكه إياهم وهي كونهم مجرمين، أجرموا في حقه تعالى بشركهم به، وفي حق أنفسهم بالإصرار على الكفر فيكون القول تهديدا للمشركين ومنكري البعث بالعذاب الدنيوى .

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - هو فى بيان أن أهل المنطق السوى يفترض فيهم الإيمان بما دعا إليه رسل الله من توحيده وعبادته من ملاحظة آياته فى الكون التى تدعم دعوات الرسل. فيذكر تعالى أنه لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما من قبيل اللهو واللعب الذى لا غاية منه، ثم يثبت تعالى أنه خلقهما وما بينهما بالحق وهو ما ذكر تعالى فى كتبه أنه الحق وهو أنه تعالى الواحد الخالق، فيكون الإيمان به وتوحيد حق، وتكون طاعته وعبادته حق. ويكون ما أخبر به من أمر البعث والجزاء حق، فتكون الغاية من خلق السماوات والأرض وما بينهما هى عبادته تعالى؛ ولهذا لم تكن السماوات والأرض وما بينهما متلبسة بشىء إلا الحق.

ثم أثبت تعالى أن أكثر الناس لا يعلمون هذا الحق، فكان منهم من أنكر وجود الخالق، وكان منهم من أشرك فى عبادته، وكان منهم من أنكر البعث والحساب والجزاء .

إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾

أولا : الأسماء :

يوم الفصل : هو يوم القيامة، يفصل فيه تعالى بين الحق والباطل، وبين المؤمن والكافر، وبين المحسن والمسىء .

ثانيا : التفسير:

بعد أن بين تعالى أن أكثر الناس لا يعلمون الحق، يجهلونه أو يتجاهلونه، فيكون المستفاد أن أقلهم يعلمونه ويتبعونه ذكر تعالى أن يوم القيامة - الذى يفصل فيه تعالى بقضائه بين

الحق والباطل ـ هو ميعاد حساب الذين علموا الحق واتبعوه والذين لم يعلموه أو لم يريدوا أن يعلموه، بجمعهم فيه أجمعين للحساب والجزاء .

ثم بين تعالى أنه في يوم الفصل هذا لا يملك من تولى أمر غيره ليرعاه أن ينفعه بشيء، ولا يكون لمن تولى غيره أمر مصالحه أن يستفيد ممن تولى أمره شيئا، ولا أن ينتصر بسببه أو بسبب ما يؤديه إليه ، فيكون له منه دفع العذاب الذى استحقه عنه .

ثم إنه تعالى استثنى من الحكم الذين رحمهم، والمعنى أنه برحمته تعالى أجاز لهم أن يستفيدوا من نصرة أوليائهم، وقد يكون القول مشيرا إلى المؤمنين العصاة ، يأذن تعالى لمن تقبل شفاعتهم أن يشفعوا لهم ويقبلها فيفيدهم هذا؛ ولهذا جاء قوله تعالى «إنه هو العزيز الرحيم» ليثبت أن مولى لا يغنى عن مولى شيئا، وأن أحدا لا يستفيد من غيره لأنه ليس سوى لله الحكم يوم القيامة، فهو وحده العزيز ذو القدرة، وليثبت أن رحمته تعالى تدرك من يشاء فيعفو عن ذنبه أو يأذن بالشفاعة له ممن أذن له بالشفاعة ثم يقبلها .

إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾
كَٱلْمُهْلِ يَغْلِي فِي ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَٱعْتِلُوهُ إِلَىٰ
سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّواْ فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ
أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

العزيز الكريم: قيل إن المقصود هو أبو جهل قال لرسول الله ﷺ «لقد علمت أننى أمنع أهل البطحاء وأنا العزيز الكريم»، وقيل إنه قال للناس «اسمى العزيز الكريم» فنزلت الآية .

ثانيا : التفسـير:

يخبر تعالى - فى الآيات - عن بعض ما يعذب به المكذبون بالحق فى الآخرة، فيقول تعالى إن شجرة الزقوم - التى تنبت فى أصل الجحيم - هى طعام الكافر، وصفه تعالى بأنه الأثيم لكثرة آثامه ولمقارفته أشدها وهو الكفر، ثم يذكر تعالى أن ما يطعمه منها يكون كهيئة عكر الزيت أو عكر القطران أو الصديد، وأنه فى بطونهم يغلى مثل غلى المادة إذا ما بلغت درجة حرارتها أعلى مستوى لها .

كما يخبر تعالى أنه يقال لزبانية جهنم أن يأخذوه بمجامعه عنوة «خذوه فاعتلوه» ليلقوا به إلى وسط الجحيم، وأن يصبوا فوق رأسه عذابا بولغ فى وصف شدته فوصف بأنه الحميم ذاته أو هو منه، ثم يقال له تقريعا له واستهزاء به «ذق إنك أنت العزيز الكريم» لأنه يلقى من الذل ما يهين ولا يجد طعاما إلا شجرة الزقوم .

إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾

التفسـير:

القول - فى الآية - هو قوله تعالى ، يخاطب الذين كذبوا بالبعث والحساب والجزاء، يشير إلى ما يلقون من العذاب ويخبر عنه أنه الذى كانوا يشكون فيه فى دنياهم. ليعلموا أنهم إنما يعذبون بأفعالهم .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآيات - انتقال إلى بيان حال المؤمنين المتقين فى الآخرة، يذكر تعالى أنهم يكونون فى مقام أمين، والمعنى أنهم يكونـون فى مكان يأمنون فيه مما يكون فيه أذى أو مكروه، ثم بين تعالى ماهية هذا المكان الآمن فذكر أنه جنات وعيون، وبين حالهم فيها بذكره أنهم يلبسون ثيـابا من رقيق الـديباج ومن غليظه وأنهـم يجلسون متقابلين يستـأنس بعضهم بحديث البعض ومسامرته. ثم يضيف تعالى قـوله «كذلك وزوجناهم بحور عين» فكأنه يكون إن الأمر هو ذلك وما هو فوقه أو يزيد عليه، ثم يخبـر عن هذا الذى يزيد عليه بأنه تزويجهم أو إنكاحهم حورا من إناث الجنة شديدات سواد العيون وبياضها ذوات عيون عظيمة واسعة.

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ
إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾

التفســـــير:

قوله تعالى لايزال فى بيان حال المؤمنين المتقين فى الجنات والعيون، فيذكر تعالى أنهم يطلبون فيها ما يشتهون من أنواع الفواكه آمنين أنهم يجدون ما يطلبون وأنهم يتلذذون بأكله لا ينالهم أذى ولا ضـرر. كما يبين تعالـى أنهم يأمنون المـوت، فيخبر تعالى أنهـم لا يذوقون إلا الموتـة الأولى - وهى التـى كانت فـى دنياهم - فيكون المستفاد هو أنـه ليس لهم مـوت فى الجنة، كما يذكر تعالى أنه وقاهم عذاب الجحيم فهم فى أمان منه .

ثم يبين تعالى أن جميع ما يتمتع به المتقون فى الجنات والعيون هو من فضله تعالى الذى تفضل به عليهـم، ويخبر عنه بأنـه هو الفوز العظيم، الـذى يتضاءل بالقياس بـه أى فوز، حتى لكأنه وحده هو الفوز والكسب، مع وصفه بالعظم .

﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَارْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾

التفسـير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ فى الآيتين، أعلمه أنه جعل القرآن العظيم على لسانه ﷺ سهلا مفهوما، فيكون القول متضمنا الأمر بالتذكير بالقرآن العظيم الذى سهله تعالى على لسانه ﷺ لكى يفهمه قومه ويعوه ويعملوا به. ثم إنه تعالى لما كان عالما أن منهم من يصر على الكفر فيعرض عن القرآن فإنه تعالى طلب من رسوله ﷺ أن ينتظر ما يحل بهم من عذاب ربه، ثم أخبره أنهم أيضا ينتظرون منكرين ما توعدوا به. فيكون القول وعدا منه تعالى بالانتقام من أئمة الكفر لدينه ولرسوله وللمؤمنين.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجاثيـة



التفسـير:

افتتحت السورة بأسماء الأحرف «حمٓ» آية، وبعدها قوله تعالى «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم»، وقيل إن «حمٓ مبتدأ، و«تنزيل» خبره. وقيل إن «تنزيل الكتاب» مبتدأ، و«من

الله» خبره. وقد سبق القول إن الـراجح فى أسماء الأحرف أنها من المتشابـه. وفى الآية الثانية أخبر تعالى عن تنزيل الكتاب أنه تنزيل منه تعـالى، وصف ذاته بأنه العزيز الحكيم، لبيان أنه بعزتـه التى لا تقهر يعـز كتابـه ويحفظه وأنه أنـزله بحكمته متضمنـا كل مـا هو حكيم لا ينـاله الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى ذكر آيات من آياته تعالى الكونية، أو من آياته فى الخلق يبين تعالى أنها تدعو أصحاب العقول إلى الإيمان به خالقا، وتوحيده وعدم الإشراك به.

فيذكر تعـالى أن فى السماوات والأرض آيـات تدل الذين يـؤمنون بالحجج العقليـة على قدرته ووحدانيته تدفع إلى الإيمان به ورسوخ الإيمـان لدى المؤمنين، كما يذكر تعالى أن فى خلق الناس ـ المخـاطبين ـ بالقول ـ يـدخل فى هذا خلق أبيهم آدم مـن طين الأرض، وخلق حواء منه، ويدخل فيه خلقهم من حيوان منوى وبويضة، أن فى هذا آيات تدفع الذين لديهم الاستعداد للاقتناع بطريق الدليل إلى الإيمان اليقينى بـأنه تعالى وحده الخالق القادر على ما لا يقدر عليه غيره المستحق العبادة.

ثم يذكر تعالى أن في خلفة الليل النهار وخلفة النهار الليل، واختلاف الليل عن النهار في المظهر وفيما يباشر في كل منهما من الخلق، وكذا في إنزاله من السماء المطر ـ وهو بعض من رزقه ـ يكون به إنبات الأرض القفر المجدبة وإحياؤها، وفي تصريفه الرياح تتحرك من مناطق الضغط العالي إلى مناطق الضغط المنخفض. تختلف شدة ونوعا بين النسيم، والرياح الخفيفة النشطة، والشديدة، والعاصفة، والزوبعة والإعصار. إن في ذلك جميعه آيات لأصحاب العقول تدل على أن خالق الكون والمتصرف فيه واحد أحد، هو الجدير وحده بالعبادة والتوحيد.

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن آياته في الخلق أنها تدعو إلى الإيمان به وتوحيده بذاتها إذا ما كان تعقل الأمور وتوافر الاستعداد للاقتناع، فإنه تعالى ـ في الآية ـ بدأ في الحديث عن آياته المنزلة في الكتاب فبين منزلتها وقدرها تمهيدا لبيان موقف الناس منها، مع خص الذين أصروا على الكفر بذكر عاقبة تعاميهم عن الحق .

وفي الآية يشير تعالى إلى آيات القرآن العظيم نسبها تعالى إليه لكونها كلام الله أحسن الحديث، ثم بين أنها تتلى على رسوله ﷺ بواسطة جبريل عليه السلام متلبسة بالحق، ثم جاء قوله تعالى «فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون» متضمنا تعظيما للآيات ببيان أنه ليس من قول يبلغها كمالا، فإن لم يكن بها إيمان فليس من قول بعدها يتصور أن يكون به اقتناع وإيمان، لأن من لا يؤمن بحديث الله لا يتصور فيه أن يؤمن بحديث من هو دونه تعالى كما أن القول يتضمن تعجيبا من أمر الذين لا يؤمنون بآياته تعالى .

■■■■■

وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ
ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ
بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ
عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا
وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الأفاك الأثيم : فى قوله تعالى ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾ قيل إن المقصود هو أبو جهل، وقيل هو النضر بن الحارث الذى كان يشترى قصص الفرس ويرويها ليشغل بها القوم عن سماع القرآن. ونرى ـ والله أعلم ـ أنه بفرض أن القول نزل فى أحدهما فإن المعنى يسع كل من يقول فى القرآن كلمة الكذب فيأثم بهذا، ويتكرر منه الفعل والإثم .

ثانيا : التفسير :

توعد تعالى بالعذاب كل مكذب الحق آثم بهذا، يتكرر منه التكذيب وارتكاب الإثم به، ثم وصف تعالى الكذاب الأثيم، أو إنه ذكر ما استحق به أن يوصف بأنه أفاك أثيم فقال إنه يستمع إلى آيات الله تتلى عليه ثم يكون منه الإصرار على الكفر بها والإقامة على هذا الكفر، فلا تغير من حاله، يكون ذلك منه استكبارا وتعاليا على الحق، فيكون أمره كأنه لم يسمعها.

والقول ـ بهذا المعنى ـ يشير إلى أن من شأن سماع آيات القرآن العظيم ممن لم يصر على الكفر أن يدفعه إلى الإيمان بأنها الحق منزلة من الله الملك الحق.

ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ فيأمره أن ينذر كل أفاك أثيم بالعذاب الأليم. جاء التعبير عن التوعد والإنذار بالتبشير من قبيل السخرية والاستهزاء، مقابل استكباره على الحق.

ويصف تعالى من أفعال الأفاك الأثيم أيضا أنه يكون منه إذا ما بلغه شيء من آياته تعالى المنزلة أن يستهزئ بجميع الآيات، إذ يتخذ مما سمع مطعنا على آياته تعالى بالباطل، وقيل لأنه إذا طعن فى آية بعدم الصحة فقد طعن فى الكتاب كله.

وفى القول يشير تعالى إلى المستهزئين بآياته ويخبر عنهم أنه يكون لهم عذاب يهينهم ويذلهم، ثم يبين هذا العذاب بذكره أن جهنم تكون من ورائهم، ولما كان حالهم أنهم يكونون متوجهين إليها، فإنها تكون أمامهم.

فيكون المعنى هو أن عذاب جهنم يحيط بهم من وراء وأمام، لا ينفعهم بشيء ما غنموا من مال وما اكتسبوا من سمعة بين الكافرين يتعلق بالقدرة على المجادلة، ولا يدفع عنهم شيئا من العذاب ما توافر لهم من الأتباع ولا ما عبدوا من دون الله تعالى من معبودات، بل يكون لهم عذاب عظيم.

﴿هَٰذَا هُدًى ۖ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾ ⑪

التفسير:

يشير تعالى إلى القرآن العظيم ويخبر عنه أنه هدى. والمعنى أنه هاد بنفسه إلى الحق، فيكون المعنى أن من لا يؤمن به يكون على ضلال من الأمر.

ولهذا فإنه تعالى أثبت فى الآية أن الذين كفروا بالقرآن يكون لهم عذاب من القذارة أليم، مثل تجرع الصديد يغلى فى البطون.

■■■■

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ عود إلى ذكر بعض آياته تعالى في الخلق مما يستدل به على قدرته التي لا يبلغها أحد من خلقه والتي هي من قبيل النعم التي أنعم بها على الناس بما يستوجب شكره عليها.

فيذكر تعالى أنه سخر البحر للناس لتجرى الفلك فيه بأمره، وهو ما كان منه تعالى بجعله الأجسام تطفو على الماء لا تغرق فيه وفق قوانين استنتجها الناس واستخلصوها مما جعله تعالى سببا علميا لذلك، وبجعله الفلك تسير في البحر بأمره تعالى لا تسكن فيكون الماء لها طريقا تجتازه، كما سخره لكي يفيد الناس منه بالسفر فيه للتجارة وهي بما تحققه من كسب فضل تفضل به تعالى على الناس، وليصيدوا منه الأسماك، ويستخرجوا اللؤلؤ، وغيره من المعادن والبترول من قاعه. ثم إنه تعالى بين للناس أنهم عليهم واجب شكره تعالى على نعمه هذه.

ويذكر تعالى أيضا أنه الذى سخر لهم ما في السماوات وما في الأرض جميعا منه، فبين أن جميع ما في السماوات والأرض هو منه تعالى، لم يكن ليكون لولا أمره تعالى بقوله «كن»، كما بين أنه تعالى سخر ما في السماوات والأرض لمصلحة الإنسان. فلا يتعجب أحد من هذا القول الذى نكتفي في التدليل على صحته علميا بإثبات الآتي: إن الشمس نشأت بكتلة معينة وبحجم معين ودرجة حرارة معينة لتعطى انبعاثا حراريا معينا، ثابتا يناسب نمو الحياة على الأرض، لو اختلف ما كانت على الأرض حياة.

وأنه تعالى جعل الأرض تتكون بالانفصال من الشمس بكتلة معينة وحجم معين، فلو كانت صغيرة لكانت قد عجزت عن الاحتفاظ بالغلافين الجوى والمائى اللذين يحيطان بها، ولبلغت الحرارة فيها درجة الإماتة؛ ولو كانت أكبر مما هى عليه لكانت جاذبيتها للأجسام أكبر، ولكان الضغط الجوى قد زاد بما يؤثر على الحياة على الأرض، وأنه تعالى الذى جعل المسافة بين الأرض والشمس نحو ثلاثة وتسعين مليون ميل، وهذه المسافة هى التى تجعل الأرض تستقبل من أشعة الشمس ما يكفى فقط لنمو الحياة.

ولو بعدت الأرض عن الشمس ضعف هذه المسافة مثلا لكان نقص كمية الحرارة التى تتلقاها من الشمس إلى ربع كميتها الحالية، وقطعت الأرض دورتها حول الشمس فى وقت أطول وتضاعف طول فصل الشتاء وتجمدت الكائنات الحية على سطح الأرض، ولو نقصت المسافة بين الأرض والشمس لزادت درجة الحرارة على الأرض وزادت سرعتها المدارية حول الشمس وصارت الحياة مستحيلة. وهذا قليل من كثير يثبت تسخيره تعالى ما فى السماوات والأرض لصالح الإنسان؛ ولهذا جاء قوله تعالى «إن فى ذلك لآيات لقوم يتفكرون» مبينا أن التفكير فى خلقه تعالى على أساس من العلم من شأنه أن يؤدى إلى الإيمان اليقينى بوحدانية الله الخالق وبعظيم قدرته، فتكون آياته تعالى فى الخلق سببا لرسوخ إيمان الذين يتفكرون.

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾
مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

أولا: الأسماء:

أيام الله: قيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هو ثواب الله، وقيل هو بأسه تعالى وانتقامه،

ونرى ـ والله أعلم ـ أنها الأيام التي شرعها تعالى فى التوراة لتكون «مواسم الرب» يتم فيها التقرب إليه تعالى بالعبادة والأضحيات. ولايزال منها ذكر فى الإصحاح الثالث والعشرين من سفر «لاويين» من التوراة التي بين أيدينا اليوم. ويدعم رأينا الواقعة التي قيل إنها سبب نزول الآية وهي قول يهودى حين سمع قوله تعالى «من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا»: قول اليهودى «احتاج رب محمد» فلما سمع عمر رضى الله عنه أخذ سيفه وخرج ليقتل اليهودى، فجاء جبريل إلى رسول الله ﷺ وقال له «إن ربك يقول للذين آمنوا أن يغفروا للذين لايرجون أيام الله»، لأن النص يكون قد أثبت أن الذى قال الباطل كان يهوديا ممن خالفوا أمر الله فى التوراة فلم يطيعوه.

ثانيا : التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للمؤمنين أن يغفروا للذين لايرجون أيام الله، فيكون منهم أنهم يغفرون ــ والمعنى العام هو أن يكون من المؤمنين أن يغفروا للذين لايرجون ثواب الله تعالى أو الذين لايتقون عذابه ما يقع منهم من أخطاء فى حقوقهم.

والمعنى الخاص هو أن يغفروا لأهل الكتاب الذين يتبعون شريعة موسى عليه السلام ظاهرا ويخالفونها باطنا ـ على ما يدل عليه وصفهم بأنهم الذين لايرجون أيام الله وهى الأيام التي حددها مواسم لعبادته تعالى على نحو معين ووفق طقوس وتعاليم معينة ـ أن يغفروا لهم ما يقع منهم من أخطاء فى حقوقهم، وعلى هذا المعنى لايكون حكم الآية منسوخا بآية القتال، لتعلق حكم الآية بالأخطاء البسيطة التي تقع فى حقوق المسلمين بصفتهم أفرادا.

وفى النص يبين تعالى علة الأمر بأنه مجازاة قوم بما كانوا يكسبون، والمعنى أنه تعالى يثيب من يمتثل لأمره فيعفو، ويعاقب من أخطأ فى حق العافى. ثم إنه تعالى أكد هذا المعنى بذكره أن من يعمل صالحا فإنه يكون قد عمله لصالح نفسه، وهذا هو حال العافى عن المسىء امتثالا لأمر ربه، وأن من يعمل سيئا فإنه يكون قد عمله وبالا على نفسه، وهذا هو حال المسىء إلى العافى.

وفى القول بين تعالى حتمية أن ينال كل من المحسن بالعفو، والمسىء بالاعتداء جزاءه ببيان رجوع الخلق إليه تعالى للحساب وللثواب والعقاب.

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾

التفسير:

قد يكون قوله تعالى - فى الآيتين - مثبتا رأينا أن المراد من «أيام الله» هى «مواسم الرب» المذكورة فى التوراة، فيكون المسيئون هم الذين عصوا الشريعة التى يدعون أنهم عليها من اليهود. إذ يذكر تعالى أنه آتى بنى إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة، فهو تعالى أنزل إليهم التوراة، وآتى داود عليه السلام الزبور ثم أنزل على عيسى عليه السلام - وهو من بنى إسرائيل - الإنجيل فآمن له البعض وكفر به آخرون، كما أتاهم الحكم بجعل أنبياء منهم ملوكا إذ كان كل من داود وسليمان ملكا نبيا، كما جعل منهم أكثر الأنبياء، ويذكر تعالى أنه رزقهم من الطيبات وهو رزقهم بالمن والسلوى وهم فى سيناء، ورزقهم خيرات فلسطين بعد أن دخلوها مع يوشع بن نون، كما يذكر أنه فضلهم على العالمين فى زمان تفضيلهم حين كانوا هم المؤمنين وكان غيرهم وثنيين، أو أنه فضلهم بمعجزات لم تكن لغيرهم مثل فلق البحر وإظلال الغمام.

كما يذكر تعالى أنه آتاهم أدلة بينة واضحة فى أمور الدين، ويثبت أنهم اختلفوا فى أمور الدين، وأن اختلافهم هذا إنما كان من بعد ما جاءهم العلم الصحيح بالدين بتفسير موسى

عليه السلام أحكام الشريعة لهم، وبتصحيح تطبيقهم لها بواسطة من بعث فيهم من الأنبياء، ثم بواسطة المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام .

ويبين تعالى أن اختلافهم فى أمور الدين لم يكن الباعث عليه هو قصد استنباط الحكم الشرعى من النص، وإنما كان ما بين بعضهم والبعض من عداوة وتحاسد. وأعقب تعالى ذلك ببيانه أنه تعالى يفصل بينهم يوم القيامة فيما كانوا يختلفون فيه فى دنياهم، إذ يجازيهم بما كان منهم من انحراف بالنصوص عما أنزلت به وفيه وبدوافعهم التى أدت إلى اختلافهم.

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ
شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ
لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ
وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾

التفسـير:

بعد أن بين تعالى أن أهل الكتاب اختلفوا فى شئون العقيدة والشريعة من بعد أن جاءهم العلم الصحيح بها، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ معرفا أنه جعله على شريعة من الأمر، فبين أن ما أنزل إليه ﷺ هو عقيدة وشريعة، وبين أن شريعته تعالى المنزلة على رسوله هى الشريعة المنزلة ـ من بعد شريعة موسى ـ على ما يبين من «ثم» ـ ثم جاء أمره تعالى رسوله ﷺ ـ باعتباره رأس المؤمنين ـ باتباعها، أى أنه تعالى ألزم باتباع الشريعة الإسلامية، ونهاه عن اتباع الذين لايعلمون، يدخل فيهم الذين لايعلمون أن شريعة الإسلام نسخت شريعة موسى عليه السلام لأنها لاتصادف هوى نفوسهم أو لأن هوى نفوسهم هو عدم اتباع شريعة أنزلت على

نبى من غير بنى إسرائيل، وهم اليهود ويدخل فيهم كفار قريش الذين لا يعلمون أن عقيدة الإسلام وشريعته هما الدين الحق اتباعا لأهوائهم التى لاتنصرف عن عبادة ما كان يعبد آباؤهم ولا عما إعتادوه من الأعراف البالية .

ثم إنه تعالى يحث رسوله ﷺ على إطاعة أمره ونهيه بإعلامه أن الجاهلين المتبعين أهواءهم لن يغنوا عنه من الله شيئا إن هو أطاعهم، والخطاب ـ وإن كان على الظاهر موجه إلى رسول الله ﷺ ـ موجه إلى المؤمنين، يعرفهم ربهم أنهم إن يطيعوا هؤلاء فإنهم يتعرضون لحساب الله وجزائه بالعقاب، لاينفعهم بشىء الذين أطاعوهم.

ثم يبين تعالى أنه ليس للمؤمنين أن يتخذوا الكافرين ـ وصفهم تعالى بأنهم الظالمون ـ أولياء، ببيان أن الكافرين بعضهم أولياء بعض، وأنه يتعين على المؤمنين أن يتقوه تعالى باتقاء غضبه يحل بهم إذا عصوه فيكون تعالى وليهم والمدافع عنهم فهو تعالى ولى المتقين .

ثم إنه لما كان القرآن العظيم هو الذى أورد العقيدة الصحيحة. والشريعة الناسخة الدائمة، فإنه تعالى أشار إليه وأخبر عنه أنه بصائر للناس بمعنى أنه بمثابة الأبصار للقلوب والنفوس، وأنه هدى ورحمة لقوم يوقنون فهو يهدى إلى الحق وإلى رضاء الله تعالى وجنته فيكون رحمة لمن يؤمن به إذ ينجيه من العذاب ويكسبه الجنة وحسن الثواب، يكون كذلك للذين يستمعون إليه بقلوب تقبل الاقتناع ولا تصر على الكفر تؤمن بالله وبرسوله وتوقن بأن القرآن كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ - الذين اجترحوا السيئات : قيل إن المقصودين بالقول هم عتبة وشيبة ابنا ربيعة، والوليد ابن عتبة. والقول - بالمعنى العام - يدخل فيه كل من قرفوا السيئات، وفى معنى القول هم الكافرون .

٢ - الذين آمنوا وعملوا الصالحات : قيل إن المقصودين بالقول هم على كرم الله وجهه، وحمزة وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهما. والمعنى للقول يشمل جميع المؤمنين الذين عملوا الصالحات .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - هو فى بيان عدم استواء الحال بين الكافرين العاملين السيئات وبين المؤمنين العاملين الصالحات، وبيان فساد عقيدة الكافرين المؤمنة بغير هذا، ثم هو فى بيان علة الحكم بعدم الاستواء .

فالاستفهام فى قوله تعالى «أم حسب الذين اجترحوا السيئات» يبين اعتقاد الكافرين أنه تعالى يساوى بينهم وبين المؤمنين الذين يعملون الصالحات، وفى هذا قيل إن عتبة وشيبة والوليد بن عتبة قالوا لعلى كرم الله وجهه وحمزة وعبيدة بن الحارث رضى الله عنهما «والله ما أنتم على شىء، ولئن كان ما تقولون حقا، لحالنا أفضل من حالكم فى الآخرة كما هو أفضل فى الدنيا» فنزلت الآية، ثم إن الاستفهام هو لإنكار الحسبان أو الاعتقاد الذى عليه الكافرون، ولإثبات أنه لايكون استواء حال بين الكافرين الذين اكتسبوا السيئات وبين المؤمنين الذين عملوا الصالحات، ينتفى هذا الاستواء فى الحياة والممات. إذ فى الحياة يكون الكافرون على العصيان، ويكون المؤمنون على الطاعة، وفى الآخرة يبعث الكافر كافرا إلى العذاب. ويبعث المؤمن مؤمنا إلى الثواب والجنة. وقيل إن المعنى هو أنه لايكون تساوى الحال فى الحياة والموت معا، وإنما يكون فى الحياة لشمول رحمة الله المؤمن والكافر، ولايكون فى الآخرة حين لاتشمل رحمة الله إلا المؤمن .

وبعد أن بين تعالى هذا جاء تقريره تعالى فى شأن اعتقاد الكافرين وما يقولون به بقوله تعالى ﴿ساء ما يحكمون﴾ بمعنى بئس الحكم ما حكموا به.

ثم إنه تعالى دلل على بطلان حسبانهم واعتقادهم بذكره أنه خلق السماوات والأرض بالحق، والحق يفيد بالضرورة إعمال العدل، وهو ما يقتضى عدم المساواة بين المحسن والمسىء؛ ولهذا كان من مقتضى الحق والعدل أن تجزى كل نفس بما صدر منها وكان، من كفر أو إيمان، وإساءة أو إحسان. ثم أكد تعالى أن نفسا من الأنفس لا تظلم. وهذا هو العدل الذى دل عليه خلقه تعالى السماوات والأرض بالحق .

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

من اتخذ إلٰهه هواه : قيل إن المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الحارث بن قيس السهمى. كان يعبد ما تهواه نفسه، وقيل إنه المشركون الذين كانوا يعبدون الحجر أو الصنم فإذا رأوا ما هو أجمل منه تركوا عبادة الأول وعبدوا الآخر، وهو ـ فى المعنى العام ـ كل من يخضع لهوى نفسه خضوعا تاما، فيتبعها فيما توسوس به إليه.

ثانيا : التفسير:

يخاطب تعالى ـ فى الآية ـ رسوله ﷺ فى شأن فئة من المشركين كانوا منساقين لهواهم حتى إنهم عبدوا ما راق لهم شكله من الحجارة والأصنام لمجرد أنهم استملحوها، فجاء قوله تعالى للتعجيب من أمرهم باتخاذ أحدهم ما يهوى إلٰها له يعبده من دون الله. ثم يثبت تعالى أنه أضله عن الهدى على علم، بمعنى أنه تعالى علم أنه يختار الضلال على الهدى، فصرفه عن الهدى ويسره للضلال الذى هو أهله، وكان منه تعالى معه أنه ختم على سمعه

وقلبه فلم يتأثر بالقرآن العظيم ولا بدعوة رسوله ﷺ ووعظ الواعظين، ولم ينفتح قلبه للتفكر فى آيات الله فى الخلق وآياتـه المنزلة فى الكتاب، وجعل على بصره غشـاوة بمعنى أنه لم يبصر آيات الله الدالة على وحدانيته وقدرته - ثم إنـه لما كان من شأن من يضله الله ألا يكون له هاد يهديه، فقد جاء قوله تعالى «فمن يهديه من بعد الله» لبيان أنه ليس له أن يكون من المهتدين، لأنه يعدم هاديا يهديه بغير إذنه تعالى، وقد شاء تعالى ألا يهديه. وقوله تعالى - فى ختام الآية - «أفـلا تذكرون» هـو بمثابة أمـر للمؤمنين بمـلاحظة حـال العابديـن هواهم والاتعـاظ بهذا، والاستيثاق من أن الهادى هو الله، يحمدونه على هدايتهم إلى الحق بإذنه .

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾

أولا : الأسـماء :

الدهـر : هو - فى الأصل - اسم لمدة العالـم من بدء الخلق إلى انقضائه، وجرى التعبير به عن كل مدة طويلة .

ثانيا : التفسـير :

قوله تعـالى - فى الآيـات - هو فى طـائفة من الكافـرين عرفوا بـاسم «الدهريـن» يمكن تشبيههم بطائفة مـن الكافرين فى العصر الحـاضر هم «الطبيعيون» الذين يقـولون إن الطبيعة

هى التى أوجدت المخلوقات بتوافر أسباب الخلق بطريق الصدفة، وأن الموت أيضا يتم بحكم الطبيعة، وأنه ليس من بعث بعد الموت ولا حساب.

فيذكر تعالى أن هؤلاء الكافرين يقولون إنه ليس من حياة سوى حياتهم الدنيا التي يحيونها، يموت منهم أناس ويولد أناس، وأن الذى يميت الناس هو طول الزمان بهم.

وفى شأن بيان ضلال هؤلاء وبعدهم عن الحق ذكر تعالى أنه ليس لهم مصدر علمى لما يقولون به ولا سند يدعم قولهم من دليل عقلى أو نقلى، ويثبت أن ما يقولون به هو محض ظن جال فى نفوسهم فقالوا به.

ثم ذكر تعالى ما يبين منه انصرافهم عن الدليل يثبت خطأهم بذكره تعالى أنه حين تتلى عليهم آياته التى تبين فساد عقيدتهم ومنها هذه التى تثبت قدرته على الخلق وتسيير المخلوقات، وإحياء الأرض بالمطر من بعد موتها، يكون منهم التمسك بأقوالهم الفاسدة وإن عدموا دليلا عليها فلا يكون منهم إلا الاحتجاج الواهن بطلب بعث آبائهم الأموات من الموت بإحيائهم ليكون دليلا على صدق القائلين بالبعث والحساب والثواب والعقاب.

ثم يخاطب تعالى رسوله ﷺ في شأن هؤلاء الدهريين فيأمره أن يقول لهم إن الله تعالى هو الذى يحييهم والناس ابتداءً، ثم يميتهم عند انقضاء آجالهم التى قدرها لهم ثم يجمعهم أحياء من بعد البعث يوم القيامة، يثبت لهم أنه حق لا ريب فيه.

ثم يقول لهم إن أكثر الناس لا يعلمون هذه الحقائق أو يتصرفون كأنهم لا يعلمونها. ويتصور فى القول أن يكون قوله تعالى، فيكون المعنى هو أن أكثر الناس لا يعلمون أن يوم القيامة لا ريب فيه.

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان أنه مالك السماوات والأرض وما بينهما وما خلق فى ذلك جميعه فى الدنيا والآخرة، وأنه فى يوم القيامة الذى لاريب فيه تكون خسارة المبطلين محققة. يدخل فيهم الذين اتخذوا هواهم آلهة عبدوها ويدخل فيهم الدهريون كما يدخل فيهم كل من اعتنق عقيدة باطلة من بعد أن بلغته رسالة رسول الله ﷺ.

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً
كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا
كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ الجاثى: فى قوله تعالى «وترى كل أمة جاثية» اسم فاعل من «جثى ـ يجثو» وهو البارك على ركبتيه. وقد يكون المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الخاضع.

٢ ـ الكتاب: فى قوله تعالى «كل أمة تدعى إلى كتابها» يتصور أن يكون المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو كتاب الله الذى أنزل على نبى الأمة، ويتصور أن يكون صحيفة الأعمال، وقيل هو اللوح المحفوظ.

ثانيا: التفسـير:

الخطاب ـ فى الظاهر ـ موجه إلى رسول الله ﷺ، وهو إلى كل من تتأتى منه الرؤية، وموعده يوم القيامة، يرى فيه الرائى كل قوم بعث فيهم رسول من رسل الله دعا بما أنزل إليه من ربه فى كتاب أو صحيفة، أو بما أنزل تعالى من قبل على رسله، وقد بركوا على ركبهم أو

خضعوا لأمر الله فيهم، يدعون للحساب بما كـان منهم من الإيمان أو الكفر بما ورد فى كتاب رسولهم، ومـن عمل به أو عصيان. أو إنهـم يدعون ليحاسبـوا بما دون فى صحف أعمـالهم، وأنه يقال لهم «اليوم تجزون ما كنتم تعملون» بمعنى أنهم فى ذلك اليوم يلقون جزاء أعمالهم التى عملوا فى دنياهم .

ثم إنه تعالـى يشير إلى الكتاب الذى تدعى إليـه كل أمة أو يدعى إليه قـوم كل رسول ومن بعث لهم ويخبـر عنه أنه كتابه تعالـى، تشريفا له وبيانـا لكونه منزلا منه ـ إن كـان هو الكتاب المنزل على الرسـول ـ أو لكونه قد سطر بأمـره ـ إن كان هو صحيفة عمل كل فـرد ـ ويخبر أنه ينطق على الأمة أو على صـاحبه بما هو حق. ويبدو أن القول يقال لكـل أمة أو لكل قوم على مسمع من الرائى فيشهده.

كما يذكر تعالى أنـه يقال لأفراد كل أمة أنه تعالى كان يثبت فـى الكتاب ما كانوا يعملون فى دنياهم، والمعنى أنه تعالى أمر بتدوين كل فعل أو عمل يفعله أو يعمله الفرد فى دنياه، وأن ما أمر به كان، ولهذا كان الكتاب ناطقا بالحق.

وقد يكـون هذا دليـلا على أن الكتـاب هو صحيفـة عمل كـل فرد. والقـول تأكيـد لمعنى محاسبة كل فرد بالعدل .

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ
فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ
وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا
وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه فى يوم القيامة تجمع الأمم جاثية للحساب، وأن الناس يحاسبون بأعمالهم المثبتة فى صحف أعمالهم، جاء قوله تعالى - فى الآيات - فى بيان مصير الذين آمنوا بكتب الله المنزلة على رسله وما دعوهم إليه وقرنوا ذلك بعمل الصالحات، وفى بيان ما يقال للذين كفروا بكتب الله وما دعاهم إليه الرسل وهو قول يستدل منه على مصيرهم.

فذكر تعالى أن الذين آمنوا بالكتب والصحف المنزلة على الرسل الذين بعثوا إليهم وبما دعاهم إليه الرسل، وقرنوا ذلك بالعمل به فكان عملهم صالحا، يكون منه تعالى أن يدخلهم فى رحمته، ومعلوم أنه ما من أحد يدخل الجنة بعمله وإنما يدخلها برحمة الله، فيكون القول مثبتا دخولهم الجنة.

ثم يصف تعالى إدخالهم فى رحمته بأنه هو الفوز المبين، بمعنى أنه الكسب الظاهر الواضح الذى لايستأهل كسب أن يدعى فوزا بالقياس به.

كما ذكر أنه يقال للذين كفروا - تقريعا وتوبيخا - «ألم تكن آياتى تتلى عليكم فاستكبرتم وكنتم قوما مجرمين» وفيه بيان لواقع دعوتهم إلى الإيمان وإلى تلاوة آياته تعالى المنزلة عليهم وفيها ما يبعث على الإيمان، كما أن فيه إثباتا بإجرامهم فى حقه تعالى وحقوق أنفسهم بكون إعراضهم عن آياته تعالى وكفرهم بها كان وليد استكبارهم فى أنفسهم على الإيمان بآياته تعالى والتخلى عن عقائدهم الباطلة.

فيكون القول مثبتا عليهم أنهم إنما يعذبون بإجرامهم عدلا من الله وحقا.

وذكر تعالى أيضا أنه مما يقال لهم أنه كان منهم إذا ما قيل لهم من رسلهم والمؤمنين إن وعد الله بالآخرة والحساب حق، وإن الساعة - وهى يوم القيامة، أو ساعة الحساب - حق لاشك فيه، كانوا يبدون استغرابهم لما يسمعون بقولهم إنهم لا يعلمون ما هى الساعة، ويضيفون قولهم «إن نظن إلا ظنا» بمعنى أنهم لايترددون فى قبول شىء ترددهم فى قبول

الحديث عن الساعة، ولا يشكون فى شىء شكهم فى الساعة ويؤكدون هذا المعنى بقولهم «وما نحن بمستيقنين» بمعنى أنهم غير متيقنين من أمرها فى الحال وأنهم لن يتيقنوا منها فى المستقبل .

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا
بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا
وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ
هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو بيان لما يكون مع الكافرين فى الآخرة وما يقال لهم بمناسبة مواقعتهم العذاب، فيذكر تعالى أنه يظهر للكافرين قبائح أعمالهم بمعاينة العذاب عليها، وأنه يحل بهم العذاب الذى كانوا يستهزئون به فى الحياة الدنيا حين ينذرون به.

ويخبر تعالى أنه يقال لهم «اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين» فيه تعذيب نفوسهم بإخبارهم أنهم يتركون فى عذاب جهنم كأنهم بعد إلقائهم فيها ينسون فيتركون فيها لا يخرجون منها، فيكون القول مفيدا معنى خلودهم فى العذاب. وفيه إعلام لهم بأن تركهم فى النار إنما كان جزاء على تناسيهم أو نسيانهم يوم القيامة والحساب فى دنياهم وعدم العمل له، فيكون جزاؤهم من جنس عملهم. ثم إنهم يخبرون بأنهم يعدمون ناصرا يخرجهم من العذاب أو يخفف عليهم منه شيئا .

كما يذكر تعالى أنه يبين لهم علة تعذيبهم ونسيانهم فى العذاب ببيان سبب ذلك، وهو

أنهم فى دنياهم كانوا يستهزئون بآيات الله، وأنهـم اغتروا بالحياة الدنيا فعملوا لها دون العمل لآخرتهم .

ثم يخبـر تعالى عـن خلودهم فـى النار بتصريحـه أنهم لا يخرجـون منها ، كما يخبـر عن انقطاع الأمل فى أن يرضى تعالى عنهم بإثباته أنهم لا يستعتبون .

فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

التفسـيـر:

لما كانـت السورة قد تضمنت ذكر آيـاته تعالى فـى الخلق التى هى من قبيـل النعم التى أنعم بها على الإنسان، كمـا تضمنت محاسبته الكافرين بعدله ومحاسبتـه المؤمنين برحمته، وكان ذلك جميعـه هو مما يوجب حمـده تعالى وشكره، جـاء قوله تعالى «فللـه الحمد»، ثم وصف تعالى ذاته بأنه رب السماوات والأرض رب العـالمين، لبيان أنه إنما أنعم على جميع خلقه بالنعم التى توافق جنس كل منهـم فى السماوات وفى الأرض وفيما بينهما، بحكم كونه الرب المتولى أمور عباده .

ثم أثبـت تعالى أنـه وحده الذى لـه الكبريـاء فى السماوات والأرض، ليثبـت أن استكبار الكافرين على آياته هو ظلم لأنفسهم من بعد ظلمهم ربهم صاحب الكبرياء وحده.

كمـا أثبـت أنـه وحـده العـزيـز الـذى لا يقهر، والغـالـب علـى أمـره، ليبيـن أن تعـذيـه المسـتكبرين كان بموجب عزته، وأثبـت أنه الحكم الذى لم يخلق السماوات والأرض وما بينهما لهوا ولعبا، وإنمـا لحكمة، وأن هذه الحكمة هى التى أوجبت تنعيـم المؤمنين وعذاب الكافرين .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحقــاف



التفســــير:

افتتحت السورة بقوله تعالى «حمٓ» آية، وقوله تعالى «تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم» (آية) والقول هو عين ما افتتحت به سورة الجاثية، وتفسيره هو ذات ما سبق بيانه، نجتزىء منه أنه تعالى يثبت أن القرآن العظيم منزل منه تعالى، وأنه تعالى بعزته يعز دينه وكتابه وأنه بحكمته كان كلامه فى القرآن العظيم هو الحكمة البالغة فى كل ما تضمنه.

مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ
أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾

التفســــير:

ينفى تعالى ـ فى الآية ـ أن يكون شىء ما قد تلبس خلقه تعالى السماوات والأرض وما

بينهما، وما هو كائن من المخلوقات في السماوات والأرض وفيما هو بينهما غير الحق. والمعنى أنه الحق وحده الذى شمل جميع خلقه فى الكون. ثم بين تعالى أن دوام السماوات والأرض وما بينهما هو إلى أجل مسمى عنده تعالى، هو يوم القيامة.

ثم إنه لما كان الحق مستوجبا وجود العدل، وكان العدل يوجب إثابة المحسن ومعاقبة المسيء، فقد جاء قوله تعالى «والذين كفروا عما أنذروا معرضون» فأثبت أن الكافرين قد استحقوا العقاب جزاء على إعراضهم عما أنذروا به من عذاب الكافرين يوم القيامة وهذا من العدل، وأثبت أنهم أنذروا قبل أن يعذبوا، وهذا من العدل أيضا.

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾

أولا: الأسماء:

الأثارة: فى قوله تعالى «أو أثارة من علم» هى البقية، تبقى من الشىء بعد فنائه، فتدل على سبق وجوده. وقيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هو الخط، قيل إن النبى من الأنبياء السابقين كان يخطه، فمن وافقه خطه كان الدليل معه، وقيل إنه كان يخط على الأرض عدة خطوط، ثم تمحى على نحو معين، فإذا بقى خطان كان ذلك علامة نجاح،

وإذا بقى خط واحد كان ذلك علامة فشل. والذى نراه ـ والله أعلم ـ عدم صحة ما قيل فى شأن «الخط» .

ثانيا : التفسير:

يخاطب تعالى رسوله ﷺ فى شأن المشركين ليثبت لهم بطلان عقيدة الشرك، يأمره تعالى أن يخاطبهم فى شأن معبوداتهم التى يرونها والتى يعبدونها من دون الله تعالى وأن يطلب منهم أن يطلعوه على شىء من الأرض يدعون أنها خلقته أو خلقت ما به من كائنات، ثم إنه لما كان معلوما أن المشركين لن يطلعوه ﷺ على بقعة من الأرض يدعون أن آلهتهم خلقتها، فإنه ﷺ يسألهم عما إذا كانت آلهتهم قد شاركت الله تعالى فى خلق السماوات ، ويطلب منهم أن تكون إجابتهم ـ إذا كانت بالإيجاب ـ مدعمة بدليل كتابى متمثل فى قول له تعالى فى كتاب أنزل على رسول أو نبى قبل القرآن العظيم «من قبل هذا» أو بقية من علم انتقل إليهم من علوم الأولين، وذلك إثباتا لصدقهم، ثم إنه لما كان مستحيلا على المشركين أن يأتوا بدليل من هذين، فإنه يكون ﷺ قد أقام الحجة عليهم وأثبت بطلان عقيدتهم .

وبعد هذا يثبت تعالى أن المشركين بعبادته هم أضل خلقه، فالاستفهام فى قوله تعالى «فمن أضل ممن يدعو من دون الله» هو إنكار لوجود من يساوى المشرك بالله فى الضلال. اختلط ضلاله بالجهل إذ توجه بالعبادة والدعاء إلى من لا يستجيب له إلى يوم القيامة. وليس معنى هذا أنه تكون الاستجابة يوم القيامة.

إذ المراد بيانه هو أنه لايستجاب للداعى ولا يستفيد بعبادة، إذا بقى يدعو إلى يوم القيامة ويعبد ما أشرك به من المعبودات. وذلك لأن معبودات المشركين غافلة عن فعل المشركين، فإن كانت المعبودات جمادات فهى مجردة من العلم والإحساس، وإن كانت من الملائكة والأنبياء ، فهؤلاء وهؤلاء عن فعل المشركين مشغولون، فضلا عن صيانة الله تعالى أسماعهم من دعاء المشركين .

ثم يثبت تعالى أنه يوم يحشر الناس إليه فى الآخرة للحساب تكون معبوداتهم أعداء لهم، إذ تتبرأ المعبودات من عابديها وتثبت عليهم أنهم إنما كانوا عبيد أهوائهم، كما يثبت تعالى

أن المشركين يكفـرون بمعبوداتهم إذ يرون أنهـم لم يفيدوهم بشـىء فيقولون إنهم لـم يكونوا يعبدون شيئا، يساوون بينهم وبين العدم.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٨﴾

التفسـير:

قولـه تعالـى ـ فى الآيتيـن ـ فى بيـان إمعان الكـافرين والمكـذبين بالـدين فـى الضلال وأقوالهـم التى يطعنون بها فـى الدين وفى رسـول الله ﷺ. فيذكر تعـالى أنه إذا ما تليـت على المصرين علـى الكفر آيات القرآن العظيم، نسبها إليـه تعالى، بينات بمعنى أنهـا واضحة فى التدليل على صدقها وعلى صدق من أنزلت إليه يكون من الكافرين أنهم يقولون للحق الذى جاءتهم بـه آيات الله المتلوة عليهم بمجـرد مجيئه إياهم،ـ والمعنى هو: لدى تـلاوة الآيات عليهم ـ «هذا سحر مبيـن» بمعنى أنهم يشيـرون إلى القرآن العظيـم ويخبرون عنه أنـه سحر مبين.

ثم يذكر تعالى قـولا لهم أشد شناعة من سابقه هو قولهـم إن رسول الله ﷺ افتراه على ربه، بمعنى أنه أتى به من عنده ثم نسبه إلى الله تعـالى كذبا على الله وافتراء. فجاءت «أم» فى قوله تعالى «أم يقولون افتراه» للإنكار والتوبيخ مع التعجيب. وفـى شأن قولهم هذا فإنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقـول لهم إنه لو كان مـا يدعون من افتـرائه القرآن على الله فإن عقابـه على هذا يكون من الله بمـا يستحق، وفى هذه الحال فإنهـم لا يملكون له من الله شيئا، بمعنـى أنهم لن يدفعوا عنه شيئا من عذاب الله.

فيكون القول ردا لـزعمهم الباطل، يكمله قولـه ﷺ لهم أن الله تعالى أعلم بما يـزيدون فيه من القدح فى القرآن العظيم بوصفه بأنه سحر مـرة، ووصفه بأنه كلام مفترى على الله كذبا مرة أخرى. فيكون قولـه ﷺ إثباتا لكذب طعنهم فى القـرآن وبيانا لعلمه تعالى بكـذبهم. ثم إنه ﷺ يعلنهم بأن الـذى يشهد بصدقه فيما أبلغ بـه هو الله جعله شهيدا بينه وبينهم، وصفـه بأنه الغفور الرحيـم ليفتح أمامهم باب التـوبة عن الكفر والـدخول فى الإيمان فتغفر لهـم ذنوبهم ويدخلون فى رحمته تعالى.

﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَآمَنَ وَاسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ البـدع : فى قوله تعالى «ما كنت بدعا من الرسل» هو المبتدع شيئا، وهو الأول.

٢ ـ **شاهد مـن بنى إسرائيل** : قيل هـو عبد الله بـن سلام، الـذى شهد بـأن رسول الله ﷺ مذكور فى التوراة فآمن له وأسلم.

ثانيا : التفسـير :

يأمر تعـالى رسوله ﷺ أن يقول للكـافرين الذين قـالوا فى القرآن العظيم وفيـه ﷺ أنه لم يأت ببدعة ولم يحـدث جديدا إذ دعا إلى توحيد الله، فهذا أمر جميع الـرسل الذين بعثهم الله لهداية العباد، دعوا إلى توحيد الله وعدم الشرك به. ثم إنه لما كان الكافرون يطلبون منه ﷺ أن يأتى بمعجزات طلبوها وأن يخبرهم بالغيب ليثبت لهم نبوته، فإنه تعالى أمره أن يقول لهم إنه

لايعلم ما يفعل به ولا ما يفعل بهم. وظاهر القول يفيد أن عدم العلم يتعلق بما يكون فى الدنيا وما يكون فى الآخرة.

وقيل إنه لما قال ﷺ هذا قال الكافرون: «كيف نتبع نبيا لا يعرف ما يفعل به ولا بنا» فنزل قوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر»، فأصبحت عدم المعرفة متعلقة بأحوال الدنيا، بما فيها من إيذاء الكافرين إياه ﷺ، وكيفية موته. كما أمره تعالى أن يقول لهم إنه - فى شأن الرسالة والدعوة - لا يعمل شيئا إلا متبعا وحى ربه، بمعنى أن كل ما يعمل وما يقول به هو من أمر الله الذى يوحى به إليه، وأن يعلمهم أنه ﷺ ليس إلا نذير مبين بمعنى أنه ينذر الذين يصرون على الكفر بعذاب من الله، وأنه يوضح ويبين بالأدلة أنه رسول من رب العالمين، وأن ما ينذر به هو الحق من ربه.

ومن صور إنذاره ﷺ بالقرآن أنه يقول للكافرين «أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به» والمعنى هو: «أرأيتم ما يكون عليه جزاؤكم إذا ما كان القرآن العظيم من عند الله تعالى حقا، وكان منكم الكفر به».

فيكون القول للترهيب من الاستمرار على الكفر بالقرآن. ثم يتبع ﷺ هذا القول بقوله «وشهد شاهد من بنى إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم» يقيم به الدليل على صحة كون القرآن العظيم من عند الله، مستدلا على هذا بما كان من شاهد من بنى إسرائيل شهد بالحق وهو أن بعثه ﷺ بالقرآن مبشر به فى التوراة، فكان منه أن آمن وأسلم - قيل إنه عبد الله بن سَلَام - ثم كان من الكافرين استكبارهم على الحق وبقاؤهم على الكفر. ونرى - والله أعلم - أن الشهادة على مثله تشير إلى ما جاء فى التوراة - على ما سبق بيانه وتفصيله - من أن الله أمر موسى عليه السلام أن يخبر بنى إسرائيل أنه يبعث من إخوتهم - وهم أبناء إسماعيل - نبيا مثل موسى عليه السلام، طلب منهم إذا ما جاء أن يؤمنوا له. وقد تحققت المماثلة بين موسى عليه السلام ورسول الله ﷺ فى وجوه كثيرة منها أن كلا منهما كان أبوه وأمه ينتميان إلى أصل واحد وجد أعلى واحد، وأن كلا منهما كان يعمل برعى الأغنام، وكان رجل حرب مع كونه رسولا نبيا، وكان صاحب كتاب كامل تضمن العقيدة والشريعة أو الأحكام.

وقوله تعالى «إن الله لا يهدى القوم الظالمين» يتصور فيه أن يكون قول الله تعالى، ويتصور فيه أن يكون من قول رسول الله ﷺ للكافرين، مفاده أن الذين يصرون على الكفر استكبارا على الحق الظالمين أنفسهم بذلك لا يهديهم الله إلى الإيمان ليلقوا جزاء إصرارهم على الكفر.

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيتين ـ تضمن قول المصرين على الكفر فى تبرير كفرهم، كما تضمن بيان دليل على كون القرآن منزلا من الله.

فيذكر تعالى أن الكافرين قالوا للمؤمنين إنه لو كان الإسلام الذى دعا إليه محمد ﷺ خيرا ـ بمعنى أنه حق ـ ما كان السابقون إلى الإيمان به هم الضعفاء والفقراء مثل عمار، وصهيب، وبلال ـ وذلك لاعتقادهم أن المكرمين بالمال والجاه فى الدنيا هم المكرمون عنده تعالى فى الآخرة.

ثم يقول تعالى ما مفاده أنه لما كان من أمر الكافرين أنهم لم يهتدوا بالقرآن العظيم إلى الحق الموصل إلى رضاء الله وجنته، فإنهم سيحاولون تبرير عدم إيمانهم به بقولهم فيه إنه هو الأكاذيب القديمة التى تداولها الأقدمون ، فيكون قولهم مشابها قولهم فى القرآن إنه أساطير الأولين .

وفى بيان أحقية القرآن العظيم أن يدعى الهدى ذكر تعالى أنه كان قبله كتاب موسى عليه السلام ـ التوراة ـ كان إماما يقتدى به فى شأن العقيدة والشريعة لأن منزله هو الله، فكانت العقيدة فيه هى توحيد الله، وكانت الأحكام هى شريعة الخالق العالم بأحوال من يشرع لهم، ثم إنه كان رحمة، لأنه تعالى رحم من آمن به وعمل به، ورحم الناس بتطبيق شريعته من ظلم بعضهم بعضا.

ثم كان منه تعالى أن أشار إلى القرآن العظيم وأخبر عنه أنه مصدق. والمعنى أنه يفيد معنى أن الكتاب الكامل هو ما تضمن العقيدة والشريعة .

ولهذا كان تضمنه العقيدة والشريعة شهادة للتوراة أنها كانت كتابا كاملا، ثم إنه بشهادته للتوراة يكون قد صدق بها كتابا منزلا من الله، وأنه بنزوله على نبى من أبناء إسماعيل عليه السلام يماثل وصفه ما جاء بشأنه فى التوراة، يكون قد أثبت صدق التوراة فيما بشرت به عنه .

ثم بين تعالى حال القرآن المصدق بالتوراة فبين أنه لسان عربى، والمعنى أنه نزل بلغة العرب، أو بلسان عربى.

كما بين علة ذلك وهى أن ينذر ﷺ به الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وليكون بشرى للذين يؤمنون به فيحسنون إلى أنفسهم بإيمانهم .

ونرى ـ والله أعلم ـ أنه فى الاستدلال بالتوراة وتصديق القرآن لها على صحة القرآن كتابا من الله تدليل لليهود على صحة القرآن العظيم، وقد يكون ذلك لدفعهم أو حثهم على الإيمان بالقرآن ولرسول الله ﷺ.

وقد يكون لأن كفار قريش كانوا يرجعون إلى اليهود ويسألونهم هل يجدون شيئا فى كتابهم عن رسول الله ﷺ.

كما نرى أن إنزال القرآن باللسان العربى إنما كان ليؤمن به العرب فى مبتدأ الأمر، ثم إنه لما كان الناس يأتون من جميع أنحاء العالم للحج ، فيختلطون بأهل مكة ويتعاملون معهم،

فإن المؤمنين بالقرآن من أهل مكة والعرب يكون فى مقدورهم إبلاغ من يخالطونهم من الحجيج به فينقل هؤلاء ما عرفوه عن القرآن إلى أقوامهم، فيكون الإنذار به والتبشير عاما للناس فى جميع أقطار المعمورة .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن القرآن العظيم هو ما ينذر به الذين ظلموا وأنه بشرى للمحسنين بين تعالى أن المحسنين هم الذين وحدوا الله، واستقاموا فى الدين فعملوا بأوامره ونواهيه.

ثم أثبت تعالى أن هؤلاء لا خوف عليهم من عذاب الله ولا مما يكرهون وأنهم لا يحزنون، وقد يكون هذا هو البشرى لهم بأن لهم الجنة التى لا يخاف أهلها شيئا ولا يصيبهم فيها حزن. ثم يخبر تعالى أن هذا الذى يكون لهم هو جزاء أعمالهم فى الدنيا التى تمثلت فى الإيمان بالله وتوحيده والعمل بأوامر الدين ونواهيه والاستقامة عليه.

ويتأكد أن ما أخبر به تعالى عن مصير المؤمنين هو البشرى التى حملها إليهم القرآن العظيم بإشارته تعالى شأنه إليهم والإخبار عنهم بأنهم أصحاب الجنة الذين يخلدون فيها آمنين المكاره والأحزان.

ويؤكد تعالى أن خلودهم فى الجنة هو جزاؤهم على ما كانوا يعملون فى دنياهم من بعد الإيمان، بالاستقامة على الدين و إحسان العمل.

وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ
حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ
حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ
نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى
فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ
عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ
وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾

التفسـير:

الذى يبدو لنا ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى ـ فى الآيتين مرتبط بما سبق بيانه من أن القرآن العظيم بشرى للمحسنين. إذ يبين أن أعلى مراتب الإحسان إلى الغير هى الإحسان إلى الوالدين، ولهذا ذكر تعالى أنه أوصى الإنسان عموما بأن يُحسن إلى والديه.

ثم ذكر تعالى بعض ما تعانيه الأم فى الإنجاب والتربية، فذكر تعالى أنها تحمل وليدها كرها وتضعه كرها، والمعنى أنه يشق عليها حمله حين يثقل فى بطنها كما يشق عليها وضعه أو ولادته، لما تعانى فى الحالين من مشقة وألم.

ثم ذكر تعالى أن مدة الحمل والولادة والإرضاع على نحو كامل تبلغ ثلاثين شهرا إلى وقت الفصال وهو الفطام. ولما كانت أقل مدة للحمل هى ستة أشهر فإن مدة الإرضاع المثلى تكون أربعة وعشرين شهرا .

ثم يذكر تعالى أن المحسن هو الذى يكون منه إذا ما عاش إلى أن بلغ أشده وهو اكتمال عقله وبناء جسمه، ثم بلغ من العمر أربعين سنة ـ وهى السن التى يفترض فيها التخلص من نزق مرحلة الشباب ـ يكون منه الالتجاء إلى الله تعالى طالبا منه أن يحبب إليه القيام بأداء واجب الشكر لله على ما أنعم به عليه من الإيمان بالله والعمل بالصالحات، وما أنعم به على والديه من ذلك، وما أنعم به عليه وعليهما من غيره ـ وقيل إن النص نزل فى أبى بكر رضى الله عنه لأنه كان الوحيد بين المهاجرين الذى أسلم وأسلم والداه ـ كما يكون منه سؤال الله تعالى عن هدايته إلى عمل الأعمال الصالحة التى يرضى عنها ربه، وأن يصلح له فى ذريته بأن يجعل الإيمان راسخا فيهم مستمرا توافقه أعمالهم الصالحة، يعلن توبته عن ارتكاب ما يغضب ربه، مقرا بأنه من المسلمين الذين أخلصوا لله دينهم .

ثم إنه تعالى يشير إلى الذين يكون منهم ما ذكر ويخبر عنهم أنهم الذين يتقبل الله أحسن أعمالهم فيثيبهم عليها، وأنهم الذين لا يحاسبهم بما يكون منهم من سيئات، قد يكون هذا لتوبتهم وقد يكون كرما منه تعالى وفضلا. كما يخبر تعالى عنهم أنهم يكونون فى عداد أصحاب الجنة، وأن هذا هو الوعد الحق الذى وعدهم الله به فى القرآن وعلى لسان رسوله ﷺ، ووعد به المؤمنين فى كتبه وصحفه وعلى ألسنة رسله من قبل .

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ
أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ
وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ
وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيتين - هو في المسيء غاية الإساءة، يبين من القول أنه الكافر الذي أنكر البعث وله والدان مؤمنان، يدعوانه للإيمان وينذرانه عذاب الآخرة فيقول لهما «أف لكما» والمعنى أنه يصدر منه ما يفيد تضجره من فعلهما، ثم يعلنهما بكفره بالبعث فيستهزئ بقولهما فيه منكرا إياه بقوله «أتعدانني أن أخرج وقد خلت القرون من قبلي» والاستفهام في قوله هو لإنكار ما توعداه به من البعث، فهو ينكر أنه يبعث من الموت، ويستدل على هذا بأن أحدا ممن مات قبله لم يشاهد حيا مبعوثا من الموت. كما يذكر تعالى أن والديه يستغيثان الله منه متهددينه بالويل والثبور حاثين إياه على الإيمان بالله وبالبعث والحساب، «ويلك آمن»، مؤكدين له أن ما وعد به تعالى من البعث هو حق لا ريب فيه، فيكون منه تكذيبهما وقوله لهما إن قولهما في البعث هو أباطيل الأقدمين التي خلفوها وراءهم مسطورة في الكتب.

ثم إنه تعالى يشير إلى المسيئين الذين يكون ما ذكر هو حالهم ويخبر عنهم أنهم الذين حق عليهم القول من قبل - وهو قوله تعالى لإبليس «لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين» فيكونون من هؤلاء وهم أمم من الجن والإنس اتبعوا الشيطان فخسروا إيمانهم الفطري وخسروا صالح أعمالهم لا تقبل منهم في الآخرة فحق عليهم العذاب فكانوا من الخاسرين.

وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟ ۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الناس يكونون فريقين: محسنين ومسيئين، جاء قوله تعالى ليثبت أن لكل فريق من الفريقين جزاء عمله فتختلف درجات الجزاء بين إحسان وإساءة.

ويتصور أن يكون القول مفيدا اختلاف درجات المحسنين في الجنة تبعا لقدر أعمالهم

الصالحة، واختلاف منازل المسيئين في دركات النار تبعا لقدر أعمالهم السيئة، أثبت تعالى أن ذلك يكون أثرا لتوفية الجزاء بما يناسب الأعمال دونما ظلم لأحد، فلا ينقص من ثواب محسن ولا يزاد في عقاب مسيء .

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾

التفسير:

يخبر تعالى - في الآية - عما يكون للكافرين يوم القيامة ، فيذكر أنهم يعرضون على النار، والمعنى أنهم يعذبون بها أو إنها تعرض عليهم، وأنه يقال لهم «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا واستمتعتم بها» بمعنى أنهم بكفرهم قد أذهبوا أثر ما عملوا من أعمال طيبة إذ أنهم لا يثابون بها في الآخرة لنيلهم ثوابها في الدنيا، وأنهم استمتعوا بها في دنياهم، لأن الكافر لا يستهدف من عمله الصالح رضاء ربه ولا يبتغي وجهه، وإنما يستهدف به أن يقول الناس فيه حسنا يكون له فخارا يدعم استكباره على الناس، ويشبع غروره؛ ولذلك يكون قوله تعالى لهم «فاليوم تجزون عذاب الهون بما كنتم تستكبرون في الأرض بغير الحق وبما كنتم تفسقون» يبين لهم أن عذابهم هو العذاب المهين، ليكون في مقابل استكبارهم في الأرض بغير الحق، ويبين أنه كما كان جزاء على علوهم على الناس واستكبارهم على الحق، فإنه أيضا جزاء على خروجهم على طاعة الله وهو فسق مبين .

■■■■

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِندَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ أخو عاد: في قوله تعالى «واذكر أخا عاد» هو نبي الله هود عليه السلام، قيل إن اسمه هو هود بن عبد الله بن رباح، والمعنى أنه كان ينتسب إلى قبيلة عاد، فهو أخوهم بالنسب.

٢ ـ **الأحقاف** : جمع، مفرده «حقف» وهو تكوين رملي لايبلغ درجة الجبل.

والمراد بها ـ في معنى القول ـ هو ديار عاد، قيل إنها كانت بمنطقة الشحر قرب عدن، وقيل بالشام ، وقيل بحضرموت .

ثانيا : التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يتذكر قصة هود عليه السلام ليهون عليه تكذيب قومه له، أو أنه تعالى أمره أن يذكرها لكفار قومه ليعتبروا بها.

وفي القصة يقول تعالى إن هوداً أنذر قومه بعذاب الله إن لم يؤمنوا له، وذلك في مساكنهم الكائنة بالأحقاف.

ثم بين تعالى أنه قد خلت النذر من بين يديه ومن خلفه، ويقبل المعنى أن يكون أنه جاء

على فترة من الرسل بمعنى أنـه لم يكن قبله رســـل مبعوثون من فترة زمنيـــة قريبـــة، كما أنه لـم يبعث بعـده رسل خلال فتـرة زمنية قصيرة، أو أنـه لم يـرسل إلى قـومه رسـل قبله ولا بعـــده.

ويقبل أن يكون أن الرسل مضت قبله ومضت بعده، أى أنه كان قبله رسل، كما كان بعده رسل.

ومضمون دعوته التى تمثل الإنذار ببيان معاقبة الله على عدم قبولها والعمل بها هى توحيد الله تعالى «ألا تعبدوا إلا الله» إذ نهى عليه السلام عن عبادة غير الله.

أعقبها ببيان حـرصه عليهم وخوفه أن يصيبهم بكفـرهم دعوته عذاب يوم القيـامة، وصفه بأنه يوم عظيم .

ثم يـذكر تعـالى أن قـومه رفضـوا دعوتـه، فقالـوا له «أجئتنـا لتأفكنـا عن آلهتنـا» جـــاء الاســـتفهام لتوبيخه على دعـوته إياهم إلي التوحيد ، وصفوها بأنهـا دعوة لصرفهم عن عبادة آلهتهم.

ثم أظهـروا استخفافهـم بما أنذرهـم به وتكذيبهـم له بتحـديه أن يأتيهـم بالعـذاب الذى توعدهم به ليثبت لهم صدقه.

ويذكر تعالى أن هـودا عليه السلام قال لهم إن الذى يعلم متى يكون حلـول عذابه تعالى بهم هو الله، فهو لا يعلم عنـه شيئا، إذ أنه عليه السلام لا يفعل شيئا سوى إبـلاغهم ما أرسل به من ربه.

يتبع قـوله هذا بإبـلاغهم رأيه فيهـم وهو أنهم قـوم يجهلون أين تكون مصلحتهـم، وذلك فإنهـم لا يؤمنـون، ويجهلون حـدود قدرة الـرسل، ولهـذا يطلبون منهـم ما ليـس لهم ولا فـى مقدورهم .

■■■■

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا
مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ
رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ
إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا
إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ
عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا
يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾

أولا : الأسـماء :

العارض : فى قوله تعالى «فلما رأوه عارضا» هو السحاب الذى يعرض فى أفق السماء .

ثانيا : التفسير :

المستفاد من القول هو أن العذاب الذى توعدهم به هود عليه السلام قد أتى القوم، فالضمير المتصل فى «رأوه» يعود إلى «ما» فى «بما تعدنا» أى العذاب. ومعنى القول هو أن القوم لما رأوا العذاب سحابا عارضا فى أفق السماء متجها ناحية أوديتهم، أشاروا إليه وأخبروا عنه أنه سحاب ممطر لهم «هذا عارض ممطرنا». ثم يذكر تعالى أنه قيل لهم ـ ويتصور أن القائل هو هود عليه السلام ـ «بل هو ما استعجلتم به» بمعنى: بل هو العذاب الذى استعجلتم نزوله بكم. ثم جاء بيانه بأنه ريح فيها عذاب أليم، يكون من شأنها أنها تهلك كل شىء من الأنفس والأموال على النحو الذى أمرها به ربها.

وقوله تعالى «فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم» مفاده أن الريح دهمتهم فأهلكتهم هلاك إبادة فأصبح الرائى لايرى إلا مساكنهم خالية من ساكنيها. أتبعه تعالى بقوله «كذلك نجزى القوم المجرمين» بمعنى أنه على هذا النحو يجازى تعالى مكذبى رسله، فيكون القول تهديدا لمكذبى رسوله ﷺ بالعذاب إذا ما أصروا على الكفر تكذيبا له ﷺ.

ثم كان منه تعالى التوجه بالخطاب إلى كفار مكة فقال لهم «ولقد مكناهم فيما إن مكناكم فيه» ويقبل المعنى أن يكون «ولقد مكناهم مثل ما مكناكم فيه من أسباب القوة» ويقبل أن يكون «ولقد مكناهم ما إن كنا قد مكناكم فيه لكان بغيكم أعظم» فيكون المعنى أنه تعالى مكن قوم عاد فى أسباب القوة بأكثر مما مكن أهل مكة فيها.

ثم ذكر تعالى أنه أنعم عليهم بالسمع والأبصار والأفئدة فلم تفدهم شيئا، فهم لم يستعملوا سمعهم في سماع آيات الله المتلوة عليهم ودعوة نبيهم، ولم يستعملوا أبصارهم فى النظر إلى آيات الله فى خلقه والاعتبار بها، ولم يفتحوا قلوبهم للإيمان، ولذلك فإنهم لم يفيدوا من هذه النعم ما ينفعهم، وبيان ذلك أن ظرف عدم الإغناء هو جحدهم بآيات الله ينكرونها ولا يؤمنون بها. فكان عاقبة أمرهم أن أحاط بهم العذاب الذى كانوا يستعجلون نزوله بهم استهزاء به وبمن توعدهم به.

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

التفسير:

يواصل تعالى - فى الآيتين - مخاطبته أهل مكة فيقول لهم إنه تعالى أهلك ما حولهم من قرى المكذبين رسلهم مثل «الحجر» التى سكنتها ثمود، ومثل قرى قوم صالح، ويخبرهم أنه

كرر آياته في إهلاك المكذبين لعل الناس ترجع عن تكذيب الرسل وعن العصيان إلى الإيمان والطاعة.

ثم إنه تعالى يبين لهم أن الأصنام التي عبدوها من دونه تعالى لن تنفعهم ببيانه لهم أن آلهة المهلكين التي عبدوها من دونه تعالى أو اتخذوها لتقربهم إلى الله زلفى لم تنصرهم من دونه ولم تمنع عنهم عذابه. فمعنى قوله تعالى «فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قربانا آلهة» هو «فهلا منعهم من الهلاك ما اتخذوا من دون الله آلهة تقربهم إليه تعالى». فيكون القول مشيرا إلى أن معبودات مشركي مكة لن تمنعهم من عذاب الله الذي يشاءه بهم. ثم يخبر تعالى أن معبودات المهلكين قد ضلت عن عباديها، أي غابوا عنهم وضاعوا. ثم يبين أن ضلال معبوداتهم ليس سوى أثر انصرافهم عن الحق إلى الباطل، وجزاء افترائهم على الله الكذب.

وَإِذْ صَرَفْنَآ
إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ ج
فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا
كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ
وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم
مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ
بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ج أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ
مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾

التفسير :

الخطاب ــ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، والمراد من الخطاب هو حث أهل مكة على الإيمان بالقرآن العظيم ولرسول الله ﷺ ببيان أن من الجن الذين هم جنس غير جنس الإنسان من آمن بالقرآن العظيم حين استمع إليه منصتا .

فيذكر تعالى لرسوله أنه وجه إليه نفرا من الجن بمعنى عصبة أو رهط يستمعون القرآن. وقيل في هذا إنه لما مُنعت الجن من الاستماع إلى خبر السماء أرسلت الجموع منهم تضرب في أنحاء الأرض لمعرفة سبب الحيلولة بينهم وبين خبر السماء فانصرف رهط منهم إلى تهامة، وكان رسول الله ﷺ يصلي بأصحابه الفجر بجهة «نخلة» في طريق عكاظ فاستمع إليه هذا الرهط من الجن يقرأ القرآن في صلاته، فقالوا: «هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء». ويذكر تعالى أن هؤلاء النفر من الجن لما حضروا القرآن عند تلاوته، أو لما حضروا رسول الله ﷺ يتلو القرآن، قال بعضهم لبعض: أنصتوا، فكان منهم الاستماع مع استحضار الذهن، ثم إنه لما فرغ ﷺ من تلاوته توجه هذا النفر من الجن إلى قومهم منتوين إنذارهم لدى وصولهم إليهم.

ثم يذكر تعالى أنه لدى وصول أفراد هذا الرهط من الجن إلى قومهم قالوا لهم ـ بعد أن نادوهم قائلين: «يا قومنا» ـ إنهم سمعوا كتابا أنزل من بعد كتاب موسى، ذكروا كتاب موسى لأنه عقيدة وشريعة، وليس الإنجيل كذلك إذ لم يتضمن سوى تصحيح العقيدة، ولأن التوراة هي الكتاب المشترك بين اليهود والنصارى، ووصفوه بأنه لما بين يديه، بمعنى أنه يصدق بالتوراة كتابا منزلا من الله، وأنه نزل كما ذكر بالتوراة أنه ينزل على نبي من أبناء إسماعيل، فكان نزوله تصديقا لما أخبرت به التوراة. كما وصفوه بأنه يهدي إلى الحق وهو عقيدة التوحيد وإلى طريق مستقيم هو الإسلام الموصل إلى رضاء الله وجنته .

كما يذكر تعالى أن هؤلاء النفر من الجن نادوا قومهم وطلبوا منهم أن يجيبوا داعي الله، أي الداعي إلى الله، يتصور أن يكون هو القرآن العظيم، ويتصور أن يكون هو رسول الله ﷺ وطلبوا منهم أن يؤمنوا بالقرآن أو لرسول الله، وبينوا لهم أنه يكون لهم بإيمانهم مغفرة شيء من

ذنوبهم ـ وهي الذنوب المتعلقة بالخطأ في حقوق الله دون حقوق العباد ـ كما يكون لهم الإجارة من عذاب أليم، والقول يفيد أن الجن مكلفون .

كذلك فإنه تعالى يبين أن هؤلاء النفر من الجن قد أنذروا قومهم بالعذاب لا يملكون منه خلاصا ولا هروبا، إذا هم لم يؤمنوا لداعي الله. إذ قالوا لهم إن من لا يستجيب لدعوة الداعي إلى الله، وهو القرآن العظيم أو رسول الله ﷺ فإنه لن يعجز الله هروبا في الأرض، بمعنى أنه لن يتمكن من الفرار من عذاب الله إلى أي بقعة في الأرض، وأنه لا يكون له من يتولاه من دون الله، كما أنهم قالوا لهم إن من لا يجيب داعي الله يكون في ضلال ظاهر واضح، بعيدا عن الحق .

أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾

التفسير :

القول له تعالى، والخطاب إلى رسول الله ﷺ، والقول في شأن منكري البعث من الكافرين. جاء الاستفهام للإنكار، فهو تعالى ينكر على منكري البعث أنهم لم يروا ويعقلوا قدرته تعالى التي تجلت في خلقه السماوات والأرض دون أن يناله تعب من خلقهن، وأنها تدل على قدرته على إحياء الموتى وبعثهم للحساب لكونه أهون من خلق السماوات والأرض. وقد تكفل تعالى بالرد على الاستفهام «أولم يروا» فقال «بلى إنه على كل شيء قدير» والقول تقرير لقدرته تعالى على إحياء الموتى، وعلى كل شيء، جاء بمثابة الدليل لإثبات المعنى المراد إيصاله إلى الأفهام .

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾

التفســــير :

مفاد قوله تعالى ـ في الآية ـ أنه في اليوم الذي يعرض فيه الكافرون على النار، يقال لهم ـ عن العذاب الذي يعرض عليهم والذي كانوا ينكرون وقوعه بهم في دنياهم ـ «أليس هذا بالحق». فيقولون «بلى وربنا» يقرون أنه حق، معتقدين أن اعترافهم يفيدهم بشيء، فيقال لهم ما يعرفون منه أن اعترافهم لاينجيهم «فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون» يؤمرون بتذوق العذاب، والمعنى أنهم يلقون فيه، وأنهم يخبرون أن عذابهم إنما كان بسبب استمرارهم على الكفر في دنياهم.

فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُوا۟ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَـٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَـٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

أولو العزم من الرسل : قيل هم الثمانية عشر رسولا المذكورون في سورة الأنعام لقوله تعالى لرسوله ﷺ «فبهداهم اقتده»، وقيل هم تسعة: نوح، وإبراهيم، وإسماعيل، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، وموسى، وداود، وعيسى عليهم السلام. وقيل غير ذلك.

ثانيا : التفســــير :

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ. فبعد أن بين تعالى مصير الكافرين في الآخرة، الذي علم به رسوله، كان منه أمره ـ وقد علم مصيرهم ـ أن يصبر على أذاهم وعلى تكذيبهم، وأن يصبر على الدعوة والتبليغ بالوحي ، كما فعل ذلك أولو العزم من الرسل. وكان منه تعالى نهيه عن استعجال عذابهم والدعاء عليهم بإحلال العذاب بهم .

ثم إنه تعالى يذكر لرسوله ﷺ المزيد من حال الكافرين السيء يوم القيامة حثا له على الصبر على أذاهم وعدم استعجال عذابهم، فيخبره أنهم يوم يرون العذاب الذى توعدوا به يشعرون من شدته التى يشاهدونها ومعرفتهم دوامه أنهم لم يمكثوا فى الدنيا غير فترة قصيرة غاية القصر فى عمر الزمن «لم يلبثوا إلا ساعة» .

ثم يخبر تعالى عما قال، أو بلغ به رسوله ﷺ، أو عن القرآن العظيم بأنه بلاغ، والمعنى أنه تبليغ. ويدعم القول بأن المخبر عنه هو القرآن العظيم قوله تعالى «هذا بلاغ للناس ولينذروا به». ويجيء قوله تعالى «فهل يهلك إلا القوم الفاسقون» بيانا بتعيين الهالكين بالعذاب بأنهم الذين خرجوا عن طاعة الله تعالى وأمره .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة محمد ﷺ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ
كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ
ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ
ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾

أولا: الأسماء والأعلام :

١ ـ الذين كفروا وصدوا : قيل إنهم أبو جهل، وصفوان بن أمية، وسهل بن عمرو، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، ومقيس الجمحي، والحارث بن عمرو، وأبو البختري. وهم الذين ذبحوا وأطعموا يوم بدر الكبرى. صدوا عن الدين بأموالهم وأنفسهم.

٢ ـ الذين آمنوا وعملوا الصالحات : قيل إن المراد بهم ـ في معنى الآية ـ هم الأنصار أهل المدينة، وقيل هم أناس من قريش.

٣ ـ البال : في قوله تعالى ﴿وأصلح بالهم﴾ هو حال المرء التي يبالي بها ويكترث، وهو الخاطر القلبي.

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ في الآيات ـ إجمال لحال الكافرين برسول الله ﷺ وحال المؤمنين له، وعلة كفر الكافرين، وإيمان المؤمنين. فأخبر تعالى عن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله بأنه تعالى أضل أعمالهم. وهؤلاء هم الذين كفروا بمعنى استمروا على كفرهم فلم يؤمنوا لرسول الله ﷺ، كما أنهم صدوا الناس عن الإيمان له ﷺ وعن الإسلام الذي هو طريق سبيل الله المستقيم الموصل إلى رضائه وجنته، وقيل هم الذين منعوا المسلمين عن بيت الله.

والمخبر عنهم هو أن الله تعالى أحبط أعمالهم وأبطلها، والمعنى أنه تعالى أبطل أعمالهم المنطوية على الكيد لدينه تعالى ولرسوله ﷺ فلم تنجح ولم تؤت ثمرتها المطلوبة من جانبهم، كما أنه تعالى أبطل أعمالهم الصالحة مثل صلة الرحم، وقرى الضيف وفك إسار الأسرى فلم يثبهم عليها.

ثم أخبر تعالى عن الذين آمنوا لرسول الله ﷺ وأسلموا، وقرنوا إيمانهم بعمل الصالحات. خص الإيمان بما أنزل على رسول الله ﷺ مذكورا باسمه تشريفا لرسول الله، وبيانا لأن الإيمان يكون بالقرآن كتابا منزلا منه تعالى وبمحمد ﷺ نبيا رسولا.

وجاء قوله تعالى «وهو الحق من ربهم» في شكل جملة اعتراضية تصرح بما فهم ضمنا من القول، وهو أن القرآن العظيم هو الحق بما فيه، وأنه منزل من الله تعالى، وصف ذاته بأنه رب المؤمنين ليبين أنه راعيهم والمتولى أمورهم.

والمخبر عنه أنه تعالى أزال بإيمانهم ما ارتكبوا من سيئات قبل إيمانهم. أو أنه تعالى لا يؤاخذهم بها. كما أنه أصلح أحوالهم في شئون دينهم ودنياهم التي تشغلهم .

ثم إنه تعالى بين أن ما يكون منه مع الذين آمنوا وعملوا الصالحات ومع الذين كفروا إنما كان ترتيبا على أفعال كل منهما واختياراته، فأشار تعالى إلى هذا الذي قدره لكل منهما باسم الإشارة «ذلك» ثم بين أن سبب إضلاله أعمال الكافرين هو أنهم اتبعوا الباطل، وأن سبب تكفيره تعالى عن المؤمنين سيئاتهم ، وإصلاحه بالهم هو اتباعهم القرآن العظيم الذى هو الحق من ربهم .

ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن تمثيله أفعال الفريقين وما يكون لكل منهما على النحو المذكور، هو مما جرى عليه فعله تعالى لأجل تقريب المعانى للناس ليكون بهذا فهم المراد، فهو لصالحهم، ومنه معرفتهم الفرق بين أحوال الكافرين وأحوال المؤمنين، ليكون من ذوى العقول الإيمان وعمل الصالحات تتحقق مصلحتهم، ويعمهم به الخير.

فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾

أولا : الأســـــماء :

الأوزار: جمع، مفـرده «الوزر» وهـو الإثم. والمراد بهـا - فـى معنى الآية - قد يكـون آثام الكافرين وهى شركهم ومعاصيهم، وقد يكون هو آلات الحرب وأثقالها من السلاح والعدد .

ثانيا : التفســـــير :

جاء المأمور بـه فى الآية الأولى من الآيات الثـلاث مترتبا على حال الكافـرين التى بينها تعالى وحال المؤمنين. فكان أمره تعالى المؤمنين بأنهم إذا مالقوا الكافرين فى الحرب يكون منهم قصـد إصابة رقـابهم بسيوفهـم ورماحهم لتطيـر رؤوسهم. فإذا مـا أمعنوا فى قتلهـم إلى الدرجة التى منعتهم من مواصلة القتال فخمـدوا عنه «حتى إذا أثخنتموهم» وتمكنوا من أخذ من لم يقتل منهم، يكون منهم أسرهم وتقييدهم بالقيود، ثم يكون منهم بعد ذلك التصرف فى أمورهم بالمـن عليهم بإطلاق سراحهم بغيـر مقابل أو بقبول الفدية فيهـم. يكون ذلك إلى أن تنتهى الحرب.

جاء التعبيـر عن هذا بـوضع الحرب أوزارهـا، بمعنى أن يضـع المتحاربون عنهـم أسلحة الحرب وعُددها، أو بمعنى أن يضع الكافرون عنهم كفـرهم ومعاصيهم. ثم أكد تعالى وجوب التزام المـؤمنين أمره هذا بقـوله «ذلك» أى أن الأمر هـو ذلك، ثم أتبعـه ببيان أنه لو شـاء غير الحرب بين المؤمنين والكافرين لكان قـد فعل ذلك، لكنه أراد أن تكون الحرب بين المؤمنين والكافـرين ليبلوا المؤمنيـن بالكافـرين، يجاهدونهـم ويقاتلونهـم فيثابوا بجهادهـم، ويبتلى الكافرون بالمؤمنين يقتلون منهم من يقتلون ويـأسرون من يأسرون، ثم يكون من بعضهم أنهم يتعظون بما يرون فيؤمنوا .

ثم إنه تعالى أخبر عن الذين يقتلون فى سبيل الله - وهم الشهداء - بأنه لن يضل أعمالهم، بمعنى أنه سيجازيهم خيرا بجهادهم وباستشهادهم .

ثم يبين تعالـى كيفية عدم إضلال أعمالهم فيـذكر أنه سيهديهم، والمعنى أنـه سيوصلهم إلى نيل جزاء ثواب أعمالهم ثوابا منه تعالـى، ويصلح بالهم، بمعنى أنه سيصلح شئونهم فى

أخراهم ، كما يخبر أنه سيدخلهم الجنة التى عرفها لهم فى الدنيا فسعوا إليها، ويعرفها لهم فى الآخرة فيدخلونها على علم بما فيها وبمواقع منازلهم فيها حتى لكأنهم ساكنوها منذ أن خلقوا .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسٗا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٨ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ۝٩﴾

التفسـير

حث تعالى المؤمنين على القتال ابتغاء وجهه تعالى وقصد نصر دينه ورسوله ﷺ، جاء التعبير عن هذا بأنه نصر الله لأنه الذى أرسل رسوله ﷺ يدعو إلى دينه الذى ارتضى لعباده. جاء التعبير عن هذا فى جملة شرطية فعل الشرط فيها هو نصر المؤمنين دين الله تعالى ورسوله، وجوابه هو وعده تعالى إياهم أن ينصرهم على عدوهم وأن يثبت أقدامهم فى مواقع الحرب، وأن يقويهم ويوفقهم إلى الدوام على الإيمان والطاعة .

ثم قال فى شأن أعدائهم الكافرين «فتعسا لهم» والمعنى أنه لا تقوم لهم قائمة والمعنى اللفظى للقول هو أنه تكون التعاسة ويكون الهلاك والسقوط لهم، كما أثبت أنه تعالى أضل أعمالهم والمعنى أنه يذهب كيدهم بالمؤمنين ويضيع عليهم ثواب أعمالهم الصالحة فلا يثيبهم بها فى الآخرة .

ثم يبين تعالى سبب ما قدره بالكافرين فيذكر أنه كرههم القرآن العظيم الذى أنزله تعالى على رسوله ﷺ، وكرهوا ما فيه من توحيد الله تعالى ومن أحكام تنظم المعاملات بينهم، فكان منه تعالى أن ضيع عليهم ثواب أعمالهم التى لو كانوا قد عملوها مؤمنين بالله لكانوا قد أثيبوا بها.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾

التفسير:

يبين تعالى ضلال الكافرين الذين كذبوا برسول الله ﷺ وكرهوا القرآن العظيم ببيان أنهم - وقد شاهدوا آثار المهلكين الذين كذبوا رسلهم - لم يعتبروا بهذا فالاستفهام فى قوله تعالى «أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا» جاء لتقرير واقع أن الكافرين ساروا فى الأرض ونظروا وشاهدوا، كما جاء لينكر عليهم عدم النظر نظر اعتبار وتدبر واتعاظ. والذى نظروه بعيونهم ولم ينظروه بقلوبهم وعقولهم هو تدميره تعالى المكذبين رسلهم الذين سبقوهم، بإهلاك نفوسهم وأهليهم وأموالهم.

جاء التعبير عن هذا بأنه التدمير عليهم ليكون أبلغ فى التدليل على الإهلاك التام بتشبيه سببه بأنه شيء نزل على المهلكين من فوقهم فغطاهم.

ثم توعد تعالى كفار مكة مكذبى رسول الله صلى الله عليه وسلم بعذاب يماثل عذاب المهلكين، قد يكون المراد به هو قتلهم وأسرهم بأيدى الذين كانوا يستضعفونهم ويستخفون بهم.

ثم بين تعالى سبب نصره المؤمنين على الكافرين وتثبيته إياهم وإدخالهم الجنة فى الآخرة، وسبب دحره الكافرين وتعذيبهم، فبين أنه تعالى المتولى أمور عباده المؤمنين وراعيهم فهو ناصرهم ومثيبهم، وأن الكافرين قد عدموا من يتولى أمرهم عن قدرة؛ ولذلك لم يكن لهم ناصر ينصرهم على المؤمنين ولا دافع أو مدافع يدفع عنهم عذاب الله الذى قدره لهم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَـٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾﴾

التفسـير:

أوجز تعالى ـ في الآية ـ حال كل من المؤمنين والكافرين في الدنيا والآخرة، فذكر أنه في الآخرة يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار، فيكون القول مشيرا إلى أن حالهم في الدنيا كان الإيمان والعمل بالطاعات واجتناب المعاصي ثم ذكر أن الكافرين يتمتعون في دنياهم بمتع الحياة الدنيا الفانية، ويأكلون بغير تفكير ولا تدبر فيمن رزقهم ما يأكلون ومكنهم من أن يأكلوا ويخرجوا فضلات ما يأكلون، فيكون شأنهم شأن الأنعام تأكل بالغريزة دون تفكير. ثم قال تعالى إنه في الآخرة تكون النار مثوى لهم، بمعنى أنها تكون محل إقامتهم الدائم .

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَـٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾

التفسـير :

قوله تعالى ـ في الآية ـ هو للتسرية عن رسول الله ﷺ الذي خرج من مكة مهاجرا مع حبه لها. ببيان أنه تعالى معذب الكافرين الذين ناصبوه العداء فاضطر إلى الهجرة بعد أن أذن له ربه.

جاءت «كـأين» فى مبتـدأ القول بمعنى «كم الخبـرية» للتدليـل على الكثرة فيكـون مفاد القول أنه كانت هناك قرى كثيرة، وهب الله أهلها مـن أسباب القوة ما يزيد على ما أعطى أهل قريته ﷺ ـ المخـاطب بالقول ـ ثم كان منـه تعالى أنه أهلكهم لما كفـروا رسلهم، فلم يجدوا ناصرا لهـم يدفع عنهم عذاب الله. فيكون القـول متضمنا طمأنة رسول الله ﷺ إلى أنـه تعالى سينتقم له ممن آذوه فاضطر إلى الهجرة .

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾

أولا : الأســــماء :

من كان على بينة من ربه: فى قوله تعالى «أفمن كان على بينة من ربه» قيل إن المراد به هو رسول الله ﷺ والمؤمنين. والتعبير عام يشمل كل من اهتدى بهدى ربه فآمن وعمل بإيمانه.

ثانيا : التفســـير :

جاء قوله تعالى ـ فى الآية ـ بمثابة تعليل لتباين حال كل من المـؤمنين والكافرين والعلة هى عـدم تساوى أفعال كل مـن الفريقين مع أفعـال الفريق الآخـر، واختلافها عنها اختـلافا كبيرا.

فالاستفهام فـى قوله تعالـى «أفمن كان على بينة مـن ربه» مقروءا مع «كـاف التشبيه» فى قولـه تعالى «كمن زيـن له سوء عمله» هـو لإنكار التشابـه. والمعنى هو إنكار أن يكـون هناك تشابه بيـن حال الذى اهتدى إلى الحـق فآمن به على علـم من ربه وبين حال مـن زينت له نفسه وزينت له شياطين الإنس والجن الأعمال السيئة فاقترفها متبعا هوى نفسه.

إذ يكـون المستفاد عقـلا هـو ضرورة اختـلاف حسـاب الأولين ومصيـرهـم عن حسـاب الآخرين ومصيرهم .

﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ
مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ
مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ
كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

الآسن : فى قوله تعالى «من ماء غير آسن» هو ما تغير طعمه وريحه بسبب طول المكث، أو ما يكون به من الطحالب وأنواع البكتريا التى تعيش فى الماء الراكد .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - هو فى بيان مزيد من الفروق بين مصير المؤمنين ومصير الكافرين فى الآخرة. بدأ تعالى القول بوصفه الجنة التى وعد تعالى المتقين على ألسنة رسله وفى كتبه عن طريق المثال - وذلك لتعذر تصورها على البشر فى دنياهم - فقال تعالى إن فيها أنهارا من ماء عذب فرات لا يصيبه شىء مما يصيب ماء الدنيا يؤدى إلى تغير طعمه وريحه، وفيها أنهار من لبن لا يتغير طعمه، فلا يحمض ولا يقرص مثل ما يعترى الألبان فى الدنيا إذا ما تركت لم تشرب ولم تستعمل فى طعام. وفيها أنهار من خمر لذة للشاربين.

والمعنى أنه ليس لها المذاق المكروه الذى هو لخمر الدنيا، وليس لها رائحتها كما أنها لا تغيب العقول ولا تسكر كفعل الخمر فى الدنيا، فلا يكون من شربها إلا التلذذ بطعمها. وفيها أنهار من عسل مصفى يخلو مما يخالطه.

ثم قال تعالى إنه يكون للمتقين الذين يدخلون الجنة فيها من جميع أنواع الثمرات ما يشتهون، وأنه تكون لهم مغفرة من ربهم. والمعلوم أن المغفرة تكون لهم قبل دخولهم الجنة،

ولهذا فإنه قد يكون المراد بالمغفرة التى تكون لهم فى الجنة هى ستر معايبهم التى كانت فيهم فى الدنيا لئلا ينغص عليهم سعادتهم فى الجنة ذكرها أو تذكرها من أقرانهم .

ثم يبين تعالى اختلاف حال المتقين عن حال الكافرين بقوله تعالى «كمن هو خالد فى النار» والعبارة خبر لمبتدأ محذوف تقديره «أمن هو خالد فى هذه الجنة» فيكون المعنى هو «أمن هو خالد فى هذه الجنة التى وعد المتقون، كمن هو خالد فى النار» . والاستفهام هو لإنكار التماثل، ثم إنه تعالى ذكر أن الخالدين فى النار يسقون ماء جارا يقطع أمعاءهم، ليكون هذا مقابلا ما ذكر من أنهار ينعم المتقون بالشرب منها فى الجنة .

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾

التفسير :

قوله تعالى - فى الآية - هو فى المنافقين، جاءت «من» فى قوله تعالى «ومنهم من يستمع إليك» لبيان أنهم فى حقيقة أمرهم أو بما هو فى قلوبهم كافرون. وفى القول يذكر تعالى أنهم يحضرون مجلس رسول الله ﷺ - المخاطب بالقول - ويستمعون إليه يتلو القرآن وينذر به ويبين للناس أمور دينهم، وأنهم ما أن يخرجوا من عنده ﷺ إلا ويكون منهم أن يقولوا لأولى العلم من الصحابة: «ماذا قال آنفا» والاستفهام فى قولهم هو للاستخفاف بما قال رسول الله ﷺ كأنه لا يوافق العقل، بمعنى: «ما هذا القول الذى قاله قبيل الآن ».

يشير تعالى إلى هؤلاء المنافقين ويخبر عنهم بأنهم الذين طبع الله على قلوبهم فلا يكون منها قبول الحق، وأنهم الذين اتبعوا أهواءهم فصدتهم عن اتباع ما سمعوا من الحق .

﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾﴾

التفسير :

بعد حديثه تعالى فى الكافرين، وفى المنافقين جاء قوله تعالى فى الآية عودا للحديث فى المؤمنين، وصفهم بأنهم الذين اهتدوا، بمعنى أنهم اهتدوا إلى الحق بإذنه، فأخبر أنه تعالى زادهم هدى، بإلهامهم إلى ما فيه مرضاته وتوفيقهم إلى العمل الصالح، كما أخبر أنه تعالى آتاهم تقواهم بمعنى أنه قواهم على أنفسهم وشهواتهم فأعانهم على أن يتقوا غضبه عليهم يكون بالفعل بالمعاصى. ووسائل ذلك كثيرة يعرفها الذين أخلصوا دينهم، قد يكون منها سماعهم قولا له تعالى أو حديثا لرسول الله ﷺ يتردد فى أسماعهم أو فى قلوبهم فيصرفهم عما دعاهم إليه ضعفهم البشرى أو ما زينته لهم شياطين الإنس والجن .

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾﴾

التفسير :

قوله تعالى ــ فى الآية ـ هو للتعجيب من أمر الكافرين الذين يرجئون إيمانهم ويؤخرونه حتى لكأنهم ينتظرون مجىء يوم القيامة ليؤمنوا حين لاينفعهم إيمانهم، بين تعالى أنها تجىء بغتة فتفجأ الكافرين، كما بين جهل الكافرين ببيان أنهم كأنهم ينتظرون أن تفجأهم ليعلنوا إيمانهم حين أن مجيئها فجأة معناه أنه لا يكون وقت للإيمان.

ثم يذكر تعالى أن أشراط الساعة ـ وهى علاماتها وأمارتها ـ قد جاءت بالفعل وذلك لكونه ﷺ آخر الأنبياء فيكون بعثه من أشراط الساعة وعلاماتها.

ثم يجيء قوله تعالى «فأنّى لهم إذا جاءتهم ذكراهم» مبينا أنه لا تكون للكافرين نجاة إذا ما تذكروا وآمنوا متى جاءتهم الساعة. فمعنى القول هو: كيف تكون لهم نجاة إذا ما جاءتهم الذكرى عند مجيء الساعة .

﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مُتَقَلَّبَكُمۡ وَمَثۡوَىٰكُمۡ ١٩﴾

التفسير :

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ يقول له ربه «فاعلم أنه لا إله إلا الله» يعلمه تعالى أن الذى أعلمه أن لا إله إلا الله هو ربه، أو أنه يأمره أن يقول كلمة التوحيد، ثم يأمره أن يستغفر لذنبه وللمؤمنين والمؤمنات يكون استغفاره ﷺ لنفسه باستغفار الله أن يقع منه ذنب أو ليعصمه من الذنوب، ويكون استغفاره للمؤمنين والمؤمنات، بطلب المغفرة لهم من الله فى الدنيا، وبالشفاعة فيهم فى يوم الحساب.

ثم أخبر تعالى عن إحاطته بأحوال الناس جميعا بإثباته علمه بمتقلبهم فى الحياة الدنيا، ومثواهم فى الدنيا والآخرة. وفى عبارة النص خاطب تعالى الناس بالقول ليكون اعتبارهم به ومحاسبتهم أنفسهم قبل أن يحاسبهم الله فى الدنيا والآخرة .

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوۡلَا نُزِّلَتۡ سُورَةٞۖ فَإِذَآ أُنزِلَتۡ سُورَةٞ مُّحۡكَمَةٞ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلۡقِتَالُ رَأَيۡتَ ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ نَظَرَ ٱلۡمَغۡشِيِّ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَأَوۡلَىٰ لَهُمۡ ٢٠﴾

التفســـير :

قوله تعالـى ـ فى الآية ـ هو فى بيان الفـرق بين المؤمنين الذين صدقوا فـى إيمانهم وبين المنافقين فيما يتعلق بأمر القتال فى سبيل الله. فيـذكر تعالى أن المؤمنين الصادقين يتمنون أن تنزل سورة من سـور القرآن تأمر بقتال المشركيـن، فهم يقولون «لولا أنزلـت سورة» بمعنى هلا أنزلت سورة. ثم يذكـر تعالى أن الذين ضعف إيمانهم أو المنافقين يكـون منهم إذا ما أنزلت سورة محكمة بمعنى أنها لم تنسخ أحكامها أو إنها ثابتة الدلالة في الأمر بالقتال، يكون منهم أنهم ينظرون إلـى رسول الله ﷺ نظر المغشى عليه مـن الموت، وأنه يرى منهـم ذلك، إذ يرى أبصارهم تشخص رعبا وهلعا فتكون نظرتهم مثل نظرة المحتضر.

ثم إنه تعـالي يتهدد هؤلاء بتعـذيبهم ونفاقهم علـى ما يبين من قـوله تعالي «فـأولى لهم» بمعنى فالويل لهم. ويكون للقول معنى آخر إذا مـا قرىء متصلا بما فى الآية التالية، على ما سيأتي ذكره.

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾

التفســـير :

قوله تعالـى «طاعة وقول معروف» هو جملـة خبرية من مبتدأ وخبر، حـذف أحد جزئيها، فإن كـان المحذوف هو المبتـدأ كان تقـديره هو «الأمـر» أو «أمرهم» فيكـون مفاد الجملـة هو «الأمر، أو أمـرهم طاعـة معروفة»، وإن كـان المحذوف هـو الخبر، كان المعنـى مرتبطا بقـوله تعالى فى الآيـة السابقة «فأولى لهم» فيكـون المعنى هو أن الطاعة وقول المعـروف أولى بهم وخير لهم.

ثم يقول تعالى إنـه لو جد الجد «فإذا عزم الأمر» بمعنى إذا عـزم أصحاب الأمر على قتال المشركيـن، فإنه لو صـدق القائلون الله تعالـى قولهم إنهم راغبـون فى قتال المشركيـن لكان

صدقهم هذا خيرا لهم من مخادعتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم .

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾

التفسير :

الخطاب ـ فى الآية ـ للمنافقين والذين ضعف إيمانهم، والاستفهام هو للتوبيخ والتقريع. والمذكور فى القول هو بيان أنهم من أهل الدنيا المتكالبين على ملذاتها ولذلك فإنهم يشترونها بالآخرة ومن ذلك جبنهم عن الجهاد مع المؤمنين ولو من قبيل المراءاة خوفا من الموت. فيذكر تعالى أنهم إذا فرض جدلا أنهم تولوا أمور الناس وأمور الحكم لكان منهم الإفساد فى الأرض، وذلك بغصب أموال الناس المحكومين وبتقاتل بعضهم مع بعض على السلطة، كما يكون منهم قطع الأرحام حرصا على كسب الأموال حتى من ذوى قرباهم. وقد يكون فى القول إشارة إلى ما كان منهم من عدم إعانة المسلمين ـ ومنهم أقارب لهم وذوو أرحام ـ على الكافرين ، خوفا على أنفسهم، وطلبا للدنيا .

﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ۝٢٣﴾

التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان خاتمة أمر المنافقين ، جاء الخطاب إلى المؤمنين لبيان تفاهة قيمة المنافقين وقدرهم.

وفى القول أشار تعالى إلى المنافقين، وأخبر عنهم أنهم الذين لعنهم الله، بمعنى أنه طردهم من رحمته، وبين أن ذلك كان ما قدره من قبل فى شأنهم لعلمه السابق أنهم يكذبون على الله ورسوله؛ ولذلك فإنه أصم أسماعهم عن كلمة الحق، وأعمى أبصارهم عن مشاهدة

الآيات والإيمان بها فكان نفاقهم الذى استحقوا به اللعنة من الله.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾

التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى المنافقين والكافرين عموما، جاء الاستفهام لإثبات أنه كان عليهم تدبر القرآن بمعنى العمل على فهمه وتدبر معانيه، وإثبات أنهم لم يفعلوا هذا، مع إنكار ذلك عليهم، وبيان أنهم لو كانوا قد تدبروا القرآن لكان منهم الإيمان به، وقوله تعالى «أم على قلوب أقفالها» هو بيان لأنه من شأن القرآن العظيم لدى من يتدبره أن يدفعه إلى الإيمان به، لا يحول بينه وبين هذا إلا أن يكون على قلبه قفل من الأقفال التى تكون خاصة بالقلوب، يغلقه فلا يفتح للإيمان وجاء لفظ «قلوب» نكرة لبيان أن القلوب المقصودة هى بعض قلوب غير المؤمنين، وهم ـ على ما يبين من سياق القول مقروءا مع ما قبله المنافقون. ثم إنه إذا لم تكن على القلوب أقفالها فيبقى أن يكون دافع المنافقين على بقائهم على الكفر هو إصرارهم عليه وعلى مخادعة رسول الله ﷺ والمؤمنين .

إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى
ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُواْ لِلَّذِينَ كَرِهُواْ
مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا
تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ
ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾

أولا : الأســــماء :

الذين ارتدوا على أدبارهم : هم المرتدون عن الإسلام إلى الكفر، وقيل إن المراد بهم - فى معنى القول - هم نفر من المنافقين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر قبل أن يعلنوا إسلامهم. وقيل هم نفر كانوا قد أسلموا ثم نافقت قلوبهم .

ثانيا : التفســـير :

أخبر تعالى عن الذين ارتدوا عن الإسلام إلى الكفر من بعد أن تبين لهم طريق الهدى من آيات الله المنزلة فى القرآن، أو الذين تمسكوا بالكفر من أهل الكتاب من بعد أن تبين لهم مما هو مكتوب فى التوراة والإنجيل عن رسول الله ﷺ أنه ﷺ رسول ربه وأن القرآن العظيم كتاب الله المنزل إليه. أن هؤلاء إنما كان منهم ارتدادهم عن الحق إلى الباطل بسبب أن الشيطان سهل لهم ركوب الكفر فلم يشعروا بفظاعته ورأوه هينا، كما أنه - عليه اللعنة - أمدهم بالأسباب التى قربتهم من الكفر منها ما هو معنوى بالوسوسة والأمانى، ومنها ما هو مادى مثل تخويلهم وسائل الظلم والفساد من مال وجاه.

ثم يذكر تعالى أن سبب ارتدادهم عن الإسلام كان قولهم للذين كرهوا ما نزل الله على رسوله من القرآن العظيم - وهم اليهود الذين كرهوا أن ينزل تعالى القرآن على نبى من بنى إسماعيل، وباللفظ العربى - كان قولهم لهم إنهم سيطيعونهم فى بعض الأمور على ما يبين من قوله تعالى «ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم ولا نطيع فيكم أحدا أبدا وإن قوتلتم لننصرنكم» والمعنى أن ارتدادهم كان بسبب محاولتهم الصدق مع هذه الفئة من أهل الكتاب فيما وعدوهم به.

ثم إنه تعالى يثبت علمه بما أسر به المنافقون لليهود وما قالوه لهم فى الخفاء. وبعد هذا يثبت تعالى أن أحاييل المنافقين لا تنفعهم، وأنهم إذا كانوا قد مكروا بالمؤمنين فإنهم لا يستطيعون التحايل عليه تعالى ولا الاحتيال. ولهذا جاء الاستفهام عما يكون منهم من أحاييل وقت أن توافيهم ملائكة الموت والمراد إثباته هو أنه لا يكون لديهم قدرة وقتذاك على فعل

شيء من المكر والاحتيال، وذلك على ما يثبته تعالى من أنه يكون من الملائكة ضرب وجوههم واستاههم، أو إنهم يضربونهم من أمام ومن خلف وقت توفيهم، مما مفاده أن المنافقين لا يستطيعون أن يمكروا بهم .

وبعد هذا يثبت تعالى أن توفى المنافقين على هذا النحو تضرب الملائكة وجوههم وأدبارهم هو بسبب اتباع الكافرين ما استوجب سخط الله من الكفر والمعاصى، وأنهم كرهوا ما يرضى الله من إيمان به ومن عمل بالطاعات، فكان منه تعالى أنه عذبهم على هذا النحو عند قبض أرواحهم، وأنه أحبط أعمالهم الصالحة فلم يثبهم عليها فى أخراهم فحرموا ثوابها.

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ
فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ
فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الأضغان:** فى قوله تعالى «أن لن يخرج الله أضغانهم» جمع، مفرده «الضغن» وهو الحقد .

٢ ـ **لحن القول** : هو تحريفه عن معناه، يكون بوسائل منها إزالة إعرابه. وقد يكون بالاصطلاح على معانى معينة للألفاظ أو على ألفاظ معينة لبيان معانى معينة، أو بالحديث لكلام ظاهره حسن وباطنه قبيح .

التفسير :

يخاطب تعالى رسوله ﷺ، جاء قوله تعالى «أم حسب الذين فى قلوبهم مرض» استفهام

أريد به إثبات أنهم حسبوا أمرا واعتقدوه، كما أريد به إثبات بطلان حسبانهم واعتقادهم، والذين حسبوا ما حسبوا هم المنافقون، وصفهم تعالى بأنهم الذين فى قلوبهم مرض. أما الأمر الذى حسبوه واعتقدوا صحته على خلاف الواقع فهو أنه تعالى لن يخرج إلى حيز الوجود المادى المحسوس حقدهم على دين الله ورسوله والمؤمنين. فيكون المراد إثباته هو أنه تعالى مظهر حقدهم هذا.

ثم إنه تعالى ـ فى إضافة المزيد لإثبات علمه بأشخاص هؤلاء المنافقين ـ قال لرسوله ﷺ إنه لو شاء لأراءه إياهم فكان منه ﷺ معرفتهم من علامات يسمهم بها ربه فيعرفهم ﷺ بها.

ثم قال تعالى لرسوله ﷺ إنه سيعرفهم من طريقة حديثهم معه ﷺ ومن حديث بعضهم مع بعض، إذ يكون فيها لحن القول لتغيير معانى الألفاظ لتوافق مراميهم الخبيثة ونواياهم الدنسة.

ويجيء قوله تعالى «والله يعلم أعمالكم» بمثابة وعد للمؤمنين الصادقين فى إيمانهم بحسن الثواب، يكون جزاء على أعمالهم الطيبة التى علمها الله تعالى فأثابهم بها.

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾

التفسير:

بعد أن وعد الله تعالى المؤمنين ثواب أعمالهم فإنه تعالى ـ فى الآية ـ يخبرهم أنه مختبرهم ومبتليهم بما يظهر المجاهدين منهم والصابرين، وبما يكشف عن أخبارهم أو عن حقيقة أنفسهم.

فيتصور أن يكون من الابتلاء الأمر بالقتال، يظهر المجاهدين بأنفسهم وأموالهم، ويتصور أن يكون بإيذاء الكافرين والمنافقين وإغوائهم المؤمنين على الارتداد عن الدين، يظهر الذين

يصيرون علـى أذى الكافرين ويصبـرون على ما هـم عليه من الإيمـان، ثم إنه يكون بكـل ما يظهر حقيقة المرء. ولا يعني قـوله تعالى ﴿حتى نعلم﴾ أنه تعالى يحتـاج إلى الاختبار للمعرفة. فهو تعـالى العليم بكـل شيء ما ظهـر وما أخفى، ولكن المـراد هو إقامـة الدليل الـذى يكون بظهوره علم الناس بما يسفر عنه الابتلاء أو الاختبار.

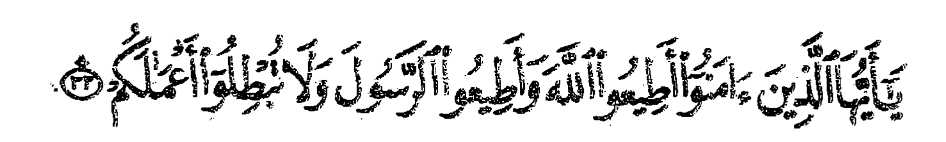
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾

التفســـــير :

قوله تعالى ــ في الآية ـ يثبت أن أعداء الله لن يضروه شيئا وأنهـم إنما يضرون أنفسهم وما يشعرون. فذكر تعالـى أن الذين كفروا به وبالقرآن العظيم وبـرسول الله ﷺ. وصدوا الناس عن الإيمان له، وأخذوا جـانبا خلاف جانب رسول الله ﷺ، بمعنى أنهم عـادوه، وكان منهم ذلك من بعد أن تبين لهم طريق الهدى، سواء من آيات الله المنزلة في القرآن.

فيكون القول متعلقا بالمنافقين، أم من التـوراة فيما بشرت به برسول الله ﷺ، فيكون القول متعلقا باليهود.

ذكر تعالى أن هؤلاء الـذين كفروا وصدوا وشاقوا الرسول لن يضروا الله شيئـا بأفعالهم هذه. ثم بين تعالـى أنهم إنما يضرون أنفسهم بذكـره أنه تعالى أنه سيحبط أعمـالهم. والمعنى أنه سيبطل مكايدهم فلا تفيدهم شيئا، كما أنه سيحرمهم ثواب أعمالهم الطيبة في أخراهم فلا تنفعهم.



التفســـير :

الخطاب ـ فى الآيـة ـ هو للمؤمنين، خاطبهم تعالـى بأنهم الذين آمنوا، ثم أمـرهم بما فيه صالحهم وهـو طاعة الله وطاعة الـرسول، فبين تلازم طاعة رسـوله ﷺ وطاعته تعالـى، ثم إنه نهاهم عـن إبطال أعمالهم الطيبـة، وهو ما يكون بـالمن، يدخل فـى هذا المن بالـدخول فى الإسلام، والمـن بالتصـدق أو بفعل الخيرات، ويـدخل فيـه الرياء، والعجـب بالنفـس، كما يدخل فيـه الأذى. وقيل إن المعاصي تبطل الطاعـات، وقد لا يكون هذا صحيحا لأنـه تعالى قال إن الحسنـات يذهبن السيئات، ولـم يقم دليل على أن العكـس صحيح وهو ما يخـالف النص.

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾

التفســـير :

جاءت الآية بحكـم فى الكافرين الذيـن يبقون على الكفر أحياء ويموتـون عليه، والحكم أنه تعالى لا يغفر لهم ذنوبهم. وصفهم تعالى بأنهم الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله، وكونهم الذين كفـروا معروف، وهو أنهم لا يـؤمنون، وصدهم عـن سبيل الله يكون بكل فعـل يكون من شأنه أن يمنـع الناس عن الدخـول في دين الله، وقد يكون منـه حجب المعرفة عمـن هم فى ولاية المرء أو تحت سلطانه أو سلطته ولو كانت هى السلطة الأبوية.

يذكر تعالى أنهم إذا مـابقوا على ما هم عليه من الكفر إلى وقت مـوتهم أنه تعالى لا يغفر لهم ذنبا اقترفوه. ويفهم من القول ـ بمفهوم المخالفة ـ أن من لا يموت على الكفر قد يغفر الله له .

﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾

التفسير :

الخطاب - في الآية - موجه إلى المؤمنين، جاء من بعد أن بين تعالى أنه مبطل أعمال الكافرين ومعاقبهم في الآخرة، فجاء قوله تعالى مرتبطا بهذا، كأنه تعالى يقول للمؤمنين إنه لما كان أمر الكافرين هو ما علمتموه فليكن منكم هذا.

والذى يكون من المؤمنين هو طاعة الله فيما ورد بالنص «فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم» وفيه نهاهم الله عن التخاذل والظهور بمظهر الضعف والوهن فيكون منهم دعوة الكفار إلى الصلح، حال كونهم الأعلون الغالبين بأمر الله. ثم إنه تعالى حث المؤمنين على التزام ما نهاهم عنه بذكره لهم أنه تعالى معهم والمعنى أنه لابد ناصرهم وأنه لن يضيع عليهم أعمالهم، ولن ينقصهم منها شيئا، فما داموا قد عملوا للحرب عملها فهو ناصرهم فيها بإذنه، كما أنه لن يضيع على من يستشهد فيها ولا من يجرح أجره الذى وعده .

﴿إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾﴾

التفسير :

الآيتان هما من الآيات التى تثبت أنه تعالى إنما شرع فى القرآن العظيم ما يوافق طبيعة

البشر التى ليس أعلم بها منه تعالى الخالق الواحد.

ذكر تعالى - فى مبتدأ القول - أن الحياة الدنيا لهو ولعب، وذلك لحث المؤمنين على الجهاد فى سبيل الله وعدم الركون إلى الصلح الذليل ببيان تفاهة الحياة فى الدنيا مقيسة بالخلود فى الجنة فى الآخرة، كما حثهم على عدم التكالب على الحياة الدنيا قصد جمع المال للاستمتاع به على حساب العمل للآخرة.

ثم أتبع هذا بقوله تعالى «وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم» وهو حث على البقاء على الإيمان والطاعة وتجنب غضب الله، ببيان أنه تعالى يثيب على هذا فى الدنيا والآخرة يكون الثواب بمثابة الأجر يستحقه المؤمنون المتقون.

ثم بين تعالى أنه إذا كان منه إعطاء الأجر فإنه لا يكون منه سؤال المؤمنين أداء جميع أموالهم فريضة فيها، ولهذا كانت محدودة بربع العشر، تعود منفعتها على مجتمع المسلمين وليس عليه تعالى الغنى الحميد.

ثم إنه تعالى يقول إنه إذا طلب من الناس جميع أموالهم فإنه يكون قد أجهدهم بهذا الطلب، والسبب أنه لايوافق الطبيعة البشرية التى غرز فيها تعالى غريزة حب الاقتناء.

ثم بين تعالى أنه لو كان قد أمر ببذل أموال الفرد من المؤمنين جميعها زكاة أو صدقة لكان منهم البخل عن البذل المطلوب فكان منهم العصيان، كما يكون منهم ظهور أحقادهم، إذ يبدى الغنى الذى يعطى حقده على الفقير الذى يأخذ. وعلى هذا فإن النص يكون مبينا أنه لا تكليف إلا بمقدور.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا۟ أَمْثَٰلَكُم ٣٨﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى للمؤمنين علة عدم طلبه بذل جميع أموالهم، فإنه تعالى بين في الآية أنه وإن كان قد طلب إنفاق بعض أموال الناس فيما يرضيه تعالى، يدخل فيه نفقة العيال. ونفقة الأقارب، والإنفاق في الجهاد، وأداء الزكاة، إلا أن من الناس من يبخل بماله فلا يخرج منه ما طلب تعالى إخراجه منه.

ثم كان منه تعالى أن بين أن من يبخل بالإنفاق لايضر غير نفسه بهذا البخل، إذ يحرم ثواب الطاعة وثواب الصدقة، ثم جاء قوله تعالى «والله الغنى وأنتم الفقراء» لبيان أنه تعالى في غنى عن أموال الناس فهو العاطي والمتفضل، حين أن الناس هم الفقراء إليه تعالى فهو الذي يوسع عليهم رزقهم وهو القادر على أن يمسكه عليهم، فهم المحتاجون إليه يتوسلون إليه بالطاعة ومنها طاعته فيما أمرهم به من الإنفاق.

ثم إنه تعالى أثبت أنه في غير حاجة إلى إيمانهم وأنه لايفيد منه شيئا، كما أنه في غير حاجة إلى أموالهم، فقال تعالى إنهم إن يعرضوا عن الإيمان فإنه قادر على أن يخلق مكانهم قوما آخرين. لايكون منهم التولى عن الطاعة في البذل ولا الإعراض عن الإيمان، بل يكونون مؤمنين طائعين .



بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفتح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِّيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ اللَّهُ
نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾

أولا : الأسـماء :

الفتح : فى قوله تعالى «إنا فتحنا لك فتحا مبينا» هو - فى الأصل - إزالة الإغلاق. وفتح البلد هو الظفر به بالحرب أو بالصلح. والمراد به - فى معنى الآية - هو صلح الحديبية وربما كان ذلك لأنه كان تمهيدا لفتح مكة، أو لكونه إخبارا عن جعل المشركين فى الحديبية مغلوبين خائفين طالبين الصلح .

ثانيا : التفسـير :

جاء قوله تعالى - فى مبتدأ القول - متعلقا بصلح الحديبية الذى تم بينه ﷺ وبين كفار مكة فأخبر أنه فتح له به فتحا مبينا ظاهرا، وذلك لكونه تمهيدا وسببا لفتح مكة.

ثم جاء قوله تعالى «ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» والخطاب فيه إلى رسول الله ﷺ. واللام فى «ليغفر»، قد تكون للتعليل وقد تكون للعاقبة، وقد يكون المراد بيانه هو أنه

يكون له ﷺ بسبب معـاناته مشاق الحروب سبب لمغفـرة ما تقدم من ذنبه ﷺ ومـا تأخر. ولا يعنى هذا ــ لدينا، والله أعلم ـ أنـه ﷺ قد ارتكب ذنوبـا، وإنما معناه أنه قد يـرى فى بعض أفعالـه تقصيرا يحسبـه من قبيـل الذنب، فكـان خطاب الله معـه من ذات المنطلـق وبذات المعنى، ومع ذلك فقد قيل إن ذنبه ﷺ أنه جعل يـوم بدريقول «اللهم إن تهلك هذه العصابة لاتعبد فى الأرض أبـدا» وأنه يوم حنين قال لأصحـابه بعد هزيمـة الكافرين «لولـم أرمهم لم ينهزموا». وقد يكون الجمع ــ فى القول ـ بين الفتح والمغفرة أريد به بيان أنـه تعالى يجمع له ﷺ ما تقر به عينـه فى الدنيا والآخرة. ثم أتبع تعـالى هذا بقوله «ويتم نعمتـه عليك ويهديك صراطـا مستقيما» فبين أنـه تعالى قـرر بشأنـه أمورا أربعة هـى فتح مكة، والمغفـرة ، وإتمام النعمة، وهداية الصراط المستقيـم. ثم قال تعالى «وينصرك الله نصرا عزيـزا» ليبين أنه تعالى أكسبه خير الداريـن النصر فى الدنيا ومغفرة الـذنب فى الآخرة. والنصر فى الـدنيا الذى قدره تعالى لرسوله يكون نصرا عزيزا، بمعنى أنه يكون غالبا لا ذل من بعده .

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ
لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ
ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ
عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ
وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ
وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ - السكينة : هى الهدوء والطمأنينة، وقيل هى العقل يقال له «سكينة» إذا سكن عن الميل إلى الشهوات وعن الرعب. وقيل إن المراد بها في معنى الآية هو الميل إلى ما جاء به رسول الله ﷺ .

٢ - دائرة السوء: قيل إن المراد بها - فى معنى الآية - هو الهزيمة والشر.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن خاطب تعالى رسوله ﷺ فأخبره أنه أنعم عليه بالفتح المبين وبغفران الذنب، وتمام النعمة، والهدى إلى الصراط المستقيم، والنصر العزيز، فإنه تعالى أثبت فى الآيات أنه منعم على المؤمنين بنعم قيمة. فأخبر عن ذاته أنه الذى أنزل السكينة على قلوب المؤمنين ليزدادوا إيمانا مع إيمانهم. وفى زيادة الإيمان قيل إنه لما صدق المؤمنون بشهادة أن لا إله إلا الله زادهم الله الصلاة، فلما صدقوه فيها زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، فلما صدقوه زادهم الحج، ثم أكمل لهم دينهم. وقيل إن المراد به هو زيادة يقين المؤمنين فوق يقينهم واطمئنان نفوسهم إلى الإيمان، مع الزيادة فى موافقة العمل الإيمان. فيكون المعنى أنه لما أفاض تعالى على المؤمنين بمبادىء الفتح سكنت قلوبهم واطمأنت إلى نصر الله إياهم، فأكسبهم الله إيمانا فوق إيمانهم. ويلاحظ فى القول أن التعبير عن حلول السكينة بالقلوب بأنه «إنزال» أريد به بيان النعمة لما فيه من تلميح إلى نزول القرآن العظيم أو إنزاله وهو أجل نعمة أنزلت من الله تعالى.

وفى القول بين تعالى أن له جنود السماوات والأرض، وهم الملائكة، وجنوده من الجن والإنس، يجاهدون فى سبيل إعلاء كلمة الدين بأمره تعالى، وأخبر أنه العليم بأحوال خلقه الحكيم فى التدبير وفى تكليف جنوده بحسب أجناسهم بما يستطيعه كل منهم .

ثم ذكر تعالى نعمة أخرى أنعم بها على المؤمنين ، وهى أنه تعالى يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار يخلدون فيها، لا يخرجون منها ولا يموتون، وأنه يكفر عنهم سيئاتهم فلا

يحاسبهم بها، ثم أثبت أن ذلك منه تعالى لهم فوز عظيم لأنه يتضمن إنجاءهم من المكاره وظفرهم بالخيرات .

وبعد هذا فإنه تعالى بين أنه بالفتح الذى فتحه على رسوله ﷺ يكون تعذيبه أو مبتدأ تعذيبه المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات ، يصيبهم الهم والغم إذ يرون علو كلمة المسلمين وارتفاع شأنهم وقدرهم، وبما يكون من انتصار المسلمين على الكافرين وإمعانهم فيهم القتل والأسر.

وفى القول وصف تعالى المنافقين والمشركين بأنهم الظانين بالله ظن السوء، بمعنى أنهم اعتقدوا أنه تعالى لاينصر رسوله ﷺ والمؤمنين، وأن رسول الله والمؤمنين لا يرجعون إلى المدينة، وأن المشركين يستأصلونهم.

ثم إنه تعالى دعا على المنافقين والمشركين أن تدور عليهم دائرة السوء أو أنه تعالى أخبر عن هذا، وهو ما يكون فى الدنيا بفضح المنافقين وقتل المشركين وأسرهم، ويكون فى الآخرة بتعذيبهم فى جهنم.

ثم بين تعالى أنه يكون عليهم ما هو أشد من هذا وهو غضبه تعالى عليهم ولعنهم بطردهم من رحمته، يكون من أثره أن جهنم تبدو كأنها إنما أعدت لتتلقاهم فتكون لهم المصير، ثم ذمها تعالى فبين أنها أسوأ مصير يكون لأحد من الخلق .

وجاء بعد هذا قوله تعالى «ولله جنود السماوات والأرض، وكان الله عزيزا حكيما» ليرد على المنافقين قولهم «أيظن محمد أنه إذا صالح أهل مكة أو فتحها لايبقى له عدو، فأين فارس والروم» فجاء القول داحضا أمانيهم الخبيثة إذ بين أن له تعالى الملائكة جنود السماوات ، والمؤمنين جنود الأرض يقاتلون فى سبيل الله فيعز تعالى الدين الحق بعزته بالجنود الذين يختار وبالطريق الذى يقدره بحكمته.

ثم إن القول قد يكون متضمنا التهديد للمنافقين والمشركين ببيان قدرته عليهم بتسليط جنوده عليهم، وإن كان تعالى قد قدر أن يؤخرهم إلى أجل مسمى .

إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ۝٩

التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ فقال له إنه أرسله شاهدا، بمعنى أن يكون على أمته أنه أبلغها رسالة ربه، لقوله تعالى «ويكون الرسول عليكم شهيدا» كما يكون شاهدا يوم القيامة للأنبياء أنهم قد بلغوا، كما قال تعالى إنه أرسله مبشرا ونذيرا، بمعنى أنه ﷺ يبشر المؤمنين الطائعين بالجنة، وينذر الكافرين والعصاة بعذاب الله.

ثم خاطب تعالى أمة رسول الله ﷺ بقوله «لتؤمنوا بالله ورسوله وتعزروه وتوقروه وتسبحوه بكرة وأصيلا». ويتصور أن تكون «اللام» فى «لتؤمنوا» هى «لام التعليل»، ويتصور أن تكون «لام الأمر». فيكون المعنى أن إرساله ﷺ لأجل أن يؤمن الناس، أو إنه تعالى أمر الناس بالإيمان. ويلاحظ ــ فى القول ــ الجمع بين الإيمان بالله والإيمان برسوله لبيان أن كمال الإيمان لا يكون إلا بالإيمان برسول الله ﷺ. وفى القول بين تعالى أنه أرسل رسوله ﷺ لكى ينصروه تعالى بمناصرة دينه، ويعظموه ويسبحوه بتنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه أو بالصلاة له ـ باعتبار أن الصلاة تتضمن تسبيحه أو إنه تعالى أمر بذلك. وقيل إن الضمير فى «تعزروه» و «توقروه» يعود إلى رسول الله ﷺ. ومعنى أن تسبيحه يكون بكرة وأصيلا هو أن يكون غدوة وعشيا، أو أن يكون المراد هو جميع النهار.

وقيل أيضا إن الخطاب فى الآية الثانية من الآيتين هو إلى رسول الله ﷺ، واستدل القائلون بهذا بقراءة ابن كثير، وابن محيصن، وأبو عمرو «ليؤمنوا» ولا يمنع أن تكون القراءة هى «لتؤمنوا» من أن يكون الخطاب إلى رسول الله ﷺ ولأمته، كما فى قوله تعالى «يا أيها النبى إذا طلقتم النساء».

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾

التفسـير:

خاطب تعالى رسولـه ﷺ فى شأن الذين بايعوه يوم الحديبية علـى الموت فى نصرته، أو على ألا يفـروا من قريـش، جاء التعبير عـن الحدث بالفعـل فى صيغة المضـارع لاستحضار الحال فى الذهن.

وفى القول أخبر تعالى عن هؤلاء بأنهم بـايعوا الله، وذلك لبيان أن الهدف من المبايعة هو نصرة الله، وأن طاعة رسول الله ﷺ هى طاعة لله.

ثم أكد تعالى هذا المعنى بقوله «يد الله فوق أيديهم» وفى القول تخييل لكونه تعالى منزها عن الجوارح، فيكون المعنى هو أن عقد الميثاق مع رسول الله ﷺ هو مثل العقد مع الله. وقيل إن معناه أن يد الله بالثواب فوق أيديهم بالوفاء، أو أن نعمته تعالى عليهم فوق ما صنعوا.

وبعد هذا حذر تعالـى من نقض العهد بقوله «فمن نكث فإنمـا ينكث على نفسه» بمعنى أن من ينقض هذا العهد فإن ضرر فعله لا يصيب غيره.

وقيل إنـه لم ينكث البيعـة إلا جد بن قيـس، وكان منـافقا. وقيل إنـه لم يبايـع أصـلا فلم ينكث.

وتبع تعـالى ذلك بـالحث على الـوفاء بعهد البيعة بقـوله «ومن أوفـى بما عاهـد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما»! وعد فيه من يوفى بعهد البيعة بالأجر العظيم وهو الجنة.

﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا
وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ
قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا
بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ الرَّسُولُ
وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ السَّوْءِ
وَكُنتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ المخلفون من الأعراب : هم جهينة، ومزينة، وغفار، وأشجع، والديل، وأسلم. من الأعراب الذين كانوا حول المدينة .

٢ ـ البور : في قوله تعالى «وكنتم قوما بورا» مصدر من الفعل «بار ـ يبور» وهو الهلك والهلاك. وهو وصف للمفرد والجمع، وقيل بجواز كونه جمعا لـ «بائر»، والقوم البور هم الهلكى لفساد عقيدتهم، المستحقون غضب الله، وهم الفاسدون في أنفسهم .

ثانيا : التفسير :

يخبر تعالى رسوله عن الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج معه حين قصد مكة عام الحديبية معتمرا، بعد أن استنفرهم ليخرجوا معه حذرا من قريش أن تحاربه أو تصده عن البيت الحرام، وقد كان من هؤلاء أنهم خشوا بأس قريش وثقيف وكنانة فتخلفوا عن الخروج معه ﷺ، وقالوا إنه ﷺ وأصحابه لن يرجعوا من هذه السفرة.

يخبر تعالى رسوله عنهم فيقول له إنهم سيقولون له إن أموالهم وأهليهم شغلتهم عن

الذهاب معه لأنهم لم يجدوا من يقوم على حمايتها وحمايتهم وإنهم سيسألونه أن يستغفر لهم الله عن تخلفهم هذا الذى يبرزه السبب الذى ذكروه .

ثم يعلمه تعالى أنهم كاذبون، وأنهم يقولون قولا يغاير ما فى قلوبهم، وقد يكون دليل هذا أنهم سألوه ﷺ أن يستغفر لهم ربه، وهو ما يعنى إقرارهم فى قلوبهم بمقارفة الذنب بتخلفهم، ثم إنهم يذكرون بألسنتهم خلاف ذلك بإدعائهم وجود السبب المبرر لتخلفهم .

وبعد هذا فإنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يبين لهم أنه ما من أحد يستطيع أن يمنع ما أرادة الله بهم، إن كان قد أراد بهم ضرا أو أراد بهم نفعا.

والمعنى أن بقاءهم على أموالهم وفى أهليهم لم يكن ليمنع ضررا يحل فى الأموال وفى الأهل إن كان تعالى قد أراد ذلك، وأن خروجهم معه ﷺ ومحاربتهم الكافرين إذا تعرضوا له ﷺ، لم يكن ليحول دون أن ينالهم خير ونفع أراده الله لهم. فيكون قوله ﷺ متضمنا التعريض بهم ومظهرا قدرته تعالى على فعل ما يريد .

ثم إنه ﷺ يصارحهم بحقيقة أمرهم فيخبرهم أنهم اعتقدوا أنه ﷺ والمؤمنين الذين خرجوا معه لن يرجعوا من هذا السفر إلى أهليهم وذوى قرباهم أبدا.

والمعنى أن الكافرين يستأصلونهم بالقتل. كما يخبرهم أن هذا الظن والاعتقاد قد زين فى قلوبهم، زينه لهم الشيطان فقبلته أنفسهم، أو أن فكرة استئصال رسول الله ﷺ والمؤمنين قد راقتهم وأعجبتهم لموافقتها بغضهم رسول الله والمؤمنين.

ثم يعيد ﷺ القول فيقول لهم «وظننتم ظن السوء» توبيخا لهم ولبيان أن جميع ظنونهم سيئة.

ثم يخبرهم بحقيقة أمرهم على ما ثبت فى علم الله تعالى الأزلى وهو أنهم من الهلكى الذين فسدت عقيدتهم فاستحقوا سخط الله عليهم وعقابه ينزل بهم .



وَمَن لَّمْ يُؤْمِن بِاللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا
لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ
وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾

التفسير:

بين تعالى أن من لم يؤمن بالله وبرسوله ﷺ وما دعا إليه من الدين يكون كافرا. والمراد كل من بلغته رسالة رسول الله ﷺ فلم يؤمن به رسولا نبيا وبما أنزل إليه من ربه. ثم بين تعالى أنه أعد للكافرين نارا مستعرة ملتهبة يعذبون فيها بكفرهم .

ثم أخبر تعالى عن شمول ملكه السماوات والأرض والمعنى دخولهما بمن فيهما وما فيهما فيما يملكه تعالى ويملك وحده التصرف فيه؛ ولهذا جاء قوله تعالى «يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء» إذ يكون ذلك من قبيل تصرف المالك في ملكه. ثم جاء قوله تعالى «وكان الله غفورا رحيما» لبيان أنه يغفر ذنوب عباده ويدخلهم في رحمته. ونرى - والله أعلم - أن قوله تعالى في مغفرة الذنوب وفي الرحمة يقرأ بقوله تعالى «فإنا أعتدنا للكافرين سعيرا» مما يكون مفاده أنه تعالى لا يغفر ذنوب الكافرين ولا يرحمهم، بل يكون ذلك لعصاة المؤمنين .

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا
ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟
كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ
تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

أولا : الأســــماء :

المغانم : فى قوله تعالى «إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها» المراد بهـا ـ فى معنى الآية ـ هو مغانم خيبر، على ما يبين من «السين» فى قوله تعالى «سيقول المخلفون» وهى للمستقبل القريب.

وقد كانت مغانم خيبر هى القريبة العهد من الحديبية إذ وعد تعالى أهل الحديبية أن يعوضهم عن مغانم مكة بمغانم خيبر.

ثانيا : التفســــير :

يقول تعالى لرسوله ﷺ إن المخلفين من الأعراب سيقولون له وللمؤمنين حين ينطلقون إلى خيبر لمقاتلة أهلها وغنم الغنائم التى علموا أنهم يغنمونها من وعده تعالى إياهم بها فى الحديبية، سيقولون لهم «ذرونا نتبعكم» أى دعونا نخرج معكم فنشهد خيبر.

ثم يقول له تعالى بشأنهم إنهم يريدون أن يغيروا كلام الله، وهو وعده تعالى أهل الحديبية أن يخصهم بمغانم خيبر، ذلك أن المخلفين يريدون مشاركة أهل الحديبية هذه المغانم.

ثم إنه تعالى يأمر رسوله ﷺ أن يقول لهم «لن تتبعونا» وهو بمعنى «لا تتبعونا» فهو نهى عن اتباع المؤمنين أو عن الخروج معهم، وأن يذكر لهم أن هذا هو قول الله تعالى من قبل أن يتهيؤوا للخروج، إذ كان منه تعالى فى الحديبية .

ثم إنه تعالى يخبر رسوله ﷺ أن المخلفين سيقولون للمؤمنين عند سماعهم نهيهم عن الخروج إلى خيبر، إن المؤمنين يحسدونهم ولا يريدون لهم أن يشاركوهم الغنائم، بمعنى أنهم ينكرون أن يكون الأمر بهذا هو من عند الله.

ولهذا جاء قوله تعالى «بل كانوا لا يفقهون إلا قليلا» فيه رد على زعمهم أن المؤمنين يحسدونهم، وبيان لجهلهم واقع أنه تعالى الذى أمر بهذا .

■■■■

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ ۖ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾﴾

أولا : الأسـماء :

القوم أولو البأس الشديد : فى قوله تعالى «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد» قيل هم بنو حنيفة قوم مسيلمة ، أهل اليمامة.

وقيل هم الروم الذين خرج إليهم رسول الله ﷺ سنة تبوك، والذين بعث إليهم فى مؤتة.

وقيل هم الفرس والروم،وقيل هم الأكراد، وقيل هم هوازن وثقيف، وقيل هوازن وغطفان يوم حنين.

والراجح أنهم بنو حنيفة، ويبعد أن يكونوا هم هوازن وغطفان .

ثانيا : التفسـير:

يأمر تعالى ـ فى الآية ـ رسوله ﷺ أن يقول للمخلفين إنهم سيدعون لقتال قوم أولى بأس شديد، يكون الأمر معهم المقاتلة إلى أن يسلموا فإن لم يسلموا بقوا على قتالهم، والراجح أن هؤلاء القوم أولى البأس الشديد هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب.

فإن قيل إنهم الروم، كان المقصود بالإسلام هو الانقياد وليس الدخول فى دين الله. والظاهر من قوله ﷺ لهم ـ بأمر ربه ـ «ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد» أن الداعى لن يكون رسول الله ﷺ لسبق قوله لهم «لن تخرجوا معى أبدا ولن تقاتلوا معى عدوا» .

ثم يقول لهم ﷺ إنهم إن يطيعوا الداعي إلى القتال يكون منه تعالى أن يوفيهم أجورهم غنائم في الدنيا والجنة في الآخرة، وإن يتولوا عن الدعوة كما فعلوا في الحديبية يكون منه تعالى تعذيبهم العذاب الشديد، يكون في الآخرة، أو في الدنيا والآخرة.

﴿لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ ۗ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾﴾

التفسير:

الآية الشريفة في حكم شرعي هو إباحة عدم الخروج في سبيل الله أو الجهاد لغير ذوي القدرة على ذلك جاء التعبير عن الإباحة بانعدام الحرج بمعنى انعدام الإثم.

وذكر النص الأعمى، والأعرج - وهو من به عيب في إحدى رجليه - والمريض وهو كل من به علة تجعله غير كفء للقتال.

ومفاد الإباحة أنه لايمنع من رخص له في القعود عن الجهاد عنه إذا أراد، وأنه يثاب عليه لو فعل.

ثم ذكر تعالى أن من يطيعه ورسوله ﷺ فيما أمرا به ونهيا عنه يثيبه الله على هذا بإدخاله جنات تجري من تحتها الأنهار، وأن من يعرض عن الطاعة يعذبه الله عذابا أليما.

فيكون القول وعدا للطائعين ووعيدا للعاصين المعرضين عن الطاعة.

۞ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ
عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ
السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا
وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا
فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ
صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ
اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ
لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ وَلَن
تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ
عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ﴿٢٤﴾

أولا: الأسـماء والأعلام :

١ - **المؤمنون** : المراد بهم - فى معنى الآية - أهل الحديبية إلا جد بن قيس الذى لم يبايع - على الراجح - والبيعة التى بايعوا فيها رسول الله هى بيعة الرضوان. وقيل إن المبايعة كانت على الموت، وقيل إنها كانت على عدم الفرار.

٢ ـ الشجرة : هى الشجرة التـى تمت البيعة لرسـول الله ﷺ تحتها ـ قيل إنهـا كانت شجرة سمر كان معقل بن يسار يأخذ بأغصانها عن وجه رسول الله ﷺ .

٣ ـ الذين كفروا : فى قوله تعالى «ولو قاتلكم الذين كفروا» قيل إن المراد بهم ـ فى معنى الآية ـ هم كفار مكة، وقيل هم أسد وغطفان حلفاء أهل خيبر، وقيل هم اليهود.

ثانيا : التفســـــير:

أخبر تعالى عن رضائه عن المؤمنين الذيـن بايعوا رسوله ﷺ بيعة الرضوان تحت الشجرة، وهم أهل الحديبية، وقد كان هذا بعد أن بعث رسول الله ﷺ عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى قريش يخبـرهم أن المسلمين لم يأتوا لقتـال و إنما جاءوا عمارا، ويدعوهـم إلى الإسلام وأن يبشر المؤمنين بمكة بالفتح و إظهار دين الله يكون قريبا، فاحتبسه أهل مكة الكافرون، وأشاعوا أنهم قتلوه، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فقال «لا نبرح حتى نناجز القوم» ثم نزل عليه جبريل عليه السلام يبلغه أمر ربه بالبيعة، فسار المسلمون إلى رسول الله ﷺ وبايعوه على الموت ـ فى قول ـ وعلى عدم الفرار من قـريش ـ فـى قول آخر ـ أخبـر تعالى عـن هذا فى خطاب وجهـه إلى رسوله ﷺ، ثم أعلمه أنه علم ما فى قلوبهم من صدق و إخلاص فى البيعة يوافق ما نطقت به ألسنتهم، وأنه قدر أن يجازيهم على إخلاصهم هذا بأن يجعل لهم فتحا قريبا، وهو فتح خيبر، وقيل هو فتح «هجر» بالبحرين، كما أنه تعالى قدر لهم أن تكون لهم مغانم كثيرة يأخذونها من هاذ الفتح، وفيها قيل إنه ﷺ قد قسم مغانـم خيبر بين الفاتحين، فجعل للفارس سهمين منها وللراجل سهما. ثـم جاء قوله تعالى «وكان الله عـزيزا حكيما» لإثبات أنه ـ وهـو الغالب على أمره متى وعد بالفتح والغنيمة تحقق وعده على ما قضت به حكمته فى الأمر.

ثم إنه تعالى خاطـب المؤمنين فقال لهم إنه وعدهم مغانم كثيرة يأخـذونها فى الدنيا إلى يوم القيامة، ثم كان منه تعالى أن عجل لهم أخـذ المغانم التى أشار إليها من قبل وهى مغانـم خيبر ـ على الراجح ـ ثم ذكر تعالـى أنه كف أيدى الناس عنهم، والناس المقصودون هم أهل خيبر وحلفاؤهم بنـو أسد وغطفان قذف تعالى فى قلـوبهم الرعب فخافوا قتـال المؤمنين ولم يقاتلوهم، وقيل هم أهل مكة كف تعالى أيديهم عن قتال المؤمنين بالصلح.

ثم ذكر تعالى أن كف أيدى الناس عن قتال المؤمنين، أو أن حصول المؤمنين على مغانم خيبر كان آية منه تعالى أريد بها أن يعرف المؤمنون أنهم مكرمون عند ربهم وأن يستوثقوا من صدق رسول الله ﷺ الذى وعدهم ـ بأمر ربه ـ بفتح خيبر وغنم المغانم الكثيرة منها، فيكون منه تعالى بهذه الآية أنه يهديهم الطريق المستقيم بتوكلهم عليه تعالى فى جميع أمورهم والثقة فى وعده.

ثم إنه تعالى يقول للمؤمنين إنه وعدهم مغانم أخرى لم يستطيعوا نيلها من قبل، بمعنى أنهم حاولوا ذلك ولم يتمكنوا منه، وإنه تعالى عجلها لهم لأنها قيض قدرته «قد أحاط بها»، قيل إنها مغانم هوازن التى غنمها المسلمون فى حنين. وأتبع تعالى قوله هذا بقوله «وكان الله على كل شىء قديرا» لبيان أنه ما من شىء إلا وهو فى مقدوره تعالى، وأنه لهذا يكون وعده نافذا محققا.

وبعد هذا يبين تعالى أنه كان قد قدر انتصار المؤمنين يكون بالقتال أو بغيره. فيثبت تعالى أنه لو كان الكافرون قد قاتلوهم لانهزموا منهم، فيكون القول مقبولا أن يكون فى أهل مكة الذين صالحوا ولم يقاتلوا، وأن يكون فى أهل خيبر وحلفائهم بنى أسد وغطفان الذين كف تعالى أيديهم عن قتال المؤمنين، ويخبر أن الكافرين لو كانوا قد قاتلوا المؤمنين لافتقدوا من يتولى حمايتهم من بعد هزيمتهم، وافتقدوا من ينصرهم من بعد هزيمتهم كما افتقدوه أن ينصرهم قبل أن يهزموا .

ثم بين تعالى أن قضاءه نصر المؤمنين على الكافرين هو سنته التى جرى بها حكمه من قبل «لأغلبن أنا ورسلى»، وأنه ليس هناك من يغير سنته تعالى فى خلقه أو فى تسييره أمورهم. وأتبع تعالى هذا ببيان أنه ما من شىء إلا وهو جار بقدره تعالى وبأمره، فأخبر عن ذاته العليا بأنه الذى منع كفار مكة عن قتال المؤمنين ببطن مكة أى بالحديبية ــ إذ أن بعضها من حرم مكة ـ وذلك من بعد أن أظهر الله المؤمنين عليهم، وقد يكون المراد بهذا هو ما كان من هبوط عدد من الكافرين قيل كانوا نحو ثمانين رجلا وقيل نحو ثلاثين من جهة جبل التنعيم بأسلحتهم يريدون أخذ المسلمين على غرة، فدعا عليهم رسول الله ﷺ ــ على ما قيل ـ

فأعجزهم الله عن فعل شىء، فأخذهم المسلمون، ثم عفا عنهم رسول الله ﷺ وخلى سبيلهم. .ثم بين تعالى أنه بكل ما يعمل المؤمنون عليم، يدخل فى هذا ما ذكر من عفوهم عن الذين أرادوا بهم سوءا بعد أن ظفروا بهم، ويدخل فيه جميع أعمالهم .

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **المعكوف** : فى قوله تعالى «والهدى معكوفا أن يبلغ محله» اسم مفعول من «عكف ـ يعكف»، بمعنى حبس، فالمعكوف هو المحبوس عن شىء أو عن فعل شىء .

٢ ـ **المعرة** : فى قوله تعالى «فتصيبكم منهم معرة» هى العيب، أو ما يعيب الإنسان، من «العر» وهو الجرب.

ثانيا : التفسير :

الخطاب ـ فى الآية ـ لايزال للمؤمنين، والقول هو فى قريش، يقول تعالى فيهم للمؤمنين أنهم الذين كفروا، بمعنى أنهم لم يؤمنوا لرسول الله ﷺ، وأنهم الذين منعوهم دخول المسجد الحرام عام الحديبية حين أحرم رسول الله ﷺ وأصحابه، وأنهم الذين حبسوا الهدى عن أن يبلغ محل نحره. فعل كفار قريش هذا رغم أنه ليس من دينهم ـ فيما يتعلق بالحج والعمرة ـ

فى شىء، وإنما أخذتهم فيه حمية الجاهلية.

ثم إنه لما كان فعلهم هذا مستوجبا العقاب يكون على يد المسلمين الذين منعوا المسجد الحرام ومنع هديهم وحبس عن محل نحره، وكان تعالى قد منع المسلمين من قتالهم، فإنه تعالى بين سبب عدم إذنه للمسلمين فى قتالهم، فقال تعالى ما مفاده أنه لولا أنه كان فى مكة يعيش بين ظهرانى المشركين رجال مؤمنون ونساء مؤمنات يخفون إيمانهم ومنهم المستضعفون أمثال سلمة بن هشام وعياش بن أبى ربيعة، وأبى جندل بن سهيل، لم يكن المسلمون يعلمون حقيقة أمرهم مما كان مؤداه فيما لو قاتلوا أهل مكة أنهم يطؤون هؤلاء المؤمنين المسلمين بالإيقاع بهم قتلا وتنكيلا، لولا هذا لكان تعالى قد أذن للمؤمنين بقتال أهل مكة آنذاك.

ثم بين تعالى أنه لو كان قد حدث من المؤمنين قتل الذين أسلموا وأخفوا إسلامهم من أهل مكة لكان قد أصاب المؤمنين عار وعيب من جراء فعلهم هذا بدون علم منهم، بأن يقول الكافرون حين يعلمون الأمر إنهم قتلوا أهل دينهم، وكان قد لزمهم كفارة القتل الخطأ. ويتصور فى قوله تعالى «ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم أن تطؤوهم» معنى آخر، يكون فيه الرجال المؤمنون والنساء المؤمنات هم الذين كانوا فى أصلاب الكافرين، وكان مقدرا لهم أن يكونوا من المؤمنين، والمؤمنات. فيكون سبب عدم الإذن للمؤمنين بقتال أهل مكة آنذاك هو الحرص على حياة هؤلاء المسلمين المستخفين فيهم وسلامتهم.

ثم ذكر تعالى سببا آخر لعدم إذنه للمسلمين بقتال أهل مكة بقوله تعالى «ليدخل الله فى رحمته من يشاء» بمعنى أنه يكون منه تعالى أن يشاء لبعض كفار مكة الإيمان والإسلام فيدخل هؤلاء فى دينه وفى رحمته التى تشمل المؤمنين. وقد ثبت أن من أهل مكة وقتذاك من أسلم وحسن إيمانه وإسلامه.

ويؤكد تعالى هذا المعنى بقوله «لو تزيلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عذابا أليما» بمعنى أنه لو كان قد تم تمييز المؤمنين عن الكافرين فتزيل وتفرق بعضهم عن بعض لكان تعالى قد قدر تعذيب الكافرين بأيدى المؤمنين بإذنه للمؤمنين بقتالهم.

﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الحميـة : هى الأنفة والكبر.

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى «إذ جعل الذين كفروا» فى محل نصب مفعول به بتقدير «اذكر» فكأن القول هو «اذكر إذ جعل الذين كفروا» والذى يذكره رسول الله ﷺ وكل مخاطب بالقول هو أنه تعالى جعل فى قلوب الذين كفروا كبر الجاهلية وأنفتها راسخة فى قلوبهم، تمثلت فى عدم إقرارهم بنبوة رسول الله ﷺ، وعدم قبول استفتاح وثيقة الصلح ببسم الله الرحمن الرحيم، وبمنعهم المسلمين دخول مكة. وفى المقابل يذكر تعالى أنه أنزل سكينته على رسوله وعلى المؤمنين وألزمهم كلمة التقوى، بمعنى أنه أنزل على قلوبهم الاطمئنان والوقار، ومن ذلك أنه لما أخبر رسول الله ﷺ أن الكفار قد جمعوا له وأنهم مقاتلوه واستشار الناس فى الإغارة على ذرارى الذين أعانوهم، أن أبا بكر قال له «إنما جئنا معتمرين ولم نجىء لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه». وأنه ﷺ لما جاءه بديل بن ورقاء الخزاعى فى نفر من قومه وقال له ﷺ إنى قد تركت كعب بن لؤى وعامر بن لؤى نزلوا قريبا معهم العوذ المطافيل وهم مقاتلوك وصادوك عن البيت، أنه ﷺ قال: «إنا لم نجىء لقتال أحد ولكن معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب وأضرت بهم فماذا عليهم لو خلوا بينى وبين سائر العرب، فإن هم أصابونى كان ذلك الذى أرادوا، وإن أظهرنى الله تعالى عليهم دخلوا فى الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلتهم وبهم قوة.

وفي القول بين تعالي أنه ألزم المؤمنين كلمة التقوى وهى «لا إله إلا الله» وقيل هى «بسم الله الرحمن الرحيم» التى لم يقر بها المشركون، بين تعالى اختصاص المؤمنين المسلمين بها بقوله وكانوا أحق بها بمعنى أنهم كانوا أحق من أهل مكة بقولها، ثم وصفهم بما هو أكثر من كونهم الأحق بهـا، وهو أنهم أهلها أو المستأهلون لهـا. كان ذلك منه بعلم لكونـه تعالى بكل شيء عليما.

لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾

التفسير:

يقرر تعالى ـ فى الآية ـ أنه صدق رسوله الرؤيا التى أراه فى منامه قبل خروجه إلى الحديبية وفيها رأى ﷺ أنه والمسلمين الذين معه دخلوا مكة وقد حلقوا وقصروا، ويبين تعالى أن رؤياه ﷺ حق، أو إنها متلبسة بالحق. فالقول هو شهادة منه تعالى بأنه أرى رسوله ﷺ الرؤيا التى قصها على المسلمين. وقد كان منهم أنهم حسبوا وقت أن قصها عليهم رسول الله ﷺ أنها تتحقق فى عامهم، فلما تأخر هذا قال المنافقون «والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام» فنزلت الآية.

ثم إنه تعالى أثبت أن ما أراه رسوله ﷺ يكون كما يبين من جواب القسم فى قوله تعالى «لتدخلن المسجد الحرام إن شاء الله». أكد فيه للمسلمين أنهم يدخلون المسجد الحرام آمنين من العدو، وجاء تعليق وقوع الدخول على المشيئة لتعليم الناس ذلك، أو لأنه تعالى أنه يكون من المسلمين أهل الحديبية من يموت قبل دخول المسجد الحرام الذى كان فى العام التالى، أو لبيان أن الدخول يكون بمشيئته تعالى وليس بتدبيرهم، كما أكد تعالى فيه أنه

يكون منهم من يحلق رأسه ويكون منهم من يقصر وأنه لا ينتابهم خوف من أعدائهم بعد تمام الحج. فيكونون وقت دخولهم مكة آمنين، ويكونون بعد الحج غير خائفين.

ثم قال تعالى «فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا»، أعلم المؤمنين أنه علم ما فى تأخير دخولهم مكة من خير لهم وصلاح لم يعلموه، وهو رجوعه ﷺ من خيبر بأموال وعدد صار بها المؤمنون أقوى من ذى قبل. وقد يكون المقصود - والله أعلم - غير هذا، وهو أنه كان بعد صلح الحديبية التقاء المؤمنين والكفار ووقوع الحديث بينهم، كان من أثره إيمان كثيرين من الكافرين بدون قتال وانضمامهم إلى جانب المؤمنين، وهو ما كان تعالى يعلمه، وكان المؤمنون يجهلونه، كما بين تعالى أنه من دون رؤيا رسوله ﷺ إلى فتح مكة فى العام الثامن جعل تعالى فتحا قريبا هو فتح خيبر الذى تقوى به المؤمنون.

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾

التفسير:

يشهد تعالى - فى الآية - بأنه الذى أرسل رسوله صلى الله عليه وسلم بالقرآن العظيم الذى يهدى الناس، فيكون رسوله ﷺ به هاديا، كما يشهد بأنه أرسله ليدعو الناس إلى دين الحق جل وعلا، وبالحق عقيدة وشريعة، ليكون هذا الدين هو الظاهر على الدين الذى بعث به الرسل من قبل، لأن أحكام الشريعة التى كانت من قبل أنسيت أو حرفت أو نسخت، على حين تبقى شريعة الإسلام إلى أن تقوم الساعة.

ثم إنه تعالى لما كان هو المرسل الرسل، وهو الذى له الدين، فإن شهادته تعالى تكون وحدها الكافية لإثبات صحة المشهود له، وهو كونه صلى الله عليه وسلم رسول الله إلى الناس كافة بدين الحق.

﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾

أولا : الأسـماء :

الشـطأ : فى قوله تعالى «كزرع أخرج شطأه» هو فروخ الزرع التى تخرج فى جانبيه، قال البعض إنها لاتكون إلا فى الحنطة والشعير، وقيل فيهما وفى غيرهما.

ثانيا : التفسـير :

يتصور فى قوله تعالى «محمد رسول الله» أن يكون بدلا من «رسوله» ويتصور أن يكون خبرا لمبتدأ محذوف تقديره «هو»، ويتصور أن يكون القول مبتدأ وخبرا، ثم عطف تعالى عليه الذين معه، وهم صحابته ﷺ، وأخبر عنهم أو وصفهم بأنهم أشداء على الكفار رحماء بينهم، بمعنى أنهم ذوو غلظة وشدة على الكافرين أعداء دين الله، وأن فيهم رقة ورحمة على إخوانهم المؤمنين.

ومن مظاهر غلظتهم على الكافرين أنهم يتحرزون منهم، ومن مظاهر رحمتهم بالمؤمنين

أنهم إذا لقوهم يصافحونهم .

كما أخبر عنهم سبحانه وتعالى خبرا آخر وهو أن من تتأتى منه الرؤية يراهم ركعا سجدا، بمعنى أنه يراهم قائمين على الصلاة، وأنهم إنما يبتغون بمحافظتهم على الصلاة ثواب الله تعالى ورضاءه عليهم، كما بين أن صفة الإيمان تكون لها علامة على وجوههم، قيل إنها هذا الأثر الذى يكون بالجباة يشبه ثفنة البعير الذى تحدثه كثرة السجود، ما لم يكن عن تعمد إحداثه بضغط الرؤوس على الأرض، وقيل هو نور يظهر على وجه العابدين مبعثه باطنهم النقى الطاهر يغلب على ظاهرهم ولو كانوا من الزنج أو الأحباش، وقيل هو بياض يغشى وجوههم يوم القيامة .

ثم يشير تعالى إلى أوصاف المؤمنين أصحاب رسول الله ﷺ، ويقول فيها وفيهم إن وصفهم هذا هو وصفهم فى التوراة والإنجيل، أو إنه وصفهم فى التوراة، ثم يخبر تعالى عن وصفهم فى الإنجيل فيقول إنهم وصفوا فيه بزرع أخرج فروخه فكان من فروخه أنها قوت الزرع، فيكون فى القول بيان لأن المؤمنين يكونون فى البداية قليلين ثم يكثرون ويقوون فيقوى بهم الدين والرسول. فيكون محمد ﷺ - فى المثل - هو الزرع، ويكون أصحابه هم الشطأ. وفى المثل تكون قوة الزرع معجبة الزراع، فتكون قوة المؤمنين معجبة الله تعالى ورسوله ﷺ، ومثيرة غيظ الكافرين.

وإنا لنجد فى الأناجيل التى بين أيدينا اليوم هذا، فقد ورد فى الاصحاح الثامن من إنجيل لوقا فى تشبيه عمل المؤمنين قول المسيح عليه السلام «خرج الزارع ليزرع زرعه، وفيما هو يزرع سقط بعض على الطريق فانداس وأكلته طيور السماء، وسقط آخر على الصخر، فلما نبت جف لأنه لم تكن له رطوبة وسقط آخر فى وسط الشوك فنبت معه الشوك وخنقه، وسقط آخر فى الأرض الصالحة فلما نبت صنع ثمرا مائة ضعف» ثم تضيف عبارة الإنجيل «قال هذا ونادى من له أذنان للسمع فليسمع» .

وجاء قوله تعالى - فى ختام الآية - «وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجرا عظيما». وفى القول جاءت «من» فى «منهم» للبيان، فبين أنه تعالى وعد المؤمنين

الذين عملوا الصالحات أن يغفر لهم ذنوبهم وأن يثيبهم ثوابا عظيما. وفى القول ـ مقروءا مع ماسبقه ــ ما يفيد أن وعده هذا يغيظ الكافرين لما يحمل من معنى خص المؤمنين دونهم بخير الآخرة من بعد أن كانت لهم العزة فى الدنيا.

■■■■

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾

التفسير:

الآية الشريفة مبدأ بيان مكارم الأخلاق وعلاقتها بصلاح الدين، نادى تعالى الذين آمنوا لتنبيههم إلى أهمية القول ليكون منهم الاهتمام بتلقيه والعمل به والمحافظة عليه، ثم نهاهم تعالى عن أن يقدموا بين يدى الله ورسوله بمعنى أن يسبقوا الله ورسوله بالقول فى الأمر قبل أن يحكم الله ورسوله به ويأذنا به. فيكون المعنى هو النهى عن القطع بأمر والجزم به والعمل به قبل أن يظهر الله ورسوله الحكم فيه، أو إنه النهى عن الإقدام على أمر من الأمور قبل عرضه

على الكتاب والسنة لمعرفة حكم لله ورسوله فيه.

ثم أتبع تعالى نهيه هذا بأمره المؤمنين بتقواه فى كل ما يعملون وكل ما يتركون عمله، وأعلمهم أنه يراقب أعمالهم ويحاسبهم بها بذكره أنه سميع عليم، يسمع أقوالهم ويعلم ما يعملون وما يخفون فى صدورهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾

التفسير:

كرر تعالى النداء على الذين آمنوا مبالغة فى إظهار أهمية ما يلقى إليهم من القول ثم نهاهم عن رفع أصواتهم فوق صوته ﷺ إذا تكلم، بمعنى ألا تبلغ درجة صوتهم فى علوها حد درجة صوته ﷺ، كما نهاهم عن أن تكون درجة أصواتهم فى العلو إذا ما خاطبوه ﷺ مثل درجتها لدى مخاطبتهم بعضهم بعضا.

فيكون المعنى هو ضرورة التزامهم خفض صوتهم إذا ما تكلموا فى حضرته ﷺ بما يليق بجلال النبوة. كما يتصور أن يكون المراد بالجهر الذى يماثل جهر بعضهم لبعض هو مناداته مناداة بعضهم لبعض مثل قولهم: «يامحمد» بل يكون منهم القول «يا نبى الله» أو «يارسول الله».

ثم بين تعالى علة نهيه المؤمنين عما نهاهم عنه بقوله «أن تحبط أعمالكم، وأنتم لا تشعرون» والمعنى هو أن يبطل فعلهم المنهى عنه أعمالهم الصالحة. وقد يكون ذلك لأن إبلاغهم بالنهى عن رفع صوتهم فى حضرة رسول الله ﷺ هو إعلام لهم بأن رفع صوتهم يؤذى

النبى ﷺ، ولما كان إيذاؤه ﷺ يبلغ درجة الكفر فإنه يكون من شأنه إحباط الأعمال الصالحة، لا يمنع منه عدم تعمدهم إيذاءه ﷺ لأنه يكون منهم إهمال جسيم فى الطاعة وهو فى حد ذاته خطأ يستوجب المؤاخذة .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ۚ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

التفسير:

الآية فى الحث على التزام نهيه تعالى عن رفع الصوت فى حضرة رسول الله ﷺ وفى الترغيب فيه.

إذ يخبر تعالى عن الذين يخفضون صوتهم عند رسول الله ﷺ، أنهم الذين أخضعهم الله للتجربة والاختبار على تقواه حتى مرنت على الطاعة فكان منهم إتقاء ما يغضبه تعالى ويؤذى رسوله ﷺ وهو رفع الصوت فى حضرته ﷺ وأنه تغفر لهم بتقواهم ذنوبهم فلا يعذبون بها فى الآخرة ويكون لهم الأجر العظيم على الطاعة ومنها طاعة الله فيما أمر به من غض الصوت عند رسول الله ﷺ .

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾

أولا : الأســــماء والأعلام :

١ ـ **الذين ينادون** : فى قوله تعالى «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات»، قيل كان رجلا واحدا هو الأقرع بن حابس، وافقه الذين كـانوا معه فنسب النداء إليهم جميعا، وقيل إنهم قوم من بنى تميم منهم قيس بـن عاصم، والزبرقان بن بدر، والأقرع بن حابـس، وسويد بن هاشم، وخالد بن مالك، وعطاء بن حابس، والقعقاع بـن معبد، ووكيع بن وكيع، وعيينــــة بن حصن ـ وهو الأحمق المطـاع واسمه حذيفة ـ قيل إنه الـذى نزل فيه قوله تعالـى «ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا» .

٢ ـ **الحجـرات** : جمع، مفرده الحجرة. وهى الرقعـة من الأرض المحجورة بحائط يحوط عليها والمراد بها ـ فى معنى القول ـ حجرات نساء رسول الله ﷺ .

ثانيا : التفســـــير:

نزلـت الآيتان فى وفد بنـى تميم الذيـن جاءوا رسول الله ﷺ وقـت خلوته فنادوا عليـه من خارج حجرات نسائه، يتصور فى هذا أن يكونوا قـد أتوها فنادوه من ورائها حجرة بعد حجرة، أو أن يكونوا قد تفرقوا على الحجرات منادين عليـه ﷺ. أخبر تعالى عنهم أنهم من قوم يغلب عليهم الجهل، أو أن أكثرهـم قد قصد ترك الأدب فى التعامل مـع رسول الله ﷺ، وأقلهم كان ذلك منه لأمر قصده فغفل عن الواجب.

ثم إنه تعالى بين خطأهم فى فعلهم بذكره لرسـوله ﷺ ـ المخاطب بالقول ـ أنهم لو كانوا قد انتظروا خروجه ﷺ إليهم، لكان ذلك أصلح لهم فى شئون دينهم وشئون دنياهم.

وقد يكون من هـذا أنهم لو كانوا قد تأدبـوا معه ﷺ لكان قد أعتق جميع الأسـرى ـ الذين جاءوا فى طلبهم ـ بغير فداء، لأنه ﷺ أعتق نصفهم وفادى على النصـف الآخر، وهم أسارى بنى عنبر.

وجـاء قولـه تعالـى «والله غفـور رحيم» لبيـان أنـه تعالـى يغفر لهـؤلاء المسيئيـن إن تابـوا وأصلحوا، وأنه رحمهم إذ اكتفى بنصحهم وتقريعهم على سوء أدبهم ولم يعذبهم به .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ٦ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ فِيكُمۡ رَسُولَ ٱللَّهِۚ لَوۡ يُطِيعُكُمۡ فِي كَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡرِ لَعَنِتُّمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ٧ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعۡمَةٗۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٨

أولا : الأسـماء والأعلام :

الفاسـق : فى قوله تعالى «إن جاءكم فاسق بنبأ» هو الكذاب، وهو المعلن بالذنب يرتكبه، والذى لا يستحى من الله. وقيل إن المراد به ـ فى القول ـ هو الوليد بن عقبة بن أبى معيط بعثه ﷺ إلى بنى المصطلق ـ وكانت بينه وبينهم ضغينة سابقة ـ فلما أبصروه قدموا إليه ليستقبلوه مرسلا من قبل النبى ﷺ فخافهم ورجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره أن القوم ارتدوا عن الإسلام وأنهم هموا بقتله وأنهم منعوا صدقاتهم، وقيل إنه ﷺ هم بغزوهم ثم قدم وفدهم عليه ﷺ، وقالوا له «سمعنا بمقدمه فخرجنا إليه لنكرمه» فأنزل الله تعالى الآية وسمى الوليد فاسقا .

ثانيا : التفسـير:

القول ـ فى الآيات ـ هو أيضا فى مكارم الأخلاق، نادى تعالى المؤمنين لاستثارة هممهم إلى السماع والطاعة ثم أمرهم أن يكون منهم أنه إذا جاءهم أحد الأشخاص الذين عرف عنهم الكذب أو الجهر بالمعاصى بخبر أو بنبأ يتعلق بآخرين، أن يكون منهم العمل على تبين وجه الحقيقة فى قوله والاستيثاق من صحة ما أخبر به أو أنبأ عنه، وبين أن علة هذا هى ألا

يكون منهم رد الفعل السريع المترتب على ما أخبروا به إذا ما تبين كذبه، الذى قد يكون منه إصابة أناس بأذى وضرر نتيجة جهلهم الحقيقة، فيكون منهم الخطأ الذى يندمون عليه حين يتبين لهم وجه الحق.

ثم إنه تعالى نهاهم عن الكذب بذكره لهم أن فيهم رسول الله ﷺ، وفى هذا سبب كاف لانتهائهم عن الكذب، ثم أخبرهم أنه لو كان من شأن رسوله ﷺ المسارعة إلى تلبية ما أرادوه قبل وضوح حقيقة الأمر له، كما لو كان ﷺ قد غزا بنى المصطلق بناء على ما سمع من الوليد ابن عقبة الذى أراد بهم شرا، لو كان من شأنه ﷺ هذا لنال المؤمنين منه العنت والمشقة إذ يكونون المتسببين بعدم تثبتهم فى إيذاء الناس بغير سبب، وهو اعتداء غير مشروع يعاقب عليه.

ثم يخاطب تعالى المؤمنين المخلصين الذين لايكذبون رسوله ﷺ فيقول لهم إنه جعل الإيمان الصحيح بما يجب الإيمان به فى دين الله محببا إلى قلوبهم وأنه زينه وحسنه بتوفيقه إياهم فكان فى قلوبهم حسنا فاختاروه بإرادتهم، وأنه كره إليهم الكفر والكذب ومقارفة المعاصى فامتنعوا عنها بإرادتهم.

ثم إنه تعالى أشار إلى الموصوفين بهذه الصفات وأخبر عنهم بأنهم هم الراشدون بمعنى أنهم الذين ساروا على الطريق السوى الموصل إلى ما فيه صالحهم فى الدنيا والآخرة .

ثم بين تعالى أن ما فعله للمؤمنين من تحبيبهم فى الإيمان وتزيينه فى قلوبهم، وبث الكراهية فى قلوبهم للكفر والفسوق والعصيان، هو من فضله تعالى الذى تفضل به عليهم، ومن نعمه التى أنعم عليهم، إذ به لا يؤاخذون بإثم يرتكبونه، وبه يكسبون رضاء الله عليهم .

ثم جاء قوله تعالى «والله عليم حكيم» يثبت أنه تعالى وقد علم حقيقة أمرهم أنعم عليهم بما يستحقونه وتفضل عليهم بما هو أكثر بموجب حكمته .

وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾

التفسـير:

الآيتان فى الحفاظ على وحدة المسلمين، فهما فى مصلحة عامة للدين والمجتمع، والخطاب فيهما إلى المؤمنين يأمرهم ربهم إذا اقتتلت طائفتان من المؤمنين أن يكون منهم الإصلاح بينهما، جاء ـ فى عبارة ـ القول الفعل «اقتتلوا» مسندا إلى الجمع، لأن كل طائفة تضم جمعا من الأفراد، أو لأن الجمع هو اثنان فأكثر. والصلح يكون بما يؤدى إليه من إزالة سوء الفهم والدعوة إلى حكم الله وكل طريق مشروع يؤدى إليه. ثم يقول تعالى إنه إذا تعدت إحداهما على الأخرى بغير حق لم يثنها عن هذا محاولات الإصلاح فإنه يكون على سائر المؤمنين قتال الطائفة الباغية إلى أن ترجع عن بغيها إلى حكم الله أو إلى الحق الذى أمر به تعالى؛ كما يقول إنه إذا كان من الطائفة الباغية ـ بعد قتال المؤمنين إياها ـ الرجوع إلى الحق الذى أمر به تعالى أو كان منها هذا خوف قتال المؤمنين إياها، فليكن من المؤمنين الإصلاح بينها وبين الطائفة التى بغى عليها بالعدل، فلا يكون التأثر بما وقع من قتالها. وأكد تعالى على وجوب العدل معها بقوله تعالى «وأقسطوا إن الله يحب المقسطين» وهو أمر بالعدل عموما وحث عليه ببيان أنه تعالى يحب الذين يعدلون، ومن العدل عدم الإساءة إلى من سبق منهم العدوان بعد رجوعهم إلى الحق.

ثم إنه تعالى بين علة أمره بالإصلاح بين المؤمنين فأثبت أنه تجمعهم رابطة الأخوة فى

الدين والإيمان، فالمقتتلون إخوة والمصلحون إخوتهم؛ ولهذا قال تعالى «فأصلحوا بين أخويكم» وقيل إن الآية نزلت في الأوس والخزرج وهما في حكم أخوين لاجتماعهما في الجد الأعلى.

وجاء قوله تعالى «واتقوا الله لعلكم ترحمون» أمر بتقواه تعالى في كل شيء، ومن ذلك ما أمر به تعالى من إصلاح بين المؤمنين المقتتلين، وحثا على هذا ببيان أنه لمن اتقى أن يأمل في رحمة الله تشمله فلا يكون من المعذبين.

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَـٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَـٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ ﴿١١﴾

التفسير:

الآية هي في درء أسباب تؤدي إلى التباغض بين المؤمنين، وهو ما يذهب بوحدتهم وائتلاف قلوبهم. تضمنت النهي عن ثلاثة أمور، وبينت علة النهي، وتوعدت من لم ينته عما نهت عنه.

خاطب تعالى المؤمنين ونهاهم عن أن يسخر قوم من قوم. والنهي يسري على الأفراد كما يسري على الجماعات والطوائف، والمنهي عنه هو السخرية، تكون بالاستهزاء، وبالاستحقار، وبالاستهانة، وبالإشارة إلى العيوب والضحك منها.

ثم بين تعالى علة النهي بقوله «عسى أن يكونوا خيرا منهم» . والمعنى هو أن المستهزأ به

قد يكون مكرما عند الله مفضلا على المستهزىء به.

ثم كرر تعالى النهى ذاته عن الاستهزاء إلى النساء المؤمنات، نهاهن عن السخرية والاستهزاء بأخريات وبين علة النهى ببيان أن المستهزأ بهن قد يكن ـ عند الله ـ أفضل من المستهزئات الساخرات.

ثم نهى تعالى عن اللمز، وهو الإعابة أو التلميح إلى العيوب بإشارة أو بحركة أو بقول، سواء أكان من شأن هذا إثارة الضحك أم لا.

وفى القول جاء لفظ «أنفسكم» ليبين للمؤمنين أن التعييب على مؤمن بشىء ينال العائب فيه، فكأن العائب يعيب على نفسه. والقول بهذا المعنى هو تنبيه على وجوب ستر العيوب.

ونهى تعالى عن التنابز بالألقاب، وهو الدعاء أو المناداة بألقاب يكرهها المدعو أو المنادى عليه كأن يقال له «يا ابن فلانة» لبيان أنه ابن امرأة كانت سيئة السمعة، أو أن يقال لأحدهم «يايهودى» فى إشارة إلى ما كان عليه قبل الإيمان والإسلام. أو أن يقال لذى عاهة يا أعرج أو يا أعور.

ثم إنه تعالى بين سوء الأعمال المنهى عنها للحث على الانتهاء عنها بقوله «بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان» بمعنى أن «بئس الذكر يذكر به المؤمن ـ من بعد مقارفة هذه الأعمال ـ أن يذكر بالفسق من بعد أن يذكر بالإيمان».

فيكون المراد بيانه عدم اجتماع الإيمان والفسق، أو أن الإيمان يستوجب ألا يكون فسق. وأعقب تعالى هذا بتخويفه المؤمنين من عقابه إذا هم لم ينتهوا عما نهاهم عنه، فقال تعالى «ومن لم يتب فأولئك هم الظالمون» بين أن السخرية بالمؤمنين واللمز والتنابز بالألقاب هى ذنوب يعاقب عليها ما لم تكن توبة، وأن من لم يتب عنها يوصف بالظالم، والظالم معذب بظلمه.

■■■■

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ١٢﴾

التفسير:

الآية في الحث على مكارم الأخلاق، خاطب تعالى المؤمنين ثم نهاهم عن الكثير من الظن بأقوى ما يكون عليه النهى وهو الاجتناب أو التجنب والابتعاد، فيكون المستفاد من القول هو أن القليل من الظن غير منهى عنه. ثم أخبر تعالى عن أن بعض الظن يكون إثما، فدل على أن البعض الآخر لا يعتبر مما يأثم به المرء. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن الكثير من الظن المنهى عنه يشمل الظن بالتهمة بشىء يخالف ما عرف عن المظنون به، كما يشمل الظن بالتهمة التى لم يعرف لها أمارة صحيحة وسبب ظاهر، وأن ما لا يعتبر إثما من الظن هو الظن بالتهمة فيمن جاهر بالمعاصى واشتهر عنه تعاطى الفساد، أو هو الظن المدعم ببعض الأدلة وإن لم تكن كافية للحكم بها على المظنون فيه. ومعلوم أن الكثير من أحكام الشريعة مبنى على الظن، فالقياس كمصدر للأحكام هو ظن، وخبر الآحاد ظن وليس يقينا وحكم الأروش أو القصاص فى الكسور مبنى على الظن.

ثم نهى تعالى المؤمنين عن التجسس وهو البحث عن المحجوب أمره عن المرء أو المكتوم عنه ومنه التطلع إلى عورات الناس وعيوبهم المخفاة. وقد يكون التجسس لقصد التيقن مما قام عليه الظن فيكون سوءا فوق سوء.

ونهى تعالى عن الغيبة وهى قول ما يسىء إلى المرء فى غيبته ولو كان حقا مادام يذكر عيب والغيبة ثلاث درجات، أولاها الغيبة وهى قول العيب الذى هو حق فى الغائب.

وثانيتها : الإفك وهو قول ما بلغ المغتاب فى الغائب .

وثالثتها : البهتان وهو قول غير الحق فى الغائب. ثم كره تعالى فى الغيبة بتمثيلها بأكل لحم الأخ ميتا الذى هو حرام مستقذر، جاء تشبيه المغتاب بالميت الذى يؤكل لحمه لايعلم بهذا لأن المغتاب لا يعلم بما يقوله فيه من يغتابه. ونفر تعالى من الغيبة بقوله «فكرهتموه» بمعنى أنه مادمتم قد كرهتم أكل لحم إخوتكم ميتين، فاكرهوا الغيبة، وأتبعه بأمره اتقاءه تعالى أو اتقاء غضبه الذى يحل بمن يرتكب شيئا من المحظورات الثلاثة المنهى عنها فى الآية، وبحثه من ارتكب شيئا منها على التوبة منها ليقبل تعالى توبته ويرحمه من عذابه بما قرف.

يَا أَيُّهَا النَّاسُ
إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا
إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾

أولا : الأسماء :

الشعوب : جمع، مفرده «الشعب» وهو - فى الأصل - ما تشعب عن الأصل. قيل إنه القبيلة العظيمة، وقيل إن الشعوب تكون فى العجم، كما أن القبائل تكون فى العرب ولعل الصحيح - والله أعلم - أن الشعب هو مجموع القبائل التى تعيش فى بقعة من الأرض محددة وتخضع لسلطة واحدة تحكمها .

ثانيا : التفسير :

الآية من الآيات التى تدعو إلى مكارم الأخلاق بعدم التفاخر بالحسب والنسب، تستهدف وحدة مجتمع المسلمين، جاء الخطاب فيها موجها إلى الناس جميعا ومنهم المؤمنون المخصوصون بالقول، دعا إلى توجيه الخطاب إلى الناس جميعا أن المخبر عنه يتعلق بهم

جميعا، وهو أنهـم جميعا من أصل واحد، إذ كـان خلقهم من أب واحد هـو آدم عليه السلام وحواء. فتكون وحدة الأصل دليلا على تساويهم فى النسب الأول.

ثم يذكر تعـالى أنه الذى جعل الناس شعـوبا وقبائل وأنه تعالى فعـل هذا ليكون التعارف بينهم. والمعنى عندنا ــ والله أعلم ـ أنه الذى أوجد الأسباب التى جعلـت الناس يتفرقون فى بقع من الأرض مختلفة ، منها أن ازدياد أعدادهم في بقعة محصورة من الأرض يجعلها تضيق بالرزق عليهم فيضطر بعضهم إلى الانتقال إلى بقع أخرى من الأرض، ومنها أن تقوم عداوات بين بعضهم والبعـض فيضطر بعضهم إلى الهجـرة مجبرا أو مختارا، ومنها أن يحـدث جفاف فى الأرض ، فيضطر القوم إلى التفرق فى الأرض بحثا عن الماء، فيكون تشعب الناس فى قبائل يجتمع عـ ـد منها فى مكان واحد فيكون شعبا.

ثم يكون التعارف بينهـم بسبب اختلاف كل بعقة فى الأرض يسكنها قـوم عن الأخرى فى طبيعتها وفى إنتاجها بما يخلق الحاجة إلى نتاج الأرض التى يسكنها آخرون، فيكون التعارف إما بطـريق إغارة قبـائل وشعوب على قبـائل وشعوب أخرى، وإمـا بطريق تبـادل الإنتاج أو التجارة .

وجاء قولـه تعالى «إن أكرمكم عند الله أتقـاكم» لبيان أن معيار المفاضلة بيـن الناس ليس هو الأصل أو النسب، وإنما هو تقوى الله بمراعاة حدوده فيمـا أمر به وما نهى عنه. أتبعه تعالى بقوله «إن الله عليـم خبير» ليثبت علمه بكل أحوال البشـر وبما توافر فى كل منهـم من صفات يكون لها أثرها فى درجة صاحبها لديه تعالى.

وقد يكون فـى هذا إشارة إلى سبـب نزول الآية وهو مـا قيل من أنه لمـا فتح رسول الله ﷺ مكة وأمر بـلالا أن يؤذن على ظهر الكعبة فأذن، قـال الحارث بن هشام «أما وجـد محمد غير هذا الغراب الأسود مؤذنا» أو إنه لما أمر رسول الله ﷺ بنى بياضة أن يزوجوا أبا هند امرأة منهم قالوا له ﷺ: «نزوج بنـاتنا موالينا؟» فكان القول لإثبات أنه لا تفاضـل بين الناس بسبب اللون أو بسبب الحسب والنسب، وأنه تعالى العليم الخبير بحال كل امرئ وما هو أهل له .

■■■■

﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ
ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ
وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ
لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الأعراب : هم البدو أهل الصحراء، قيل إن المراد بهم ــ فى معنى القول ــ أعراب من بنى أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ يطلبون الصدقة في سنة جدبة، نطقوا بالشهادتين دون أن تؤمن قلوبهم، وجعلوا يمنون عليه أنهم آمنوا ولم يقاتلوه.

وقيل هم أعراب مزينة وجهينة وأسلم وغفار والديل وأشجع قالوا آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم.

ثانيا : التفسير :

القول ـ في الآيات ــ هو في أعراب أتوا رسول الله ﷺ يطلبون الصدقة أو يريدون أن يأمنوا على أنفسهم وأموالهم متذرعين بأنهم مؤمنون بترديدهم الشهادتين، وذلك دون أن تكون قلوبهم قد آمنت، ففضح تعالى أمرهم بأمره رسوله ﷺ أن يقول لهم إنهم لم يؤمنوا، وأن

يكتفوا بقولهم إنهم أسلموا، بمعنى أنهم قالوا بألسنتهم دون قلوبهم كلمة الإيمان التى يقولها المؤمنون، أو بمعنى أنهم استسلموا وانقادوا قصد تحقيق مصلحة من حصول على نفع أو درء مضرة تلحق بهم.

كما أمره تعالى أن يقول لهم إنه إلى وقته الذى يحادثهم فيه لم يدخل الإيمان الصحيح قلوبهم؛ وأن ينصح لهم بطاعة الله ورسوله، تكون بالإيمان بما أنزل تعالى على رسوله ﷺ وما دعا إليه، وأن يحثهم على الطاعة بذكره لهم أنهم إذا ما أطاعوا الله ورسوله فإنه تعالى لا ينقص من أجر أعمالهم شيئا، ومنها قولهم كلمة التوحيد إذ تكون موافقة ما فى قلوبهم، وأن يذكر لهم من صفاته تعالى أنه غفور رحيم ليعلموا أنهم إن أطاعوا الله ورسوله يغفر لهم ذنوبهم ومنها كذبهم على رسول الله ﷺ بإدعائهم الإيمان، وأنه تعالى يدخلهم فى رحمته فتكون لهم الجنة لا يدخلها إلا من رحم ربك.

وبعد هذا يعرف تعالى بالمؤمنين الجديرين أن يوصفوا بأنهم مؤمنون، فيقول إنهم الذين آمنوا بالله ورسوله، بمعنى أنهم آمنوا بالله ووحدوه، وآمنوا لرسوله ﷺ وما أنزل إليه من ربه، ولم يشكوا فى شىء مما ورد بكتاب الله وما نطق به رسول الله ﷺ، وقرنوا إيمانهم بالعمل الصالح، وأمه الجهاد فى سبيل الله بالأموال والأنفس.

ثم يشير تعالى إلى الذين توافرت فيهم هذه الصفات ويخبر عنهم أنهم الصادقون، بمعنى أنهم الصادقون إذ يقولون عن أنفسهم إنهم مؤمنون، لموافقة شهادتهم لأنفسهم شهادة الله فيهم .

ويجىء قوله تعالى «قل أتعلمون الله بدينكم» إعلاما لرسول الله ﷺ أن القوم الأعراب سيقولون له ﷺ - كذبا - أنهم مؤمنون بقلوبهم، وأمرا إليه ﷺ أن يقول لهم - منكرا عليهم قولهم - «أتعلمون الله بدينكم» ليعلموا أنه تعالى يعلم عقيدة قلوبهم وأنها على غير ما يزعمون، وأن يؤكد لهم أن ما علمه تعالى هو الحق بذكره لهم أنه تعالى يعلم جميع ما فى السماوات وما فى الأرض، وأنه ما من شىء إلا وهو تعالى به عليم، ومن هذا حقيقة ما انطوت عليه قلوبهم وأخبر به رسوله ﷺ .

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا ۖ
قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم ۖ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ
إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ
بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

التفسير:

القول ــ في الآيتين ـ هو في الأعراب الذين جاءوا رسول الله ﷺ يقولون له «جئناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك» يخاطب تعالى رسوله ﷺ في شأن قولهم له، فيقول تعالى له إنهم يمنون عليك لأن أسلموا، ثم إنه لما كان الإسلام الصحيح لاينفع إلا من آمن، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن ينهاهم عن أن يمنوا عليه بإسلامهم، وأن يعرفهم أنهم إن آمنوا وصدقوا الله في إيمانهم فإنه تعالى يكون الذى من عليهم بأن هداهم إلى الإيمان.

وأنه تعالى يعلم ما سيكون منهم من إيمان صحيح أو عدم إيمان بحكم كونه تعالى الذى يعلم غيب السماوات والأرض، وأن يحذرهم من الكذب على الله ورسوله وألا يوافق عملهم ما ينطقون به، بذكره صلى الله عليه وسلم لهم أنه تعالى بصير بما يعملون، بما يعنى أنه محاسبهم به ومجازيهم .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة قٓ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ① بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ
هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ② أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ③ قَدْ عَلِمْنَا
مَا تَنقُصُ الْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ④ بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ
لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ⑤

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ المنـــذر : فى قوله تعالى «أن جاءهم منذر منهم» هو رسول الله محمد ﷺ .

٢ ـ الكتاب الحفيظ : فى قوله تعالى «وعندنا كتاب حفيظ» قيل هو اللوح المحفوظ، وقيل هو العلم والإحصاء .

٣ ـ المريج : فى قوله تعالى «فهم فى أمر مريج» هو المختلط .

ثانيا : التفســـــير:

افتحت السورة باسم الحرف «قٓ» قيل فيه إنه جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء

اخضرت منه السماء وهى عليه مثل القبة. وقيل إن ذا القرنين أتاه ورأى تحته جبالا صغارا فسأله عن نفسه فقال أنا قاف، وأن الجبال الصغار هى عروقه المتشعبة فى البلاد يكون منها الزلازل بأمر الله. وهذه محض أقوال. والراجح أنه من أسماء الأحرف وهى من المتشابه من القرآن. ثم أقسم تعالى بالقرآن المجيد، ويبدو أن المقسم عليه هو البعث على ما يبين من قوله تعالى «أئذا متنا وكنا ترابا».

ثم بين تعالى ما كان من قريش أو من العرب حين بعث تعالى محمدا ﷺ منهم رسولا منذرا بالقرآن، وهو تعجبهم من هذا الذى كان، ثم ميز بين الذين آمنوا منهم وبين الذين كفروا بذكره أن الكافرين منهم لم يؤمنوا بما أنذرهم به رسول الله ﷺ من حسابهم ومعاقبتهم بعد بعثهم فى الآخرة إذا ما أصروا على الكفر فقالوا عن البعث، أو عنه وعن إرسال رسول الله ﷺ إنه أمر عجيب، بمعنى أنه جدير أن يتعجب منه لفرط غرابته. ثم يدللون على عدم موافقة ما أخبروا به للعقل بقولهم «أئذا متنا وكنا ترابا، ذلك رجع بعيد» فيه ينكرون أنهم بعد موتهم وفناء أجسادهم فى الأرض مختلطة فى ترابها يكون لهم رد إلى الحياة من بعد ابتعاد الزمان عن وقت موتهم أو بمعنى أن الرد إلى الحياة هو أمر بعيد عن التصور.

ثم جاء قوله تعالى «قد علمنا ما تنقص الأرض منهم» وفيه قيل إن معناه أنه تعالى يعلم ما تأكل الأرض من أجسادهم إذا ما دفنوا فيها، وأين يكون، فيكون القول مشيرا إلى قدرته تعالى على جمع ذرات أجسادهم وإعادة تكوينها وإعادة الروح إليها وبعثها فى الآخرة، فتكون «ما» فى القول بمعنى الاسم الموصول «الذى»، والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن «ما» فى القول نافية، فيكون المعنى أنه تعالى يعلم أن الأرض لاتنقص بموتهم شيئا من وزنها ولا من حجمها، والمعنى أن ذرات أجسادهم لاتتبدد على الحقيقة ولاتزول، فيكون تعالى قادرا على جمعها وبعثها فى الآخرة.

يؤكد هذا قوله تعالى «وعندنا كتاب حفيظ» وهو اللوح المحفوظ ذكر فيه كل شىء وحفظ، ومن هذا ذرات جسد كل مخلوق أين تكون بعد موته ولو كان قد أكلته سباع الطير والحيوان أو أكلته الأسماك، أو احترق فى الفضاء.

ثم يذكر تعالى حقيقة أمرهم فيما يتعلق بإنكارهم البعث، وهى أنهم كذبوا بالقرآن العظيم - وهو الحق من ربهم - وفيه ذكر البعث، وأنهم لافتقادهم الحجة على كونه لم ينزل من الله تعالى مختلط قولهم فيه فهم يصفونه تارة بأنه سحر وتارة بأنه شعر، وأخرى بأنه أساطير الأولين .

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ
بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا
فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ
لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ
وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ
وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو بيان لضلال منكرى البعث الذين كان مفترضا فيهم أن يستدلوا من آيات الله فى خلقه على عظيم قدرته ومن هذا قدرته تعالى على بعثهم للحساب من بعد الموت .

جاء الاستفهام فى قوله تعالى «أفلم ينظروا» لإثبات أنهم نظروا ولإنكار أنهم إذ نظروا لم يعتبروا ولم يستدلوا على الحق. والذى نظروه ولم يعتبروا به يشتمل - فى مقام أول - فى السماء فوقهم بناها تعالى بغير عمد يرونها وزينها بالكواكب والنجوم دون أن تكون فيها شقوق وفتحات مرئية لهم. والمعلوم - على ما سبق بيانه - أنه تعالى قد جعل هذا بما خلق من

قوانين الطبيعة ومنها قانون الجاذبية، وقانون الطفو، ودرجة ابتعاد الكواكب والأجرام بعضها عن البعض. وقد يكون معنى قوله تعالى فى السماء «وما لها من فروج» - والله أعلم - هو «وما يكون للسماء من فروج» فيكون القول مشيرا لما حدث من تمزق طبقة الأوزون فى الغلاف الجوى المحيط بالأرض .

ويتمثل - فى مقام ثان - فى الأرض بسطها تعالى مع كونها كروية الشكل لتكون للناس معاشا ومهدا، وسبلا، ومسالك، وألقى فيها الجبال الرواسى لتحفظ توازنها أثناء دورانها حول محورها - على ما سبق بيانه وتفصيله علميا - وأثبت تعالى فيها من كل نوع من أنواع النبات ما هو حسن المنظر يسر الناظرين .

ثم بين تعالى أن ما خلقه من السماء والأرض وما جعله فيهما إنما كان منه تعالى تبصرة وذكرى لكل عبد منيب، بمعنى أنه يكون سببا لتبصر قدرته تعالى على فعل كل شىء ومنه البعث، وتذكيرا للحق وبالحق وهو أنه تعالى لم يخلق شيئا عبثا بما يفيد حتمية البعث للحساب والجزاء.

كما بين تعالى أن الذى يتبصر ويتذكر هو العبد المنيب، فيكون القول معرفا بأن جميع المكلفين عبيد الله، وأن من يتبصر منهم ويتذكر هو من خلق تعالى لديه الاستعداد للرجوع عن الباطل إلى الحق إذا ما قام لديه الدليل على ذلك، دون إصرار منه على الباطل .

ثم يذكر تعالى من آياته فى الخلق التى يستدل بها على قدرته على البعث إنزاله من السحاب يكون من جهة العلو ماء المطر الكثير البركة والخير ينبت به الجنات والبساتين بما تحوى من الأشجار المثمرة والأشجار التى تسر الناظرين كما ينبت به ما يحصد نتاجه مثل القمح والشعير والحبوب أو جميع ما يحصد ويدخر ويقتات به. كما ينبت به النخل تكون طوالا مستويات تخرج البلح ثمرها منضدا بعضه فوق بعض قبل أن يخرج من أكمامه. فيكون جميع ما يثبت من الأرض ببركة المطر رزقا للعباد ينتفعون به من الله ربهم والمدبر أحوالهم ومعيشتهم .

ثم يذكر تعالى مما يكون من المطر الذى ينزله من السماء أنه يكون به إحياء الأرض الميتة

التى خلت من مظاهر الحياة بسبب الجفاف، يبعث المطر فيها الحياة، إذ تتحرك بالنبات يخرج منها ثم تستقيم سوقه وتورق فتكون به الحياة. ويجىء قوله تعالى «كذلك الخروج» لبيان أنه على ذات النحو الذى يبعث الله فيه الحياة فى الأرض الميتة، يكون إحياؤه تعالى الأموات بالبعث وهذا هو ما كان مفترضا أن يستوثق منه الذين أنكروا البعث لو كانوا يتبصرون ويتذكرون .

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ
ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ
وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ
بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه كان على المكذبين بالبعث أن يؤمنوا به وقد نظروا آياته تعالى فى خلقه، فإنه أثبت فى الآيات أنهم اتبعوا سبيل الذين كذبوا الرسل الذين أخبروا بالبعث من أهل الأمم السابقة الذين أنزل بهم الله عذابه. ثم ذكر تعالى دليلا آخر على قدرته على بعث الأموات لعل المكذبين بالبعث به يتبصرون .

أخبر تعالى عن المكذبين بالبعث من قبل، فذكر قوم نوح عليه السلام، وذكر أصحاب الرس وهى البئر التى قيل إنها كانت بفلج وقيل كانت باليمامة، الذين قيل عنهم إنهم قتلوا نبيهم وألقوه فى البئر، وذكر ثمود قوم صالح عليه السلام، وعادا قوم هود عليه السلام، وذكر فرعون ـ والمراد هو فرعون ومن عاضده وأيده على الكفر من قومه ـ وذكر إخوان لوط وهم أهل زوجه الذين سكن قريتهم سدوم، فكان بمرتبة الأخ منهم، وذكر أصحاب الأيكة الذين أرسل

إليهم شعيب عليه السلام، وذكر قوم تبع، وهم القبيلة اليمنية التي تنتسب إليه. أخبر تعالى عنهم أن كلا منهم كذب الرسل، بمعنى أن كلا منهم كذب جميع الرسل الذين دعوا إلى التوحيد وذكروا بالبعث وأنذروا بالحساب، أو أن كلا منهم كذب الرسول المبعوث إليه من الله. ثم أثبت تعالى أنه قد حق في كل منهم وعيده بالعذاب؛ فيكون القول متضمنا تهديد المكذبين بالبعث من قوم رسول الله ﷺ بالعذاب.

أعقب هذا سبحانه وتعالى بإقامة دليل على قدرته على البعث بقوله «أفعيينا بالخلق الأول» جاء الاستفهام فيه لإنكار أنه تعالى قد عيي أو تعب من خلق المخلوقات من العدم، أو أنه لم يعرف كيف يكون الخلق والإيجاد من العدم لأول مرة، ليكون المستفاد من هذا أنه لا يعييه تعالى بعث الأموات إلى الحياة، إذ يكون هذا أهون من الخلق والإيجاد من العدم لأول مرة.

ثم ذكر تعالى حال المكذبين بالبعث بقوله «بل هم في لبس من خلق جديد» بمعنى أنهم مترددون في أنفسهم بين التصديق بالبعث وبين الكفر به وإنكاره.

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ
بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ
عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ
عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾

أولا: الأسماء:

١ ـ حبل الوريد: هو الوريد الممتد بين حلق المرء وعاتقه، الذي يسميه العرب «حبل

العاتق» وللإنسان منه اثنان أحدهما يتجه من الحلق إلى العاتق الأيمن، والآخر يتجه من الحلق إلى العاتق الأيسر.

٢ ـ القعيد : في قوله تعالى «عن اليمين وعن الشمال قعيد» هو القاعد، والمراد به في معنى الآية هو الملازم.

٣ ـ العتيد : في قوله تعالى «إلا لديه رقيب عتيد» هو المتتبع جميع الأمور، وهو الحافظ والشاهد، أو المعد لهذا

٤ ـ سكرة الموت : هي شدته وغمرته .

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالى حقيقة حال المكذبين بالبعث والحساب وأنهم مترددون بين الإيمان بالبعث وبين الكفر به، فإنه تعالى بين أن قوله فيهم هو قول الحق لأنه قول بعلم، فأثبت تعالى أنه الذى خلق الإنسان، إذ خلق آدم أبا البشرية، وخلق ذريته، ومن شأن الخالق أن يعرف أمور ما خلق، ثم أثبت أنه أقرب إليه من مكونات ذاته أو مما هو فيه، وليس المراد هو القرب المكانى و إنما القرب المعرفى، بمعنى أنه تعالى أعرف بالإنسان من نفسه، فإذا كان حبل الوريد أو الوريد الواصل بين حلق الإنسان وعاتقه هو بعض منه، فإنه تعالى أقرب إلى الإنسان من وريده هذا، ثم بين تعالى أنه رغم إحاطته علما بما يكون من الإنسان بحكم قربه منه على هذا النحو إلا أنه تعالى وكل بكل فرد من جنس الإنسان ملكين يكون أحدهما عن يمينه ـ وهو الذى يكتب حسناته ـ ويكون الآخر عن شماله ـ وهو الذي يكتب سيئاته، يكون كل منهما قاعدا فى مكانه لتدوين ما كلف من الله بتدوينه لتكون حجة على الفرد يوم يقال له «اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا».

وأوضح تعالى مدى إخلاص كل ملك من الملكين في أداء ما كلف به بذكره أنه ما من لفظ يتلفظ به المرء إلا تتبعه الملك الموكل به فحفظه عليه ودونه فى صحيفته، إن كان حسنا دونه ملك اليمين ، و إن كان سيئة دونه ملك الشمال، فيكون الملك رقيبا حافظا لما يقول، ويكون مستعدا دائما للحفظ والتدوين، ولهذا وصفه تعالى بأنه رقيب عتيد. وجاء بيان تدوين الأقوال مثبتا تدوين الأفعال من باب أولى .

ثم بين تعالى أن الحال يظل على هذا النحو من التدوين إلى أن تأتى المرء سكرة الموت بالحق، بمعنى إلى أن يعانى الفرد شدة الموت الذى هو الوعد الحق، أو الذى هو من الله الحق، فيقال له «ذلك ما كنت منه تحيد»، قيل إن معناه إن ذلك الموت هو ما كنت تفر منه وتحيد عنه. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن «ذلك» تشير إلى البعيد، وهو ما بعد الموت من الحساب ومن التنعيم أو التعذيب، لأن الموت يكون قريبا فلا يشار إليه بـ«ذلك» ، إذ أنه يعرض على المحتضر مكانه من الجنة أو من النار فيعرف مصيره، فيقال له عنه «ذلك ما كنت منه تحيد» بمعنى إنه ما كان يميل عن التصديق به إلى التكذيب .

وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ﴿٢١﴾ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ السائق : فى قوله تعالى «معها سائق وشهيد» قيل هو ملك يسوق كل امرئ يوم القيامة إلى أمر الله، وقيل هو قرين كل نفس من الشياطين سمى سائقا لأنه يتبعها .

٢ ـ الشهيد : فى قوله تعالى «معها سائق وشهيد» قيل هو ما يشهد على المرء يوم القيامة من جوارحه، وقيل هو عمل الإنسان، وقيل هو ملك يشهد على النفس بعملها .

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فيما يكون عند البعث الذى كذب به المكذبون، والذى هو حق، يكون عند النفخة الثانية فى الصور، فيكون به تحقق وعيده للكافرين المكذبين أنه معذبهم .

ثم يبين تعالى أنه تأتى كل نفس ربها معها سائق يسوقها إلى أمر ربها ومعها شاهد عليها. قيل فى السائق إنـه ملك وقيل إنه قرينها مـن الشياطين، وقيل فى الشواهـد إنه جوارح المرء التى تشهد عليه، وقيل هو ملك يشهد على النفس بعملها .

ثم يجىء قوله تعالى «لقد كنت فى غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد». وفيه قيل إن المخاطب هو رسول الله ﷺ، يقول لـه ربه إنه كان فى غفلة مـن الرسالة فى قريش فى جاهليتهم، وأن بصر عينيـه فى ذلـك اليوم أو بصيرة قلبـه يرى أو ترى مـا كان محجوبا عنه. وقيل إن الخطاب للمشركين والمكذبين، وهـذا عندنا ـ والله أعلم ـ هو ما يتفق وتسلسل المعنى، فيكون المعنى أن المكذب بالبعث، والكافر الذى لم يعمل لآخرتـه كان غافلا عن البعث والحساب، ثم كان منه تعالى معه فى الآخرة أن نـزع الغشاوة من فوق عينيه فنظر وشاهـد سيئاته التى يعذب بها ونزع الأقفال مـن فوق القلوب التى عميت فتيقنت من العذاب الذى أعد لها. يكون ذلك منه تعالى مع الكافرين قبل أن يعميهم .

وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ القرين : فى قوله تعالى «وقال قرينه» قيل هو الملاك الموكل بالمرء يوم القيامة، وقيل هو قرين المرء من الشياطين، وقيل هو قرين المرء من الإنس .

٢ ـ العنيد : فى قولـه تعالى «كل كفار عنيد» هـو المعرض عن الحق بإصرار، لا يثنيه عنه دليل ولا حجة .

٣ - المناع للخير: فى قوله تعالى «مناع للخير معتد مريب» قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو الوليد بن المغيرة لأنه كان يمنع ابن أخيه عن الإسلام وهو الخير.

ثانيا: التفسير:

يقول تعالى إنه بعد أن يأتى المرء ربه من بعد البعث معه سائق وشهيد، يكون من الملك الموكل بأمره أن يقدم كتاب عمل المرء أو صحيفة أعماله قائلا إن هذا هو ما عنده من كتاب عمله معد لديه محفوظ.

فيقول تعالى وهو العالم بما كان منه وبما هو ثابت فى كتابه أو فى صحيفة أعماله للسائق والشهيد «ألقيا فى جهنم كل كفار عنيد».

وقيل إنه يقال هذا للقرين خوطب بلفظ الاثنين. وهو أمر بأن يكون من السائق والشهيد المرافقين كل نفس أن يلقيا فى جهم من حقت عليه كلمة العذاب، وصف من أمر بإلقائه فى جهنم بأنه كل كفار عنيد، فهو الكافر الذى أصر على الكفر رادا الحق بعد أن تبينت له دلالاته وأماراته.

وهو المناع للخير يمنع الناس عن الإيمان أو يمتنع عن أداء الزكاة المفروضة، وهو المعتدى بغير حق على حقوق العباد بعد أن قصر فى حق الله تعالى. وهو الشاك المرتاب فى توحيد الله تعالى، وهو المشرك الذى أشرك بعبادة الله تعالى فعبد معه إلٰها فى عقيدته غير الله الواحد الذى لا إلٰه غيره.

۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا
مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ
وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ
لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ القـــرين : فى قوله تعالـى «قال قرينه ربنا ما أطغيته» قيل هـو الشيطان القرين، وقيل هو الملـك القرين، والـذى نراه ــ والله أعلم ـ أنـه الشيطان القريـن، بدلالـة قوله تعـالى «لا تختصموا لدى وقد قدمت إليكم بالوعيد» .

ثانيا : التفســــير:

مفاد قولـه تعالى أنه يكون مـن الشيطان الذى كان قرينا للكـافر أنه يتبرأ منه ويـرجع تبعة الكفر والعصيان إلـى الكافر والعاصى، بذكـره أنه ليس الذى دفعه إلـى الكفر والعصيان، وأن الكافر والعاصى هـو الذى كان من نفسه على ضلال من الأمر بعيد، وقيـل إن الكافر العاصى يقول عن الملـك إنه زاد فى كتابة سيئاتـه فينكر الملك هذا، والراجح أن القـائل هو الشيطان القرين علـى ما يبين من قولـه تعالى «لا تختصموا لدى وقد قـدمت إليكم بالوعيـد». ويذكر تعالى أنه يقول للكافرين وقرنائهم من الشيـاطين ألا يختصموا لديه تعالى، بمعنى أنه ينهاهم عن هذا فى حضرته، لأنه تخاصم لا يفيد، إذ سبق منه تعالى أنه توعدهم بعذاب جهنم بقوله «لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين».

ويبين تعالى أن قوله فيهم أن يملأ منهم جهنم هـو قول لا تبديل له ولا تغيير، وأنه بتعذيبهم إنما يعذبهم بما كان منهم أو إنه تعالى يعـذبهم بكفرهم و إجرامهم فى حق الله وحق أنفسهم وحقوق الناس، وأنه لا يزيد لأحد فى العذاب فوق ما استحق بعمله .

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾
وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ
أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾
ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعالـى أنه يقال للكافرين وقرنائهـم من الشياطين إنه ســـــبق منه القول أن يملأ منهـم جهنم الذي يشير إليـه قوله تعـالى «وقد قدمت إليكم بالوعيــــد»، فإنه تعـالى يقــــول «يوم نقول لجهنم هل امتـلأت وتقول هل من مـزيد» جاء فيه «يوم» منصـوبا ليكون مفـاد القول هـو «مـا يبدل القـول لـدى يوم نقـول لجهنم» أو لكـونـه مفعولا بـه بتقـدير فعـل «وأنذرهم».

والمراد إثباته هو أنه تعالى يسأل جهنم يـومذاك عما إذا كانت قد امتلأت، فتجيب جهنم بعد أن أنطقها الله قائلـة «هل من مزيد» وفيه قيـل إنها تعبر بالاستفهام عن امتـلائها، فتسأل: «هل لايزال هناك مزيد من الكافرين يلقون فيها»، وقيل ـ وهو ما نراه والله أعلم ـ إن الاستفهام يفيد عدم امتلائها وانتظارها المزيد من أهلهـا يلقون فيها، وقيل إنه ما من بيت ولا سلسلة ولا مقمع ولاتـابوت في جهنم إلا وعليـه اسم صاحبـه، ولذلك فـإن جهنم تعرف من وجـود هذه الأشياء دون أصحابها أنها لم يدخلها جميع من قدر لهم أنهم داخلوها، فتطلب المزيد ممن يلقون فيها. فإذا مـا امتلأت ولم يبق من أهلها أحـد لم يدخلها قال خزنتهـا «قط قط، حسبنا حسبنا، اكتفينا اكتفينا» وعندئذ تنطبق جهنم على أهلها.

ثم يقول تعالى «وأزلفت الجنة للمتقين غير بعيد» بمعنى أنها تقرب إليهم وتدنى منهم يوم القيامة الذى ليس ببعيد زمانه، لأنه واقع لا محـال، وكل ما هو آت قريب، وقيل إن المعنى أنه تعالى قرب الجنة من قلوب المتقين حين يسر لهـم فى الدنيا اجتناب المعاصى، كما قيل إن معناه أنـه قرب لهم مواضعــهم في الجنة مـن مكان دخولهـا، أو فيما بين بعضهــم والبعض فيها.

كما يذكر تعالـى أنه يقال للمتقين بعد تقريب الجنة منهم إنها هـى الجزاء الذى وعدوا به فى الدنيا فـى كتبه المنزلة وعلى ألسنة رسله، إذ كـان قوله تعالى وقولهـم إنه يكون لكل أواب حفيظ بمعنى أنه يكون للرجاعين إلى الله من بعـد ارتكاب المعاصى، يكون منهم الرجوع إلى الله كلما ارتكبوا ذنبا أو معصيـة، أو للمسبحين الله لقوله تعالى «يا جبال أوبـى معه». والذين

هم حـافظون حقوق الله يؤدون الفـرائض ويؤدون حقوق النعمة مـن الشكر ويحفظون وصـايـاه تعالى بالقبول .

ثم يصف تعالى هؤلاء الذين أزلفت الجنة لهم بأنهم كل من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب، بمعنى أنهم كل من خشى غضب الله تعالى الموصوف بأنه الرحمن، فهو يخشاه رغم علمه أنه الرحمن الذى يرحم عباده، وأنه رغم معرفته بذلك يخشاه مما مفاده أن يحرص على ألا يخطىء خطأ يسيرا، يكون منه هذا رغم أنه لم ير ربه أو بمعنى أنه يخاف الله ويخشاه فى خلوتـه غائبا عن الناس فـى حضرته تعالى. وأقبل علـى طاعته تعالى بقلـب مخلص فى إيمانه وفى العمل مبتغيا وجه ربه.

ثم يذكر تعالـى أنه يقال لأهل هذه الصفات ادخلوا الجنة بسلامـة من أن تعذبوا أو بسلام من الله وملائكته عليكم ليكون لكم فيها الخلود .

ويتبع تعـالى هذا بذكـره أنه يكون لهم فـى الجنة كل مـا تشتهى أنفسهم من النعـم، وما يجمل فى أعينهم ، ثم يكون لهم ما يزيد على هـذا فضلا من الله وكرما. قيل فيه إنه النظر إلى وجهه الكريم تعالى. وقيل هو كل ما ينعم به عليهم مما لم يروه فى دنياهم ولم يعرفوا خيره من صنوف الخير واللذائذ .

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ
هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ
وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾

التفســـير:

الخطاب إلـى رسول الله ﷺ، وهو فـى شأن المكـذبين من قـومه، جاءت «كـم» فى قـوله تعالى «وكم أهلكنا قبلهـم من قرن» للكثرة، فالمراد بها بيان أن الأقـوام الذين أهلكهم الله من

المكذبين رسلهم والمكذبين بالبعث قبل زمانه ﷺ وزمان قومه كثيرون. ووصف تعالى هؤلاء المكذبين المهلكين بأنهم كانوا أكثر بطشا وقوة من قومه ﷺ، والمراد هو بيان أن قوتهم لم تمنع عنهم عذاب الله، فيكون قومه ﷺ أهون على العذاب وأضعف ممن سبقوهم، ثم ذكر تعالى أن هؤلاء السابقين نقبوا فى البلاد.

ويبين من «الفاء» فى «فنقبوا» أنها لإظهار علاقة السببية بين قوتهم وبين بطشهم وبين التنقيب فى البلاد بمعنى الطوف بها وتملكها، بمعنى أنهم بقوتهم طوفوا بالبلاد وملكوها تمسكا بالحياة وهربا من الموت أو نسيانا لأمره. ويتصور فى المعنى أن يكون أنهم بحثوا فى البلاد عن ملجأ يكون لهم فيه خلاص من عذاب الله و إهلاكهم، والمستفاد من القول أنهم لم يكن لهم من الهلاك خلاص.

وقيل إن الضمير فى «فنقبوا» يعود إلى أهل مكة الذين ساروا فى قرى المهلكين وتبين لهم أنه لم يكن للمهلكين محيص من عذاب الله مما كان مفاده ضرورة اعتبارهم بهذا، فيكون المراد بالاستفهام هو الإنكار على كفار مكة أن يكونوا قد وجدوا محيصا ينجيهم من عذاب الله إذا حل بهم.

ثم يبين تعالى أن الذى يتذكر ويعتبر بما جاء فى قصص المهلكين أو بما ذكر فى السورة، هو من كان له قلب يعى ويفهم ويعتبر.

فيكون القول مفيدا أن من لا يتذكر قلبه ولا يعتبر هو مثل من لا قلب له، وأن الذى يتذكر ويعتبر هو من أصغى إلى القرآن العظيم يتلى عليه حاضر الذهن مع الحاضرين التلاوة أو من أصغى إليه شاهدا أنه من الله .

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ
طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول - في الآيات - ببيان مظهر من مظاهر قدرته تمهيدا لما أمر به رسوله ﷺ بعد هذا .

فذكر تعالى أنه خلق السماوات والأرض وما بينهما في ستة أيام، والمعنى أنه تعالى خلقها وخلق ما فيها ودبر جميع شئونهم، وهذه أعمال يعجز العقل عن تصور مدى القدرة عليها.

وذكر تعالى أنه لم ينله شيء من التعب بسبب هذه الأعمال التي تجل عن الوصف لفرط عظمها، فرد على اليهود الذين حرفوا التوراة فقالوا إنه تعالى استراح في اليوم السابع.

ثم أتبع هذا بأمره رسول الله ﷺ أن يصبر على ما يقول الكافرون في شأن البعث من إنكار له، وما يقول اليهود من تعبه تعالى من خلق السماوات والأرض مما احتاج معه إلى الراحة. فيكون الأمر بالصبر من بعد ذكر قدرته تعالى هو لبيان أنه تعالى بقدرته منتقم من المكذبين بالبعث ومن الذين نسبوا إليه التعب والحاجة إلى الراحة ثم أمر رسوله ﷺ أن يسبح ربه حامدا ما أنعم به عليه، والمعنى هو أن ينزهه تعالى عما لايليق بذاته مقرنا هذا بحمده على نعمة الاصطفاء ونعمة الإيمان، وجاء ذكر وقتي الفجر والعصر لبيان فضل التسبيح فيهما وليس من قبيل حصر وقت التسبيح والحمد فيهما. والأمر لرسول الله هو بصفته رأس المؤمنين فيكون لهم بالتبعية، ثم أمره تعالى أن يسبحه بعض الليل وأعقاب الصلاة .

وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ۚ
ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ
ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ۚ ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ
وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ - **المنـادى** : فى قـوله تعالى «واستمـع يوم يناد المناد» قيـل هو جبريل عليـه السلام، ينفخ إسرافيل فى الصور وينادى جبريل : «يـا أيتها العظام النخرة والجلود المتمزقة والشعور المتقطعة إن الله يأمرك أن تجتمعى لفصل الحساب». وقيل إن المنادى هو إسرافيل .

٢ - **المكان القريب** : فى قولـه تعالى «من مكان قـريب» قيل هو صخـرة بيت المقدس. وقيل هو كنايـة عن سماع الجميع النداء فكأنـه يكون قريبا من كل المنـادَى عليهم. وقيل إنه ليس من نداء على الحقيقة وإن المراد هو بيان أن إحياء الموتى يكون بمجرد الإراده .

٣ - **الحـــق** : فى قـوله تعـالى «يوم يسمعـون الصيحة بـالحق» هو - فى معنـى القول - البعث.

ثانيا : التفســـير :

يتصور أن يكون الخطـاب إلى رسول الله ﷺ، فيكون الأمر بـالسماع منصرفا إلـى المذكور مما يكون يـوم القيامة وهو ما يـدلل على أن ما أخبربـه عن البعث هو الصحيح الـذى يدركه المكذبـون بعد فوات الأوان، فيكون الأمـر بالسماع متضمنـا أمرا بالانتظار. ويتصـور أن يكون الخطاب إلـى كل من يكـون منه السمـاع. والمأمور بسمـاعه هو نـداء الملك علـى الأموات بالقيام مـن القبور، قيل إنه جبـريل وقيل إنه إسرافيـل، يكون نداؤه مسموعـا لجميع الأموات فيكون كما لو كـان قريبا منهم، أو يكون على قـرب منهم على الحقيقة وفيه قيل إنـه يكون من منابت شعورهم تسمعه كل شعره، وقيل يكون من تحت أقدامهم.

ثم يقول تعالى إنه يـوم يسمع الخلق الصيحة الثانية التى هى بالبعث - وهو الحق - يكون ذلك اليوم هو يوم الخروج من القبور. «ويوم الخروج» هو اسم من أسماء يوم القيامة .

ويخبر تعالى عن ذاته بأنه الذى يحيى ويميت بإرادته وحده، وأنه الذى يكون الرجوع إليه فى الآخرة للحساب والجزاء الذى هو مصير كل مكلـف. ثم يبين تعالى أن هذا المصير الذى يكون إليه كل مكلف يكون يوم تنشق الأرض فيخرج الموتى منها مسرعين، ثم يشير تعالى إلى

هذا المذكور ويخبر عنه أنه حشر بمعنى أنه بعث وجمع، كما يخبر أن أمره يسير عليه هين.

ثم إنه تعالى يسلـى رسوله ﷺ ويهدد المكذبين بقوله له «نحن أعلـم بما يقولون» بمعنى أنه تعـالى يعلم ما يقـولون فى القرآن وفـى رسول الله ﷺ وفى البعـث، وأنه تعالى محـاسبهم بقولهـم ومجازيهم . ثم إنـه تعالى يعفيه ﷺ مـن المسئولية عنهم بـذكره له أنه ليـس عليهم بجبار، بمعنى أنه ليست له عليهم سلطة يقسرهـم بها على الإيمان أو ينتقم بها ممن لم يؤمن. ثم يبين له أنه ليس سوى نذير بالقرآن، يبين هذا من أمره أن يذكر بالقرآن العظيم، وإعلامه أنه لا ينتفع بهذا التذكير إلا من خشع قلبه لله فهو يخاف وعيده تعالى ويعمل على الابتعاد عن أن يكون من المتوعدين المعذبين ، فيكون منه الإيمان واليقين .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الذاريـــات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ فَٱلْحَٰمِلَٰتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ فَٱلْجَٰرِيَٰتِ يُسْرًا ﴿٣﴾
فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴿٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الذاريات : قيل هـى الرياح التى تـذرو ذرات التراب والرمـال وما شابهها، وقيـل هى النساء الولود يذرين الأولاد .

٢ ـ الحاملات : قيل هى الرياح الحاملة السحاب، وقيل هى السحب الحاملة المطر. وقيل هى السفن .

٣ ـ الوقر : فى قوله تعالى «فالحاملات وقرا» هو الحمل الثقيل، والمراد به ـ فى معنى الآية ـ هو السحاب أو المطر.

٤ ـ الجاريات : قيل إن المراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو السفن، تجرى فى الماء جريا سهلا. وقيل هى السحب تجرى إلى حيث يشاء الله، وقيل هى الكواكب تجرى فى منازلها، وقيل هى الكواكب السيارة .

٥ ـ المقسمات أمرا : قيل إن المراد بها هو الملائكة الذين يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمرهم به الله. وقيل هى السحب يقسم الله بها أرزاق العباد .

ثانيا : التفســــير:

أقسم تعالى بالرياح تذرو التراب والرمال ذروا، وبالسحب الحاملة المطر، وبالسفن الجارية فى الماء جريا سهلا، وبالملائكة التى تقسم الأمور بين الخلق بأمر الله، على أن وعده تعالى أو توعده ـ على الأظهر ـ صادق، وأن الجزاء على ما كان فى الدنيا واقع لا محالة. وفى القول جاءت الفاء لبيان الترتيب الذى قد يكون من أدنى إلى أعلى أو من أعلى إلى أدنى على ما هو فى علمه تعالى. وجاء القسم بالمذكورات الأربع لأنها من مظاهر قدرته تعالى، فكان المقسم عليه أنه يكون هو البعث والجزاء، لبيان أنه مقدور له تعالى .

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ﴿٧﴾ إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾
قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ
يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَذَا الَّذِي
كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الحبك : جمع، مفرده «الحبيكة» وهى فى الأصل الأشكال التي تشبه الطرق والممرات التى تتكون فى الرمال وفى المياه إذا مرت عليها الرياح، فيكون المراد بها ـ فى معنى القول ـ هو الطرق تكون بين السماوات بعضها والبعض، وقيل إن المراد بها هو الحسن والاستواء، وقيل هو الزينة ، أو النجوم تكون زينة للسماء بالنسبة للناظر إليها .

٢ ـ الخراصون : جمع، مفرده «الخراص» وهو الكذاب .

٣ ـ الساهون : فى قوله تعالى «الذين هم فى غمرة ساهون» جمع ، مفرده «الساهى» وهو الغافل اللاهى .

ثانيا : التفسـير:

أقسم تعالى بالسماء ذات الطرق، وقيل بالسماء السابعة، وجاء جواب القسم قوله لأهل مكة إنهم فى شأن خالق السماوات والأرض، وفى أمر رسوله ﷺ، وفى شأن الحشر على أقوال مختلفة، فهم يقولون تارة عن الله تعالى إنه خالق السماوات والأرض، ويقولون بصحة عبادة الأصنام أخرى. ويقولون فى شأن رسول الله ﷺ تارة إنه مجنون، ويقولول أخرى إنه ساحر عليم. وينكرون البعث تارة، ويقولون أخرى إن معبوداتهم تشفع لهم فى الآخرة. ثم بين تعالى أن من آثار أقوالهم المختلفة أنه يصرف عن الإيمان الذى دعوا إليه من ثبت فى علمه تعالى الأزلى أنه يصرف عنه، أو أنه يصرف عن القرآن العظيم أو عن التصديق بيوم القيامة من ثبت فى علمه تعالى الأزلى أنه يصرف عنه.

ثم جاء قوله تعالى «قتل الخراصون» وهو بمعنى الأمر بالدعاء على الكذابين فى الدين بالقتل أو باللعنة ـ لأن من لعنه الله هالك ـ وصفهم تعالى بأنهم فيما يغمرهم ويشملهم من الجهل والضلال ساهون غافلون يسألون فى استخفاف واستهزاء عن يوم القيامة والحساب والجزاء متى يكون.

ثم يذكر تعالى أن هذا اليوم الذى يستعجلون قدومه مستهزئين بالمؤمنين الذين أخبروهم عنه هو اليوم الذى يحرقون فيه على النار فتكون النار فتنة لهم كما أنها تفتن خامات المعادن لاستخلاص المعدن من بين الشوائب، وأنه يستهزأ بهم آنذاك فيقال لهم أن ذوقوا عذابكم الذى أعد لكم، فهذا العذاب هو الذى كنتم تستعجلون وقوعه بكم مستخفين بالمؤمنين مستهزئين.

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ
مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ
ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ
لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾

التفسير:

يخبر تعالى - فى الآيات - عن مصير المؤمنين المتقين فى الآخرة، وفي وصفهم بأنهم المتقون ما يدل على خشيتهم غضب الله عليهم مما كان دافعاً لهم على العمل على مرضاته.

يذكر تعالى أنهم يكونون فى الآخرة فى جنات وعيون لا تدرك العقول قدرها وما فيها، وأنهم فيها يأخذون ما آتاهم ربهم من النعم والملذات قابلين راضين، ثم يبين تعالى أنه يكون لهم هذا بما كان منهم من الإحسان بعمل الصالحات مع الإيمان. ثم يجيء تفسير إحسانهم الذى أدى إلى وصفهم بالمحسنين ببيان أنهم «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» والمعنى أن المقدار الذى كانوا يهجعون فيه من الليل كان قليلاً، أما باقى الليل - وهو وقت الراحة - فإنهم كانوا يمضونه فى التقرب إلى الله بالعبادة، فيكون المعنى المقابل أنهم فى النهار كانوا يعبدون الله أكثر، وببيان أنهم كانوا يداومون على استغفار ربهم فى الأسحار رغم

عدم هجوعهم فى الليل إلا قليلا، كأنهم قد قصروا فى عبادة الله، وكذا ببيان أنهم كانوا ينفقون من أموالهم على الفقراء حتى كأنهم جعلوا لهم فيها نصيبا مفروضا. بإنفاقهم على من يطلب منهم الصدقة وعلى من استعفف عن السؤال فحسبه الناس غنيا فحرموه صدقاتهم .

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِي أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان توافر الأدلة الملموسة على صدق ما نزل به القرآن وما أخبر به رسول الله ﷺ يدركها الذين يعقلون. فيقول تعالى إن فى الأرض آيات للموقنين. فاختلاف طبيعة الأرض من مكان إلى مكان، ومكوناتها، وما يكون فى جوفها، وما يكون فى كل منها من أنواع الحيوان تتناسب طبيعته وطبيعة المكان دليل واضح على عدم انتهاء قدرة الخالق عند حد معين، بما يوجب الإيمان بوجوده ويوجب توحيده. ثم إن فى نفس الإنسان وفى مكونات جسده وسيطرة العقل على الحركة، وفى حواسه وأدوات الإدراك آيات تدل على عظمة الخالق وعلى قدرته التى لا تماثلها قدرة، مما يوجب الإيمان به وتوحيده. وهو ما يكون ممن يتبصرون ثم أتبع تعالى هذا بذكره للناس أن فى السماء رزقهم وما يوعدون، فبين تعالى أن إخراج الأرض نباتها الذى يعيش عليه الإنسان وكثير من الحيوان الذى يحيا به أكلة اللحوم من الحيوان، ويأكل بعضه الإنسان هو مما هو فى السماء، تعرف منه دور الشمس والقمر أو تسخير الله لهما فى أن يكونا من أسبابه الظاهرة. وتعرف منه دور السحاب فى هذا ولا نعرف أكثره.

كما بين تعالى أن ما يوعد به الناس من خير وشر، ومن سعادة فى الآخرة وشقاء هو مما

يقدر في السماء. وقد يكون المراد بهذا هو إثبات أن كل خير الأرض المادى، وخير الناس فى دينهم هو من جهة السماء بأمر خالق السماء .

وبعد هذا جاء قوله تعالى «فورب السماء والأرض إنه لحق مثل ما أنكم تنطقون» أقسم تعالى بذاته ذاكرا ذاته العليا بأنه رب السماء والأرض اللتين هما من معجزات خلقه الكبرى على أنه تعالى الملك الحق، أو أن دينه هو الحق، أو أن كتابه هو الحق ورسوله حق، لا يمارى فى هذا ولا يرتاب، فهو فى أحقيته وعدم قبوله للإنكار مثل قول القائل، يكون القائل متيقنا أنه قاله.

هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ
إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ
قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ
قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ
بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ
عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾

التفسير:

أورد تعالى قصة إبراهيم عليه الصلاة والسلام لسببين فيما يبدو، أولهما يبين من قوله تعالى «هل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين» وفيه وجه الخطاب لرسول الله ﷺ فى صيغة استفهام لبيان أنه ﷺ لم يعرف بالقصة إلا عن طريق الوحى، فيكون السبب الأول هو التدليل على نبوته ﷺ.

والثاني هو تسليته ﷺ ببيان أن من سبقه من الأنبياء والرسل قد عانوا تكذيب أقوامهم ، فهو ﷺ مثلهم .

والمراد بضيف إبراهيم عليه الصلاة والسلام الذين يقص تعالى نبأهم معه على رسوله ﷺ هم الملائكة الذين جاءوه في هيئة الضيوف من البشر، قيل إنهم كانوا اثنى عشر ملكا، وقيل كانوا ثلاثة هم جبرائيل وميكائيل وإسرافيل.

أثبت تعالى أنهم عنده تعالى عباد مكرمون، ويتصور في وصفهم بأنهم مكرمون أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام أكرمهم بأن قام على خدمتهم بنفسه وبزوجه .

ثم أثبت تعالى أن الملائكة دخلوا عليه فقالوا سلاما بمعنى «نسلم عليك سلاما» كما أثبت تعالى أنه - عليه الصلاة والسلام - قال لهم :سلام ومعناه: «أمري سلام عليكم» .

فيكون قد حياهم بأحسن من تحيتهم، ثم إنه قال عنهم «قوم منكرون» والمتصور أنه قال هذا لغلمانه وليس لهم لأنه لا يقال للضيف مثل هذا.

ويتصور أن يكون دافعه إلى وصفهم بأنهم منكرون أنهم حيوه بتحية الإسلام ولم يكن يحيي بها القوم، أو لأنه لم يعرفهم فأراد منهم أن يعرفوه بأنفسهم، أو لأن هيئاتهم لم تكن كهيئة الناس المعروفة تماما.

ثم أخبر تعالى أنه عليه الصلاة والسلام ذهب إلى أهله على خفية من ضيفه ثم جاء ضيوفه بعجل سمين أي بولد البقرة الممتلىء لحما وشحما.

ويبدو أنه كان معدا للطعام قبل مجيء الضيوف لمن يقدم منهم. وأنه قربه إليهم بمعنى أنه وضعه أمامهم ثم دعاهم إلى الأكل منه بأسلوب يؤنسهم، هو قوله لهم «ألا تأكلون» وقيل إن السؤال كان ترتيبا على عدم تعرضهم للأكل منه.

كما أخبر تعالى عن أنه استشعر خوفا منهم - وفي القول إشارة إلى أنهم لم يأكلوا - ومبعث الخوف هو أن للأكل حرمة يمتنع معه الإيذاء فيكون المتوقع ممن يمتنع عن الأكل أنه أضمر

فى نفسه شرا لمن هو عنده. وأن الضيوف قالوا له «لا تخف» ثم أعلموه أنهم رسل الله بمعنى أنهم ملائكة أرسلوا بمهمة فى الأرض لتنفيذها، ثم كان منهم أنهم بشروه أنه يكون له ولد يولد يكون عليما عند بلوغه، والراجح أنه إسحاق عليه السلام.

ثم قال تعالى إن امرأته أقبلت في صرة حين سمعت كلام الملائكة، والمستفاد من القول أنها كانت مدبرة عنهم وإن كانت قائمة على خدمتهم، وأنها لما سمعت قولهم أقبلت فى صيحة تصيح بها، قيل إنها قولها «يا ويلتى» وأنها صكت وجهها بمعنى أنها ضربت بيدها على جبهتها قائلة «عجوز عقيم» بمعنى «أألد وأنا عجوز عاقر».

ثم أخبر تعالى أن الملائكة قالوا لها «كذلك قال ربك، إنه هو الحكيم العليم» بمعنى أن هذا القول الذى سمعته هو ما قضى به ربك، أى أنهم ليسوا سوى مبلغين، ثم قالوا لها عن الله تعالى إنه هو الحكيم العليم، بمعنى أن حكمته تعالى هى التى كانت وراء تقديره أن تنجبى الولد، وأنه علم ما يكون من خير من وراء إنجاب هذا الولد فكان به قضاؤه.

ويلاحظ مما سبق ذكره فى سورة الحجر أن هذا الحديث المتبادل إنما كان بين الملائكة - من جهة - وبين إبراهيم عليه الصلاة والسلام وسارة - من جهة أخرى - إذ ذكر إبراهيم فى سورة الحجر وحده فى المحادثة، وذكرت هنا سارة وحدها، فكان التكامل فى المعنى بالمذكور فى السورتين.

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾
لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾
فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ
مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

التفســـير:

قوله تعـالى - فى الآيات ـ تعريج من قصة إبـراهيم عليه الصلاة والسلام إلـى قصة لوط عليه السلام، أعلـم بها تعالى رسـوله ﷺ عن طريـق الوحي تدليـلا على نبوته، وجـاء ذكرها لتسليته ﷺ ببيان مدى تكذيب قوم لوط نبيهم.

ذكر تعالى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام سـأل الملائكة عن الشأن العظيم الذى أرسلوا إليه - غير تبشيره بالغلام - مخاطبهم بصفتهم مـرسلين من الله، وذكر أنهم قالوا له إنهم أرسلوا إلى قوم مجرمين بمعنى أنهم اقترفوا ما استحقوا به أن يدعوا مجرمين.

والمراد بالـوصف قوم لوط عليه السلام، وأنهـم بينوا نوع المهمة التى أرسلـوا بها، وهى أن يرسلوا عليهم ــ من بعد قلب قراهم عاليهـا سافلها - حجارة من طيـن، وهى السجيل معلمة منذ خلقها أنها تكـون عذابا للمسرفين الذيـن أسرفوا فى تجاوز حد الفجـور، وقيل إن العلامة هى وجود اسم من يهلك بالحجر منها عليه.

ثم ذكر تعالـى أنه أخرج من قرى قوم لـوط من كان فيها من المؤمنيـن، والمراد أن ملائكته تعالى أخرجوا - من بعد مغادرتهم إبراهيم - من كان فى هذه القرى قد آمن للوط عليه السلام واتبعه، وأن مـلائكته تعـالى لم يجـدوا فى هذه القـرى مؤمنيـن سوى أهل بيـت واحد كـانوا مؤمنين بالله وللوط مسلمين وجوههم لله.

والمـــراد بالبيت هـو بيت لوط عليه السلام، وبالمسـلمين هم لـوط عليه الســـلام وابنتاه.

ثم جاء قوله تعالى «وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم» مفيدا معنى قلب القرى عاليها سافلها وضـربها بالحجارة المسومة عند ربك وإهلاك أهلهـا وإنجاء من أخرجهم الله منها، ومصرحا بأنه تعالى ترك فى هذه القرى علامة على إهلاك أهلها بالحجارة هى - على ما قيل - حجارة كثيرة منضودة، هي التى أهلكوا بها، وقيل ماء نتن.

ثم بين تعـالى أن الذين يتعظـون بهذه الآية، ويعتبرون هـم الذين جبلوا علـى الخوف من

عذاب الله وصفه تعالى بأنه العذاب الأليم، والمعنى أن غيرهم ممن جبلوا على العناد لا يعتبرون بما بقي من آثار هذه القرى آيات يتعظ بها و يعتبر.

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ٣٨ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ٣٩ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو ذكر لقصة موسى عليه السلام مع المكذبين في إيجاز يبين المقصود من ذكرها وهو تعرض الرسل والأنبياء للتكذيب ممن جبلوا على الكفر.

جاء قوله تعالى «وفي موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين» بمعنى «وتركنا - أو وجعلنا - في قصة موسى آية بينها تعالى بأنه أرسله إلى فرعون بمعجزات عظيمة تؤيد نبوته فكانت بمثابة السلطان العظيم الذي يتقوى به.

ثم ذكر تعالى أن فرعون تولى بركنه، والوصف هو كناية عن الإعراض عن موسى وما دعا إليه، كما ذكر أنه قال في موسى إنه ساحر أو مجنون.

والمعنى أنه وصفه مرة بأنه ساحر أتى بالمعجزات بسحره - فيكون عاقلا - ووصفه مرة أنه مجنون يقول قولا لا يصدر من عاقل وهو الدعوة إلى توحيد الله.

وهذا التناقض من فرعون في وصف موسى عليه السلام يدل على أنه لم يتبع عقلا ولا حجة في محاولته النيل من موسى عليه السلام.

ثم يذكر تعالى أنه أخذ فرعون بجرمه هو وجنوده الذين أطاعوه وكفروا كفره، فأغرقهم في البحر، وحال فرعون حين غرق أنه ملام على كفره وظلمه وطغيانه.

﴿وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾﴾

التفسير:

انتقل تعالى بالقول إلى ذكر قصة عاد، ومعنى قوله تعالى «وفي عاد» هو «وتركنا في قصة عاد آية» والآية أنه تعالى أرسل عليهم بتكذيبهم رسولهم الريح الشديد التي لا تأتي بخير مثل تلقيح الأشجار المثمرة - قيل هي الدبور - وقيل الجنوب -.

ثم بين تعالى فعلها بذكره أنها لم تدع شيئا جرت عليه من إنسان أو حيوان إلا أهلكته فلم يبق منه إلا ما بلي فشابه الرمة.

﴿وَفِي ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا اسْتَطَاعُوا مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾﴾

التفسير:

ذكر تعالى - في الآيات - قصة ثمود في إيجاز لا يقصر عن بيان المعنى المراد إثباته جاء قوله تعالى «وفي ثمود» بمعنى «وتركنا في قصة ثمود آية» والآية هي أنهم أمهلوا ثلاثة أيام يتمتعون فيها في ديارهم إلى أن يحل بهم العذاب.

وقيل إن المستفاد من قوله تعالى «فعتوا عن أمر ربهم» أن «الفاء» لا تدل على الترتيب، لأن العتو كان سابقا على الأمر بالتمتع، فتكون «الفاء» للتفصيل. ونرى - والله أعلم - أن القول

بالتمتع إلى حين كان عندما بعث تعالى إليهم صالحا أمرهم بالإيمان، وأن الحين الذى خولوا أن يتمتعوا فيه، كان من هذا الوقت إلى أن يحين وقت الانتقام منهم بإهلاكهم، فتكون «الفاء» للترتيب .

ثم بين تعالى أنهم أصروا على ما هم عليه من الكفر، فكان منه تعالى أن أخذهم بصاعقة من السماء أهلكتهم حال نظرهم إليها ومعاينتهم إياها.

ثم يذكر تعالى أثر الصاعقة فيهم بقوله «فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين» بمعنى أنهم لم يقدروا على القيام من بيوتهم «فأصبحوا فى دارهم جاثمين» وأنهم أهلكوا دون أن يناصرهم أحد بمنعه العذاب المهلك عنهم.

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٤٦﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان ما كان منه تعالى مع قوم نوح، جاء ذكرهم متأخرا عن ذكر من سبقوهم فى نصوص الآيات مع كونهم الأسبق زمانا لبيان عدم اعتبار المكذبين بالآيات، فإن قصة إهلاك قوم نوح كانت معروفة لكل من جاء بعدهم، ومع ذلك فإنه كان منهم عدم الاعتبار بها والإصرار على تكذيب الرسل.

وفى القول جاء «وقوم نوح من قبل» بمعنى «وأهلكنا قوم نوح من قبل» أى أن قوم نوح كانوا أسبق زمانا ممن ذكر فى الآيات من المهلكين، وأن هلاكهم كان قبل إهلاك المذكورين قبلهم فى الآيات.

ثم بين تعالى سبب إهلاكهم وهو أنهم كانوا قوما فاسقين، جاوزوا كل حد فى الكفر وإيذاء الرسل وعصيان أمر الله .



وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان عظم قدرته تعالى فى الخلق التى يدركها الناس فتكون سببا ملحوظا للإيمان بما يدعو به الرسل والثقة فى نبوتهم. فيقول تعالى إنه بنى السماء بأيد، والمعنى أنه تعالى بناها بقوته وقدرته.

ثم جاء قوله تعالى «و إنا لموسعون» وفيه قيل إن معناه أنه تعالى واسع القدرة لايناله تعب من فعل مهما عظم. ورأينا أن القول يشير إلى حقيقة علمية وهى تمدد الكون، وذلك بعد أن ثبت مؤخرا أن أبعد المجرات التى أمكن دراستها — والتى تقع على بعد سبعة بلايين سنة ضوئية — تتراجع عنا بسرعة أكبر من نصف سرعة الضوء، وأن أشباه النجوم ترتد عنا بسرعة تصل إلى ٩٠٪ (تسعين فى المائة) من سرعة الضوء بما يفيد أن تمدد الكون هو حقيقة علمية مؤكدة .

ويقول تعالى إنه فرش الأرض بمعنى أنه بسطها ومهدها مع كونها كروية الشكل ليكون الاستقرار عليها ويكون البناء فنعم الماهد الله تعالى، ثم يذكر تعالى أنه قد خلق من كل شىء من جنس الحيوان زوجين بمعنى أنه أوجد ذكرا وأنثى أو أنه جعل فى بعضها - كما فى بعض أنواع الديدان - الذكر والأنثى في الواحد منها.

ثم بين تعالى العلة النهائية لهذا الخلق العظيم بقوله «لعلكم تذكرون» فبين أنها تذكر الناس قدرة الله تعالى، تكون بها معرفتهم أنه الواحد الأحد القادر على كل شىء، الذى لم يخلق شيئا عبثا ولا لهوا فيكون الإيمان بالله وتوحيده ويكون الإيمان بالبعث والنشور والحساب واليوم الآخر.

﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥٠ وَلَا تَجۡعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۖ إِنِّي لَكُم مِّنۡهُ نَذِيرٞ مُّبِينٞ ۝٥١﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى من آيات قدرته فى الخلق ما يدفع إلى الإيمان به وتوحيده، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يأمر الناس بالفرار إلى الله بمعنى أن يلجؤوا إليه تعالى وحده، وأن يعتصموا به بالتمسك بدينه والإيمان لرسوله ﷺ وأن يعرفهم أنه نذير مرسل إليهم من ربهم مؤيد بالآيات الواضحة الدالة على صدقه ليكون منهم الإيمان.

كما أمره أن ينهاهم عن الشرك بالله يكون بعبادتهم آلهة أخرى، وأن يعيد عليهم القول إنه لهم من الله نذير مبين.

وقد يكون القول هو لبيان جسامة جرم الشرك بالله واستحقاقه أشد العقاب، فيكون إنذاره إياهم متعلقا بالتحذير من العقاب، حين يكون الإنذار السابق بالتحذير من عدم اللجوء إلى الله والاعتصام به .

﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٌ ۝٥٢ أَتَوَاصَوۡاْ بِهِۦۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ۝٥٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٖ ۝٥٤ وَذَكِّرۡ فَإِنَّ ٱلذِّكۡرَىٰ تَنفَعُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٥٥﴾

التفسير:

القول - في الآيات - هو في المكذبين برسول الله ﷺ والمكذبين الرسل من قبلهم، ذكر تعالى لرسوله ﷺ أنه على النحو الذى سبق ذكره من الاختلاف بين الناس فى شأن الرسل دفع اختلاف قومه ﷺ. ثم فصل تعالى القول ببيانه أنه ما أتي الأقوام الذين سبقوهم من رسول إلا قال فيه المكذبون إنه ساحر أو إنه مجنون وقد استشكل فى الحكم بأنه لم يُكفر ببعض الرسل، وأنه لم يكفر بآدم عليه السلام.

والرد على هذا أن الرسل المقصودين هم الذين جاءوا بالدين - وهؤلاء قد كذبوا - ولين الرسل الذين دعوا إلي ما جاء به الرسل السابقون عليهم. فضلا عن أن تكذيب الرسل الذين جاءوا بالدين يعتبر تكذيبا للمتأخرين الذين دعوا إلى الدين الذى دعا إليه السابقون.

ثم إنه فى شأن آدم عليه السلام فإنه لم يبعث فى قوم، وإنما كان منه ومن زوجه تسلسل الأقوام، فلا يكون القول متعلقا به.

ثم جاء قوله تعالى «أتواصوا به» تعجيبا من قول المكذبين جميعهم على اختلاف أزمنتهم وأماكنهم في الرسل إنهم سحرة أو مجانين، حتى لكأنهم قد اتفقوا جميعا على أن يقولوا فيهم هذا القول.

ثم يبين تعالي أن سبب إجماعهم علي هذا القول ليس الاتفاق بمعنى تلاقى الإرادات، وإنما هو الاشتراك فى صفة الطغيان التي اجتمعوا عليها وتوافرت فيهم، فكان من شأنها أنها وحدت القول بينهم .

وأتبع تعالي هذا بأمره رسوله أن يعرض عن مجادلة المكذبين، وبين له أنه قد بذل فى إقناعهم كل جهد مما لا يكون بعده ملوما عن التقصير في الإبلاغ والدعوة. ثم أمره بالمداومة علي التذكير بالله، والوعظ بالقرآن، وبين له أن تذكيره هذا من شأنه أن ينفع الذين ثبت فى علمه تعالي أنهم يؤمنون .

وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾
مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ
وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾

التفسير:

لما كان منه تعالى من بعد أمره رسوله ﷺ بالتذكير وبين له أن التذكير من شأنه أن ينفع المؤمنين، فقد جاء قوله تعالى ـ فى الآيات ـ أنه تعالى لم يخلق الجن والإنس إلا لغاية معينة هى أن يعبدوه تعالى، والمعنى هو أن يؤمنوا به تعالى ويوحدوه ـ فى مقام أول ـ وأن يتذللوا إليه بالطاعة بحكم كونهم عبيده تعالى. وفى القول جاء ذكر الجن قبل ذكر الإنس لأنهم كانوا أسبق منهم خلقا ووجودا .

ثم بين تعالى أن شأنه مع عبيده ليس شأن السادة مع عبيدهم، فهو لا يريد أن يشقيهم بالعمل ليأتوا إليه بالرزق نتاج عملهم فى ملكه، كما أنه لا يحصل على مقابل تشغيلهم لدى الغير ليكون به طعامه، ولا يكلفهم بإعداد الطعام له.

وقد جاء ذكر هذه الأشياء مع عدم تصور احتياجه تعالى إليها لبيان أنه تعالى فى غنى عن عبيده من الجن والإنس وعن عبادتهم إياه، إذ أنه لا ينتفع بها، وإنما يعود نفعها على العابدين.

ثم أتبع هذا بقوله تعالى «إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين» فبين أنه وحده الرزاق، الذى يرزق كل محتاج، وأنه وحده صاحب القدرة على كل شىء، والشديد القوة. والمعنى أنه المتسحق وحده أن يعبد وأن يخشى .

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾
فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

أولا : الأسماء :

الذنوب : هو النصيب، والمقسوم. والمراد به ـ في معنى القول ـ هو النصيب من العذاب .

ثانيا : التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه لم يخلق الجن والإنس إلا ليعبدوه، فإنه تعالى بين أن الذين شغلوا أنفسهم من الجن والإنس بغير ما خلقوا له وانصرفوا عنه قد خص بهم نصيب من العذاب يماثل نصيب الذين سبقوهم من المكذبين من الأقوام التى سبقتهم وجودا وتكذيبا للرسل. ثم نهى تعالى أن يكون منهم استعجال وقوع عذابه تعالى بهم لأنه آتيهم فى الوقت الذى قدره تعالى وعلى النحو الذى شاء.

ثم أثبت تعالى أن الويل يكون لهؤلاء المكذبين ، وهو توعد لهم بالعذاب، يكون فى اليوم الذى يوعدون به، قيل فيه إنه يوم بدر. وقيل إنه يوم القيامة .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطور

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ
ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾

أولا : الأسماء :

١ - الطور : هو الجبل عموما، وقيل هو الجبل الذى ينبت النبات، وقيل إن المراد به - فى معنى الآية هو جبل طور سينين أو طور سيناء.

٢ - الكتاب المسطور : هو كل كتاب جاءت فيه الكتابة منتظمة، مرتبة حروفها. وقيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو القرآن العظيم، وقيل هو جميع الكتب المنزلة من الله، وقيل هو التوراة التى كتبها الله لموسى عليه السلام، وقيل هو صحائف الأعمال، وقيل هو اللوح المحفوظ .

٣ - الرق : فى قوله تعالى «فى رق منشور» هو جلد رقيق يكتب فيه .

٤ - البيت المعمور : قيل هو بيت فى السماء يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه، وإنه حيال الكعبة بحيث لو مد خط وصل بينها وبينه مستقيما .

٥ - السقف المرفوع : قيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو السماء، وقيل هو سقف الجنة .

٦ - المسجور : هو الموقد نارا، وقيل هو المملوء، وقيل إنه الذى ذهب ماؤه. وقيل إن المراد به هو جهنم سميت بحرا لسعتها وتموجها .

ثانيا : التفسير:

أقسم تعالى بالطور - والراجح أنه جبل طور سيناء الذى يكون - على ما قيل - من جبال الجنة، كما أقسم بالكتاب المسطور، جاء - فى عبارة القول - نكرة لبيان علو قدره ومنزلته وعدم خفائه سواء نكر أم عرف. والراجح أن المراد به هو صحف الأعمال تكون الصحيفة مكتوبة على وجه منتظم فى جلد رقيق، وتكون مبسوطة للقراءة ، على ما جاء فى قوله تعالى «ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا»، كما أقسم بالبيت المعمور الكائن فى السماء الذى تعمره الملائكة بالدخول كل يوم، وأقسم بالسماء - وهى السقف المرفوع، وبالبحر الذى يوقد نارا يوم القيامة على ما جاء بقوله تعالى «وإذا البحار سجرت» :

وجواب القسم هو أن عذاب الله واقع بالمشركين، والخطاب هو لرسول الله ﷺ على ما يبين من قوله تعالى «إن عذاب ربك لواقع»، ثم بين تعالى فى خبر ثان عن عذابه أنه ليس ثمة دافع ولا مانع يدفع العذاب عن المتوعدين به أو يمنعه عنهم فلا ينالهم. ويتصور في العذاب المتوعد به أن يكون هو عذاب الدنيا، ويتصور فيه أن يكون هو عذاب الآخرة.

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ
ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ
يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى
كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ ٱصْلَوْهَا
فَٱصْبِرُوٓاْ أَوْ لَا تَصْبِرُواْ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ ۖ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦

أولا : الأسماء :

١ ـ المور : فى قوله تعالى «يوم تمور السماء مورا» هو الاضطراب والاهتزاز والارتجاج، وقيل إن المراد به ـ في معنى الآية ـ هو التشقق، وقيل هو التحرك فى تموج.

٢ ـ الخوض : هو المشي في الماء، والمراد به ـ في معني الآية ـ هو السير والمضى فى قول الباطل.

ثانيا : التفسير:

جاء قوله تعالى «يوم تمور السماء مورا» ظرفا لوقوع عذابه تعالى بالمشركين الكافرين وامتناع وجود الدافع له، بين تعالى أنه اليوم الذى تهتز فيه السماء وترتج اهتزازا وارتجاجا قبل زوالها وتسير فيه الجبال عن وجه الأرض، يكون ذلك بعد أن تنفجر من شدة حرارة الأرض

فتصير كالعهن المنفوش تطير فى القضاء . ثم يقول تعالى «فويل يومئذ للمكذبين» بمعنى أنه إذا وقعت هذه الأحداث أو جاء هذا اليوم فإن الويل يكون للمكذبين الرسل.

وصفهم تعالى بأنهم الذين يكون منهم الخوض فى الباطل بالقول لاعبين لاهين. ثم بين تعالى أن يوم ويلهم هو اليوم الذى يدفعون فيه إلى جهنم دفعا عنيفا، أو أن الويل يكون لهم يوم يدفعون إلى جهنم دفعا شديدا، فيكون «يوم يدعون» ظرفا لما ذكر عن ويلهم .

كما ذكر تعالى أنه يقال لهم تقريعا وتوبيخا - عن النار - «هذه النار التى كنتم بها تكذبون» لأنهم كذبوا بخبر القرآن عنها وقول رسول الله ﷺ فيها، كما يقال لهم «أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون» توبيخا لهم على قولهم فى القرآن العظيم إنه سحر وقولهم فى رسول الله ﷺ إنه ساحر، وإظهارا لأنهم عموا فى الدنيا عن الحق، فلم يبصروه.

ثم إنهم يؤمرون أن يصلوا النار، يدخلونها ويقاسون حرها واشتعالها وعذابها، يقال لهم «اصبروا أو لا تصبروا» لبيان أن عذابهم فى النار لا يتأثر تخفيفا ولا نقصانا بصبرهم ولا بعدمه. ويعرفون أنهم إنما يعذبون بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا .

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ
رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ ۖ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى حال الكافرين يوم القيامة وما يكون معهم، فإنه تعالى بين - فى الآيات حال المؤمنين، وصفهم بالمتقين لأنهم اتقوا غضب الله عليهم فتجنبوا المعاصى وعملوا بالطاعات ، فذكر أنهم يكونون فى جنات وفى نعيم عظيم على ما يبين من التنوين.

ثم بيـن حالهم فـى الجنات وفى النعيـم فذكر أنهم يكـونون متلذذيـن بما آتاهـم الله من فضله، ذكر بأنه ربهم لبيان عنايته بهم ورحمته، ولهـذا جاء قوله تعالى من بعد «ووقاهم ربهم عذاب الجحيم».

ويقبل المعنـى أن يكون إنهم يكـونون فاكهيـن بما آتـاهم الله من فضلـه وبما وقاهـم من عذاب الجحيم .

ثم ذكر تعالى أنه يقال لهم فى الجنات أن كلوا واشربوا هنيئا، ويبين لهم أن هذا الذى فيه ينعمون هو جزاء ما كانوا يعملون فى دنياهم.

ثم بين تعالـى حالهم حين يقال لهم هـذا وهو أنهم يكونون متكئين علـى سرر جعلت فى صفوف مستوية، وقد زوجهـم تعالى بحور عين، وربما جاءت «الباء» فـى «بحور عين» مع أن الفعل يتعـدى بذاته للمفعـول به لبيان اختـلاف هذا الـزواج عن الزواج المعـــروف لنـا فى الدنيا .

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ
عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ
وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ .

التفســــير:

بعد أن ذكر تعـالى حال المتقين أهل الجنة مجمـلا، أو من بعد ذكره ما يشتركـون فى أمره

جميعا، فـإنه تعالى خـص ـ فى الآيات ـ بالذكر طـائفة من أهل الجنـة، هم الذين آمنـوا ثم اتبعتهم ذريتهم فى الإيمان إلا أن إيمانهم لم يبلغ درجة إيمان الآباء من السمو ـ على ما يبين من «الباء» فى «بإيمان».

فذكر تعـالى أنه أكرم الأبنـاء بإيمان آبائهـم الذين أسهموا فـى إيمان أبنائهم فـرفع درجة الأبناء فى الجنة إلى درجة الآباء فلحقوا بهم فى المرتبة والمنزلة والقدر.

ثم بين تعالى أن رفعه درجة الأبناء لم يكن على حساب الآباء بإنقاص مرتبتهم أو ثوابهم، فأثبت أنه لم ينقصهم منه شيئا .

ثم جاء قوله تعالى «كل امرئ بما كسـب رهين» ببيان حكم عام مفاد أن كل امرى يجازى بما كان منـه خيرا أو شرا، وتطبيقا لهـذا فإن زيادة مرتبـة الأبناء تكون فضلا مـن الله، فلا يحرم الآباء بسببها شيئا من ثوابهم .

ثم بين تعالى أنـه يفيض على هؤلاء المؤمنين الذين ألحق بهم ذريتهـم بكل ما تتوق إليه نفوسهم وأكثر منـه، وأنه يمدهم بما يشتهون مـن الفاكهة ومن اللحم، كما بيـن أنهم يتنعمون بصور اللهو البرىء الذى يستمتع به دون إثم .

ومن ذلك ما ذكره تعالى من أنهم يتجاذبـون فى الجنة كؤوس الخمر تجاذب ممازحة على نحو ما يحدث فى الـدنيا، إلا أن الخمر التى يتنازعون كؤوسها لا تؤثر فـى عقولهم فيكون منهم لغو الحديث وسقط الكلام، ولا يقترفون بشربها إثما .

وذكر تعالى أن الذين يطوفون عليهم بالكؤوس هم غلمان لهم يكونون مثل المماليك لهم، وصفهم تعالى بأنهم مثل اللؤلؤ المصون فى الصدف فى النقاء والصفاء.

فيفهم من القول أنه إذا كان هذا هو حـال المملوك فإن حال المخدوم يكون أفضل فيكون أهل الجنة أحسن مرأى وأبهى .

■■■■

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ
﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ
إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - مزيد في بيان أحوال أهل الجنة، فيذكر تعالى أن البعض من أهل الجنة يسأل بعضا آخر عن أحواله في الدنيا وعن أعماله التي دخل بها الجنة، فيكون من كل من سئل عن هذا أن يجيب بأنه كان بين أهله في الدنيا مشفقا من عذاب الله خائفا.

والمعنى أنه كان يجاهد نفسه ألا يعصى الله وألا يفرط في جنبه، ثم يضيف قائلا إنه كان من الله أن من عليه بتوفيقه إذ هداه للطاعة وبالرحمة فوقاه عذاب نار جهنم تنفذ في مسام الجسم، ويذكر أنه كان في الدنيا يعبد الله حق عبادته.

فيكون المراد بالدعاء هو العبادة، أو أنه كان يدعو الله بالمغفرة والرحمة، فكان منه تعالى أن أبره بحكم أنه البر المحسن، ورحمه بصفته الرحمن الرحيم .

فَذَكِّرْ فَمَا أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا
مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا
فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾

أولا : الأســـــماء :

ريب المنون : المراد بها ـ في معنى الآية ـ هو حوادث الدهر. وأخصها الموت .

ثانيا : التفســـــير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ فأمره بالثبات على التذكير بالقرآن العظيم، وأثبت أنه ما يقوله من أخبار كانت مخفاة عن أحداث سابقة هو الحق من الله، ينفيه عن رسوله صلى الله عليه وسلم أنه كاهن، لأن الكاهن يخبر عن الأفعال الماضية الخفية.

كما أثبت أن ما يقوله من شأن البعث والحساب مما يرى فيه منكرو البعث مخالفة للعقل، هو الحق، بنفيه عن رسوله صلى الله عليه وسلم الجنون.

وجاءت الباء في قوله تعالى «بنعمة ربك» للسببية فيما نعتقد ـ والله أعلم ـ فيكون المعنى هو أنه بسبب نعمة الله عليك أو ثبت صدق النبوة وكمال العقل فلست بكاهن ولا بمجنون .

ثم يبين تعالى أن الكافرين قالوا عنه صلى الله عليه وسلم إنه شاعر، وإنهم ما عليهم إلا انتظار ما يحدثه به الدهر وهو أن يموت فيكون لهم بموته الخلاص منه ومن دعوته.

ثم كان منه تعالى أن أمر رسوله ﷺ ـ وقد علم تربصهم به ـ أن يستحثهم على التربص وأن يذكر لهم أنه مثلهم يتربص بهم أن يهلكهم الله، فيكون القول من قبيل التحدي مع إبداء الثقة في النصر بإذن الله .

﴿أَمۡ تَأۡمُرُهُمۡ أَحۡلَٰمُهُم بِهَٰذَآۚ أَمۡ هُمۡ قَوۡمٞ طَاغُونَ ٣٢ أَمۡ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥۚ بَل لَّا يُؤۡمِنُونَ ٣٣ فَلۡيَأۡتُواْ بِحَدِيثٖ مِّثۡلِهِۦٓ إِن كَانُواْ صَٰدِقِينَ ٣٤﴾

التفسير:

بدأ تعالى - في الآيات - بيان فساد عقائد المكذبين وإظهار حقيقة أمرهم في شأن كل عقيدة، بدأ ذلك بذكر عقيدتهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم على ما يبين من قولهم فيه ساحر أو شاعر أو مجنون، أشار إليه باسم الإشارة «هذا» في قوله تعالى «أم تأمرهم أحلامهم بهذا» .

وفيه قيل إن معنى «أحلامهم» هو «عقولهم» واستدل على هذا بأن كفار مكة كانوا أصحاب عقول لأن جميع العالم يأتونهم ويخالطونهم، كما أنهم كثرت أسفارهم فكملت عقولهم وإن كانت لم يصاحبها التوفيق . ونحن نرى - والله أعلم - غير هذا.

وأن معنى الأحلام في الآية ليس هو العقول، دليلنا على هذا أنه تعالى قطع بأنه ليس للكافرين عقول بقوله تعالى «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير» ، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل قال في نصراني: «ما أعقله» قال له صلى الله عليه وسلم: «مه إن الكافر لا عقل له»، فالذي يكون للكافر هو الذهن وليس العقل، والذهن يقبل العلم وبه يكون التعلم.

فيكون المراد بالأحلام - في معنى الآية - هو رؤى النوم، وهي رؤى كاذبة إن كانت بأمر بفعل شيء على غرار بعض رؤى رسل الله.

ولهذا جاء قوله تعالى «أم تأمرهم أحلامهم بهذا» لبيان أنه ليس للمكذبين سند في قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الحق، فإن كان سندهم هو رؤى منامهم فهو سند باطل فاسد .

ثم إنه تعالى بين حقيقة أمرهم في قولهم في رسول الله صلى الله عليه وسلم غير الحق فأثبت أنهم قوم طاغون بمعنى أنهم بغوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وطغوا فظلموه بقولهم فيه غير الحق، متجاوزين الحدود في المخاصمة. وذلك لأنه بثبوت فساد أحلامهم لم يبق إلا ما ذكر بعد «أم» وهو أنهم قوم طاغون .

ثم ذكر تعالى عقديتهم في القرآن العظيم وقـولهم فيه إنه ما تقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم، بمعنـى أنه أتى بـه من عند نفسـه ثم نسبه إلـى الله، فبين تعالـى كذب قولهـم وفساد عقيدتهم بـإثباته أنهم قالـوا بهذا لأنهم قوم لا يؤمنـون، بمعنى أن الدافع على القـول الباطل سبب باطل .

ثم أورد تعالى سببا ثانيا لإثبات بطلان قولهم وعقيدتهم في القرآن العظيم هو عجزهم عن أن يأتوا بمثلـه، فلو كان القرآن قـول محمد صلى الله عليه وسلـم لكان في مقدورهـم أن يأتوا بمثله، فكان تحديهم أن يأتوا بمثله ـ وهو محال ـ لإثبات صدق قولهم فيه، دليلا على كذب قولهم .

﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ هو في إثبات ضلال الكافرين في انصرافهم عن عبادة الله تعالى وتوحيده. وذلك لأنه لما كان المخلوق عبدا لمن خلقه فإنه يكون عليـه واجب شكر الخالق وعبادته فلا يكون لأحـد ألا يعبد أحدا إلا إذا كان قد خلق نفسه بنفسه؛ ولهذا جـاء قوله تعالى «أم خلقوا من غير شيء أم هـم الخالقون» لإثبات أنهم قد خلقوا بواسطة سبـب مباشر ظاهر قدَّره الخالق وأنهم لم يخلقوا أنفسهم، مما يكون معه انصرافهم عن عبادة خالقهم كفرا يعدم سببه. وقيـل إن المعنـى هـو: «أم خلقـوا مـن غيـر شـيء حي فهـم لا يـؤمـرون ولا ينهـون كالجمادات». والمعنى الأول هو ما رأيناه، والله أعلم بمدى صحته .

ثم إنه تعالى يـؤكد معنى ضلالهم بالانصراف عن عبادة الخالـق ببيان أنهم يعلمون أنهم لم يخلقوا السماوات والأرض، مما مفاده أنه لابد أن يكون لهما خالق مستحق العبادة .

ثم أظهر أنهم لا يوقنون بهذا، فهم إذا سئلوا عمن خلق السماوات والأرض قالوا هو الله، ثم يكون منهم الانصراف عن عبادته، وهو دليل على عدم تيقنهم مما يقولون إذ تخالف أعمالهم قولهم .

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - هو فى إبطال سبب من أسباب التكذيب برسول الله ﷺ وهو أنه ليس برجل من القريتين عظيم، لأنهم أنكروا أن يصطفى الله تعالى رجلا فقيرا بالنبوة فينزل عليه القرآن. فجاء قوله تعالى منكرا أنهم يملكون خزائن رحمة الله ومنها جل الرحمة وهو الاصطفاء بالنبوة، ومنكرا عليهم أنهم المسيطرون على عطاء ربك وعلى توزيعه بين عباده، فيكون المستفاد هو خلوص الأمر لله يصطفى للرسالة من يشاء.

وقيل فى المعنى إن القول يثبت أنهم ليسوا الرازقين وأنهم ليسوا المدبرين أمور الربوبية، وأنهم بهذا ليسوا فى غنى عن الله فحق عليهم عبادته .

ثم إنهم لما كانوا قد أنكروا أن ينزل تعالى القرآن على محمد ﷺ الذى لا يملك من المال ما يملك كبراؤهم، فإنه لم يبق إلا أن يدللوا على أن ماتلاه عليهم رسول الله ﷺ ليس بالقرآن المنزل من الله وأن ما أخبر به ليس بحق ـ وهو ما يكون بالصعود منهم إلى السماء ليسمعوا كلام الله ويقارنوا بينه وبين ما تلاه عليهم رسول الله ﷺ ـ .

فجاء قوله تعالى «أم لهم سلم يستمعون فيه، فليأت مستمعهم بسلطان مبين» يثبت عدم

قدرتهم على الصعود إلى السماء والاستماع إلى كـلام الله واستحالة أن يأتى أحد منهم بدليل بين من السماء على مخالفة ما تلاه عليهم رسول الله ﷺ لكلام الله .

أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾

التفســــير:

قوله تعـالى - فى الآية ـ هو فى إثبات بطلان عقيدة المشـركين الذين قالـوا إن الملائكة بنات الله فعبدوهـا . يثبت بطلان عقيدتهم لمنافـاتها العقل إذ لا يتصور منه تعـالى أن يخص ذاته بإنجاب البنات وأن يهب الناس ومنهم الكافرون البنين تعالى الله عما يشركون .

أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾

التفســــير:

قوله تعالى - فى الآية - فى إثبات بطـلان اعتقاد الكافرين أنه ﷺ يبتغى ما لا أو جاها مما أدى إلى عرضهم عليه ﷺ أن يجمعوا له من أمـوالهم، أو أن يملكوه عليهم على أن يكف عن الدعوة إلى دين الله، فأثبت تعالى أنه ﷺ لا يسألهم أجرا على إبلاغهم ما أرسل به، كما أثبت انعدام سبب إعراضهم عن الدعوة وهو الخشية من بذل الأجر له من أموالهم إذا آمنوا له ﷺ.

أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾

التفســــير:

قوله تعـالى - فى الآيـة - هو فى إثبات بطـلان عبادة الأصنام وانعدام الـدليل عليها إذ لا

يكون التدليل عليها وعلى صحتها إلا بأن تكـون مثبتة فى اللوح المحفوظ الذى تضمن إثبات الغيب بمعنى ماغاب علمه عن الناس من المـوجود. وأن يكون المشركون قد كتبوا ما وجدوه فـى اللوح المحفـوظ فى كتـاب لهـم. فجاء قـوله تعـالى مثبتـا عـدم اطلاعهـم على اللـوح المحفوظ وعدم تـدوينهم شيئا مما سطـر فيه، ومثبتا بالتـالى بطلان عقيدة الشـرك بالله بعبادة الأصنام .

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا ۖ فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فـى الآية ـ فى إثبات أن كيد الكافرين المكذبيـن برسول الله ﷺ إنما يحيق بهم. والقول ـ فى الآية ـ يثبت صحة أمرين، أولهما أن القرآن العظيم حق من الله، إذ أخبر عن حدث مستقبـل وهو تآمـر المشركين فـى دار الندوة على رسـول الله ﷺ كيدا له مـن أنفسهم، وثانيهما أن كيدهم يرد إلى نحورهم، وهو ما كان بعد ذلك بالتنكيل بهم فى بدر.

أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ ۚ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾

التفســـــير:

الآية ـــ هى فى التـدليل على افتقـاد الكافرين المشـركين ناصـرا لهم من دون الله فيمـــا عبدوا، إذ لا يكون لهم من سبب للإعراض عمـا دعاهم إليه رسول الله ﷺ من توحيد الله إلا أن يكون لهـم إله يعينهـم ويمنع عنهـم عذاب الله، فـإن كانـوا يعتقدون هـذا فى الأصنـام التى عبدوها، فهو الباطـل أثبته الله بتنزيه ذاته عن أن يشرك به أو يكون له شـريك فى الملك أو فى الحساب.

وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا
يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي
فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ
يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى فساد عقائد المكذبين عقيدة فعقيدة، فإنه تعالى دلل على غياب العقل لدى المكذبين بمثال ضربه يبين منه أنهم يستخلصون النتائج الباطلة من المقدمات اتباعا لأهوائهم. فخاطب تعالى رسوله ﷺ قائلا له إنهم إذا رأوا قطعا من السماء فى سبيلها إلى السقوط عليهم لتعذيبهم، يقولون عنها إنها سحاب تراكم بعضه فوق بعض، يكون من شأنه أن ينزل عليهم المطر.

ثم إنه تعالى أتبع هذا بأمره رسوله ﷺ ألا يكترث بأمرهم وأن يتركهم على ما هم فيه من الضلال إلى أن يلاقوا يومهم الذى يهلكون فيه، قيل إنه يوم بدر، وقيل هو وقت النفخة الأولى حين يصعق من فى السماوات ومن فى الأرض، وقد يكون المراد به هو يوم الحساب، وذلك لأنه فى بدر لم يقض على الكافرين جميعهم، ولأنهم لا يكونون أحياء وقت النفخة الأولى.

ثم وصف تعالى اليوم الذى فيه يصعقون بأنه اليوم الذى لا يغنى عنهم كيدهم شيئا ولا هم ينصرون، فالذين قالوا إنه يوم بدر قالوا إن كيدهم لرسول الله ﷺ فى دار الندوة لم يغن عنهم شيئا فيه كما أنهم لم ينتصروا. وإن كان هو يوم الحساب فإنه يكون محققا أن كيدهم الذى استهدفوا به الذهاب بدين الله الذى دعا إليه رسوله ﷺ لم يغن عنهم شيئا فى الدنيا إذ أظهر الله عليهم دينه، كما أنه لم يغن عنهم شيئا فى الآخرة إذ عذبوا بكيدهم هذا عذابا فوق العذاب، وعدموا ناصرا يقيهم عذاب الله .

﴿وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾

التفسـير:

يذكر تعالى ـ فى الآية ـ أن للمكذبين ـ وصفهم الله بأنهم الـذين ظلموا لظلمهم الله ورسوله وأنفسهم ـ عذابا آخر فوق العذاب بـالصعق. يكون ـ لدى القائلين بأن العذاب الأول هو عذاب يوم بدر ـ هو كل ما حاق بهم بعد هـذا فى الدنيا من قحط وفتح. ويكون ـ لدى من يرى أن العـذاب المذكـور آنفا هو عـذاب يوم الحسـاب ـ عـذابا يقدره تعـالى فـوق العذاب المذكور وإن يكن بأعمالهم.

ثم أثبت تعالى أن المكذبين يتصرفون تصرف من لا يعلـم هذه الحقائق، أو أن أغلبهم لا يعلم هذا ويتبعهم الباقون، ولهذا يكون منهم الإصرار على الكفر والتكذيب .

﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾

التفسـير:

بعد أن بين تعالى لرسـوله ﷺ مصير المكذبين به وهو حكمه تعالى فيهـم فإنه خاطبه ﷺ فأمـره أن يصبر لحكم ربه هـذا، بمعنى أن ينتظر بالمكـذبين يومهـم الموعود الذى يكـون فيه عذابهم، ثم أعلمـه أنه محفوظ محروس بعنايته تعـالى، جاء التعبير عن هذا بـأنه ﷺ بأعينه، كما أمره أن يسبـح بحمد ربه على مـا أنعم به عليه لـدى قيامه من نـومه ولدى قيامـه من كل مجلس يكون قـاعدا فيه، ثم أمره ـ ليقتـدى به المسلمون ـ أن يسبحه بعـض الليل، وقت أن يطلب النـاس الراحة، ويكـون بعيدا عن عيون الخلـق متفرغا للعبـادة، وفى آخر الليـل وقت تلاشـى ضوء النجوم بظهـور ضوء الصباح. وقيـل: إن المراد بالتسبيـح إدبار النجوم هـو صلاة الفجر، كما قيل إن وقت هذا التسبيح يكون عند اختفاء النجوم بظهور أشعة الشمس .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النجـــم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يَنطِقُ
عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ﴿٥﴾
ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾
فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾

أولا : الأسماء والأعــلام :

١ ـ النجــم : قيل إن المراد به هو نجوم السماء عمومـا، وقيل هو نجم معين، اختلف فيه، فقيل هو «الثريا» وهى مجموعة من النجوم، وقيل هو «الشعرى»، وقيل هو الزهرة ـ وهى كوكب وليست نجما، وقيـل هو نجم الأرض ـ وهو النبات الـذى ليس له ساق ـ وقيـل هو محمد ﷺ نزل من السماء ليلة المعراج . وقيل هو القرآن العظيم نزل منجما .

٢ ـ الشديد القوى : فى قوله تعالى «علمه شديد القوى» قيل هو جبريل عليه السلام .

٣ ـ المــرة : فى قـوله تعالى «ذو مـرة فاستوى» هى القـوة والشدة، وخص بها قـوة العقل وكماله وحصافته .

٤ ـ القـاب : فى قوله تعالى «فكان قاب قوسين» هو ما بين مقبض القوس وبين كل طرف من طرفيه المعطوفين، وقيل هو المسافة التى تكون بين قوسين طوبق بينهما، بأن وضع أحدهما على الآخر، وتكون أقل من إصبع .

ثانيا : التفسير :

أقسم تعالى بالنجم ـ بمعنى النجوم ـ وخص مظهرا من مظاهر معجزاته تعالى فيه وهى هويه، قيل إن المراد به هو غروبه ، وقيل هو طلوعه. وقد يكون المراد به ـ والله أعلم ـ هو موته الذى يكون بتقلصه على نفسه بما يؤدى إلى سقوط مكوناته بالجاذبية فينضغط إلى ما يسمى بالقزم الأبيض أو إلى نجم نيترونى أو ثقب أسود، وقد يكون المراد هو انتثار النجوم يوم القيامة.

وجواب القسم هو أن رسول الله ﷺ لم يضل عن الحق ولم يعتقد باطلا ولم يمل لغير الرشد. وفى القول جاء الخطاب إلى قريش أو إلى أهل مكة لمعرفتهم بأحواله ﷺ، وأنه لا ينطق عن هوى نفسه، ثم بين تعالى بصريح العبارة أن ما ينطق به ﷺ فى شأن الدين هو ما يوحى به إليه ربه، يدخل فى هذا القرآن العظيم ويدخل فيه تفسيره ﷺ الأحكام والعقائد بما يلقيه تعالى فى قلبه، كما يدخل فيه الأحاديث القدسية، وذكر أن الذى يعلمه ما أوحى به الله إليه هو جبريل عليه السلام الذى بلغ غاية القوة، ومن مظاهرها قلع قرى قوم لوط وحملها ورفعها إلى السماء وقلبها، وإهلاكه ثمود بصيحته ، كما وصفه تعالى بأنه «ذو مرة» بمعنى أنه صاحب حصافة وكمال عقل ـ رغم أنه يفعل ما يؤمر به ـ ثم بين تعالى أنه استقام على هيئته أو صورته الحقيقة فرآه رسول الله ﷺ عليها ، من بعد أن كان يراه فى صورة بشرية، وقيل إن هذا كان لرسول الله ﷺ وهو فى غار حراء فى مبتدأ النبوة. وقد يكون المعنى أن جبريل عليه السلام كان يستوى إلى السماء ـ بمعنى أنه يرتفع إليها ـ بعد أن يعلم محمدا ﷺ ما أوحى به من القرآن العظيم، وقد يكون قوله تعالى «وهو بالأفق الأعلى» بيانا لحال جبريل عليه السلام وقت استوائه أو استقامته على هيئته الحقيقية، وهو وجوده بالأفق الأعلى ، ناحية السماء أو فى الموضع الذى تأتى منه الشمس.

ثم يذكر تعالى أنه عليه السلام يقترب من رسول الله ﷺ ويتدلى من السماء فينزل عليه بالوحي، فيكون قريبا منه دانيا غاية القرب مكانا ومكانة، مسافة ما بين مقبض القوس وطرفها، أو ما هو أقل من هذا، فيكون منه أن يوحي إلى رسول الله ﷺ ـ وصفه تعالى بأنه عبد الله ـ ما أوحى به الله إليه من قبل .

مَا كَذَبَ
ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾
عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ
مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ
ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾

أولا : الأسماء :

سدرة المنتهى : السدرة هى شجرة النبق، وسدرة المنتهى هى شجرة نبق عظيمة عن يمين العرش فى السماء السابعة، قيل فى وصف عظم حجم ثمارها ومساحات أوراقها الكثير.

ثانيا : التفسير:

بين تعالى أن فؤاد رسول الله ﷺ قد عرف جبريل حين رآه ببصره على هيئته الحقيقية، فلم يكذب الفؤاد البصر، فيكون القول شهادة من الله بصدق ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه رأى جبريل عليه السلام على هيئته الحقيقية ـ وقيل عن أنه رأى الله تعالى بقلبه أو ببصره ـ ثم خاطب تعالى قريشا أو كفار مكة بقوله تعالى «أفتمارونه على ما يرى» ، والاستفهام فى القول

يتضمن إثباتا على الكافرين أنهم يريبون رسول الله ﷺ ويشككونه فيما يراه من أمر جبريل عليه السلام أو أنهم يجحدون قوله فى هذا، ويتضمن إنكارا عليهم فعلهم هذا.

ثم جاء قوله تعالى «ولقد رآه نزلة أخرى» تأكيدا لسبق رؤيته ﷺ جبريل على هيئته الحقيقية وإخبارا بأنه ﷺ رآه على ذات الهيئة مرة أخرى، كانت عند شجرة النبق الكائنة يمين عرشه تعالى فى السماء السابعة، ذكرها تعالى بأنها «سدرة المنتهى» لأنها سدرته تعالى الذى إليه المنتهى على ما يبين من قوله تعالى «وأن إلى ربك المنتهى».

ثم أخبر تعالى عن شجرة النبق هذه بأنها التى يكون عندها المكان الذى يأوى إليه المتقون يوم القيامة.

فيكون المعنى أن الجنة تكون عندها، وقيل إن عندها تكون الجنة التى تأوى إليها أرواح الشهداء، أو الجنة التى تأوى إليها الملائكة.

وأخبر أن حال سدرة المنتهى عند رؤيته ﷺ جبريل على هيئته الطبيعية عندها هو أنه يغشيها ما يغشيها من أمر الله، قيل إنه نور رب العزة سبحانه وتعالى.

وجاء التعبير بالفعل فى صيغة المضارع رغم وقوع الحدث فى الماضى لاستحضار صورته فى الذهن، والحدث جميعه هو ما كان لدى العروج برسول الله ﷺ إلى السماوات فى المعراج.

وأكد تعالى معنى رؤيته ﷺ ما روى عن رؤيته ليلة المعراج بإثباته أن البصر منه ﷺ لم يتحول عما رأى، ولم يتجاوز ما أراد الله له أن يراه إلى غيره، وأنه رأى ما أذن الله له أن يرى من عجائب ملكه العظمى، منها ما روى عنه ﷺ.

وقد جاء القسم المستفاد من قوله تعالى «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» لتأكيد رؤيته ﷺ ليلة المعراج ما أذن له تعالى أن يراه من بديع آياته فى ملكوت السماوات الموصوفة بأنها الكبرى.

■■■■■

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾
أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسماء والأعــلام :

١ ـ **اللات** : هى صنم كانـت لثقيف، عبدت فى الطائف وبنى عليها بنـاء فكانت العرب تعظمها، وقد هدمها وحرقها المغيرة بن شعبة بأمر رسول الله ﷺ بعد أن أسلمت ثقيف.

٢ ـ **العــزى** : هى سمـرة، وقيل ثلاث سمـرات عبدت بجهة «نخلـة» ، قطعها خالـد بن الوليد بعد فتح مكة بـأمر رسول الله ﷺ. وقيل إنه خرجت منها شيطانة ضـربها خالد بالسيف وقتلها.

٣ ـ **منـاة** : هى صنـم كانت لهـذيل وخزاعة بيـن مكة والمدينـة، قيل إنها سميـت بهذا الاسم لكثرة ما يراق لها من الدماء .

٤ ـ **الضيزى** : فى قوله تعالى «تلك إذا قسمة ضيزى»، هى الجائرة عن العدل .

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن أظهر تعالى ممـاراة الكافرين فى الحق الذى رآه رسول الله ﷺ، فـإنه تعالى أظهر ـ فى الآيات ـ مماراتهـم فى الحق فى شأن العبادة، فجاء قوله تعالـى «أفرأيتم اللات والعزى، ومناة الثالثـة الأخرى» استفهاما إنكـاريا لبيان أن الأصنام التـى اتخذوها آلهة تعبـد لم تفعل شيئا مما يفعـل الله تعالى، ولم توح إلـى أحد منهم بمثل مـا أوحى به تعالى إلـى رسوله ﷺ. وفى القول جاء «الثالثة الأخرى» صفتين لمناة، أو تكون «الأخرى» صفة للعزى ـ وهى الثانية ـ لأن العرب لاتقول للثالثة «الأخرى» .

ثم جاء قـوله تعالى «ألكم الـذكر وله الأنثى» توبيخا للكـافرين على قولهـم إن الملائكة بنات الله، وإن الأصنـام بنات الله، إذ يكون معنـى قولهم أنـه تعالـى قسم البنات والبنيـن بينه

وبينهم فجعـل لذاته البنـات وجعل لهم البنيـن، ثم بين تعالـى أنه لو كـان الأمر كما يقـولون لكانت هـذه القسمة هى قسمة جـائرة عن العدل. والمراد بيانـه هو منافاة قـولهم للعقل دون التعرض لما هو معلوم من أنه تعالى ليس له ولد .

إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾

التفســـــير:

استمر تعالى ـ فى مبتدأ الآيات ـ فى مخاطبـة الكافرين بشأن الأصنام التى عبدوها، فذكر أنها ليسـت إلا أسماء أطلقـت على جمادات لا تضـر ولا تنفع، أو أنها سميـت آلهة مـن قبل المشركين المخاطبين بـالقول ومن جهة آبائهم، دون أن يكون لها من الألـوهية شىء. ثم بين تعالى أنه لم ينـزل قولا يحتج به على أنهم آلهة ولا دليلا يثبت ذلـك، وأن المشركين بعبادتهم إياها وتسميتها آلهة لا يتبعـون إلا وهمهم أن الباطل الذى يعتقدونه هو الحـق، وما تريده أهواء نفوسهم الـزائغة عن الحق. وبين تعالـى أيضا أنهم لا حجة لهم فى البقـاء على الضلال، إذ جاءهم الهدى إلى الحق من ربهم وهـو رسول الله ﷺ، أو القرآن العظيم، فيكون القول تأكيدا لواقع أنهم لا يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس .

ثم أتبع تعالـى هذا ببيان أن ما يرجوه المشـركون من عبادة الأصنام و إعراضهـم عن الحق لايتحقق، فالاستفهام فى قـوله تعالى «أم للإنسان ما تمنى» هو لـلإنكار والنفى، فهو نفى لأن يكون للمشركين ما تمنوه وطمعوا فيه من شفاعة الأصنام لهم ، ومن أن تكون لهم الحسنى يوم القيامـة، وقد يكـون المعنى أنـه لايكون لهـم جميع مـا تمنوه، فـإن كانـوا قد تمنـوا أن تعبد أصنامهـم فقد نالـوا ذلك زمنا، و إن كـانوا قد تمنوا أن ينـالوا من عبـادتها خيرا، فهـذا مما لا يكون. وعلة ذلـك أنه تعالى هـو الذى له التصرف فى أمـور الآخرة وأمور الدنيـا. «فلله الآخرة والأولى» جاء ذكـر الآخرة - فى القول - قبل «الأولى» لأن المشركيـن كانوا يأملون فـى شفاعة الأصنام لهم فى الآخرة .

ثم بين تعـالى أن خلوص الأمر لـه وحده فى الآخرة والأولـى من شأنه أن يحـرم المشركين أطماعهم فى شفاعة أصنامهم لهم بقوله «وكم من ملك فى السماوات لاتغنى شفاعتهم شيئا إلا من بعد أن يأذن الله لمن يشاء ويرضى» وفيه بين تعالى كثرة الملائكة فى السماوات، وبين أنهم على كثـرتهم لاتفيد شفاعتهم أحدا مـن عباده تعالى إلا من بعد أن يـأذن لهم الله فى أن يشفعوا فيمن شـاء تعالى أن يشفعوا فيه، ورضى تعـالى أن يقبل فيه شفاعتهـم. فيكون القول إقناطـا للمشركين من أن تشفـع لهم أصنامهـم عند الله، ومن أن يفيـدوا من هذه الشفاعـة لو كانت واقعة، وهى لاتكون .

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ
وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـٔٗا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا
وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ
عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾

التفســـــير:

بدأ قوله تعالى - فى الآيات - بذكر واقع أن الكافرين يسمون الملائكة تسمية الأنثى، وصف الكافرين بأنهم الذين لا يؤمنون بالآخرة ، لأنهم لا يخشون عقاب الله لهم فيها بإصرارهم على ما هم عليه من ضلال، ومعنى أنهم يسمون الملائكة تسمية الأنثى هو أنهم يقولون عن الملائكة إنهم بنات الله فكأنهم يقولون عن كل ملك إنه أنثى .

ثم بين تعالى أن الكافرين يعدمون سندا من العلم الصحيح على صحة قولهم إن الملائكة بنات الله.

وأثبت أنهم فى قولهم هذا لا يتبعون إلا وهمهم الباطل الذى شأنه شأن كل باطل لا يغنى من الحق شيئا، بمعنى أنه لا يفيد شيئا فتبقى الحاجة إلى معرفة الحق وبلوغه، إذ به يبين العمل الذى يفيد والعمل الذى لا يفيد .

ثم إنه تعالى بعد أن أثبت فى حق الكافرين جهلهم بالحق واتباعهم أوهامهم الباطلة، أمر رسوله ﷺ بالإعراض عنهم، وصفهم تعالى بأنهم الذين تولوا عن ذكره، بمعنى أنهم انصرفوا عن القرآن العظيم الذكر الحكيم وهو الحق يهدى إلى الحق، كما وصفهم بأنهم الذين لم يريدوا إلا الحياة الدنيا، جعلوها محل اهتمامهم وعنايتهم، ولم يعنوا بالآخرة؛ ولهذا أعرضوا عن القرآن العظيم الذى يدعو إلى العمل للآخرة بعملها .

ثم بين تعالى أن ما عليه الكافرون من الباطل من تسمية الملائكة تسمية الأنثى، ورجائهم شفاعة أصنامهم، وقصر اهتمامهم على الحياة الدنيا، هو غاية العلم الذى وصلوا إليه والذى لا مزيد عليه لهم.

وبين تعالى أنهم بهذا هم الذين علم تعالى أنهم يضلون عن سبيله التى ارتضى، فهو الأعلم بمن قدر له أن يكون من الضالين، كما أنه الأعلم بمن قدر له أن يكون من المهتدين. فيكون القول بمثابة تعليل للأمر بالإعراض عن الكافرين .

■■■■■

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ
لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾
ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ
ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى
بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾

أولا : الأســـــماء :

اللمم : قيل هى الصغـائر من الذنوب، وقيل كـل ما هو دون زنى الفروج أو الـوطء من قبلة وغمزة ومضاجعة، وقيل هـو كل ما دون الشرك، وقيل هو الذنب يلـم به العبد مرة أو مرات دون أن يداوم عليه. وقيل هو كل ذنب ليس معاقبا عليـه بحد من الحدود فى الدنيا ولم ينص على التعذيب به فى الآخرة .

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أنه أعلم بمن ضل عن سبيله وبمن اهتدى، ولما كان تعالى مجازيا من ضل عن سبيله بالعذاب ومجازيا من اهتدى بالجنة.

فقد جاء قوله تعالى «ولله ما فى السماوات وما فى الأرض» لإثبات قدرته تعالى على فعل ما يريـد فى الدنيا والآخرة ومنـه تعذيب المسىء ــ وهو الضال عن سبيل الله ــ بعمله الضال السـىء، وإثابـة الـذيـن أحسنوا لأنفسهـم بـالإيمان واختيـار طـريـق الله المستقيم والعمـل بالطاعات بالحسنى، وهى الجنة .

ثم وصف تعـالى الذين أحسنـوا أو إنه تعالى عرف بهـم فقال إنهم الذيـن يجتنبون كبائر

الإثم والفواحش إلا اللمم، بمعنى أنهم الذين لا يشركون بالله ولا يقارفون الزنى، ولو قارفوا ما دون ذلك يلمون به مرة أو أكثر إلماما ولا يلازمونه، بين تعالى أنه يغفر لهم ذنوبهم بقوله «إن ربك واسع المغفرة» وقد يكون هذا لأن الحسنات يذهبن السيئات.

ثم جاء قوله تعالى «هو أعلم بكم» ببيان علة غفرانه تعالى ذنوب الذين أحسنوا المعتبرة من «اللمم» ببيان أنه علمه بالإنسان، وهو أنه ـ ما لم يعصمه الله ـ يرتكب الذنوب التى لا تعد من الكبائر.

ثم جاء قوله تعالى «إذ أنشأكم من الأرض وإذ أنتم أجنة فى بطون أمهاتكم»، وفيه قيل إنه تعالى عليم بأحوال الناس منذ أن خلقهم بخلق أبيهم آدم من طين الأرض، ووقت أن كانوا أجنة فى أطوار مختلفة فى بطون أمهاتهم.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه تعالى يشير إلى سبب علمى هو علة غفرانه ذنوب المحسنين، وهو ما أودعه فيهم من الغرائز الطبيعية التى اقترنت بخلقهم الذى كان بخلق أبيهم آدم، وإلى أثر عنصر الوراثة ـ إلى حد ما ـ فى سلوك المرء، وإلى أثر بيئة الرحم أيضا على الجنين ثم على المولود فى أثناء حياته مما قد يكون له من أثر على تحديد انفعالاته ومدى سيطرته على نفسه.

ثم إنه لما كان أثر ذلك نسبى بمعنى أنه يكون مقدورا من المرء أن يتغلب عليه فلا يرتكب الشرك ولا الزنى، وإن ارتكب ما دون ذلك، فإنه تعالى يغفر له هذه الذنوب.

ثم أمر تعالى المؤمنين بعدم تزكية أنفسهم، بمعنى ألا يمدحوا أنفسهم ويثنوا عليها، وقد يكون سبب النهى أنه ما من أحد إلا وارتكب صغائر الآثام إلا من عصم ربك.

ولهذا جاء قوله تعالى «هو أعلم بمن اتقى» مبينا أنه لا يكون من المحسنين إلا العمل على اتقاء غضب الله وعصيانه وإن وقعوا فى صغار الذنوب؛ ولهذا فإنه تعالى يجازيهم بتقواهم.

■■■■■

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى
تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾
أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ
وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ
سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الذى تولى : قيل هو الوليد بن المغيرة كان قد مدح القرآن ثم أمسك عن هذا، وقيل هو عثمان رضى الله عنه كان ينفق فى الخير كثيرا فنهاه أخوه فى الرضاعة عبد الله بن أبى سرح وخوفه الفقر، ثم قال له إنه يتحمل عنه ذنوبه التى ينفق فى الخير لتغفر له، فأمسك عثمان عن بعض الصدقة ثم عاد إلى ما كان عليه وأكثر. وقيل هو أبو جهل بن هشام الذى قال «والله ما يأمر محمد إلا بمكارم الأخلاق» ثم أمسك فلم يؤمن .

ثانيا : التفسـير:

الخطاب ـ فى الآيات ـ إلى رسول الله ﷺ والمؤمنين، بدأ متعلقا بشخص معين يغلب أن يكون من الكافرين، كان منه أن أعطى قليلا ثم أكدى ـ أى قطع عطاءه ولم يتمه. بمعنى أنه مال إلى الإيمان، أو أنه قال فى القرآن قولة حق، ثم كف عن هذا ولم يكمل ما كان منه بالإيمان. وقوله تعالى «أفرأيت» هو لبيان أنه ﷺ قد علم بما كان من هذا الشخص المخبر عنه، كما أنه للتعجيب من فعله وهو أنه أعرض عن الإيمان بالقرآن ولرسول الله صلى الله عليه وسلم، بعد أن كان منه القليل من القول أو الفعل الذى يبشر بميله للإيمان، انقطع عنه بعد هذا ولم يكمله بإعلان إيمانه .

بين تعالى أن هذا الـذي أعطى قليلا وأكدى قد جهل ما يكون لـه من العذاب فى الآخرة، فالاستفهام فى قوله تعالى «أعنده علم الغيب فهو يرى» هو إنكار لأن يكون لدى هذا المكدى العلم بخبر الآخرة - وهو الغيب .

ومعنى القـول أنه لو كـان عنده علم الآخرة فعـرف أنه لا يعذب بفعْلـه لكان انقطاعـه عن إكمال الخير بالإيمان عملا صحيحا منه.

فيكون إنكار علمـــه بـا لآخرة مفيدا جهلـــه بما يكون له، كما يكـــون مفيدا تعـــذيبه فيها .

ثم جاء قوله تعـالى بعد ذلك لإثبات أن هذا الذى أعطى قليلا ثم أكـدى قد علم بما جاء فى صحف موسى عليه السلام، يدخل فيها الصحف التى بعث بها إلى فرعون وقومه، والتوراة التى بعث بها لبنى إسرائيل من ذكر مبدأ «المسئولية الشخصية عن الخطأ» بمعنى أن أحدا لا يعاقب بذنب الغير فيعفى هذا الغير من العقاب .

وقد يكون ذكـر هذا مشيرا إلى أن الـذى أعطى قليلا ثم أكـدى قد استجاب لمن حـرضه على عدم إكمال فعله بالإيمان بإغرائه بأنه يحمل عنه ذنبه يوم القيامة .

كما بيـن تعالـى أن هذا المبـــدأ قد تضمنتـه من قبـل صحف إبراهيـم عليـــه الصلاة والسلام.

وصفه تعـالى بـأنه الـذى وفى، لأنه عمـل بما أمـر به وبلـغ رسالة ربـه - ثـم بين تعـالى تفصيلات المبـدأ الذى تضمنته صحـف موسى وصحـف إبراهيم مـن قبل بقولـه «وأن ليس للإنسان إلا ما سعى» .

وهو الجـانب الإيجابى فى المبدأ، ومعناه أن أحـدا لا يفيد من فعـل الخير الذى يأتـى به غيره.

وقد يكون المراد بالإنسان - فى معنى الآية - هـو الكافر، لأن المؤمن يفيـد من فعل غيره الخير، بدلالة إجازة الحج والصيام والصدقة عن الميت.

كما بينه وفصله بقوله «وأن سعيه سوف يرى، ثم يجزاه الجزاء الأوفى، وأن إلى ربك المنتهى» .

والمعنى أنه يوم القيامة يشهد تعالى المرء عمله الذى عمل فى الدنيا، قد يكون بإطلاعه على صحيفة أعماله، ثم يجزيه به الجزاء الكامل الوافى، بمعنى الذى لم يغفل عن عمل عمله فى الدنيا.

وقوله تعالى «وأن إلى ربك المنتهى» خوطب به رسول الله ﷺ، لبيان أن الذى أعطى قليلا وأكدى قد جهل أن منتهى أمره هو إلى الله الذى يحاسبه بعمله ويجازيه، ولإثبات هذه الحقيقة ليعمل المؤمنون على كسب رضائه تعالى على المستفاد من وصفه تعالى ذاته بأنه رب رسوله ﷺ، بمعنى المتولى أمره والمؤمنين والراعى مصالحهم .

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى ـ فى الآيات ـ أن الذى أكدى فلم يكمل القليل من الخير الذى كان منه بالإيمان قد جهل حقيقة الله تعالى الذى إليه المنتهى، وأنه فاعل كل شىء وإن خلق لكل فعل سببا ظاهرا، ومن ذلك أنه تعالى هو الذى يضحك الإنسان ويبكيه، بأن يوجد سبب سروره الذى يؤدى إلى الضحك، وسبب حزنه الذى يدفع إلى البكاء.

وأنه تعالى أمات وأحيا، بمعنى أنه الذى أوجد الأسباب الظاهرة التى يعقبها الموت، والذى أوجد الأسباب التى تدب بها الحياة فى الحيوان المنوى، والحياة فى الجنين، والذى يبعث الحياة فى الأجسام البالية يوم البعث للحساب.

وأنه تعالى خلق الزوجين من أولاد آدم الذكر والأنثى من نطفة تقطر من ماء الرجل في رحم الأنثى فتصادف بويضة تلقحها فيكون بهذا مبدأ خلق المرء .

وَأَنَّ عَلَيْهِ
النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾
وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَ فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ
إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا
مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ الشـعرى : هي الشعرى اليمانية ألمع نجوم السماء، تقع في مجموعة الكلب الأكبر بالقرب من الجوزاء أو كوكبة الجبار، ميزها العرب عن الشعرى المعروفة بالغميصاء، وقالوا إنهما كانا أختين لسهيل، وقالوا إنها كانت زوجه، فلما انحدر سهيل وأصبح يمانيا تبعته الشعرى فعبرت المحبرة فسميت «العبور» وبقيت أخته الأخرى تبكي عليه حتى غمصت عيناها فسميت الغميصاء. جاء ذكرها لأن من العرب من عبدها، قيل عبدتها حمير وخزاعة، وقيل إن أول من عبدها هو «أبو كبشة» قيل إنه كان أحد أجداد النبي ﷺ من جهة أمه.

٢ ـ المؤتفكة : هي المنقلبة، من الإفك ـ وهو الكذب ـ لأن فيه قلبا للحقيقة. والمراد بها ـ في معنى الآية ـ مدائن قوم لوط عليه السلام، فهي التي قلب تعالى عاليها سافلها، ثم خسف بها بأن أهوى بها إلى الأرض من بعد رفعها بواسطة جبريل عليه السلام.

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى ـ في الآيات ـ بدأ بذكر المزيد من فعاله تعالى وصفاته التي لم يعرف بها هذا

الذى أعطى قليلا، وأكدى، قال تعالى «وأن عليه النشأة الأخرى» فأثبت أنه الذى يحيى الخلق فى الآخرة من بعد موتهم، بين أحقية هذا الإحياء بوصفه أنه واجب - مع أنه تعالى لايجب عليه شىء - لبيان أنه قضاء جرت به حكمته تعالى من أجل الحساب فتحتم وقوعه. ثم أثبت أنه الذى أغنى وأقنى، فهو الذى وهب من وهب ما ينفقه وما يقتنيه - وقيل ما يرضيه - كما أثبت أنه رب نجم الشعرى، خصه بالذكر لأن من العرب من عبده، فدل تعالى أنه الذى يحفظه بحكم أنه ربه، ليبين أنه تعالى الأولى أن يعبد وليس الشعرى النجم المخلوق الذى يدين بوجوده وحفظه له تعالى .

ثم ذكر تعالى - فى مجال ترهيب الذين لم يؤمنوا - أنه الذى أهلك عادا الأولى التى كانت أول المهلكين من بعد قوم نوح، تمييزا لها عن قبيلة عاد التى عاشت فى مكة وأصلها من العماليق، وهم بنو لقيم بن هزال. وذكر أنه أهلك ثمود فلم يبق منهم أحدا لم يأخذه بذنبه. ثم ذكر أنه تعالى أهلك - من قبل هؤلاء المذكورين - قوم نوح عليه السلام.

وصفهم بأنهم كانوا أظلم وأطغى من عاد الأولى ومن ثمود، وقد يكون هذا لإمعانهم فى إيذاء نوح عليه السلام بالضرب. كما ذكر أنه تعالى أهلك المؤتفكة - وهى قرى قوم لوط عليه السلام - بأن أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها جبريل على جناحه إلى السماء، فكان من شأنه تعالى معها أنه عطف عليها من العذاب ما شاء فغطاها وغشاها؛ فيكون القول متضمنا تهويل العذاب الذى حل بها تحقيقا للغاية وهى تخويف الكافرين من الإصرار على الكفر.

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربك تتمارى» وفيه قيل إن الخطاب هو لرسول الله ﷺ إلهابا لغيره ﷺ وتعريضا به، وقيل هو لكل فرد من الناس، والذى نراه - والله أعلم - أنه للكافر الذى أبدى ميلا للإيمان ثم أكدى بأن انقطع عن إبداء إيمانه ولم يكمله.

جاء قوله تعالى ليبين له أنه ليس له أن يتشكك فى شىء من نعمه تعالى ومقدوراته التى فى الآيات وفى دلالتها عليه تعالى بما يستوجب منه إعلان إيمانه، فيكون القول متصلا - فى المعنى - بما سبق منه تعالى من تخويف الكافرين بالعذاب فى الدنيا والآخرة .

﴿هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ۝٥٦﴾

التفسـير:

أشار تعالى ـ فى الآية ـ إلى القرآن العظيم الذى أخبر عن هلاك الأمم السابقة وأخبر عنه أنه نذير بعذاب المصرين على الكفر.

ثم بين أنه من جنس النذر الأولى، وهى الكتب والصحف التى أنزلت على الأنبياء والرسل فأنذروا بها أقوامهم.

وقد يكون القول متضمنا وعيدا بالهلاك يصيب المكذبين على نحو ما أصاب الذين أنذروا من قبل بكتب المرسلين إليهم وصحفهم .

﴿أَزِفَتِ ٱلْـَٔازِفَةُ ۝٥٧ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ۝٥٨﴾

أولا : الأسـماء :

الآزفـة : هى القريبة وقتا، والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الساعة، أو القيامة .

ثانيا : التفسـير:

بين تعالى ـ فى الآيتين ـ أن الساعة قد اقتربت زمانا، وهذا صحيح لأنه ﷺ هو خاتم النبيين يأتى قرب الساعة.

ثم بين تعالى أنه إذا غشيت أهوالها الخلق لايكون فى مقدور أحد من دون الله تعالى أن يكشف أهوالها بمعنى أن يزيلها، ولا أن يمنع وقوع الساعة.

ويقبل القول أن يكون أنه لايكون فى مقدور أحد تأخير وقت وقوعها.

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾

أولا : الأسماء :

السامدون : فى قوله تعالى «وأنتم سامدون» جمع، مفرده «السامد» وهو اللاهى، وقيل هو «المبرطم» الذى يلهو رافعا رأسه فى كبرياء .

ثانيا : التفسير:

أشار تعالى ـ فى القول ـ إلى القرآن العظيم وقال للكافرين «أفمن هذا الحديث تعجبون» وصفه بأنه الحديث، لأنه قول الحق جل وعلا، ثم أثبت عليهم أنهم يعجبون منه، وأنكر عليهم هذا، كما أثبت عليهم أنهم يضحكون منه استهزاء به.

وبين أنه كان الأولى بهم أن يكونوا حزنا على أنفسهم وما يصيبهم بكفرهم به من العذاب، وأنكر عليهم ضحكهم منه استهزاء به يكون وحالهم أنهم لاهون متكبرون .

ثم بين تعالى ما هو جدير أن يكون من العباد مع القرآن العظيم وهو تعظيمه وشكر من أنزله على رسوله ﷺ والخشوع إليه.

فجاء أمره تعالى قاطعا بالسجود له تعالى منزل القرآن على عبده تزلفا إليه بالخشوع والخضوع، وبعبادته وحده وعدم الشرك به. «فاسجدوا لله واعبدوا». والآية موضع سجدة عند أغلب أهل العلم .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القمـــر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟
سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ
ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ
يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى
ٱلدَّاعِ ۖ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ المزدجر: في قوله تعالـى «ما فيه مزدجر» هو الزاجر، أو ما تضمـن شيئا أو معنى يزجر عن فعل شيء. والمراد به ـ في معنى الآية هو ما يزجر عن الكفر.

٢ ـ المهطعـون : في قـوله تعـالى «مهطعيـن إلى الـداع» جمع، مفـرده «المهطع»، وهـو المسرع.

ثانيا : التفســـــير:

أثبت تعالـى ـ فى مبتدأ القول ـ أن الساعة اقتربت، وقـرن قوله هذا بقولـه «وانشق القمر» وفى تفسيره قيل إن القمر انشق حقيقة فى زمان رسول الله ﷺ وصار فرقتين وأن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهـم آية فأراهم القمر شقتيـن رأوا حراء بينهما. والذى نحـب أن نشير إليه قبل إبداء رأينـا فيما قيل هو أن الحديث الـذى روى عن الحدث هو حديث آحـاد أو أنه غير متواتر. وأن الآية ليست نصا فى الحديث؛ ولهذا فإن من ينكر حدوث الانشقاق فى عصره ﷺ لايعد كافرا .

وتقدمة لرأينا فى تفسيـر قوله تعالى نقول إنه تعالى أنزل المعجزات المـادية تأييدا للرسل السابقين لأن هؤلاء الرسل قد دعوا إلى أديان مؤقتـة باعتبار أنها تنسخ بالإسلام الذى يأتى به رسول الله ﷺ من ربه؛ ولهذا كان التدليل منه تعالـى بالآيات المادية لمعاصرى الرسل ولمن يأتى بعدهم بفتـرة زمنية قصيرة تكون المعجزات المادية لاتزال أثناءها ثـابتة فى الأذهان غير منسية. وليس الشأن كذلـك بالنسبة لدين الإسلام الذى بعث بـه رسول الله ﷺ للناس فى كل زمان ومكـان، فلا يكون للآيـة التى تظهر فى مكـة وفى زمان رسـول الله ﷺ أثر لدى من يـأتى بعده ﷺ بأكثر من ألف سنة ويكون فى قارة أخرى، ولهذا جاءت رسالة الإسلام غير مصحوبة بالخوارق المادية: يؤكد هذا قوله تعالى لرسوله ﷺ ـ فى الرد على من طلبوا منه آيات مادية ـ «قل سبحان ربى هل كنت إلا بشرا رسولا»، ثم إنه يثبت أنه تعالى لم يدعم دينه خاتم الأديان بأدلة مـن جنس هذه الأدلة الماديـة قوله تعالى «ومـا منعنا أن نرسل بالآيـات إلا أن كذب بها الأولون» .

ودون أن يعتبر القـول منا تكذيبـا لرواية انشقـاق القمر زمن رسـول الله ﷺ فإننا نـرى ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى «اقتربت الساعة وانشـق القمر» يفيد معنى أنه عندما تقترب الساعة فى المستقبل ينشق القمـر. وأن قوله تعالـى «وإن يـروا آية يعرضـوا ويقولوا سحر مستمـر» هو فى شأن المصـرين على الكفر لا يـؤمنون بآيـات الله فى الخلق وآيـاته المنزلة فـى كتابه الكـريم يصفونها بما يصفون بـه القرآن العظيم وهو أنه سحر، فإن كان قـد أخبر عن حدث مستقبل أو

آية تظهر فى المستقبل ، فإن قولهم هو أنه ﷺ عرفها بطريق السحر وأخبر عنها. ولدى من قال بحدوث انشقاق القمر فى زمن رسول الله ﷺ، فإن معنى القول أنه عندما شاهد الكافرون آية انشقاق القمر أعرضوا عنها دليلا على صدقه ﷺ وقالوا إنه سحر أعينهم فهو استمرار منه ﷺ على سحرهم .

ونرى - دعما لرأينا فى تعلق القول بما يحدث من انشقاق القمر عند اقتراب الساعة - أنه تعالى بين أن الكافرين يرون آية من آياته فينكرون دلالتها ويعرضون عنها، والآية هى دوران الأرض حول نفسها فى زمن يقدر بأربع وعشرين ساعة، وبالتحديد هو ثلاثة وعشرون ساعة وست وخمسون دقيقة وأربع ثوان. وأنه فى كل مائة عام يطول اليوم بمقدار ٠٠٢ , ٠ ثانية (اثنين من ألف من الثانية) والمعجزة فى هذا أو الآية تتمثل فى دقة هذه الساعة الكونية الزمنية التى لا تماثلها أى ساعة ابتكرها البشر ومنها الساعة الكوارتز، وأن نسبة الخطأ ٠,٠٠٢ / ثانية مقصودة لتحقيق نتيجة معينة فى وقت معين هى انشقاق القمر ووقوع الساعة. يعرض الكافرون عن هذه الآية العظيمة دليلا على قدرة الله تعالى ووحدانيته، ويقولون عن رسول الله ﷺ إنه أراد أن يسحرهم عن الحق - وهو برأيهم أن هذا هو فعل الطبيعة - بقوله لهم إنه عمل ربه الذى بعثه بالدين الحق .

وعلاقة هذا بوقوع انشقاق القمر فى المستقبل عند اقتراب الساعة، أنه نتيجة إبطاء الأرض سرعة دورانها حول محورها أنه يطول اليوم على الأرض، ومن عجب أن القمر يتسبب بقدر فى إحداث هذا الإبطاء بفعل جاذبيته وتأثيرها فى ظاهرتى المد والجزر. وأن إبطاء الأرض فى سرعة دورانها حول محورها سيؤدى إلى زيادة القمر سرعة دورانه حول نفسه لكونه تابعا لها لوجود التأثير المتبادل بينهما وفقا للقانون الطبيعى «إن مجموع كمية التحرك الزاوى - أى الدورانى - فى أى نظام معزول مقدار ثابت» .

ثم إنه نتيجة لزيادة سرعة دوران القمر حول نفسه فى المستقبل ستتغلب القوة الطاردة المركزية على أجزاء القمر المتماسكة بما يؤدى إلى انشقاقه. ثم إن زيادة سرعة دوران القمر

تؤدى إلى ابتعاده عن الأرض ثم اقترابه منها تدريجيا فتجذب الأرض الجزء من القمر المواجه لها وهو ما يحدث بـالضرورة والحتم انشقاق هذا الجزء عن الجزء الآخـر الذى ليس لجاذبية الأرض ذات التأثير عليه .

وجاء قوله تعالـى «وكذبوا واتبعوا أهواءهم، وكل أمر مستقر» لإثبات أن الكـافرين فى كل زمان يكذبون بـالآيات، فإذا كان معاصرو رسـول الله ﷺ قد كذبوا بالآية التـى استظهروها من دقة طول اليوم وعدم اختـلاف طول يوم عن طول يوم آخر دليلا على قـدرة الخالق ووحدانيته التى دعاهـم رسول الله ﷺ إلى الإيمان بها، فإن كـافرى اليوم الذين استظهروا منهـا دقة صنع الخالق ثم كذبوا بها يكونون مثل الأولين، كذبوا بالحق واتبعوا أهواءهم الضالة. ثم بين تعالى أن تكذيبهم هذا لا يضر الحق شيئا، فكل أمر قدره تعالى لنصرة رسوله ﷺ، وإعلاء كلمة دينه الحق، هو المقدر له أن يكون وأن يستقر.

ثم بيـن تعالـى أن الكافـرين قد جـاءهم فـى القرآن العظيم، كمـا جاءهـم من الـروايات المنقولة وما ذكر فى الكتب والصحف المنزلة من قبل من أخبار المكذبين من قبلهم وما حاق بهم مـن عذاب جـزاء على كفـرهم، ما هـو حقيق علـى أن يزجرهـم عن كفـرهم وتكـذيبهم بالقرآن. ثم وصف القرآن العظيم أو ما جاء بالكتب مـن أنباء تزجر عن الكفر بالحكمة البالغة التى بلغـت حد الكمال، ولمـا كان الزاجـر منذرا فإنـه تعالى بيـن أن هذه النذر التـى جاءت الكافرين لا تغنى شيئا مع من أصر على الكفر عنادا من نفسه، ولهذا فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يعرض عن مجـادلة الذين أصـروا على الكفر، والأمر ينصـرف إلى المؤمنين فـى كل زمان، يكون هذا الإعراض انتظارا لمـا يكون معهم حين يدعوهم إسرافيل عليـه السلام إلى ما تنكره نفوسهم وهو هـول يوم القيامة ، فيخرجون مـن قبورهم أذلة أبصارهم مـن شدة الهول يتجهون إلى المحشر كمـا يكون عليه حال الجـراد حين يتجه وجهة معينـة، مسرعين إلى تلبيـة دعوة الداعى وهو إسـرافيل، أو هو الله تعالى الذى أمر إسـرافيل أن يدعو، فيكون من الكـافرين عند معاينة أهوال اليوم وترقبهم سوء مصيرهم فيه أنهم يقولون فى وصف اليوم إنه يوم عسر، بمعنى أنه صعب شديد .

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ۝٩ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ۝١٠ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ ۝١١ وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ۝١٢ وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ۝١٣ تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَنْ كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦﴾

التفســـير:

بعد أن بين تعالى أنـه قد جاء الكافرين ـ فى القرآن العظيـم، وفى الكتب والصحف التى أنزل الله على رسله ـ ما فيه مزدجر، فإنه تعالـى ذكر من هذه الأنباء ما خصه بالذكر فى الآيات وما بعدها. فقال إنه قبل قومه ﷺ، وقبل زمان كل الكـافرين من بعد زمانه ﷺ كذبت قوم نوح برسالات الأنبياء، فكان منهم بسبب ذلك أو ترتيبا عليـه أنهم كذبوا بنوح عليه السلام فأنكروا نبوتـه، ظلوا علـى تكذيبهـم إياه جيلا بعـد جيل، ولـم يكتفوا بهـذا بل زادوا عليـه أن وصفوه بالجنون، وزجروه عـن تبليغ رسالة ربه بإيذائه وتهـديده، على ما يبين من قـولهم له فيما روى عنهم رب العزة «لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين» .

ثم ذكر تعالـى أن نوحا عليه السلام بعد أن يئـس من إيمانهم التجأ إلى ربـه فصرح له أنه مغلوب على أمره مـن قومه، ليس به قدرة عليهـم، ثم طلب منه أن ينتصر لما دعـاهم إليه من الدين ، والمعنى هو أن ينتقم تعـالى لدينه من مكذبيه. ويبين من قولـه تعالى «ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر»، أنه تعـالى استجاب إلى سؤال نوح أن ينتصر لدينـه، فكان منه تعالى أن

جعل السمـاء تمطر مطرا لا مثيل لـه، حتى لكنه كان مخزونا دون أبواب السماء، ثـم فتحت الأبواب فانصب فوق الأرض صبـا؛ ولهذا وصفه تعالى بأنه ماء منهمر. ثم ذكـر تعالى أنه فجر عيون الماء من الأرض، بلغت من الكثرة الحد الـذى جعل الأمر كما لو كانت الأرض جميعها عيـونا متفجـرة بالمـاء، فكان التقـاء الماء المنهمـر من السمـاء بالمـاء المتفجر مـن الأرض واختلاطهما على النحو الذى قدر الله أن يكون عليه هذا .

ثم بين تعالى أنه أنجى من الإهلاك بالغـرق نوحا عليه السلام، يذكره أنه حمله على ذات الألواح الخشبية العريضـة والمسامير ـ وهى السفينة ـــ أخبر تعالى عن أنها كـانت تجرى فى الماء بعنايتـه تعالى وحفظه «تجرى بأعيننـا»، وبين أن إنجاءه هذا كان جزاء لـه عليه السلام الذى كان نعمة من الله لقومه ـ شأن كل نبى ـ فكفروا بها .

ثم إنه ـــ لبيان أن فى الإنباء بقصـة قوم نوح عليه السـلام مزدجر ـ جـاء قوله تعالـى «ولقد تركناها آية فهـل من مدكر» ويتصور أن يكون الضمير فى «تركناهـا» عائدا إلى السفينة، فيكون المعنى هو بقاء بقايا السفينة فى مكانهـا على الجودى يتبينه الناس فيعتبرون بقصة المهلكين والناجين، ويتصور أن يكون عائدا إلى القصة، تناقلتها الأجيـال بالرواية والذكر ليعتبر بها أولوا النهى. فيكـون الاستفهام فى قـوله تعالـى «فهل من مدكـر» لبيان أن فى القصـة ما يدعـو إلى الاعتبار بها. ثم بين تعالى أن ما كان يجب الاعتبار بـه هو شدة عذابه تعالى المغرقين، عبر عنه الاستفهـام فى قـوله تعـالى «فكيـف كان عـذابى ونـذر» فهو يفيـد شدة العـذاب الذى وقـع بالمكذبين رسولهم كما يفيد كونه نذيرا لمن بعدهم من المكذبين .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾

التفســـير:

بعد أن ذكـر تعالى قصة قـوم نوح التى فيهـا مزدجر، جـاء قوله تعالـى «ولقد يسرنـا القرآن للذكر» فبين أن القرآن العظيم الذى ذكر القصة وأنبأ بمصير القوم قد يسره تعالى للذكر، بمعنى

أنه تعالى يسره على القارئ الذى يتعبد بقراءته، وعلى الحافظ الذى يحفظه، وعلى المتدبر فيه أن يفهمه. ثم إنه تعالى حث الناس على قراءة القرآن وتدبره وحفظه والاتعاظ به بسؤاله عمن يطلب هذا ليعينه عليه، وذلك بقوله تعالى «فهل من مدكر» .

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسماء :

١ - الأعجاز: فى قوله تعالى «كأنها أعجاز نخل» جمع، مفرده «العجز» وهو مؤخرة الشىء. والمراد بها - فى معنى الآية - أصول النخل .

٢ - المنقعر: هو المخلوع والمنتزع من مغارسه .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى ذكر قصة عاد قوم هود عليه السلام التى فيها - شأن غيرها من قصص المكذبين المهلكين - مزدجر. بين تعالى أنهم كذبوا نبيهم، ثم بين تعالى أنه عذبهم وأنذربهم، واستحث السامعين إلى الإصغاء إلى المروى بقوله «فكيف كان عذابى ونذر» ثم فصل ذلك بذكره أنه تعالى أرسل عليهم ريحا شديدة البرودة أو شديدة الصوت فى يوم شؤم عليهم استمر إلى أن أهلكهم، وقيل إن وصفه بالاستمرار إنما كان لأن أرواحهم لاتزال معذبة فى البرزخ إلى أن يدخلوا جهنم يوم القيامة .

ثم أخبـر تعالـى عن فعـل الريـح التى أرسـل على عـاد بهم، فـذكر أنهـا كانـت تقتلعهم وتصرعهم كأنهم أصول نخل هلك وانتزع من مغـارسه فبقيت مواضعه منقعرة. وأعقب تعالى ذلك ببيان شدة تعذيبه عادا بتهويل أمره والتعجيب منه ومن كونه إنذارا لغيرهم بقوله «فكيف كان عذابى ونذر» وقيل إن العذاب المقصود فى القول هو عذاب الآخرة .

وبعد هذا كرر تعالى قوله «ولقد يسرنا القـرآن للذكر فهل من مدكر» تحضيضا للناس وحثا لهم على تلاوة القرآن وتدبره وحفظه والعمل به .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا
وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا
بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾

التفســـير:

القول انتقال إلى ذكر قصـة أخرى من قصص المكذبين المهلكين التى فيهـا مزدجروهم ثمود قـوم صالح عليـه السلام، ذكر تعـالى أنهم كـذبوا بـالنذر أى بالـرسل لأنهم بتكـذيبهم صالحا كذبوا كل من سبقه بالدعوة إلى توحيد الله. ثم بين تعالى ما تعللوا به تبريرا لكفرهم به وتكذيبه وهو كونه بشرا وليس ملكا، وأنه واحـد منهم أو من عامتهم وليس من أشرافهم، وأنهم لهذا أنكروا أن يكـون منهم اتباعه، وزادوا علـى هذا قولهم إنهـم إن يتبعوه فإنهم يكـونون فى ضلال من أمرهم يعذبون بسببه فى السعير.

كما يذكر تعالـى أنهم صرحوا بإنكارهم أن يكون مختارا من الله تعـالى، اختصه من بينهم بأن أنزل عليه الوحـى «أألقى عليه الذكر من بيننا» ثم زادوا على هذا وصفهـم إياه بأنه كذاب أشر بمعنى أنه متكبر بطر.

ثم إنه تعـالى يخبر ـ فـى القول ـ عما قـاله لصالح وهـو إنهم سيعلمون غدا مـن الكذاب الأشر، والمعنى أنه وعد صالحا وتوعدهم بأن يـريهم من العذاب ما يتحققون به من أنهم هم الكذبة المتبطرون .

إِنَّا مُرْسِلُوا۟ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا۟ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾

التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآيات ـ هو فى تفصيـل وعده تعالى صالحا ووعيده المكـذبين به، وفى بيان «الغد» موعد عذاب المكذبين، وبيان ماهية العـذاب. ذكر تعالى مايفيد أنه أخبر صالحا عليه السلام أنـه سيخرج لهم الناقة التى طلبـوا أن تخرج لهم من حيث طلبوا لتكـون امتحانا لهم، ثم أمر صالحا عليه السلام أن ينتظر فعلهـم بها وأن يصبر على أذاهم إلى أن يأتى أمر الله فيهم. ثم أمره تعالى أن يخبرهم بأنه تعالى جعل ماء البئر التى لهم مقسومة بينهم وبين الناقة، يكون لهم نصيـب منها يحضرونه، ويكـون للناقة منه نصيـب. والمراد بهذا هو أن يكـون لهم شرب يوم، ويكون للناقة شرب آخر.

ثم يـذكر تعالى أنهـم نادوا صاحبهم فتعـاطى فعقر، والمستفـاد من القول أنهم ـ بعد أن ساروا لفترة زمنية على اتباع القسمة ـ رجعوا عن هذا وقرروا قتل الناقة، والذى يذكره النص هو

أنهم استدعوا صاحبا لهـم لقتلها، قيل إنه قدار بن سالف، تعاطى السيـف فقتل الناقة. فكان القتل منه بالفعـل ومنهم بالتحريض؛ ولهذا جاء قـوله تعالى «فكيف كان عـذابى ونذر» لبيان هول العذاب الذى حل بهم جميعا فكان إنذارا لغيرهم من المكذبين .

ثم فصـل تعالـى وبين هـذا العذاب فـذكر أنـه أرسل عليهـم صيحة واحـدة هى ـ على المعروف ـ صيحة جبريل عليه السلام جعلتهم مثل ما تهشم من النبات اليابس الذى يحضره صاحب الماشية إلى حظيرة ماشيته غذاء لها .

وأتبع تعالى هذا بقوله «ولقد يسرنا القرآن للذكر، فهل من مدكر» تنبيها للناس وقد يسر لهم تعالى فهم القرآن بوجوب الاعتبار بما ورد فيه من قصص المكذبين .

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ
نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ
أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ
فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ
مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا۟ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ
فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾

أولا : الأســــماء :

الحاصب: فى قوله تعـالى «إنا أرسلنا عليهم حاصبـا» هو الرامى بالحصباء، قيـل إنه كان ملكا من الملائكة، وقيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو الريح .

ثانيا : التفســــير:

قولـه تعالـى - فى الآيـات - انتقال إلـى ذكر قصـة أخرى من قصـص المكذبيـن رسلهم المعذبين ، هم قـوم لوط عليه السلام، ذكر تعالـى أنهم كذبوا بالنذر ، بمعنـى أنهم بتكذيبهم لوطا عليه السلام كذبوا جميع الرسل الذين دعا عليه السلام بدعوتهم.

ثم ذكر تعالى نهاية فعله بهم وهو أنه تعـالى أرسل عليهم ملكا يرميهم بالحصباء أو الريح فعلت هذا بأمره، ثم بين تعالى أن الحاصب استثنى من الرمى آل لوط - والمراد بهم المؤمنون له - وأنـه أنجاهم فى آخر الليـل، كما صرح بأن إنجاءهم هـذا كان إنعاما منه تعـالى عليهم، وأتبع هـذا بأن بين أنـه على هـذا النحو من الإنعـام يجازى من شكـر الله على نعمـة الإيمان بالطاعة .

ثم فصل تعالى الأحداث السابقة على إهلاك الكافرين، فذكر أن لوطا عليه السلام خوفهم أن يبطش الله بهم فيعذبهم بأفعـالهم الشائنة، فكذبوه فيما خوفهم به وأنـذر. ثم ذكر تعالى ما حدث منهم حين استضاف المـلائكة الذين جاءوه فى صورة البشر، وهم أنهـم حاولوا صرفه عن حمايتهم من أذاهـم وطلبوا منه أن يخلى بينهم وبينهم ليفجروا بهم، وأنـه كان منه تعالى أن طمس أعينهم، بـأن سواها بوجـوههم أو بطمس نورهـا حين صفقهم جبريـل عليه السلام بجناحه أو حين أغلق لوط الباب دونهم.

وبين تعـالى أن طمـس عيونهم هـذا كان عذابـا منه تعـالى ذاقوه وإنـذارا لهم بـالعذاب الأشد، أخبر عنـه أنه كان لهم بكرة، أي فى أول النهـار، وهو رجمهم بالحصباء، وصفـه تعالى بأنـه «عذاب مستقر» لأنـه يستقر بهم ويدوم أثـره إلى أن يلقوا فـى نار جهنم. وبيـن أن حلول العذاب بهم كان تمثيلا عمليـا لقول يقال لهم أن يذوقوا عذابه تعالـى الذى أنذروا به، والذى ينذر به من يأتى بعدهم .

ثم جاء قـوله تعالى «ولقد يسـرنا القرآن للذكر فهـل من مدكر» حثا علـى الاعتبار بقصتهم المروية فى القرآن العظيم الذى يسر تعالى على الناس تلاوته وفهمه والاعتبار به .

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾

التفسير:

القول - فى الآيتين - انتقال إلى ذكر قصة قوم آخرين من المكذبين المهلكين هم آل فرعون، جاء تصدير القصة بالتوكيد «لقد» لبيان أهميتها فيما يعتبر به، أخبر تعالى عن أنه جاء آل فرعون النذر، قد يكون المراد بهم موسى وهارون، وقد يكون المراد بهم موسى وهارون ومن سبقهم من الرسل، يدخل فيهم إدريس عليه السلام الذى كان فى صعيد مصر، ويدخل فيهم يوسف عليه السلام الذى عاش فى مصر فترة طويلة .

ثم ذكر تعالى أن آل فرعون كذبوا بآياته تعالى كلها، فيدخل فيها الآيات التسع التى أيد بها تعالى موسى وهارون، كما يدخل فيها الآيات التى أيد بها تعالى الرسل الذين سبقوهم. ثم صرح تعالى بأنه ترتيبا على تكذيب آل فرعون كان منه تعالى أن أخذهم بعذابه أخذ العزيز الذى لايغالب، والذى يقدر على كل شىء. والمراد هو عذاب إغراقهم فى اليم .

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُو۟لَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾

التفسير:

قيل إنه تعالى خاطب - فى مبتدأ القول - العرب قوم رسول الله ﷺ بقوله «أكفاركم خير من

أولئكم أم لكم براءة فى الزبر» وأن الاستفهام فى القول يفيد إنكار أن الكفار منهم أشد قوة من الكفار المذكورين من المهلكين وهم أقوام: نوح وهود وصالح ولوط عليهم السلام، وآل فرعون، كما يفيد إنكار أنهم يجدون فى كتب الله المنزلة ما يفيد براءتهم من المعاقبة بذنوبهم. مما مفاده أنهم معذبون بكفرهم، لا يمنع عنهم العذاب قوة هى لهم ولا وعد بإعفائهم من العقاب نزل به نص فى كتاب من الله تعالى.

والذى نراه - والله أعلم - أنه تعالى خاطب الناس جميعا بالقول فى كل زمان ومكان فبين أن الكافرين منهم ليسوا بأفضل عنده من المهلكين السابق ذكرهم، وأنه ليس من نص فى كتاب من كتبه تعالى يبرئهم من ذنوب أفعالهم، فيكون القول توعدا للكافرين فى كل زمان ومكان بالعذاب. وقد يكون من هذا ما نراه اليوم من زعم الصهاينة من اليهود أنهم شعب الله المختار، وما سطروه فى تلمودهم وتعاليم حكماء صهيون من أنهم لا يؤاخذون باعتداءاتهم على غير اليهود .

ويجىء قوله تعالى «أم يقولون نحن جميع منتصر» تبكيتا للكافرين على اعتقادهم وقولهم إنهم ائتلفوا فأصبحوا جماعة ذات قوة لا بد لها من أن تنتصر على من تعاديه فلا تغلب. وفيه قيل إنه متعلق بكفار مكة. ونرى - والله أعلم - أنه يتعلق بالكافرين فى كل زمان ومكان، وقد يكون منه اعتقاد دولة إسرائيل أنها والولايات المتحدة الأمريكية - القوة العظمى - فى حكم الجماعة الواحدة التى لا بد لها من أن تنتصر على عدوها .

ثم إنه تعالى يقطع بالقول أن جمع الكافرين سيهزم من المؤمنين ويوليهم أدباره وفيه قيل إن الوعد بانتصار المؤمنين عليهم، أو إن توعدهم بالهزيمة تحقق فى يوم بدر. ونرى - والله أعلم - أن ذلك يكون فى كل صراع بين المؤمنين والكافرين، وقد يكون منه ما تنبأ به إشعياء فى سفره بالعهد القديم الذى بين أيدينا اليوم من انتصار العرب على بنى إسرائيل فى نهاية الصراع «فتكون سكة من مصر إلى أشور ..... فى ذلك اليوم يكون إسرائيل ثلثا لمصر» وما جاء فى سورة الإسراء من قوله تعالى «فإذا جاء وعد الآخرة ليسؤوا وجوهكم وليدخلوا المسجد كما دخلوه أول مرة وليتبروا ما علوا تتبيرا» .

وبعد هذا فإنه تعالى بين أن موعد عذاب الكافرين العذاب الأوفى هى يوم تقوم الساعة، ووصف الساعة بالنسبة لهم بأنها أدهى وأمر بمعنى أنها تكون أشد هولا وأقسى مرارة من عذاب الدنيا الذى نالهم .

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ
فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟
مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ
بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ
فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾

أولا : الأسماء والأعلام:

١ - **الضلال** : فى قوله تعالى «فى ضلال وسعر» قيل إن المراد به - فى معنى الآية - هو الهلاك .

٢ - **سقر** : اسم علم لجهنم .

ثانيا : التفسير:

بعد أن بين تعالى أن عذاب الكافرين يوم تقوم الساعة يكون أدهى وأمر من عذاب الدنيا الذى نالهم، فإنه تعالى وصفهم بالمجرمين ثم أثبت أنهم يكونون عند قيام الساعة أو فى الآخرة فى هلاك وفى نار مسعرة. ثم بين معنى الساعة فذكر أنها يوم يسحب المجرمون فى النار ملقون على وجوههم يقال لهم أن يذوقوا عذاب سقر، فيكون القول متضمنا الإشارة إلى عذاب يزيد على مجرد الألم من النار يأتى من بعده. كما يقال لهم إنه تعالى قد خلق كل

شىء بقدره الذى قدر قبل وقوع الخلق، فيكون القول مشيرا إلى تقديره تعالى عليهم الكفر والعذاب. ويبين لهم أنه تعالى إذا أمر بشىء أن يكون فلا يكون منه تعالى غير كلمة واحدة هى «كن» فيكون ما أمره به محققا فى أقصر زمن يتصور وهو ما يستغرقه لمح البصر، ويقال لهم أيضا على سبيل التبكيت وإظهارا لتسببهم فيما حاق بهم من العذاب «ولقد أهلكنا أشياعكم فهل من مدكر» بمعنى أنه تعالى أهلك الذين ماثلوهم فى الكفر من الأمم السابقة وأعلمهم هذا، فلم يتعظوا بما علموا ولم يعتبروا وبقوا على كفرهم.

ثم يبين تعالى أنه محاسب الكافرين بكفرهم وبأفعالهم بذكره أن كل فعل فعلوه فى الدنيا قد كتب فى صحفهم التى دونها الحفظة، فكان كل عمل عملوه ـ صغيرا كان أم كبيرا ـ مكتوبا فى هذه الصحف ليحاسبوا به وليجازوا .

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن عذاب الكافرين فى الآخرة، فإنه تعالى أخبر ـ فى المقابل ـ عن مصير الذين اتقوا غضبه تعالى باتقائهم الكفر والمعاصى، فأثبت أنهم يكونون فى جنات واسعة أو جنات ذات أنهار، يكونون فى أماكن مرضية صدق قوله تعالى إذ بشرهم أنها تكون لهم، أو بشرهم أنهم فيها يباح لهم النظر إلى وجهه الكريم. ثم بين قربهم منه تعالى بذكره أنهم يكونون عنده تعالى المَلك العظيم المُلك، العظيم القدرة .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الرحمن

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ
ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤
ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ
رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ
بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩

أولا : الأسـماء :

١ - البيـان : قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو المنطق الفصيح المعرب عما فى النفس، الذى به يكون التمكن من العلم بالقرآن العظيم. وقيل هو اللغات، وقيل هو بيان الحلال من الحرام، والهدى من الضلال .

٢ - النجم : هو النبات الذى لا ساق له.

٣ - الميزان : فى قوله تعالى «ووضع الميزان» المراد به - فى معنى القول - هو العدل.

ثانيا : التفســــير:

افتتحت السورة باسم من أسمائه الحسنى تعالى شأنه هو «الرحمن»، وقد يكون هذا لقول كفار مكـة «وما الرحمن»، ثـم أخبر تعالى عـن ذاته بأنه الـذى علم القرآن، علمه رسـوله ﷺ وعلمه المـؤمنين وهـذا هو أعظم النعـم وأرفعها شأنـا، ولهذا ذكـر قبل غيره مـن نعمه تعـالى وفعاله. وقد يكون فى تعليم القرآن إشارة إلى تعليم العلم فى جميع فروعه، لأنه ما من فرع من العلوم والمعـارف إلا وفى القرآن العظيـم ذكر له أو إشـارة، ثم ذكـر تعالى مـن فعاله أنـه خلق الإنسان ، فكأنـه ألمح إلى وجوب اتصاف الإنسـان بالعلم وسعيه إلى تحصيلـه، ولهذا جاء قوله تعالى «علمه البيـان» فأعلم أنه من أجل أن يتصف الإنسان بالعلم فـإنه تعالى مكنه من تحصيله بأن علمه البيـان، يدخل فى هذا التعبير عمـا فى النفس بالعبارة، ويدخـل فيه تعلم اللغات .

ثم بين تعالى من العلم الذى يعلمه النـاس أن الشمس والقمر بحسبان ـ وقد سبق تفصيل معنى هذا ـ ومنه أن المسافة بين كل منهمـا وبين الأرض هى بحساب، وأن جريان كل منهما فى بـروجه ومنازله هـى بحساب ، وأنه بواسطتهمـا يجرى حساب الـزمان، وأنه لولا دقـة هذا الحساب لما كان منهما النفع الذى ينتفع به الذى جرى به تسخيرهما.

كما ذكر تعالى أن النجـم ـ وهو النبات الذى لا ساق له ـ يسجـد لله ومثله الشجر، وقيل إن المراد بالنجم هـو جنس نجوم السماء. وقيل فى سجود النجم والشجـر إنه دوران الظل معها وقيل إن سجود النجم هو أفوله وإن سجود الشجر هـو خضوعه لاجتناء ثمره. وقد يكون المراد هو أن كلا منهما يخشع لله، أو أنه يسجد له على نحو لا نعرفه ونؤمن به .

ثم أثبت تعالـى أنه خلق السماء مرفوعـة وأنه شرع للناس العدل وفرضـه عليهم وقد يكون فى قرن ذكر خلق السمـاء بتشريع العدل بيان للعلة المشتركة بيـن خلق السماء وخلق الأرض وهى خلقهمـا بالحق، وأن العـدل حق. ثم كـان منه تعـالى أن أمر النـاس بالتزام العـدل فى الحكم ، والقضـاء، وفى المعاملات بـالنهى عن تجـاوز حدوده «ألا تطغوا فى الميزان»، ثم خص المعاملات المـالية والتجارية بالذكـر لأنه أكثر ما يكون فيها الابتعـاد عن العدل قصد

تحقيق المزيد من الربح فأمر الناس أن يقوموا أوزانهم بالعدل المستقر فى القلوب، فلا يكون ظاهر الميزان أنه عدل ويكون الميزان معيبا يظهر خلاف الحق؛ وبين ذلك نهيه تعالى عن خسران الميزان بمعنى أن يكون من شأنه ترتيب الخسارة للغير المتعامل مع الوازن .

وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا
فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾ وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾

أولا : الأسماء :

١ - الأنام : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول - هو الإنس والجن. وقيل جميع أنواع الحيوان، وقيل جميع ما على الأرض.

٢ - الريحان : هو كل نبات طيب الريح .

ثانيا : التفسير:

بعد أن ذكر تعالى أنه خلق السماء مرفوعة فوق الأرض على الظاهر، فإنه تعالى ذكر أنه خلق الأرض موضوعة عن السماء - على الظاهر - وأنه خلقها لصالح الأنام والراجح أن المراد بهم الجن والإنس، وقد يكون المراد بهم جميع المخلوقات التى تحيا على الأرض وفيها. ثم ذكر تعالى أن الأرض فيها مما خلق أشجار الفواكه وفيها النخل المزود بالطلع وهو أوعية التمر، كما ذكر أن فيها الحبوب التى يتغذى بها مما له أوراق تيبس فتعصف بها الرياح، أو له قشر ييبس فتعصف به الرياح، كما أن فيها من النبات ما زكت رائحته وطابت .

ثم إنه لما كان خلقه تعالى الأرض على هذا النحو، وكان إثباته فيها وخلقه ما ذكر من النبات هو من قبيل النعم التى أنعم بها على الأنام فإنه تعالى خاطب الثقلين الجن والإنسان

بقوله «فبأى آلاء ربكما تكذبان» بمعنى بأى واحدة من جنس النعم التى أنعم بها عليكما ربكما تجحدان، فيكون القول إظهارا لوجوب شكره تعالى وحمده على الجن والإنس .

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الفخار : هو ما أحرق من الطين فتماسكت أجزاؤه فشابه الحجر.

٢ ـ المارج : فى قوله تعالى «من مارج من نار» هو اللهب الخالص من الدخان، وقيل هو اللهب المختلط بخضرة وصفرة وحمرة .

ثانيا : التفسير :

بين تعالى ـ في الآيات ـ أنه الذى خلق الثقلين والأعرف بطبيعة كل منهما، مما مفاده أنه أظهر لهما من الآيات ما يفترض معه منهما أن يؤمنا به. فذكر تعالى أنه خلق الإنسان من صلصال ـ وهو الطين اليابس أو المتخمر ـ يشبه الطين الذى تحجر بفعل الحرارة، والمراد بهذا هو خلق آدم عليه السلام أبي البشر. كما ذكر أنه خلق الجان من لهب النار الخالص من الشوائب مثل الدخان. وقيل إن المراد بهذا هو إبليس وقيل هو أبي الجن وليس إبليس.

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» خطابا للإنس والجن يبين أنه ليس لهما بحكم طبيعتهما التكذيب بأى نعمة من نعمه أو مظهر من مظاهر وحدته وقدرته .

﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ١٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨﴾

التفســـــير:

ذكر تعالى أنه رب المشرقين ورب المغربين، بمعنى أنه الذى فعل وأوجد وحفظ مشرقى الشمس صيفا وشتاء، ومغربيها، أو مشرق الفجر ومشرق الشفق، ومغرب الشمس ومغرب الشفق. ثم إنه لما كان من أثر إيجاده المشرقين والمغربين فوائد لا تحصى يفيد منها الثقلان مثل اختلاف فصول السنة وما يترتب عليه من آثار منها تنوع المحاصيل والثمار والفواكه ، فإنه بين أنه ليس للإنس والجن ألا يحمداه على هذا ويشكراه .

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾

التفســـــير:

ذكر تعالى أنه الذى أرسل البحار العذبة ـ وهى الأنهار ـ والبحار المالحة والذى أجراها لتصب الأنهار فى البحار فتكون لهما بقعة يلتقيان فيها، وأنه بقدرته تعالى جعل بينهما حاجزا يمنع أحدهما من أن يؤثر فى الآخر بإذهاب خواصه ـ وقد سبق بيان ذلك علميا ـ.

ثم إنه لما كان لكل من الماء العذب الجارى فى الأنهار والماء المالح فى البحار والمحيطات أوجه انتفاع تختلف من أحدهما عن الآخر.

فإن خلقهما ومنع أحدهما من أن يطغى على الآخر فيذهب بصفاته وخصائصه، يكون من نعمه تعالى التى توجب على الإنس والجن حمده وشكره وتلزمهما عدم التكذيب بهذه النعم بعدم أداء حق الشكر عليها؛ ولهذا جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان».

يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾

التفسير:

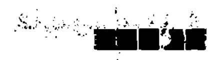
ذكر تعالى - فى الآيات - أنه يخرج من البحرين اللؤلؤ والمرجان، باعتبار أن مفاد جمعهما فى القول أن ما يخرج من أحدهما يعتبر كأنه قد خرج من الآخر. ونرى - والله أعلم - أن القول يفيد تغذى الحيوان الذى يعيش فى الأصداف على ما تزخر به الأنهار من حيوانات دقيقة تلقى بها فى الأنهار، فيكون خروج اللؤلؤ بفعل غذاء النهر وبيئة البحر.

ثم بين تعالى وجوب شكره على هذا من جانب الثقلين. وإذا كنا نعلم مظاهر استفادة الإنسان من اللؤلؤ والمرجان ولا نعلم مظاهر استفادة الجن منها فإننا نصدق بهذا.

ثم أثبت تعالى أنه مالك أمر السفن المرفوعات فوق سطح الماء فى البحرين العذب والمالح وإن كان الناس هم الذين أنشؤوها على الظاهر.

ونرى - والله أعلم - أن القول يشير إلى السفن العملاقة التى يتم صنعها فى البحار وليس فى أماكن بعيدة عنها ثم تنقل إليها، وقد يؤيد هذا وصفها بأنها كالأعلام بمعنى أنها تشبه الجبال الشاهقة الارتفاع.

ثم إنه لما كان خلق مواد صناعة السفن هو فعله تعالى، وتعليم الناس كيفية صناعتها هو منه تعالى، وكان طفوها على الماء هو بقدرته تعالى بما يوجب على الخلق شكره وحمده، فقد جاء قوله تعالى **﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان﴾**.



كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾

التفسير:

أثبت تعالى أن كل ما على الأرض التى وضعها للأنام هو إلى فناء وهلاك، وأن الذى يبقى بعد فناء جميع الخلق هو الله، جاء التعبير عن ذاته العليا بالوجه من قبيل المجاز المرسل، واستعماله فى «الذات» من باب الكناية. وجاء التعبير عنه بوصفه رب رسول الله ﷺ تشريفا له ﷺ وتعظيما، وبأنه ذو الجلال والإكرام لبيان أنه ـ وهو الدائم الذى لا يفنى ـ يستحق الإجلال والتعظيم من جميع خلقه، كما يستحق الإكرام بالاعتراف له بالفضل.

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لإثبات وجوب حمده وشكره على الإنس والجن، لأن المستفاد من فنائهما هو بعثهما للحساب والجزاء بالثواب والعقاب، وهذه نعمة منه تعالى إذ يخشى الناس والجن عقابه فلا يكون منهم العدوان فى الدنيا وهذه نعمة لهم ولغيرهم، كما أن المؤمنين العاملين بالصالحات يثابون يوم القيامة فيكون لهم هذا نعمة كبرى.

يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾

التفسير:

يبين تعالى أنه ما من مخلوق فى السماوات ولا فى الأرض إلا وهو محتاج إليه تعالى، يسأله بلسان الحال أو المقال طلبته وسؤله. قيل إن الملائكة تسأله تعالى الرحمة، وإن أهل

الأرض يسألونه المغفرة والرزق. ثم بين تعالى أنه القائم على شئون خلقه جميعا فى كل وقت من الأوقات ومنها إيجاد الأحداث وإعطاء ما سئل، إلى أن يكون الحساب فيكون منه الحساب والجزاء .

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان وجوب حمده وشكره على ما يكون منه من المنح أو المنع، وفى كل خير وإن كان الخلق لا يعلمون.

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾

أولا : الأسماء :

الثقلان : المراد بهما ـ فى معنى القول ـ هو الإنس والجن، سميا بهذا لأنهما مثل ثقلين تحملهما الأرض، أو إنهما تثقلهما الذنوب .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى مبتدئه ـ هو تهديد للإنس والجن بالعذاب جزاء على الكفر والعصيان. والمراد من استعمال لفظ «سنفرغ» هو استثارة الخوف على نحو خطير. ذلك أن الفراغ من شىء أو الفراغ لعمل شىء يفيد أمرين:

أولهما : سابقة الانشغال .

وثانيهما هو إعطاء العناية التامة للعمل المتفرغ له. ومعلوم أنه تعالى لا يشغله شىء عن شىء، فبقى أن يكون المراد هو إظهار اهتمامه بأمر محاسبة الإنس والجن ومجازاتهم بأفعالهم.

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان وجوب حمده تعالى وشكره على أن أظهر لهم اهتمامه بحسابهم ومجازاتهم بأعمالهم يوم القيامة، ليكون منهم التحرز من مقارفة ما يغضبه ويكون سببا لعذابهم .

يَٰمَعْشَرَ
ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾
فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾

أولا : الأسـماء :

النحاس : فى قوله تعالى «يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس» قيل هو الدخان الذى لا لهب فيه.

ثانيا : التفسير:

خاطب تعالى الجن والإنس، وقال لهم «إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السماوات والأرض فانفذوا» والقول ـ على ما قيل ـ هو للتعجيز. وقيل فى معناه إنه إذا كان فى مقدوركم أن تخرجوا من جوانب السماوات والأرض هاربين من الله، فارين من قضائه فافعلوا ذلك وخلصوا أنفسكم من عذابه. ثم قال تعالى «لا تنفذون إلا بسلطان»، وفى معناه قيل إنه لا يكون لكم هذا إلا بقوة عظيمة لا تكون لكم. وقيل أيضا إن هذا يكون يوم القيامة إذ تنزل الملائكة فتحيط بجميع الخلائق، فإذا رآهم الجن والإنس هربوا، فكلما اتجهوا وجهة وجدوا الملائكة عندها فلا يستطيعون فرارا ولا هروبا .

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن قوله تعالى يتعلق بمحاولات النفاذ إلى السماء بعد الخروج من الأرض وغلافها الجوى؛ ولهذا خاطب تعالى الجن قبل الإنس لأنهم كانوا الأسبق فى

محاولات النفـاذ إلى السماء. وفـى القول بين تعـالى أن نفاذهـم إلى حد معلـوم لا يكون إلا بسلطان هو بـالنسبة للجن ما أودع الله فيهـم من قدرات، وهو بـالنسبة للإنس سلطـان العلم ومصادر الطاقة المختلفة .

ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبـان» لبيان وجوب شكره تعالى على تحذيره من محاولات النفاذ إلى السماوات العلا.

وجاء تفصيل التحذير فـى قوله تعالى «يرسل عليكما شواظ مـن نار ونحاس فلا تنتصران» وفيه قيل إنه يصيبهم عند محاولتهم الفرار إلى السماء لهب خالص ودخان لا لهب فيه، أو نوع من النحاس يصب فوق رؤوسهم فلا يتمكنان من الهرب ولا يمتنعان عليه تعالى.

والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن القول يتضمن التحذير من اختراق أعماق السماوات، بالإشارة إلى النيـازك الكبيرة ومنها مـا يكثر فـى المنطقة الواقعـة بين المريـخ والمشترى حيـث تنتشر الكويكبات بالآلاف، فكيون متوقعا اصطدام سفينة الفضاء بنيزك أو كويكب يفنيها ومن فيها. وكذا إلى الجسيمات الصغيرة المنتشـرة فى مدار المذنبات، التى تكون عاليـة السرعة فيكون من شأن اصطدامها بـالسفينة الفضائية أن تحدث بجدارها ثقبا يؤدى إلى تـدميرها بمن فيها. وإلى الأشعة الكونية المحتـوية على حسيمات ذرية مشحونة عالية الطاقـة، يكون من شأنها إذا اصطدمت بسفينة فضائية أن تصهرها وتبخرهـا، ثم إن ذكر النحاس قد يكون مشيرا إلى ما هو معروف علميا من أن قـذف النحاس ببروتونات سريعة ينتج مـا يسمى بالمادة المضادة أو البروتون المضادــ وهو قائم فى الفضاء الكونـى ـ ومن شأنه أن يحول السفينـة الفضائية بمن فيها إلى الـزوال والاختفاء بالتحول إلـي أشعة جاما نتيجـة التقاء المادة مع المـادة المضادة. فيكون قوله تعـالى «شواظ من نار ونحاس» مشيـرا إلى تولد المادة المضادة فـى الفضاء التى تفنى أى مركبة فضائية بمن فيها .

ولهذا يكون قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبـان» بما تضمنه من تهديد أو تحذير هو مما يستوجب الشكر.

■■■■

فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْأَلُ عَن ذَنبِهِ إِنسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾

أولا : الأسماء :

١ - **الوردة** : فى قوله تعالى «فكانت وردة كالدهان» المراد بها - فى معنى الآية - هو الوردة الحمراء. وقيل هو الفرس الورد الذى يتغير لونه يتغير الفصول ، يميل فى الربيع إلى الصفرة، وفى الشتاء إلى الحمرة، ولدى اشتداد البرد إلى الغبرة، فيكون المعنى هو تغير لون السماء على نحو تغير لون الفرس الورد .

٢ - **الدهان** : هو الدهن، وقيل هو الجلد الأحمر .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى فى أحداث يوم القيامة وبيان ارتباط بعضها ببعض. فيقول تعالى إنه حين تتصدع السماء يوم القيامة ويصبح لونها مثل لون الوردة الحمراء من شدة حر النار وتصير ذائبة مثل الدهن أو متموجة اللون مثل الزيت العكر الذى تتبين فيه إذا نظرت إليه ألوانا مختلفة، فإنه يكون الشأن فى هذا اليوم أنه لايسأل عن ذنبه إنس ولا جان. والمعنى أنه لا يسأل لكى تؤخذ منه الإجابة، إذ هى مكتوبة مسطورة فى صحيفة أعماله، ولكن يسأل عن سبب ارتكابه الذنب من ذنوبه. وقيل إنه فى بعض مواقف اليوم لايكون سؤال، ويكون فى موقف آخر.

وجاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» معترضا بين فعل الشرط وجوابه ثم تكرر بعد جواب الشرط، لبيان وجوب شكره تعالى وحمده على ما أخبر به عن أهوال يوم القيامة، لما فى ذلك من زجر عن الكفر والعصيان، فهو من قبيل النعم المستحقة أداء واجب الشكر عليها .

﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾

أولا : الأسماء :

الآن : فى قوله تعالى «يطوفون بينها وبين حميم آن» هو ما تناهى إناه وطبخه فأصبح بالغ الحرارة، قيل إنه طبخ منذ خلق الله السماوات والأرض .

ثانيا : التفسير:

جاء قوله تعالى «يعرف المجرمون بسيماهم» بمثابة ذكر علة عدم سؤال المجرمين عن ذنوبهم وهى معرفتهم بسيماهم، يدخل فيهم مجرمو الجن ومجرمو الإنس. قيل إنهم يكونون سود الوجوه زرق العيون، وقيل تعلو وجوههم الكآبة. فيكون من الملائكة أنهم يأخذون الواحد منهم فيجمع بين ناصيته أو مقدم رأسه وبين قدميه فيلقى فى نار جهنم. وجاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان أن فى إظهار مصير الكاذبين وما يفعل بهم ليكون العمل على تجنبه ، نعمة تستحق الشكر والحمد .

ثم يشير تعالى إلى جهنم ويخبر عنها أنها التى كان المجرمون مستمرين على التكذيب بها منكرين أنه يكون بعث وحساب وجزاء. ثم يذكر تعالى أن المجرمين يطوفون مرة بين الجحيم ـ وهى النار ـ ومرة بين الحميم ـ وهو الشراب الحار ـ ثم جاء قوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان وجوب شكره تعالى وحمده على ما أخبر به ليكون العمل على تجنب الخلق أن يكونوا من المجرمين المعذبين، وهو ما يعد نعمة من نعمه تعالى .

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا
مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ
عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ
وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ تضمن تعديدا لآلائه وأنعمه على المؤمنين المتقين، قرن كل نعمة ذكرها، أو صفة من صفاتها، ببيان وجوب شكره وحمده عليها بقوله تعالى «فبأى آلاء ربكما تكذبان» .

فذكر تعالى أن لمن خاف مقام ربه جنتان، ويتصور فى المعنى أن يكون القول متعلقا بمن خاف قيام الله على جميع أمره فاتقاه أو بمن خاف أن يسقط مقامه عند ربه وتحتقر منزلته فعمل على ألا يغضبه، ذكر تعالى أنه تكون له فى الآخرة جنتان، قيل إن إحداهما هى منزله فى الجنة، والأخرى هى منزل أزواجه وخدمه يتنقل بينهما.

ثم وصف تعالى الجنتين بأنهما ذواتا أفنان، والمعنى أن أغصان أشجارهما قد دقت ولانت.

كما ذكر أن فيهما عينان من الماء تجريان حيث شاء صاحبهما، وقيل إن إحداهما تكون من ماء غير آسن، والأخرى من خمر لذة للشاربين.

وذكر تعالى أنه يكون فى الجنتين من كل فاكهة صنفان، يكون أحدها معروفا لهم والآخر مجهولا لأنه من غير فاكهة الدنيا، وقيل يكون أحدهما رطبا والآخر يابسا.

ثم بين تعالى حال هؤلاء الذين خافوا مقامه فذكر أنهم يكونون متكئين على فرش، بطائنها من الديباج الغليظ، ولم يخبر تعالى عن ظهائرها لإظهار أنها تكون أفضل وأعظم. كما بين أن ما يجتنى من ثمار الجنتين يكون قريبا منهم بحيث يناله المرء منهم وهو مضطجع دون أن يبذل جهدا.

كما ذكر تعالى أنه يكون للمتقين الذين خافوا مقامه تعالى أو مقامهم عنده تعالى، فى الجنتين أو فى بيوتهم فيها أزواجهم اللائى يقصرن النظر إليهم لا ينظرن غيرهم، وهن أبكار لم يقع عليهن قبلهم أحد من الإنس ولا من الجن، أو أن أحدا من الجن لم يمكن من هذا.

ثم وصف تعالى هؤلاء الأزواج القاصرات الطرف بأنهن يشبهن الياقوت والمرجان، وفيه قيل إنهن يشبهن الياقوت فى صفائه والمرجان فى حمرته، وقيل إنهن يشبهن الياقوت فى حمرة الوجه.

والمرجان ـ بمعنى أنه صغار الدر ـ فى بياض البشرة وصفائها.

ثم جاء قوله تعالى «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» لبيان أن ما أنعم به تعالى على المتقين الذين خافوا مقامه تعالى أو خافوا أن يسقط مقامهم عنده إنما كان جزاءهم على ما أسلفوا فى دنياهم من إيمان بالله وتوحيده وعمل بالطاعات.

■■■■■

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا
تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ
وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ
حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ
فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ
قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ
رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ
﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾

أولا : الأســـــماء :

١ - **المدهامتان** : فى قوله تعالى «مدهامتان» مثنى مؤنث «المدهام» هو ما اسود لونه، أو اشتدت خضرته، من الدهمة وهى سواد الليل. جاء اللفظ صفة للجنتين فى القول.

٢ - **النضاختان** : فى قوله تعالى «فيهما عينان نضاختان» مثنى مؤنث «النضاخ» وهو الفوار بالماء .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى ذكر جنتيـن أخريين وفى أوصافهما وذكر ما فيهما مما يتنعم

به وذكر حال المتنعمين فيها، يتبع تعالى ذكر كـل شيء بقوله «فبأى آلاء ربكما تكذبان» لبيان أن كل مذكور هو من آلاء الله ونعمه التى تستوجب الحمد والشكر.

بدأ تعـالى القـول ببيان أنـه دون الجنتين المذكـورتين هنـاك جنتان أخـريان، قيـل إنهما تكونان لأصحاب اليمين حين تكون الأوليان للسابقيـن، وقيل تكونان للأتباع، وعند القائلين بهذا هما دون الأوليين فى الدرجة والفضـل. وقيل إنهما تكونـان لذات من خاف مقـام ربه. وعند القائلين بهذا هما أعلى من الجنتين الأوليين درجة وأكثر فضلا.

ثم وصف تعالى هاتين الجنتين بأنهما مدهامتان، بمعنى أنهما شديدتا الخضرة من الرِّى فضربت الخضرة إلـى السواد، وذكر أن فيهما عينان تضخان الماء ضخـا فيخرج منهما فائرا، وأن فيهما فاكهة ونخلا ورمانا، وقيل إن المستفاد من القول هو عدم اعتبار ثمار النخل والرمان من الفـواكه، لأن الشـيء لا يعطف علـى نفسه، وقيل همـا من الفـواكه، وإنـه أعيد ذكـرهما لفضلهما، كما ذكر تعالى أن فى الجنتين نساء خيرات حسناوات، بمعنى أنهن حسان الخلق وحسان الوجوه، وصفهن تعالى بأنهن حور مقصورات فى الخيام، بمعنى أنهن ذوات حَور فى العيون، مستورات في الحجال أو فى خيمات من الدر المجوف، ثم ذكر تعالى فى شأنهن أنه لم يفض بكارتهن قبل أصحاب الجنتين إنس ولـم يمكن منهن جن، كما ذكر تعالى أن حال أصحاب الجنتيـن أنهم يكونون متكئيـن على مرافـق الفرش الخضر والعبقرى الحسـان وهى الفرش العجيبـة النقوش التى وصفها تعـالى بالحسن ، فـلا يكون ممكنا تصور درجـة حسنها وجمالها.

ثم جاء قـوله تعالى «تبـارك اسم ربك ذى الجلال والإكـرام» ختاما للآلاء المـذكورة فى السورة وختاما لها، تضمن تنزيهه تعالى وتقديسه، وفيه جاء لفظ «تبارك» بمعنى تعالى فيكون المعنـى هو «تعـالى و اسمـه» تعـالى الجليـل وارتفـع على مـا لا يليق بـه ومنـه جحود نعمـه وتكذيبهـا. وفى القول وصـف تعالى ذاتـه بأنـه ذو الجلال والإكرام بمعنـى أنه تعالـى وحده الأجل والأعلى والذى له الإكرام جميعا.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الواقعـــة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً
مُّنبَثًّا ﴿٦﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **الواقعـــة** : المراد بها ـ في معني الآية ـ هو القيامة، وقيل النفخة الأخيرة .

٢ ـ **البس** : في قوله تعالى «وبست الجبال بسا» هو التفتت، ولهذا يقال للدقيق الذى يلت بالسمن «بسيسة» .

ثانيا : التفســـــير:

يقول تعـالى ـ فـى الآيات ـ أنـه متى قامـت القيامة، لاتكـون نفس مكذبـة بوقوعهـا بل يصدق بهـا الجميع ومنهم مـن كذب بها فـى الدنيا، ويخبـر عن أنها تخفـض أقواما وتـرفع آخريـن، فتخفض شأن المتكبـرين فى الـدنيا وترفـع شأن المؤمنيـن الذين كـانوا فى الـدنيا مستضعفين. ثم يذكر تعـالى أنه يكون حالذاك أن الأرض ترج رجا بمعنـى أنها تزلزل وتحرك،

وأن الجبال تبس بسا بمعنى أنها تتفتت فتصبح مثل السـويق الملتوت ثم تصير غبارا متفرقا. وقد سبق تفسير ذلك علميا، مع الإقرار بأن قدرته تعالى فوق العلم وفوق تفسيره .

وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾
أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ
مِّنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُتَقَابِلِينَ ﴿١٦﴾
يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن
مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَاكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ
﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَالِ اللُّؤْلُؤِ
الْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **أصحاب الميمنة** : قيل هم أصحاب المنزلة السنية، وقيل هـم الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم .

٢ ـ **أصحاب المشـأمة** : هم أصحاب المنـزلة الدنية، وقيل هـم الذين يؤتـون صحائفهم

بشمائلهم .

٣- **السابقون السابقون** : قيل هم الذين سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق بدعوة كل نبي ورسول، فيدخل فيهم مؤمن آل فرعون، ويدخل فيهم على بن أبى طالب .

ثانيا : التفسير:

الخطاب - فى الآيات - للناس المعاصرين نزول النص القرآنى، والقول هو فى شأنهم وشأن الأمم التى سبقتهم والأمم التى تأتى بعدهم ممن بلغتهم رسالة رسول الله ﷺ. يوم القيامة ومفاد القول أن الناس يكونون أصنافا ثلاثة، جاء قوله تعالى «وكنتم أزواجا ثلاثة» لبيان أن الواحد من كل صنف يماثل غيره فيه .

بدأ تعالى بذكر أصحاب الميمنة، جاءت «ما» الاستفهامية فى قوله تعالى «فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة» كأنه قيل: «ما هم» طلبا لبيان حالهم، وكذلك فى قوله تعالى «وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة».

والمراد من التعبير هو بيان حسن حال أصحاب الميمنة - وهم أصحاب المنزلة السنية عند الله - وسوء حال أصحاب المشأمة - وهم أصحاب المنزلة الدنية عنده تعالى. فيكون القول قد تعلق بصنفين من الأصناف الثلاثة.

ثم جاء قوله تعالى «والسابقون السابقون» ذكرا للصنف الثالث من الناس يوم القيامة وهم أسبق الأصناف الثلاثة وأعرقهم فى الفضل، تأخرذكرهم فى القول لكى يلحق به بيان محاسن أحوالهم. وهؤلاء هم الذين سبقوا إلى الإيمان بدعوة كل نبى بغير تردد، ومنهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار. أشار تعالى إليهم وأخبرعنهم أنهم المقربون إليه منزلة ومكانة.

فيكون القول مدحا لهم، وربما لهذا لم يقل فى شأنهم «السابقون ما السابقون»، ثم بين أن حالهم هو كونهم فى جنات النعيم، والمستفاد هو أنهم فيها يخلدون.

ثم بين تعالى أنهم جماعة كبيرة من أهل الأمم السابقة على أمته ﷺ، وذلك ترتيبا على

كثرة الرسل قبله ﷺ، وقليلون من عهده ﷺ إلى أن تقوم الساعة .

ثم بين تعالى حالهـم فى جنات النعيم، فذكر أنهم يكونون على أَسـرة منسوجة على نحو جميل، قيل إنها تكون منسوجة بالذهب، وقيـل تكون منسوجة بقضبان الفضة، يرقدون عليها متكئين على مرافقها متواجهين، ينظر كل منهم فى وجه صاحبه.

فيكون القول مشيرا إلـى المسامرة بينهم وبيانا لآداب المجالسة ومنهـا ألا يعطى الجالس للجالس قفاه، وألا يجلس أحد فى قفا آخر ثم ذكـر تعالى أنهم فى رقادهم على الأسرة يطوف عليهم ولدان مخلدون، بمعنى أنهم يثبتون على حالهم ولدانا لا يكبرون ولا يشيخون، يحملون إليهم ــ تكريما لهـم ـ الأكواب بـالشراب والأبـاريق المحتويـة خمر الآخرة، وكـؤوس خمر الجنان التى تجرى بها العيون فى الجنة.

ثم يذكر تعالـى أن شربهم هذه الخمر لا ينتج عنه صداع لهـم، وقيل لا يحدث عنه تصدع جمعهم وتفرقهـم بسبب النزاعات التـى تنشأ نتيجة تأثير الخمـر فى الرؤوس فى الـدنيا، كما أنهم لا يفقدون بشربها عقـولهم وتمييزهم، كما أن الولدان المخلدين يطـوفون عليهم بفاكهة يتخيرونها ويرضونها ولحم الطيور التى يشتهونها.

كما ذكـر تعالـى أنه يكون لهـم فى الجنـات حورعيـن، قيل إنهن يكـن طوافـات عليهم كالخدم وقيل إنهن يكن مقصورات فى الخيام، وصفهن تعـالى بأنهن كأمثال اللؤلؤ المكنون الذى لم تمسه يد ولم يقع عليه غبار، وهو تعبير عن اكتمال حسنهن وجمالهن .

وبعد هذا بين تعالى أن جميع ما ذكر من صـور النعيم الذى يتنعم به السابقون فى الإيمان فى الجنات هو جزاؤهم على ما كان منهم من إيمان وعمل فى حياتهم الدنيا «جزاء بما كانوا يعملون».

وأتبع هذا بذكر ما يكتمل به هناء هـؤلاء فى الجنات بيان أنهم فيها لا يسمعون لغو القول الذى يؤذى السمـع، ولا ما يرتكب بقـوله الإثم. وأنهم لا يسمعـون من الزائد من القـول على التسامر إلا تبادل السلام والتحية بقول بعضهم لبعض نسلم سلاما .

وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ
ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾ وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾
وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾
وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾
عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ لِّأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ
ٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٠﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ المخضود : في قوله تعالى «فى سدر مخضود» اسم مفعول من «خضد ـ يخضد ـ هو ما نزع شكوه، وهو ما رطب ولان فتثنى .

٢ ـ المنضود : هو المنضدد، والمرتب، والمراد به ـ فى معنى القول ـ هو الموز ينضد حمله من أسفله إلى أعلاه. وقيل هو شجر يشبه طلح الدنيا لكن ثمره يكون أحلى من العسل .

٣ ـ العُرُب : فى قوله تعالى «عربا أترابا» هـن المتحببات إلـى أزواجهن، وقيـل هن الغلمات ، بمعنى اللائى تشتد شهوتهن إلى أزواجهن .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيات ـ إخبارا عن حال الصنف الثـانى من الناس يوم القيـامة، وهم أصحاب اليميـن، جاءت الجملـة الاستفهاميـة «ما أصحـاب اليمين» لـلإشعار بتفخيمهـم والتعجيب من أمرهم. يخبر تعالى أنهم يكـونون فى «سدر مخضود» بمعنى أنهم يجلسون فى بساتين مـن شجر النبق نزع منهـا الشوك، وفى «طلح منضـود» ـ وهى أشجار المـوز التى نضد

حملها ــ يكون جلـوسهم فى ظـل ممتد منبسـط لا ينقص، «وماء مسكـوب» يجرى منسـابا تحتهم إلى حيث شاءوا. يتمتعون بأكل أنواع كثيـرة من الفاكهة لا ينقطع بعضها فى وقت من الأوقات، ولا يحظر على أحـدهم الأكل منها لسبب ما مثل العلة والمـرض. ويكون جلوسهم على فرش مرفوعة على الأسرة.

ثم يعود تعالى لوصف نسائهن فى الجنة أو الحور العين اللائى يكن لهم فيقول تعالى إنه أنشأهن إنشاء، بمعنى أنه أوجدهن بغير طريـق الولادة كنساء الدنيا، وأنه جعلهن أبكارا، قيل إنه كلما جامع الرجل امرأته منهن عادت بكـرا بعد الجماع. ثم وصفهن تعالى بأنهن غلمات متماثلات، «عربا أترابا» بمعنى أنهن يشتهين رجـالهن، ومستويات فى العمر، ثم أثبت تعالى أنهن يكن لأصحـاب اليمين، وأعقب هذا ببيان أن أصحـاب اليمين هم ثلة مـن الأولين وثلة من الآخرين، بمعنى أنهم يكونون جماعة من أهل الأمم السابقة زمانا عليه ﷺ والمؤمنين من زمانـه إلى أن تقوم الساعـة. والظاهر أنـه يدخل فى هـؤلاء عصاة المؤمنيـن الذين ماتـوا قبل التوبة، ثم يدخلون الجنة من بعد تعذيبهم بمعاصيهم .

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ
﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ
مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ
أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾
قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ
إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾
فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ
شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ اليحموم : فى قوله تعالى «وظل من يحمـوم»، هو الدخان الأسود، من «الحممة» وهى القطعة من الفحم .

٢ ـ الحنث : المراد به ـ فى معنى الآية ـ هو الذنب .

٣ ـ الهيم : هو الجمل يصيبه مرض يسمى «الهيام» يشبه «الاستسقاء» يظل معه يشرب إلى أن يموت .

ثانيا : التفســـــير:

القول ــ فى الآيات ــ فى الصنف الثـالث من النـاس وبيان حالهـم يوم القيامـة ، وهم أصحاب الشمال، جاءت الجملـة الاستفهامية «ما أصحاب الشمال» للإشعـار بسوء حالهم والتعجيب منه.

ذكر تعالى أنهم يكـونون فى سموم وحميم، بمعنى أنهم يكونون فـى مهب ريح حارة تنفذ فى مسام أجسامهم وسط ماء شديد الحرارة، يجلسون فى دخان أسود كثيف، جاء التعبير عنه بأنه ظـل من يحموم لأنه يظلهم ومـن قبيل التهكم بهم، وصفه تعـالى بأنه ليس ببـارد ـ شأن الظل ـ وغير كريم، بمعنى أنه لا يمنع من يجلس فيه أذى الحر.

ثم بين تعالى سبب تعذيب أصحاب الشمال على هذا النحو، فذكر أنهم كانوا فى دنياهم مترفين، يتبعـون هوى أنفسهم لا يردعهـم رادع عن عصيانه تعـالى، وأنهم كانـوا يصرون على ارتكاب الذنوب العظيمة ويصرون على هذا، وأنهـم كانوا ينكرون البعث والحساب، يتندرون بالقول على إخبارهم به منكرين تصور أن يبعثوا بعـد الموت وأن يبعث آباؤهم الذين ماتوا من قبل .

ثـم إنه تعالى يخاطب رسوله ﷺ بشأنهـم فيأمره أن يقول لهم إن جميع أفراد الأمم السابقة الذين مـاتوا وجميع الأفراد الذيـن أتوا من بعدهـم ــ يدخل المنكرون البعث وآبـاؤهم ، وكذا الذين يأتون من بعـد، مقدر لهـم أن يجمعوا أحياء بعد البعث فى يوم معلوم ــ هو يوم القيامة ـ

ثم يخاطبهم ﷺ واصفا إياهم بأنهم الضالون المكذبون بمعنى أنهم الضالون عن الحق، المكذبون بيوم القيامة فيخبرهم أنهم يلقون فى نار جهنم على ما يبين من إعلامهم أنهم يأكلون من شجر من زقوم، وهو ـ على المعلوم ـ يثبت فى أصل الجحيم، وأنهم يأكلون منه إلى أن تمتلىء منه بطونهم، ثم يشربون على ما أكلوا ـ من شدة عطشهم ـ من الماء الحار، يشربون شرب الجمال المريضة بالهيام لا ترتوى إلى أن تموت .

ثم إنه تعالى يخبر أن ما أمر رسوله أن يقوله للكافرين المكذبين عن مصائرهم وأحوالهم هو ـ وما سبق ذكره ـ ما يقدم يوم القيامة لأصحاب الشمال.

نَحۡنُ خَلَقۡنَٰكُمۡ فَلَوۡلَا
تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تُمۡنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمۡ تَخۡلُقُونَهُۥٓ أَمۡ نَحۡنُ
ٱلۡخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحۡنُ قَدَّرۡنَا بَيۡنَكُمُ ٱلۡمَوۡتَ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٦٠﴾
عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمۡثَٰلَكُمۡ وَنُنشِئَكُمۡ فِي مَا لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ
ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُولَىٰ فَلَوۡلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾

التفسير:

تحول تعالى بالخطاب ـ فى الآيات ـ إلى الكافرين المكذبين بالبعث، فذكر لهم ما يعرفونه من أنه خالقهم على المستفاد من قوله تعالى «ولئن سألتهم من خلق السماوات والأرض ليقولن الله» فاستحثهم على التصديق، يتصور فيه أن يكون بموافقة أعمالهم ما يقرون به، أو بتصديقهم بالبعث على الراجح، يؤكده أنه تعالى ذكر لهم بعد هذا قدرته على فعل أشياء أشد وأعظم من البعث بعد الموت بما يفيد أن المراد هو إثبات قدرته عليه .

حادثهم تعالى عـن منيهم الذى يقذفونه فى أرحام نسائهم، ثـم جاء الاستفهام عنه «أأنتم تخلقونه أم نحن الخالقـون» لإثبات واقع أنه تعالى الذى خلقه فى الـذكور، وأنه الذى يخلق منه فى الأرحام الأجنة التى تصبح أناسا، ثم أخبرهم أنه الذى كتب الموت عليهم وحدد وقته لكل فـرد، وأتبع هـذا ببيان أنه تعـالى لايغلبـه على قـدرته أحد إذا شـاء أن يهلكهم ويـأتى بآخـرين مكانهـم من خلقه، أو مـن أن يذهب بهم بـالموت ثم يبعثهـم على هيئة أخـرى فى الآخرة كأن يبعثوا عميانا ، وقيل على أن يسخطهم قردة أو خنازير أو غير ذلك .

وبعد هذا جاء قولـه تعالى «ولقد علمتم النشأة الأولى فلولا تـذكرون» أثبت عليهم علمهم بخلقهم من نطفـة ثم من علقة ثم من مضغـة، وحضهم على الاعتبار بهذا وتذكـر واقع أن من قدر على هذا يكون على البعث أشد قدرة .

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ استمرار فى مخاطبـة الكافرين المكذبين بالبعث، وهو فى ذكر دليل آخر على قـدرته على البعث معلوم لهم منظور. حـدثهم تعالى فى شأن ما يـزرعونه ببذر حبه فى الأرض، ثم جاء الاستفهام فى قوله تعالى «أأنتم تزرعونه أم نحن الزارعون» لإثبات أن خروج النبات من الأرض إنما يتم بقدرته تعالى وليس بفعل الزارعين.

ثم أظهر تعالـى قدرته على الذهاب به فـى أى وقت ولو بعد ظهوره وينعه، بـإثبات أنه لو شاء لجعله هشيما متكسرا، فيكـون من شأنهم حين يرونه على هـذا النحو أنهم يتعجبون مما أصابه، يتحسرون على ما بذلوا فيه من جهد، يـذهبون الألم والحسرة عن نفوسهم بالتفكه فى

القول يقـولون إنهـم معذبـون مهلكون بضيـاع ثمرة عملهـم، محرومـون مما طمعـوا فيه مـن الـــرزق .

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ
ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾
لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾

التفســـــير:

القول - فـى الآيات - لايزال فى مخـاطبة الكافريـن المكذبين بالبعث، يستلفـت تعالى أنظارهـم إلى مـلاحظة الماء الـذى يشربـونه، ثم يسـألهم عمـا إذا كانوا هـم الذيـن أنشؤوا السحاب الذى حمله ثم أنـزلوه منه، أم أنه الله الذى فعل هذا، والمراد بـالاستفهام هو الإقرار بـأنه تعـالى الـذى أنزل المـاء مـن السحاب بقـدرته، ثـم ذكـر لهم أنـه لو شـاء لجعل هـذا الماء السائغ شرابه مالحا زعاقا يلذع الأفواه فـلا يمكن شرابه. ثم استحثهم على شكره تعالى على هذه النعمة بقوله «فلولا تشكرون» .

أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى
تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ
جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾

التفســـــير:

بدأ القول - فى الآيات ـــ استئنافا لمخاطبة الكافرين المكذبين، فـاستلفت أنظارهم إلى

مراقبة النار التى يقدحون الزناد فيستخرجونها منه، يسألهم تعالى عما إذا كانوا هم الذين أوجدوا أشجار المرخ والعفار التى يتولد عن احتكاك فرع إحداهما بفرع الأخرى النار، أو إنه تعالى يسألهم عن الأشجار عموما التى لا تخلو من النار بدلالة أن أخشابها تشتعل بالنار إذا يبست، أم أنه تعالى هو الذى أوجدها. والمراد بالاستفهام هو تقرير أنه تعالى الذى خلق الأشجار وجعل منها النار. ثم جاء قوله تعالى «نحن جعلناها تذكرة ومتاعا للمقوين» فبين أنه جعل فى النار فائدتين عظيمتين. أولاهما أن تكون تذكرة للناس بنار جهنم، فيكون منهم العمل على تجنب أن يكونوا من المعذبين بالنار فى الآخرة. والثانية هى أن يفيد منها المسافرون فى الصحراء والأراضى القفر بأن يستدفئوا بها من برد الليالى القارسة البرودة.

ثم أتبع تعالى هذا بأمره رسوله ﷺ أن يسبح باسم ربه، بأن ينزهه عما لا يليق به من عدم القدرة، وأن يعلى قدره على بدائع صنعه، وفى القول وصف تعالى ذاته بأنه العظيم، لأن عظم المذكور من صنائعه لا يكون إلا من العظيم.

۞ فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾

أولا: الأسماء:

مواقع النجوم: هى مساقط النجوم ومغاربها، يستدل بها على وجود من أسقطها وجعل لها أفولا، وقيل إن المراد بها - فى معنى القول - هو نزول القرآن منجما.

ثانيا: التفسير:

قيل فى معنى قوله تعالى «فلا أقسم بمواقع النجوم» أنه فلأقسم بمواقع النجوم، وأن

اللام فى «فلا» هى لام القَسم أشبعت فتحتهـا فجاءت منها «الألف». وقيل إن المعنى هو «لا أقسم بمواقع النجوم» وذلك لأن صحة المقسم عليه هى من الوضوح بحيث لا يحتاج إثباتها إلى القسم.

وقيل إن المراد بمواقع النجوم هو مساقطها ومغاربها لأن فى ذلك تدليلا على وجود المؤثر فى هذا الدائم الذى لايتغير. وقد يؤكد أن المعنى هو «فلأقسم» أنه أثبت أنه قسم عظيم لو علم الناس حقيقته، وجاء بيان المقسم عليه بقوله تعالى «إنه لقرآن كريم»، نفى عنه أن يكون سحرا أو كهانـة أو افتراء على الله، وأثبت أنـه قرآن كريم محمـود، كريم على المـؤمنين وعلى الملائكة، غير مخلوق، منطو على كريم الأخلاق، يكرم حافظه ويعظم قـارئه.

ثم إنه تعـالى وصف القرآن العظيـم بأنه فى كتـاب مكنون، فهو فى كتـاب السماء مصون محفوظ، وهو فى المصاحف ـ التى لم تكن قـد وجدت بعد ـ مصون محفوظ عن التحريف. ثم بين تعـالى قاعدة شـرعية فى أمره هى أنـه لا يمسه إلا المطهرون، فهو فـى كتاب السماء لا يطلع عليه إلا المـلائكة ـ وهم مطهرون ـ وفـى الأرض أوجب تعالى ألا يمسه فـى المصاحف إلى المطهرون عن الحدث الأصغر والحدث الأكبر.

ثم أتبـع تعالى هذا بـذكره صفة أخرى للقـرآن العظيم هى أنـه تنزيل من رب العـالمين، بمعنى أنه ينـزل من السماء منجما منـه تعالى وليس شأن مـا سبقه من الكتب إذ كـانت تنزل على الرسل جملة واحدة .

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ
رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ
حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ
إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾

أولا : الأســــماء :

المدهنـــون : فى قـوله تعـــالى «أنتم مدهنـون» جمع، مفرده المدهـــن، وهـو الذى يخالف ظـاهر أمره باطنه، وقيـل هو المنافق ـ فـى معنى القـــول ـ وقيل هو المتهـــاون فى الحق .

ثانيا : التفســــير :

يخـاطب تعـالى المكـذبين بـالقرآن العظيـم، والمتهـاونين فيـه لايتمسكون بـه بصلابـة فيوبخهـم على أن يكون هـذا شأنهم معـه بعد حديثه تعـالى عنه ووصفـه بما وصفه بـه كما يوبخهم على أنهم يجعلون رزقهم أنهم يكذبون.

ويقبل المعنى أن يكون التوبيخ على إحلالهم الكذب محـل الشـــكر المتوجب عليهم ـ باعتبار أن معنى الرزق هو الشكر ـ .

ويقبل أن يكون علـى قولهم الكذب بزعمهم أن مـا يرزقون به من رزق هو مـن فعل النجوم والأنواء، بدلا من إقرارهم بأن الرازق هو الله الذى سخر لهم أسباب الرزق.

ثم إنه تعالى يثبت بطلان قولهم وعقيدتهم أن الفـاعل هو حركة النجوم، ببيان أن ما قدر له أن يكون لا يمكن تغييره.

فيقول لهم فهلا إذا بلغت روح محتضر حلقومه ـ بمعنـى أنها قاربت مفارقة جسده ـ وأنتم تحيطون به تنظرون إليه، حال كوننا أقرب إليه منكم بقدرتنا وعلمنا و إن كنتم لا تبصروننا، فهلا كان منكم ــ إثباتا لكونكـم غير محاسبين بأعمـالكم وغير مجازيـن بها فى الآخرة بـإنكاركم البعث ـ أن ترجعوا روح المحتضر إلى جسده إثباتا لصدقكم .

فيكون القول من قبيل التدليل على بطلان عقيدة المكذبين منكرى البعث بطريق التعجيز عن الإتيان بدليل على صحة معتقدهم .

■■■■

فَأَمَّآ
إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن
كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ
إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ
جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الـروح : فى قولـه تعالى «فروح وريحـان» قيل إن المراد بها ـ فى معنى القول ـ هو الاستراحة ، وقيل هو الرحمة .

٢ ـ الريحـان : قيل إن المـراد به ـ فى معنـى القول ـ هـو الرزق، وقيل هو النسيـم الطيب يكون فى القبر.

ثانيا : التفسـير :

قوله تعالى ـ فـى الآيات ـ هو فى بيان حال المتوفى الذى حضر المكـذبون بالبعث وفاته وتحـدى رب العزة المنكـرين البعـث أن يحفظوا روحـه فى جسـده لا تغادره لحظـة بلوغهـا الحلقـوم. جاء بيـان حالتـه ومصيره بيـانا لأحـوال أصنـاف المكلفين بعـد الممات وعنـد البـعث.

بدأ تعالى بذكر حال المتوفى إن كان من السابقين، جاء التعبير عن صفته بأنه المقرب منه تعالى منـزلة وقدرا، فذكر تعالـى أنه تكون له الرحمة منـه تعالى، وتكون له الراحـة أو يكون له النسيم الطيب فى قبره إلـى أن يبعث، ثم ذكر أنه تكون له فى الآخرة جنة نعيـم. ثم ثنى تعالى

بذكر حاله إن كان من أصحاب اليمين، فإن إخوانه أصحاب اليمين يسلمون عليه سلاما، وقيل إن الخطاب إلى رسول الله ﷺ يخبره تعالى أن هذا المتوفى وأمثاله من أصحاب اليمين يسلمون عليه ﷺ .

ثم ذكر تعالى أنه إن كان من أصحاب الشمال، عبر عنهم النص بأنهم المكذبون الضالون على ما جاء بقوله تعالى فيهم «ثم إنكم أيها الضالون المكذبون» فإن جزاءه يكون نزلا من الحميم،وقيل إنه ما يشربه من بعد أكل الزقوم، ويكون تصليته الجحيم، بإدخاله النار. وبعد هذا أثبت تعالى أن كل ما ذكر في السورة من أحداث تكون عند وقوع الواقعة هو الحق، وهو عين اليقين.

ثم أمر رسوله ﷺ وكل مؤمن ـ ترتيبا على ما علم من شأنه تعالى ـ أن يسبح باسم ربه العظيم، فينزهه عما يقول الكافرون وعما لا يليق بذاته العليا .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحديد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ
مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾
هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

التفســـــير:

افتتح تعـالى السورة بتقريـره واقع أن كل مـا في السماوات والأرض من عقـلاء وجمادات يسبح لـه تعالـى، بمعنى أنـه يمجده ويعظمـه وينزهـه عما لايليـق بذاتـه. يسبح المـلائكة والمؤمنون من الإنس والجن بقلوبهم وألسنتهم، ويسبح الكافرون بألسنة أحوالهم، إذ يستدل من خلقهم على عظم الخالـق وكماله. ثم وصف تعالى ذاته بأنه العـزيز الحكيم، بمعنى أنه الغالب على أمره والذى يوافق فعله عظيم حكمته .

ثم أثبت تعالى لنفسه ملكية السماوات والأرض وما فيهمـا وتصرفه بالتالى فيهما وفيما هو كائن فيهما وبينهما.

كما بين قدرته على الإحيـاء والإماتة ترتيبا على قدرته على كل شـىء. وأتبع هذا بالإخبار عن ذاته ببـعض ما هو له تعـالى من الأسماء والصفـات، فذكر أنه الأول، كـان وحده قبل أن يكون وجود، وأنه الآخر، يبقى بعد زوال الوجود، وأنه الظـاهر فى مخلوقاته يتعرف على وجوده أصحاب البصائر، وأنـه الباطن لايراه البشر بعيونهـم ويدركون وجوده بقلوبهم، ثـم أخبر عن ذاته بأنه بكل شىء عليم، ومنه ما أظهر الناس وما أخفوه .

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٖ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ
يَعۡلَمُ مَا يَلِجُ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا يَخۡرُجُ مِنۡهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعۡرُجُ
فِيهَاۖ وَهُوَ مَعَكُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٤ لَّهُۥ مُلۡكُ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٥ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ
وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِۚ وَهُوَ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٦

التفسير:

أكد تعالى معنى أنه الخالق الواحد بذكره أنه الذى خلق السماوات والأرض، وأثبت قدرته على فعل كل شىء دون أن يناله تعب ولا نصب، بذكره أنه خلق السماوات والأرض فى ستة أيام ـ.

وقد سبق بيان معانيها ـ وأثبت استواءه على العرش، وعلمه بما يدخل فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها ـ على ما سبق بيانه تفصيلا فى تفسير سورة سبأ (الآية الثانية) ـ ثم أخبر المخاطبين بالقول وهم جميع الإنس والجن بأنه معهم حيثما كانوا.

والمراد بهذا هو إتيانه تعالى أنه يحيط بهم علما وبأعمالهم، وأنهم لا يستخفون عليه، فيحاسبهم ويجازيهم بأعمالهم، أو إنه تعالى معهم بواسطة الملائكة الكاتبين.

ثم صرح تعالى بإحاطته بأعمالهم علما بقوله «والله بما تعملون بصير» ليعلم المكلفون أنه تعالى لاتفوته من أعمالهم فائتة .

ثم عاد تعالى إلى تكرير ما سبق ذكره من خلوص ملكية السماوات والأرض له، تمهيدا لبيان أن مرجع الأمور كلها يكون إليه ليعلم المكلفون أنه محاسبهم بما علم من أمورهم يوم يرجعون إليه.

ثم ذكر من عجيب فعاله الدالة على قدرته والتى هى من قبيل نعمه على الخلق، أنه الذى يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل.

ـ وقد سبق بيانه كثيرا ـ ثم أخبر عن ذاته بأنه عليم بذات الصدور، ليعلم المكلفون أنه تعالى محاسبهم بما انطوت عليه قلوبهم ونواياهم وأنه لا يقصر محاسبته إياهم على أفعالهم الظاهرة .

■■■■

ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ
وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ
يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨
هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۢ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ
وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩

التفسير:

قوله تعالى - في الآيات - هو قول رءوف رحيم، فالقول هو دعوة للكافرين أن يؤمنوا حرصا عليهم حرص الرب الراعي المتولي أمر المربوبين، بأسلوب يدعو أقسى القلوب كفرا تلين إلى ما تسمع .

بدأ تعالى بأن أمر الكافرين أن يؤمنوا بالله ورسوله ﷺ، وقرن هذا بأمرهم أن ينفقوا في سبيل الله متصدقين من أموالهم، وبين لهم أنهم ليسوا المالكين هذه الأموال على الحقيقة وأنها مملوكة له تعالى وإن جعلهم عليها، ثم إنه لما كان في الإنفاق في الخير مصلحة للمنفق المؤمن فإنه حثهم على هذا الإنفاق بذكره لهم أن الذين آمنوا وأنفقوا يكون لهم عنده تعالى أجر كبير.

ثم إنه تعالى عاب عليهم ألا يكون منهم الإيمان بالله، والحال أنه ﷺ يدعوهم إلى الإيمان بربهم، ثم بين تعالى أنه ليس لهم من سبب يدفعهم إلى عدم الإيمان بذكره أنه تعالى قد أخذ منهم ميثاقهم، وفيه قيل إنه ما كان عندما أخرجهم من ظهر آدم وأشهدهم أنه ربهم فشهدوا. وقد يكون المعنى أنه تعالى أودع فيهم العقل والنظر ثم أظهر لهم آياته في

الخلق فيكون لهم أن يستدلوا بالدليل العقلي على صدق دعوة رسول الله ﷺ، بعد أن كانت دعوته هي الدليل السمعي.

ثم بين تعالى أن من شأن دعوة رسول الله إياهم إلى الإيمان، وأخذه تعالى منهم ميثاقهم أن يؤمنوا إن كانوا ممن يؤمن للحق إذ جاءه ولم يكونوا من المصرين على الكفر عنادا واستكبارا.

ثم تبين قمة رحمته تعالى بالعباد بذكره أنه الذي ينزل على رسول الله ﷺ آيات القرآن العظيم الواضحة الدلالة على صدقه ﷺ، وذلك لغاية معينة هي أن يخرج الكافرين من ظلمات الكفر إلى نور الإيمان، فلا يعذبون بكفرهم.

ولهذا جاء قوله تعالى ـ في ختام القول ـ «وإن الله بكم لرءوف رحيم» فكان بذكر علة فعله الرحيم بالكافرين حثا لهم على الإيمان.

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ
مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ
وَقَٰتَلَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُوا۟ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُوا۟ ۚ وَكُلًّا
وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ
قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ
يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى
مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾

التفســـــير:

قوله تعالى - فى الآيات - ابتداء بمخاطبة الذين أمسكوا عن الإنفاق فى سبيل الله، يدخل فيهم الذيـن أمسكوا عن الإنفاق من المـؤمنين، والذين أمـرهم تعالى بالإيمـان والإنفاق من الكافرين. فوبخهم على إمساكهم عن الإنفاق فى سبيله، أو إنه تعالى بين لهم أنه ليست لهم حجة يتمسكون بهـا تدعم عدم إنفـاقهم فى سبيله، ثـم أوضح انعدام حجتهم بتقـريره أن له وحده ميراث السماوات والأرض، فبين لهم أن كلا منهم يمـوت ويترك ماله وراءه، وأنه تعالى الذى يرث أمـوال الناس بحكم أيلولة كـل شئ فى السماوات والأرض استخلـف عليه أحد إليه تعالى.

ثم إنه تعالـى بين عدم تساوى منزلة الذيـن أنفقوا من أموالهم فى سبيـل الله قبل فتح مكة حين كان الإنفاق فى الإعداد للجهاد ضرورة حيوية، ثـم جاهد فى سبيل الله بنفسه بأن قاتل، عدم تساوى منـزلة هذا بمنزلة مـن أنفق فى سبيل الله بعد فتـح مكة وقاتل فى سبيلـه تعالى. وبين تعالى مظهر عدم تساوى الحالين بإشارتـه إلى الذين أنفقوا قبل الفتح وقاتلوا، وإخباره عنهم أنهم أعظم درجة من الآخرين، ثم ذكر تعالى أنه وعد كلا من الفريقين الثواب الحسن، وهو الجنة. ثم جاء قـوله تعالى «والله بما تعملون خبير» لبيان أنه تعالـى يجازى الطائعين وفقا لأعمالهم الظـاهرة وبواطن أحوالهم، فيكـون القول حثا على الإنفاق فى سبيلـه ابتغاء وجهه وليس لغرض آخر.

ثم كان منه تعالـى أن حث على الإنفاق فى سبيله بوصفه الإنفاق بـالقرض يقرضه المنفق الله تعالى، ثم وصفه بأنه قرض حسن لبيان وجـوب خلوص النية فيه لله تعالى، ثم زينه للناس ببيان أنه تعالى يضاعف للمنفق فى سبيله ما أنفق، وهو ما يكون فى صور متنوعة من النعم ثم يكون له به فى الآخرة أجر كريم مرضٍ فى ذاته لكونه كريما من أكرم الأكرمين.

ثم يجئ قوله تعالى «يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم» ظرفا للأجر الكريم فيكون المعنى أن المنفقين يعطون الأجر الكريـم يوم ترى المؤمنين والمؤمنات يسعى نورهم بين أيـديهم وبأيمانهم. وفيه قيل إن المـؤمنين والمؤمنات يؤتون نورهـم بقدر أعمالهم

وهم يمرون على الصراط، يكون لهم نور من جهة الأمام ونور من جهة اليمين، والذى ذكر فى النص أنه يرى هذا النور هو رسول الله ﷺ، وكل من تتأتى منه الرؤية .

وفى القول ذكر تعالى ما يفيد أنه يقال للمؤمنين والمؤمنات ـ بسبب إيمانهم ـ «بشراكم اليوم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها» بمعنى أنهم يبشرون بدخول الجنات التى تجرى فيها الأنهار، وأنهم فيها يخلدون .

ثم يشير تعالى إلى ما ذكر أنه يكون للمؤمنين والمؤمنات من نور ومن تبشير بالجنة والخلود فيها، ويخبر عنه أنه هو الفوز العظيم. ويتصور فى القول أن يكون من قول الملائكة للمؤمنين والمؤمنات لدى تبشيرهم بالجنة والخلود فيها .

يَوْمَ يَقُولُ
ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ
قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ
بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ
أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ
وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ
لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ
وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

التفسـير:

جاء قوله تعالى «يوم يقول المنافقون والمنافقات» بدلا من «يوم ترى» فيكون القول مبينا

أنه فى ذلك اليوم يقول المنافقون والمنافقات للذين آمنوا أن ينتظروهم لكى يلحقوا بهم فيتمكنون من الاستضاءة بنورهم أو بشىء منه، فيقول لهم المؤمنون «ارجعوا وراءكم» أى: «عودوا من حيث جئتم» ويبينون علة طلبهم بقولهم «فالتمسوا نورا» .

فيكون المعنى أن المؤمنين يرفضون انتظار المنافقين والمنافقات وأنهم يأمرونهم بالرجوع إلى حيث كانوا، وأنهم يستهزئون بهم إذ يطلبون منهم التماس النور مع معرفتهم أنه لا يكون لهم.

ثم يذكر تعالى أنه يضرب بحاجز بين المؤمنين وبين المنافقين، يكون له باب، يكون جانبه المواجه للمؤمنين فيه الثواب والنعيم لوقوعه فى الجنة، ويكون جانبه من جهة المنافقين فيه العذاب لوقوعه فى النار.

ثم يخبر تعالى عن أن المنافقين يقولون للمؤمنين «ألم نكن معكم» وذلك لأنهم كانوا معهم على الظاهر بنفاقهم.

فيقول لهم المؤمنون «بلى» ثم يضيفون قولهم «لكنكم فتنتم أنفسكم وتربصتم وارتبتم وغرتكم الأمانى حتى جاء أمر الله وغركم بالله الغرور» .

فهم يقرون بأنهم كانوا معهم على الظاهر، ويخبرونهم أنهم أهلكوا أنفسهم بالنفاق، وتربصوا بالمؤمنين الدوائر وارتابوا فى أمر الدين وغرتهم الأمانى بأن ينتكس الإسلام وبقوا على هذا إلى أن جاءهم الموت، فكان أمرهم أن الشيطان غرر بهم.

ثم يذكر تعالى أن المؤمنين والمؤمنات يقولون للمنافقين إنه لا تؤخذ منهم فى ذلك اليوم فدية تقبل فيعفى عن تعذيبهم، كما لا يؤخذ ولا يقبل من الكافرين ذلك، فشأنهم سواء .

كما يقولون لهم - بما أعلمهم ربهم - إن مأواهم هو النار وأنها التى تتولى أمورهم. ثم يذمونها بذكرهم أنه بئس المصير هو النار التى وعدوها .



أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ
وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ
عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ
ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾
إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ
وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ
وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ
بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾

التفسير:

بدأ قوله تعالى - فى الآيات - بمعاتبة فئة من المؤمنين، قيل إنهم الذين أصابهم الفتور والتكاسل فى أداء المندوب بعد أن وسع تعالى عليهم فى الرزق. وقيل هو فى فئة منهم دأبوا على المزاح فعوتبوا على هذا، وقيل إنه فى المنافقين، والذى نراه - والله أعلم - بقطع النظر عن سبب نزول الآية هو فى كل من يؤدى الفريضة والواجب بحكم العادة ومن يستمع إلى القرآن لاهيا أو غير متدبر. فيكون القول موجها إلى كل امرئ من هؤلاء ومعناه «ألم يجىء بعد الوقت الذى تخشع فيه القلوب لذكر الله»، وذلك لأن المفترض - وفقا للطبع السليم - أن يصل الأمر بالمؤمن إلى درجة خشوع القلب لله، يكون ذلك لدى ذكره الله تعالى فى عبادة ولدى ذكره فى حضرته، فكون منه السكون لانشغاله بربه وبحبه وخشيته وما يكون من أمره

معه فى آخرته، كما يكون منه هذا لدى قراءته القرآن وتلاوته ولدى سماعه يقرأ أويتلى ترتيبا على السماع والإنصات والتدبر، فالقرآن العظيم هو ما نزل من الحق من الله الحق. ثم إنه تعالى كره عدم الخشوع لذكره تعالى للمؤمنين بذكره أن من لا يخشع قلبه لذكر الله وما نزل من الحق يكون مثل الذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم، وصفهم تعالى بأن الكثيرين منهم فاسقون. والمراد بهؤلاء هم بنو إسرائيل الذين أوتوا التوراة فلما مات موسى عليه السلام وامتد الزمن كان منهم الفريسيون والصدوقيون الذين تاجروا فى بيوت الله ولم يحفظوا لها حرمة ثم استعاضوا عن التوراة بالتلمود كتبوه بأيديهم ليوافق أهواءهم، فكانت قلوبهم التى مارست التجارة وقبلتها وباشرت الربا فى المعابد قاسية، وكانوا باتباعهم التلمود وطرحهم العمل بأحكام التوراة أكثرهم فاسقين. وهم النصارى الذين حين امتد بهم الزمان بعد رفع المسيح عليه السلام قالوا بألوهيته بعد أن كانوا مؤمنين بصفته فى الإنجيل «ابن الإنسان» ثم غيروا حكم الشريعة فأباحوا شرب الخمر وأكل الخنزير. ثم إنه لما كان عدم الخشوع لذكر الله هو مقدمة للاستهانة بأحكامه تعالى فقد نهى تعالى عنه وكره فيه.

ثم إنه تعالى فتح الباب أمام الذين تغافلوا عن الخشوع لله تعالى فكادت قلوبهم أن تموت بابتعادها عن الخشوع، وذلك بذكره معلما أنه تعالى يحيى الأرض بعد موتها ، ثم بالتنبيه على علاقة هذا الإحياء المذكور بما أصاب قلوب الذين لم تخشع قلوبهم بقوله تعالى «قد بينا لكم الآيات لعلكم تعقلون» .

وبعد هذا جاء قوله تعالى «إن المصدقين والمصدقات وأقرضوا الله قرضا حسنا يضاعف لهم ولهم أجر كريم» للحث على التصدق ابتغاء وجهه تعالى ـ على ما يبين من وصف القرض بأنه قرض حسن ـ ولما كان هذا لا يكون إلا ممن خشع قلبه لذكر الله إذ يوافق فعله بتلبية الأمر باطن قلبه، فإن القول يكون متعلقا بإظهار قيمة خشوع القلب لله. وفى القول حث تعالى على طاعته فى تنفيذ الأمر بذكره أنه يضاعف للمؤمنين والمؤمنات المنفقين فى الإحسان، وأنه يكون لهم منه تعالى أجر كريم بمعنى أنه مرض بذاته وأنهم به يرضون .

ثم إنـه تعالى حدث عـن المسلمين أتباع رسـول الله صلى الله عليه وسلم، وذلـك لأنهم الذيـن آمنوا بالله وبـرسله جميعهم دون غيـرهم، أشـار إليهم وأخبر عـن درجاتهم فقـال إنهم الصديقون والشهداء، أى أن منهم الصديقين ومنهم الشهداء، درجة الأولين فوق درجة التالين لهم ذكـرا، ويبقى من لـم يذكر من الصـالحين، ويتصور فـى القول أن يكون بمعنـى أن منهم الصديقين وأن منهم من يشهـدون على الأمم، أو من يتلو الشهادتين. فهذا هـو مقام كل منهم عند ربه. ثم ذكـر تعالى أنهم يكون لهم أجـرهم ونورهم أى أجر الصديقيـن المعروف ونورهم المخبر عنه.

وبعد هذا فإنه تعالى أخبـر عن جميع الكافرين الذين كذبوا بآياتـه تعالى فى عبارة موجزة أشار إليهم وأخبر أنهم أصحاب الجحيم.

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى حال المؤمنين وحال الكافرين فـى الآخرة، فإنه تعالى ـ فى الآية ـ أخبر عن حقيقة الحيـاة الدنيا التى ألهـت الكافرين عـن آخرتهم، فنبه تعـالى إلى أن ما يقـوله من قبيل الحقيقة العلمية «اعلموا» والحقيقة التى أعلم بهـا هى أن الحياة الدنيا لا تعدو أن تكون لعبا ولهوا يشغل أهلها عمـا فيه مصالحهم، وزينة يتزين بها إلى أجـل قصير محدود، وتفاخر

بالأنساب، وتكـاثر بالأموال وبـالأولاد، وهذه أمور هي مـن الحقارة بحيث لاتشغل صـاحب عقل حصيف فضلا عن أنها إلى زوال؛ ولهذا فإنه تعالى مثل للحياة الدنيا بجميع ما فيها من مباهـج بمطر أعجـب الزراع ما خـرج به مـن الأرض من نبـات. ثم بين تعـالى أن مصيـر هذا النبات هو أن يجف فيراه كـل وقد اصفر لونه من بعد نضرة، ثـم يصبح هشيما متكسرا. فيكون القول قـد شبه الكفار بـالزراع ، وبين أن مـا يشغلهم فى الدنيـا هو إلى فنـاء، ولهذا جاء قـوله تعالى «وفى الآخرة عذاب شديد» لبيان أنه يكون للكافرين الذين اهتموا بالدنيا عذاب شديد فى الآخرة .

ثم جاء قوله تعالـى «ومغفرة من الله ورضوان» لإثبات أنه تعالى قد يغفر لمـن اهتم بالدنيا من المؤمنين فعله ويرضـى عنه. وهذا بيان لرحمته تعالى وغلبتها غضبه. ثـم بين تعالى بقوله «وما الحياة الدنيا إلا متـاع الغرور» أنها تكون كذلك لمن اطمأن إليها فلم يعمـل لآخرته، فأما إن كانـت سببا لنيل رضـوان الله كحال مـن كسب المال وأنفـق فى الطاعـات ، فإن متـاعها ومالها يكون نعم المتاع .

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٢١﴾

التفسـيـر:

يأمر تعـالى المؤمنين ـ فـى الآية ـ بالمسارعة مسـارعة المتسابقين فى مضمـار الجرى من أجل نيـل مغفرته تعالـى قبل الموت، ودخـول جنة وصف تعـالى عرضها بـأنه يماثـل عرض السماء والأرض مجتمعيـن فيما لو ألصق عـرض إحداهما بعـرض الأخرى، ثم بين تعـالى أن هذه الجنة أعدت سلفا للذيـن آمنوا بالله ورسله، والمراد بهم الذين آمنوا بالـرسل الذين بعث

بهم تعالى حتى زمانهم. ثم أشار تعالى إلى وعده هذا وأخبر عنه أنه فضل منه يتفضل به فيؤتيه من يشاء، ثم إنه أطمع الناس فى الحصول عليه بالإخبار عن ذاته بأنه ذو الفضل العظيم.

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ ۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى الحث على الرضاء بقضائه وقدره، ذكر تعالى أنه ما من نائبة من النوائب، أو إصابة بالخير - باعتبار أن المصيبة هى كل ما يصاب به من خير أو من شر - تكون فى الأرض، ومن النوائب فى الأرض الجدب والتصحر، ومن الخير خروج الزرع وازدهاره، أو تكون فى أنفس الناس من مرض وعاهة، أو صحة ومنزلة بين الناس، ما من شيء من هذه الأشياء إلا كان مثبتا مكتوبا فى اللوح المحفوظ أو فى علمه تعالى من قبل وجوده وحدوثه.

ثم قال تعالى إن إثبات هذا فى الكتاب لديه تعالى أمر عليه يسير.

ثم بين تعالى أن إعلامه الناس بهذا أريد به ألا يكون منهم الحزن إذا ما فاتهم كسب كانوا يتمنونه وألا يفرحوا لخير أصابهم الله به.

ثم جاء قوله تعالى «والله لا يحب كل مختال فخور» لبيان كراهة الفرح من جراء إصابة الخير يؤدى إلى التكبر والبطر.

ثم إنه تعالى لما بين أنه لايحب المختـال، وكان أكثرما يبعث على الاختيال على الناس هو المال، وكان الحرص على تملكه يدفع إلى البخل فإنه تعالى بين أن المختال يبخل بماله عن الإنفاق فى الصدقـات ويأمر الناس بالبخل، يستحثهم على أن يكونـوا مثله. وبين تعالى استغناءه عن إنفاق البخلاء بقوله «ومن يتـول فإن الله هو الغنى الحميد» بمعنى أن من يعرض عن الإنفاق فإنه تعـالى غنى عنه وعن إنفاقه، محمود فى ذاتـه لا يضره إعراض المعرض عن الإنفاق .

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ ۖ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ ۚ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾

التفســــير:

قد يكون قوله تعالى فيما نعتقد ـ والله أعلم ـ مرتبطا بذكره أنه الذى قدر الخير والشر، وأن تقديره تعالى أن يكـون هناك الخير والشر هو لحكمة عليا تجعل فـى كل شر وجها للخير وإن لم يدركه العباد. دليل هـذا أنه تعالى أثبت فى الآية أنه أرسل رسله بـالبينات ـ وهى الحجج الدالـة على صدقهـم، وأنه أنـزل معهم ـ بمعنـى بمجيئهم ـ جنـس الكتاب المنـزل من رب العالمين، وأنزل الميزان ـ قيل إنه الميزان الآلة المعروفة ـ وقيل إن المـراد به هو العدل، كما ذكر أن الغاية من هذا هى أن يقوم الناس بالقسط.

والمعنى هـو أن يتعاملوا بـالعدل فيمـا بينهم، فلا يكـون ظالم ولا مظلـوم. وهذا مـن قبيل الخير المحض.

ثم ذكر تعالى أنه أنزل الحديد، والمراد بالقول أنه تعالى أوجده ومكن الإنسان من استخدامه، ثم ذكر تعالى أن من صفات الحديد أن فيه بأسا شديدا وذلك لأن آلات الحرب تصنع منه - على الغالب - والحرب - فى ظاهرها - عذاب وشر.

ثم ذكر تعالى أن فى الحديد منافع للناس إذ يصنعون منه آلات وأدوات يفيدون منها فى معيشتهم فى السلم. فيكون فى الحديد شر وخير.

ثم جاء قوله تعالى «وليعلم الله من ينصره ورسله بالغيب» مشيرا إلى أن من ينصر الله ورسله بالقتال فى سبيله وإن لم يكن قد رأى الله وعاصر رسله مستخدما فى قتاله الأسلحة المصنوعة من الحديد، يكون قد فعل خيرا واكتسب خيرا، وإن كان قد لجأ فى سبيل هذا إلى الحديد الذى فيه عذاب شديد .

ثم جاء قوله تعالى «إن الله قوى عزيز» لإثبات أنه بقوته تعالى قد قوى المجاهدين فى سبيله بالحديد وأنهم بهذا قد أعزوا دينه تعالى العزيز الذى لا يقهر.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا
وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَـٰبَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ
مِّنْهُمْ فَـٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ
وَءَاتَيْنَـٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً
وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَـٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ
فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ
فَـٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾

أولا : الأســـــماء :

الرهبانيــــة : فى قوله تعالـى «ورهبانية ابتدعوها» من «الرهـب» وهو الخوف. فهى سلوك دفع إليـه الخوف مـن الله أو من حـاكم ظـالم، أدى إلـى الانعزال عـن المجتمع والانشغـال بالعبادة، ثم ابتدع فيه أنواع من المشاق مثل الامتناع عن المأكل والمشرب والنكاح، والعيش فى الكهوف والصوامع.

ثانيا : التفســــير:

فصل تعالى قـوله «لقد أرسلنا رسلنا» فذكر أنـه أرسل نوحا و إبراهيم رسـولين، وأنه حصر النبوة فى ذريتهما وأنزل كتبه على الأنبياء منهم واستحفظهـم على كتبه، ثم ذكر تعالى أن من ذريتهما يكون مهتدون، ويكون أكثر الذرية فاسقين، خارجين عن طريق الله المستقيم.

ثم ذكر تعالى أنه أرسل بعد نوح و إبراهيم رسله واحدا بعد آخر إلى أن انتهى الإرسال ـ قبل إرسال محمد ﷺ ـ بإرسـال عيسى ابن مريم عليه السلام، أثبت تعالـى أنه آتاه الإنجيل، وأنه تعالـى خلق فى قلوب الـذين اتبعوا ما أرسـل به وما علم بـالحق مودة بين بعضهـم والبعض وتراحم فيما بينهم. ثم جـاء قوله تعالى «ورهبانية ابتدعوها مـا كتبناها عليهم إلا ابتغاء رضوان الله، فمارعوها حق رعايتها» وفيه قيل إن معناه هو أنهم ابتدعوا الرهبانية ، وأنه تعالى لم يكتبها عليهم، و إنما كتب عليهم أن يبتغوا رضوان الله. ثم إنهم لما كانوا قد ألزموا أنفسهم بها تطوعا فوجبـت عليهم. وكانوا قـد أخلوا بما ألـزموا أنفسهم به فـإنهم يكونـون غير مراعين لهـا حق رعايتها، أو إنهم لم يرعوها حق رعايتها.

والذى نراه فى معنى القول ــ والله أعلم ـ أنه تعالى خلق فى قلوبهم الـرهبانية، بمعنى أنه أوجد فيها الرهبة، فهم يخشون الله عقابه، ويخشون علـى دينهم فعل أباطرة الرومان الوثنيين، كما أنهم يـرهبونهم، ولذلك فـإنه تعالى كتـب عليهم رهبانية العمل ابتغـاء رضوان الله، وهى الفرار بدينهم بعيدا عن سلطان أباطرة الرومان الوثنيين، وهو ما كان فى العصر المسمى «عصر الاضطهاد» أو «عصر اضطهاد الكنيسة»، ثم كان منهـم بعد ذلك أو ممن خلفهـم الابتداع فيها بإحداث مالم يكتبه الله عليهم، وبعدم ابتغاء رضوان الله، وهو ما كان باتخاذها وسيلة لتحقيق

مصالح دنيوية مثل إكبارهم وتعظيمهم فى عيون النـاس، والوصول إلى الزعامات الدينية التى تكسب الأموال والأملاك، فكان ذلك منهم ابتعادا عن رعايتها حق الرعاية .

ثم جاء قوله تعالـى «فآتينا الذين آمنوا منهم أجرهم،وكثير منهـم فاسقون» ليثبت أن الذين آمنوا بالإنجيل الـذى أنزل على عيسى ابن مريـم عليه السلام وبتعاليمه وعملوا بهـا قبل بعثة رسول الله ﷺ، والذيـن آمنوا له ﷺ منهم، لهم أجر إيمـانهم هذا عنده تعالـى، وليخبر أن أكثر الذين يقـولون إنهم اتبعوا المسيح عيسـى ابن مريم فاسقون، يـدخل فى هؤلاء الذيـن حرفوا الإنجيل وتعاليم المسيح عليـه السلام وابتدعو فى الرهبانية ما لم يكتبـه الله عليهم ـ قبل بعثة رسول الله ﷺ ـ ويدخل فيهم الذين لم يؤمنوا له ﷺ بعد بعثه رسولا نبيا .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَـٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾

أولا : الأسـماء :

الكفـلان : فى قـوله تعـالى «يـؤتكم كفلين مـن رحمته»، مثنـى «الكفل» وهـو النصيب والحظ، وهو المثل والنظير.

ثانيا : التفسـير:

ينادى تعالى الذين آمنوا، يتصور فيهم أن يكونوا هم الذين آمنوا بالإسلام من أهل الكتاب، ويتصور فيهـم أن يكونوا المؤمنيـن من أمة رسول الله ﷺ، ثـم أمرهم أن يتقوه بمعنـى أن يتقوا عذابه وغضبه فلا يعصونه، وأن يؤمنوا لرسـوله ﷺ بمعنى أن يثبتوا على الإيمان له. ثم وعدهم

جزاء على هذا أن يجعل لهم مثلين من الأجر على حسناتهم، يكون ذلك رحمة منه، لأنه ما من شىء هو واجب عليه تعالى. فإن كان الخطاب إلى أهل الكتاب الذين آمنوا لرسول الله ﷺ فإن أحد الأجرين يكون لإيمانهم برسولهم الذى اتبعوه، ويكون الآخر لإيمانهم لرسول الله ﷺ. وإن كان الخطاب لأمة رسول الله ﷺ، فإن مضاعفة الأجر أو ثواب الحسنة تكون لعدم تفضيل الذين آمنوا من أهل الكتاب عليهم فى الأجر.

كما ذكر تعالى أنه يجعل للمؤمنين المخاطبين بالقول نورا يمشون به، وهو النور الذى ثبت بقوله تعالى «يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم» الذى يكون لهم يوم القيامة، وذكر تعالى أيضا أنه يغفر لهم ذنوبهم بحكم كونه الغفور الرحيم.

ثم جاء قوله تعالى «لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرون على شىء من فضل الله وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء» ويتصور فيه أن يكون متعلقا باليهود الذين حسدوا العرب على أن بعث الله رسولا من أبناء إسماعيل عليه السلام وليس من بنى إسرائيل.

ويتصور فيه أن يكون متعلقا بأهل الكتاب الذين آمنوا لرسول الله ﷺ، وفى القول جاءت «لا» فى «لئلا» زائدة، فيكون المعنى هو «لأن يعلم» أو «ليعلم» والذى يعلمه تعالى أهل الكتاب هو أنه ليس بأيديهم أن يفضلوا غيرهم بأن تكون النبوة فيهم أو بأن يعطى الذين آمنوا منهم ضعف الثواب.

ثم أكد تعالى معنى أنه الذى يتفضل على من يشاء بما يشاء بقوله تعالى «وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء» أتبعه بتقرير واقع أنه إنما يتفضل بما يشاء من النعم على من يشاء بحكم كونه وحده ذا الفضل العظيم.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المجادلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ
تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم
مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ
ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ
ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن
يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾

أولا : الأســـــماء والأعلام :

التى تجادلك فى زوجها : الرأى الغالب فى أمرها أنها ثعلبة بنت مالك الخزرجية، وأن

زوجها الذى جادلت فيه رسول الله ﷺ هو أوس بن الصامت أخو عبادة بن الصامت .

ثانيا : التفسـيـر:

الآيات الأربع هى فى شأن «الظهار» - إذ كان الرجل فى الجاهلية يقول لامرأته «أنت على كظهر أمى» فتحرم عليه إلى الأبد لا يطؤها. بدأ قوله تعالى فى شأنه بمخاطبة رسوله ﷺ، فأعلمه أنه قد سمع قول المرأة التى راجعته القول فى شأن زوجها، والمشهور أنها ثعلبة بنت مالك قالت لرسول الله ﷺ إن زوجها قال لها «أنت على كظهر أمى» ثم أراد أن يجامعها فأبت إلى أن تسمع قول رسول الله ﷺ، ثم جادلت فى أمره رسول الله ﷺ مرات ومرات إلى أن نزلت الآية فأخبرها حكم الله. ويظهر القول أنها كانت تجادل فى أمر زوجها وهى تشتكى إلى الله فعله معها وسوء خلقه فى معاملتها. وزاد تعالى قوله «والله يسمع تحاوركما» وهو إعلام بمعلوم لأنه ما من شىء إلا وهو تعالى محيط بعلمه بحكم كونه السميع البصير الذى يسمع جميع المسموعات ويبصر كل المبصرات .

ثم بين تعالى طبيعة «الظهار» قبل إيراد حكمه، فبين خطأ الذين يظاهرون من العرب من نسائهم. ويبدو أن لفظ «منكم» يشير إلى تفشى «الظهار» فى العرب دون غيرهم من الشعوب. ثم بين أن «الظهار» ذاته خطأ ينافى الحقيقة لأن الزوجات لسن هن الأمهات، ثم بين أن الأمهات على الحقيقة هن اللائى ولدن الأبناء، والمراد هو إثبات فساد الحكم بتحريم الزوجات قياسا على تحريم الأمهات. ثم أتبع تعالى هذا ببيان أن القول بالظهار هو مما ينكره الشرع والطبع السليم، فضلا عن كونه كذبا وباطلا «وإنهم ليقولون منكرا من القول وزورا». ثم فتح تعالى باب التوبة أمام من ظاهر من امرأته فى الإسلام فبين أنه - بالتوبة، أو بمشيئته تعالى - يعفو عن ذنب من لم يعد إلى الظهار ويغفره له. فيكون معنى القول هو النهى عن الظهار.

وبعد هذا أورد تعالى حكم الظهار «والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا» بين حكم من ظاهر من امرأته ثم أراد تدارك الأمر الذى اشتمل عليه قوله «ثم يعودون لما قالوا» وفيه قيل إن معناه هو العزم على الوطء. وحكمه هو أن يعتق رقبة قبل الجماع. ثم بين تعالى

طبيعة عتق الرقبة بقوله «ذلكم توعظون به» فبين أنه كفارة ذنب، فيه جانب من العقوبة يزجر به ويردع، أو إنه عقوبة بكامله وليس من قبيل الإحسان الذى يثاب به ثم بين تعالى أن حكمه بالكفارة وأثره فى القضاء على رذيلة الظهار هو حكمه الناتج عن خبرته بطبيعة الناس وما يصدر عنهم من أعمال ، فجاء قوله تعالى «والله بما تعملون خبير» .

ثم أورد تعالى الكفارات البديلة بتقريره أن من لم يجد الرقبة ولا ثمنها، أو وجدها بأن كان مالكا لها إلا أنه شديد الحاجة إليها لخدمته، أو كان مالكا ثمنها إلا أنه يحتاجه لنفقته، فإنه يكون عليه صوم شهرين متتابعين، فإن أفطر أثناء صيامهما بغير عذر وجب عليه إعادة الصوم من البداية، وكذا لو وطىء امرأته خلالهما.

ثم بين تعالى حكم من لم يستطع صيام شهرين متتابعين لسبب شرعى مثل الكبر أو المرض الذى لا يرجى زواله، وهو إطعام ستين مسكينا، وطعام الواحد منهم ـ على المتفق عليه ـ هو نصف صاع من بر، أو صاع من تمر، أو شعير ودقيق، أو تمليك ثمن ذلك. ويكون الإطعام بأن يغدى المكفر الستين وأن يعشيهم، أو بأن يغديهم مرتين أو يعشيهم مرتين بما يشبع من غير تحديد . وبعد هذا أشار تعالى إلى ما ذكر فى شأن «الظهار» وأحكامه وأخبر أن المراد بتعليم الناس أحكامه هو صحة إيمانهم بالله ورسوله، والعمل بشرائعه تعالى، ثم أشار إلى أحكام الظهار وبين مخبرا أنها حدوده التى يجب التزامها، وبين أن الذين يتعدونها ويطرحون العمل بها يكونون كافرين، ثم توعدهم تعالى بالعذاب الأليم جزاء على كفرهم .

إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ
ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٍۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم
بِمَا عَمِلُوٓاْۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾

التفسـير:

بعد أن بين تعالى حكم الظهار وأظهر أنه من حدوده تعالى بمعنى أن كفارته محددة منه تعالى.

فإنه تعالى أخبر عن الذين يحادون الله ورسوله، وهم الذين يعادونهما ويشاقونهما فيما يحكمان به أو فيه.

فيكون من هذا الذين يستبدلون بأحكام الله أحكاما يشرعونها .

فذكر تعالى أنهم يخزون فى الدنيا، شأن الذين حادوا الله ورسله من الأمم السابقة.

ثم بين تعالى أنه أنزل فى شأن هؤلاء السابقين آيات واضحة تدل على فعله تعالى فيهم بأفعالهم المذكورة ليتعبر بها.

ثم بين أنه يكون للذين يعادون الله ورسوله ويخالفون عن أحكامهما ـ فى الآخرة ـ عذاب أليم.

وصفهم تعالى فى القول بأنهم كافرون لبيان أن معاداته تعالى ورسوله هى كفر بين يستوجب أشد العذاب.

ثم بين تعالى أن هذا العذاب الشديد يكون يوم البعث، حين يبعث الله الكافرين جميعهم وينبئهم بما عملوا من الكفر والمعاصى التى يعذبون بها.

ثم ذكر تعالى أن جميع عملهم قد أحصاه تعالى عليهم حين نسوا أنهم به يعذبون.

ثم جاء قوله تعالى «والله على كل شىء شهيد» لإثبات أن شيئا ما من أعمال الخلق لا يغيب عنه، وأنه محاسب عباده بجميع أعمالهم .

■■■■■

أَلَمْ تَرَ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ
رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ
إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ
بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا
عَنْهُ وَيَتَنَاجَوْنَ بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ ۚ وَإِذَا جَاءُوكَ
حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ وَيَقُولُونَ فِي أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ
حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ
فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَتِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ
وَالتَّقْوَىٰ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا النَّجْوَىٰ مِنَ الشَّيْطَانِ
لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآيات ـ هو في «النجوى» وهي «المسارّة» بأن يتحادث اثنان أو أكثر في حضور آخرين قولا أو بالإشارة المفهومة لهم ناجين بسرهم من أن يطلع عليه غيرهم. وحكم

النصوص عـام ولو كـان النزول بسبـب تناجى اليهـود والمنافقيـن دون المؤمنيـن مع التغـامز بأعينهم عليهم.

بدأ تعالى بالتمهيد لبيان حكـم «النجوى» بإثبات علمـه تعالى بها تلميحـا فى أول الأمر بذكره أنه يعلم كـل شىء وكل حدث فى السماوات وفى الأرض، ثم صراحة بـذكره أنه ما من ثلاثة يتناجون فيما بينهم إلاكان تعالى سامعا نجـواهم حتى كأنه تعالى رابع الحاضرين، وما من خمسة يتناجون فيما بينهم إلاكان تعالى سامعا نجواهم حتى كأنه سادس الحاضرين، ثم أثبت تعالى أن هذا هو شأنه تعالى فى كل حـال سواء أكان المتناجون أقل من ثلاثة ـ بمعنى أنهم اثنان ـ أو كانوا أكثر من خمسة إلى أى عدد. أثبت تعالى أنه يكون معهم سامعا نجواهم عالما بهـا فى أى مكان كانـوا ولو كانوا فـى أعماق الأرض أو البحر أو فى الفضـاء . ثم أثبت تعالـى أنه يعلم المتنـاجين بما كـان منهم على الملأ يـوم القيامة ليفضحهـم به ـ إن كـانت النجوى فى شر ـ وليعذبهم به مؤكدا ما سبق تقريره من أنه تعالى بكل شىء عليم.

ثم توجه تعالى بـالخطاب إلى رسول الله ﷺ بقوله «ألم تر إلى الذيـن نهوا عن النجوى ثم يعـودون لما نهـوا عنـه» وفيـه جاء الاستفهـام للتعجيـب من أمـر المخبـر عنهـم وهم اليهـود والمنافقون الذين كانوا يتناجون ويتغامزون على المسلمين فنهاهم رسول الله ﷺ عن هذا، ثم عادوا إليـه ثانية، وفـى القول أنبأ تعـالى رسوله ﷺ أنهـم يتسارون فيما هـو إثم فى حـد ذاته يستوجب العقاب، كمـا أنهم يتسارون فى شأن معصية رسول الله ﷺ. وأخبـره عن فعلهم معه ﷺ وهو أنهم إذا جاءوه حيوه بتحية غير تحية الإسلام، قيل إنهم دخلوا عليه ﷺ فقالوا «السام عليك» فـرد عليهم ﷺ قائلا «وعليكم السـام» ـ والسام هو المـوت، من سأم الحياة ــ وأخبر تعالى أنهم يقولون فى أنفسهم «لولا يعذبنا الله بما نقول» بمعنى «إنه لو كان ﷺ نبيا لعذبنا الله بقولنا هذا». ثم إنه تعالى توعدهم بالعذاب «حسبهم جهنم يصلونها فبئس المصير» بذكره أن لهم جهنم ـ هـى حسبهم ـ يدخلونها ويقـاسون حرها، ثم ذمها ببيـان أن بئس المصير مصير جهنم.

وبعد هـذا توجه تعـالى بـالخطاب إلى المـؤمنين فبين أن النجـوى لاتكون حـراما إلاإذا

كانت فى معصية، فقال إنه إذا كانت بينكم نجوى ومسارة فإنه يتعين ويتوجب ألا تكون فى أمر هو إثم فى طبيعته، فيكون القول نهيا عن التناجى بالإثم، كما نهاهم عن أن تكون النجوى فى شأن معصية رسول الله ﷺ، ثم أمرهم بقصر نجواهم على ما فيه خير المؤمنين - وهو البر - وعلى تقوى الله ورسوله، ثم بين أن مخالفة نهيه وأمره تعالى تستوجب غضبه، فأمر المؤمنين أن يتقوا غضبه بالتزام نهيه وأمره مذكرا إياهم بأنهم إليه تعالى يحشرون للحساب.

ثم أخبر تعالى عن واقع التناجى بالإثم والعدوان ومعصية الرسول، فأثبت أنه من فعل الشيطان يزينه للناس قصد أن يحزن المؤمنين بإيهامهم أنهم يقعون فى مكروه، وبين أن قصد الشيطان لا يتحقق، لأنه ما من ضرر يصيب المرء إلا بمشيئته تعالى، وأتبع هذا بأمره المؤمنين بالتوكل عليه وعدم المبالاة بنجوى المنافقين، لأنه تعالى الذى يتوكل عليه المؤمنون.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ١١﴾

التفسير:

بعد أن أخبر تعالى عن «النجوى» وهى من أسباب التنافر، فإنه تعالى - فى الآية - أخبر عن التفسح فى المجالس والتوسعة وهو من أسباب التواد، والمراد بالمجالس - فى القول - مجالس رسول الله ﷺ، كان قوم يبادرون إلى المجىء إليها للجلوس قرب رسول الله ﷺ، فإذا جاء آخرون بعدهم كرهوا أن يفسحوا لهم أماكن يجلسون فيها، فكان ﷺ يأمرهم أن يفسحوا لإخوانهم أماكن قدر ما يستطيعون. ويأخذ حكم مجالس رسول الله ﷺ مجالس العلم، واتخاذ أماكن الصلاة فى الصفوف الأولى فى المساجد، وفى الروضة الشريفة فى مسجد رسول الله ﷺ.

خاطب تعالى المؤمنين، وأمرهم بأنهم إذا طلب منهم إفساح أماكن لإخوانهم في مجالس رسول الله ﷺ أن يكون منه إفساح الأماكن لهم، وحثهم على التزام أمره ببيان أنه تعالى يثيبهم على هذا بأن يفسح لهم من رحمته. كما أمرهم بأنهم إذا أمرهم رسول الله ﷺ ـ أو المتحدث في مجلس العلم ـ أن ينهضوا للتوسعة على المقبلين أن ينهضوا ولا يتباطؤوا، وبين لهم أن هذه الاستجابة للطلب هي من الإيمان الذي يرفع به تعالى درجة المؤمن لديه، كما أخبر ـ في القول ـ أنه يرفع درجة المؤمن الذي أوتي العلم الشرعي درجات لديه تعالى. والقول يشير إلى أن العلم يدفع المؤمن العالم إلى المبادرة في تلبية الأمر بالنشوز.

ثم جاء قوله تعالى «والله بما تعملون خبير» تهديدا لمن لا يمتثل لأمره تعالى بمجازاته بعمله.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا
نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ
فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشۡفَقۡتُمۡ أَن تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ
يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَٰتٖۚ فَإِذۡ لَمۡ تَفۡعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمۡ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ
وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٣﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ عود إلى الحديث في أمر النجوى، وهو في هؤلاء الذين كانوا يحبون المناجاة مع رسول الله ﷺ، أمرهم تعالى إذا ما أرادوا هذا أن يسبقوا مناجاتهم بإعطاء الصدقات مستحقيها، وفي هذا تعظيم لرسول الله ﷺ وتمييز بين المخلص في إيمانه وبين غير المخلص الذي يحب الدنيا ويحرص على متاعها. ثم بين تعالى أن تقديم هذه

الصدقات فيه خير للمتصدقين بإثابتهم عليه، وللفقراء بالحصول على الصدقات، كما أن فيه تطهيرا لنفوس المتصدقين من حب الدنيا. وأتبع تعالى بالترخيص لمن لم يجد ما لا يتصدق به بعدم التصدق قبل مناجاة رسول الله ﷺ، وبين أنه تعالى يغفر له عدم أدائه الصدقات ويرحمه من المؤاخذة به.

ثم إنه لما أن كثيرين قد أحجموا عن أداء الصدقات قبل مناجاتهم رسول الله ﷺ فإنه تعالى لامهم على هذا وبين لهم خطأ اعتقادهم أنهم يفتقرون إذا ما أدوا هذه الصدقات، فأنكر عليهم خشية الفقر «أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات» ثم أخبرهم أنه إذا كان واقع ما كان منهم أنهم لم يقدموا هذه الصدقات، وكان تعالى قد تاب عليهم بأن رخص لهم بالمناجاة من غير تقديم الصدقات، بمعنى أنه تعالى نسخ هذا الحكم، فليكن منهم المثابرة على إقامة الصلاة و إيتاء الزكاة المفروضة والتزام طاعة الله ورسوله، وأتبع تعالى هذا بذكره أنه خبير بما يعملون، لبيان أنه تعالى محاسبهم عما أمرهم به ومجازيهم به.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى
ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟
يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ
مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ
أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ
كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾

التفســـــير:

بدأ الخطاب ـ فـى الآيات ـ إلى رسول الله ﷺ، والقول هو فى المنـافقين، والاستفهام هو للتعجيب مـن أمرهم ولاستنكار فعلهـم، وفعلهم المتعجب منـه والمنكر عليهم هو مـوالاتهم اليهود وصفهم تعالى بأنهم الذين غضب الله عليهـم. ثم بين أن المنافقين ليسوا من المؤمنين كما أنهم ليسوا من اليهود الذين غضب الله عليهم.

ثم ذكـر تعالى أنهم اعتـادوا على أن يحلفوا على الكـذب ـ وهم أنهـم مؤمنون ـ عـالمين حقيقة أمرهم أنهم كافرون فى قلوبهم. وقيل إن القـول الكريم نزل فى قوم من المنافقين سبوا رسول الله ﷺ فى مجلسهم، فلما أنبأهم بهذا، حلفوا كذبا أنهم لم يفعلوا.

وقد أخبر تعالى أنه أعد لهؤلاء المنافقين عذابا شديدا بعملهم السيء الذى دأبوا عليه، ثم بين تعالى عملهـم هذا بذكره أنهم اتخذوا مـن اليمين الفاجرة التى يحلفونهـا وقاية تحميهم وتمنع عنهم عقابهم بأفعالهم، وأنهم كانـوا يصدون الناس عن الدخول فى الإسلام سبيل الله المستقيم، ثم إنه تعالى كرر توعدهم بالعـذاب، وصفه بأنه يكون مهينا لهم ومذلا، قيل فيه هو عذاب القبر، وقيل هو عذاب الآخرة .

ثم أثبت تعالى أن شيئـا ما مما ملكوا من أسباب القوة ـ ومنهـا الأموال والأولاد ـ لن يمنع عنهم عذاب الله الذى توعـدهم به، ثم أشار إليهم وأخبر عنهم أنهـم أصحاب النار وأنهم فيها يخلدون.

ثم بين أن هذا العـذاب يكون مبدؤه يوم يبعثهم الله من قبورهم جميعـا، فيكون منهم أنهم يحلفون لـه على الكذب بقـولهم «والله ربنـا ما كنا مشـركين» فيكون هـذا منهم مثـل حلفهم للمؤمنيـن فى الـدنيا أنهـم منهم، يحلفـون له تعـالى معتقـدين أنهـم بهذه اليميـن الـفاجرة يتمكنون من أن يحصلوا لأنفسهم على نفع هو عدم تعـذيبهم، ثم يبين تعالى فساد اعتقادهم هذا بتقـريره أنهـم هم الكـاذبون ، فيكـون المعنى أنهـم يعذبـون بكفرهـم لاتنفعهم يمينهـم الفـاجرة .

﴿ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ أَلَآ
إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾﴾

أولا : الأسـماء :

الأذلـون : فى قوله تعالى «أولئك فى الأذلين» جمع، مفرده «الأذل» وهو أذل خلق الله من الأولين والآخرين .

ثانيا : التفسـير:

ذكر تعالى السبب المباشر الذى أدى إلى نفاق المنافقين وحلفهم على الكذب فبين أنه استحواذ الشيطان عليهم باستيلائه على قلوبهم وعقولهم، وبين أن هذا هو ما جعلهم ينسون ذكر الله فى قلوبهم وهو كفيل بتجنيبهم الكفر والنفاق واليمين الفاجرة والعمل بالمعاصى. ثم أشار إليهم وأخبر أنهم حزب الشيطان بمعنى أنهم الذين اتبعوه والذين هم جنود له يضل بهم غيرهم، ثم أثبت أنهم بصفتهم هذه هم الجديرون أن يدعو بالخاسرين، لأنهم خسروا النعيم المقيم واستبدلوا به العذاب الأليم .

ثم إنه تعالى أخبر أن الذين يشاقونه ورسوله ـ ومنهم المنافقون ـ يكونون من جملة أذل خلقه الأولين والآخرين، وأن هذا حكمه فيهم فى الدنيا والآخرة، وبين علة هذا ببيان أنه قدر منذ الأزل أن يكون بعزته هو الغالب ورسله، فلزم أن يكون أعداؤه وأعداء رسله هم المغلوبين المعذبين وأكد تعالى المعنى المستفاد من هذا بالإخبار عن ذاته بأنه قوى عزيز، فهو قوى فوق كل من يرى بنفسه قوة من الأفراد والدول، قوى على نصر رسله والمؤمنين، وهو عزيز لا يغلب، ولا يغلب من يناصره.

﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُولَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ۚ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ ۚ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾﴾

أولا : الأســـــماء :

الـــروح : فى قوله تعالـى «وأيدهم بروح منه» قيل هو نور القلـب الذى يكون به اطمئنان قلوب المؤمنين، وقيل هو القرآن وحججه، وقيل هو جبريل عليه السلام .

ثانيا : التفســـير:

خاطـب تعالى ـ فـى الآية ـ رسولـه ﷺ، والمراد هو إعـلام جميع المؤمنين الحقيقـة التى يتضمنها القول، وهـى أنه من المحال أن يجد رسـول الله ﷺ أو أن يجد المؤمن قومـا مؤمنين بالله وباليوم الآخـر يوادون المشركين والذين عـادوا الله ورسوله، والمراد بالقول والخبـر فيه هو النهى عن مـوالاة أعداء دين الله ورسولـه. ثم جاءت المبالغـة فى النهى ببيان أنـه لا يمنع من التزام النهى أن يكون المنهى عـن موالاتهم من ذوى القرابة للمؤمنين، بدأ تعـالى بذكر الآباء لأن الأبناء مأمورون بطاعة آبائهم، ثم ثنى بذكر الأبناء لموقعهم من الحب فى قلوب الآباء، ثم ذكر الإخوان لأنهم المناصرون، ثم ذكر العشيرة لأنه يعتمد على أفرادها فى الملمات .

ثم بين تعالى أن الفرق بين الذين يؤمنون بالله وباليوم الآخر وبين الذين يشاقون الله ورسوله يمنع أن تكون مـن الأولين موالاة الآخريـن، بأن أشار إلى المـؤمنين بالله واليوم الآخـر، وأخبر عنهم أنـه تعالـى كتب الإيمان فـى قلوبهم فكـان فيها ثـابتا، وأنه دعمهـم بقوة منـه سكنت قلوبهم فاطمأنت بالإيمان. فيكون المستفاد هـو انطواء قلوب الذين يحادون الله ورسوله على

الكفر وسيطرة الشيطان عليها. كما أخبر تعالى عن المؤمنين أنه يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار يخلدون فيها، وأنه تعالى أفاض عليهم بالنعم لرضائه عنهم وأنهم سعدوا وابتهجوا بما أنعم تعالى عليهم به، ثم أشار إليهم وأخبر عنهم أنهم حزبه تعالى بمعنى أنهم جنوده وأتباعه، والقول تشريف لهم، فيكون القول مبينا الفرق بينهم وبين الذين حادوا الله ورسوله وهم حزب الشيطان، ثم جعل تعالى خاتمة القول هو الفصل فى مصيرهم ببيان أنهم هم المفلحون، بمعنى أنهم الذين فازوا بخير الدنيا ونعيم ثواب الآخرة. فيكون القول مشيرا إلى الفرق بينهم وبين حزب الشيطان الذين قال تعالى فيهم إنهم هم الخاسرون.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحشـــر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ
أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ
أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ
حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ
وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٢﴾ وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ
ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ
شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **الذين كفروا من أهل الكتاب**: المراد بهم ـ فى معنى القول ـ هم بنو النضير، وهم قبيلة كبيرة من يهود خيبر من اللاويين من نسل هارون عليه السلام .

٢ ـ **أول الحشر** : المراد به هو حشر اليهود أو جميعهم فـى فلسطين الذى يكون فى الدنيا، إلى أن يبعث الله عليهم عبـادا له يسوؤون وجوههم ويدخلون عليهم بيـت المقدس يتبِّرون ما علوا تتبيرا .

ثانيا : التفســــير:

افتتح تعالى السورة بذكر أن جميع ما فـى السماوات والأرض يسبح له تعالى تسبيح حال أو تسبيح مقال ـ على ما سبـق بيانه ـ وأنه تعالى العزيز الغالب علـى أمره الذى يكون منه كل أمر بمقتضى حكمته.

ثم أخبر تعالى عن ذاته بأنه الذى أخرج يهود بنى النضير من ديارهم ومساكنهم فى جزيرة العرب التى عاشوا فيهـا من بعد أن بعث موسى عليه السلام أجدادهـم فى مهمة تتعلق بقتال العماليق إلى الجزيرة فبقوا فيها وتناسلوا ولم يدخلوا فلسطين مع الذين دخلوها مع يوشع بن نون، فكـان جلاؤهـم عن جـزيرة العـرب وتوجههـم إلى فلسطيـن هو الحشـر الأول لهم فـى فلسطين التى دخلها اليهود أفـرادا وجماعات صغيرة من بعد إجلاء بنوخـذ نصر إياهم عنها، ليكون الحشر الثانى لهم فيها هو اجتماعهم فيها كـدولة قبل أن يقضى تعالى أمره المذكور فى سورة الإسراء وهو أن يبعث عليهم عبادا له يسـوؤون وجوههم ويدخلون بيت المقدس عليهم فاتحين يهلكون الحرث والنسل ـ هذا فى رأينا والله أعلم ـ .

وقيل إن الحشـر الآخر هو إجـلاء عمر رضى الله عنـه اليهود من خيبـر إلى الشام، وقيـل هو حشرهم قبل الساعة ـ كسائر الناس ـ من المشرق إلى المغرب .

ثم خاطب تعالى المؤمنين فأظهر لهم ما اعتقدوه وهو أنهم لا يخرجون ـ لشدة بأسهم ـ من بيـوتهم ومـدينتهم، كمـا بين لهـم أن بنـى النضير أعـداء الله اعتقدوا ذلـك أيضا إذ ظنـوا أن

حصونهم ترد المسلمين عنهـم فلا يستطيعون إخراجهم منها. ثم بين تعـالى أنه خيب أملهم بأن أتاهم الفزع الذى أدى إلى جلائهم عن الأرض والمسكن من حيث لم يخطر ببالهم، وهو مقتل رئيسهم كعب بن الأشرف.

فكان منه تعـالى أن ألقى الخوف الشديـد فى قلوبهم، فجعلـوا يخربون بيوتهم بـأيديهم حتـى لايفيـد منهـا المسلمـون ــ وهـذه عادة رافقتهـم إلـى اليـوم، يـدل عليهـا تخـريبهـم المستعمرات التـى عاشوا فيهـا فترة احتـلالهم سيناء حيـن اضطروا إلى الجـلاء عنها ــ كما خربوها بأيدى المسلمين الذين اقتحموا بيوتهم من الخارج.

ثم إنه لما كان السبب فى هجوم المسلمين عليهـم هو تحالفهم مع قريش على رسول الله والمؤمنين، ثـم تآمرهم علـى رسول الله ﷺ ليقتلوه بالحيلـة حين طلبوا منه أن يخـرج لهم فى ثلاثـة من صحـابته ويخرج منهـم ثلاثـة من علمائهـم، فقد نسـب تخريب بيـوتهم بـأيدى المؤمنبن إليهم لكونهم المتسببين فيه.

ثم خاطب تعالـى أصحاب الأبصار والبصائر بالاتعاظ من مآل هـؤلاء الكافرين والاعتبار، فلا يكون توكلهم إلا عليه تعالى.

ثم بين تعالـى أنه لولا أنه قدر أن يكون مصيـرهم هو الإخراج من بيوتهـم أو الاكتفاء بهذا، لكان قد قضى بتعذيبهم فى الدنيا بالقتل والإهلاك.

ثم أخبر أن لهم فى الآخـرة عذاب النار،الذى هو أشد من القتل الذى لـم ينلهم فى الدنيا. وأعقب تعالى هذا ببيان علة تعذيبهم فى الآخـرة بالنار فبين أنه مشاقتهم الله ورسوله، وبين أن تعذيبـه إياهـم بالنـار فى الآخرة هـو تطبيق لحكمـه العام أن يكون لمـن يعاديـه تعالـى أشد العقاب، على ما يستفاد من وصفه تعالى ذاته بأنه شديد العقاب.

وفى القول، قال تعالـى «ومن يشاق الله» ولم يذكر رسوله ﷺ لبيـان أن من يشاق الله يكون قد شاق رسوله .

■■■■■

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ
ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ
مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ
دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ
عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ اللينـة : فى قولـه تعالى «ما قطعتم من لينـة» هى النخلة، وقيل هى نوع من النخل يكون ثمره شديد الصفرة يشف عن نواه .

٢ ـ الدُّولـة : فى قوله تعالى «كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم» هو ما يتداول .

ثانيا : التفسـير :

الخطاب في مبتدئه للمؤمنين، أو للذين اقتحموا منهم على بني النضير مساكنهم، يبين فيه تعالى أنه ما من فعل يأتيه الإنسان أو عمل يمتنع عنه إلا كان بإذنه تعالى، وتطبيق هذا أن ما كان من المؤمنين حين دخلوا مساكن بنى النضير من قطع نخلة أو تركها على حالها قائمة على أصولها إلا كان بإذنه تعالى، سواء أكان ذلك استجابة لأمر رسوله ﷺ أم كان من فعل أنفسهم بحسبانهم، ثم بين تعالى أن الأمر ـ على الحالين ـ أريد به خزى بنى النضير وصفهم

تعالى بـأنهم الفاسقون، وبيـان ذلك أنه إذا كان قطـع النخلة، تحسر الفاسقـون عليها وعلى زراعتها ورعايتها، وإذا كان تركها تحسروا على تركهـا قائمة على أصولها ليفيد منها المؤمنون بعد استيلائهم على الأرض بما فيها .

ثم إنه تعالى بين حكـم ما أخذ من أموال بنى النضير، وصف ما أخذ بـأنه فىء، ففرق بينه وبين الغنـائم، ثم بيـن أنه ما أفـاء به علـى رسولـه ﷺ فأظهر اختصـاص رسول الله ﷺ بـأمر توزيعها ـ بلا قيد ـ وأنه ليس فيها تخميس شأن الغنائم، وهو ما أكده تعالى بعد هذا بقوله فما أوجفتم عليـه من خيل ولا ركـاب، بمعنى أنهم لـم يحركوا فـى سبيل الحصول عليـه الخيل والإبل، شـأن الغنائم التـى يكون الحصول عليهـا بقتال، فيكون المعنـى أن حكمه ليـس هو حكم الغنائم، ثم أتبع تعالى هذا ببيان كيفية حصول المؤمنين على فىء بنى النضير، فبين أنه مما جرت به سنتـه تعالى من أن يسلط رسله علـى من يشاء من أعدائهم أعـداء الله فينصرهم عليهم دون أن يقاسى أعوانهم أهوال الحرب. كذلك كـان أمره تعالى إذ نصر رسوله على بنى النضير وأجـلاهم عن مسـاكنهم دون أن يعانـى المؤمنـون أهوال الحـرب، فلا يكون لهـم فى الفىء حــق .

ثم جـاء قوله تعـالى «والله علـى كل شىء قـدير» مبينا أنـه تعالـى لا حدود لقدرتـه، ومن مظاهرها نصره رسله على أعدائهم بغير قتال أو بالخوف والفزع .

وبعد هذا أورد تعالى حكمه فى الفىء عموما ـ الذى استثنى منه فىء بنى النضير» فبين أن ما يحصل عليه رسـول الله ﷺ من أهل القرى الكافرة بغير قتال وإيجـاف خيل، يكون لجميع المسلمين لا يخمـس، وقيل إن خمـس الفىء يقسـم بين المـذكوريـن فى النـص فيكون لله ورسوله سهم، ويكون لذوى قرباه ﷺ سهم، ولليتـامى سهم، وللمساكين سهم ولأبناء السبيل سهم، ويتم صرف الأربعة الأخمـاس الباقية فى مصالح المؤمنين جميعا. ثـم بين تعالى علة تقسيمه الفىء على النحو الذى ذكر وهو تجنب أن يختـص به الأغنياء على نحو ما كان سائدا فى الجاهلية فيكون تداوله فيما بينهم لا يناله الفقراء.

ثم بيـن تعالـى اختصاص رسـول الله ﷺ بأمر تـوزيع الفـىء فأوجـب الانصياع لأمـره فيه

بالمنح أو بالمنع، فأمر المؤمنين أن يأخذوا راضين ما يعطيهم ﷺ من الفيء لأنه حق لهم، وأن ينتهوا عن أخذ ما لم يعطه إياهم ثم أمرهم بتقواه فبين أن التزام تقسيم رسول الله ﷺ في الفيء هو من تقواه تعالى، وحذر من مخالفته أو عدم الرضاء به ببيان أن جزاءه هو العقاب منه تعالى بحكم كونه الشديد العقاب .

لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ
الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ
وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ
حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ
يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ
فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الدار: المراد بها ـ في معنى القول ـ هو المدينة المنورة، وقيل هو اسم علم لها .

٢ ـ الخصاصة : في قوله تعالى «ولو كان بهم خصاصة» هي الحاجة التي تختل بها الحال، وهي الفاقة .

ثانيا : التفســـير :

بعد أن ذكر تعـالى أن حكمه فى تقسيـم الفىء أريد به ألا يكـون تداول ماله بيـن الأغنياء، جاء قـوله تعالى مبينـا أنه يكون للفقراء المـذكورين، أو إنه جـاء مبينا ذوى القربى واليتـامى والمساكين وأبنـاء السبيل، وذلك ببيان أن الفـىء يكون للفقراء المهاجـرين الذين اضطـرهم كفار مكة إلى الخـروج ـ وقيل إنهم كانوا مائة رجـل ـ وصفهم تعالى بأنهـم يبتغون فضلا من ربهم ورضوانا، بمعنـى أنهم خرجوا من ديارهم طـالبين من الله رزقا فى الدنيـا ورضاء منه فى الآخرة، كما وصفهـم بأنهم ينصرون الله ورسـوله، جاء القول فيـه معطوفا على «يبتغـون» فبين أنهم يبتغون نصر الله ورسولـه. ثم أشار إليهم تعالى وأخبر عنهم أنهـم الصادقون، بمعنى أنهم الصادقون فيما ادعوه من الإيمان .

ثم بين تعالى أن الفىء يكون أيضا للذين تبوؤا الدار والإيمان من قبلهـم ـ على ما يبين من عطف القول علـى «المهاجرين»، والمراد بهم الأنصـار تبوؤا المدينة المنورة ونزلـوها قبل أن يأتى المهـاجرون إليها وآمنوا لرسول الله صلـى الله عليه وسلم من قبل أن يأتيهـم المهاجرون، وصفهم تعالى بأنهم يحبون المهاجرين الـذى هاجروا إليهم، ولا يجدون فى نفوسهم احتياجا لما أعطـى المهاجـرون من الفـىء ولا ضيقا مـن هذا، كمـا أنهم يقـدمون المهـاجريـن على أنفسهم فى كل شىء، يخصونهـم بالخيرات قبل أنفسهم ولو كانوا فى حاجـة ماسة إليها. ثم بين تعالى أنهم الـذين وقاهم الله شح النفوس ولؤمها يؤدى إلى البخـل «ومن يوق شح نفسه» وأنهم الفائزون بالخيرات والناجون من المكاره «فأولئك هم المفلحون» .

ثم بين تعـالى أن الفىء يكون كذلـك للذين هاجـروا من بعد المهاجريـن الأوائل من بعد ظهور الإسـلام، وصفهم تعـالى بأنهـم يقدمـون أخوة الإيمان علـى أخوة النسـب، ويصفون المهاجرين الأوائل بأنهم الذين سبقوهم بـالإيمان اعترافا بفضلهم، وأنهم يستغفرون لهم مع أنفسهم «يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقـونا بالإيمان»، وذكر أنهم يسألونه تعالى ألا يجعل فـى قلوبهم حقـدا على المؤمنين، متـوسلين إليه بصفتيـه: الرءوف الرحيـم ليستجيب لهم.

۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ
لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِن قُوتِلْتُمْ لَنَنصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ
يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِن
قُوتِلُوا لَا يَنصُرُونَهُمْ وَلَئِن نَّصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ
﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الذين نافقوا : قيل إنهم رهط من بنى عوف منهم عبد الله بن أبى ابن سلول، ووديعة بن مالك، وسويد، وداعس، بعثوا إلى بنى النضير يقولون لهم ما ورد ذكره بالآية ١١ من السورة .

ثانيا : التفسـير :

الخطاب إلى رسول الله ﷺ، وموضوعه هو الإخبار بما جرى بين المنافقين وبين الكافرين من أهل الكتاب يهود بنى النضير، والمراد به هو التعجيب من أمر المنافقين على ما يبين من قوله تعالى «ألم تر إلى الذين نافقوا»، ثم إن فى الآية الأولى من الآيات ما يثبت أن القرآن العظيم منزل منه تعالى، لأن الآية نزلت قبل إجلاء بني النضير عن مساكنهم .

وفى القول يذكر تعالى أن المنافقين قالوا ليهود بنى النضير إنهم إذا ما أخرجوا من ديارهم قسرا فإنهم يخرجون معهم ويذهبون معهم حيثما ذهبوا. وفى القول وصف تعالى يهود

بنى النضيـر بأنهـم إخوان المنافقيـن لأنهم إخوة فـى الكفر والصـداقة. كما يـذكر تعـالى أن المنافقين قالـوا لهم أيضا أنهم لا يطيعون فيهم أحـدا أبدا و إنهم إن قوتلوا فإنهـم ينصرونهم. ويتصور فى معنى قولهم إنهم لا يطيعون فيهم أحـدا أبدا، أن يكون القول الذى لا يطيعونه هو قول رسول الله ﷺ أن يتركوا مناصرة بنى النضير، وهذا فرض لا يمكن تصوره إذ يكون عليه ﷺ حالئذ قتالهم وليـس دعوتهم إلى عدم المناصرة، فبقى أن يكون المقصـود هو أن يأمرهم ﷺ بقتال بنى النضيـر ـ وهو المتصور ـ فيكون قول المنافقيـن هو أنهم لا يطيعون هـذا القول. ثم أثبت تعالى كذب المنافقين فيما أخبروا به الكافرين من أهل الكتاب بقوله تعالى «والله يشهد إنهم لكاذبون» .

ثم إنه تعالى فصـل كذب المنافقين فى كل وعد وعدوه الكافريـن من أهل الكتاب، فبين أنه إذا أخرج الكافـرون من أهل الكتاب من ديارهـم، فإن المنافقين لا يخرجون معهـم ـ وهذا هو ما حدث من بعد ـ وأنه إذا قوتل الكافرون من أهل الكتاب فإن المنافقين لا يناصرونهم، ثم زاد تعالـى على هذا بيانـا فوق بيان فـذكر أنه إذا ما حـدث ـ على سبيـل الفرض ـ أنه نـاصر المنافقون كفار أهل الكتاب فإنه يكون منهـم الفرار من القتال وتولية الأدبار، ولا يكون لهم ولا لمن ناصروهم نصر أبدا .

ثم بيـن تعالـى علة عـدم انتصار المنافقيـن بإظهـار طبيعتهم إذ أنهـم يخشون المـؤمنين ويرهبونهم أكثر من خشيتهم الله ورهبته، وبين علـة ذلك فيهم وهى أنهم قوم لا يفقهون بمعنى أنهم لم يدركوا عظمة الله وقوته وقدرته، والتـى ما كان للمؤمنين عزة إلا بها، مما مفاده وجوب خشيته.

لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِى قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ ۚ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ ۚ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ۖ ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الذين من قبلهم : قيل إنهم قتلى يوم بدر من المشركين، وقيل هم يهود بنى قينقاع الذين غزاهم رسول الله ﷺ قبل أن يغزو بنى النضير، وقيل هم منافقو الأمم السابقة.

ثانيا : التفســــير:

قوله تعالى هو فى اليهود والمنافقين ـ وقيل هو فى اليهود فقط ـ بين تعالى أنهم لايقاتلون ـ مجتمعين متفقين ـ المؤمنين إلا إذا كانوا فى قرى ذات تحصينات، أو كانوا متسترين بالحوائط والجدران، والمعنى أنهم يخشون المواجهة فى القتال لشدة جبنهم وخشيتهم المؤمنين. ثم بين تعالى أن سبب جبنهم هذا ليس ضعفا فيهم إذ أن بأسهم بينهم شديد، فهم إذا اقتتلوا كانت لهم قوة بين بعضهم والبعض، فيكون المعنى أنه تعالى الذى ألقى فى قلوبهم الرعب من المؤمنين .

ثم ذكر تعالى لرسوله ﷺ أن من يراهم فى قتالهم يحسبهم على رأى واحد وهدف واحد، حين أن الحقيقة على خلاف هذا، إذ أنهم مختلفون متفرقون بينهم إحن وعداوات، وعلة هذا أنهم قوم بعدوا عن الحق فلم يعرفوه وهو وحده الذى يجمع القلوب.

ثم ذكر تعالى أنهم مثل الذين نافقوا والذين كفروا من قبلهم، مصيرهم يماثل مصيرهم وهو أنهم ذاقوا سوء عاقبة نفاقهم وكفرهم فى وقت قريب من عصيانهم بما أوقع الله بهم من عذاب الدنيا، مع إعداد عذاب الآخرة لهم وهو العذاب الأليم فيكون القول وعيدا للمنافقين والكافرين بعذاب الدنيا وعذاب الآخرة .

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ
فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ
عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول فى شأن المنافقين فبين أن موقفهم مع الكافرين من أهل الكتاب هو موقف الشيطان مع الإنسان، فكما أن الشيطان زين للإنسان الكفر فكان فعله معه مثل أمره بالكفر، كذلك كان فعل المنافقين مع الكافرين من أهل الكتاب إذ وعدوهم بالمناصرة على المؤمنين، فكان وعدهم إياهم حافزا لهم على معاداة المؤمنين وقتالهم.

ثم إنه لما كان شأن الشيطان مع الإنسان الذى يستجيب لإغوائه فيكفر بالله ورسله أنه يتبرأ من إغوائه ويذكر أنه يخاف الله رب العالمين اعتقادا ـ بغير الحق ـ أن هذا ينجيه من العذاب فإن فعل المنافقين إذ يتنصلون من وعدهم الكفار بالمناصرة ويتقاعسون عنهم ظنا منهم أن هذا ينجيهم من عذاب الدنيا والآخرة، فإن فعلهم هذا يكون مماثلا فعل الشيطان مع الذين أغواهم بالكفر.

ثم بين تعالى أن عاقبة أمر الشيطان والذين أغواهم بالكفر هى دخولهم النار وخلودهم فيها، فيكون المستفاد من القول هو أن الخلود فى النار هو عاقبة المنافقين والكافرين من أهل الكتاب. ثم بين تعالى أن الخلود فى النار هو عاقبة أمر الظالمين عموما، ومنهم المنافقون والكافرون من أهل الكتاب .

يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ
خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١٨ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمۡ أَنفُسَهُمۡۚ
أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ ١٩ لَا يَسۡتَوِيٓ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِۚ أَصۡحَٰبُ
ٱلۡجَنَّةِ هُمُ ٱلۡفَآئِزُونَ ٢٠

التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين وأمرهم بتقواه في أعمالهم التى يعملون وفيما يتركون عمله، ثم نصح كل نفس منهم أن تراقب أعمالها وأن تحاسب ذاتها قبل أن يحاسبها الله قصد تقديم الخير الذى تثاب عليه في الآخرة، وصفت بأنها «الغد» لبيان قربها زمنا من الدنيا. ثم أعاد تعالى أمره المؤمنين بتقواه لبيان أهميته، وأتبع ذلك بذكره إنه خبير بما يعملون تحذيرا لهم من معاقبتهم على ترك تقواه بمحاسبتهم على كل عمل لم ينطو على تقواه.

ثم إنه تعالى نهاهم عن أن يماثلوا الذين نسوه تعالى بمعنى أنهم نسوا أنه الخالق الذى له حقوق على مخلوقاته يتعين أداؤها، وأنه الذى إليه المرجع للحساب بما يستوجب التزام أوامره ونواهيه وعدم عصيانه. جاء ذكر هؤلاء عاما يسع الذين نسوه تعالى من أهل الأمم السابقة والذين نسوه من معاصرى رسول الله ﷺ، وفى القول بين تعالى أنه بسبب نسيان هؤلاء ربهم فإنه تعالى أنساهم أنفسهم فلم يعملوا لخيرها وبقوا على ما هم عليه من الضلال، ثم أشار تعالى إلى هؤلاء الذين نهى عن التمثل بهم وأخبر عنهم أنهم هم الفاسقون.

ثم كان منه تعالى - بعد ذكره المؤمنين المتقين وذكره الذين نسوه تعالى - أن بين انعدام تساوى الحال بين الفريقين بذكره أنه لا يستوى أصحاب النار الذين نسوه تعالى وأصحاب الجنة الذين آمنوا واتقوا، ثم بين أن عدم تساوى الحال يتمثل فى أن أصحاب الجنة هم الفائزون، فيكون المعنى أن أصحاب النار هم الخاسرون.

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان عظمـة القرآن العظيم ـ بما تضمنه ـ فى ذاته ـ وبحكم كونه كلام الله تعـالى، وهو فى بيان مدى قسوة قلـوب الذين لاتخشع قلوبهم لـه. فمفاد قوله تعالى ـ الذى جاء منطـويا على تمثيل وتخييل ـ أنه لو كان تعالـى قد أنزل القرآن المشار إليه على جبل عظيـم ذى قوة وصلابة لخشـع الجبل وتصدع مما فـى القرآن من الزواجـر، فيكون المعنى هو أن قلوب الذين لا يتأثرون بالقرآن أشد قسوة وصلابة من الجبل. ثم أتبع تعالى هذا بأن بين أن ضربه الأمثال للناس فى القرآن ومنها هذا المثال أريد به إدراكهم معانى النصوص وتدبرها، وأن ضرب الأمثال يؤدى إلى هذا بالفعل .

﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ
وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ
ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ
عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ
يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ فى ذاته المقدســة، أخبر عن ذاته بأنه لا إلٰه إلا هو، نفى الألوهية عن غيره بعد أن أثبتهـا لذاته ـ وهذه هى عقيدة التوحيـد ـ ثم ذكر من صفاته أنـه عالم الغيب المطلق الذى لم يطلـع عليه ولم يعرف به مخلوق، وعـالم الشهادة وهى كل ما يشـاهده أحد من خلقه، ثم أخبر عن ذاته بأنه الرحمن الرحيـم يرحم فى الدنيا ويرحم فى الآخرة رحمة تليق

بذاته لاتماثلها رحمة مخلوق أو عبد من عباده. ثم كرر تعالى قوله إنه هو الله، بمعنى أنه وحده هو الله، وأن الله واحد، وذلك لبيان أهمية عقيدة التوحيد، ثـم نفى الألوهية عن غيره رغم كونها مفهومة من القول.

ثم أخبر عن ذاته بأنه الملك، بمعنى أنه الذى يملك جميع الخلق ما كان منه ذا حياة وما كان من الجمـادات وأنه المتصرف فيه، وأخبـر أنه القدوس، بمعنى أنـه المنزه بذاته عـن كل نقص، والـذى له الكمال وحده، وأنـه السلام، بمعنى أنه السليـم من كل آفة وعيـب، والذى يسلم على أوليائه فيسلمون. وأنه المؤمن، أى المصدق نفسه والمصدق رسله فيما بلغوه عنه، وأنه المهيمن، الذى هيمن على جميع الخلق بالمراقبـة وبالحفظ، فكان الخلق بانطـــوائه تحت سلطانه فى أمان. وأنـه العزيز الغالب على أمره. وأنه الجبار، الذى أجبـــر خلقه على الانصيـاع إلى مشـــيئته تجرى عليهـم قسرا. وأنـه المتكبـر، الذى لـه وحده الكبــــرياء والعظمة.

وبعد هذا فـإنه تعالى نزه ذاتـه عن شرك المشركيـن، وعن قولهم فيه بجهلهـم وضلالهم، بقوله تعالى «سبحان الله عما يشركون» .

ثم إنه تعالـى كرر الإخبار عن ذاته بأنـه الله، والمعنى أنه وحده هو الله، ليس لـه شريك فى الألوهية.

ثم ذكر مـن صفاته أنه الخـالق، بمعنى أنه الذى أوجـد كل ما هو مخلـوق فى السماوات وفى الأرض، وأنه البارئ، بمعنـى أنه الذى أنشأ واخترع كل ما خلق مـن العدم، وأنه المصور الذى أوجد لكل مخلوق صورة وهيئة يكون عليها.

ثم بين تعالى أنه له وحده الأسماء الدالة على محاسن المعانى، وأخبر عن واقع أنه ما من موجود من المـوجودات فى السماوات أو فى الأرض إلا وهو مسبـح لله بلسان الحال أو بلسان المقال. كما أخبر عن ذاته بأنه العزيز الحكيم الذى سبحته المخلوقات لعزته وقدرته، ودانت له على النحو الذى اقتضت حكمتـه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم
بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ
أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاءَ
مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ
وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا لَكُمْ
أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ
﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآيات ـ هو في النهي عن موالاة الكافرين، وفي بيان أسباب النهي، وبيان جزاء عدم الانتهاء عما نهى تعالى عنه ـ قيل في أسباب النزول هو ما كان من حاطب ابن أبي بلتعة من مخاطبة مشركي مكة وإخبارهم ببعض أمر رسول الله ﷺ، وقد كشف عن هذا إرساله ﷺ عليا كرم الله وجهه والزبير والمقداد إلى روضة عينها لهم، أخبرهم أنهم يجدون فيها امرأة معها كتاب، وأمرهم أن يأخذوه منها ويحضروه إليه، فكان منهم تنفيذ أمره ﷺ، فلما عرضوا عليه الكتاب تبين أنه من حاطب، فسأله عنه رسول الله ﷺ، فاعتذر بأنه

وارد على قـريش وليس منها، وأنـه يخشى على أهله الـذين تركهـم فيها فاصطنع معهـم يدا تحمى أهله مثبتا إيمانـه وعدم ارتداده وقد سأل عمر رضى الله عنه رسـول الله أن يتركه يضرب عنقه، فقال لـه ﷺ «إنه شهد بدرا، ومـا يدريك لعل الله اطلـع على أهل بدر فقـال اعملوا ما شئتم قد غفرت لكم» فنزلت الآية .

وفى القول خاطـب تعالى المؤمنين ناهيـا أن يتخذوا عدوه تعالى الذى هـو عدو المؤمنين أولياء، وفى نسبة العدو ـ والمراد به المشركون ـ إليه تعالى بيان لجسامة خطأ الذين يتخذونهم أولياء، و إشارة إلـى التعذيب بموالاتهم. ثم فسـر تعالى هذه الموالاة المنهى عنهـا فبين أنها الإفضاء إليهم بـالمودة ـ ومنها إرسال أخبار رسـول الله ﷺ إليهم ـ ثم بين حال أعـدائه تعالى المنهى عن موالاتهم وهى كفرهم بما جاء المـؤمنين من الحق فى القرآن العظيم وعلى لسان رسوله ﷺ. ثم ذكر سـوء فعال أعدائه المنهى عن موالاتهم فأخبـر أنهم اضطروا رسول الله ﷺ واضطروهـم إلى الخـروج من مكـة بسبب إيمـانهم بـالله ربهم، ثـم إنه تعـالى استثـار حمية المؤمنين وأهاجها لالتزام نهيه بقوله لهم «إن كنتم خرجتم جهادا فى سبيلى وابتغاء مرضاتى» لأنه مـا من أحد منهـم إلا وهو يريـد أن يثبت أنـه خرج من مكـة جهادا فى سبيـل الله وابتغاء مرضاته. ثم إنه تعالى عاد إلى استئناف بيان كيفية موالاة الكافرين من قبل المؤمنين فأخبر أن من يفعل هذا من المؤمنين يلقي إليهم خفية وسرا أنه يوادهم، أو يفعل أفعال المودة فى السر، وبين تعالـى أن إسرار المؤمنين بمودة المشركيـن لا يخفى عليه بحكم أنه الأعلـم بما يخفون وما يعلنون.

ثم أتبع تعالـى هذا بتوعده من يسر إلى المشـركين بالمودة بالعذاب، يستفـاد هذا بتقريره تعالى أن من يفعل هـذا يكون قد ضل الطريق المستوى الموصل إلـى الحق، فيكون قد ضل عنه بفعله فاستوجب العقاب .

ثم إنه تعالى بيـن علة نهيه عن موالاة أعدائه أعداء المؤمنين، فـأعلم المؤمنين أن أعداءه وأعداءهم إذا تحقق لهم الظفر بالمؤمنين، فإنه يكون منهم فعل العدو بهم ـ والعدو يسىء إلى عدوه ويضره ـ تمتد أيديهم إليهم بالقتل والجرح والضرب والأسر، وتنطلق ألسنتهم فيهم سبا

وشتما بكل ما يسيئهم، مستهدفين من هذا أن يعود المؤمنون الأحياء إلى الكفر الذى أراده الكافرون لهم من مبدأ الحال قبل أن يؤمنوا.

وبعد هذا فإنه تعالى بين للمؤمنين أن صيانة الأرحام والأولاد إذا كانت هى دافعهم على موالاة المشركين وموالاتهم، بالخوف من أن يصيبهم من المشركين مكروه فإن أخذا من ذوى الأرحام والأولاد لن ينفع من والى المشركين وأسر إليهم بالمودة - حرصا عليه وخوفا - يوم القيامة الذى فيه يفصل الله بين الآباء والأبناء، وبين ذوى الأرحام عموما بين بعضهم والبعض، على ما جاء بقوله تعالى «يوم يفر المرء من أخيه»، وأتبع هذا بقوله تعالى «والله بما تعملون بصير» لبيان أنه تعالى يعلم ما يكون منهم من إلقاء المودة للكافرين فى السر، وأنه معاقب به فى الآخرة عقاب الضالين.

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ
مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ
ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ
تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ
وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا
وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ
إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن
كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الأسوة** : فى قوله تعالى «قد كانت لكم أسوة حسنة» هى الخصلة التى من حقها أن يؤنس بها ويقتدى .

٢ ـ **البرءاء** : فى قوله تعالى «إذ قالوا لقومهم إنا برءاء منكم» جمع مفرده البرىء. وهو من خلص من أمر يتعلق به .

ثانيا : التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين الذين نهاهم عن موالاة الكافرين وأعلمهم أنه لهم فى إبراهيم عليه الصلاة والسلام وفى الذين آمنوا له فكانوا معه القدوة الحسنة والخصلة التى يؤنس بها، هذه القدوة هى تبرؤهم من أهلهم ومما كانوا يعبدون من دون الله من أصنام وأجرام سماوية، وتصريحهم لهم بهذا القول، وقولهم لهم إنهم كفروا بهم أهلا لهم وبمعبوداتهم آلهة، وذكرهم لهم أن دأبهم معهم أن يكونوا أعداء لهم يضمرون لهم العداوة والبغضاء مادامو على شركهم بالله، لا ينتهى منهم هذا إلا إذا آمنوا بالله ووحدوه. فيكون القول مبينا أن الحب يجب أن يكون فى الله، وأن البغض يكون له. ثم إنه تعالى استثنى مما يقتدى به مما كان من إبراهيم عليه الصلاة والسلام قوله لأبيه «لأستغفرن لك».، فيكون المعنى أنه تعالى نهى المؤمنين عن أن يستغفروا ربهم لآبائهم المشركين، وألا يتمثلوا إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين استغفر لأبيه المشرك، وقد تكون علة استغفار إبراهيم عليه السلام لأبيه أنه كان على موعدة منه. وفى القول بين تعالى أن إبراهيم عليه الصلاة والسلام قال لأبيه إنه لا يملك له من الله من شىء، بمعنى أن استغفاره له لا يفيده ولا يدفع عنه شيئا من عذاب الله إذا ما أشرك به. ثم جاء قوله تعالى «ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا وإليك المصير» ويتصور فيه أن يكون قول إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين معه، ويتصور أن يكون قوله تعالى الذى يعلم المؤمنين أن يقولوه. ومعناه هو أن يتبرؤا من الكفار وأن يتوكلوا عليه تعالى ويرجعوا إليه بالقلوب وبالقول بالألسنة .

ثم إنه تعالى كرر قوله للمؤمنين قوله إنه كان لهم فى إبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين

آمنوا معه - وقيل هو وجميع الأنبياء - الأسوة الحسنة في تبرؤهم من أهلهم الكافرين، والمراد من تكرار القول هو تأكيد المعنى وأهميته.

وبين تعالى أن الذين يقتدون بإبراهيم عليه الصلاة والسلام والذين آمنوا معه في التبرؤ من الكافرين هم الذين لهم أن يأملوا في ثواب الله وفي نعيم الآخرة. ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن من يتولى عن الإسلام ويعرض فإنه تعالى في غنى عن إيمانهم به وعبادته بحكم أنه المحمود بذاته بغير حاجة إلى عبادة عابد .

عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَٱللَّهُ
قَدِيرٌ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ
فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓا۟ إِلَيْهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ
يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ
وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُوا۟ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾

التفسير:

لما كان منه تعالى العلم بكل شيء، فإنه علم أن المؤمنين - بحكم الجبلة البشرية - يسيئهم أن تكون بينهم وبين ذوي قرباهم، وإن كانوا لم يعصوا الله أمره في قطع مودتهم وفي معاداتهم.

ولهذا فإنه تعالى طيب قلوب المؤمنين بأن أملهم أن يجعل بينهم وبين الذين عادوا من

ذوى قرباهم مـودة وذلك بإيمان هؤلاء الكافـرين ودخولهم الإسلام، وقد تحقـق هذا بعد أن فتح رسول الله ﷺ مكة فأسلم أقوام المؤمنين وعاد التصافى والتواد بينهم.

وقد قـرن تعالى تطيبيـه قلوب المؤمنيـن بما يشبه الوعـد بقـــوله لهم «والله قـدير» لأن مفـــاد القول أنه تعالى قـادر على أن يجعل الكافريـن أقارب المؤمنين يؤمنـون فتعود بينهم المودة.

وأتبع تعـالى هـذا بالإخبـار عن ذاتـه بأنـه غفور لبيـان أنه إن يشـأ يغفر لمـن والى منهـم الكافرين ما كان منه.

وبعد هذا فإنه تعالى فصل نهيه المؤمنين عن البـر بالكافرين ، ببيان الصنف من الكافرين الذين لم يشملهم النهى ـ فى مقام أول ـ أتبعه بذكر الذين شملهم ـ في مقام ثان ـ فبين تعالى أنه لم ينه عـن البر بالذين لم يقاتلوا المـؤمنين بسبب الدين، ولم يضطروهـم إلى الخروج من ديارهم مهاجرين من مكة بالفعل أو بالتحالف على هذا، كما بين أنه تعالى لم ينه عن العدل معهم، وحث علـى هذا ببيان أنه يحـب العادلين. وقيل إن حكم الآيـة قد نسخ بقولـه تعالى «فاقتلوا المشركيـن حيث وجدتموهم»، وقيل إن الحكم دام بـدوام الصلح، فلما زال الصلح بفتح مكة نسخ الحكم وبقي النص.

وقيل إن حكم النص خـاص بمن كان بينه وبين رسول الله ﷺ حلف لـم ينقضه، كما قيل إنه خاص بالنساء والصبيان لأنهم ممن لا يقاتلون .

ثم إنـه في شأن الذيـن نهى عن مـوالاتهم وعن البر بهـم ذكر الذيـن قاتلوا المؤمنيـن على دينهم والـذين أخـرجوهم مـن ديارهم ـ وهم رؤسـاء الكفر فى مكـة ـ والذيـن عاونـوا على إخراجهم من مكة وهم سائر مشركى مكة، وبين تعالى أنه نهى عن توليهم أو موالاتهم بمعنى اتخاذهم أولياء وأنصارا، ولم يقـل إنه نهى عن البر بهم . ثم إنه تعالى تهـدد من يخالف عن نهيه هذا ـ بأن يستبـدل بمعاداة هؤلاء موالاتهم ـ بالعذاب ، بوصفه بـالظلم، إذ يكون قد ظلم نفسه بتعريضها للعذاب .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ العصم : فى قوله تعالى «ولا تمسكوا بعصم الكوافر» جمع، مفرده «العصمة» وهى ما يعتصم به من عقد وسبب .

٢ ـ الكوافر : جمع، مفرده «الكافرة» وهى الوثنية، لاستثناء الكتابيات بالنص .

ثانيا : التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين فى شأن النساء اللائى يأتين مهاجرات من مكة إلى المدينة مؤمنات بقولهن وبحسب الظاهر من فعالهن. فأمر المؤمنين أن يختبروهن قصد تبين حقيقة أمرهن من الإيمان، وما إذا كن قد خرجن حبا لله ورسوله أم لغرض دنيوى مثل استبدال أرض بأرض أو كراهة لزوج يبغضنه، ثم بين تعالى للمؤمنين أنه أعلم منهم بحقيقة أمر كل واحدة منهن. وبعد هذا فإنه تعالى أمر المؤمنين بأنه إذا ما اقتنعوا من اختبار المهاجرات واعتقدوا أنهن مؤمنات على الحقيقة، ألا يكون منهم إعادتهن للكافرين، وبين علة هذا بذكره أنه يترتب على إيمان إحداهن زوال نكاحها من زوجها الكافر بحكم النص، ولهذا فإنه لا يكون

جائزا شرعا إعادتها إليه. ثم أمر تعالى المؤمنين أن يؤدوا إلى أزواج المؤمنات المهاجرات اللائى زال نكاحهن بإيمانهن مادفعوا إليهن من المهور. قيل إن المأمور به واجب، وقيل هو مندوب إليه. ثم بين تعالى للمؤمنين أنه مباح لهم نكاح هؤلاء المؤمنات المهاجرات على أن تدفع لهن مهورهن، لا يعفى من هذا سبق دفع المهور التى دفعت فيهن من قبل إلى أزواجهن السابقين.

ثم جاء أمره تعالى المؤمنين بعدم الإمساك بعقود نكاحهم الكافرات الوثنيات اللاتى بقين فى دار الكفر، فالقول نهى عن الإبقاء بعلقة بين المؤمن فى المدينة وبين امرأته الكافرة فى مكة. والراجح أن الزوج - بهذا النص - يكون قد برئ منها فلا تكون لها عدة عليه، بمعنى أنه يستطيع الزواج بخامسة دون أن ينتظر انتهاء عدتها. وأتبع تعالى هذا بأمره المؤمنين أن يطلبوا من الكفار أن يؤدوا إليهم ما دفعوا من مهور لنسائهم اللائي لحقن بالكفار، وإثباته أن للكافرين أن يطلبوا مثل هذا من المؤمنين. ثم أشار تعالى إلى أحكامه هذه، وأخبر عنها أنها حكمه تعالى الواجب الاتباع وأتبعه بذكر أنه العليم الحكيم، للإعلام بأنها الموافقة طبيعة الناس التى هو تعالى الأعلم بها، وأنه تعالى شرعها بموجب حكمته فهى التى يتحقق بها النفع والمصلحة.

وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ
فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ
ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾

التفسير:

الخطاب لايزال منه تعالى للمؤمنين، وهو فى تطبيق حكم قوله تعالى «واسألوا ما أنفقتم وليسألوا ما أنفقوا» بمعنى أنه فى كيفية تطبيق حكمه تعالى بأن يعطى الذين فارقتهم

زوجاتهم ما دفعوا إليهن من مهور من فريقى المؤمنين والكافرين. ومعنى القول أنه إذا تركتكم إحدى زوجاتكم وتوجهت إلى الكفار، أو إذا فاتكم شىء من مهور زوجاتكم اللائى تركنكم وتوجهن إلى الكفار، وجاءت عليكم النوبة فى أداء مهور اللاتى تركن الكفار من نسائهم المؤمنات وجئن إليكم، فليكن منكم إعطاء الذين تركتهم نساؤهم منكم وتوجهن إلى الكفار مما استحق عليكم أداؤه من مهور نسائهم اللائى جئن إليكم.

فيكون معنى «فعاقبتم» هو «فعقبتم»، وقيل إن معنى «فعاقبتم» هو «فغنمتم» وأنه كان يعطى الذين فاتتهم نساؤهم إلى الكفار ما دفعوا فيهن من مهور قبل تقسيم الفىء.

وقيل إن اللائى تركن أزواجهم المؤمنين وتوجهوا إلى الكفار كن ست نسوة هن: أم الحكم بنت أبى سفيان، وفاطمة بنت أبى أمية بن المغيرة، أخت أم سلمة، ويروع بنت عقبة، وعبدة بنت عبد العزى، وأم كلثوم بنت جرول، وشهبة بنت غيلان. ثم إنه تعالى أمر المؤمنين بتقواه، تكون بالتزام ما أمر به، وذلك لتلازم الإيمان والتقوى.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

التفسير:

قيل إن النساء جئن رسول الله ﷺ مبايعات حين فتح مكة، فكان يؤخذ عليهن ألا يشركن،

وقيل إنه كانت المؤمنات المهاجرات إلى رسول الله ﷺ يمتحن بقوله تعالى فى الآية.

والخطاب ـ فى الآية ـ هو إلى رسول الله ﷺ، يقول له ربه إذا جاءك المؤمنات قاصدات مبايعتك على ألا يشركن بعبادة الله أحدا أو شيئا، وألا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن من إملاق، أو بإجهاض الأجنة بعد أن تدب فيها الروح، ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن، وفيه قيل إنه الادعاء كذبا وبهتانا على أحد الرجال بأنه والد من تضعه بعد حمله. وفى تفسير ذلك قيل إن المولود يسقط بين يدى أمه ورجليها، وقيل لأن البطن التى تحمل تكون بين اليدين، وأن الفرج الذى يخرج منه المولود يكون بين الرجلين. وقد يكون ذكر اليدين والرجلين كناية عن الذات، لأن معظم الأفعال تتم بالأيدى والأرجل. ومما عليه المبايعة من المؤمنات ألا يعصين رسول الله ﷺ فى معروف، وفيه قيل إنه ألا يخمشن وجوههن ولا يشققن جيوبهن ولا ينشرن شعورهن ولا يحدثن من الرجال غير ذوى المحارم. وجواب الشرط فى القول هو ما أمر به تعالى رسوله أن يكون منه إذا جاءه المؤمنات يبايعنه على ما سبق ذكره، وهو أن يبايعهن بأن يضمن لهن ـ بأمر الله ـ الثواب على الوفاء بما بايعن عليه، وأن يزيد على هذا استغفاره لهن الله. ثم إنه تعالى وعد بالغفران لهن والرحمة إذا وفين بما عاهدن عليه، بذكره أنه غفور رحيم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

أولا: الأسـماء:

القوم الذين غضب الله عليهم: فى قوله تعالى «لا تتولوا قوما غضب الله عليهم» قيل إنهم

اليهود الذين ذكر تعالى أنهم المغضوب عليهم، وقيل هم كفار مكة.

ثانيا : التفسير :

خاطب تعالى المؤمنين ونهاهم عن تولى اليهود بعد أن نهى من قبل عن تولى المشركين الذين أخرجوا المؤمنين من ديارهم والذين قاتلوهم. وفى القول ذكر تعالى اليهود بأنهم قوم غضب الله عليهم. وسبب نزول الآية أن قوما من فقراء المسلمين كانوا يصلونهم لينالوا شيئا من الخير منهم. وفى وصفه تعالى إياهم بأنه تعالى غضب عليهم بيان لأن من يتولهم يغضب الله عليه ويستحق عذابه.

كما وصف تعالى اليهود بأنهم يئسوا من الآخرة وثوابها لمعرفتهم أنهم كفروا بالنبى ﷺ المبشر به فى التوراة والمأمور باتباعه وجاء بيان شدة يأسهم بتمثيله بيأس الكفار الأموات الذين استقروا فى القبور وتحقق لهم حرمانهم من النعيم من أن ينالوا فى آخرتهم خيرا. وقد يكون المعنى ـ والله أعلم ـ أن يأس الكافرين من نيل نعيم الآخرة يماثل يأسهم من أن ينالوا خيرا من أمواتهم الذين استقروا فى القبور.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الصف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ① يَٰٓأَيُّهَا
ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ② كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟
مَا لَا تَفْعَلُونَ ③

التفسير:

افتتحت السورة بتقرير واقع أنه ما من أحد أو شيء في السماوات أو في الأرض إلا وهو مسبح لله بلسان الحال أو بلسان المقال، وبالإخبار عن ذاته بأنه العزيز الذي لا يغلب والحكيم في كل ما يكون منه. ثم وجه تعالى خطابه للمؤمنين، وقيل للمنافقين الذين أظهروا الإيمان. وعلى الأول ـ وهو ما نراه والله أعلم ـ فإنه تعالى لام قوما من المؤمنين قالوا إنهم لو علموا أي الأعمال أحب إلى الله لعملوها، فلما نزل الأمر بالجهاد كرهوه. وعلى الثاني فإن مدار التوبيخ يكون هو عدم فعل المنافقين الخير الذي يعدون بأفواههم أنهم يفعلونه، فيكون التوبيخ هو على ترك الخير وعلى الوعد الكاذب.

ثم كان منه تعالى أن ذم القول بما يخالف الفعل «كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون» فالمخصوص بالذم في عبارة القول هو «أن تقولوا» فيكون المعنى هو «كبر القول مقتا».

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى الممقوت له من الأفعال، فإنه ـ في الآية ـ ذكر ما يحبه من الأفعال بذكر حبه تعالى فاعليه، وهم الذين يقاتلون في سبيله صافين أنفسهم في هيئة البنيان الذي تلاصقت قطعه فصارت كيانا واحدا. والمراد بهذا هو إظهار ثباتهم في القتال ولزومهم أماكنهم.

وقد يكون القول مشيرا إلى أن القول الذي بين تعالى أنه يمقته هو قول فريق من المؤمنين إنهم لو علموا أي فعل يحبه الله لفعلوه، فلما كتب عليهم القتال كرهوه.

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِى وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾

التفسير:

قيل إن قوله تعالى فى الآيتين يتعلق بهؤلاء الذين تركوا القتال، والذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه يتعلق بالذين يقولون ما لا يفعلون وهو الأمر الممقوت منه تعالى، وهم من قوم موسى الذى وعدوه أن يتبعوا أمره فلما أمرهم بدخول الأرض المقدسة التى كتب الله لهم لم يمتثلوا أمره وعصوه معتذرين بأن فيها قوما جبارين. وفى قوله تعالى أن موسى عليه السلام سألهم حين عصوا أمره بدخول الأرض عن سبب إيذائه بعصيانه رغم تأكد علمهم بأنه رسول الله إليهم بما أجرى من المعجزات على يديه. وفى القول جاءت «قد» لتأكيد العلم وليس للتقريب. والقول منه عليه السلام أريد به التوبيخ. ثم إنه تعالى أعلم بأنه حين انصرف قوم موسى عن الحق، كان منه تعالى أن صرف قلوبهم عن الحق والصواب لاختيارهم الضلال ولأنه تعالى لا يهدى الخارجين على طاعته.

وهم من بنى إسرائيل الذين بعث الله فيهم ومنهم عيسى ابن مريم عليه السلام هؤلاء

الذين وصفـوا المعجزات التى أيده بها الله بـأنها سحر مبين بعـد أن كانوا قد وعدوا بـأنه متى بعث الله المسيح أو «المسيا» يؤمنون له. وفى القول يذكـر تعالى أنه عليه السلام ناداهم بأنهم بنو إسرائيـل، وفيه قيل إنه لم يقل «يـا قوم» لأنه لا ينتسب إليهم إلا من جهـة الأم. ونرى ـ والله أعلم ـ أن السبب هو أن البشارة كانت لهم بصفتهم بنى إسرائيل، وأن الوعد بالإيمان كان من اليهود بصفتهم بنى إسـرائيل. ويذكر تعالى فـى القول أنه عليه السلام أخبرهـم أنه رسول الله إليهم المصدق لمـا بين يديه من التوراة، التـى جاء يصحح ما اعترى تطبيقها مـن التحريف والتى يعتبر مجيئه تصـديقا لها بحكم ذكر مجيئه فيها، كمـا ذكر لهم أنه مبشرهم بـرسول يأتى من بعده اسمه أحمد. والقول منه عليه السلام لهم يتضمن تذكيرا لهم بما جاء فى التوراة من أن موسى عليه السلام بشرهم بنبى يرسله الله مـن أبناء إسماعيل عليه السلام وأنه طلب منهم أن يؤمنـوا له إذا جاء، ممـا يعتبر معه إيمـانهم بالتـوراة وعدا منهم بـالإيمان له إذا جـاء، كما يتضمن إخبارا من عيسى عليه السلام وتبشيرا بـأن الله يبعث رسولا من بعده اسمه أحمد. وقد سبق أن بينا أنه لايزال فـى إنجيل يوحنا الذى بين أيدينا اليوم ما يتضمـن هذه البشارة رغم ما ناله من التحريـف لإخفائها، فقد ورد فى الإصحاح الرابع عشر منـه أنه عليه السلام يجب أن يصعد إلـى السماء ليعطيهم الله فـرقليطا يبقى معهـم إلى الأبد. و «الفـرقليط» تعريـب للفظ اليونانى القديم «باركلينوس» الذى كتب به الإنجيل فى الأصل، وهو بمعنى «أفعل التفضيل» من الفعل «حمـد» أى أنه «أحمد» أو «الأحمد،» وهـو اسم من أسماء رسـول الله ﷺ. وجدير بالذكر أنه جرى تغيير لفظ «فرقليط» فـى طبعات الإنجيل الحديثة إلى «المعزى» بعد أن تبين للمغالين فى التعصب الدينى لدينهم بغير الحق أن اللفظ يؤيد ما جاء بالقرآن، مما يدل على أن تحريف الإنجيل أمر ليـس بجديد، ومعنى أنه يمكث معهم إلى الأبـد هو بقاء شريعته ﷺ إلى آخر الزمان لأنه خاتم المرسلين.

ثم يذكر تعالى أن بنى إسرائيل من بعد أن أتاهم عيسى ابن مريم بالآيـــات الدالة على أنه المسيح أو المسيا المبشـر به كذبوه ووصفوا الآيات التـى أيده الله بها بأنها سحر ظاهـــر بين.

وبعد هذا جاء الربط بين المكذبين بعيسى عليه السلام والمكذبين برسول الله ﷺ بقوله تعالى «ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام» فبين أن أشد الناس ظلما هو من يدعى إلى الإسلام الذى جاء به رسول الله ﷺ، ثم يكون منه ـ بدلا من الإيمان به ـ افتراء الكذب على الله بإنكار أن القرآن العظيم كتابه الذى أنزل على رسوله، وقوله فيه إنه سحر أو شعر أو أساطير الأقدمين.

أعقبه تعالى ببيان أن ضلال من ينكر القرآن هو تطبيق لسنته تعالى أنه لا يهدى الذين ظلموا أنفسهم بالإصرار على الكفر إلى ما فيه صالحهم من الحق .

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ
وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ
وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾

التفسير:

بين تعالى أن مقصد الذين يفترون على الله الكذب وهم يدعون إلى الإسلام هو إطفاء نور الله بأفواههم، بمعنى أنهم يقصدون بأقوالهم الباطلة في القرآن وفى رسول الله ﷺ أن يذهبوا بدين الله الإسلام الذى ارتضاه لعباده. ثم أتبع تعالى هذا بذكره أنه متم نوره، بمعنى أنه ناصر دينه رغم كراهة الكافرين ذلك .

ثم أتبع تعالى هذا بتأكيد أنه الذى بعث رسوله ﷺ بالهدى ـ وهو القرآن العظيم ـ وبالإسلام وهو دين الحق ليعليه على سائر الأديان بإظهار الحجج والأدلة على أنه الدين الذى اختاره الله لعباده وارتضاه لهم، رغم كراهة المشركين هذا، لإبطاله الشرك وقيامه على التوحيد .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ تِجَٰرَةٖ تُنجِيكُم مِّنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ ﴿١٠﴾ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ
وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ
خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡ وَيُدۡخِلۡكُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي
مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةٗ فِي جَنَّٰتِ عَدۡنٖۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ
ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخۡرَىٰ تُحِبُّونَهَاۖ نَصۡرٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتۡحٞ قَرِيبٞۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿١٣﴾

التفسير:

لما كان الإنسان قد جبل على حب الخير لنفسه ومنه أن ينال الكسب والفوز. فإنه تعالى توجه إلى المؤمنين بالسؤال عما إذا كانوا يحبون أن يدلهم الله على تجارة تنجيهم من عذاب يوم القيامة، وهذا فوز عظيم. والاستفهام أريد به التشويق إلى السماع والمعرفة. ثم أخبر تعالى عن هذه التجارة فبين أنها الإيمان بالله ورسوله، والجهاد في سبيله تعالى بالأموال والأنفس، وهو ما يكون لمن سبق منهم الإيمان بالثبات عليه ، ومداومة الجهاد في سبيل الله. ثم أثبت تعالى أن الإيمان والجهاد خير للناس حين يكون منهم بعلم، بالإشارة إليهما والإخبار عنهما بالخيرية.

ثم بين تعالى للمخاطبين ما يجنونه من كسب بإيمانهم وجهادهم في سبيل الله، بذكره تعالى أنه يثيبهم عليه مغفرة ذنوبهم وشمولهم برحمته يدخلون جنات تجري في أرضها الأنهار، تكون لهم فيها مساكن طيبة زكية طاهرة، محلها جنات عدن. ثم أشار تعالى إلى هذا النعيم وأخبر عنه أنه الفوز العظيم الذي شوقهم إلى معرفته .

ثم إنه تعالى أطمع المخاطبين بالقول فى الحصول على ثواب الإيمان والجهاد ، بذكره أنه يتفضل عليهم بنعمة أخرى يحبونها ويتمنونها، وهى نصرهم من الله على عدوهم وفتحهم البلاد، فتكون لهم الغنائم، وفى القول بشرهم تعالى بأن يكون فتح البلاد قريبا زمانه، وهو ما تحقق بفتح مكة، وفتح البلاد التى كانت تحت سيطرة الرومان والفرس. ثم أتبع تعالى هذا بأمره رسوله ﷺ أن يبشر المؤمنين برضائه تعالى عنهم و إنجازه معهم وعده الذى وعد .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾

التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين فى الآية فأمرهم أن يكونوا أنصار دين الله، ثم إنه لما كان هذا الأمر يصلهم عن طريق رسول الله ﷺ، فقد ذكرهم تعالى بما كان من عيسى ابن مريم عليه السلام حين سأل عمن لديه استعداد أن يكون من جنوده الذين ينصرون دين الله، والمعنى هو المناصرة بالحجة والدليل لأنه عليه السلام لم يقاتل ولم يقاتل حواريوه، ثم أخبر تعالى عن إجابة الحواريين ــ وهم خاصته الاثنى عشر تلميذا ـ وهى قولهم له «نحن أنصار الله» فيكون المعنى المراد إيصاله هو وجوب مناصرة صحابة رسول الله ﷺ إياه لنصرة دين الله. ثم يذكر تعالى أنه كان من بعد هذا أن طائفة من بنى إسرائيل آمنت لعيسى عليه السلام وأن طائفة أخرى كفرت به وكذبته، فكان منه تعالى أن أيد الذين آمنوا لعيسى عليه السلام على الذين كفروا به فأصبحوا ظاهرين عليهم .

والقول يفيد أن من بنى إسرائيل من آمن بنبوة عيسى ابن مريم واتبعه، وهؤلاء هم الذين أطلق عليهم «النصارى» وأن منهم من لم يؤمن له عليه السلام وكذبه وهم باقى اليهود، كما يفيد أنه تعالى أيد الذين آمنوا له عليه السلام وأظهرهم على اليهود، وهو ما كان حين اعتنقت روما المسيحية فارتفع شأن النصارى على اليهود. كما يشير القول فى رأينا ـ والله أعلم ـ إلى إيمان طائفة من أهل الكتاب برسول الله ﷺ المبشر به فى التوراة والإنجيل على لسان موسى وعيسى عليهما السلام، وكفر طائفة أخرى به، وتأييده تعالى الذين آمنوا منهم على عدوهم الذين كفروا به وإظهارهم عليهم بالحجة والبرهان، فليس لدى مكذب برسول الله ﷺ من حجة ولا دليل يؤيده فى كفره .

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الجمعة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾
هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ
وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾
وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ
يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾

التفســــير:

افتتحت السورة بتقريره تعالى أن جميع ما في السماوات والأرض قائم على تسبيحه تسبيح حال أو مقال، وذكر من أسمائه المتضمنة صفات أنه الملك القدوس العزيز الحكيم.

ثم أتبع هذا بما يفيد أنه هو الله وأخبر عن ذاته بأنه الذى بعث فى الأميين رسولا منهم، والمراد بالأميين هم أمة العرب التى كانت لا تقرأ ولا تكتب، أو لأنها ليست من بنى إسرائيل - وقد كانوا يطلقون على غيرهم تعبير الأميين - .

والمعنى أنه تعالى بعث فى العرب أبناء إسماعيل عليه السلام رسولا منهم يتلو عليهم آيات الله رغم كونه أميا لا يقرأ ولا يكتب، ويعلمهم كتاب الله وما تضمنه من قصص وأحكام وأخبار وعلم، كما يعلمهم الحكمة بسنته القولية والفعلية فيهديهم إلى الحق من بعد أن كانوا فى الضلال الواضح بإشراكهم بالله قبل أن يبعثه تعالى فيهم.

كما ذكر تعالى أنه بعثه ﷺ إلى آخرين من أمة العرب، وهم الذين لم يعاصروه ﷺ ممن جاءوا بعد فناء الذين عاصروه إلى يوم الدين.

وقد يكون القول مشيرا إلى وقوع واجب تعليم باقى الأقوام الكتاب والحديث على عاتق أمة العرب من بعده ﷺ.

ثم أتبع تعالى هذا بذكره أنه هو العزيز الحكيم، لبيان أنه ينصر دينه الذى بعث به رسوله العربى، وأن اصطفاءه العرب لنيل هذا الشرف هو ما اقتضته حكمته.

ثم إنه تعالى صرح بأن اصطفاءه رسوله ﷺ من أمة العرب هو فضل منه تعالى الذى يؤتى الفضل من يشاء، وأعلم أنه تعالى ذو الفضل العظيم فى الدنيا والآخرة، يتفضل منه بما يشاء على من يشاء.

■■■■■

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾

أولا : الأسماء :

الأسفار : فى قوله تعالى «كمثل الحمار يحمل أسفارا» جمع، مفرده «السفر» وهو الكتاب الكبير.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى اليهود، وموقفهم من التوراة التى يدعون إيمانهم بها، وما طلبه تعالى من رسوله ﷺ أن يكون معهم .

بين تعالى أن مثلهم وقد علمهم الله التوراة وكلفهم العمل بها ثم كان منهم اطراح العمل بها هو مثل الحمار الذى يحمل كتبا كبارا يشقى بحملها ولا يفيد مما تضمنت من العلم شيئا. وعلة هذا أنهم وقد كلفوا العمل بالتوراة - وقد بشرت برسول الله ﷺ وأمرت بالإيمان له - تحملوا عبء ما كلفوا به، ولم يفيدوا منه شيئا بعدم إيمانهم لرسول الله ﷺ.

ثم إنه تعالى ذم مسلكهم هذا بقوله «بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله»، والمعنى هو «بئس مثل القوم مثل الذين كذبوا بآياتنا» والمراد بآياته تعالى هو آياته المبشرة برسول الله ﷺ

فى التوراة. ثم بين تعالى أن علة إصرارهم على الضلال وعدم الإيمان بالآيات أنه تعالى لا يهدى الظالمين الذين أصروا على الكفر وعلى التكذيب بما وجب عليهم التصديق به .

وبعد هذا خاطب تعالى رسوله ﷺ فأمره - تكذيبا لزعمهم أنهم أولياء الله من دون الناس جميعا - أن يتمنوا الموت إن كانوا صادقين، بمعنى أن يعملوا على أن يموتوا وهو ما قد يكون بالجهاد. وفى القول جاء قوله تعالى «أنكم أولياء لله» وليس «أولياء الله» لبيان أنهم ليسوا أولياءه وإنما هم يزعمون ذلك. وعلة قوله ﷺ لهم هذا هو أن من يعلم أنه ولى الله يتمنى الانتقال من دار البلية إلى حيث الكرامة والنعيم .

ثم يخبر تعالى رسوله ﷺ أنه لا يكون منهم تمنى الموت أبدا، وعلة ذلك أنهم يعلمون ما قدمت أيديهم من عصيانهم الله من بعد كفرهم واستحقاقهم أن يعذبوا به. ثم أخبر تعالى أنهم الظالمون أنفسهم بظلمهم وأنه معذبهم بكفرهم لعلمه بهم وبأعمالهم. بقوله تعالى «والله عليم بالظالمين» .

قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

التفسير:

لما كان قد ثبت كذب اليهود فى ادعائهم أنهم أولياء لله، أو أنهم شعب الله المختار من عدم تمنيهم الموت خوف العذاب. فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن ينبئهم أنهم ملاقون الموت الذى يخافونه ويتمنون ألا يصيبهم، كما أنهم ملاقون العذاب، وذلك بإخبارهم أن الموت الذى يفرون منه ملاقيهم حتما وعلى الضرورة، وأنهم يبعثون إليه تعالى عالم الغيب والشهادة الذى اطلع على خفايا قلوبهم وعلم الظاهر من أعمالهم يحاسبهم بهذا وذاك فيكون لهم

العذاب بما كانوا يعملون، بعد أن يعلمهم به بما دون فى صحف أعمالهم.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ
لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ
خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي
ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ١٠

أولا : الأسـماء والأعلام :

الجمعة : قيل هو اسم علم لليوم المعروف. وقيل إن معناه هو «المجموع» بمعنى أن اليوم هو يوم الفوج المجموع، وقيل إن معناه هو «الجامع» وقيل إن سبب التسمية أنه تعالى جمع فى هذا اليوم آدم وحواء، وقيل لأنه تعالى جمع فيه المخلوقات من بعد خلقها. وقيل إن أول من سمى الجمعة جمعة فى الإسلام هو كعب بن لؤى. وأن أول جمعة صلاها رسول الله ﷺ فى المدينة كانت فى مسجد فى بنى عوف.

ثانيا : التفسـير:

خاطب تعالى المؤمنين ـ والمراد بهم المك[illegible] ـ ثم أمرهم بأنهم إذا ما سمعوا النداء للصلاة بالأذان بدخول الوقت فى يوم الجمعة، أن يكون منهم المشى إلى المسجد لذكر الله، قيل إنه أداء صلاة الجمعة، وقيل لسماع الخطبة. والأمر يفيد فرضية صلاة الجمعة. ثم نهى تعالى عن الانشغال بالتعامل التجارى عن السعى إلى ذكره، وفيه استعيض بذكر البيع عن ذكر الشراء، لأن كل تعامل ببيع يتضمن شراء. وكان أمره تعالى صريحا بترك التعامل من أجل صلاة الجمعة، بما يفيد تحريمه، وقيل بكراهته .

ثم أشار تعالى إلى ما أمر به من السعى إلى الصلاة ومن ترك التعامل لدى إقامة الأذان للصلاة وأخبر عنه أنه خير للمكلفين إذا ما كانوا يعلمون ما فيه خيرهم على الحقيقة .

ثم إنه تعالى لما كان يحب السعى إلى الرزق فإنه أمر المؤمنين أن يكون منهم من بعد فراغهم من الصلاة الانتشار فى الأرض سعيا إلى الرزق مبتغين ما يتفضل به الله عليهم من الرزق، ونبههم إلى وجوب ذكره كثيرا بمعنى ألا يشغلهم طلبهم الكسب عن ذكره تعالى، وأعلمهم أن فى التزامهم ما أمرهم به فلاح أمرهم فى الدنيا والآخرة .

وَإِذَا رَأَوْا تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓا۟ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، وقد نزلت الآية بمناسبة واقعة وقعت، وهى أنه بينما كان ﷺ قائما يخطب الجمعة على المنبر، قدمت عير المدينة، فخرج المؤمنون من المسجد يستقبلونها بالدفوف ابتهاجا بما سيحققونه منها من الربح، فنزل قوله تعالى مخبرا عن الحدث بما يفيد جواز تكراره وتحذيرا من معاودته وتكراره.

فبين تعالى أن كان من الناس، أو إنه من شأنهم أنهم إذا استشعروا حلول تجارة يكتسبون منها المال، أو لهو يتلهون به رغم خلوه من النفع، فإنه يكون منهم الفراغ من أمر الصلاة إلى التجارة واللهو تاركين إمامهم كما ترك المؤمنون الأوائل رسول الله ﷺ قائما على المنبر يخطب منفضين إلى التجارة واللهو.

ثم أمر تعالى رسوله ﷺ وكل إمام يؤم المصلين أن يقول للناس إن ما عند الله تعالى هو خير من اللهو والتجارة، فهو الذى فيه نفع الدنيا ونفع الآخرة الدائم، على حين يخلو اللهو من

النفع، ويتصف نفع التجـارة بالتوقيت وعدم الدوام، بخلاف نفع الآخـرة الذى يدوم ولا يزول. وأن يعلمهم أنه تعالى هـو خير الرازقين، بمعنى أنه الواجب أن يسعـى إلى كسب رضائه لأنه وحده الرزاق الذى يطلب منه الرزق .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة (المنافقون)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ
لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ
جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَٰلِكَ
بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾

التفسـير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ فى أمر المنافقين فأعلمه من تصرفاتهم أنهم إذا جاءوه ليحضروا مجلسا له ﷺ قـالوا له «نشهد إنـك لرسول الله، ومن القول يبيـن تواطؤهم علـى القول وعلى عبارته، وأنهم يـؤكدون موافقة اعتقادهم قولهـم على ما يبين من قولهم «إنـك لرسول الله» ثم جاء قوله تعالـى «والله يعلم إنك لرسوله، والله يشهد إن المنافقين لكـاذبون» لبيان أن قولهم ـ

فى حد ذاته ـ هو الحق وأن شهادتهم هى الكاذبة لمخالفتها اعتقادهم .

ثم إنه تعالى بين حقيقة أمرهم فبين أنهم يتخذون أيمانهم التى يحلفونها على إيمانهم ستارا يحتمون به من معاملة المؤمنين إياهم معاملة الكافرين، ثم كان منهم بعد هذا أن صدوا من أراد الدخول فى الإسلام عنه. ثم ذم تعالى نفاقهم وصدهم الناس عن الإسلام ووصفه بأنه سيء العمل .

ثم بين تعالى سبب نعت أعمالهم بالسوء فذكر أنهم آمنوا بمعنى أنهم قالوا كلمة الإيمان وهى الشهادة، ثم كفروا بمعنى أنه ظهر منهم الكفر، مثل قولهم فى رسول الله ﷺ: «أيطمع هذا الرجل أن تفتح له قصور كسرى»، ثم بين تعالى أنه لما كان منه هذا فإنه تعالى طبع على قلوبهم الكفر وأنهم لهذا لا يعرفون حقيقة الإيمان إلى أن يموتوا كافرين .

۞ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ ۚ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ ۖ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٦﴾

التفسير:

الخطاب إلى رسول الله ﷺ وإلى كل من تتأتى منه الرؤية، يقول تعالى إن من يراهم

يعجب بأجسامهم لتناسق أعضائها وظهور مخايل القوة فيها، ومن يسمعهم يتحدثون يصغى إليهم لفصاحة ألسنتهم وبيانهم - وقيل كانت هذه صفات عبد الله بن أبى، والجد بن قيس، ومعتب بن قشير من المنافقين .

ثم بين تعالى أنهم كانوا يجلسون فى مجالس رسول الله ﷺ مستندين إلى الجدر دون أن يفيدوا مما يسمعون، ودون أن ترجى منهم فائدة، شأنهم فى هذا شأن الأخشاب التى أسندت إلى الحوائط كى لاتقع، أو مثل الأصنام المصنوعة من الأخشاب والمستندة إلى الحوائط.

ثم وصف تعالى حالتهم النفسية فذكر أنهم يحسبون كل صيحة يسمعونها أنها موجهة ضدهم لأخذهم ومعاقبتهم، وذلك خوفا من أن يكون تعالى قد كشف أمرهم للمسلمين فهبوا لأخذهم والانتقام منهم.

وبعد هذا أخبر تعالى عنهم بأنهم العدو الذى يجب أن يتقى بأسه لتخفيه وعدم ظهوره، ثم أمر رسوله ﷺ أن يأخذ حذره منهم ، ثم دعا تعالى عليهم باللعنة والطرد من رحمته تأكيدا لفعله معهم، وعجب من حالهم أنهم ينافقون وليس لهم ملجأ يستخفون فيه من الله هربا من عقابهم، أو من أنهم يكفرون منصرفين عن الحق وقد قامت لديهم الأدلة عليه.

ثم يذكر تعالى من فعالهم المظهرة ما فى قلوبهم أنهم إذا ما قال لهم أحد المؤمنين أن يأتوا رسول الله ﷺ يستغفر لهم الله، فإنه يكون منهم تحريك رؤوسهم استهزاء بما يسمعون وعلامة على رفضه، والإعراض عن القائل مستكبرين على ما سمعوه منه.

ثم يؤكد تعالى حتمية تعذيبهم بنفاقهم بإخباره رسوله ﷺ، أنه يتساوى لديه تعالى أن يستغفر لهم رسوله ﷺ وألا يستغفر، فالمقرر والمثبت منه تعالى أنه لن يغفر لهم وأنه محاسبهم بكفرهم ونفاقهم، وذلك تطبيقا لما جرت به سنته من أنه لا يهدى الذين اختاروا أن يكونوا فاسقين، ليموتوا على حالهم مستحقين العذاب .

■■■■■

﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْۗ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ۝٧ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّۚ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝٨﴾

أولا : الأسـماء :

من عند رسول الله : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول هم الأعراب، وقيل هم فقراء المهاجرين.

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى هو فى بعض أعمال المنافقين الدالة على فسقهم، وهى قول البعض منهم بموافقة الباقين للناس ألا ينفقوا على من هم عند رسول الله ﷺ من الأعراب أو من فقراء المهاجرين، حتى ينفض هؤلاء من عنده دون الباقين. وقيل إن القائل هو عبد الله بن أبى، قاله عندما اشتكى إليه أنصارى اعتداء أعرابى عليه بعصا حين انتزع حجرا من حوض ماء كان يستقى منه، فغضب لذلك عبد الله بن أبى وقال هذا القول ثم أتبعه قوله «لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل». ذكر تعالى فى القول أن المنافقين هم الذين قالوا هذا القول ويقولون مثله، ثم بين عدم إصابة أحد بضرر من جراء تنفيذ الأمر بعدم الإنفاق ببيان أنه تعالى الذى بيده خزائن الرزق، القادر على أن يعطى الفقير فلا يحتاج الغنى من المنافقين، ثم أثبت تعالى أن المنافقين لجهلهم لا يعرفون هذه الحقيقة تصوروا أنهم المانحون والممسكون .

ثـم ذكر تعـالى قـولا آخر للمنـافقين هـو قـول عبد الله بـن أبى الـذى وافقه عليـه أشياعـه المنافقون، وهو أنهم إذا رجعوا المدينة، يكون منه وأشيـاعه من الأنصار ـ الأعزاء ـ أن يخرجوا منها الأعراب أو فقـراء المهاجرين ـ الأذلاء ــ ثم بين تعالى جهـل المنافقين بواقع أنـه تعالى الذى له العزة والقوة بهما تكون القدرة على فعل ما يـريد تعالى ورسوله، وأنهما للمؤمنين بالله ورسوله بالتبعية، فيكـون المعنى أن العزة ليست للمنافقين لخروجهم مـن نطاق المؤمنين، ثم إنه تعالى ذكر أن المنافقين لا يعلمون هذه الحقيقة .

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ
عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٩ وَأَنفِقُواْ
مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ
إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ
نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ١١

التفســـــير:

خاطـب تعالـى المؤمنيـن على الحقيقة فنهـاهم عـن أن تكون أمـوالهم أو أولادهـم سببا يشغلهم عن ذكر الله بإقامة الصلاة وأداء العبـادات، وقد يكون سبب النهى عن الاهتمام الزائد بالمصالح الماليـة وشئون الأولاد هو كونهما أسباب القوة فى الدنيـا التى تشغل المنافقين ولا تشغل المؤمنيـن، ثم جاء قوله تعـالى «ومن يفعل ذلـك فأولئك هم الخاسـرون» مبينا أن من يشغل عن ذكره تعالى بشئون دنياه يكون من الخاسرين ولو كسب الدنيا والمال والبنين .

ثم أتبع تعالى هذا بأمر آخر يزيد فى الشـدة على نفس من لم يصح إيمانه وهو الإنفاق من المال الذى هو رزق الله، يكون فى حياة المرء حال قدرته على الإنفاق قبل أن يحضره الموت

فيتمنى أن يـؤخر تعالـى موتـه ويؤجله إلـى وقت قريـب يتمكن فيـه من التصدق فيكـون من العاملين بالصالحات. ثم بين تعالى أن تفويـت فرصة الإنفاق فى حياة المرء مع القدرة ليس له من جابر ببيـانه أنه إذا ما جاء النفس أجل الموت وقبض الـروح لا يكون إمهال فى هذا ولا إرجاء، ثم أعقب تعالى هذا ببيان إثابته المـؤمنين على الإنفاق من رزق الله الذى رزقهم بذكر أنه تعالى خبير بما يعملون، بما يعنى أنه مثيب المنفق ومؤاخذ الممسك.

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التغابن

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ ۖ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤﴾

التفسـير:

افتتح تعالى السورة بذكر أنـه يسبح لـه كل ما هـو كائن فى السماوات وفى الأرض،

وبالإخبار عن ذاته بأنـه له تعالى وحده ملك كل شىء وأنه المحمود بـذاته، والقادر على كل شىء. ثـم أخبر تعـالى عن ذاتـه بأنه الـذى خلق النـاس ليكون البعض منهـم كافـرا ويكون البعض الآخر مؤمنا، فهو تعالى قد خلق كل مولود على الفطرة ـ وهى الإيمان ـ «فطرة الله التى فطر النـاس عليها» كما خلق الكفـر والإيمان، وكل منهما مكتسـب للفرد و إن كان تعالـى قد علم بـه من الأزل علمه بما يكـون من اختيار الفرد ولـذلك فإنه تعـالى يحاسب علـى الكفر والإيمان علـى ما يبيـن من قـوله تعـالى «والله بما تعملـون بصير» . ثـم ذكر تعـالى أنـه خلق السماوات والأرض بالحق، فكـان خلقهما على النحو الذى تتحقق به مصالـح العباد الدينية والدنيـوية، وصور النـاس فى صورهـم التى هى الأنسـب لمعايشهم، فكـان تصويرهـم على النحو الأفضل فى الدنيا، ثم إنه الذى يـؤول إليه الناس فى الآخرة أو فى النشأة الأخرى ليكون الحساب والجـزاء والمصير الأبدى الخالـد . وذكر تعالـى من صفاتـه أنه يعلم جميع مـا فى السماوات والأرض مما هو كائن ومما هو محدث وأنه يعلم ما يسر الناس بعضهم لبعض، وما يعلنونه فى الظاهر بالعمل أو القول، وما يخفون فى صدورهم لا يطلعون عليه أحدا .

أَلَمْ
يَأْتِكُمْ نَبَؤُا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ فَذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُۥ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرٌ
يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا۟ وَتَوَلَّوا۟ وَّٱسْتَغْنَى ٱللَّهُ ۚ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾
زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ
بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ
ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾

التفســـــير:

خاطب تعالى الكافرين فأثبت عليهم علمهم نبأ الذين كفروا من قبل وما فعله بهم الله وأنكر عليهم بالاستفهام فى قوله تعالى «ألم يأتكم نبأ الذين كفروا من قبل» أنهم لم يعتبروا بما علموا من أنبائهم.

بينه تعالى بقوله «فذاقوا وبال أمرهم ولهم عذاب أليم» والمعنى أنه أهلكهم بعذاب منه فى الدنيا وأنهم يعذبون فى الآخرة العذاب الأليم .

ثم بين تعالى سبب تعذيبه إياهم فى الدنيا والآخرة، وهو أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالآيات الواضحة الدالة على صدقهم فكانوا يكذبونهم منكرين أن يكون الرسول الهادى إلى الحق بشرا من البشر، فقولهم «أبشر يهدوننا» هو استنكار منهم لأن تقع هدايتهم بفعل البشر، فهم يطلبون ملائكة رسلا، وأنهم كفروا الرسل وما بعثوا به وأعرضوا عن تدبر الآيات التى أيدهم الله بها، فكان منه تعالى أن استغنى عن إيمانهم وعنهم فأهلكهم ، بحكم كونه الغنى عن العالمين وعما كون منهم من إيمان وطاعة ، وكونه الحميد بذاته والذى يحمده خلقه بلسان الحال أو بلسان المقال .

ثم إنه تعالى أخبر عن فئة من الكافرين هم المكذبون بالبعث والحساب فقال إنهم زعموا على خلاف الحقيقة أنهم لن يبعثوا من بعد الموت، وهذه هى عقيدتهم. ثم أمر تعالى رسوله أن يؤكد لهم بالقسم أنهم سيبعثون وأمثالهم من الكافرين وينبؤون بأعمالهم التى يحاسبون عليها ويجزون عقابهم.

ثم أخبر تعالى أن بعث الناس من الموت وحسابهم ومجازاتهم هو أمر عليه هين يســـير.

وبعد هذا أمر تعالى الكافرين بما هو مترتب على ما أعلمهم به وهو أن يؤمنوا بالله ورسوله وبالقرآن العظيم النور الهادى إلى الحق ، الذى أنزله تعالى على رسوله، ثم بين أنه محاسب على إطاعة أمره هذا أو عصيانه ببيان علمه تعالى بما يكون منهم فى الظاهر والباطن نحو تنفيذ هذا الأمر.

﴿يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ الْجَمْعِ ۖ ذَٰلِكَ يَوْمُ التَّغَابُنِ ۗ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا ۖ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝١٠﴾

أولا : الأســـماء :

التغابن : من «الغبـن» وهو نقـص الحق. والتغابـن هو تبادل الغبـن، قيل لأن أهـل الجنة بدخولهم الجنة يتركون مقاعدهم فى النار لأهل النار، وأن أهل النار بدخولهم النار يتخلون عن مقاعدهم فـى الجنة لأهل الجنة. وقيل لأن أهل النـار هم الذين اشتروا الضلالـة بالهدى فما ربحت تجـارتهم ، فخسروا وغبنوا ، علـى حين أن الله اشترى مـن المؤمنين أنفسهم بـأن لهم الجنة، فغبنوا الكافرين بهذا، ويوم التغابن هو يوم القيامة .

ثانيا : التفســـير :

جاء قـوله تعالـى «يوم يجمعكـم ليوم الجمع» ظـرفا لـ «تنبـؤون» والمعنى أن يكـون إنباء الكافـرين بما عملوا فـى يوم القيامـة، وصفه تعالـى بأنه يوم الجمـع لأنه فيه يجمـع الأولين والأخرين، ثم أشار إليه وأخبر أنه يوم التغابـن لأنه فيه يغبن بعض الناس بعضا بنزول السعداء منازل الأشقياء فى الجنة التـى كان لهم أن ينزلوها لو كانـوا سعداء، ولأن السعداء يتخلون عن منازلهم التـى كان عليهم أن ينزلـوها فى النار للأشقيـاء التى ما كان لهـم أن ينزلوها لـو كانوا سعداء. ثم بيـن تعالى حكمه فى خلقـه وهو أن من يؤمن بـالله ويقرن إيمانه بالعمـل الصالح يكفر تعـالى عنه سيئاتـه فلا يعذبه بهـا، ويدخله جنات تجـرى من تحتها الأنهار يخلـد فيها للأبـد. ثم أشار تعالـى إلى تكفير الذنـب وإدخال الجنة والخلود فيهـا وأخبر عنه بأنـه الفوز

العظيم الذى لا يستأهل كسب مقارنا به أن يدعى فوزا .

وفى المقابل أخبر تعالى عن الذين كفروا وكذبوا بآياته تعالى المنزلة على رسله فبين أنهم أصحاب النار الذين يخلدون فيها ثم ذم مصيرهم فيها بذكره أن بئس المصير مصيرهم فى النار.

مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ
إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾
وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ۚ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَٰغُ
ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾

التفسير:

الذى يبدو لنا ـ والله أعلم ـ أن الآيات جاءت متعلقة ببيان ما هو من متطلبات الإيمان الحقيقى، من بعد أن بين تعالى حسن مصير المؤمنين الذين يعملون الصالحات. ففى مجال الرضاء بقضاء الله وقدره ذكر تعالى أنه ما من نازلة أو رزية تصيب أحدا من خلقه تعالى إلا وقد أذن تعالى بهذا، ثم أعقب تعالى هذا ببيان أن من يؤمن بالله يكون منه تعالى معه أنه يهدى قلبه للتيقن فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وأن ما أخطأه لم يكن ليصيبه، فيسكن قلبه ولا يجزع ويرتضى قضاء الله. ثم جاء قوله تعالى «والله بكل شىء عليم» لبيان أنه يعلم المؤمن الذى كمل إيمانه فيكون منه عند المصيبة تصيبه أنه يهدى قلبه فيطمئن بالإيمان إلى قضاء الله .

ثم إنه لما كان الرضا بقضاء الله هو نوع من الطاعة فإنه تعالى أمر بطاعة أخرى وهى الطاعة الإيجابية أو الطاعة بأداء، فأمر بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، ثم بين أن إطاعة رسوله إطاعة له تعالى ببيان أنه ﷺ غير مكلف ولا مؤد إلى ما بعث به من الله فيكون ما يأمر به هو أمره تعالى، ويكون نهيه هو نهيه تعالى .

ولما كان الإيمان لا يكتمل إلا بالاعتماد على الله وحده وعدم الركون إلى غيره تعالى، فإنه تعالى وحد ذاته ونفى مشاركة الغير إياه تعالى فى الألوهية، ثم أمر المؤمنين بالتوكل عليه.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ
فَٱحْذَرُوهُمْ ۚ وَإِن تَعْفُواْ وَتَصْفَحُواْ وَتَغْفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾
إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ ۚ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ فَٱتَّقُواْ
ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُواْ وَأَطِيعُواْ وَأَنفِقُواْ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ ۗ
وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾

التفسـير:

الذى نراه ــ والله أعلم ـ أن القول فى الآيات شروع فى بيان أن النفع والمصلحة يتمثلان فى حب الله ورسوله فهو الحب البرئ من الإثم ومن الضرر واحتماله. وقد بدأ تعالى القول بالإخبار عن شأن الأزواج والأولاد وهم الأقربون إلى القلوب، فخاطب تعالى المؤمنين وأخبرهم أن البعض من الأزواج والبعض من الأبناء يكون عدوا للزوج أو للوالد، فمن النساء من تعادى زوجها ومنه من تخونه فى ماله أو عرضه ومنهم من تسعى لقتله أو إيذائه. وكذلك فإنه من الأبناء من يؤذى والديه أو أحدهما إيذاء كبيرا أو صغيرا.

وقد أمر تعالى المؤمنين أن يكونوا على حذر من الفريقين ليميزوا العدو إن كان فيهم عدو، أو إنه أمرهم بأخذ الحذر ممن يتبين لهم أنه عدو من الفريقين.

وبعد هذا فإنه تعالى ـ رعاية لمصلحة الأسر ـ وجه المؤمنين إلى استحسان العفو عمن كان ذنبه الصادر عن عداوته صغيرا، وإلى الصفح بترك العقاب والتثريب، وإلى مغفرة

الذنب بستره وعدم إظهاره، وبين أنه إذا كان من المؤمن فإنه تعالى يعامل المؤمن ذات المعاملة إذا ما أخطأ فى حق من حقوق الله، وهذا بقوله تعالى «و إن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم» .

ثم إنه تعالى بين أن الأموال والأولاد ــ وهما مما يحرص عليه الناس قد يكونان سببا للضرر يصيب المؤمن، فذكر تعالى أن أموال المؤمنين وأولادهم فتنة لهم، بمعنى أنهم يفتنون ويختبرون بالمال والأولاد فقد يؤدى الحرص على كسب المال، والحرص على إغناء الأولاد إلى الحصول على المال بالطرق المحرمة غير المشروعة، كما قد يؤدى كثرة المال إلى إنفاقه فى الحرام ويكون حب الأولاد دافعا إلى التغاضى عن أخطائهم فيكون مآلهم إلى العصيان فيؤاخذ المؤمن الذى أشرب قلبه حب المال والولد بهذه الذنوب ويعاقب.

ولهذا قال تعالى «والله عنده أجر عظيم» لبيان أن من آثر محبته تعالى على محبة المال والولد لايكون له إلا جماع الخير وهو الأجر العظيم .

ثم إنه لما كان قد ثبت أن حبه تعالى هو وحده الحب الذى لايرتب إلا خيرا، وكان قد ثبت أن حب المال قد يؤدى إلى مقارفة الذنب الذى يعذب به.

فإنه تعالى أمر المؤمنين بأن يعملوا جهدهم على تجنب إغضابه بتجنب العصيان، ثم أمرهم أن يسمعوا أوامره تعالى ونواهيه وأن يطيعوها، كما أمرهم أن ينفقوا مما رزقهم فى طاعته ليكون المال سببا لنفعهم وبين أن طاعته تعالى والإنفاق فى سبيله هما الخير لأنفسهم.

ثم إنه لما كان الأمر بالإنفاق يخالف غريزة حب الاقتناء فإنه تعالى حذر من البخل وحث على الإنفاق فى سبيله ببيان أن من يقهر غريزة حب الاقتناء فيه ويقهر البخل يكون من الفائزين.

■■■■

﴿إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَـٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ عَـٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾

التفسـير:

بعد أن أمر تعالى المؤمنين أن ينفقوا مبتغين وجهه ليكون الإنفاق خيرا لأنفسهم، ولما كان الخير المتحصل عليه من الإنفاق يعتبر استردادا لما أنفق و إضافة إليه، فإنه تعالى عبر عن هذا الإنفاق بطريق الاستعارة التمثيلية بالقرض، وتطلب فيه خلوص النية لله بوصفه بالحسن، ثم حث على أدائه ببيان أنه يضاعف أجره من الحسنات، وأنه يغفر به الذنوب، ويشكر للمنفق عمله ويكون به حليما فلا يعجل له عقاب معصية.

ثم أتبع هذا بوصف ذاته بأنه عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم، ليعلم الناس أنه يعلم المنفق من الممسك، ويعلم ما إذا كان المنفق قد ابتغى بإنفاقه وجهه تعالى أم ابتغى هدفا دنيويا، وأنه يجازى بما شاء لقدرته على كل شىء، ووفقا لما تقضى به حكمته .

■■■■

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحۡصُواْ ٱلۡعِدَّةَۖ
وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمۡۖ لَا تُخۡرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخۡرُجۡنَ إِلَّآ أَن
يَأۡتِينَ بِفَٰحِشَةٖ مُّبَيِّنَةٖۚ وَتِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ
فَقَدۡ ظَلَمَ نَفۡسَهُۥۚ لَا تَدۡرِي لَعَلَّ ٱللَّهَ يُحۡدِثُ بَعۡدَ ذَٰلِكَ أَمۡرٗا ١ فَإِذَا
بَلَغۡنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمۡسِكُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ فَارِقُوهُنَّ بِمَعۡرُوفٖ وَأَشۡهِدُواْ
ذَوَيۡ عَدۡلٖ مِّنكُمۡ وَأَقِيمُواْ ٱلشَّهَٰدَةَ لِلَّهِۚ ذَٰلِكُمۡ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ
يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا ٢ وَيَرۡزُقۡهُ
مِنۡ حَيۡثُ لَا يَحۡتَسِبُۚ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسۡبُهُۥٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ
أَمۡرِهِۦۚ قَدۡ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيۡءٖ قَدۡرٗا ٣

التفسير:

خاطب تعالى رسوله بصفته رأس الأمة الإسلامية فيكون القول موجها إلى كل فرد من أمته

ﷺ، ولهذا وجه القول إلى الجمع بعد اختصاصه ﷺ بالنداء. وفي القول أمر تعالى أن يكون طلاق النساء - والمراد بهن المدخول بهن - لعدتهن، أي لدى استقبالهن عدتهن وهو ما يكون في طهر لم يمسها فيه الزوج. ثم أمر تعالى بإحصاء العدة - بمعنى عدها - وأتبع هذا بأمره بتقواه بمعنى أن يتقوه في حساب مدة الثلاثة القروء فتكون كاملة ولا يزاد فيها إضرارا بالمطلقات.

ثم أمر تعالى بعدم إخراجهن من البيوت، ووصف البيوت بأنها بيوت المطلقات لبيان حقهن في البقاء فيها فترة العدة، كما نهى عن خروجهن بأنفسهن أو نفي خروجهن بمعنى أنه منع الأزواج من الإذن لهن بالخروج من البيوت في فترة العدة. ثم استثنى من هذا حال ارتكاب المطلقة فاحشة مبينة، يدخل فيها الزنى بطبيعة الحال وقيل إنه يعد فاحشة مبينة خروجها بذاتها من بيتها.

ثم أشار تعالى إلى ما ذكر من أحكام وأخبر عنها أنها حدود الله، بمعنى أنها الأحكام التي شرع لعباده ، وحذر من الإخلال بها بذكره أن من يفعل هذا يؤذي نفسه ويكون مستوجبا العقاب.

ثم أتبع هذا ببيان أن من حكمته تعالى أن تشريعه هذه الأحكام قد يؤدي إلى أن يحدث من بعد أمر أمر، بأن يغير تعالى قلب المطلق من جهة امرأته فيراجعها، أو أن يجامعها في الطلاق الرجعي وهي في البيت فتكون بهذا مراجعتها بدلا من المفارقة .

وبعد هذا أورد تعالى حكما آخر، وهو أنه إذا ما أشرفت النساء على بلوغ آخر عدتهن فإنه يكون على الرجال إحدى اثنتين، أولاهما أن يراجعوهن مع الإحسان إليهن في المعاشرة والثانية أن يفارقهن دون الإضرار بهن، كأن يراجعوهن ثم يطلقوهن لإطالة عدتهن، وأمر تعالى من قبيل الندب بالإشهاد عند الفرقة وعند الرجعة، وقيل عند الفرقة كما قيل عند الرجعة وذلك بشاهدي عدل من المؤمنين .

وأمر تعالى الشهود أن يقيموا الشهادة خالصة لوجهه تعالى. ثم أتبع هذا ببيان أن أحكامه هذه قد شرعت ليفيد منها من يلتزمها وهو من يؤمن بالله واليوم الآخر، ثم بين جزاء من يتقي الله

بأن يطلق فى برء لا مس فيه، دون إضرار بالمعتدة، ودون إخراج لها من بيتها مع الإشهاد تحوطا، فذكر تعالى أنه يجعل له من الغم والضيق مخرجا - ومنه ما يصيب المطلق بسبب الطلاق - كما ذكر أنه يرزقه من حيث لا يحتسب أن يأتيه الرزق، وقد يكون منه تزويجه أفضل ممن طلق. ثم بين تعالى فضل التوكل عليه فذكر أن من يتوكل عليه فإنه يكفيه، وأنه ماض فى العباد أمره وقضاؤه، ومن يتوكل عليه ومن لا يتوكل، إلا أنه يكفر عمن توكل عليه سيئاته ويعظم له أجرا، وذكر أنه جعل لكل شىء من الشدة والرخاء أجلا ينتهى إليه، كيلا يغتم من راعى حدود الله وتوكل عليه.

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾

التفسير:

قوله تعالى فى حكم اللاتى لا يمكن حساب عدتهن من المطلقات بالحيض، وهن ثلاث فئات بدأ تعالى بذكر اللائى يئسن من المحيض لكبرهن، فأخبر تعالى أن عدتهن هى ثلاثة أشهر، وقال «إن ارتبتم» بمعنى إن جهلتم كيف تحسبون عدتهن، أو إذا ارتبتم فى طبيعة الدم أيكون دم حيض أم غيره، ويكون هذا هو الحكم عند عدم الريبة فى طبيعة الدم - من باب أولى - ثم عطف اللاتى لم يحضن - وهن الصغيرات اللاتى لم يبلغن سن الحيض - على اللائى يئسن من المحيض فتكون عدتهن هى الثلاثة الأشهر.

ثم ذكر تعـالى الفئة الثالثة وهن أولات الأحمـال أو الحوامل فبين أن منتهى عـدتهن هو أن يضعن حملهـن. ورغم أن النص تعلـق بالمطلقات إلا أن حكمه عـام يشمل المتوفـى عنهن أزواجهن.

ثم جاء قوله تعالى «ومن يتق الله يجعل لم من أمره يسرا» مبينا أنه تعالى يجازى من يتقى غضبه بالتزام أحكامه، بأن يسهل عليه جميع أمره .

ثم أشار تعالى إلى مـا ذكر من أحكام وأخبر عنها أنها أحكامه الآمرة المنـزلة إلى المؤمنين ثم حث على التزامها ببيان أن من يراعيها اتقاء لغضبه تعالى يكفر تعالى عنه سيئاته بمراعاته إياها لكونها من الحسنات، ويضاعف له أجره على إحسانه .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُواْ عَلَيْهِنَّ ۚ وَإِن كُنَّ أُوْلَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُواْ عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۖ وَأْتَمِرُواْ بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ ۖ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾

أولا : الأسـمـاء :

الوجـد : فى قوله تعالـى «أسكنوهن من حيث سكنتم من وجدكـم» هو الغنى والمقدرة، والمراد به فى معنى الآية هو «السعة» .

ثانيا : التفســــير:

القول موجه للأزواج المطلقين، وهو فى حقوق المطلقات اللائى بن، أى اللائى أصبح طلاقهن بائنا، لأن المطلقات طلاقا رجعيا تكون زوجة حكما يتوارثن وأزواجهن، ولا يخرجن إلا بإذن أزواجهن مادمن فى العدة، ولهذا لم يؤمر أزواجهن بأن يسكنوهن لوجوب ذلك عليهم بحكم الزواج حكما. وهو فى شأن غير الحوامل منهن.

وفى القول أمر تعالى الأزواج أن يسكنوهن من حيث سكنوا من وجدهم، والمعنى أنه يكون للمطلقة على مطلقها فى فترة العدة ـ فى الطلاق البائن حق السكنى على المطلق مما يطيقه أو من وسعه، فإن لم يكن لديه إلا بيت واحد، فإنه يسكنها بعض نواحيه.

ثم أمر تعالى الأزواج المطلقين بعدم استعمال الضرار فى السكنى مع مطلقاتهم ليضطروهم إلى الخروج من المسكن، كأن يسكن فيه من لا تحب المطلقات السكنى معه. والظاهر من النص أنه يكون للمطلقة طلاقا بائنا حق السكنى فى فترة العدة دون النفقة. وقد اختلف فى شأن المطلقة ثلاثا، فذهب مالك إلى أن لها السكنى ولا نفقة لها، وقال أبو حنيفة لها السكنى والنفقة، وقال أحمد لا نفقة لها ولا سكنى.

ثم اختص تعالى الحوامل منهن بحكم خاص فأوجب على المطلقين أن ينفقوا عليهن حتى يخرجن من العدة بالوضع. وفى شأن المتوفى عنهن أزواجهن فإن أغلب العلماء على أنه لا نفقة لهن، وقال البعض أنه تجب لهن النفقة فى التركة .

وبعد هذا بين تعالى أنه بعد أن تضع المطلقة حملها يكون لها على مطلقها أجر الرضاعة إن أرضعت وليدها منه، وقال أبو حنيفة إنه لا يجوز للرجل أن يستأجر امرأته لإرضاع وليدها كما يستأجر أجنبية ما لم يكن طلاقها بائنا أو صار بائنا.

ثم أمر تعالى الزوجين أن يكون تعاملهما مع بعضهما فى شأن الرضاعة والإرضاع بالمعروف، ومنه إرضاع الولد بغير أجرة، ومنه توفير الأجرة للإرضاع على الأم المرضع. ثم بين تعالى حكم حالة التعاسر بين الزوجين المطلقين، بأن يأبى الزوج إعطاء الأم رضاعها وتأبى

الأم أن ترضع، فأمر الأمب أن يستأجر مرضعة للمولود غير أمه، جاء الخبر فى القول «فسترضع له أخرى» فى معنى الأمر.

ثم إنه تعالى أمر الزوج بالإنفاق على زوجه وعلى ولده الصغير قدر ما وسع الله عليه فيوسع عليهما إذا كان موسعا عليه، فإن كان فقيرا فعلى قدر حاله. بمعنى أن يكون الإنفاق بقدر احتياج المنفق عليه وفى حدود قدرة المنفق. ثم بين تعالى أن حكمه هذا هو تطبيق لمبدأ عام أو حكم عام هو أنه لاتكليف إلا بمقدور، أى أنه تعالى لا يكلف نفسا بشىء إلا بقدر ما أعطاها من الطاقة. ثم أنه أتبع هذا بأن أمّل الفقراء فى التوسعة عليهم فيكون لهم من بعد عسر يسرا.

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيتين - فى وجوب التزام أحكام الله المأمور بها ببيان ما كان من عاقبة أمر الذين امتنعوا على أوامره تعالى. فمفاد القول أن كثيرين من أهل القرى قد تكبروا على أوامر ربهم وأوامر رسله ولم يمتثلوا لها، فكان منه تعالى أن حاسبهم حسابا شديدا تناول كل صغيرة من صغائر ذنوبهم بالحساب والمساءلة لم يعف عن شىء، ثم كان منه تعالى أن قدر عذابهم العذاب المنكر الشديد فى الآخرة.

ثم بين تعالى أنهم ذاقوا عقوبة عتوهم واستكبارهم على أوامر ربهم ورسله فيكون المراد

بهذا هو عذاب الدنيا، كما أوضح أن عاقبة أمرهم فى الآخرة هو الخسران الهائل الذى لا خسران يعدله، لأنه لا يماثل عذاب الله عذاب .

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَـٰٓأُو۟لِى
ٱلْأَلْبَـٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ
ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَـٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ
إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَـٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن
تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾

التفسير:

لما كان تعالى قد أمر بتقواه، ثم بين مصير الذين لم يتقوه ممن امتنعوا على أوامره تعالى ورسله وعتوا عنها، فإنه تعالى كرر وعيده بالعذاب يكون لمن لا يتقيه معدا محضرا من قبل أن يصيبه، فجاء قوله تعالى «فاتقوا الله يا أولى الألباب» مبينا أن التوعد بالعذاب المعد سلفا أريد به أن يكون داعيا إلى أن يتقى الله أصحاب العقول، ووصفهم تعالى بأنهم الذين آمنوا، بيانا لأنه لا يؤمن إلا أصحاب العقول، ولتلازم التقوى والإيمان، فلا تكون تقوى الله إلا من مؤمن به إيمانا صحيحا .

ثم بين تعالى للمتقين الذين آمنوا أنه أنزل إليهم ذكرا، والمراد به رسول الله صلى الله عليه وسلم المداوم على ذكر الله بتبليغ رسالته وتلاوة قرآنه الذكر الحكيم، بينه بصريح القول «رسولا يتلو عليكم آيات الله مبينات» وصفه تعالى ــ فى القول بأنه يتلو آيات القرآن العظيم الموضحة كل ما يحتاج الناس إلى معرفته، وذلك ليخرج الذين قدر لهم أن يؤمنوا فى علمه تعالى من ظلمات الكفر والضلال إلى نور الهدى والإيمان.

ثم بين تعالى أن علمه السابق بمن يؤمـن لا يفيد معنى قسر من لا يؤمن على الكفر، وذلك بذكره تعالـى أن من يؤمن بالله ـ بمعنى مـن يختار الإيمان ـ ويقرن إيمانـه بعمل الصالحات، يكون أمره تعالى معه أنه يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار يخلد فيها للأبد، ثم جاء قوله تعالى «قد أحسن الله له رزقا» للتعجيب مما يرزقه الله وتعظيمه .

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا ﴿١٢﴾﴾

التفسـيـر:

جاء لفظ الجلالة فى جملة الآية مبتـدأ، وخبره «الذى خلق سبع سماوات». ومعنى القول أنه تعالـى خلق السماوات سبعا وأنـه خلق الأرض مثلهن سبعا، أو فـى كونهن طباقـا بعضها فوق بعض.

وجاء قـوله تعالى «يتنـزل الأمر بينهن» مفيـدا معنى أنه تعـالى يمضى أمره وقضـاءه وقدره بينهن، فيكون القـول ـ بهذا المعنى ـ مفيدا أنه فى كـل سماء وفى كل أرض خلـق من خلقه تعالى وإن لـم نعلمهم جميعا.

ثم بين تعالى أنـه يتعين على المكلفين إن يدركوا من هذا أن من قـدر على فعل هذا قادر على كل شىء، فتكون تقـواه عن إيمان، وأن يدركوا أنه ما من شـىء يخرج من علمه، فتكون تقواه تقوى قلوب .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التحـــريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١﴾ قَدْ فَرَضَ اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ ۚ وَاللَّهُ مَوْلَاكُمْ ۖ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٢﴾

التفســــير:

نادى تعالى رسوله ﷺ بقوله «يا أيها النبى» ثم سأله عن سبب تحريمه على نفسه شيئا أحله الله له، قيل أنه أكل العسل، إذ أنه صلى الله عليه وسلم كان يمكث عند زينب بنت جحش ويشرب عندها عسلا، وقيل عند جويرية فتواصت عائشة وحفصة من نسائه صلى الله عليه وسلم على أن من يأتيها منهما تقول له إنها تنكر رائحة منه، وأنه صلى الله عليه وسلم دخل على إحداهما فقالت له هذا فقال «شربت عسلا عند زينب ـ أو عند جويرية ـ ولن أعود» ، وقيل إنه صلى الله عليه وسلم كان يذهب إلى أَمَة له ـ قيل إنها مارية، وقيل جويرية ـ يطؤها فلم تزل به عائشة وحفصة حتى جعلها على نفسه حراما، فنزلت الآية.

وفى القول عاتبه تعالى على أنه حرم على نفسه شيئا أحله الله له، كما عاتبه على باعثه على التحريم وهو ابتغاؤه رضا زوجاته الذى لا يجوز أن يكون سببا لتحريم شىء على النفس

أحله الله، وإن كان فعله صلى الله عليه وسلم لا يعد تحريما لحلال، وإنما مجرد ترك الأَوْلى. ثم جاء قوله تعالى «والله غفور رحيم» تعظيما له صلى الله عليه وسلم ببيان أن «ترك الأولى» بالنسبة له هو مما يستوجب المعاتبة، وأنه تعالى قد غفر له ما أوجبها ورحمه فلم يؤاخذه عليها.

ثم إنه تعالى بين للمؤمنين ـ بمناسبة الحدث ـ حكما يتعلق بتحلة الإيمان، فبين أن تحليل اليمين هو كفارتها، بمعنى أنه يكون على من أحب استباحة المحلوف عليه أن يكفر عن يمينه بإطعام عشرة مساكين ـ على ما جاء فى سورة المائدة ـ دون أن يعنى هذا أن المحلوف عليه يصير حراما، فالكفارة هى لليمين. ثم ذكر تعالى للمؤمنين أنه وليهم وناصرهم يزيل عنهم الحظر فيما يحرمونه على أنفسهم بالترخيص لهم فى التحلل من أيمانهم بالكفارة وبإثابتهم بما يخرجون فى الكفارة، وأنه شرع لهم الكفارة بحكم علمه بطبائعهم، وعلى ما قضت به حكمته.

وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِىُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا
فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ
فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿٣﴾
إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ
هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ
﴿٤﴾ عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ
مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾

أولا : الأسماء والأعـلام :

بعض أزواجه : هى حفصة رضى الله عنها على المشهور.

ثانيا : التفسير:

يروى تعالى فى مبتدأ القول ما كان منه ﷺ مع زوجه حفصه إذ أسر إليها بحديث هو قوله لها «كنت أشرب عسلا عند زينب ـ أو عند جويرية ـ فلن أعود له وقد حلفت. لاتخبرى بذلك أحد». ثم بين تعالى أنها أخبرت بالحديث، وهو ما كان بإطلاعها عائشة عليه، وأنه تعالى أطلع رسوله على ما كان منها وأعلمه بما صدر عنها من قول كاملا، وهذا هو المستفاد من قوله تعالى «فلما نبأت به وأظهره الله عليه»، وذكر تعالى ما كان منه صلى الله عليه وسلم مع حفصة إذ ذكر لها بعض ما أفشته من حديثه معها ـ وهو قوله «كنت أشرب عسلا عند زينب ولن أعود» وأعرض عن ذكر بعض ما أفشته، وهو قوله «وقد حلفت». كما ذكر تعالى أنه كان من حفصة عندما قال لها صلى الله عليه وسلم هذا أنها سألته عمن أعلمه بحديثها مع عائشة، لتعرف ما إذا كانت عائشة قد وشت بها عند رسول الله صلى الله عليه وسلم أم لا، فقال لها صلى الله عليه وسلم إن الذى أعلمه ما كان منها هو الله العليم الخبير الذى لاتخفى عليه خافية .

وبعد هذا توجه تعالى بالخطاب إلى حفصة وعائشة رضى الله عنهما، فطلب منهما التوبة مما صدر منهما وبين لهما أن قلوبهما قد مالت عن الواجب عليهما وهو عدم مخالفة أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فيكون كمال المعنى أنه قد وقع منكما ما يستوجب التوبة وهو أن قلوبكما قد مالت عما هو واجب عليها، ثم إنه لما كان ما صدر من الاثنتين هو من قبيل التظاهر عليه صلى الله عليه وسلم والتداعم بأن دعمت إحداهما الأخرى، فإنه تعالى بين لهما أن تظاهرهما عليه لا يضره. وسبب ذلك أنه تعالى هو مولاه وناصره، وكذلك ينصره بأمر الله جبريل عليه السلام وصالح المؤمنين، ثم تكون الملائكة من بعد نصر الله إياه مظاهرة له ﷺ مؤيدة، فلا يتصور أن يكون لأحد غلبة عليه.

ثم إنه تعالى تهددهما وجميع زوجاته ﷺ بتطليقهن، مثبتا لهن أنه إن طلقهن فإنه تعالى

يعطيه بدلا منهن زوجات خيرا منهن، يكن مسلمات مخلصات فى إيمانهن، مواظبات على طاعة الله وطاعة رسوله، تائبات عن الذنوب لا يرتكبنها، عابدات متذللات لأمر الله ورسوله، صائمات سائحات، يكون منهن الثيب التى زالت بكارتها، وتكون منهن البكر التى لم تفض عذريتها.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ
وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ
وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ
إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٧

التفسير:

خاطب تعالى المؤمنين وأمرهم رعاية لمصالحهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم عذاب النار التى تتقد ــ عوضا عن الحطب وأنواع الوقود الأخرى ــ بالناس وحجارة الكبريت ــ وهو ما يكون بالعمل بالطاعات وتجنب المعاصى وبأمر الأهل ــ يدخل فيهم الزوج والولد والعبد والأمة ــ بهذا، والنصح به والتأديب عليه. ثم وصف تعالى النار المأمور بتجنب عذابها بأنها عليها ملائكة غلاظ القول شداد الفعل، هم الزبانية الموكلون بأمر النار وبتعذيب أهلها، وصفهم تعالى أيضا بأنهم لا يعصون الله أمرا أمرهم به وأنهم لايفعلون إلا ما أمرهم الله أن يفعلوه.

ثم إنه وافق ذكر النار وعذابها والموكلين بتعذيب أهلها أن يخاطب تعالى الذين أعدت لهم فبين لهم تعالى أنه لايعفيهم من العذاب أن يقدموا يوم القيامة عذرا لكفرهم، وأنهم يعذبون بأعمالهم التى عملوها فى الدنيا.

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾

التفســـــير:

نادى تعالى المؤمنين - فى الآية - وأمرهم أن يتوبوا إلى ربهم من الذنوب جميعا توبة نصوحا بمعنى أن تكون بالغة فى النصح تؤتى على وجهها فتشمل الندم والاعتذار والعزم على عدم العودة إلى الذنب.

فيكون القول داعيا إلى عدم تأخير التوبة وعدم التمادى فى مقارفة الذنوب.

ثم إنه تعالى أطمع المؤمنين التائبين فى ثواب التوبة بذكره لهم أنه تعالى يكفر بها عنهم سيئاتهم فلا يؤاخذهم عليها، وأنه يدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار فى اليوم الذى يكرم فيه تعالى رسوله والذين آمنوا معه ويعزه ويعزهم فلا يخزيهم كما يخزى الكافرين، يكون لهم أن نورهم يكون أمامهم وعن أيمانهم وهم على الصراط تكريما منه تعالى.

ويكون منهم أن يتقربوا إلى الله بدعائه أن يتم لهم نورهم - مع تمامه - إقرارا منهم بأنه تعالى ذو الفضل العظيم، ويختمون بدعائهم بإقرارهم له تعالى بأنه القادر على كل شىء، ومنه التفضل عليهم بما يشاء فوق ما وعدهم .

■■■■

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ
ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾

التفســـــير:

أمر تعالى رسوله ﷺ - فى الآية - أن يجاهد الكفار والمنافقين وأن يغلظ عليهم، والمعنى أن يجاهـد ﷺ الكفار بالحجة وبـالسيف والقتال، وأن يجـاهد المنافقين بـأن يفضحهم وأن يغلظ لهم فى القول، وأن يقيم عليهم الحدود فيمـا يقرفون من جرائم الحدود، وأن يغلظ على هؤلاء وهؤلاء بأن يتشدد فى دين الله ولا يرفق بهم، ثـم أعلمه تعالى أن مصيرهم فى الآخرة هو جهنم تكون لهم المأوى، ثم ذمها تعالى ببيان أن بئس المصير هو مصير جهنم .

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ
عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ
شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا
لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ
وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ
ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾

التفسير:

لما كان تعالى قد بين لحفصة وعائشة رضى الله عنهما أنهما قد مالت قلوبهما عما توجَّب عليهما نحو رسول الله ﷺ، وحثهما على التوبة عن العودة لفعل ما كان منهما من تظاهر عليه ﷺ، فإنه تعالى فى الآيات بين أنه لاتنفع رابطة زوجية ولا علاقة نسب ودم فى رفع العذاب عن عاص أو عاصية. فإنه تعالى ضرب الأمثال الدالة على هذا وعلى عكسه ـ وهو صحيح ـ بما جاء فى الآيات. فذكر تعالى أنه ضرب مثلا للذين كفروا وعصوا بامرأة نوح وامرأة لوط عليهما السلام، قيل إن اسم الأولى هو والهة واسم الأخرى والعة. ذكر تعالى أن كلا منهما كانت تحت عبد من عباده الصالحين، إذ كانت كل منهما زوجا لنبى، ثم بين تعالى أن كلا منهما قد خانت زوجها، بمعنى أنها خانته فى الدين، إذ كانت كافرة أو منافقة، أو إنها كانت تشى بأمره إلى الكفار. ثم ذكر تعالى أن زوج كل منهما لم يغن عنها شيئا من العذاب، بمعنى أن صلتها به كزوج لم تمنع عنها عذاب الله ولم تخفف منه عنها شيئا .

ثم إنه تعالى ذكر أنه يضرب مثلا للذين آمنوا بأمر امرأة فرعون قيل إن اسمها هو آسية بنت مزاحم. وبمريم بنت عمران، والمراد بذكر أمر كل منهما هو الترغيب فى التمسك بالدين والثبات عليه وبالطاعة بدأ تعالى بذكر ما كان من أمر امرأة فرعون وهو توجهها إلى الله بقولها «رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة» قيل إنها توجهت إلى الله بهذا القول حين كان فرعون يعذبها بالشمس جزاء على إيمانها برب موسى وهارون، وأنها سألته تعالى أن ينجيها من فرعون ومن عمله الكافر أو من العمل بالكفر، وأن ينجيها من قومه الظالمين الذين ظلموا الله بعبادة فرعون وظلموا أنفسهم بكفرهم . وقيل إنه تعالى استجاب لسؤالها فأطلعها على مكانها من الجنة، وقيل إنه تعالى أراها بيتها فى الجنة .

ثم ثنَّى تعالى بذكر أمر مريم ابنة عمران، ذكر تعالى من أمرها أنها صانت فرجها عن الفواحش أو صانت جيبها الذى نفخ فيه تعالى من روحه عن الفاحشة، فكان منه تعالى أن نفخ فى جيبها، بمعنى أن جبريل عليه السلام نفخ فى جيبها بأمر الله، فيكون المراد بالروح فى قوله تعالى «من روحنا» هو جبريل عليه السلام ويتصور فى القول أن يكون المراد بالروح فى

القول هو عيسى ابن مريم، لقوله تعالى فيه إنه روح منه.

ثم ذكر تعالى في مريم ابنة عمران أنها صدقت بكلمات ربها وكتبه، بمعنى أنها صدقت بما أنزل من قبل من الصحف على الأنبياء والرسل، منهم إدريس عليه السلام وإبراهيم وموسى وداود، وما أنزل من الكتب، والمراد هو التوراة كتاب الله الذى أنزل على موسى عليه السلام. كما بين تعالى أنها كانت من القانتين، بمعنى أنها كانت معدودة في عداد المواظبين على الطاعة. فيكون القول حثا على التمثل بامرأة فرعون وبمريم ابنة عمران.

■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المُلك

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ① ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ②

التفسير:

قوله تعالى - في مفتتح السورة - «تبارك الذى بيده الملك» مفاده - على المعنى اللفظى - أنه تزايدت وتنامت خيراته تعالى المالك كل شيء. ولما كان تعالى منزّه عن النقص مما لا يكون معه متصورا أن ترد زيادة أو تطرأ على شيء يملكه، فإن المعنى المراد يكون هو تزايد

وتنامى الخير الذى يفيض منه تعالى على من يشاء من عباده من الملك الداخل جميعه فى ملكه. ثم أثبت تعالى أنه على كل شىء قدير تدليلا على قدرته تعالى أن يفيض على من يشاء بما يشاء من ملكه الذى لا ينفد .

ثم وصف تعالى ذاته ، أو أخبر عنها بأنه الذى خلق الموت والحياة، بمعنى أنه تعالى خلق الخلق للموت فى الدنيا وللحياة فى الآخرة، ثم بين تعالى أنه خلق الموت والحياة ليعامل الناس معاملة المختبَرين الممتحَنين، ليبين ـ بمعنى لقيام الحجة ـ من كان عمله أصوب الأعمال وأخلصه، ثم ليكون منه تعالى الجزاء على ما تقوم عليه الحجة، ومنه إثابة من حسن عمله.

ثم جاء قوله تعالى «وهو العزيز الغفور» مبينا أنه الغالب القادر على تعذيب من ساء عمله، والذى يملك أن يغفر لمن تاب ممن ساء عمله أو بغير توبة .

ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَٰوَٰتٍ طِبَاقًا ۖ مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ ۖ فَٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ هَلْ تَرَىٰ مِن فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنقَلِبْ إِلَيْكَ ٱلْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **الطباق** : فى قوله تعالى «الذى خلق سبع سماوات طباقا» هو «التطبيق» بمعنى تطبيق الشىء تطبيقا، وهو المطابقة تكون بمطابقة الشىء على الشىء .

٢ ـ **التفاوت** : فى قوله تعالى «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت» هو التباين والتباعد، والتناقض.

٣ ـ **الفطور** : فى قوله تعالى «هل ترى من فطور» هو الخلل، وهو الشقوق .

٤ ـ الحسير: فى قوله تعالى «يرتد إليك البصر خاسئا وهو حسير» هو الذى بلغ الغاية فى الإعياء والتعب.

ثانيا: التفســــــير:

وصف تعالى ذاته «العزيز الغفور» بأنه الذى خلق سبع سماوات طباقا، ويتصور أن يكون «طباقا» نعتا للسبع فيكون المعنى أن بعضها فوق بعض فى اتصال، ويتصور أن يكون مفعولا مطلقا فيكون المعنى أنها طوبقت طباقا. ثم إن القول قد يكون مشيرا إلى الحقيقة العلمية أن طبقات الغلاف الجوى أربع هى: الطبقة السطحية (التروبوسفير) التى تحدث فيها التقلبات الجوية، والطبقة ذات الطبقات (الستراتوسفير) التى ترتفع درجة الحرارة فى بدايتها إلى ٢٠ درجة مئوية، ثم تنخفض إلى ١٤٠ درجة مئوية تحت الصفر فيما علا ذلك، والطبقة الحرارية (الترموسفير أو الأيونوسفير) التى ترتفع فيها الحرارة إلى حوالى ٦٠٠ درجة مئوية لاحتوائها على بحر من الأيونات (الذرات المشحونة كهربيا) الموجبة والسالبة تسمى «البلازما»، والمحيط الخارجى (الأكسوسفير) الذى يمتد حتى نهاية الغلاف الجوى، كما يكون مشيرا إلى أن تطابق السماوات يفيد وجود تماثل بينها فى أن كل سماء منها تتعدد طبقاتها لتوافق ما فيها من خلق الله.

وقوله تعالى «ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت» قيل إنه صفة أخرى لسبع سماوات، ومعناه أنه لما كان تعالى قد خلقهن بقدرته، فإن الناظر إلى السماء لا يرى فيها اختلافا أو عدم تناسب أو عيوبا. ونرى ـ والله أعلم ـ أن المراد بخلق الرحمن هو جميع ما خلق.

ثم أمر تعالى كل من تتأتى منه الرؤية أن يعيد النظر إلى السماء «فارجع البصر»، ثم بين أن إعادة النظر إلى السماء ـ بحثا عن وجود عيب فيها أو عدم تناسب ـ مؤداه عدم اكتشاف عيب فيها أو عدم تناسب «هل ترى من فطور» إذ يفيد الاستفهام معنى الإنكار.

وبعد هذا أمر تعالى بإعادة النظر مع التدبر إلى السماء مرتين أخريين للتأكد مما إذا كان فيها خلل أو عدم تناسب أم لا، وأثبت أن نتيجة هذا أنه لا يكتشف النظر أو البصر خللا مَّا فى بناء السماوات، فيعود البصر إلى الناظر مجهدا من طول المعاودة وكثرة المراجعة. ونرى ـ والله

أعلم ـ أن المراد بمعاودة النظر هو إعادة النظر بالوسائل العلمية التى يتأتى للإنسان الوصول إليها، وهو ما تحقق بواسطة سفن الفضاء التى وصلت القمر، ذلك أن ما كان يحيط به البصر من أمر السماء عند النظر إليها هو رؤية السماء الزرقاء، وما يبدو وراءها من قمر وكواكب ونجوم بالليل وشمس بالنهار، وفيه دليل على عظم نظام الكون وإحكامه وإبداعه وانعدام الخلل فيه، فلما خرج رواد الفضاء إلى الطبقات العليا ونظروا السماء تبين لهم أنه بتجاوز السماء الزرقاء وبتجاوز الغلاف الجوى، تتحول السماء الزرقاء إلى اللون الفيروزى ثم الأزرق الغامق ثم البنفسجى ثم الأسود الحالك رغم طلوع الشمس؛ ولهذا فإن إلقاء النظر يرتد إلى الناظر حسيرا لأنه لا يرى شيئا فى هذا الظلام .

وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ
ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ
عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ ۖ وَبِئْسَ
ٱلْمَصِيرُ ﴿٦﴾ إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ
مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾
قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ
إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ
ٱلسَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿١١﴾

أولا : الأسـماء :

السُّحق : فى قوله تعالى «فسحقا لأصحاب السعير» المراد به ـ فى معنى القول ـ هو

البعد من رحمة الله .

ثانيا : التفسـيـر:

بعد أن ذكر تعالى بديع صنعه في السماوات، فإنه تعالى انتقل من هذا إلى بيان تعذيبه بالسماء العصاة عن أمره من الجن، ثم انتقل من هذا - لعلاقة السببية - إلى بيان تعذيبه العصاة جميعا من الجن والإنس :

بدأ تعالى بذكره أنه زين السماء القريبة من أهل الأرض وأحسن منظرها وشكلها بالكواكب والنجوم - شبهها بالمصابيح وهي الأسرجة لأنها تضيء مثلها، كما بين أنه جعل من الكواكب والنجوم رجوما للشياطين، إذ المعلوم أن الكواكب نشأت من الانفصال عن الشموس - وهي النجوم - وأن الشهب هي من مادة الكواكب المنفصلة عنها، وأنه تعالى القائل «إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب» فالرجم إنما يكون بالشهاب وليس بالكوكب، والمرجومون هم شياطين الجن الذين عصوا عن أمر ربهم فاسترقوا السمع، ثم بين تعالى أنه أعد لهؤلاء الشياطين في الآخرة عذاب السعير، وهي النار المسعرة .

ثم انتقل تعالى بالقول إلى كفار الإنس، وصفهم بأنهم الذين كفروا بربهم، وأخبر عنهم أنه أعد لهم عذاب جهنم، ووصف مصيرهم فيها بأنه بئس المصير. ثم وصف ما يكون معهم في تعذيبهم فيها وما يكون منهم، فذكر أنهم حين يطرحون فيها يسمعون لها صوتا يشبه الشهيق أو يشبه صوت شهيق الحمار - على ما ذكر - يكون لها وهي تغلي فينفصل بعضها عن بعض، ثم بين تعالى أن حالها وهي تفور يكون الغليان الذي أثاره شدة غضبها على أهلها، ثم أتبع تعالى هذا بوصف ما يكون مع الملقوْن فيها، فذكر أنه كلما أُلقي فيها فوج من أهلها الكافرين سألهم مالك وأعوانه خزنة جهنم مقرعين موبخين عما إذا كان قد جاءهم رسول أنذرهم عذاب ربهم بما تلي عليهم من آيات أم لا، فتكون إجابتهم إقرارا واعترافا على أنفسهم أنه تعالى قد بعث فيهم الرسل المنذرين، وأنهم كذبوهم وأنكروهم أنبياء مرسلين بقولهم إن الله لم ينزل على أحد من خلقه شيئا من الأشياء ومن هذا آياته تعالى، وأنهم اتهموا رسلهم بأنهم في ادعائهم أنهم رسل قد جاوزوا الحق وغاصوا في الضلال الكبير .

ثم بين تعالى أن الكافرين يتحسرون على ما كان منهم فى الدنيا مع رسلهم بذكره أنهم يقرون على أنفسهم أنهم لم يكونوا ممن يستمعون القول فينصتون ويتدبرون معملين عقولهم «وقالوا لو كنا نسمع أو نعقل ما كنا في أصحاب السعير»، وأنهم يتحسرون على ما فرطوا فى حق أنفسهم بقولهم إنهم لو كانوا قد أحسنوا السمع والتدبر لما كانوا من أصحاب السعير المعذبين فيها. وعقب تعالى على قولهم هذا ببيان أنه يكون منهم الاعتراف بأن ما كان منهم من جحد الرسل هو ذنب يستوجب العقاب، وبأنهم مذنبون، ثم إنه تعالى يدعو عليهم بالبعد من رحمته ومن نتيجته أنهم يكونون أصحاب السعير.

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٞ كَبِيرٞ ﴿١٢﴾

التفسير:

بعد أن ذكر تعالى مصير الكافرين فى الآخرة، فإنه ذكر ما يكون للمؤمنين المتقين الذين يخشون ربهم بالغيب وهم العلماء لقوله تعالى «إنما يخشى الله من عباده العلماءُ» من صفاتهم أنهم يخشون عذاب يوم القيامة ـ وهى من الغيب ـ فتكون منهم التقوى. ومصيرهم هو المستفاد من أنه تعالى يغفر لهم ذنوبهم فلا يعذبهم بها، وأنه يثيبهم الأجر الكبير، وهو تنعيمهم فى الجنة .

وَأَسِرُّواْ قَوۡلَكُمۡ أَوِ ٱجۡهَرُواْ بِهِۦٓۖ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿١٣﴾ أَلَا يَعۡلَمُ مَنۡ خَلَقَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ ﴿١٤﴾

التفسير:

يتصور أن يكون الخطاب فى قوله تعالى «وأسرُّوا قولكم أو اجهروا به» للكافرين الذين

كانوا يقولون فى رسول الله ﷺ غير الحق، فيكون تعالى قد أعلمهم أنه يعلم ما يسر به بعضهم إلى بعض، أو يخفونه فى صدورهم كما يعلم ما يجهرون به، وذلك لعلمه بما تنطوى عليه الصدور، فيكون علمه بالجهر منه مستفادا من باب أولى، ويكون المعنى أنه تعالى مُعلمٌ رسوله ﷺ به وأنه معذبهم به. ويتصور أن يكون الخطاب لجميع المكلفين، يكون مرتبطا بقوله تعالى فى الآية الثانية من السورة «ليبولكم أيكم أحسن عملا» فيكون الابتلاء قد أظهر الكافرين كما أظهر الذين هم أحسن عملا الذين يخشون الله بالغيب، فيكون مفاد القول أنه سواء أسر المكلفون قولهم المنبيء عن عقيدتهم أم جهروا به، فإنه تعالى يعلمه ويعلم الكافر منهم من المؤمن الذى يخشى ربه بالغيب، وذلك بحكم علمه بما هو كامن فى صدور خلقه.

ثم بين تعالى حتمية علمه بما يسر العبد وما يخفيه بقوله «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير» تضمن إنكارا ونفيا لعدم العلم، وإثباتا له بحكم أنه الخالق الذى يعلم من خلق، لطف بعباده فلم يكلفهم بما هو فوق الطاقة، وأرسل إليهم الرسل، وأمهلهم فلم يعجل عذابهم لعلهم يؤمنون، وعلم أحوالهم فأعطاهم من الآيات ما يفترض معه أن يؤمنوا ويتقوا، فإن كان من المكلفين الكفر بعد هذا فإنهم يكونون مستحقيه بإغضابهم من كان بهم لطيفا وبأحوالهم خبيرا.

هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟
فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴿١٥﴾ ءَأَمِنتُم مَّن فِى
ٱلسَّمَآءِ أَن يَخْسِفَ بِكُمُ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا هِىَ تَمُورُ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنتُم مَّن فِى
ٱلسَّمَآءِ أَن يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرِ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ
كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾

أولا: الأســــماء:

المناكب: فى قولـه تعالى «فامشوا فى منـاكبها» جمع، مفرده «المنكب» هـو مجمع عظم العضد والكتف. والمراد بها ـ فى معنى الآية ـ هو الجبال، وقيل الطرق والفجاج.

ثانيا: التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى ذكر بعض آيـاته فى الخلق الدالة على قدرته بما يوجب الإيمان به وتوحيده، وفى بيان استحقاق الكافرين بـه تعالى من بعد بيان آيات عذابه، وتهديد الذين يصرون على الكفر.

خاطب تعالى المكلفين من البشر فأخبر عن ذاته أنه الذى جعل لهم الأرض ذلولا، بمعنى أنها مذللة لهم بأمره ليعيشوا عليها، فهو الذى بـرد قشرتها من بعد أن كانت ملتهبة، وهو الذى بسطها وسواهـا ليتمكنوا من السير فيها؛ ولهـذا جاء أمره تعالـى المرتبط بهذا هو بـالمشى فى مناكبها فإذا كـان المراد بالمناكب هو الجبـال، فهو تعالى الذى جعل فيهـا سبلا للسير، وهو الذى علـم الإنسان كيف يـرتادها وكيف يجعـل فيها الأنفاق و إن كـان المراد بها هـو السبل والفجاج، فهو تعالى الـذى أوجدها. كما جاء أمره تعالى بالأكـل من رزقه الذى ذلل الأرض لتخرجه أو لتخرج منه ما يعيش عليه الحيوان الذى يأكله الإنسان، ثم أعقب تعالى هذا بذكره أنه إليـه تعالى يكون النشـور وهو المرجـع بعد البعث، ليعلـم الناس أن هذه النعم تستـوجب شكره الذى يكون بتوحيده وعبادته وطاعته، وأنه تعالى محاسبهم بهذا بالثواب وبالعقاب.

ثم إنه لما كان عذاب الآخرة مؤخرا لايخافه الكـافرون، فإنه تعالى هدد الكافرين بعذاب الدنيا يكون ممن هو فى السماء على ما كانـوا يقولون به من أن الله تعالى فى السماء ـ أو يكون من الله خالق من فى السماء، فيكون مفهومـا أنه خالق من فى الأرض أيضا، لأن خلق السماء أجل وأعظم مـن خلق الأرض. وفى القول جـاء التهديد بأن يكـون الانتقام من الكافـرين فى الدنيا بخسف الأرض بهم بمعنى أن تهبط بهم إلـى أسفل وهى تهتز أشد الاهتزاز، فالاستفهام فى قوله تعالـى «أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض» هو لإنكـار الاطمئنان إلى أنه تعالى لايكون منـه خسف الأرض بهم جزاء على كفرهـم. كما تهددهم تعالى بـإرسال الريح

الحصباء عليهم ترميهم بحجارة من السماء تفنيهم وتهلكهم، فيكون منهم العلم بصدق ما أنذرهم به وقدرته على إلحاق ما أنذرهم به بهم. وقد جاء التعبير عن إنكار الاطمئنان إلى أنه تعالى لايرسل عليهم الريح الحاصب فى صيغة الاستفهام الإنكارى أيضا بقوله تعالى «أم أمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا»، وفى القول جاءت «أم» لبيان أنه وقد بان فساد السبب الأول الذى ينتج عنه الاطمئنان، فإنه لم يبق إلا سبب آخر هو الذى أظهر تعالى بالقول فساده.

ثم إن تهديده تعالى الكافرين بالعذاب يكمل ببيان أن ممّن قبل كفار زمانه ﷺ من كذب الرسل مثلهم وأنه تعالى أنزل بهم عذابا نكرا «ولقد كذب الذين من قبلهم، فكيف كان نكير» تضمن القول تقريرا وهو أن من السابقين من كذب الرسل، وإخبارا عن تعذيبهم بطريق الاستفهام الدال على وقوع العذاب بهم وتهويل شأنه تدليلا على فظاعته.

أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ
فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ ۚ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا الرَّحْمَٰنُ ۚ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ
بَصِيرٌ ﴿١٩﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ الرَّحْمَٰنِ ۚ
إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ ﴿٢٠﴾ أَمَّنْ هَٰذَا الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ
رِزْقَهُ ۚ بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبًّا عَلَىٰ وَجْهِهِ
أَهْدَىٰ أَمَّن يَمْشِي سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسـماء والأعلام:

المكب على وجهه : فى قوله تعالى «أفمن يمشى مكبا على وجهه» هو الساقط على

قُلْ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُمْ
وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ ۖ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ
هُوَ ٱلَّذِى ذَرَأَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا
ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سِيٓـَٔتْ وُجُوهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَقِيلَ هَٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تَدَّعُونَ ﴿٢٧﴾

أولا: الأسماء :

الزلفة : فى قوله تعالى «فلما رأوه زلفة» هى القرب .

ثانيا : التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول للكافرين إنه هو الله الذى أوجدهم من العدم والذى أنعم عليهم بالسمع والأبصار والقلوب لم يشكروا الله عليها باستعمال السمع فى سماع آياته المنزلة، والبصر فى النظر فى آياته تعالى فى الخلق، والقلوب فى التدبر والتفكر. فيكون معنى «قليلا ما تشكرون» هو نفى الشكر على الإطلاق. وقيل إنه ﷺ يقول القول للمؤمنين والكافرين، فيكون معنى «قليلا ما تشكرون» هو أن الشاكرين قليل، أو أن شكر الفريقين معا قليل لأنه شكر المؤمنين وحدهم .

كما أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لهم إنه هو الله الذى خلقهم وبثهم فى الأرض وكثرهم، والذى إليه يحشرون فى الآخرة . ثم بين تعالى أنه حين يقول لهم رسول الله ﷺ هذا يكون

منهم ابداء إنكارهم ما يسمعون بشأن الحشر بقولهم للمؤمنين المصدقين به والقائلين «متى هذا الوعد إن كنتم صادقين» يستعجلون حدوثه تعجيزا للمؤمنين وتدليلا منهم على عدم صدقهم، بتحديهم أن يثبتوا صدقهم بتحقيقه؛ ولهذا أمر تعالى رسوله ﷺ أن يبين لهم أنه لا يعلم موعده وأن العلم بوقت الحشر عند الله وحده لايطلع عليه أحدا من خلقه، وأنه ليس سوى منذر به موضح مأمور بهذا من ربه، فيكون المنذر به حقا.

ثم إنه تعالى يتحدث عن يوم الحشر وعذابه بصيغة الماضى كأنه قد حدث فعلا، بإنزاله منزلة الواقع لبيان حتمية وقوعه فيقول تعالى إنهم لما رأوا عذاب يوم القيامة قريبا سيئت وجوه الذين كفروا، غشيتها كآبة ورهقها القتر والذلة، وأنه قيل لهم منه تعالى أو من الملائكة - توبيخا لهم - إن هذا هو ما كنتم تطلبونه وتستعجلونه فى حياتكم الدنيا، أو هذا الذى كنتم تدعون أنه لا يكون .

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِىَ ٱللَّهُ وَمَن مَّعِىَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَن يُجِيرُ ٱلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ۖ فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَآؤُكُمْ غَوْرًا فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍۭ ﴿٣٠﴾

التفسـير:

الآيات هى فى بيان أنه لا ملجأ إلا إلى الله، وفى حث الكافرين على الإقرار بهذه الحقيقة التى قد تكون مدخلا لإيمانهم. أمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لكفار مكة الذين تمنوا موته «أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون» يقول لهم «أرأيتم إن مت أنا ومن معى من المؤمنين - ونحن هداتكم - ما يكون عليه مصيركم إذ تموتون كافرين فتعذبون بكفركم، أو رحمنا بنصرنا

عليكم، فتعذبون بأيدينا في الدنيا وتعذبـون في الآخرة بكفركم، هل يكون لكم أيها الكافرون من يجيركم من العذاب الأليم في الآخرة .

كما أمره تعالى أن يقـول لهم في الله إنه الرحمن آمنوا به وعليه توكلـوا، فهو تعالى إن مات رسول الله ﷺ والمؤمنون ـ كما تمنى الكافرون ـ فـإنه يرحمهم فيدخلهم جنـاته، و إن أحياهم نصرهم على الكفار لتوكلهم عليه وحده، وفي الحـالين فإن الخير يكون للمؤمنين، ولهذا كان قوله ﷺ للكافرين بأمر ربه «فستعلمون مـن هو في ضلال مبين» والمعنى أنهم سيعرفون ـ إذا ما أصـروا على كفـرهم ـ من عـذاب الآخرة إذا مـات المؤمنـون على مـا تمنوا، أو مـن نصر المؤمنين عليهم في الدنيا، ومن عذابهم في الآخرة، أنهم كانوا في ضلال واضح بين. والقول ـ على هذا النحو ـ فيه حث للكافرين على الإيمان بطريق التهديد .

ثم أمره تعـالى أن يستخبر من الكافـرين عمن يأتيهـم بماء جار سهل المأخـذ، إذا ما قدر تعالى أن يذهب ماؤهم في الأرض ويغور، يكـون ذلك منه ﷺ لإلزامهم أن يقولوا كلمة الحق بإقرارهم أنه الله، لعله يكون في إقرارهم هذا مبدأ إيمانهم .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

ســـورة القلم

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ
لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾

أولا : الأسـماء :

١ ــ نّ : قيل هـو اسم لحوت عليـه الأرض، وقيل هو اسـم للدواة، وقيـل هو لوح مـن نور. والراجح أنه اسم حرف، وأنـه من المتشابه، بدلالة أنه لم يكتب كما يتلفـظ به، وأنه لم يعرف منونا.

٢ ـ القلم : قيل هو ما خط فـى اللوح المحفوظ ما هو كائن إلى يوم القيـامة، وقيل هو قلم الملائكة الكرام الكاتبين، وقيل هو جنس القلم أقسم تعالى به لكثرة منافعه .

ثانيا : التفسـير :

افتتحت السورة باسم الحـرف «ن» والراجح أنه من المتشابه. ثم أقسم تعـالى بالقلم فإن كان هـو ما خط فـى اللوح المحفوظ فـإنه يكـون مستحقا الإعظام بـالقسم به، وإن كـان قلم الملائكة الكاتبين، فـإنه يكون مستحقا أن يقسم به، وإن كان ما فى أيـدى الناس فإنه يكون مستحقا الإعظـام لأنه آلة تحـرير كتاب الله، كمـا أقسم تعالـى بما يسطرون، يتصور أن يكون المراد هو قلم اللوح، عبر عنه بضمير الجمع تعظيما له، ويتصور أن يكون جنس القلم عبر عنه بضمير الجمـع لتعدده، وبضميـر العقلاء لقيـامه مقامهـم، ويتصور أن يكـون السـاطـرون هم الملائكة الكاتبون.

وجواب القسم هو «ما أنت بنعمة ربك بمجنون» خوطب به رسول الله ﷺ والقول نفى قول المشركين فيه ﷺ إنه مجنون وتكذيبا له.

ويتصور فى قولـه تعالى «بنعمة ربك» أن يكون قسما بنعمة ربـه، ويتصور أن يكون إخبارا عن نعمة ربه ﷺ بالرحمة، أو بالنبوة وحصافة الرأى.

وجواب القسم أيضا أنه ﷺ له أجر عند ربه ثـواب عظيم غير مقطوع أو غير ممنون عليه به، وأنه ﷺ على خلق عظيم، إذ كان خلقه ﷺ القرآن، فكـان خلقه هو الدين ودينه ﷺ هو الذى ارتضى تعالى لعباده ، فهو الدين العظيم .

■■■■■

فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ﴿٥﴾ بِأَييِّكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ﴿٦﴾ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾

أولا : الأسـماء :

المفتون : اسم مفعول من «فتن ـ يفتن» والمراد به ـ فى معنى القول ـ هو المجنون، وقيل هو المعذب .

ثانيا : التفسـير:

الخطاب ـ فى الآيات ـ إلى رسول الله ﷺ، والقول هو بمناسبة قول المشركين فيه إنه مجنون، فيقول تعالى إنه ﷺ والمؤمنين فريقا، والمشركين فريقا آخر سيعلمون يوم القيامة ـ حين يتبين الحق من الباطل ـ بأى الفريقين كان الجنون أو كانت فتنة المفتون. ثم ذكر تعالى ما هو معلوم من أنه تعالى هو الأعلم بمن ضل عن سبيله المستقيم وبمن اهتدى إلى الطريق المستقيم فكان من المهتدين، والمراد بذكر هذا هو بيان أنه تعالى مثيب فريق المؤمنين ومعذب فريق المشركين .

فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ ﴿١٠﴾ هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ عُتُلِّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ ﴿١٣﴾ أَن كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٥﴾ سَنَسِمُهُۥ عَلَى ٱلْخُرْطُومِ ﴿١٦﴾

أولا : الأســــماء والأعلام :

١ ـ الهمــاز : فى قـوله تعـالى «همـاز مشاء بنميم» هـو العياب فـى الناس، الطعـان فى أعراضهم وشرفهم .

٢ ـ العتـل : فى قوله تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» هـو الشديد الخصومة بالباطل، وقيل هو الفاحش اللئيم. قيل هو أبو جهل، وقيل الوليد بن المغيرة، وقيل هو الأسود بن عبد يغوث.

٣ ـ الزنيـم : قيل هو ولد الزنى، وقيل هو من ألحق نسبه بمن هو ليس منه .

٤ ـ الخرطوم : المراد به ـ فى معنى القول ـ هـو الأنف، والأصل فيه أنه يطلـق على أنف الفيل وأنف الخنزير.

ثانيا : التفســـــير :

بعد أن بيـن تعالى لـرسوله ﷺ أنـه والمؤمنين علـى هدى من ربهـم وأن الكافريـن على ضلال من أمـرهم، فإنه جاء نهيه تعـالى رسوله ﷺ عن إطـاعة الكافرين فيما يطلبـونه منه أو يعرضونه عليه بمثابة النتيجة المترتبة على ما بين المؤمنين وبينهم من الفروق .

ثـم أورد تعالـى علة هـذا النهـى بقولـه «ودوا لو تـدهن فيدهنـون» بمعنى أن الكـافريـن المكذبين بالـدين قد رغبوا أن يتهاون رسول الله ﷺ ولا يتشـدد فى أمر الدين الذى يـدعو إليه، وأن يصانعهم، أو أن يمالئهم ويجاملهم، فيكون منهم معه ـ ترتيبا على هذا ـ معاملته بالمثل ـ يصانعونه ويمـالئونه ولا يشتدون فى عداوته فـى الدين. ثم إنه لما كان مـن عرض على رسول الله ﷺ أن يدهـن بأن لا يشتد فـى أمر الـدين ـ كـأن يتركهم يعبـدون آلهتهم ولا يتعـرض لها ـ مقابـل إعطائه مالا على ذلـك قد حلف له علـى هذا كما اعتاد أن يحلـف كثيرا، فإنه تعـالى أشار إلـى فاعل هذا ونهـى رسوله ﷺ عن قبـول عرضه، عبـر عنه تعالى بـأنه يكون طاعـة له، لاستثارة حمية رسوله على عدم قبول عرضه، كمـا وصفه تعالى بأنه مهين الرأى حقيره بمعنى أنه عرف عنه الكذب فيما يقول. ثم ذكر تعالى مـن معايبه أنه طعان فى الناس بلسانه غياب، يمشى بين الناس بالنميمة ليفسد ما بينهم، وأنه منـاع للخير عموما، يمنع الناس عن الدخول

فى الإسلام ـ وفيه خيرهم لأنه جماع الخير ـ ويمسك عن التصدق على الفقراء، يعتدى على عباد الله بالظلم ويكثر من مقارفة الإثم. ثم قال فيه تعالى «عتل بعد ذلك زنيم» بمعنى أنه ـ بعد كل ما قيل فيه ووصف به آنفا ـ هو إنسان شديد الخصومة بالباطل، دعى منسوب إلى قبيلة عربية ليس فى الأصل منها، ولهذا قيل إنه الوليد بن المغيرة الذى كان دعيا فى قريش، ادعاه أبوه بعد ثمانى عشرة سنة من مولده. وقيل إن المعنى أنه ابن الزنى خبثت نطفته فخبث الناشىء منها . ثم بين تعالى أن من عرض على رسول الله المداهنة قد فعل هذا متقويا بما لديه من المال والبنين، وأنه كافر بالحق يقول فى آيات القرآن العظيم إذا ما تليت عليه إنها أساطير الأولين، والواضح أن المراد من ذكر هاتين الصفتين الأخيرتين هو استثارة همة رسول الله ﷺ على معاداته وليس فقط على عدم الاستجابة له؛ ولهذا فإنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه لن يؤمن وأنه معذب فى الآخرة أشد العذاب بذكره تعالى أنه سيضع له يوم القيامة علامة يعرف بها أنه كافر، وذلك لأنه تعالى نهى عن تولى الكافرين وموالاتهم .

إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ
إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَثْنُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا
طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ ﴿٢٠﴾ فَتَنَادَوْا۟
مُصْبِحِينَ ﴿٢١﴾ أَنِ ٱغْدُوا۟ عَلَىٰ حَرْثِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَٱنطَلَقُوا۟
وَهُمْ يَتَخَٰفَتُونَ ﴿٢٣﴾ أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ ﴿٢٤﴾
وَغَدَوْا۟ عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ ﴿٢٥﴾ فَلَمَّا رَأَوْهَا قَالُوٓا۟ إِنَّا لَضَآلُّونَ ﴿٢٦﴾ بَلْ نَحْنُ
مَحْرُومُونَ ﴿٢٧﴾ قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا۟
سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَلَٰوَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ رَبُّنَآ أَن
يُبْدِلَنَا خَيْرًا مِّنْهَآ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا رَٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ كَذَٰلِكَ ٱلْعَذَابُ ۖ
وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **أصحاب الجنة** : المراد بهم ـ فى معنى القول ـ ملاك بستان كبير قيل إنه كان بأرض اليمن، وقيل كانت بالحبشة، وقيل كانت بفلسطين بعد أن دخلها بنو إسرائيل، ورثوها عن أبيهم، كان رجلا صالحا يخرج من ثمارها حصة الفقراء والمساكين، فلما مات أنكروافعل أبيهم فى ثمارها واتفقوا على ألا يخرجوا منها حصة الفقراء والمساكين فعاقبهم الله على هذا بإهلاكها و إفناء ثمارها .

٢ ـ **الطائف** : فى قوله تعالى «فطاف عليها طائف من ربك» هو من يحيط بالشيء أو ما يحيط به قيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو العذاب، وقيل هو جبريل عليه السلام .

٣ ـ **الصريم** : هو الليل المظلم، وهو البستان الذى صرمت ثماره فلم يبق فيها شيء.

٤ ـ **الصارمون** : فى قوله تعالى «إن كنتم صارمين» جمع، مفرده «الصارم» وهو من قصد الصرم ـ بمعنى قطع الثمار ـ وهو العازم على أمر والمصر .

٥ ـ **الحرد** : فى قوله تعالى «وغدوا على حرد قادرين» هو المنع .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن بين تعالى أن عتاة مشركى مكة قد تقووا بأموالهم وبنيهم، فإنه تعالى بين فى الآيات أنه قادر فى الدنيا على الذهاب بأموالهم وأنه يعذبهم فى الآخرة بكفرهم، وتقريبا للمعنى فإنه تعالى ذكر ـ تمثيلا لهم ـ قصة أصحاب الجنة التى كانت معروفة لهم.

قال تعالى إنه أصاب أهل مكة ببلية هى القحط كما أصاب أهل الجنة المعروفة ذات البساتين الواسعة ـ من قبل ـ ببلية إهلاكها وثمارها. وهم أبناء رجل صالح كان يخرج من ثمرها حصة الفقراء والمساكين، فلما ورثوها عنه بموته اتفقوا على ألا يخرجوا من ثمرها شيئا لفقير أو مسكين فأهلكها الله .

بين تعالى ـ فى رواية قصتهم ـ أنهم أقسموا فيما بينهم على أن يقطعوا إذا ما دخلوا فى الصباح ما نضج من ثمارها، وألا يستثنوا، بمعنى أنهم لا يستثنون مما يأخذونه لأنفسهم حصة

الفقراء والمساكين فيها، أو بمعنى أنهم لايقولون «إن شاء الله». ثم ذكر تعالى أنه طاف بالجنة وأحاط بها ليلا عذاب منه تعالى أثناء نوم أصحابها، قيل إنه جبريل عليه السلام أحاط بها منزلا عذاب ربه ، فكان من أثر هذا أنها أصبحت مثل أى بستان لم يبق من ثماره شيء فيه، أو مثل الليل سوداء، أو مثل الرملة التى لاتنبت شيئا من الزرع. ثم ذكر تعالى أنهم حين أصبح بهم الصباح نادى بعضهم على بعض بالخروج غدوا إلى جنتهم أو بساتينهم مادموا قد قصدوا حصد ثمارها، أو ماداموا مستمرين على عزمهم فعل ما اتفقوا عليه. ثم أثبت تعالى أنهم توجهوا إلى بساتينهم وهم يتحدثون بصوت خفى فيما عزموا عليه من عدم إدخال فقير أو مسكين بساتينهم لنيل حق الله فى ثمارها، أو ما اعتاد أن يخرجه له أبوهم. ثم ذكر تعالى أنهم غدوا على منع المساكين من دخول بساتينهم قادرين «وغدوا على حرد قادرين».

ثم جاء قوله تعالى «فلما رأوها قالوا إنا لضالون» مبينا أنهم رأوا حالة البساتين بعد أن طاف عليها طائف من ربك، ومصرحا بأنهم ما أن وقع بصرهم عليها وتبينوا ما أصابها حتى قالوا «إنا لضالون» والمعنى أنهم اعترفوا أنهم ضلوا عن الحق إذ قرروا حرمان المساكين حقهم فى ثمار جنتهم، ثم إنهم أضربوا عن هذا القول وعدلوا عنه إلى قولهم «بل نحن محرومون»، بمعنى أنهم حرموا ثمار جنتهم بما جنوا على أنفسهم .

ثم ذكر تعالى أنه كان من أوسطهم ـ الذى قد يكون أرجحهم عقلا، وقد يكون أوسطهم سنا ـ أنه لامهم لعدم الأخذ برأيه إذ قال لهم «لولا تسبحون» بمعنى أنه طلب منهم تذكر الله والتوبة إليه من نيتهم الخبيثة، كما ذكر تعالى أن باقى الإخوة قالوا آنذاك «سبحان ربنا إنا كنا ظالمين»، بمعنى أنهم ذكروا الله، وأنهم اعترفوا بذنبهم وتابوا عنه.

وذكر تعالى أنه كان بينهم بعد ذلك تلاوم، بأن أرجع بعضهم إلى بعض أنهم أصحاب الاقتراح بحرمان المساكين حقهم فى ثمار الجنة، الذى كان سبب إهلاكها، وإرجاع البعض الآخر إلى البعض خطيئة الموافقة والقبول، كما ذكر أنهم قالوا «ياويلنا إنا كنا طاغين» نادوا بالويل لهم واعترفوا بذنبهم أنهم تجاوزوا حدود الله، وأنهم تابوا إليه تعالى بدلالة أنهم قالوا «عسى ربنا أن يبدلنا خيرا منها إنا إلى ربنا راغبون» سألوا ربهم ببركة التوبة والاعتراف

بالذنـب أن يبدلهم بجنتهم المبـادة جنة أخرى تكون خيـرا منها، وأعلنوا بألسنتهـم وقلوبهم أنهم لايرجـون إلا عفو ربهم ورضائه. وقد قيل إنـه تعالى استجاب لهم وأبدلهـم بجنتهم جنة أخرى كانت خيرا منها.

ثم جاء قوله تعالى «كذلك العذاب، ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون» والمعنى هو أنه على مثال ما عذبنا به أهل مكة من القحط، وعذبنا به أصحاب الجنة من إهلاك جنتهم يكون منا تعذيـب المكذبين فى الدنيا وعقـابهم. وأن هذا لا يعفيهم من عذاب الآخـرة الذى يكون لهم والذى هو أشد وأعظم، ثم بين تعالى أنهم إن يصـروا على كفرهم فإنهم يكونون جاهلين عن هذه الحقيقة غافلين عنها .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٣٤﴾ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ لَكُمْ كِتَٰبٌ فِيهِ تَدْرُسُونَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ لَكُمْ فِيهِ لَمَا تَخَيَّرُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمَٰنٌ عَلَيْنَا بَٰلِغَةٌ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ لَكُمْ لَمَا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾

التفسـيـر:

بعد أن بين تعالـى أنه يكون للكافرين المكـذبين عذاب الآخرة محققا إذا هم لـم يعدلوا عن الكفر والتكـذيب، فإنه تعـالى ـ فى المقـابل ـ ذكر أنـه يكون للمتقين الذيـن اتقوا غضبه بإيمانهم وتجنب عصيانه جنات ليس فيها إلا كـل ما يتنعم به. ثم بين تعالى أن علة اختلاف مصير الكـافريـن المكذبيـن عن مصير المؤمنيـن المتقين هـى عدم تسـاوى الحال بينهمـا استوجب عدم تسـاوى المصير والمآل، فجاء الاستفهام فى قوله تعـالى «أفنجعل المسلمين

كالمجرمين» إنكارا لأن يكون مصير المسلمين مماثلا مصير المجرمين الذين أجرموا فى حقه تعالى وحق أنفسهم بكفرهم .

ثم إنهم لما كان الكافرون يعتقدون أنهم يكرمون عند الله فى الآخرة كما أكرموا بالرزق فى الدنيا، فقد جاء قوله تعالى مخاطبا إياهم «ما لكم كيف تحكمون» فيه إنكار اعتقادهم هذا وتعجيب من أنهم يقولون به مع عدم وجود دليل ولا حجة تدعمه، ثم إنه تعالى فصل انعدام وجود الدليل لديهم على هذا بإثبات أن الدليل يكون أحد أمرين، كتاب من الله يذكر تساوى المطيع والعاصى فى الأجر عند الله، أو عهد موثق من الله، وبنفى وجود مثل هذا الكتاب ومثل هذا العهد.

فالاستفهام فى قوله تعالى «أم لكم كتاب فيه تدرسون، إن لكم فيه لما تخيرون» هو بمثابة طلب تعجيزى من الكافرين أن يظهروا مثل هذا الكتاب المذكور فيه ما يختارون ويتمنون يكون لهم من المصير عند الله، فهو إنكار لوجود مثل هذا الكتاب، والاستفهام فى قوله تعالى «أم لكم أيمان علينا بالغة إلى يوم القيامة إن لكم لما تحكمون» هو إنكار منه تعالى لوجود عهد موثق منه للكافرين سارية إلى يوم القيامة بالغة أقصى مدى فى توكيد موضوعها الذى هو أن يكون لهم فى شأن مصيرهم فى الآخرة ما يحكمون به أن يكون لهم.

فيكون قد ثبت من انعدام الدليل لديهم على أنهم يتساوون بالمؤمنين مصيرا، أنهم كاذبون ضالون .

سَلْهُمْ أَيُّهُم بِذَٰلِكَ زَعِيمٌ ﴿٤٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَآءُ فَلْيَأْتُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾ خَٰشِعَةً أَبْصَٰرُهُمْ تَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ وَقَدْ كَانُوا۟ يُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ وَهُمْ سَٰلِمُونَ ﴿٤٣﴾

أولا : الأســـــماء :

الزعيــم : فى قوله تعالى «أيهم بذلك زعيم» هو الزاعم أمرا بمعنى أنه يزعم شيئا بالقول، وهو الضامن والكفيل .

ثانيا : التفســــير:

بعد أن بين تعالى بطلان عقيدة الكافرين أنهـم يكرمون فى الآخرة، أو أنه يكون لهم مصير المؤمنين، وتدليله على انعدام دليلهم على زعمهم الباطل هذا، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يسأل الكافرين عن القائل منهم هذا القول أو الذى يضمن تحققه، يقدمونه إليه إن كانوا فيما زعموا صادقين. ثـم إنه لما كـان موثـوقا من أن الكـافريـن لن يقدمـوا إليه ﷺ هـذا الكفيل الضامن تحقق زعمهم فى الآخرة، فإنه لم يبـق إلا أن يكون لهم شركاء فى قولهم قادرون على كفالة تحققه، ولهذا طلب تعالى من الكافرين، أو طلب من رسوله ﷺ أن يطلب منهم تقديم هؤلاء الشركاء وإظهارهم لو كانوا صادقين فى قولهم إن لهم شركاء يضمنون تحقق قولهم. ثم جـاء قولـه تعالـى «يوم يكشـف عن سـاق ويـدعون إلـى السجود فـلا يستطيعون» لبيـان أن تقديمهم شركـاؤهم المطلوب يكون يوم القيامة، ذكـره تعالى بأنه يوم يكشـف عن ساق لبيان شدته، لأنـه عند الشدة التى تستوجب الفـرار يشمر المرء عن ساقـه برفع ثوبه كيلا يعـوقه عن الجرى، أو لا تعبأ الحرائر بإسدال أثوابهن على سوقهن.

وبين تعالى أنـه فى هذا اليوم يدعى الكـافرون إلى السجود لله الذى تركـوا السجود له فى الدنيا فيحاولـون السجود ولا يقدرون عليه، قيل إنه تعـالى يعجزهم عنه بجعل عظـامهم بغير مفاصل، وقد يكون عجزهم عن هذا بغير هذا، وإنما بإرادته تعالى وحده.

ثم ذكر تعالى حال الكافرين وقتذاك فبيـن أن أبصارهم تكون ذليلة متواضعة، وأنهم تلحق بهم ذلة شديدة تغشاهم، ثم بين تعالى أنهم ـ وقد حاولوا السجود فلم يقدروا عليه يوم القيامة ـ فـإنهم كانـوا فى دنياهـم يدعون إليـه وإلى الطاعـات حال مقدرتهـم على هذا، فكـانوا لا يجيبون الداعى ويأبون السجود ويحلون العصيان محل الطاعة .

فَذَرْنِي وَمَن
يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ ۚ
إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿٤٥﴾

التفسـير:

أمر تعالى رسوله ﷺ أن يستكفيه أمر الذين يكذبون بالقرآن العظيم، بمعنى أن يخلى باله منهم لايعنى بأمرهم ، وأن يترك أمرهم إليه تعالى، ثم بين له أن انتقامه منهم سيكون باستدراجهم إلى مزيد من الكفر والعصيان، يكون بإمهالهم وعدم تعجيل العذاب لهم، وزيادة نعمه تعالى عليهم فيكون منهم الكفربها يزاد به عقابهم.

كما بين تعالى أنه سيملى لهم بمعنى أن يمد لهم أو أن يزيد فى كل شىء يؤدى مده أو زيادته إلى مزيد من عصيانهم الذى يزاد لهم به عذابهم.

ثم ذكر تعالى أن كيده متين، والمعنى أن مكره تعالى بهم شديد مؤداه عقابهم العقاب الشديد .

أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٦﴾
أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤٧﴾ فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن
كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ
مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ
ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

صاحب الحوت : هو نبى الله يونس بن متى عليه السلام، سماه تعالى ـ فى مجال المدح ـ ذا النون، وذكره فى موضع التثريب صاحب الحوت.

ثانيا : التفسـيـر :

بعد أن طلب تعالى من رسوله ﷺ أن يترك أمر المكذبين إليه تعالى ينتقم منهم وقت يشاء وعلى النحو الذى يشاء، فإنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه ليس لهم من سبب يدعوهم إلى التكذيب به ﷺ، فجاء الاستفهام فى قوله تعالى «أم تسألهم أجرا فهم من مغرم مثقلون» لبيان أنه لما كان ﷺ لم يسألهم أجرا دنيويا يؤدونه إليه مقابل إبلاغهم الدعوة، فإنه لا يكون لهم أن يعرضوا عن الدعوة تخلصا من غرامة مالية يتكلفونها ويتحملون عبأها، وكذلك جاء الاستفهام فى قوله تعالى «أم عندهم الغيب فهم يكتبون» إنكارا لأن يكون لديهم علم المغيبات والحقائق المدونة فى اللوح المحفوظ يكتفون بها عن تبليغ رسول الله ﷺ وما يعلمهم. فيكون مفاد القول هو انعدام سبب لدى المكذبين يدعو إلى تكذيبهم رسول الله ﷺ.

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يصبر لقضاء ربه فى المكذبين أنه يمهلهم ولا يعجل لهم عذابهم، أو أن يصبر على قضاء ربه أن يؤخر نصره عليهم، ودعاه ألا يكون منه نفاد الصبر على كفر قومه وتكذيبهم والدعاء عليهم كما فعل يونس عليه السلام الذى كان مملوءا غيظا على قومه ـ حين نادى ربه وهو فى بطن الحوت ـ لعدم إيمانهم لما دعاهم إليه، ثم بين تعالى أنه لولا أن تداركته نعمة من ربه ـ قيل هى توفيقه للتوبة، وقيل قوله «لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين» ـ لكان قد ألقى بالعراء مذموما بسبب نفاد صبره. والواقع أنه ألقى بالعراء وهو سقيم غير ملوم ولا مذموم. وقيل لكان قد ألقى فى عراء يوم القيامة مذموما لقوله تعالى «للبث فى بطنه إلى يوم يبعثون».

ويذكر تعالى أنه اجتباه بعد هذا فاصطفاه بنعمته فرد الوحى إليه وكان بنعمة ربه من الذين كمل صلاحهم فكان من الصالحين .

وَإِن يَكَادُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَٰرِهِمْ لَمَّا سَمِعُواْ ٱلذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُۥ لَمَجْنُونٌ ﴿٥١﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٢﴾

التفسير:

بين تعالى مبلغ كراهة المكذبين رسول الله ﷺ بتصويره أن نظرتهم إليه تكاد أن تزل قدمه عن موضعها فينزلق. فهم ينظرون إليه شزرا. وقيل إنها نظرة حسد، وقد لا يكون هذا صحيحا لأن الحسد يكون لدى استحسان الأمر وليس لدى بغضه، وهم كانوا يكرهونه ﷺ، وقد بين تعالى سبب كراهتهم إياه وهو مجيئه بالقرآن أو تلاوته القرآن إذ تكون نظرتهم المذكورة إليه وقت سماعهم القرآن، كما بين أنهم كانوا يقولون لدى سماعه يتلو القرآن إنه لمجنون. ثم كان منه تعالى أن أظهر بطلان قولهم في القرآن وعجب من جرأتهم على رسول الله ﷺ بسبب تلاوته فقال فيه «وما هو إلا ذكرى للعالمين».

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحاقة



أولا: الأسماء:

الحاقة: هي القيامة، أو الساعة، فهي حق، وفيها تحق الأمور، فتحق لأقوام الجنة وتحق

لأقوام النار.

ثانيا : التفسـير:

افتتحت السورة بقوله تعالى «الحاقة» وهى القيامة، وقد يكون المراد هو «ذو الحاقة» ثم جاء قوله تعالى «ما الحاقة» بمعنى «أى شىء هى، فى حالها ووصفها» والقول - على هذا - تعظيم لها وشأنها وتهويل. ثم جاء قوله تعالى «وما أدراك ما الحاقة» تأكيدا لهولها وفظاعتها وأنها فوق ما يمكن لأحد أن يلم بها علما وأن يحيط بها معرفة. والمخاطب بالقول يتصور أن يكون هو رسول الله ﷺ، وفى هذا قيل إنه فى كل موضع فى القرآن ورد قوله تعالى «وما أدراك» فإنه تعالى قد أدراه، وفى كل موضع ورد قوله تعالى «وما يدريك» فإنه تعالى لم يدره. ويتصور فى القول أن يكون لجميع الناس، أو لكل واحد منهم، لبيان أن أحدا منهم لا يحيط بما يكون فيها علما.

كَذَّبَتْ ثَمُودُ وَعَادٌۢ
بِٱلْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ ﴿٥﴾ وَأَمَّا عَادٌ فَأُهْلِكُوا۟
بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ ﴿٦﴾ سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا
فَتَرَى ٱلْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَىٰ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ ﴿٧﴾ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم
مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴿٨﴾

التفسـير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى المكذبين، ذكر تعالى أن ثمود قوم صالح، وعادا قوم هود قد كذبوا بالقيامة، دعاها تعالى القارعة لأنها تقرع الناس بأهوالها. وقيل إنهم كذبوا بالعذاب

الذى توعدهم به رسولا الله إليهما فهو القارعة، ثم بين تعالى أن ثمود أهلكت بالطاغية، أى بالصيحة الطاغية المجاوزة الحد، وقيل بطغيانها، وأن عادا أهلكت بريح باردة حارقة عتت عليهم غاضبة لغضب ربهم عليهم فقهرتهم، ذكر تعالى أنه سلطها عليهم سبع ليال وثمانية أيام متتابعة بغير انقطاع، فكان ما يرى فيها أن القوم موتى فى الريح كأنهم أصول نخل بالية. ثم بين تعالى أنه لم يبق من القوم نفس حية، فالاستفهام فى قوله تعالى «فهل ترى لهم من باقية» هو للإنكار لإبانه أنه لا يتأتى لناظر أن يرى فى القوم نفسا باقية .

وَجَآءَ فِرْعَوْنُ وَمَن قَبْلَهُۥ وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتُ بِٱلْخَاطِئَةِ ﴿٩﴾
فَعَصَوْا۟ رَسُولَ رَبِّهِمْ فَأَخَذَهُمْ أَخْذَةً رَّابِيَةً ﴿١٠﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **المؤتفكات**: هى قرى قوم لوط، ائتفكت بهم وانقلبت .

٢ ـ **الرابية** : هى العالية. والمراد بها ـ فى معنى القول ـ الزائدة على المتعارف عليه.

ثانيا : التفسير:

الحديث فى المكذبين. ذكر تعالى أن فرعون والمكذبين قبله من أهل الأمم السابقة كما ذكر أهل قرى قوم لوط عليه السلام وأخبر عنهم أنهم جاءوا بالخاطئة، بمعنى أنهم ارتكبوا الأفعال الخاطئة أو الكفر وتكذيب الرسل، فيكون قوله تعالى «فعصوا رسول ربهم» بيانا للفعلة الخاطئة، والمعنى أن كل مذكور فى النص قد عصى رسول ربه الذى بعث إليه فيشمل القول موسى عليه السلام، ويشمل لوطا عليه السلام وكل رسول بعث لأمة من الأمم التى سبقت فرعون، ثم ذكر تعالى أنه أخذ المكذبين رسلهم أخذة عذاب تزيد على ما أصاب غيرها .

إِنَّا لَمَّا طَغَا الْمَاءُ
حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ ﴿١١﴾ لِنَجْعَلَهَا لَكُمْ تَذْكِرَةً وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ ﴿١٢﴾

التفسـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيتين ـ هو لزجر أمة رسول الله عـن مماثلة المكذبين مـن قبلهم، ذكر تعالى أنه لما طغى الماء على خزنته، قيل هم الملائكة خزنته، وقد يكون المراد ـ والله أعلم ـ لما طغى حمله وثقله فى السحاب وتحت الأرض بمشيئة الله، ثم انفجر من الأرض عيونا ونزل من السماء سيـولا كان منه تعالـى أنه حمل آباء أمته ﷺ فيمـن حمل فى سفينة نـوح، فكانوا ذرية منهم. ثم بين تعـالى أنه جعل سفينة نوح الجارية والأثر المتبقى منهـا تذكرة لأمة رسول الله ﷺ فلا يكـون منهم تكذيب رسـولهم، كما جعـل قصتها وقصة الطـوفان متداولة معلـومة ليسمعوها ويتدبروها ويعوا المراد منها فلا يكون منهم تكذيبه ﷺ .

فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا
دَكَّةً وَاحِدَةً ﴿١٤﴾ فَيَوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾ وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ
فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ﴿١٦﴾ وَالْمَلَكُ عَلَىٰ أَرْجَائِهَا ۚ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ
فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ ﴿١٧﴾ يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾

التفسـير:

قولـه تعالى ـ فى الآيات ـ شروع فى ذكر أحـداث يوم القيامـة، جاء تمهيدا لبيـان حال

المؤمنين الطائعين وحال الكافرين العصاة. ذكر تعالى أنه إذا نفخ فى الصور نفخة واحدة لاتثنى، بها لا يبقى أحد إلا مات، وإذا حملت الأرض والجبال بمعنى أنها رفعت من أماكنها ثم بسطتا بسطة واحدة، فإنه تكون قد وقعت الواقعة وقامت القيامة. ثم يكون من السماء أنها تنشق فتكون ضعيفة واهية وتكون الملائكة على أطرافها حين تنشق لأنها لا تكون متشققة فى أنفسها، ويحمل عرشه تعالى ثمانية من الملائكة فوق رؤوسهم ينزلون به، وقيل إن الملائكة الذين يحملون العرش فوق الملائكة الذين هم فى السماء على أرجائها .

ثم خاطب تعالى الناس جميعا فقال إنهم فى ذلك اليوم يعرضون عليه تعالى للحساب والمجازاة لاتخفى عليه تعالى من أعمالهم عملة أو فعلة كانوا يخفونها فى دنياهم عن الناس. وقيل لا تخفى عليه نفس مؤمن ولا نفس كافر، فلا يبقى إنسان لا يحاسب.

فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى
ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ
عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ
ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى الناجين يوم القيامة أخبر تعالى عن الواحد منهم أنه من أوتى كتابه بيمينه أو من يأخذ صحيفته بيمينه حين تطير الصحف فى الأيدى، وذكر أنه يقول «هاؤم اقرأوا كتابيه» والمعنى أنه حين يأخذ كتابه بيمينه يمتلىء ثقة بإسلامه وسرورا بنجاته، فيقول للناس «هلم اقرؤوا كتابى» أو «خذوا اقرؤوا كتابى» ، كما يقول لهم إنه تيقن أنه ملاق حسابه، والمعنى أنه آمن بيقين بالبعث والحساب واليوم الآخر، وأنه عمل على تقوى الله تجنبا لعذابه .

ثم بين تعالى أنه يكون له عيش مُرْضٍ بذاته لأنه جماع الخير، وهو يرضاه، يكون فى جنة عالية القدر، قطوف ثمارها قريبة من المنعمين لا يبذلون جهدا للحصول عليها. كما ذكر تعالى أنه يقال لهؤلاء الذين أوتوا كتبهم بأيمانهم فى الجنان أن كلوا واشربوا ما شئتم هانئين لا يكدر صفو حياتكم شيء، جزاء لكم على ما قدمتم فى أيام الدنيا الخالية من الأعمال الصالحة .

وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ
كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾
مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾
ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ
﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ
ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣٤﴾ فَلَيْسَ لَهُ ٱلْيَوْمَ هَٰهُنَا حَمِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ
غِسْلِينٍ ﴿٣٦﴾ لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **من أوتى كتابه بشماله:** هو كل فرد من أهل الشقاوة فى الآخرة. وقيل إن القول نزل فى أبى سلمة عبد الله بن عبد الأسد المخزومى وأخيه الأسود بن عبد الأسد .

٢ ـ **الغسلان :** فى قوله تعالى «ولا طعام إلا من غسلين» قيل هو مثنى «الغسل» وهو ما

يغسل به الرأس، فيكون هو صديد أهل النار الذى يسيل من جروحهم ومن فروجهم. وقيل هو شجر يأكله أهل النار. وقيل هو «الغسل» بمعنى ما انغسل من لحوم أهل النار، ودمائهم، زيدت فيه الياء والنون، وقيل هو شر الطعام وأبشعه لا يعرف ما هو.

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ فى أهل الشقاوة الذين يتلقى الواحد منهم كتابه بشماله، يقرأ فيه سيئاته فيزداد حزنا ويزداد وجهه سوادا. يقال له أن انطلق إلى أصحابك وأخبرهم أن لكل منهم مثل ما هو لك من العذاب، فينطلق وهو يقول: ياليتنى لم أوت كتابى ولم أدر ما هو حسابى، يتمنى لو كان لم يؤت كتابه ولم يعرض عليه فلا يكون قد علم بوجوب العذاب عليه وتعذبه بهذا العلم، كما يتمنى لو كان لم يعرف بأمر حسابه الذى يتحقق منه أنه لا بد معذب بما أسفر عنه، وهو علم يكون فى حد ذاته عذابا لأن فيه انتظار العذاب. ثم إنه يقول «ياليتها كانت القاضية» يتمنى لو كانت ميتته هى القاضية عليه نهائيا فلا تكون من بعدها حياة أخرى فيها حساب وجزاء. ثم يتبع هذا بذكره تحسره على هلاك حجته عنه أو على زوال ملكه وسلطانه فى الدنيا عنه فى الآخرة لا ينفعانه ولا يغنيانه من العذاب شيئا.

ثم يذكر تعالى أنه يقول «خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلوه، ثم فى سلسلة ذرعها سبعون ذراعا فاسلكوه» يأمر الملائكة فتطيع أن يأخذوه وأن يشدوه بالأغلال بجمع يده إلى عنقه، وأن يلقوه فى الجحيم يصطلى بنارها، وأن يدخلوا فيه سلسلة طولها سبعون ذراعا، قيل إنه لا يعلم مدى طول الذراع المقيسة به، وقيل هو طول ذراع الملك، وقيل كل ذراع سبعون باعا، تدخل فيه من دبره لتخرج من فمه ـ وقيل من منخريه ـ وقيل تدخل من فمه وتخرج من دبره.

ثم يذكر تعالى سبب تعذيبه على هذا النحو، وهو أنه كان لا يؤمن بالله العظيم، فيكون السبب الأساسى هو كفره، وأنه لم يكن يحض على طعام المسكين، والمعنى أنه كان بخيلا لا يتصدق كما أنه كان يأمر بالبخل، أو كان مثلا يحتذى من الغير فى عدم الإنفاق فى الصدقات. ويتبع تعالى هذا بذكره أنه لا يجد فى موقعه فى الجحيم صديقا قريبا يرق له

ويدفع عنه العذاب، وأنه لايكون له طعام يغنيه وينفعه، ولا شراب إلا من صديد أهل النار ودمائهم الذى يخرج من فروجهم وجروحهم، أو أنه لايكون له طعام إلا من ضريع هو من الغسلين، ثم بين تعالى أن من قدر عليه أن يأكل هذا الطعام لابد أن يكون من الخاطئين «لا يأكله إلا الخاطئون» فيكون تعالى قد بين سبب تعذيب أهل الشمال على هذا النحو، وهو خطؤهم بكفرهم وعصيانهم .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٨﴾
وَمَا لَا تُبۡصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ
قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ
مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾ .

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى القرآن العظيم الذى كذب به الكافرون الخاطئون، أقسم تعالى بجميع خلقه مما يبصره الناس ومما لا يبصرونه، باعتبار أن «لا» فى قوله تعالى «فلا أقسم» صلة وليست للنفى. أو لأن جواب القسم هو من البيان بحيث لا يحتاج إلى قسم لتوكيده - وجواب القسم أو الأمر الصحيح الذى لايحتاج تقريره إلى قسم هو أن القرآن العظيم قول تلاه وأبلغه رسول كريم من الله هو جبريل عليه السلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقيل إن الرسول الكريم هو محمد صلى الله عليه وسلم الذى تلى القرآن على قومه وبلغ به .

ثم إنه تعالى أتبع هذا بنفيه عن القرآن أن يكون شعرا كما قال فيه الكافرون، وأثبت أن قولهم فيه بهذا هو نتيجة كفرهم وإصرارهم على الكفر لأنهم يعرفون ما هو الشعر وأن القرآن

العظيم ليس شعرا، وهذا بقوله تعالى «قليلا ما تـؤمنون» بمعنى أنهم قليلا ما يؤمنون بأنه ليس شعرا ثـم تكون منهم العـودة إلى الزعـم بأنه شعر، كمـا نفى تعالـى عن القرآن أن يكـون قول كاهن، وهـو قول آخر للمشركيـن فى القرآن، ثم قال «قليـلا ما تذكرون» وذلـك لإثبات أنهم قليلا مـا يتدبرون، يجـدون فى القرآن سـب الشياطين وتوعـدهم بالعـذاب مع كونهـم أعوان الكهنة فينكرون أن يكـون قول كاهن، ثم يعـودون إلى قولهم ظـالمين. وبعد هذا فإنـه تعالى قطع فى شأن القـرآن العظيم الذى تلاه رسول كريـم بأنه تنزيل من رب العـالمين. بمعنى أن منزله هـو رب جميع الخلق فى السماوات وفـى الأرض، ليكون مطلوبا الإيمان بـه من جميع المكلفين .

وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾ وَإِنَّهُ لَتَذْكِرَةٌ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾

أولا : الأسـماء :

الوتين: هو عرق متصل بـالقلب. إذا انقطع مات صاحبه، وقيل هو حبـل القلب الذى فى الظهر وهو النخاع .

ثانيا : التفسـير:

بعد أن أثبت تعالـى أن القرآن العظيم هو تنزيل مـن رب العالمين، فإنه تعالـى أبطل قول القائلين مـن الكافرين إن محمدا ﷺ افتراه علـى الله، جاء به من عند نفسه ثـم نسبه إلى الله. فأثبت تعـالى أن القرآن جميعه منه تعـالى، بدلالة أنـه لو كان رسول الله ﷺ قد جـاء بالبعض القليل منه من عند نفسه ونسبه إليه تعالى لكان منه تعـالى أن أخذ منه بقوته وقدرته كل ما هو

له من الخير، أو لكان منه تعالى قد أخذ بيديه ـ وهو تعبير ينم عن العقاب ـ وقد يكون المعنى ـ والله أعلم ـ هو أنه كان تعالى قد رفع القرآن وأزاله وأنساه فيزيل بهذا شرف من أوضع فيه بإضافة غير الحق. ولكان منه تعالى أن أهلكه هلاك المكذبين والمفترين على الله الكذب، جاء التعبير عن هذا بقطع عرق الوتين لأنه بقطعه يتحقق الموت. ثم إنه لما كان شيء من هذا لم يحدث برسول الله ﷺ فإنه يكون قد اتضح أنه لم يزد في القرآن العظيم شيئا من عنده، ويكون قد صح أنه جميعا تنزيل من رب العالمين.

ثم إنه تعالى بين أنه لو كان قد وقع من رسول الله ﷺ أن اختلق شيئا من القول ونسبه إلى الله، وكان تعالى قد عاقبه على النحو المذكور، فإنه لم يكن في مقدور أحد من قومه أن يمنع عنه عقابه تعالى بالحيلولة بينه وبينه. ثم إنه وقد ثبت أن القرآن العظيم جميعه من الله فإنه تعالى أخبر عنه مؤكدا أنه تذكرة للمتقين. بمعنى أن الذين يؤمنون به ويتدبرونه ويعملون به هم المؤمنون الذين يخشون الله ويتقون غضبه وأنهم الذين به ينتفعون.

وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنكُم مُّكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِنَّهُ لَحَسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾

التفسير:

خاطب تعالى جميع المكلفين فقال إنه يعلم أن منهم مكذبين، بمعنى أنه مقدر في علمه تعالى الأزلي أن يكون منهم من يكذب بالقرآن العظيم رغم التدليل على أنه تنزيل من رب العالمين، ثم بين تعالى أن تكذيب المكذبين يكون سببا لتحسرهم يوم القيامة وندمهم على تكذيبهم إذ يرون ما أعد لهم من العذاب وما أعد للذين آمنوا به من النعيم. أو أن القرآن العظيم يكون حسرة عليهم يوم القيامة لتكذيبهم به. ثم عاد تعالى إلى تأكيد معنى أن القرآن العظيم تنزيل من رب العالمين بقوله «وإنه لحق اليقين» وقيل إن المعنى أنه حق يقين أن

يكون القرآن حسـرة على المكذبين يـوم القيامة. ثم إنـه وقد ثبت أن القرآن العظيـم الذى هو هدى للعالمين هو تنزيل من رب العالمين، فقـد جاء أمره تعالى لكل فرد من أفراد المكلفين بتنزيهه تعالى عما لا يليق بذاته أو بعبادته تعالـى والصلاة له، بقوله تعالى «فسبح باسم ربك العظيم».

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المعارج

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٖ وَاقِعٖ ١ لِّلۡكَٰفِرِينَ لَيۡسَ لَهُۥ دَافِعٞ ٢ مِّنَ ٱللَّهِ
ذِي ٱلۡمَعَارِجِ ٣ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ
خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ٦
وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ٧

أولا: الأســـماء والأعلام:

١ ـ السـائل: في قوله تعالى «سأل سائل» المراد به ـ فى معنى القول ـ هو الداعى، قيل هو النضر بن الحارث الذى قال «اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فقتل يوم بدر، وقيل هو الحارث بن النعمان الفهرى الذى اعترض على قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وقال لرسول الله ﷺ

«أفهذا شيء منك أم من الله» فلما أخبره رسول الله ﷺ أنه من الله انصرف قائلا «اللهم إن كان ما يقول محمـد حقا فأمطر علينا حجارة مـن السماء أو ائتنا بعذاب أليم» فما وصـل ناقته إلا أصابه حجر وقع علـى دماغه فقتله. وقيل إن السائل هو أبو جهل ـ وقيـل هو نوح عليه السلام دعـا بالعـذاب على الكـافـرين . وقيـل هو رسـول الله صلـى الله عليه وسلـم دعا الله بعقـاب المكذبين.

٢ ـ **الروح** : قيل هو جبريـل عليه السلام، وقيل هو ملك آخر عظيم الخلقـة، وقيل هو خلق من خلق الله كهيئة الناس وليس منهم، وقيل هو روح الميت .

٣ ـ **اليوم** : فى قولـه تعالى «في يـوم كان مقداره خمسين ألـف سنة» قيل هو يـوم القيامة، وقيل هو الموقف للحساب لأن يوم القيامة ليس له نفاد .

ثانيا : التفســـــير:

ذكر تعالى أن داعيا سأل الله أن يـوقع بالكافرين عذابا قدر تعالى أن يقـع بالكافرين حتما، لا يدفعه ولا يرده عنهم دافع ولا مانع. يتصور أن يكون الـداعى هو أحد الكافرين أو المعترضين على رسـول الله ﷺ ليكون وقـوع العذاب دليـلا على صـدقه ﷺ ـ على مـا سبق بيـانه فـى: الأسماء والأعـلام ـ ويتصـور أن يكون نوحـا عليه السلام، أو أن يكـون محمدا صلـى الله عليه وسلم، دعا الله أن يوقع عذابه بالمكذبين. ثم بين تعالى أن العذاب المقدر أن يقع بالكافرين هو مـن الله ذى المعارج، بمعنـى أنه ذو العلـو والدرجـات، أو صاحـب النعم المتـدرجة فـى المراتب ينعـم بها على خلقه، أو الذى له معـارج السماء التى تصعد فيها الملائكـة. ثم بين تعالى أن الملائكة تصعد فى المعارج التى جعـل الله لهم إلى السماء، والروح ـ وهى جبريل عليه السلام أو ملك آخـر، أو روح من يتوفى ـ فى يـوم لديه مقداره لو كان الصعـود من غيرهم لبلغ خمسين ألف سنة من سنين الأرض.

قيل إن طول هـذا اليوم هو طول يوم الموقـف أو وقته على الكافر، الذى يكـون أخف على المؤمن من وقت أداء الصلاة المكتوبة فى الدنيا.

ثم أتبع تعالى هـذا بأمره رسوله ﷺ أن يصبر على أذى قومه صبـرا جميلا فلا يجزع منه ولا يشكو لغير الله. وبين له أن الكافرين يؤذونه لأنهم يرون أن عذاب الآخرة بعيد زمنه ولهذا فإنهم لا يخشونه، وأنه تعـالى يراه قريبا لحتمية وقوعـه بهم، وكل ما هو آت هو قـريب. فيكون القول تثبيتا لرسول الله صلى الله عليه وسلم على الصبر.

﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ **المهل** : هو عكر الزيت، وهو ما أذيب من الرصاص والنحاس والفضة .

٢ ـ **العهـن** : هو الصوف المندوف أو المصبوغ .

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى هو فى بيان يوم وقوع العذاب بالكافرين، بين تعالى أنه يوم القيامة الذى تكون السماء فيـه مثل دردى الـزيت وعكره، وتكـون الجبال بعـد تفتتها وطيرانهـا فى الفضـاء مثل الصوف المنـدوف أو المصبوغ الذى ضعف بسبـب صباغته، يكـون ذلك من بعد صيـرورتها رملا مهينا. ثم بين تعالى أنه فى ذلك اليـوم ينشغل كل بنفسه، فلا يكون من صديق حميم أن يسأل صديقه الحميم عن شيء من حاله.

﴿يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أنه فى يوم القيامة ينشغل كل امرئ بنفسه فلا يسأل صاحبه عن شىء، جاء قوله تعالى «يبصرونهم» بمعنى أن كلا منهم يبصر أصحابه فيراهم لكنه ينشغل عنهم بأمر نفسه، أو يتغافل عن المعارف خشية المظالم، وقيل إن الذين يبصرون ، أى يقع منهم الإبصار هم الكافرون، وأن الذين يقع عليهم بصرهم هم أقاربهم وأصدقاؤهم، وقيل إن الله يبصر المؤمنين الكفار يوم القيامة، وقيل إنه تعالى يبصر الكافرين الذين أضلوهم فى الدنيا ـ كما قيل إن الذين يبصرون الناس يوم القيامة ما يبصرون هم الملائكة ـ .

ثم ذكر تعالى من أحوال الكافرين يومئذ ـ وصفه تعالى بالمجرم ـ أنه يتمنى لو استطاع أن يفتدى من عذابه بأعز من كان لديه فى الدنيا من الأقارب من الأبناء والزوجات والإخوة وعموم الأقارب من العشيرة الذين كانوا يناصرونه ويناصروهم، وأكثر من هذا ـ لو كان له ـ أن يفتدى نفسه بجميع من عاش على الأرض، لو كان من شأن هذا الفداء أن ينجيه من العذاب .

كَلَّآ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُواْ مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰٓ ﴿١٨﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ اللظى: فى قوله تعالى «إنها لظى» المراد بها ـ فى معنى القول ـ هو جهنم التى تتلظى نيرانها، بمعنى تلتهب. وقيل هى الدركة الثانية من دركات جهنم .

٢ ـ الشوى : جمع، مفرده «شواة» وهى جلدة الرأس. وهو اليدان والرجلان والرأس من الآدميين، وكل ما ليس مقتلا فيهم. وقيل هى القوائم والجلود .

ثانيا : التفسير:

يتصور فى «كلا» أن تكون بمعنى حقا، فتكون مبدأ كلام جديد منقطع عما سبقه. ويتصور

أن تكون بمعنى «لا» فتكون متممة معنى ما سبق من الكلام، فيكون المعنى هو «ليس ينجيه من العذاب أن يفتدى نفسه». ثم أخبر تعالى عن جهنم أنها لظى بمعنى أنها تتلظى نيرانها، وحالها أنها تنزع إلى أعضاء الكافرين بدءا من مكارم وجوههم لتفرى اللحم والجلد عن العظم. ثم ذكر تعالى أن لظى تدعو إليها من أدبر فى الدنيا عن طاعة الله ورسله، وأعرض وتولى عن الإيمان وعن الدعوة له، قيل إنها تقول «إلىَّ يا مشرك، إلى يا كافر» فيكون أنهم يلقون فيها، وقيل إنها تلتقطهم، كما قيل إن الداعى المدبرين المتولين إليها هم خزنتها أضيف قولهم إليها. كما بين تعالى أنها تدعو إليها من جمع فأوعى، وهو كل من جمع المال بكل طريق ووضعه فى أوعيته التى تناسب كل صنف منه، باعتبار أن المال يشمل كل ذى قيمة وامتنع عن إخراج حق الله فيه. يتصور فيه أن يكون من الذين أدبروا وتولوا عن الإيمان، ويتصور أن يكون ممن أعلنوا إيمانهم ثم امتنعوا عن إخراج الزكاة منكرين فرضيتها فيكونون قد كفروا بهذا فدخلوا فى زمرة المدبرين برجوعهم عن الحق، المعرضين عما ظهر لهم منه .

﴿ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الهلوع : فى قوله تعالى «خلق هلوعا» هو الشديد الحرص، وقيل هو من لا يصبر على خير ولا شر حتى يفعل فيهما ما لا ينبغى. وقيل هو من إذا مسه الخير لم يشكر وإذا مسه الضر لم يصبر.

٢ ـ الجزوع : فى قوله تعالى «إذا مسه الشر جزوعا» هو الذى يظهر أسوأ الجزع وأفحشه.

ثانيا : التفسـير :

قيل إن المراد بالإنسان فى قوله تعالى «إن الإنسان خلق هلوعا» هو الكافر، خلق شديد

الحرص على ما يعتقد أن فيه نفعه شديد الجزع مما يرى فيه شره، أو أنه إذا أصابه الخير لم يشكر وإذا أصابه الشر لم يصبر، وأنه إذا ناله خير من الله استأثر به ومنعه غيره. والذى نراه - والله أعلم - أن القول هو فى جنس الإنسان عموما، خلقه تعالى وفيه ضعف نتيجة غريزة حب البقاء وغريزة حب الاقتناء، يكون من شأنهما أنه يكون شديد الحرص على ما فيه صالح بقائه ودوام ملكه واقتنائه، كما يكون شديد الجزع إذا ما أصابه شر فى صحته أو فى حياة أحبابه، كما يكون منه الحرص على ما يملك، يمنع ما يفىء به تعالى عليه من الخير غيره. وهذا بدلالة أنه استثنى تعالى من هؤلاء الذين كمل إيمانهم فاطمأنت قلوبهم فتغلبوا على ضعفهم الغريزى، وهم المذكورون من بعد.

إِلَّا ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٢٢﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ دَآئِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ
حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ
﴿٢٦﴾ وَٱلَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ ﴿٢٧﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ
مَأْمُونٍ ﴿٢٨﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ﴿٢٩﴾ إِلَّا عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِهِمْ
أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ﴿٣٠﴾ فَمَنِ ٱبْتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ
فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ ﴿٣١﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ لِأَمَٰنَٰتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَٰعُونَ ﴿٣٢﴾
وَٱلَّذِينَ هُم بِشَهَٰدَٰتِهِمْ قَآئِمُونَ ﴿٣٣﴾ وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٣٤﴾
أُو۟لَٰٓئِكَ فِى جَنَّٰتٍ مُّكْرَمُونَ ﴿٣٥﴾

التفسير:

ذكر تعالى - فى الآيات - الذين تمكنوا من غلبة ضعفهم الغريزى فلم يكن منهم الهلع ولا

الجزع ولا المنع والإمساك. وذلك باستثنائهم من حكمه العام فى الناس.

وفى القول بدأ تعالى بتعيينهم بقوله «إلا المصلين» فبين أنهم الذين آمنوا، وحرصوا على أداء فريضة الصلاة قوام الدين وعماده. فيكون المعنى أن الهلوعين الجزعين المانعين هم الكافرون. ثم عدد تعالى صفاتهم وأفعالهم ــ من بعد تعيينهم ــ فذكر أنهم على صلاتهم دائمون، يحرصون على أدائها على أوقاتها، لا ينشغلون عن الخشوع حال أدائها. ووصفهم بأنهم الذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم، بمعنى أنهم الذين يؤدون الزكاة المفروضة لأنها الحق المعلوم مقداره وكمه، بخلاف غيرها من الصدقات، ووصفهم بأنهم الذين يصدقون بيوم الدين، والمعنى أنهم يصدقون به فى قلوبهم ويعملون له بجوارحهم ووصفهم بأنهم من عذاب ربهم مشفقون بمعنى أنهم يخشونه فيتجنبون ارتكاب المعاصى حتى يخلصوا منه، ثم أتبع تعالى هذا بذكره أن عذابه غير مأمون، والقول تنبيه للمؤمنين بعدم تزكية النفس على الله وأمان مكره، وحث لهم على مداومة خشيته، ووصفهم بأنهم الذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم، بمعنى أنهم لا يطؤون ولا ينكشفون إلا على من أحل الله لهم من الزوج ـ بالنسبة للرجل والمرأة ـ والزوج وملك اليمين ـ بالنسبة للرجال، وقد سبق بيانه ـ ثم بين تعالى أن من التزم الزوج وحده أو الزوج وملك اليمين ـ على النحو المذكور ـ فإنه يكون قد استعمل حقا فلا يكون محلا للوم ولا مؤاخذة، ثم أكد هذا المعنى وأثبت استحقاق من جاوز المذكورين والمذكورات إلى غيرهم أو غيرهن العقاب بقوله تعالى «فمن ابتغى وراء ذلك فأولئك هم العادون» بين فيه تعالى أنهم يكونون مجاوزين حدوده معتدين على أحكامه بما يوجب عقابهم ووصفهم بأنهم الذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون. بمعنى أنهم الذين يحافظون على أمانات الله وأمانات العباد فيحفظون أمانة التوحيد بالعمل بها، ويحفظون أمانات الناس بردها كما يحافظون على ما عاهدوا الله عليه من الإيمان والجهاد، وما عاهدوا عليه الناس. كما وصف تعالى المؤمنين بأنهم الذين هم بشهاداتهم قائمون، فهم يقومون على الشهادة لا يمتنعون عنها والذين يؤدونها على حقها ولو فى حق أنفسهم أو الأقربين، كما وصفهم تعالى بأنهم الذين هم على صلاتهم يحافظون، بمعنى أنهم يحافظون على أركانها فيؤدونها كما علمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وعلى شروط صحتها من طهارة ووضوء مع إحسان ذلك. وبعد هذا فإنه تعالى أشار إلى هؤلاء المؤمنين ذوى الصفات والأعمال الحميدة المذكورة وأخبر عن جزائهم بقوله «أولئك فى جنات مكرمون» فأعلم أن مصيرهم هو الخلود فى جناته تعالى يكونون فيها مكرمين من الله مولاهم بأعظم الكرامات .

فَمَالِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ قِبَلَكَ مُهْطِعِينَ ٣٦
عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ ٣٧ أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ
نَعِيمٍ ٣٨ كَلَّآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّمَّا يَعْلَمُونَ ٣٩

أولا : الأسماء :

١ ـ **المهطعون**: فى قوله تعالى «قبلك مهطعين» جمع، مفره «المهطع» وهو المسرع الذى مد عنقه إلى أمام. وقيل هو المعرض، وقيل هو الناظر تعجبا .

٢ ـ **العزون** : فى قوله تعالى «عن اليمين وعن الشمال عزين » جمع، مفرده «عزة» من «العزوة» وهى الإضافة إلى الغير يكون بها الجمع ـ والمراد باللفظ ـ فى معنى القول ـ هو متحلقون فى حلقات تضم كل منها عددا من الأفراد .

ثانيا : التفسير:

خاطب تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم فى شأن تصرف للمشركين معه بقوله «فمال الذين كفروا قبلك مهطعين، عن اليمين وعن الشمال عزين» بمعنى فما بال الكافرين قد أسرعوا نحوك متجهين إليك ـ والمراد بهذا أنهم يسرعون نحوه صلى الله عليه وسلم فى مجلسه ـ وأنهم يجلسون عن يمينك وشمالك فى حلقات. فيكون الاستفهام ـ فى القول ـ هو للتعجيب من أمر الكافرين وفعلهم واستفهام عن سبب فعلهم المذكور وهو الإسراع إلى

رسول الله ﷺ والتحلق عن يمينه وشماله، أيكون هو الحرص على سماعه وطاعته أم غير هذا. ثم إنه لما كان تعالى قد ذكر الفاعلين هذا بأنهم الكافرون فقد أوضح أنهم قد فعلوا هذا لغاية غير السماع والطاعة قد تكون هى الظهور بمظهر المؤمنين من أجل السماع والاستهزاء بالمسموع، فيكون الفاعلون هم المنافقين، وقد يكون هى التعييب عليه صلى الله عليه وسلم والاستهزاء بما يقول، فيكون الفاعلون هم الكافرين .

ثم جاء قوله تعالى «أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنة نعيم» بيانا لبطلان قول الكافرين فى فقراء المؤمنين «لئن دخل هؤلاء الجنة لندخلنها قبلهم، ولئن أعطوا منها شيئا لنعطين أكثر منه» فيكون القول منه تعالى ردا لقولهم الذى جاء تعبيرا عن طمعهم أن يدخلو الجنة، فيكون المعنى هو «كلا لا يدخلونها» بمعنى أن الاستفهام هو للإنكار.

ثم جاء قوله تعالى «إنا خلقناهم مما يعلمون» بمعنى أنه تعالى خلقهم من ذات المادة التى خلق منها فقراء المؤمنين الذين يحتقرونهم ويستهزئون بهم وهى المنى كما يعلمون، أو النطفة ثم العلقة ثم المضغة، فلا يكون من موجب لتفضيلهم على فقراء المؤمنين يدخلون به الجنة مع كفرهم ، التى لا يكون دخولها بغير الإيمان والعمل الصالح ورحمة الله تعالى الذى لا يرحم الكافرين فى الآخرة .

فَلَآ أُقۡسِمُ بِرَبِّ ٱلۡمَشَٰرِقِ وَٱلۡمَغَٰرِبِ
إِنَّا لَقَٰدِرُونَ ﴿٤٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيۡرًا مِّنۡهُمۡ وَمَا نَحۡنُ بِمَسۡبُوقِينَ ﴿٤١﴾ فَذَرۡهُمۡ
يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٤٢﴾ يَوۡمَ يَخۡرُجُونَ
مِنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمۡ إِلَىٰ نُصُبٖ يُوفِضُونَ ﴿٤٣﴾ خَٰشِعَةً
أَبۡصَٰرُهُمۡ تَرۡهَقُهُمۡ ذِلَّةٞۚ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿٤٤﴾

أولا : الأسـمـاء :

النُّصب : جمع،مفرده «النَّصْب» وهو ما نصب من الأصنام فعبد من دون الله.

ثانيا : التفسـيـر:

بعد أن وصف تعالى فعل الكافرين معه صلى الله عليه وسلم، فإنه تعالى بين استحقاقهم الهلاك بفعلهم بتأكيده تعالى بالقسم بذاته رب مشارق الشمس ومغاربها قدرته على الذهاب بهم بإهلاكهم والمجيء بغيرهم يكونون خيرا منهم بالإيمان والطاعة، مثبتا أنه ما من أحد ولا شيء يعجزه تعالى عن فعل شيء أراده ومنه إهلاك الكافرين واستبدال غيرهم بهم.

ثم أتبع تعالى هذا بأمره رسوله ﷺ أن يتركهم يخوضون في باطلهم يلعبون في أمور الدين لعبهم في أمور الدنيا إلى أن يلقوا اليوم الذي توعدوا بالعذاب فيه.

بينه تعالى بأنه هو اليوم الذي يخرجون فيه من القبور مسرعين لدى سماعهم الصيحة مستجيبين للداعي، على النحو الذي كان عليه المشركون في الدنيا حين كانوا يسرعون إلى أصنامهم المنصوبة مبتدرين متى طلعت الشمس لتقديم العبادة لها .

ثم بين تعالى حالهم حين يخرجون من القبور سراعا بذكره، أنهم يكونون خاشعة أبصارهم، بمعنى أنها تكون ذليلة خاضعة، وأنهم يكونون في ذلة إذ يغشاهم الهوان.

ثم يشير تعالى إلى ذلك اليوم ويخبر عنه أنه اليوم الذي كانوا يُتوعدون في الدنيا بأنه يكون لهم فيه العذاب .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نــوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ أَنْ أَنذِرْ قَوْمَكَ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١﴾ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ
وَأَطِيعُونِ ﴿٣﴾ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ
أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُؤَخَّرُ ۖ لَوْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾

التفســــير:

شرع تعالى فى رواية قصة نوح للاعتبار بها بذكر أنه أرسله إلى قومه، فيكون نوح عليه السلام قد أرسل إلى جميع أهل الأرض ـ لدى من يرى أن الطوفان عم جميع الأرض ـ ويكون قد أرسل إلى أغلبهم فهم قومه لدى من يرى أن الطوفان لم يشمل بعض أجزاء الأرض. وبين أن ما أرسل به عليه السلام هو أن ينذر قومه بالعذاب الأليم إن لم يؤمنوا.

ثم ذكر تعالى أن نوحا أطاع ربه فقال لقومه إنه نذير لهم يخوفهم بالعذاب إن لم يؤمنوا موضح إنذاره لتحدثه بلغتهم ولأن معه الحجة، وبين لهم دعوته موجزا بأن يعبدوا الله وحده وأن يخشوه وأن يطيعوا رسوله فيما يأمرهم به. والمعنى هو الإيمان بالله وتوحيده وعدم الشرك به، واتقاء غضبه بعدم مقارفة المعاصى، وإطاعة رسوله لأنها من طاعة الله، ثم إنه أظهر لهم

ما يصيبهم من الخير بالاستجابة له فذكر لهم أنه يغفر لهم من ذنوبهم، بمعنى أنه يغفر منها ما تعلق بحقـوق الله دون ما يتعلـق بحقوق العبـاد، وأنه يـؤخر آجـالهم فبـدلا من أن يستـأصلوا بالعذاب الدنيوى يتـركون ليموتوا بغيره فى الآجال المحددة عنده تعالـى لكل منهم. ثم جاء قوله تعالى «إن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون» بمعنى: إذا كنتم أهل علم علمتم أن أجل الله إذا جاءكم لم يؤخر، سواء أكان باستئصال بالعذاب أم بغيره.

قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ
قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ﴿٥﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاءِيَ إِلَّا فِرَارًا ﴿٦﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا
دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا۟ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا۟ ثِيَابَهُمْ
وَأَصَرُّوا۟ وَٱسْتَكْبَرُوا۟ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ
إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ
كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ
وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴿١٢﴾ مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ
وَقَارًا ﴿١٣﴾ وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾

التفســـــير:

مفاد قولـه تعالى ـ فـى الآيات ـ أن نوحا عليـه السلام قد بذل غـاية جهده مع قـومه لكى يؤمنوا فلم يكن منهـم إلا الإصرار على ما هم عليه من كفر وعصيان. فيذكـر تعالى ما مفاده أن نوحا عليه السلام التجأ إليه شاكيا قومه فقـال إنه واصل دعوتهم إلى الإيمان ليلا ونهارا، فلم

تثمر دعوته إلا عن فرارهم من الإيمان وتباعدهم عنه. كما قال عليه السلام إنه كان منهم أنهم كلما دعاهم إلى الإيمان بالله وطاعته ليكون ذلك سببا لأن يغفر لهم الله من ذنوبهم، كان منهم جعل أصابعهم فى آذانهم كيلا يسمعوا دعوته، وإسدال ثيابهم على وجوههم كيلا يروه، أو إظهارا لعدم استعدادهم لأن يسمعوه أو يروه، وأصروا على كفرهم واستكبروا على الحق فلم يقبلوه استكبارا واستعلاء عليه، وقد يكون دليلا على استكبارهم أنهم قالوا «أنؤمن لك واتبعك الأرذلون». وقال عليه السلام إنه دعاهم إلى الإيمان والطاعة جهارا، بمعنى فى العلن جهرا مفصحا عن دعوته للجميع، كما أنه أسرَّ بها إلى آحادهم وجماعاتهم الصغيرة فيما بينه وبينهم، أو إنه كان يذهب إليهم فى بيوتهم يدعوهم للإيمان. ثم بين عليه السلام ما كان يستحثهم به على الإيمان فذكر أنه كان يقول لهم «استغفروا ربكم إنه كان غفارا، يرسل السماء عليكم مدرارا، ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا» يطلب منهم أن يسألوا ربهم مخلصين أن يغفر لهم بإيمانهم ذنوبهم السابقة، ويطمعهم فى نيل المغفرة بذكره لهم أن ربهم غفار للذنوب. ثم إنه لما كان يعلم أنهم أهل دنيا فإنه كان يستحثهم على استغفار ربهم مخلصين له الإيمان بإعلامهم أن جزاء هذا أنه يرسل السماء عليهم بالمطر الخير تدره متواصلا فلا تحبس عنهم السماء مطرها، فيكون لهم منه ومن غيره بأمر الله الرزق بالأموال، وأنه تعالى يفتح أرحام نسائهم فينجبن لهم البنين، ويجعل الأرض تخرج نباتها بساتين وجنات، ويجرى فيها أنهارا تسقى الحرث والنسل. ثم إن القول يفيد أن استغفار الله عن إخلاص مع نية الإقلاع عن الذنب، أو التوبة الصادقة، مجلبة للرزق.

ثم يذكر عليه السلام أنه قال لقومه «ما لكم لا ترجون لله وقارا، وقد خلقكم أطوارا». والاستفهام فى القول يتضمن إنكارا عليهم أنهم لا يخافون لله عظمة وقدرة، فيكون منهم توحيده وعبادته واتقاء غضبه، كما يتضمن توبيخا لهم على هذا، وسبب الإنكار والتوبيخ هو ظهور قدرته وعظمته لهم ومعرفتهم بها من معرفة خلقهم أطوارا، نطفة ثم علقة ثم مضغة، طورا من بعد طور.

■■■■■

أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ
طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾ وَاللَّهُ
أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ
جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لِتَسْلُكُوا مِنْهَا سُبُلًا فِجَاجًا ﴿٢٠﴾

التفســـــير:

القول ـ فى الآيات ـ لايزال فيما نرى ـ والله أعلم ـ هو لنوح عليه السلام فى ذكر ما بذل من جهد فى دعوة قومه لـلإيمان. وفيه أنه خاطبهم بالدليل العقلى المستمد مـن آياته تعالى فى الخلق، فدلل لهم بخلقـه تعالى السماوات سبعا طباقا، بعضها فـوق بعض، وكل منها مطبقة على الأخرى، وجعله القمـر فى السماء منيرا إذ يعكس ضوء الشمس فيصبح للنـاظرين منيرا، وجعله الشمس سراجا متـوهجا فهى مصدر الضياء، دلل لهم بهذا علـى وجود الله ووحدانيته وقدرته. ونـرى ـ والله أعلم ـ أن القول يشير إلـى حقيقة وجود أقمار أخرى فـى السماء، فيكون «القمر» فى القول اسم جنس وذلك بملاحظة ضمير الجمع فى لفظ «فيهن» فيكون الاستفهام فى قـوله «ألم تـروا» لإثبات الرؤية عليهـم ولإنكار عدم استخـلاصهم الحقيقة منهـا عليهم. ودلل لهم على وجوده تعالى ووحدانيته وقدرته بخلقهم من طين الأرض بخلق أبيهم آدم منه، فكأنه خرج من الأرض كما يخرج النبات.

ثم إنهم يولدون ضآل الأجسام ثم تنمو أجسـادهم مثل النبات يخرج من الأرض صغيرا ثم ينمو، وما كـان نمو أجسادهم إلا بالغذاء الـذى يخرج من الأرض، فهم مثل النبـات. ثم إنهم يعودون إلى الأرض بدفنهم فيها بعد موتهم أو بتحلـل أجسام من لا يدفن واختلاطها بالأرض، وبعد ذلـك فإنهم يخرجـون من الأرض بالنشـور والبعث يوم القيـامة. ودلل لهم علـى وجوده تعالى ووحدانيته وقدرته بأن جعل لهم الأرض مبسـوطة مع كرويتها ليتمكنوا من اتخاذ السبل

فى السهل منها، والفجاج بين جبالها يسيرون فيها متنقلين من مكان إلى آخر.

قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا ﴿٢١﴾ وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾

أولا: الأســـماء والأعلام:

ودٌّ، وسواع، ويغوث، ويعوق، ونسر: قيل هى أسماء أصنام كان يعبدها قوم نوح عليه السلام. وقيل كانت تعبدها العرب ولم يعبدها غيرهم. وقيل كانوا ـ فى الأصل ـ خمسة أبناء لآدم عليه السلام، فكلما مات أحدهم، صور إبليس لهم مثله تمثالا على هيئته، فلما مضى الزمان وترك الناس عبادة الله وسوس لهم الشيطان أن هذه التماثيل كانت آلهة آبائهم فعبدوها. وقيل كانوا قوما صالحين فيما بين آدم ونوح عليهما السلام فلما ماتوا زين إبليس للناس أن يصوروا صورهم ليتذكروهم وأفعالهم الصالحة، ثم وسوس لمن جاؤوا بعدهم أن يعبدوها فترحمهم وتسقيهم.

ثانيا: التفســـــير:

القول هو لله تعالى، وهو إخبار بأحداث. ذكر تعالى أن نوحا شكى إلى ربه أن قومه عصوه ولم يتبعوا دعوته، وأنهم اتبعوا سادتهم وكبراءهم الذين تقووا بالمال والأتباع والأولاد كفروا وأمروا بالكفر فاتبعهم القوم، وفى القول وصف نوح عليه السلام هؤلاء الذين أمروا بالكفر

بأنهم الذين لم يزدهم مالهم وأولادهم إلا خسارة الدنيا والآخرة، وذلك بضلالهم فى الدنيا وتعذيبهم فى الآخرة. وذكر تعالى أن نوحا قال له تعالى في قومه إنهم مكروا به مكرا عظيما، يتصور فيه أن يكون هو تحريضهم سفلتهم أن يؤذوه عليه السلام، ويتصور فيه أن يكون إقناعهم الناس أنهم على حق وأن نوحا على الباطل بدلالة إنعام الله عليهم بالمال والولد، ويتصور أن يكون هو أمرهم الناس ألا يتخلوا عن عبادة آلهتهم، وألا يتخلوا عن أصنامهم الخمسة المسماة ودا ، وسواعا، ويغوث، يوعوق، ونسرا، وقد يكون الأمر من السادة والكبراء بعدم التخلى عن عبادة أصنامهم، ويكون القول بالأسماء الخمسة قوله تعالى موجها إلى مشركى العرب الذين يعبدون ودا، وسواعا، ويغوث، ويعوق، ونسرا، كأنه تعالى يقول لهم إنهم كانوا يعبدون أصنامهم الخاصة بهم المماثلة أصنامكم المذكورة أسماؤها. وقد يكون الأمر من السادة بعدم التخلى عن عبادة أصنام لها هذه الأسماء بالفعل، فتكون عبادتها قد أعيدت من بعد الطوفان فى مكة بفعل الشيطان. وفى قول نوح عليه السلام لربه «وقد أضلوا كثيرا» ما يفيد أن السادة والكبراء قد أضلوا كثيرا من القوم بأمرهم ألا يتركوا عبادة أصنامهم أو أن الأصنام المعبودة كانت سببا لضلال الكثيرين من القوم. ثم يذكر تعالى أن نوحا أتبع قوله التقريرى بسؤاله ربه ألا يزيد الظالمين إلا ضلالا، وهو دعاء عليهم ألا تكون لهم منه تعالى زيادة إلا فيما يضرهم ولا ينفعهم من إمعان فى الكفر وإهلاك بالعذاب .

مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟ فَأُدْخِلُوا۟ نَارًا فَلَمْ يَجِدُوا۟ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَنصَارًا ﴿٢٥﴾

التفسير:

أخبر تعالى ـ فى الآية ـ عن أنه من أجل خطايا قوم نوح أو بسببها كان منه تعالى إغراقهم، والقول بهذا إيجاز لذكر قصة الطوفان اكتفاء بذكر نهايتها، ثم جاء قوله تعالى «فأدخلوا نارا» مبينا أنهم أدخلوا النار بعد إغراقهم، فيتصور أن يكون هذا مفيدا تعذيبهم فى قبورهم، أو مفيدا أنهم تعرض عليهم أماكنهم من النار، وقيل إنهم كانوا يعذبون بالنار حال إغراقهم، بأن كانوا

يغرقـون فى جانب، ويحتـرقون فى جانـب، وهو ما لا نراه لأن الفـاء فى لفظ «فأدخلـوا» تفيد التعاقب بمعنى أن التعذيب بـالنار كان من بعد الإغراق. ثم جاء قوله تعـالى «فلم يجدوا لهم من دون الله أنصارا» بيانا لواقع فيهم وفى كل معذب منـه تعالى وهو أنه لا يجد له ناصرا يدفع عنه عذاب الله .

وَقَالَ نُوحٌ رَّبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾ رَّبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا ﴿٢٨﴾

أولا : الأسـماء :

الديــار: فى قوله تعالى «لا تذر على الأرض من الكافرين ديارا» هو من يسكن الدور.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أنه أهلـك قوم نوح بإغراقهم وأنهم يعذبون فى النار، فـإنه تعالى ذكر فى الآيتين مـا كان من نوح عليـه السلام معه تعالـى قبل إهلاك قومـه، وهو الدعاء عليهـم، فبين تعالى أن إهلاكه القوم كان فيه استجابة لدعاء نوح عليه السلام .

ذكر تعـالى أن نـوحا دعـاه ألا يترك علـى الأرض ـ وهـى جميع الأرض لـدى من يـرى أن الطوفـان شمل جميـع الأرض، وهى الأرض التى شملهـا الطوفـان عند من يـرى أنه لـم يعم الأرض جميعها ـ دعاه ألا يترك على الأرض من الكافـرين أحدا يسكن دارا، والمعنى هو إفناء جميع الكافـرين. وقيل إنه تعـالى كان قد أعقم أرحـام النساء وأصلاب الرجـال قبل العذاب بالإغراق أربعين سنة، فلم يكن فيهم وقته صبى. ثم إن نـوحا برر دعاءه على قومه بذكر ما تبين

له منهم علـى مدى عمره الطويل بـالتجربة والملاحظة، أو مـا علمه من الله من أنه تعـالى لو تركهـم بغير عذاب يفنيهم ويستـأصلهم لا يكون منهـم إلا إضلال الناس، ولا من نسلهـم إلى الفجرة الكفرة. وفى هذا قيـل إنه تعالى أخرج من أصلاب الرجال كل مـؤمن فلم يبق فيها إلا الكفرة الفجرة .

كما ذكر تعالى أن نوحا عليه السلام دعا لنفسـه ولوالديه بالمغفرة، والمعنى أن والديه عليه السلام كانا مؤمنيـن، وقد سبق بيان أبيه، وقيل إن اسم أمه «منجل»، كمـا أنه عليه السلام دعا بالمغفرة لكل من دخل بيته مؤمنا، بمعنى من دخل مسجده وذلك لأن بيوت الأنبياء مساجد، ولأن من يـدخلها مـؤمنا يكـون قد دخلهـا متعبدا أو متعلمـا لأجل إحسـان العبادة، كمـا دعا بالمغفرة للمـؤمنين والمؤمنات عـامة إلى يوم القيامـة. ثم دعا ربه علـى الكافرين ــ سماهم الظالمين ـ بألا تكون منه تعالى لهم زيـادة إلا فى هلاكهم وخسرانهم. يتصور أن يكون الدعاء على قومه الكافرين، ويتصور أن يكون على جميع الكافرين إلى يوم الدين .

■■■■■

بسم الرحمن الرحيم

سورة الجـــن

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ ٱسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَقَالُوٓا۟ إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ﴿١﴾
يَهْدِىٓ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ ۖ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا ﴿٢﴾ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ
رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴿٣﴾

التفســـــير:

قوله تعالى ــ في الآيات ـ هو شروع في ذكر واقعة استماع أفـراد من الجن رسول الله صلى الله عليه وسلـم يرتل القرآن ومـا كان منهم مع قـومهم من بعـد سماعهم القرآن. وقـد قيل إن الواقعة حدثت قبل الهجرة بثلاث سنوات، وقيل حدثت سنة إحدى عشرة من النبوة .

وقد تضمنت الآيات الثلاث أمـره تعالى رسولـه صلى الله عليه وسلـم أن يروى قصـــة الجن معـه لقومه لبيـان أن مؤمنى الجن أفضـل من كفارهـم، لأن الأولين اســـتمعوا الـقرآن فآمنوا والآخرين استمعـوا له فأعرضوا، كما أن فى الآيات الثـلاث إظهارا لكيفية إيمان الجن وكيفية إعلانهم إيمانهم.

بدأ تعالى بـأمر رسوله ﷺ أن يقول لقومه أنـه أوحى إليه من ربه على لسـان جبريل أن نفرا من الجن ـ قيل إنهم رهط بين ثلاثة وعشرة، وقيل أكثر من عشرة ـ استمعوا إليه ﷺ يقرأ القرآن العظيم، فكان منهم عند رجوعهم إلى أقوامهم أنهـم قالوا لهم إنهم سمعوا كتابا مقروءا، أمره عجب فى حسن النظم ودقة المعنى بما لا يشبه كلام الناس.

ثـم إنهم وصفـوا الكتاب المقـروء الذى استمعـوه بأن مـن شأنـه أنه يهـدى إلى الحـق، والمعنى أنه يهدى إلى الإيمان والتوحيد.

ولهذا فـإنهم قالـوا بما تـرتب على سمـاعه معهم وهـو أنهم آمنـوا بالقرآن جميعـه الذى استمعوا إلى بعض آياتـه، وأنهم آمنوا بما جاء به فوحدوا الله ربهم، وزادوا بـأن أبانوا أنهم لن يشركوا بربهم أحدا من خلقه.

والمعنى أنهم عـزموا مستعينين بالله علـى ألا يشركوا به أحـدا. ثم بينوا معرفتهـم الله تعالى مما سمعوا بأن قالوا إنـه تعالت عظمته وارتفع جلاله وشأنه عن أن تكـون له صاحبة وعن أن يتخذ ولدا.

فيكون المعنى أنهـم تيقنوا من كذب القــائلين مـن قومهم إنه تعــالى اتخـذ صاحبة أو ولدا .

وَأَنَّهُۥ كَانَ يَقُولُ سَفِيهُنَا عَلَى
ٱللَّهِ شَطَطًا ٤ وَأَنَّا ظَنَنَّآ أَن لَّن تَقُولَ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ٥
وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ
رَهَقًا ٦ وَأَنَّهُمْ ظَنُّوا۟ كَمَا ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَبْعَثَ ٱللَّهُ أَحَدًا ٧

التفسير:

القول ـ في الآيات ـ من قول الجن الذين استمعوا إلى القرآن فآمنوا لقومهم، قالوا لهم إن سفيه الجن ـ يعنون إبليس اللعين ـ كان يقول على الله غير الحق ويشتط في القول مجاوزا كل حد، يعنون بهذا قوله في الله إنه اتخذ صاحبة واتخذ ولدا. وبينوا أنهم خلصوا إلى هذه الحقيقة وأنهم في تصديقهم إبليس وكفرة الجن فيما نسبوه إلى الله ـ من قبل ـ كانوا معذورين لأنهم اعتقدوا أنه لايتأتى للإنس ولا الجن أنهم يدعون على الله الكذب، وأنهم يجرؤون على هذا فاتبعوا قولهم متأثرين باعتقادهم هذا. ثم أتبعوا هذا بذكرهم ما خبروه من أمر الإنس والجن الذين كفروا إذ كان رجال من الإنسان يعوذون برجال من الجن فزادوهم رهقا ـ وفيه قيل إن الرجل من العرب كان إذا أمسى في واد قفر نادى عزيز الجن فيه متعوذا به من إيذاء من هم تحت إمرته من الجن، فكان هذا يملأ نفوس المتعوذ بهم تكبرا وعتوا وغرورا. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن القول يفيد معنى، أو إنه يشير إلى استعانة السحرة والكهنة من الإنس بشياطين الجن في أعمال السحر والكهانة، وأن شياطين الجن كانت تشترط عليهم التقرب إليهم بالكفر وعمله، فكانوا يزيدونهم معاصى وآثاما تزيد فى عذابهم.

ثم كان منهم بيان سبب اجتراء المتعاونين والمستعيذين بعضهم من الإنس والجن على الكفر والعمل به فيما يستعين فيه بعضهم ببعض، وهو اعتقادهم ذات الاعتقاد الذى عليه باقى الجن الذين لم يؤمنوا ـ وهم المخاطبون ـ أن الله لن يبعث أحدا للحساب والجزاء

بالثواب والعقاب ، فأمنوا أن يعذبوا، فكان منهم الكفر وعمله.

وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ﴿٨﴾ وَأَنَّا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَّصَدًا ﴿٩﴾
وَأَنَّا لَا نَدْرِي أَشَرٌّ أُرِيدَ بِمَن فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا ﴿١٠﴾

التفسير:

فى الآيات أن رهط الجن الذى آمن قالوا لباقى أفراد جنسهم أنهم طلبوا خبر السماء بالصعود إليها ـ جاء التعبير عنه بلمسها ـ فوجدوها قد ملئت بحراس شداد من الملائكة وشهب تمنعهم من تحقيق بغيتهم ـ وقد كان هذا من بعد بعث محمد ﷺ رسولا نبيا ـ وبينوا لقومهم أن منعهم من طلب خبر السماء هو أمر حديث العهد يخالف ما كان عليه الحال من قبل إذ كانوا يتخذون من السماء مقاعد للسمع يجلسون فيها مستمعين إلى كلام أهل السماء آمنين، ثم بينوا لهم الأمر الحادث حديثا، وهو أن من يحاول بلوغ السماء للاستماع يجد شهابا قد رصد له يصيبه فيؤذيه ويمنعه عن بلوغ هدفه، وعلى هذا فإنه يكون القول غير نافٍ أن الشهب كانت منظورة فى السماء قبل بعثة رسول الله صلى الله عليه وسلم، إلا أنها لم تكن رجوما للشياطين مرصودة لهم. ثم إن الجن الذين آمنوا أظهروا أنهم لايدرون ما إذا كان المراد من ملء السماء حرسا شديدا وشهبا شرا ينال من فى الأرض أم خيرا.

ويتصور أن يكونوا قد خلصوا إلى ارتباط ملء السماء حرسا شديدا وشهبا ببعثه صلى الله عليه وسلم رسولا نبيا، فأبدوا عدم معرفتهم بما إذا كان المراد بهذا شر العباد بتعذيبهم بكفرهم به أم خيرهم بإيمانهم له .

وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا ﴿١١﴾ وَأَنَّا ظَنَنَّآ
أَن لَّن نُّعْجِزَ ٱللَّهَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَن نُّعْجِزَهُۥ هَرَبًا ﴿١٢﴾

أولا : الأســـــماء :

القــدد : فى قوله تعالى «كنا طرائق قددا» هو التفرق والتشتت والاختلاف .

ثانيا : التفســـــير:

القول ـ فى الآيتين ـ للجن الذين آمنوا استئنافـا لحديثهم مع قومهم، فيه ذكر لحالهم قبل سماعهم القرآن و إيمانهم به. ذكروا أن منهم مـن جبل على صالح الأعمال لا يميل إلى عمل الشر فيتعـامل مع غيره بـالحسنى لا يظلم أحدا، وأن منهـم من هم دون درجة الصـلاح هذه، والدونية تعنى أن منهم مـن انعدم فيه الصلاح تماما فكانت طبيعته ميـالة إلى الشر، وأن منهم من وجـدت فيه خصلة أو خصـال من الصلاح لكنهـا دون ما لـدى الصالحين منهـم. ولهذا فإنهم وصفوا حالهم من الصلاح بأنهم كانوا على طرق مختلفة متفرقة. وفى القول أيضا أنهم قد علمـوا من بعد إيمانهـم ـ وقت مخـاطبتهم قومهـم ـ أنهم إن كفروا فـإنهم معذبـون، جاء التعبير عن هذا بأنهم لن يتمكنوا من الهروب من العذاب فى الأرض والتخلص منه، كما أنهم لن يتمكنوا من الهروب من الأرض ولوجا إلى السماء .

وَأَنَّا لَمَّا سَمِعْنَا ٱلْهُدَىٰٓ
ءَامَنَّا بِهِۦ ۖ فَمَن يُؤْمِنۢ بِرَبِّهِۦ فَلَا يَخَافُ بَخْسًا وَلَا رَهَقًا ﴿١٣﴾ وَأَنَّا مِنَّا
ٱلْمُسْلِمُونَ وَمِنَّا ٱلْقَٰسِطُونَ ۖ فَمَنْ أَسْلَمَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ تَحَرَّوْا۟ رَشَدًا ﴿١٤﴾
وَأَمَّا ٱلْقَٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾

التفســـــير:

في القول ما يفيد أن الرهط الذى آمن من الجن بالله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، قد آمن إثر سماعه القرآن ـ وصفه بالهدى ـ على ما أخبر به باقى قومه، وما يفيد أن أفراده قد علموا أن من يؤمن بـربه وبما أنزل على محمد صلى الله عليـه وسلم وتوكل عليه فإنه يـأمن على نفسه فـلا يخاف أن ينقـص شيئا مـن أجره الـذى وعـده الله، ولا أن تغشاه ذلـة يوم القيـامة تغشـى الكافرين. والقول من مؤمنى الجن هو نصح لإخوانهم ودعوة لهم إلى الإيمان .

وبعد هذا فإنهم أخبروا قومهم بأن منهم مـن قدر له أن يسلم ـ أى من جنسهم ـ ومنهم من جار علـى طريـق الحق فلا يكـون له أن يسلم، ثـم إنهم حثـوهم على الـدخول فـى الإسلام بإخبـارهم أن مـن يسلم منهـم فإنـه يكون قد ابتغـى الرشـد الذي يبلـغ حسن ثـواب الآخرة وحذروهم الكفـر وعاقبته بأن أعلموهم أن القـاسطين الجائرين على الحق الـذين لا يسلمون يكونون فى الآخرة وقودا للنار مثلما الحطب هو وقود لها فى الدنيا .

وَأَلَّوِ ٱسۡتَقَٰمُواْ عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ لَأَسۡقَيۡنَٰهُم مَّآءً غَدَقٗا ﴿١٦﴾ لِّنَفۡتِنَهُمۡ فِيهِۚ وَمَن يُعۡرِضۡ عَن ذِكۡرِ رَبِّهِۦ يَسۡلُكۡهُ عَذَابٗا صَعَدٗا ﴿١٧﴾

التفســـــير:

القول ـ فى الآيتين ـ لله تعالى يخبر رسولـه ﷺ أن الجن لو استقاموا على الطريقة، بمعنى أنهم أسلموا وأطاعوا ، لكان منه تعالى أن وسع عليهـم أرزاقهم ـ فقوله تعالى «وألو استقاموا» جاء معطوفا علـى قوله تعالى «أنه استمع نفـر من الجن»، وفى القول «لأسقيناهـم ماء غدقا» تعبيرا عـن الرزق. ثـم إنه تعـالى بيـن علة الإغـداق على المـؤمنين منهـم بالخيـر فبين أنهـا اختبارهم لإظهار من يشكـر ممن يكفر فتلهيه النعمة عن ذكر ربه، فأعلـم تعالى أن من يعرض

عن ذكر ربه وعبادته، أو من يعرض عن قرآنه، يكون منه تعالى أنه يدخله عذابا يعلوه ويغلبه.

وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا
تَدْعُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا ﴿١٨﴾ وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا۟ يَكُونُونَ
عَلَيْهِ لِبَدًا ﴿١٩﴾ قُلْ إِنَّمَآ أَدْعُوا۟ رَبِّى وَلَآ أُشْرِكُ بِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٠﴾ قُلْ إِنِّى
لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ﴿٢١﴾ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ
أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ ۚ
وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ﴿٢٣﴾

أولا : الأسماء :

١ - المساجد : قيل إن المراد بها - في معنى الآية - هو عموم المواضع المعدة للصلاة وللعبادة، وقيل هي الأرض عموما لأنها جعلت للمسلمين مساجد، وقيل إن المراد هو المسجد الحرام، أو الكعبة ذاتها .

٢ - اللبد : في قوله تعالى «كادوا يكونون عليه لبدا» هو التراكم والازدحام .

٣ - الملتحد : في قوله تعالى «ولن أجد من دونه ملتحدا» هو الملجأ، والمعدل، والمنحرف.

ثانيا : التفسير:

القول - في الآيات - من قوله تعالى لرسوله ﷺ الذي أوحاه إليه وأمره أن يقوله لقومه.

أخبره أن المساجد التى اتخذت للصلاة ولذكر الله هى له تعالى، وأخبر عن النتيجة المستفادة من الخبر وهى وجوب عدم عبادة غير الله فيها والدعاء له، وأمر رسوله ﷺ بالقيام على منع عبادة غير الله فيها بقوله تعالى «فلا تدع من الله أحدا» والقيام على تنفيذ الأمر موكول إلى المسلمين بعده ﷺ إلى أن تقوم الساعة .

ثم إنه تعالى أخبر عما كان عندما قام رسول الله ﷺ لعبادة ربه بأداء الصلاة حين اجتمعت إليه الجن تسمع القرآن، أو حين قام إلى الدعوة للإسلام، جاء ذكره ﷺ بأنه عبد الله، لأنه نقل إلى قومه ما أوحى به إليه من ربه بناء على أمر من الله، فكان عبدا لله أُمر فأطاع. ويتصور أن يكون الخبر المروى أنه لما قام ﷺ للصلاة، وشاهدت الجن اجتماع المسلمين خلفه للصلاة، وسمعوا القرآن العظيم، وكانوا لم يشاهدوا مثل هذا من قبل مع رسول الله ﷺ، ولم يسمعوا مثل القرآن، كان منهم الازدحام عليه ﷺ فتراكموا بعضهم فى بعض ليشهدوا ويسمعوا. ويتصور فى المعنى أنه لما قام ﷺ على الدعوة إلى دين الله كان من قريش أنها تظاهروا عليه واجتمعوا متلبدين للعداوة، أو أنهم تلبدوا عليه وشياطين الجن، فيكون فى القول تقابل بين دعوتهم إلى الإيمان والعبادة المستفادة من قوله تعالى «وأن المساجد لله» وبين فعلهم وهو الاجتماع على رسول الله ﷺ الداعى إلى الله.

ثم إنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يعلم المتظاهرين عليه أنه لم يأت ببدع ولا مستنكر يستوجب اجتماعهم عليه فهو ﷺ يعبد ربه ولا يشرك فى عبادته أحدا، وهذا فعل جميع الرسل من قبله. كما أمره أن يقول لهم إنه ﷺ لا يملك من نفسه وبنفسه أن يضرهم بشىء ولا أن ينفعهم بشىء، وقد يكون فى التعبير عن الخير بالرشد ما يفيد أن المراد بالضر هو الغى يكون بالإصرار على الكفر، فيكون المعنى أنه ﷺ لا يملك قسرهم على الكفر ولا على الإيمان، وأن الذى يقدر على هذا هو الله تعالى .

وأمر تعالى رسوله ﷺ أن يقول لقومه إنه لن يجيره من الله أحد إن أراد الله به سوءا، وأنه إن أراد تعالى به سوءا فإنه سيعدم ملجأ يأوى إليه فيرد عنه هذا السوء. فيكون القول مفيدا عجزه ﷺ أن يمنع عن نفسه ضرا أو أن ينفع نفسه بشىء من بعد أن بين أنه لا يملك لغيره ضرا ولا

نفعا، وهذا تأكيد لواقع أنه ليس سوى رسول يبلغ عن ربه ما أرسل به؛ ولهذا يجيء قوله ﷺ «إلا بلاغا من الله ورسالاته» استثناء من مفعول «لا أملك» فيكون المعنى أن الذى يملكه أو يملك أمره هو أن يبلغ الناس أمر ربه ورسالاته التى يبعث بها إليه بواسطة جبريل عليه السلام، فيكون معنى أن من يعصى الله ورسوله فإن له نار جهنم أن النبى الذى يعصى الله ربه والذى يعصى رسالاته التى يبعث إليه بها بواسطة جبريل عليه السلام تكون له نار جهنم. ولما كان من المحال أن يكون من نبى هذا فإن القول يكون ردا على من عرضوا من المشركين على رسول الله ﷺ أن يجيروه إذا ما هو ترك ما يدعو إليه، ثم إن معنى القول له من العموم ما يفيد معنى أن الذين يعصون الله ورسوله ﷺ تكون لهم نار جهنم يخلدون فيها لا يخرجون منها ولا يموتون .

حَتَّىٰٓ إِذَا رَأَوۡاْ مَا يُوعَدُونَ فَسَيَعۡلَمُونَ مَنۡ أَضۡعَفُ نَاصِرٗا وَأَقَلُّ عَدَدٗا ﴿٢٤﴾
قُلۡ إِنۡ أَدۡرِيٓ أَقَرِيبٞ مَّا تُوعَدُونَ أَمۡ يَجۡعَلُ لَهُۥ رَبِّيٓ أَمَدًا ﴿٢٥﴾ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ
فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ
بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ
وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول ـ فى الآيات ـ فى شأن الذين يعصون الله ورسوله، وقد كانوا يستضعفون أنصار رسول الله ﷺ لفقرهم وعدم تملكهم أسباب القوة ولقلة عددهم، فتوعدهم الله بعذاب الآخرة، يعلمون علم اليقين حين يرونه أنهم المستضعفون الأذلاء الذين عدموا ناصرا يمنع عنهم العذاب أو يخففه عنهم. ثم أنه لما كان من الكافرين حين توعدهم رسول الله ﷺ

بعذاب الآخرة أن استهزؤوا بما سمعوا وسألوا منكرين له عن وقته متى يكون، فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ أن يجيبهم على سؤالهم ببيان أنه لا يعلم متى يكون يوم القيامة الذى يلقى الكافرون فيه عذابهم، أيكون قريبا أم بعيدا، بينه وبين وقتهم أمد بعيد. وسبب عدم علمه ﷺ بوقت يوم القيامة هو كونه من الغيب الذى استأثر تعالى ذاته بعلمه، فبعد أن يقول لهم ﷺ إنه لا يعلم أيكون قريبا أم يجعل له ربه أمدا، فإنه يخبر عن ربه بأنه عالم الغيب، فيكون الأصل أنه تعالى وحده الذى يعلم الغيب وأنه لا يظهر ولا يطلع على غيبه أحدا من خلقه، ثم استثنى من الخلق من ارتضى تعالى من الرسل، والمعنى أنه يطلع من ارتضى له من الرسل أن يعلم شيئا من الغيب على ما ارتضى أن يطلعه عليه منه، فيكون الإخبار من الرسول بهذا الغيب معجزة من المعجزات التى أمده الله بها، ومن هذا الغيب ما كان عيسى ابن مريم عليه السلام يخبر به قومه بما يأكلون وما يدخرون فى بيوتهم، وما أوحى إلى رسول الله ﷺ به من أن أبا لهب لا يؤمن ولا يدعى الإيمان تظاهرا، وأن الروم من بعد غلبهم سيغلبون. ثم إنه لما كان هذا الغيب يبلغ إلى الرسول بواسطة جبريل محفوظا، فإنه تعالى بين أنه يحفظه عندما يلقى به جبريل إلى رسول الله ﷺ بالقول من أن تسمعه الشياطين فتعرف خبره، وهو ما يكون بإيجاده تعالى حرسا من الملائكة من بين يدى الوحى ومن خلفه مرصودين لحمايته من أن تسترق الشياطين السمع له حين يقرأه جبريل عليه السلام على رسول الله ﷺ، شأنه فى هذا شأن جميع الرسل حين يطلعهم الله على ما شاء أن يطلعهم عليه من الغيب ليكون لهم آية.

ثم بين تعالى سبب سلكه من بين يدى الوحى ومن خلفه ملائكة مرصودين لحمايته، وهو علم الرسول الذى ارتضى له الله أن يعلم من الغيب ما ارتضى له، أن الملائكة ـ والمراد هو جبريل عليه السلام ـ قد أبلغ رسالات ربه وهى الغيب الموحى به إلى الرسول دون تبديل ولا تغيير، وأنه تعالى أحاط بما لدى الملائكة الرسل أو بما لديه جبريل عليه السلام علما، والمعنى أنه لو كان قد زاد فى الرسالة أو أنقص لكان تعالى قد علم بهذا؛ فهو تعالى العالم بكل شىء، فما من شىء إلا أحصاه عددا وعلم أفراده فردا فردا وما يكون من كل منهم، وهو تعالى المتفرد بهذا العلم، لا يشاركه فيه أحد من خلقه.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ﴿١﴾ قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢﴾ نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا ﴿٣﴾
أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا ﴿٤﴾ إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٥﴾
إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴿٦﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

المزمل : المراد به ـ في معنى القول ـ هو محمد ﷺ وأصل اللفظ هو المتزمل، وهو من تلفف بثيابه. قيل إن مناداته به سببها أنه لما جاءه جبريل عليه السلام في غار حراء وحاوره، رجع إلى خديجة يقول «زملوني زملوني». وقيل إنه لما سمع قول المشركين فيه إنه مجنون، أو إنه ساحر، تزمل في ثيابه فأتاه جبريل فناداه مؤانسا «يا أيها المزمل، يا أيها المدثر» .

ثانيا : التفسير:

خاطب تعالى رسوله ﷺ مناديا عليه بصفته «المزمل» لما كان منه ﷺ من التلفف بثيابه بعد أن ذهب إلى زوجه خديجة بعد نزول جبريل عليه في حراء، أو لما سمعه من قول المشركين فيه. ثم أمره بتكاليف دينية، خصه تعالى بها في القول، وللمؤمنين أن يتأسوا به ﷺ فيها فيثابوا. أمره تعالى أن يقوم لعبادته والصلاة مداوما الليل طوله إلا قليله، ثم بين هذا

القليل بأنه نصف الليـل، ثم خير رسوله ﷺ أن ينقص من هذا النصـف الذى لا يقوم فيه على العبادة مقدارا قليـلا منه أو أن يزيد عليه ـ يتصـور أن تكون الزيادة بقدر النقص المـرخص فيه وهى ما لا يقل عن نصف النصف من الليل، ويتصور أن يكـون تقديرها متروكا له ﷺ. ثم أمره تعالى أن يرتل ـ أثناء قيامه الليل ـ القرآن ترتيلا، بمعنى أن يقرأه فى تؤدة وتمهل يتيحان تدبره، ترتيلا بليغا .

وبعد هـذا فإنه تعـالى أخبر رسـوله أنه سيلقى إليـه قولا ثقيلا، والمعنـى أنه سيوحـى إليه القرآن العظيم ينزله عليـه وفيه من التكاليف ما هو شاق فى حد ذاتـه، فيكون القول تحفيزا له ﷺ على عدم المبالاة بثقلهـا لأنه تعالى يعينه عليها، ويتصور أن يكـون المعنى هو أن القرآن العظيم يثقل على الكفـار والمنافقين بإعجازه، وأنه بـه يثقل ميزان الذين يؤمنـون به. ثم أخبر تعالـى عن قدر ناشئـة الليل وقيمتها، وهـى النفس التى تنشـأ أو تقوم من مضجعها ليـلا إلى عبادة الله، فأخبر تعالـى أنها نفس يواطىء الفعل منها ما استقر فـى قلبها من الإيمان، لأن من يقوم الليل مـن أجل العبادة مع كون الليـل هو وقت الراحة، يكـون مدفوعا بإيمـان مستقر فى قلبه، فيكون القول منه أصوب وأثبت لأنه يكون ترديدا لما فى القلب .

إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا
طَوِيلٗا ﴿٧﴾ وَٱذۡكُرِ ٱسۡمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا ﴿٨﴾ رَّبُّ ٱلۡمَشۡرِقِ
وَٱلۡمَغۡرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا ﴿٩﴾ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَٱهۡجُرۡهُمۡ هَجۡرٗا جَمِيلٗا ﴿١٠﴾ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ
قَلِيلًا ﴿١١﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ السَّـبح : فى قوله تعالى «إن لك فى النهار سبحا طويلا» هو الجرى

والدوران، وهو التقلب .

٢ ـ التبتيــل: بمعنى التبتل وهو الانقطاع، من «بتل ـ يبتل» بمعنى قطع .

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن أمر تعـالى رسوله ﷺ بقيام الليـل عابدا مصليا قارئا القـرآن، فإنه تعالى بيـن له أنه ليس مـن شأن هـذا شغله عـن الدعـوة وشئون عيشـه، لأن في طـول النهار متسعـا لأداء هذه الشواغل، وقد يكون المراد بيانه هو أن شواغل العيش وتحرك المرء فيها تستغرق معظم نهاره، فلا يستطيع التفرغ للعبادة، فيكون الليل أكثر ملاءمـة للتفرغ للعبادة. ثم أتبع تعالى هذا البيان بأمـر رسوله ﷺ بـالمداومة علـى ذكر ربه بأسمـائه الحسنى، وأن ينقطع إليـه تعالى بـالعبادة بالقلب، فلا يشـرك به في قلبه أحدا ولا شيئا، انقطاعـا ليس فيه شغل شاغل. ثـم مدح تعالى ذاته المأمور بالتبتـل لها بأنه رب المشرق والمغرب أوجدهما وحفظهما فـداما به، ووجد ذاته نافيا الألوهية عـن غيره، ثم أمر رسوله ﷺ أن يتخذه تعالى وكيلا بمعنـى أن يتوكل عليه وحده ترتيبا على خصـه وحده بالألوهية والربوبية، ثـم جاء أمره تعالى رسوله ﷺ بـالصبر على قول الكافريـن فيه إنه ساحر أو كـاهن، وهو ما كان يؤذيـه منهم بالقول مكتفيا بتجنبهـم عن طلب مجازاتهـم. والقول بهذا المعنى مترتب على التوكـل عليه، ومترتـب عليه أيضا أمره تعـالى رسوله أن يخلى مـا بينه وبين الكافرين، بأن يتـرك أمرهم إليه تعالى «وذرنـي والمكذبين أولى النعمة» وصفهم بأنهم المكـذبون لأنهم كذبوا بالقرآن وبرسـول الله ﷺ، ووصفهم بأنهم أولى النعمة لأنه تعالى أنعم عليهم بنعم تمتعوا بها، ثـم جاء قوله تعالى «ومهلهم قليلا» في صيغة الأمر، وهو في حقيقته طمأنة لرسول الله ﷺ أنه تعالى معذب المكذبين، وتوعد لهم بالعذاب يكون قريبـا حدوثه لقصر المدة التى أمهلـوها. ويتصور في العذاب أن يكون عـذاب يوم بدر، كما يتصور فيه أن يكون عذاب يوم القيامة .

إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا
أَلِيمًا ﴿١٣﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا
مَّهِيلًا ﴿١٤﴾

أولا : الأســــماء :

١ ـ **الأنكـال** : فى قوله تعالى «إن لدينا أنكالا» جمع، مفرده «النكل» وهو القيد الثقيل.

٢ ـ **الغصة**: فى قـوله تعـالى «وطعامـا ذا غصة» هـى عدم الاستساغـة تؤدى إلـى نشوب الطعام فى الحلق وامتناع بلعه وازدراده .

ثانياً : التفســــــير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ أن يترك أمر المكذبين لـه تعالى، فإنه تعالى بين فى الآيات ما أعده لهم للانتقـام منهم، فذكر تعالى أن لهـم عنده قيودا ثقيلة تهبط بأحـدهم إلى أسفل إذا أراد أن يرتفـع عن الأرض، ونارا شـديدة الإيقاد يصطلى بها وطعامـا لايكاد أحدهـم يسيغه فيعلق فى حلقـه كالضريع والـزقوم، وعذابا أليمـا فوق هذا العذاب المغلـوم، لم يذكر بنـوعه لينشغل بـه فكر المتوعديـن به. ثم بيـن تعالى أن هـذا العذاب الأليم يكون يـوم أن تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل ثم تتفتت الجبال فتصبح رملا مجتمعا رخوا لينا من بعد صلابة .

إِنَّآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ رَسُولٗا شَٰهِدًا عَلَيۡكُمۡ كَمَآ أَرۡسَلۡنَآ إِلَىٰ
فِرۡعَوۡنَ رَسُولٗا ﴿١٥﴾ فَعَصَىٰ فِرۡعَوۡنُ ٱلرَّسُولَ فَأَخَذۡنَٰهُ أَخۡذٗا وَبِيلٗا ﴿١٦﴾
فَكَيۡفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرۡتُمۡ يَوۡمٗا يَجۡعَلُ ٱلۡوِلۡدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ
مُنفَطِرُۢ بِهِۦۚ كَانَ وَعۡدُهُۥ مَفۡعُولًا ﴿١٨﴾ إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿١٩﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الوبيـــل**: فى قوله تعالى «فأخذناه أخذا وبيلا» هو الثقيل تحمله، الرديئة عاقبته.

٢ ـ الشيب : جمع، مفرده «الأشيب» وهو الشيخ، وهو الشيخوخة .

ثانيا : التفسير:

قيل إن الخطاب فى قوله تعالى «إنا أرسلنا إليكم رسولا» موجه إلى كفار مكة المكذبين أولي النعمة، وقد يكون الصحيح ـ والله أعلم ـ أنه موجه إلى جميع الناس لأن رسول الله ﷺ أرسل للناس جميعا. وفى القول يخاطب تعالى الناس مخبرا أنه أرسل إليهم رسولا شاهدا عليهم بمعنى أنه يشهد عليهم يوم القيامة بما كان منهم من كفر وعصيان، ثم ذكر لهم أن إرساله ﷺ ماثل إرساله تعالى موسى عليه السلام رسولا إلى فرعون، لم يذكر فى القول اسم موسى لأن المراد إظهاره هو بيان نتيجة تكذيب الرسل، فذكر بصفته رسولا ثم جاء التحذير من تكذيبه ﷺ بطريق التمثيل ببيان ما أصاب فرعون بعصيانه رسول الله إليه، فأثبت تعالى ـ فى القول ـ أن فرعون عصى الرسول فكان منه تعالى أن أخذه بالعقاب الثقيل الوطأة السيء عاقبة وهو الإغراق فى البحر. ثم جاء قوله تعالى «فكيف تتقون إن كفرتم يوما يجعل الولدان شيبا» إنكارا لأن يكون الكافرون قادرين على اتقاء عذاب يوم القيامة أو هوله الذى من شأنه أن يضعف قوى الولدان فيدركهم الشيب، وقيل إن طول اليوم من شأنه أن يشيخ فيه من كان ولدا صغيرا. وفى معنى «إن كفرتم» فإنه إذا كان الخطاب إلى كفار مكة فإن المعنى يكون «إن دمتم على ما أنتم عليه من الكفر» وإذا كان لعموم الناس، فإن المعنى يكون إن كفرتم برسول الله الذى بعث إليكم جميعا ولم تؤمنوا له .

ثم إنه تعالى ذكر من أهوال اليوم الذى لايتمكن الكافرون من اتقاء هوله أو عذابه أن السماء تتشقق من فرط شدته، فيكون كل ما هو دونها أشد تأثرا، وأعقب هذا ببيان أن وعده تعالى بالقيامة والحساب والجزاء كائنا لاشك فيه بقوله تعالى «كان وعده مفعولا». وبعد هذا فإنه تعالى أشار إلى الآيات المتضمنة عذاب الكافرين والمكذبين فى الدنيا والآخرة وأخبر عنها أنها تذكرة، بمعنى أنها موعظة يعتبر بها، ثم حث الناس على تجنب أن يكونوا من أصحاب هذا العذاب ببيان أن بمشيئتهم اختيار الطريق الموصل إلى رضائه تعالى وهو الإيمان به ولرسوله ﷺ وطاعة الله ورسوله .

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثَيِ ٱلَّيْلِ وَنِصْفَهُۥ وَثُلُثَهُۥ وَطَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ مَعَكَ ۚ وَٱللَّهُ يُقَدِّرُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ۚ عَلِمَ أَن لَّن تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ ۚ عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ ۙ وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَءَاخَرُونَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ فَٱقْرَءُوا۟ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ ۚ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا ۚ وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا ۚ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌۢ ﴿٢٠﴾

التفسـير:

الخطاب ـ في الآية ـ إلى رسول الله ﷺ، يخبره تعالى أنه يعلم قيامه للعبادة والصلاة وقتا أقل من ثلثي الليل، وقيامه نصف الليل، وقيامه ثلثه، هو ﷺ وطائفة من أصحابه ﷺ يقومون قيامه. ثم أخبره أنه يقدر الليل والنهار بمعنى أنه الذي يحدد ساعات كل منهما، فيكون الأعلم بها وأن رسوله والذين يقومون الليل معه والمؤمنين جميعا لن يتمكنوا من حساب أوقاتهما ـ بصفة دائمة ـ على نحو صحيح ولو ملكوا وسيلة ذلك بطريق العلم مما يجعل التزام قيام أوقات معينة محددة منه بصفة دائمة أمرا فوق الاستطاعة والقدرة؛ ولذلك فإنه تعالى رخص لهم في ترك القيام المقدر فلم يجعله فرضا، أو إنه تعالى رفع فرضيته، ثم أمر بقراءة ما تيسرت قراءته من القرآن أو بصلاة ما تيسر من صلاة الليل. قيل إن الأمر يعني فرض قراءة القرآن ليلا أو الصلاة ليلا على ما تيسر. فإن كان الأمر كذلك فقد نسخت فرضية قراءة

القرآن ليلا بقوله تعالى «ومن الليل فتهجد به نافلة لك» ونسخت فرضية صلاة قيام الليل بما تيسر بالصلوات المفروضة.

ثم ذكر تعالى سببا آخر لرفع فرضية قيام الليل صلاة على المقدر وقتا، فقال تعالى إنه علم أنه سيكون من المؤمنين مرضى، وعاملون يسافرون فى الأرض لكسب العيش، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله وهؤلاء وغيرهم يشق عليهم قيام الليل، ثم بين تعالى أن شواغل الحياة والمهام يجب ألا تشغل المؤمن عن المداومة على ذكر الله بأمره المؤمنين بقراءة ما تيسر من القرآن لهم دون تحمل مشقة وأن يقيموا الصلاة المفروضة، ويؤتوا الزكاة، وأن يتصدقوا مبتغين وجه الله. ثم حثهم على التزام أوامره هذه بقوله تعالى «وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا وأعظم أجرا» فبين لهم أن ما يعملون من صالح الأعمال وما ينفقون فى سبيل الله هو زاد لهم وتقدمة للآخرة يكون لهم به أجر عظيم بفضل ما بذلوه وما كانوا يتظرون فيما لو ادخروه أو أوصوا به. ثم إنه تعالى - رحمة منه بالمؤمنين - أمرهم أن يستغفروه، فالاستغفار سبب لاستمطار الرزق ولمغفرة الذنوب التى لاينجو من مقارفتها إلا من عصم ربك، وحثهم على الاستغفار بذكره أنه غفور رحيم إطماعا لهم فى نيل المغفرة والتنعم بالرحمة التى لايكون بغيرها دخول الجنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المدثـــر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ﴿١﴾ قُمْ فَأَنذِرْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ﴿٣﴾ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ﴿٤﴾
وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾ وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ﴿٦﴾ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ﴿٧﴾

أولا : الأسـماء :

المدثر : هو المتدثر، الذى لبس الدثار هو ما فوق القميص الذى يكون على البدن مباشرة. والمراد به - فى معنى القول - هو رسول الله ﷺ الذى تدثر بثيابه تعبيرا عن اغتمامه بما سمع من قول المشركين فيه .

ثانيا : التفسـير :

نادى تعالى رسوله ﷺ بصفته الذى تدثر بثيابه ونام - على ما قيل - فأمره بالقيام من نومه لينذر الناس بالقرآن بدءا بعشيرته الأقربين، ويتصور أن يكون مفاد الأمر بالقيام هو الأمر بالعزم والتصميم على أداء ما كلف به من الإنذار بالقرآن، كما أمره أن يكبر ربه بمعنى أن يخصه وحده بالإكبار فى الاعتقاد وبالقول، وأن يطهر ثيابه، فلا يكون بثيابه أثر من نجاسة ولا من وسخ أو قذر أو دنس. والأمر يشمل تطهير النفس لأن من طهر ظاهره كان الأولى به طُهر باطنه، كما أمره بهجر العذاب بمعنى تجنبه بتجنب أسبابه وهى الأثام، ثم نهاه عن يهب هبة طامعا أن يحصل ممن وهبه الهبة على ما هو أكثر منها نفعا أو قيمة. والنهى هذا خاص به ﷺ، وقيل إن الفعل منهى عنه نهى تنزيه للكل. وأتبع هذا بأمره بالصبر لربه، يتصور فيه أن يكون صبرا على أداء الفرائض والطاعات وهجر المعاصى، ويتصور فيه أن يكون صبرا على أذى الكافرين .

فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ﴿٩﴾ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ﴿١٠﴾

أولا : الأسـماء:

الناقور : هو الصور ينفخ فيه أو ينقر فيه للتصويت.

ثانيا : التفسـير:

بعد أن أمر تعالى رسوله ﷺ بالصبر لربه، ومنه الصبر على أذى الكافرين، فإنه تعالى بين أن الكافرين يعذبون بإيذائهم رسول الله ﷺ يوم القيامة، بذكره أنه إذا ما وقع النفخ فى الصور كان ذلك اليوم الذى وقع فيه النفخ يوما شديدا على الكافرين غير سهل ولا هين لأنهم ينتقلون من شدة إلى أخرى .

ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴿١١﴾ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَّمْدُودًا ﴿١٢﴾
وَبَنِينَ شُهُودًا ﴿١٣﴾ وَمَهَّدتُّ لَهُ تَمْهِيدًا ﴿١٤﴾ ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ ﴿١٥﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

الوحيـد : فى قوله تعالى «ذرنى ومن خلقت وحيدا» هو كل فرد من جنس الإنسان، يولد وحده بلا مال ولا ولد عند مولده. وقيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هـو الوليد بن المغيرة، كان يسمى «الوحيد» فى قومه، به دعا نفسه وقال إنه الوحيد فى العرب ليس له نظير.

التفسـير:

كما قـال تعالى فى الآية الحادية عشرة من سورة «المزمل» «وذرنى والمكذبين أولى النعمة» فإنه تعالى قال فى الآية الحاديـة عشرة من السورة «ذرنى ومن خلقت وحيدا» وفى الآيتين يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ، فيكون المتوعد بالعذاب من الله على المستفاد من أمره تعالى رسوله أن يترك أمره إليه تعالى ينتقم منه قـد توعد مرتين بانتقام الله منه. ولما كان القول فى سورة المزمل قـد ورد فى عموم المكذبين أولى النعمة، فإنه يكـون مقبولا القول بأن القول فى السورة خاص بمن نزل فيه القول وهو الوليـد بن المغيرة، وصفه تعالى بأنه الذى خلقه الله وحيدا ـ رغم أن كـل إنسان يولد وحيدا ـ لأن العرب كـانت تدعوه الوحيد كمـا كان يقول فى نفسه اغترارا بقـوته وماله، ووصفه تعـالى بأنه الذى جعل لـه تعالى مالا كثيرا مبسوطا، وبنين كثيرين يحضرونه فى كل مجلس لا يفارقونه، وأنه الذى بسط له تعالى الرئاسة فى قومه والجاه العريـض، فكمل له من الله أسبـاب القوة، ثم بين تعـالى أنه لـم يكتف بما أفاء الله عليـه من النعم التى تنعـم بها بشكر الله عليها، و إنمـا طمع أن يزيده تعالـى فوقها أخرى، فيكـون قوله تعالى «ثم يطمع أن أزيد» استنكارا لطمعه .

كَلَّآ
إِنَّهُۥ كَانَ لِـَٔايَٰتِنَا عَنِيدًا ﴿١٦﴾ سَأُرْهِقُهُۥ صَعُودًا ﴿١٧﴾ إِنَّهُۥ فَكَّرَ وَقَدَّرَ ﴿١٨﴾
فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿١٩﴾ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ نَظَرَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ عَبَسَ
وَبَسَرَ ﴿٢٢﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ وَٱسْتَكْبَرَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ﴿٢٤﴾ إِنْ
هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى أن الكـافر المعنى بالقول، أو الوليد بن المغيرة ــ على المشهور ـ يطمع أن يزيده الله نعما أخرى فوق ما أنعم عليه به من النعم، فإنه تعالى قطع عليه طمعه وزجره عن الاسترسال فيه ببيـان أنه لن يكون ، على ما يبين من قـوله تعالى «كلا» ثم بين علـة هذا بقوله «إنه كان لآياتنا عنيدا» فهو قد عاند آيات الله المنزلة فلم يؤمن وعاند آياته تعالى المتمثلة فى النعم فلم يؤد حقها من الشكر. وقيل إن الوليد ـ مـن بعد نزول الآية ـ ظل فى نقص من المال والولد إلـى أن هلك، ثم بين تعالـى أنه سيرهقه بالعذاب يكـون كل نوع منه أشد مـن سابقه، فكأنه يصعد من صعب إلى أصعب «سأرهقه صعودا» وقيل إنه يصعد فى جهنم جبلا من نار سبعين خريفا، فإذا صعده هوى ليصعده مجددا .

وبعد هذا يـروى تعالى مظهر عناده مـع آيات الله المنزلة بـذكر ما كان منه بعـد أن قال فى القرآن العظيم كلمة حق حيـن سمعه فتوجه إليه قومه معاتبين فعدل عـن الحق الذى اقتنع به إلى الباطل معـاندا عقله. رواه تعالى مفصلا على نحـو يبين منه أنه تعالى معهـم أينما كانوا. فقال تعالـى «إنه فكر وقدر» وهذا بيـان لما كان منه عندما سـأله قومه «فماذا تقـول فى القرآن وفى محمد ﷺ» فكـان منه أن فكر فيما تكون عليه إجـابته، وهيأ الإجابة فى نفســه قبل النطق بها. ثم قال تعـالى «فقتل كيف قدر، ثم قتـل كيف قدر» والقول تعجيب من تهيئتـه القول فى نفسه يصيب فيه الخطل ويحقق مقصود الكافرين من سـؤالهم وهو ذكر قولة باطل تقبل ـ فى اعتقادهم ــ فى القرآن وفى رسـول الله ﷺ، كما أن فيه دعاء عليـه باللعنة أو الهلاك. ثـم جاء تكرير القـول للمبالغة فى التعجيب مـن تقديره ولتأكيد معنـى لعنه أو إهلاكه. ثم بيـن تعالى تصرفه عندمـا وجه إليه السؤال من الكافريـن، فقال تعالى «ثم نظر» يبين مـن «ثم» أنه انتظر برهة أو فتـرة قصيرة من الوقـت يتفكر فيها فى القـرآن وفى رسول الله ﷺ ماذا يقـول فيهما. ثم يقول تعالى «ثم عبس وبسر» والمعنى أنه لما لم يجد فى نفسه قولا يقتنع به يسىء إليهما كان منه أن قطب وجهه لضيقه من هذا، وبسر بمعنى أنه كلح وجهه وتغير لونه لهذا. ثم بين تعالى أن عدم تبينه مطعنا على القـرآن ولا على رسول الله ﷺ لم يدعه إلى الإيمان بقـوله تعالى «ثم أدبر واستكبر» أى أنه ولى الحـق دبره معرضا عنه واستكبر على أن يكون مـن متبعيه، فكان منه أن قال قولة البـاطل «إن هذا إلا سحر يؤثر»، بمعنى أن القرآن الـذى يتلوه محمد ﷺ ليس إلا سحرا أخذه عن غيره ـ قيل إنه دلل على هذا بأنه يفرق بين الأب وابنه ـ ثم أتبع هذا بقوله «إن هذا إلا قول البشر» رمـى فيه رسول الله ﷺ بأنه يأخـذ القرآن أو معانيه من إنسان مـن البشر ثم ينسبه إلى الله تعالى. قيل إن المشركين زعموا أنه ﷺ كان يأخذه من عبد كان لبنى الحضرمى

يدعى سيارا، وقيل من عدى الحضرمى الكاهن .

سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾
لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا
أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا
لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ
الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ
وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ
وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَىٰ
لِلْبَشَرِ ﴿٣١﴾

أولا : الأسماء:

١ ـ اللواح : هو من لاح الشيء أي غيره وكرر ذلك. والمراد باللفظ ـ فى معنى القول ـ المغيرلون بشرة المعذبين إلى السواد .

٢ـ البشر : المراد باللفظ ـ فى معنى القول ـ هو البشرات والجلود .

ثانيا : التفسير:

ذكر تعالى ـ فى الآيات ـ أنه سيصلى هذا الكافر المعاند سقر، بمعنى أنه سيدخله سقر يصلى نارها، ثم جاء قوله تعالى «وما أدراك ما سقر» مبالغة فى وصفها أريد به بث الإحساس بهول عذابها، ثم بين تعالى وصفها الذى بولغ فيه بذكر أنها لا تبقى شيئا أو أحدا يلقى فيها إلا

أهلكته، وأنها إذا أهلكته لا تتركـه هالكا، إذ يعاد صحيحا ليهلك من جديـد، ويذكر أنها تغير البشرات والجلود بلفحها فى مبدأ الأمر قبل الإحراق فتجعلهـا سوداء. ثم ذكر تعالى أنه جعل القائمين على أمـر سقر تسعة عشر فردا ـ لم يـذكر فى مبدأ الأمر جنسهم ـ فلمـا قال أبو جهل لقومه إنـه ﷺ أخبر أن عدد خزنة النار تسعـة عشر، وسألهم أيعجز كل عشـرة منكم أن يبطشوا برجل منهم، نزل قوله تعالى «وما جعلنا أصحـاب النار إلا ملائكة» فبين جهل الكافرين ، كما أظهر عدم قـدرتهم عليهم. ثم بين تعـالى أنه قد جعـل عددهم هو هذا العـدد القليل ليفتن الذيـن كفروا بـأنفسهم إذ يستقلـون عددهـم على أن يكفـى القيام علـى تعذيـب أهل النـار الكثيرين عددا، فيكون منهـم الاستهزاء بالخبر وبقائله ونرى ـ والله أعلـم ـ أن القول يشير إلى افتتان البهائية والبابية بـالرقم وتقديسه والربط بينه وبين معتقداتهـم الباطلة بظهور البهاء، أو الباب الـذى يزعمون نبـوته فى القـرن التاسع عشـر للميلاد ـ ممـا لا مجال لتفصيله ـ اكتفاء بالإشـارة إليه. ثم ذكـر تعالى أنـه ذكر عدد خـزنة جهنـم من الملائكـة ليستيقن الذيـن أوتوا الكتاب أن ما ذكره تعالى للمؤمنين هو الحق، إذ أنـه يوافق عدد خزنة النار كما ورد فى التوراة، والقصة أن أناسا مـن اليهود سألوا بعض المؤمنيـن عن عدد خزنة جهنم، فقـالوا لهم لا نعلم حتى نسأل نبينا، فجاء أحدهـم رسول الله ﷺ وسأله عن عدد خزنة جهنـم فقال له «تسعة عشر ملكا»، وأنه تعالى ذكر عددهم ليزداد الذين آمنـوا إيمانا حين يرون تسليم أهل الكتاب بالعدد الذى ذكـره القرآن ونطق بـه نبيهم ﷺ. ثـم أكد تعالـى ذات المعنى، وهو تيقـن الذيـن أوتوا الكتاب والمؤمنين من صحة المخبر عنه الـذى هو دليل على صدق نبوة رسول الله ﷺ، ببيان أن ذكره تعالى عـدد خزنة جهنم من شأنه إزالـة الريبة من قلوب أهل الكتـاب والمؤمنين فى صدق رسول الله ﷺ مبعوثا بالحـق من ربه: ثم بين تعالى أن كلا من الذيـن فى قلوبهم نفاق ومن المصرين على الكفر سيحاولون التقليل من قيمة النتيجة المستخلصة من ذكر عدد خزنة جهنم ومن مـوافقتها ما ورد فى التوراة، وذلك بـذكره تعالى أنهم سيقولـون «ماذا أراد الله بهذا مثلا» بمعنى : أى شـىء أراده الله بذكره هذا العـدد، فيكون الاستفهام منهم إنكـارا لأن يكون ذكره ذا دلالة فى إثبات صدق رسول الله ﷺ .

ثم جاء قـوله تعالى «كـذلك يضل الله من يشاء ويهـدى من يشاء»، مبينا أنـه على النحو

الذي كان عليه أبو جهل والمنافقون من الضلال فإنه تعالى يضل من شاء له الضلال فينأى عن الحق مع وضوحه وظهوره، وأنه على النحو الذى هدى به أصحاب رسول الله ﷺ، فإنه يهدى إلى الحق من شاء له أن يكون من المهتدين .

ثم أتبع تعالى هذا برده على الكافرين الذين قالوا لرسول الله ﷺ: «أليس لربك من جنود غير هؤلاء التسعة عشر» فجاء قوله تعالى «وما يعلم جنود ربك إلا هو» مبينا كثرة عدد جنوده تعالى من الملائكة فى السماء لايعرف عددهم وأشخاصهم غيره تعالى، وكثرة جنوده فى الأرض من الناس يدعون إليه تعالى وبدعوته .

ثم جاء قوله تعالى «وما هى إلا ذكرى للبشر» مبينا أن سقر التى ذكرها تعالى وذكر هول التعذيب فيها، هى - على النحو الذى ذكرت به - ليست إلا تذكيرا للناس بما ينتظر المكذبين الكافرين من العذاب ليكون منهم الإيمان خوفا إن لم يكن طوعا .

كَلَّا وَالْقَمَرِ ﴿٣٢﴾ وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ﴿٣٣﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ
﴿٣٤﴾ إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ ﴿٣٥﴾ نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ ﴿٣٦﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ
أَوْ يَتَأَخَّرَ ﴿٣٧﴾ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِي
جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾
قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ
مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ ﴿٤٧﴾
فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ ﴿٤٨﴾

أولا : الأسـماء :

أصحاب اليمين : قيل إن المراد بهم - فى معنى القول - هم المسلمون المخلصون، وقيل

هم أطفال المسلمين، وقيل هم الذين سبقت لهم من الله الحسنى، وقيل إنهم الذين كانوا عن يمين آدم يوم الميثاق .

ثانيا : التفسـير :

لما كان الكافرون قد هيئ لهم أنهم يستطيعون أن يغلبوا خزنة جهنم لقلة عددهم، وكان منهم من ينكر البعث والحساب والجنة والنار، فقد جاء قوله تعالى «كلا» ردعا لمن اعتقد الغلبة على خزنة جهنم أو لمن كذب بوجودها. ثم أقسم تعالى بالقمر ـ الذي هو آية من آياته ـ وبالليل إذ يدبر ويخلى مكانه ووقته، وبالصبح إذا ما أسفر عن ضوئه، والمقسم عليه أو جواب القسم هو أن النار المخبر عنها هى إحدى الدواهى التى جعلها الله نذيرا للبشر، تخوفهم بعذابها فيحاولون أن يتقوها بالإيمان وعمل الصالحات. وقيل إن المراد بالقول هو أن تكذيب الكافرين برسول الله ﷺ هو كبيرة من الكبائر أو هو أمها. ثم بين تعالى أن هذا النذير هو للناس، لمن شاء منهم أن يتقدم بالإيمان فشاءه الله له، ولمن شاء منهم أن يتأخر بالكفر والعصيان فشاءه الله له.

ثم بين تعالى أن الأصل فى الثواب والعقاب هو أن كل نفس بما كسبت رهينة بمعنى أنها مرتهنة بما كان منها فى الدنيا من إيمان أو كفر، وعمل بالطاعات أو بالعصيان، ثم استثنى من هذا الحكم أصحاب اليمين، فبين أنهم لا يرتهنون بأعمالهم. وهم أهل الجنة الذين قدر تعالى أن يدخلوها بغير حساب. ذكر تعالى أنهم يكونون فى الآخرة فى جنات ينعمون، يسأل الواحد منهم الواحد من أهل النار، أو يسألون جميعهم أهل النار عن سبب دخولهم النار، فيجيب أهل النار أو يجيب كل واحد منهم بأنه أدخل النار بعدم كونه من المؤمنين الذين يصلون لله، وبعدم تصدقه على المساكين، وبمسايرته أهل الباطل بالخوض معهم فى الأحاديث التى تعيب القرآن وتزرى برسوله ﷺ. ثم إن أهل النار يبينون أو أن كل واحد منهم يبين أنه ظل على حاله هذا فلم يتب ولم يؤمن إلى أن أتاه اليقين ـ وهو الموت ـ فمات على ما هو عليه. ثم جاء قوله تعالى «فما تنفعهم شفاعة الشافعين» مثبتا أنه تكون شفاعة يوم الدين يدخل بها البعض الجنة بدلا من النار، ونافيا عن أهل النار انتفاعهم بشفاعة تكون فيهم تنجيهم من عذاب أليم .

فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ
﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾ بَلْ يُرِيدُ كُلُّ ٱمْرِئٍ
مِّنْهُمْ أَن يُؤْتَىٰ صُحُفًا مُّنَشَّرَةً ﴿٥٢﴾ كَلَّا ۖ بَل لَّا يَخَافُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٥٣﴾

أولا : الأسماء :

١ - **الحُمر** : فى قوله تعالى «كأنهم حمر مستنفرة» المراد بها - فى معنى القول - هو الحمر الوحشية .

٢ - قسورة : قيل هم الرماة الصيادون، جمع، مفرده «قسور» أى «رام». وقيل إن القسورة هو الأسد فى لغة من لغات العرب، وقيل فى لغة أهل الحبشة في الأصل، أخذه بعض العرب .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - فى الكافرين الذين أصروا على الكفر معرضين عن القرآن العظيم وعما جاءهم به خاتم الأنبياء والمرسلين، ينكر عليهم إعراضهم عما ذكروا به فى القرآن وعلى لسان رسول الله ﷺ، وعدم انتفاعهم به، ثم إنه تعالى شبههم فى عدم اتخاذهم وجهة واحدة وعدم اعتناقهم قولا واحدا فى القرآن وفى رسول الله ﷺ، وتشتتهم فكرا وقولا وعملا، شبههم تعالى فى هذا بالحمر الوحشية التى تنفر هاربة من الرماة الصيادين أو من الأسد، يتخذ كل منها وجهة أو اتجاها غير ما يأخذه غيره. ثم بين تعالى سبب إعراض الكافرين عن القرآن وعن رسول الله ﷺ بذكره أن كلا منهم يريد أن يأتيه من الله كتاب يقول له فيه إنه بعث محمدا رسولا نبيا. وقد يكون القول مشيرا إلى ما طلبه أبو جهل من رسول الله ﷺ أن يأتيه بكتاب من رب العالمين مكتوب فيه أنه تعالى قد أرسل إليهم محمدا ﷺ. ثم جاء قوله تعالى «كلا» يتصور فيه أن يكون مفيدا أنه تعالى لن يؤتى أحدهم مثل هذا الكتاب، ويتصور فيه أن يكون مفيدا أنه لو أن الله أتى أحدهم هذا الكتاب فإنه لا يؤمن. ثم بين تعالى أن السبب الحقيقى لإصرارهم على تكذيب القرآن كتابا منه تعالى وتكذيب رسوله ﷺ هو أنهم لا يخافون الآخرة وعذابها أو أنهم لا يؤمنون بها فلا يخافونها .

كَلَّآ إِنَّهُۥ تَذْكِرَةٌ ﴿٥٤﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ هُوَ أَهْلُ ٱلتَّقْوَىٰ وَأَهْلُ ٱلْمَغْفِرَةِ ﴿٥٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى إصرار الكافرين على عدم الإيمان بالقرآن العظيم، جاء قوله تعالى

«كلا» مثبتا بطلان عملهم ومثبتا أحقية القرآن العظيم، ثم أخبر عنه أنه تذكرة، بمعنى أنه عظة يتعظ به. ثم بين أن الإيمان به إنما يفيد من آمن وأن عدم الإيمان به لا يضر إلا الكافر به، وأن لكل امرىء أن يختار مصيره بقوله تعالى «فمن شاء ذكره» أى آمن به واتعظ. ثم أعقب تعالى هذا بإثباته أنه أهل لأن يقى من اتقاه عذاب يوم القيامة فيغفر له ما تقدم من ذنبه إذا ما آمن بقرآنه ولرسوله ﷺ فتكون له منه الرحمة ودخول الجنة .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾ بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾

التفسير:

قيل فى تفسير قوله تعالى «لا أقسم بيوم القيامة» أن «لا» جاءت صلة، فيكون المعنى هو أنه تعالى يقسم بيوم القيامة، وقيل إن «لا» جاءت ردا لكلام المكذبين أنه ليس من يوم يقوم فيه الناس للحساب، ثم جاء القول بعدها مثبتا أنه تعالى أقسم بيوم القيامة. وفى تفسير قوله تعالى «ولا أقسم بالنفس اللوامة» قيل إن «لا» نافية فهو تعالى لا يقسم بها لعدم استئهالها أن يقسم بها، وقيل إنه تعالى أقسم بها كما أقسم بيوم القيامة، والمراد بالنفس اللوامة ـ على الراجح ـ أنها النفس المؤمنة، أو هى نفس المؤمن تلومه دائما لأن المؤمن دائم على محاسبة نفسه، كما تلومه على ما فاته من خير الإيمان والعمل الصالح على الوجه الكامل وعلى ما اكتسب من إثم بفعل يراه إثما.

وجواب القسم هو أنه تعالى يجمع عظام الأموات للبعث يوم القيامة، جاء التعبير عنه فى صيغة الاستفهام لأن عدى بن ربيعة سأل رسول الله ﷺ منكرا البعث قائلا« أو يجمع الله العظام». ثم جاء قوله تعالى «بلى قادرين على أن نسوى بنانه بمعنى «نعم نجمعها» ثم جاء لفظ «قادرين» حالا لفاعل الفعل فيكون المعنى أنه تعالى قادر على أن يعيد تسوية جميع عظام الأموات استدلالا بقدرته على إعادة جمع أصغر العظام عظام الإصبع وتسويتها. ويتصور أن يكون القول مشيرا إلى عدم مشابهة بصمات إصبع أحد من جنس الإنسان بصمات إصبع آخر، فتكون إعادة جميع الإصبع على النحو الذى كانت عليه فى الدنيا دليلا على قدرته تعالى على جمع العظام وبعث الأموات .

ثم بين تعالى أن الكافر لا يريد فى نفسه إلا التكذيب بما هو أمامه من بعث وحساب يفجر به وبالنطق منه، ثم إنه لا يكتفى بتكذيبه فى نفسه بل يزيد عليه ـ سؤاله متى يكون يوم القيامة، معلنا بهذا عن تكذيبه به وإنكاره له .

فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ۝٧ وَخَسَفَ ٱلْقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۝٩
يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ۝١٠ كَلَّا لَا وَزَرَ ۝١١ إِلَىٰ رَبِّكَ
يَوْمَئِذٍ ٱلْمُسْتَقَرُّ ۝١٢ يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ۝١٣

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى بيان يوم القيامة الذى سأل المكذبون عن وقته إنكارا، فكأنه تعالى يجيب على سؤالهم بغير تحديد وقت بعينه، وإنما بتحديد علاماته وبيانها، فكأنه تعالى يقول إنه يكون متى برق البصر، بمعنى أن فيه تبرق أبصار الناس وتلمع من طول شخوصها ناظرة لا تطرف، ويكون متى خسف القمر، بمعنى ذهب ضوؤه بغير رجعة، ويكون متى جمع الشمس والقمر، بمعنى أنه فيه يجمع بينهما فى ذهاب الضوء والنور، أو يجمع

بينهما ويقرن إذ يطلعان من الغرب أسودين مظلمين. ثم بين تعالى ما يكون من الكافر الذى سأل فى الدنيا متى يكون القيامة، وهو أنه يسأل أين المفر، يسأل جادا على ملجأ يلتجىء إليه من العذاب يعلم أنه ليس له وجود. ثم إنه تعالى يرد على سؤاله بقوله «كلا» بمعنى أنه لا مفر، فليس من مفر من النار أو من العذاب «لا وزر». ثم يقرر تعالى واقع أنه إليه وحده يكون مصير جميع المكلفين بقوله لرسوله ﷺ «إلى ربك يومئذ المستقر»، ثم يخبر الناس جميعا بما يكون لجميع الناس وهو أن كلا منهم سواء أكان برا أم فاجرا ـ يخبر بما فعل فى حياته فى الدنيا من عمل صالح أو غير صالح ـ فهو ما قدم ـ وبما خلف وراءه بعد موته من عمل أو سنة يستن بها ـ فهو ما أخر ـ والمعنى أنه محاسب بما فعل فى دنياه، وما خلف بعد موته فعُمل به.

بَلِ ٱلْإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ﴿١٥﴾

أولا : الأسـمـاء :

١ ـ **البصيرة**: فى قوله تعالى «بل الإنسان على نفسه بصيرة» المراد بها ـ فى معنى القول ـ هو الحجة الواضحة، وقيل جوارح الإنسان تشهد عليه يوم القيامة .

٢ ـ **المعاذير**: فى قوله تعالى «ألقى معاذيره» جمع، مفرده معذرة، بمعنى العذر .

ثانيا : التفسـير:

لما قال تعالى «يُنبؤ الإنسان يومئذ بما قدم وأخر» فقد ثبت علم كل فرد بما عمل فى الدنيا؛ ولهذا أثبت تعالى أنه وحده الحجة والدليل على ما صدر منه؛ ولهذا فإنه يحاسب بأعماله ولو جاء بجميع الأعذار ليعفى من العقاب على الذنوب. ثم إن للقول معنى آخر وهو أن كل إنسان يدرى بما فعل مما يستوجب العقاب، ولو اجتهد فى خداع الناس بإلقاء كل ما فى جعبته من الأعذار ـ فيكون القول مظهرا الفرق بين نفس المؤمن اللوامة، ونفس الكافر التى هى فى اللؤم حوامة .

﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ
لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ
قُرْءَانَهُۥ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ ﴿١٩﴾﴾

التفسـير:

الخطاب إلى رسول الله ﷺ، نهاه تعالى عن أن يحرك بالقرآن لسانه قصد حفظه قبل أن يقضى إليه وحيه، تعجلا لحفظه وخوفا من أن يفلت منه بعضه فلا يحفظه، ثم طمأنه تعالى إلى أنه لايذهب منه شيء ويضيع بأن أخبره أن عليه تعالى أن يجمعه فى صدره ﷺ، وأن يقرأه بلسانه كما أنزل إليه. ثم أتبع تعالى هذا بأمره أن يتبع بذهنه ما يسمعه من القرآن لدى قراءته عليه من الله بواسطة جبريل عليه السلام. ثم أتبع هذا بأن بين له أنه تعالى الذى كفل له بيانه وإظهاره للناس، وقيل أن يكون تفسيره وبيان أحكامه بواسطة رسول الله ﷺ منه تعالى.

﴿كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ ٱلْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذَرُونَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ﴿٢١﴾﴾

التفسـير:

جاء الخطاب ـ فى الآيتين ـ لجميع الناس، بدأ بقوله تعالى «كلا» لإبطال قول بعض الكافرين إنهم لايؤمنون بأن يكون للقرآن بيان بتفسير، فيكون إيرادها متعلقا بسبق ذكره تعالى أن عليه بيان القرآن، ثم أورد تعالى قولا تقريريا فى الناس جميعا أنهم يحبون العاجلة، بمعنى أنهم متعجلون فى جميع أمورهم، ويتركون الآخرة بمعنى أن ينشغل عنها البعض ويتناساها البعض. ثم إن القول يتضمن بيانا لرسول الله ﷺ أنه لم يخرج فى تعجله تحريك لسانه بالقرآن قبل أن يقضى إليه وحيه عن طبيعة البشر، ثم إن تعجله كان بقصد خير دين الله لكى

يطمئن قلبه إلى أنه تعالى لم يعتبر تعجله هذا خطأ يؤاخذ عليها .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾
وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ ﴿٢٤﴾ تَظُنُّ أَن يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ ﴿٢٥﴾

التفسير:

القول لايزال فى يوم القيامة يخبر تعالى عن وجوه المؤمنين الذين صلح إيمانهم فيه بأنها تكون نضرة، بمعنى أنه يظهر عليها الاستبشار وبهاء النعيم، كما يخبر عنها بأنها تنعم فوق نعيمها بأنه يكون لها النظر إلى وجه الله الكريم بعد كشفه تعالى الحجاب، فما يكون شىء أحب إليهم من النظر إلى وجهه تعالى. وقيل إن المعنى أنهم ينتظرون مستبشرين أمره تعالى فيهم، احتجاجا بقوله تعالى «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار»، وهذا ضعيف. ثم أخبر تعالى عن وجوه الكافرين فيه بأنها تكون باسرة بمعنى عابسة كالحة ترقبا لعذاب الله، وبين تعالى سبب عبوسها بأنه انتظار دواهى العذاب، جاء التعبير عنها بأنها «الفاقرة» بمعنى أنها التى تقصم فقار الظهر، جريا على القول الشائع فى الداهية الجسيمة بأنها «مصيبة تقصم الظهر» .

كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ وصف لحال الاحتضار، وما يكون فيها منه ومن ذويه حاضرى

الحال إلى أن يصير أمره إلى الله. بدأ تعالى القول بـ «كلا» جاءت لإبطال فكر الذين يحبون العاجلة فيعملون للدنيا دون الآخرة، ثم قال تعالى إنه ما بلغت روح المحتضر نحره - عند عظام الترقوة - وبحث الحاضرون عن طبيب مداو يمنع موته، فهو الراقى فى قوله تعالى «وقيل من راق» باعتبار أن الرقية تمنع من الشر والأذى، ثم كان من المحتضر أن ظن أن روحه مفارقة جسده، أو أنه مفارق الدنيا أو أحبابه فيها، ثم كان منه أن جعل يخبط بإحدى ساقيه الأخرى عند مفارقة روحه جسده - وقيل تجمع الساق منه إلى الأخرى لدى تكفينه - فإنه يكون الأمر يومئذ أن ساق المحتضر إلى الله تعالى - رب رسول الله ﷺ - والمعنى أنه يكون إليه المصير فيحاسب ويجازى بالجنة والنار.

فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾
وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾ ثُمَّ ذَهَبَ إِلَىٰ أَهْلِهِۦ يَتَمَطَّىٰٓ ﴿٣٣﴾ أَوْلَىٰ لَكَ
فَأَوْلَىٰ ﴿٣٤﴾ ثُمَّ أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰٓ ﴿٣٥﴾

التفسير:

القول هو فى الكافرين أو فيمن يموت منهم، قال تعالى - فى بيان استحقاقه العذاب - أنه لم يصدق بما كان يتعين عليه التصديق به من كتاب الله، ونبوة رسوله ﷺ، وأنه لم يصل الصلاة المأمور بها والمقبولة - ترتيبا على عدم تصديقه - وأنه كان واقع حاله أنه كذب بما كان يجب التصديق به، وأعرض عن الدعوة للإيمان والطاعة. ثم بين تعالى أنه - بدلا من أن يخاف عذاب ربه - تملكه الفرح من إعراضه عن الحق، فكان إذا ما سار إلى أهله يمشى مزهوا بما كان منه فرحا متبخترا، جاء التعبير عن هذا بالتمطى، لأن فيه مد الجسم والخطو.

ثم جاء قوله تعالى «أولى لك فأولى» وتكريره للتأكيد تهديدا لمن يكذب بما يجب التصديق به وتوعدا له بالعذاب ببيان أن الأقرب إليه هو العذاب. وقيل هو دعاء على من مات

كافرا بالعذاب، تكرر لتأكيد بغض الله إياه، واستحقاقه العذاب .

أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ﴿٣٧﴾ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٣٨﴾ فَجَعَلَ مِنْهُ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣٩﴾ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ﴿٤٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - في بيان حتمية البعث والحساب والجزاء، ووجوب خلوص المرء إلى هذه الحقيقة. فالاستفهام فى قوله تعالى «أيحسب الإنسان أن يترك سدى» هو إنكار لأن يكون من المرء اعتقاد أنه ترك ليحيى دون أن يكلف، ثم يحاسب على أداء ما كلف به أو تفريطه فيه، ثم يجازى على ما كان منه، ثم بين تعالى من تسلسل خلق المرء أن فيه مقدمات يستخلص منها قدرته تعالى على بعث الأموات فى الآخرة وعلى وجوب حدوث ذلك للحساب والجزاء، فجاء الاستفهام فى قوله تعالى «ألم يك نطفة من منى يمنى» للإثبات والإقرار، فيكون المعنى أن الإنسان بدأ خلقه فى رحم أمه نطفة، كان مصدرها قطرة من منى أبيه أفرزها فى رحم أمه، ثم جعلها الله علقة أكمل خلقها وسوى أجزاءها لتكون إنسانا مولودا، وأنه تعالى قد جعل من هذا المنى المصبوب فى رحم الأنثى، أو من الإنسان الزوجين وهما الذكر والأنثى، وما استشكل منهما وهو الخنثى، لأنه يجمع بين صفات كل منهما. ثم جاء قوله تعالى «أليس ذلك بقادر على أن يحيى الموتى» بيانا لأن هذه الحقائق المعلومة تعتبر مقدمات يستخلص منها واقع قدرته تعالى على إحياء الموتى فى الآخرة لحسابهم ومجازاتهم بالثواب وبالعقاب .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الإنســـان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴿٣﴾

أولا : الأســـــماء :

الأمشـــاج : فى قوله تعـالى «إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشـاج» جمع، مفرده «المشج» وهو الخليط .

ثانيا : التفســـــير:

الاستفهام فى قـوله تعالى «هل أتى علـى الإنسان» هو للتقرير، فتكون «هـل» بمعنى «قد» والحقيقة التى يقررها القول هى أنه كان فى عمر الـدنيا وقت لم يكن للإنسان فيه وجود، وهذا هو ما يثبته العلم، إذ تأخر خلق آدم أو ظهور الإنســان على الأرض طويلا من بعد خلق النبات والطير والحيوان. وقيل إن المراد بالقول أن آدم لم يكن شيئا موجودا خلال الفترة من خلقه من الطين إلى وقت نفخ الـروح فيه. وبعد هذا أثبت تعالى أنه خلق الإنســان من نطفة تتكون من أخلاط، ويثبت العلم أن الســائل المنوى يتكون من خليط من الإفرازات التى تـأتى من غدد

مختلفة هي الخصيتان والحويصلات المنوية والبروستاتا، والغدد الملحقة بالمسالك البولية، فهي الأمشاج، ثم إن القول يشير إلى امتزاج الحيوان المنوى الذى يقدر له أن يصير إنسانا ببويضة المرأة. ثم ذكر تعالى أن خلق الإنسان من هذه الخلائط إنما كان لابتلائه بالتكليف، ولما كان التكليف متطلبا العلم بالمكلَّف به، فإنه تعالى جعل الإنسان سميعا بصيرا، ليسمع آيات الله تتلى عليه ويسمع الدعوة للإيمان، وليرى آيات الله فى خلقه فيكون قادرا على فهم ما كلف به وعلى أدائه. ثم بين تعالى أنه دل الإنسان بواسطة الأدلة السمعية والبصرية على السبيل الموصل إلى الحق ورضاء الله وجنته، ليكون الإنسان بعد هذا على حال من حالين هما الإيمان وشكر الله عليه، أو الكفر وفيه كفران نعمتى السمع والبصر إذ لم يتم بهما الاهتداء .

إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الإنسان إما أن يكون مؤمنا شاكرا أنعم ربه وإما أن يكون كافرا لم يؤد حق نعم الله عليه بالإيمان والشكر، فإنه تعالى بين جزاء الكافرين بذكره أنه أعد لهم سلفا سلاسل يقادون بها وأغلالا يقيدون بها، وسعيرا يصلونها فى الآخرة، ثم أعقب هذا ببيان حال المؤمنين - وصفهم بالأبرار - لأنهم أبروه تعالى بشكره بإيمانهم، فذكر أنهم يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، والمعنى أنهم فى الجنان يشربون من كأس شرابا أو خمرا ممزوجا ببياض الكافور وبرده - لأن الكافور لا يشرب - أو إنهم يشربون شرابا من عين فى الجنة تسمى الكافور، فيكون قوله تعالى «عينا يشرب بها عباد الله» بدلا من كافور - بين تعالى أنها تفجَّر لهم

تفجيرا حيثما كانوا بمعنى أن الواحد منهم حينمـا كان فى موضع من مواضع الجنة، وأراد أن يشرب انفجر له منها ما يشرب حيثما كان .

يُوفُونَ بِٱلنَّذۡرِ وَيَخَافُونَ يَوۡمٗا كَانَ شَرُّهُۥ مُسۡتَطِيرٗا ٧ وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠

أولا : الأســـــماء :

القمطرير : فى قوله تعـالى «إنا نخاف من ربنا يـوما عبوسا قمطريرا» هـو العبوس الشديد فى الوجه يؤدى إلى اجتماع ما بين العينين .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعـالى ـ فى الآيات ـ هـو فى بيان ما أدخل بـه المؤمنون الجنة من أعمالهـم وما كان سببا لتنعمهم فيها على النحو الموصوف. بين تعالـى أنهم كانوا يوفون بالنذور، فيكون المعنى أنهم أدوا جميع ما فرضه الله عليهم بدليل أدائهم ما ألزموا أنفسهم أداءه، وأنهم كانوا يخافون عذاب يوم القيامة الذى ينتشـر متطايرا فلا ينجو منه معذب. كما صرح تعالـى بأنهم كانوا فى دنياهم يطعمـون الطعام الذى يحبونه أو يحتاجـونه المساكين والأيتام والأسـرى من الأعداء، وأنهم لا يبتغون بهذا غير وجه الله. فحالهم لـدى إطعامهم هؤلاء الطعام أنهم مبتغون وجه الله تعالى وحـده، لا يطمعون فى أجرينالونـه من المطعمين ولا من أهل الأسـرى، ولا فى شكر أو ثناء يوجه إليهم من أحد من البشر، كما أن من بواعثهم على أعمالهم الخيرة خوفهم من ربهم أن يكونـوا ممن تعبس وجـوههم يـوم القيامة، نسـب إليه العبوس أو جعـل صفة لـه. رغم أن العبوس يكون فى وجوه الكافرين وظهرت شدته من هول توقع العذاب بوصفه بأنه قمطرير.

﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا ﴿١١﴾ وَجَزَىٰهُم
بِمَا صَبَرُوا۟ جَنَّةً وَحَرِيرًا ﴿١٢﴾ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ
فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾ وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ
قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾

التفسير:

بين تعالى ـ فى الآيات ـ أنه بسبب خوف المؤمنين الشاكرين عذاب يوم القيامة وعملهم الصالحات اتقاء له أنه كان منه تعالى أنه وقاهم شره فأنجاهم من عذابه، وأبدلهم به نضرة فى وجوههم وسرورا فى قلوبهم، وأنه تعالى كافأهم على صبرهم على الطاعات وعلى تجنب أهواء نفوسهم إدخالهم الجنة، يأكلون من خيراتها.. ويلبسون فيها الحرير، ثم بين تعالى أن حالهم فى الجنة أن يكونوا متكئين على أرائكها غير مكلفين بالسعى لجنى الرزق، منعمين بجوها الذى ليس فيه حرارة شمس ولا شدة برد. ثم ذكر تعالى من مزيد نعيمهم فى الجنة أن ظلال أشجارها تكون قريبة منهم رغم عدم وجود شمس بها، وأن ثمار أشجارها ذللت لهم، يأخذون منها ماشاءوا دون جهد يبذلونه فى أخذها، ودون شوك يصيبهم فيرد أيديهم عنها.

وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِـَٔانِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ
كَانَتْ قَوَارِيرَا۠ ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا۟ مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا ﴿١٦﴾ وَيُسْقَوْنَ
فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾

التفسير:

يذكر تعالى ـ فى الآيات ـ من صور تنعم الأبرار فى الجنة أنه يطاف عليهم من قائمين

القرآن دفعة واحدة، كما نهاه أن يطيع آثما اعتاد مقـارفة الإثم يدعوه إلى إثم يفعله، وأن يطيع كافرا يدعوه إلى الكفر. والنهى هو نهى للمؤمنين وإن كان الخطاب على ظاهره إلى رسول الله ﷺ، لأنه محال أن تكون منه طاعة لداع إلى إثـم أو داع إلى كفر. ثم أمره تعالى أن يداوم على ذكر ربه فى جميع الأوقـات، جاء التعبير عنها بصلاة الفجر والظهر والعصر، كمـا أمره بالصلاة بعضا من الليل، جاء التعبير عنها بالسجود وبالتهجد له قطعا من الليل طويلا .

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ يُحِبُّونَ ٱلۡعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَآءَهُمۡ يَوۡمًا ثَقِيلًا ﴿٢٧﴾ نَّحۡنُ خَلَقۡنَٰهُمۡ وَشَدَدۡنَآ أَسۡرَهُمۡۖ وَإِذَا شِئۡنَا بَدَّلۡنَآ أَمۡثَٰلَهُمۡ تَبۡدِيلًا ﴿٢٨﴾

أولا : الأسـماء :

الأسـر: فى قوله تعالى «وشددنا أسرهم» هو ـ فى الأصل ـ الشد والربط، والمراد به ربط المفاصل بواسطة الأربطة، ووصل الإحساس بالأعصاب .

ثانيا : التفسـير:

يخبر تعالى ـ فى الآيتين ـ عن الكافرين، يقول إنهم يحبون الدنيـا فيعملون لها، ويلقون وراء ظهورهم هول يوم القيامة الذى يكون على الكافرين ثقيلا عبؤه شديدا.

ثم يـذكر تعالى قـدرته عليهم ببيان أنـه تعالى الذى خلقهـم، فليس من خالـق إلاه، وأنه الذى أمـدهم بـالقوة والقـدرة على الفعل وعلـى الشعور بـأن جعل أربطـة تصل المفـاصل، والأعصاب تصل الشعور والإحساس.

وببيان أنه تعـالى لو شاء لأهلكهم وأبدل بهـم أمثالهم فى شدة الخلق علـى نحو لا يكون معه شك فى قدرته على البعث .

إِنَّ هَٰذِهِۦ تَذۡكِرَةٞۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ
إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلٗا ﴿٢٩﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ
كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٣٠﴾ يُدۡخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ وَٱلظَّٰلِمِينَ
أَعَدَّ لَهُمۡ عَذَابًا أَلِيمَۢا ﴿٣١﴾

التفسير:

لما كان تعالى قد أظهر مدى قدرته فى بيان خلقه الكافرين وشد أسرهم وقدرته على أن يبدل بهم آخرين، فإنه تعالى أشار إلى هذه القدرة وما سبقها مما تعلق بخلق الإنسان وبيان مصير المؤمن والكافر فى الآخرة، وأخبر عنه جميعا بأنه تذكرة، بمعنى أنه تذكير بالله وقدرته به يكون لمن شاء الفوز بنعيم الآخرة أن يختار الطريق الموصل إليه. ثم بين تعالى أن الناس لا يكون لهم شىء يريدونه إلا إذا شاءه الله لهم، ومنه اختيار طريق الهدى الموصل إلى رضائه تعالى. ثم جاء قوله تعالى «إن الله كان عليما حكيما» مبينا أن إرادته التى تكون بها إرادات البشر حقيقة تنبع من علمه تعالى بما يكون كل فرد أهلا له، وأن ما يريده هو ما تقتضيه حكمته تعالى.

ثم بين تعالى أثرا مترتبا على هذا المخبر به أو نتيجة من نتائجه، بذكره أنه يدخل من يشاء فى رحمته، وأنه أعد للظالمين عذابا أليما، فيكون المعنى أنه بما علم من أحوال البعض، يكون منه أن يريد لهم ما أرادوه من اختيار السبيل الموصل إلى رضائه فيسهله لهم، يدخلون به الجنة بموجب رحمته، وأنه تعالى بما علم من أحوال آخرين يريد لهم ما علم أنهم يختارونه من الكفر فييسره لهم فيكون لهم العذاب الأليم. ولهؤلاء وهؤلاء فإن الأمر مقضى بحكمته تعالى.

■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المرســلات

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ عُرۡفٗا ﴿١﴾ فَٱلۡعَٰصِفَٰتِ عَصۡفٗا ﴿٢﴾ وَٱلنَّٰشِرَٰتِ نَشۡرٗا ﴿٣﴾
فَٱلۡفَٰرِقَٰتِ فَرۡقٗا ﴿٤﴾ فَٱلۡمُلۡقِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٥﴾ عُذۡرًا أَوۡ نُذۡرًا ﴿٦﴾ إِنَّمَا
تُوعَدُونَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتۡ ﴿٨﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ
﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ نُسِفَتۡ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلرُّسُلُ أُقِّتَتۡ ﴿١١﴾ لِأَيِّ يَوۡمٍ
أُجِّلَتۡ ﴿١٢﴾ لِيَوۡمِ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٣﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلۡفَصۡلِ ﴿١٤﴾ وَيۡلٞ
يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **المرســلات** : قيل إن المـراد بها طوائف الملائكـة المرسلة منـه تعالى بأمـور كلفوا بتحقيقها فى الأرض، وقيل هى الرياح، وقيل هم الأنبياء أرسلوا بكلمة التوحيد .

٢ ـ **الغـرف** : في قوله تعالى «والمرسلات عرفـا» هو عرف الدابة مثل الفرس والضبع يكون شعره متتابعا. وقيل إن المـراد به ـ فى معنى القول ـ هو العـرف بمعنى العادة المتعارف عليها والمعمول بها .

٣ - **العاصفات** : قيل إن المراد بها في معنى القول هو الملائكة المرسلون بالعذاب فى الدنيا للمكذبين يعصفون مسرعين لتنفيذ ما أمروا به عصف الريح، وقيل إن المراد بها هو الريح العاصف.

٤ - **الناشرات** : قيل إن المراد بهن فى معنى القول هو الملائكة ينشرون أجنحتهم عند نزولهم إلى الأرض، وقيل ينشرون السحاب فى السماء، وقيل ينتشرون كتب الله .

٥ - **الفارقات** : قيل إن المراد بها ــ فى معنى القول ــ هو الملائكة يفرقون بين الحق والباطل بما ينزلون به من وحى على الأنبياء، أو بما يأتونه من إهلاك المكذبين بأمر ربهم .

٦ - **الملقيات ذكرا** : المراد بهن - فى معنى القول ــ هو الملائكة، يلقون كتب الله وصحفه إلى الأنبياء.

ثانيا : التفســــير:

أقسم تعالى بطوائف الملائكة، أقسم بالذين يرسلهم إلى الأرض فى تتابع، أو لإحقاق العرف المقبول منه تعالى من عقيدة وشريعة بإهلاك المكذبين، فيكون منهم العصف بهم بالعذاب الذى يهلكهم. وأقسم بالذين يقومون منهم على نشر شريعته وأحكامه يكون بها التفرقة بين الحق والباطل، والتفرقة بين الحلال والحرام، وذلك بإلقائهم صحف الله وكتبه إلى أنبيائه ورسله - قد يكون المراد هو جبريل عليه السلام، وقد يكون القول مشيرا إلى أن لجبريل أعوانا من الملائكة فى حمل الوحى إلى الرسل والأنبياء ــ فيكون ما يلقى الملائكة إلى الرسل إعذارا للذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، و إنذارا للذين يسمعون ويعرضون. وجواب القسم أن ما وعد به تعالى أن تكون قيامة ويكون حساب وثواب وعقاب هو أمر واقع، أى أنه محقق الوقوع، ثم ذكر تعالى وقته ببيان ما يكون فيه من أحداث ، فذكر تعالى أنه يكون حين تطمس النجوم بإعدامها - وقد سبق بيانه علميا كيف يكون، مع قدرة الله على أن يكون بغيره ــ وحين تفرج السماء، بمعنى أنها تشق، وحين تنسف الجبال فتصير مثل الحب الذى يذرى وينسف بالمنسف، وحين تبلغ الرسل مواقيتها التى انتظرت لتشهد على أممها.

ثم جاء قوله تعالى «لأى شيء أجلت، ليوم الفصل، وما أدراك ما يوم الفصل» لبيان ماهية اليوم الذى اعتبر ميقاتا لهم للشهادة على أممهم، جاء التعبير عنه بالاستفهام عن اليوم الذى أجل فيه استحضارهم للشهادة، وبالإجابة عليه بأنه يوم الفصل بين خلقه تعالى، ثم جاء التهويل فى وصف هذا اليوم بالاستفهام المعبر عن إنكار علم أحد بأهواله ودرايته بها، ثم إنه تعالى اكتفى بالتعبير عن مصير الكافرين فيه بقوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» وهو إثبات لدوام تعذيبهم ودعاء عليهم بهذا .

أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ ﴿١٧﴾
كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴿١٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٩﴾

التفسير:

القول فى الآيات توعد لمكذبى رسول الله ﷺ، أثبت تعالى بالاستفهام فى قوله تعالى «ألم نهلك الأولين، ثم نتبعهم الآخرين» أنه أهلك أمما من المكذبين رسلهم كانوا أسبق من أمم آخرين جاءوا بعدهم من زمن نوح عليه السلام إلى زمانه ﷺ، ثم جاء توعد المكذبين به ﷺ بقوله «كذلك نفعل بالمجرمين، ويل يومئذ للمكذبين» بين أنه كما أهلك السابقين فإنه يفعل بكل المجرمين، والمعنى بالقول هم مكذبو رسول الله ﷺ، ثم إنه تعالى أكد حكمه بإهلاكهم بذكره أن الويل يكون يوم الفصل لكل المكذبين رسلهم، ومنهم الذين كذبوا رسول الله ﷺ .

أَلَمْ نَخْلُقكُّم مِّن
مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٢٠﴾ فَجَعَلْنَٰهُ فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿٢١﴾ إِلَىٰ قَدَرٍ مَّعْلُومٍ ﴿٢٢﴾ فَقَدَرْنَا
فَنِعْمَ الْقَٰدِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾

التفســـــير:

القول ـ فى الآيات ـ هـو لإثبات أن فى مظاهر قدرته ما يظهر استحقاق المكـذبين بالرسل ما تـوعدوا به مـن العذاب. والخطـاب هو لجميع النـاس، والاستفهام هو لتقـرير واقـع وبيان لنتائج مستمـدة منه، والواقـع هو أنه تعـالى خلق كل فـرد من جنس النـاس من منى الـرجل المهين القدر، حفظ النطفة منه فى رحم المرأة فكـان مقرا له يمكنه من النمو الذى يستمر مدة الحمل المعلومة له تعـالى والتى قد تختلف من واحد لواحد، فكان تقـديره ما يمكن الجنين فى الرحم تقـديرا من نعم القادرين المقدريـن. ثم إنه لما كان العلم بهـذا يؤدى إلى وجوب توحيد الله وعبادته وحده وهـو ما دعا إليه جميع الرسل فإنه يكون الـويل والعذاب يوم الفصل للذين يكذبون الرسل ويكفرونهم .

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ
كِفَاتًا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ
وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٨﴾

أولا : الأســـــماء :

الكفــات : فى قوله تعالـى «ألم نجعل الأرض كفاتا» هو الجمع والضم. والمـراد به ـ فى معنى القول ـ الجامع والضام .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيـات ـ هو فى ذكر المزيد من آياته تعالى الـدالة على وحدانيته وقدرته مما مفـاده استحقاق المكذبيـن الرسل العذاب الـذى توعدوا بـه. والاستفهام فى القـول هو لتقرير واقـع لا ينكر، وهو أنه تعـالى جعل الأرض للناس بمثـابة الوعاء الـذى يجمعهم، فهى تجمعهم على سطحها أحياء، وتجمعهم فى بطنها وتربتهـا أمواتا، وأنه تعالى أنشأ فيها جبالا

رواسي - وقد سبق بيان معنى هذا علميا - من صفاتها الارتفاع، وأنه تعالى أوجد فيها الماء العذب وأسقاه سائر خلقه من الناس . وجاء قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» إثباتا لحلول عذابه تعالى بالمكذبين رسله وآياته في الخلق واستحقاقهم إياه.

انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ مَا كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢٩﴾ انطَلِقُوٓاْ إِلَىٰ ظِلّٖ ذِي ثَلَٰثِ شُعَبٖ ﴿٣٠﴾ لَّا ظَلِيلٖ وَلَا يُغۡنِي مِنَ ٱللَّهَبِ ﴿٣١﴾ إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ ﴿٣٢﴾ كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ ﴿٣٣﴾ وَيۡلٞ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡمُكَذِّبِينَ ﴿٣٤﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآيات - أنه يقال للمكذبين يوم الفصل أن ينطلقوا إلى ما كانوا به يكذبون والمعنى هو أن ينطلقوا إلى العذاب الذى كانوا ينكرونه فى دنياهم.

فيكون القول توبيخا لهم وتقريعا، ثم يفصح عن هذا الذى ينطلقون إليه بأمرهم أن ينطلقوا إلى دخان عظيم من دخان جهنم له شكل السحابة التى تظل ما تحتها، يتشعب ثلاث شعب شأن الدخان العظيم فى الدنيا، ثم يوصف لهم بحقيقته وهى أنه لا يظلل أحدا تحته كما أنه لا يحمى من لفح لهب جهنم شيئا.

يصفها تعالى أو يصف ما يكون منها بذكره أنها ترمى بشرر من النار منها يكون حجم الشررة مثل حجم قصر من القصور المشيدة. ويكون لونه فى صفرة لون الجمال، جاء ذكرها بالجمالات، وهو جمع الجمع كما يقال رجالات جمعا لرجال.

وبعد هذا فإنه تعالى أعاد مكررا توعده المكذبين بهذا العذاب بقوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» .

هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾
وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٧﴾ هَٰذَا يَوْمُ
الْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ ﴿٣٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٠﴾

التفسير:

يشير تعالى إلى يوم الفصل ويخبر عنه أنه يوم لا ينطق المكذبون، والمراد هو جزء من اليوم لا يكون فيه منهم كلام، أو إنه وقت دخولهم النار حين تأخذهم الدهشة والحيرة فلا ينطقون، ثم يبين تعالى أنه لا يؤذن لهم أن يعتذروا وأنهم لا يعتذرون لانعدام العذر لديهم، وأعقب تعالى هذا ببيان تحقق تعذيبهم بقوله «ويل يومئذ للمكذبين». ثم إنه تعالى أشار إلى يوم تعذيبهم وأخبر عنه بأنه يوم الفصل بين أهل الحق والإيمان وبين أهل الباطل والكفر، ثم يخاطب المكذبين مخبرا أنه جمعهم والذين سبقوهم من مكذبي الرسل، ويطلب منهم إن كان لهم كيد ومكر أن يكيدوه تعالى مستعينين بمن سبقوهم في التكذيب. والقول هو تعجيز لهم وتقريع لهم على كيدهم المؤمنين في الدنيا. ثم إنه لما كان مفاد عجزهم هو عدم دفعهم العذاب عن أنفسهم، فقد جاء قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» مثبتا تحقق تعذيبهم.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَاكِهَ
مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ
نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٤﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٥﴾

التفسير:

أخبر تعالى عن المتقين الذين اتقوا الكفر والتكذيب بأنهم يكونون يوم الفصل في ظلال

كثيرة منها ظل الجنة وظل الليل، وفى عيون ماء تتفجر حولهم يتنعمون بأكل الفواكه التى يشتهونها وأنه يقال لهم أن كلوا واشربوا هنيئا لكم بما كنتم تعملون من الصالحات فى دنياكم وأنتم مؤمنون. ثم إنه تعالى يطمع كل إنسان فى نيل هذا النعيم بذكره أنه على مثل هذا الجزاء العظيم يكون منه تعالى مكافأة الذين حسنت أعمالهم من المؤمنين. ثم كرر تعالى توعده المكذبين بالعذاب بقوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين».

كُلُوا۟ وَتَمَتَّعُوا۟ قَلِيلًا إِنَّكُم مُّجْرِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾

التفسير:

مفاد قوله تعالى إنه يقال للكافرين المكذبين حال مقاساتهم الويل «كلوا وتمتعوا قليلا إنكم مجرمون» فيه تذكير لهم بما كانوا يهنؤون به فى الدنيا من أكل ومتاع، وتحسير لهم ببيان أنه قليل حقير لا يدوم، ثم يعرفون بحقيقتهم وهى أنهم مجرمون أجرموا فى حق الله وفى حقوق أنفسهم. ثم أعقب تعالى هذا ببيان حلول تعذيبهم بقوله «ويل يومئذ للمكذبين».

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱرْكَعُوا۟
لَا يَرْكَعُونَ ﴿٤٨﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٩﴾ فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٠﴾

التفسير:

يكاد قوله تعالى ـ فى الآيات ـ أن يكون القول الفصل فى بيان السبب الذى استحق به المكذبون عذاب يوم الفصل، وهو عدم استجابتهم للداعى إلى الإيمان واستكبارهم على الحق، فهم بعدم إيمانهم بما دعاهم إليه رسول الله ﷺ لا يؤدون الصلاة المفروضة فى القرآن العظيم، وهم لاستكبارهم فى أنفسهم لا يطيعون رسول الله ﷺ والمؤمنين إذا أمروهم

بالخشوع لله باتباع دينه وأداء صلاة المسلمين؛ ولهذا جاء قوله تعالى «ويل يومئذ للمكذبين» مبينا استحقاقهم العذاب بعدم إيمانهم وباستكبارهم على الحق. ثم إنه تعالى بين عتوهم على الحق عنادا وصلفا ببيان أنهم لم يؤمنوا بالقرآن العظيم الذى لم يجعل له تعالى مثيلا فى الدنيا، فلا يكون متصورا فيهم أن يؤمنوا بما هو أدنى منه، فيكون المراد بيانه أن المكذبين بالقرآن العظيم هم الذين أجبروا أنفسهم على عدم الإيمان لغير سبب سوى الإصرار على الكفر، فاستحقوا بذلك أن يكونوا أهل النار.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النبأ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ① عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ② الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ③ كَلَّا
سَيَعْلَمُونَ ④ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ⑤

أولا : الأسـماء :

النبأ العظيم : قيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو القرآن العظيم، وقيل هو محمد ﷺ وقيل هو البعث، وهذا هو ما تؤيده الآيات التالية .

ثانيا : التفسير:

بدأ تعالى السورة باستفهام «عم يتساءلون» والضمير فى «يتساءلون» يعود إلى أهل مكة، ومعنى القول هو: «عن أى أمر يتساءلون»، والاستفهام أريد به التشويق لمعرفة الإجابة، جاء بها قوله تعالى «عن النبأ العظيم» وهو نبأ البعث بعد الموت، جاء تفخيمه وجاء إبهامه، فلم يعرفه تعالى فى الإجابة، ثم بين أن أهل مكة فيه مختلفون رأيا، إذ كان البعض ينكره تماما

بيقين، وكان غيرهم يشكون فى أمره بغير يقين، وكان آخرون يقولون قول النصارى إنه يكون بعثا للأرواح وليس للأجسام، ثم كان منه تعالى أن ردع المتسائلين عن التساؤل بقوله تعالى «كلا» ثم أثبت أن الجميع سيعلم صحة البعث حين يبعثون للحساب والجزاء، فيكون القول متضمنا وعيدا بالتعذيب على عدم التصديق بالبعث، ثم كرر تعالى الردع والوعيد للتأكيد والمبالغة .

أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا ﴿٦﴾
وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ﴿٧﴾ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ﴿٩﴾
وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ﴿١٠﴾ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ﴿١١﴾ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ
سَبْعًا شِدَادًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ﴿١٣﴾ وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ
مَاءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ﴿١٥﴾ وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا ﴿١٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الثجاج** : فى قوله تعالى «وأنزلنا من المعصرات ماء ثجاجا» هو المُنْصَبُّ بكثرة، من «ثج ـ يثج» بمعنى أسال .

٢ ـ **الألفاف** : فى قوله تعالى «وجنات ألفافا» هو كل ما التف بعضه على بعض، أو المتداخل بعضه فى بعضه .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى ذكر قدرته تعالى على البعث الذى يتساءل فى أمره المتسائلون. جاء الاستفهام المنفى فى قوله تعالى «ألم نجعل الأرض مهادا» لإثبات واقع أنه تعالى خلق الأرض من العدم ومهدها لتكون مثل المهد والفراش لتستقر عليها حياة الناس،

وأنه جعل الجبال مثل الأوتاد التى ترسخ بها الأرض وتثبت ـ وقد سبق بيان هذا وكيفية حدوثه علميا ـ وأنه خلق المخاطبين بالقول المتسائلين فى أمر البعث والناس جميعا أزواجا، ذكورا وإناثا. وجعل نومهم راحة أو انقطاعا عن الحياة المحسوسة كالموت إلا أن الروح لا تفارق الجسد، وجعل الليل يتلبسهم بظلامه فيسترهم ستر اللباس ويخرجون منه ببساطة خروج أحدهم من لباسه، وجعل النهار هو وقت التعيش والارتزاق، أو الذى يبعثون فيه من النوم شبيه الموت، وبنى فوق أهل الأرض سبع سماوات محمكة الخلق متينة البنيان، وأنشأ موجدا خالقا الشمس سراجا متوهجا بالضوء فهى نار فيها حرارتها ووهجها وفيها الضوء، وأنزل من السحائب ماء منصبا ليكون به خروج الحب الذى يأكله الإنسان، وأنواع النبات الذى يأكله الحيوان، كما يكون به خروج البساتين ذات الأشجار الملتفة الأغصان. والدليل الذى تقيمه الآيات على قدرة الله تعالى على البعث مستمد من النتيجة المنطقية أن القادر على الإيجاد لأول مرة من العدم ، يكون أهون عليه الإيجاد الثانى من بعد الفناء بالبعث .

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ
كَانَ مِيقَـٰتًا ﴿١٧﴾ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ
فَكَانَتْ أَبْوَٰبًا ﴿١٩﴾ وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى حتمية البعث ووقوعه، فإنه تعالى بين فى الآيات وقته ببيان أحداثه أو ما يكون فيه، فبين أنه له وقته الذى هو يوم الفصل، ثم بين أن يوم الفصل هو يوم النفخة الثانية فى الصور، وذكر ما يكون آنذاك وهو أن الناس يأتون إلى الموقف أفواجا، قيل إنهم يأتون أمما، كل أمة تدعى بإمامها. وقيل إنهم يأتون مختلفى الهيئات، فالنمامون يأتون على هيئة القردة، وأهل السحت والحرام يأتون على هيئة الخنازير، وأكلة الربا يأتون منكسى رؤوسهم،

والحكام الظالمون يـأتون عميانا، والمعجبون بأعمـالهم يأتون صما وبكما، والعلمـاء الذين تخالـف أعمالهم أقـوالهم يأتـون يمضغون ألسنتهـم، والذين يـؤذون الجيران يأتـون مقطعى الأيدى والأرجـل، والسعاة بالناس إلـى السلطان يأتون مصلبيـن على جذوع النار، والـذين يتمتعون بالشهـوات المحرمة يأتـون أشد نتنا من الجيفـة، وأهل الكبر والخيلاء يـأتون لابسى جلابيب العذاب. والذى نـراه - والله أعلم - أن المراد هو أن الناس يأتون أممـا، كل أمة تدعى بإمامها، فليس بشىء ذى بال بالنسبة لعـذاب الآخرة. وذكر أنه تفتح السماء بمعنى أنها تشق وتفطر، فتصير شقوقها مثل الأبواب، وأن الجبال تسيـر فى الهواء بعد قلعها من الأرض وتفتتها غبارا غليظا متراكما يبدو من بعيد كالجبل،كما يرى السراب من بعيد نهرا أو بحرا أو ماء عين.

إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾

أولا : الأســـــماء :

المرصــاد : فى قوله تعالى «إن جهنم كانت مرصـادا» اسم مكان لموضع الرصد. قيل هو رصد خزنة النار الكافرين ليعذبوهم.

ثانيا : التفســـــير :

قولـه تعالى - فـى الآيات - هو فـى بيان أحداث يوم الفصـل المتعلقة بأهل النـار وأولهم المكذبـون بالبعث، فيذكـر تعالى أن جهنـم تكون موضـع ترصد، بمعنى أنهـا تتابع وتـترقب

وتترصـد أهلها لتصطـادهم أو ليلقوا فيهـا، وقد يكون القـول كنايـة عن ترصـد خزنتهـا أهلها لتعذيبهم فيها، ثـم بين تعالى عن جهنم بأنهـا تكون المرجع والمأوى للذيـن طغوا فى دينهم فكفروا والذين طغوا فـى معيشتهم فظلموا ويبين أن حالهم فيها يكون هـو الإقامة فيها والبقاء حقبا زمنيـة طويلة غير محـدودة الوقت والزمـان، لا يذوقون فيهـا خلال مكثهم بها شيئـا يروح عنهم وينفس حر النار، أو بردا ينتفع به، ولا يشربون ما يروى ظمأ ولا ما يتبرد به، فهم لا يشربون إلا الحميم، الماء الذى اشتـدت حرارته، والغساق، الصديد الذى يقطر مـن جلود أهل النار، يتصور أن يكـون هذا خـلال لبثهم الأحقاب المـذكورة، ويكـون ما بعدهـا غير معلـوم خبره، ويتصور أن يكون طوال مكثهم فـى النار. ثم يبين تعالى أن تعذيب أهـل النار على هذا النحو هو الجزاء الذى يوافق عملهم فى الدنيا نوعا وقدرا وجسامة، ثم يعلل تعالى هذه الموافقة بين الجزاء والعمـل بقولـه تعالـى «إنهم كانـوا لا يرجـون حسابا» وكفـى به سببـا فهو تكـذيب لله وللكتاب ولـرسول الله ﷺ، وهو إطراح العمـل للآخرة، وبقولـه تعالـى «وكذبـوا بآياتنا كـذابا» بمعنى أنهـم كذبـوا بآيات الله المتلـوة عليهم وبـآياته فـى خلقه تكـذيبا شديـدا فكانـوا هم الكاذبين.

ثم بيـن تعالى أنه مـا من شىء وقع مـن أحد أو حدث حدث إلا وقـد علم به تعالـى علم المحصى، ومن جملته أعمال المكـذبين بالبعث والمرتابين فيه، وهـو علم وإحصاء شأن ما يحافـظ عليه بتدوينه بـالكتابة ـ إذ هـو تعالى مستغن عـن الكتابة لتذكيـره ـ ولهذا فإنـه يقال لهؤلاء بسبب إنكارهـم البعث أو ارتيابهم فيه أن يكون منهم ذوق ما ذكـر من العذاب الذى لا يعدو أن يكون مقدمات عذاب يزيدهم الله إياه زيادة مطردة ليكون متزايدا أبدا .

إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ
وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا
وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ المفـاز : فى قوله تعالى «إن للمتقين مفازا» مصدر ميمى من «فاز ـ يفوز» بمعنى الفوز.

٢ ـ الكواعب : جمع، مفرده «الكاعب» وهى الفتاة إذا ما تكعـب ثدياها واستدارا فى سن البلوغ .

٣ ـ الدهاق : فى قوله تعالى «وكأسا دهاقا»، هو الممتلىء المترع .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآيات ـ ذكر لحال المؤمنيـن بالبعث الذين عملوا له، أجمـل تعالى ما يكون لهم بقوله «إن للمتقين مفازا» فأخبر أنه يكـون لهم الفوز بالخير والنعيم، ثم فصل منه ما ذكر، وهو أنه تكون لهم حدائق يتنعمون فيها، فيها الأشجار المثمرة والرياحين والأزهار، وتكون لهم الأعناب وهى الكـرم، وأنهم يزوجون النساء الكواعب اللائى تكعبـت أثداؤهن وجملت، المتماثلات فى السن لا يكبرن، وأنهم يشربون الكؤوس مـلآنة على نحو ما يريدون. كما ذكر أنهم فى حدائق الجنـات لا يسمعون لغو الحديث الذى يعدم قيمته، ولا يسمعـون قولة كذب ولا تكذيبـا. ثم بين تعالـى أن هذا النعيم الذى يكـون لهم هو جـزاء منه تعالى تفضـلا عليهم وإحسانا لهم، كان بحسب أعمالهم من بعد تضعيفه تعالى حسناتهم، فكان عطاء حسابا.

رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ
وَمَا بَيۡنَهُمَا ٱلرَّحۡمَٰنِۖ لَا يَمۡلِكُونَ مِنۡهُ خِطَابٗا ٣٧ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ
صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا ٣٨ ذَٰلِكَ ٱلۡيَوۡمُ
ٱلۡحَقُّۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩ إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ
يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا ٤٠

أولا : الأســـــماء والأعلام :

١ ـ **الروح** : قيل هو ملـك الملائكة لم يخلق الله بعـد العرش أعظم منه، وقيل هـو جبريل عليه السلام، وقيل هو جند من جنود الله ليسوا ملائكة، وقيل هو أرواح بني آدم، وقيل هو القرآن العظيم.

٢ ـ **الكافر** : قيل إن المـراد به ـ فـى معنى القول ـ هـو أُبيٌّ بن خلـف، وقيل عقبة بـن أبى معيط، وقيل هو أبو جهل، وقيل هو أبو سلمة بن عبد الأسد المخزومى وقيل هو إبليس وهو كل كافر.

ثانيا : التفســـــير:

بعد أن ذكر تعـالى لرسوله ﷺ أن نعيـم المؤمنين يكون من ربـه عطاء حسابا، فإنـه تعالى وصف ذاته بـأنه رب السماوات والأرض وما بينهما، أى القـائم على حفظها وما فيهـا، وبأنه الرحمن صاحب الرحمة فى الدنيا والآخرة، وبأنه الذى لايملك أحد من خلقه أن يخاطبه يوم القيامة من تلقاء ذاته دون أن يأذن له، فلا تملك الملائكة أن تتكلم بالشفاعة بغير إذنه تعالى، ولا يملك غيرهم أن يخاطبوه تعالى فى شـأن زيادة ثواب ولا إنقاص عقاب. ثم بين تعالى أن هذا اليوم الذى لايملك أحد فيه مخاطبته تعالـى من ذاته هو يوم يقوم الملائكة والروح صفا، والمعنى هو أن الروح ـ الذى قد يكون ملكا، وقد يكـون جبريل، وقد يكون القرآن ـ والملائكة يكونون مصطفين فى صف واحد، أو فى صفين، أحـدهما فيه الروح، والآخر فيه الملائكة، لا يتكلمون ـ هيبة و إجـلالا لله ـ إلا أن يأذن الله لأحدهم أن يتكلم فيقـول الحق وهو لا إله إلا الله، وقيل إن المراد أنهم لايتكلمون بالشفاعة لأحد إلا من بعد إذنه تعالى، ليكون قوله صوابا، لأنه يبدأ بتوحيد الله، ويقول فى المشفوع له قولة حق، لأن الشفاعة حق.

ثم يشير تعالى إلى ذلك اليوم ويخبر عنه أنه الحق، بمعنى أنه الكائن والواقع، مبينا أن من شاء من المكلفين ـ فى الدنيا ـ أن يكون مرجعـه فيه هو إلى ثواب ربه، فإنه كان عليه أن يتخذ السبيل الموصل إلـى هذا وهو الإيمان والعمل الصالـح. ثم صرح تعالى بأنـه أنذر المكذبين والكافريـن بما أورد فى كتابه الكريـم وفى السورة من آيات البعث والحسـاب عذاب الآخرة

القريب حلوله. لأنه محقق الوقوع وكل محقق الوقوع، قريب. ثم بين تعالى أن هذا العذاب يكون فى اليوم الذى يشاهد فيه كل مكلف ما قدمه من خير أو شر فى دنياه، فيكون من الكافر وقد علم ما ينتظره من العذاب أنه يتمنى فى قلبه لو كان قد بقى ترابا فى الأرض لم يبعث ويقول ما يعبر به عن أمنيته بلسانه، وقيل إن إبليس الذى عاب على آدم أنه خلق من تراب الأرض، يقول إذ رأى مكان آدم «يا ليتنى كنت ترابا» يتمنى لو كان قد خلق من تراب ولم يقل إنه خير من آدم .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة النازعات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾
فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾
تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾
يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾
قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم
بِٱلسَّاهِرَةِ ﴿١٤﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **النازعات** : الراجح أنها الملائكة التى تنزع أرواح الكافرين، وقيل هى النفوس حين

تغرق فى الصدور، وقيل هى الموت ينزع النفوس، وقيل هى القسى تنزع بالسهام.

٢ ـ **الناشطات** : الراجح أنها الملائكة تنشط نفس المؤمن فتقبضها، وقيل هى نفوس المؤمنين تنشط عند الموت للخروج .

٣ ـ **السابحات** : الراجح أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين، أو تسبح ـ بمعنى تسرع ـ لتنفيذ أوامر الله .

٤ ـ **السابقات** : الراجح أنها الملائكة تسبق الشياطين بالوحى إلى الأنبياء، وقيل هى نفوس المؤمنين تسبق إلى الملائكة الذين يقبضونها شوقا إلى لقاء الله تعالى.

٥ ـ **المدبرات** : هم الملائكة نزلوا بتدبير الله فى خلقه فنسب التدبير إليهم .

٦ ـ **الراجفة** : هى الزلزلة، وقيل هى الأرض، وقيل هى النفخة الأولى .

٧ ـ **الرادفة** : قيل إن المراد بها ـ فى معنى القول ـ هو الصيحة، وقيل هو الساعة .

٨ ـ **الحافرة** : هى ذات الحفر، وهو تعبير عن «الطريق الذى جيء منه» أو الحالة الأولى كأن القدم تترك أثرا فى الطريق الذى جاءت منه ــ وهى الحافر ـ وقيل هى العاجلة، وقيل هى الأرض المحفورة فيها القبور، وقيل هى النار.

٩ ـ **الساهرة** : هى ذات السهر، والمراد بها الأرض فى الحياة الدنيا، فيها نوم الحيوان وسهره .

ثانيا : التفســـــير:

أقسم تعالى ـ فى الآيات ــ بجملة أشياء على أشياء أو أمور أنها تتحقق، فأقسم تعالى بالملائكة الذين ينزعون أرواح الكافرين ثم يغرقونها ثم يجرونها ثم يقذفون بها فى النار، أو يغرقونها بإعادتها ثانية إلى أجسامهم لينزعوها مرة أخرى، والذين ينشطون بجذب أرواح المؤمنين برفق، وبالملائكة الذين يسبحون بأرواح المؤمنين ـ أى يسرعون بها ــ أو يسرعون بالنزول من السماء لإنفاذ أوامره تعالى، وبالملائكة الذين يسبقون بالوحى إلى أنبياء الله، وبالملائكة الذين ينزلون بتدبيره تعالى فى شئون خلقه، أقسم تعالى بهذا على أنه يكون ما

جاء بجـواب القسم، وهـو أنه يكون فـى اليوم الـذى ترجـف فيه الراجفـة أى تتحرك وتتـزلزل الأجرام الساكتة ومنها الأرض، وهو مـا يكون عند النفخة الأولـى، والذى يحدث فيه مـن بعد الرجفة واقعة أخرى تتبعها ـ هى الصيحة الثـانية ـ تنشق معها السماء وتحمل الأرض والجبال فتدك دكة واحدة ـ يكون فى هذا اليوم أن قلـوب الكافرين تجف وجيفا، أى أنها تخفق بشدة خوفا وجـزعا، وأن أبصارهم تكون ذليلة مـن شدة الخوف ومن الإحساس بالهـوان، فيكون من هؤلاء الكافـرين الذين كـذبوا من قبل بـالبعث أنهم يسألـون عما إذا كانوا راجعيـن إلى من حيث أتوا، أى إلى الأرض التى عـاشوا فيها حياتهم، فيكون سؤالهم تعبيـرا عن استغرابهم ما شاهـدوا من أمر البعـث الذى أنكروه فـى حياتهم، ويكون مـوضوع سؤالهـم هو ما إذا كـانوا يعودون إلى الدنيـا ثانية من بعد بعثهم ، ثم يـزيد منهم إبداء استغرابهم أن يبعثـوا بأجسامهم ثانيـة من بعد الفنـاء بقولهم «أئذا كنـا عظاما نخـرة» فهو تعجب مـن أن يعودوا سالميـن فى أعضائهم من بعد فنائهـا وصيرورة عظامهم بالية ناخرة. وقد يكون قولهـم كله هو قولهم الذى قالوا فى دنياهم والذى أنكروا فيه أن يبعثوا إلى ما كانوا عليه فى الدنيا من سلامة الأعضاء من بعد فناء أجسامهم وصيرورة عظامهم ناخرة .

ثم يبين تعالى أن المكذبين بالبعث يدركون أن رجوعهم إلى الحياة بالبعث هو رجوع ليس منه إلا الخسران المبين، لأنه لا يكون فيه إلا العذاب، بقوله تعالى «قالوا تلك إذا كرة خاسرة». ثم أتبع تعالى هذا ببيان أن بعثهم إلى الحياة هو أمـر سهل هين عليه تعالى، بذكره أنه يتحقق بزجرة واحدة ـ أى بصيحة واحدة ـ يكون أثرها أنهم يعودون أحياء كما كانوا على وجه الأرض، أو أنهم يخرجون إلى وجه الأرض من بعد أن كانوا مدفونين فى جوفها .

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ
طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ
﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْءَايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ
وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ
ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْءَاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ
لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ ﴿٢٦﴾

التفســـــير:

بعد أن بين تعالى مصير المكـذبين، فإنه تعالى توجه ـ فى الآيات ـ بالخطاب إلى رسوله ﷺ ـ الذى كُذِّب من كفار قومه ـ ذاكرا له خبـر مكذَّبين من قبله، تسلية له ببيان أن الرسل قبله قد كُذِّبوا . بـدأ تعالى بتشويق رسوله إلى معـرفة قصة موسى عليه السلام مـع مكذبيه. ورد به الاستفهام فى قوله تعالى «هل أتاك حديث موسى»، ثم بين أن ظرف هذا الحديث هو الوادى المقدس طوى، وأنـه كان بنداء الله عليه وأمـره أن يتوجه إلى فـرعون، وبين له علـة الأمر وهى طغيان فـرعون، ثم بين مـا يعمله معه وهو أن يسـأله إن كان يميـل إلى تطهير نفسه مـن الكفر والطغيان، وأن يقبل من مـوسى عليه السلام أن يهديه إلـى طريق ربه من بعد تعـريفه به لكى يخشى غضبه فيتجنب ما يغضبه . ثم جاء قوله تعـالى «فأراه الآية الكبرى» مفيدا معنى توجه موسى عليه السـلام إلى فرعون، وقوله لـه ما أمره الله أن يقوله له، وأنـه أراه معجزة ربه الكبرى وهى قلب العصا حية تسعـى، ثم ذكر تعالى أن فرعون كذب بالآيـة والمعجزة ودعاها سحرا، وأنه عصى موسـى فيما دعاه إليه فكان بهذا عاصيا ربـه، كما ذكر تعالى أنه تولـى معرضا عن دعوة مـوسى، وسعى فى إقنـاع الناس بادعائه النبـوة كذبا. كما بيـن تعالى أن سعيه فـى هذا تمثل فى جمعـه السحرة وندائه فيهم بـأنه هو ربهم الأعلـى، ليكون عليهم إثبات كـذب قول موسى أنه ليـس سوى الله تعالى الإله والرب. ثم بيـن تعالى أنه نكل بفرعون بقـوله وفعله فى الدنيا وفى الآخـرة، وذلك بإهلاكه غرقا وبتعـذيبه فى الآخرة. وأتبع هذا بـأن بين أن فيما فعل بفرعون وقومه عبرة وعظة لمن كان له قلب يعى الحدث ودلالته فتكون منه خشية الله .

ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ
سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ
بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ
أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَـٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَـٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾

التفسير:

خاطب تعالى المكذبين من أهل مكة بالبعث مثبتا عليهم بُعد عقيدتهم عن مقتضى العقل، فبين لهم أن إعادة خلقهم بالبعث أهون عليه تعالى من خلق السماء والأرض، فالاستفهام فى قوله تعالى «أأنتم أشد خلقا أم السماء» أريد به إنكار أن يكون البعث أشد عليه تعالى من خلق السماء لأول مرة، وإثبات أن خلق السماء هو الأمر الأشد والأصعب. ثم بين تعالى أنه بنى السماء، فهى بما فيها بناء كامل عظيم، وبين كيفية البناء بما يفهمه الناس فذكر أنه رفع ثخنها فجعله مرتفعا عالياً، وأنه سواها، فهى من جهة تبدو للناظر مستوية، وهى ـ من جهة أخرى ـ محكومة بقوانين إلهية اقتضتها الحكمة الربانية منها الطواف، ومنها الجاذبية تتساوى فى الخضوع إليها أجرامها، كما ذكر تعالى أنه الذى أغطش ليل السماء فجعله مظلما ـ وقد سبق بيان أنه لا يكون غير الظلام من بعد مائتى كيلو متر فوق سطح الأرض ـ ليخرج تعالى من هذا الظلام ضحى الشموس تنير كواكبها فى إعجاز لا يقدر عليه إلا الله تعالى.

ثم ذكر تعالى أنه ـ من بعد ما تقدم ذكره من خلق السماء ـ كان منه تعالى أن دحى الأرض، بأن جعلها مبسوطة مستوية لخلقه عليها مع أنها كرة غير مستوية تشبه البيضة «الدحية» وهذه حقيقة لم يدركها العلم إلا مؤخرا يدل الإخبار بها على أن القرآن العظيم من الله الخالق. كما ذكر تعالى أنه الذى أخرج من الأرض ماءها، وهو ماء البحار والأنهار والعيون، وأخرج منها المراعى، قد يكون المراد بها ما يخرج مأكول الحيوان، وقد يكون المراد بها ما يخرج مأكول الإنسان والحيوان. وسبحان الله العظيم فإن عملية وجود المياه في الأرض، المشتركة بين الأرض وبين الغلاف الجوى مرتبطة بدحى الأرض وبدورانها حول محورها فى هذا الشكل. ثم ذكر تعالى أنه أرسى الجبال على الأرض لتحتفظ بتوازنها فى دورانها حول محورها. ثم بين تعالى أن خلقه السماء والأرض على هذا النحو البديع، وإخراجه الماء والمرعى إنما كان سببا لتمتع الناس وتمتع أنعامهم بما تخرج الأرض مما يأكل الناس والأنعام .

فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾
يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾
فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾
وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ الْجَنَّةَ
هِيَ الْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾

أولا : الأسماء:

الطامة : هى أعظم الدواهى، من «طم ـ يطم» بمعنى علا، فهى تعلو على جميع الدواهى. والمراد بها ـ فى معنى القول ـ هو القيامة، حتى أصبحت بمثابة اسم من أسمائها .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ فى ذكر أحداث الآخرة، وما يكون مشتركا بين الناس جميعا فيه، وما يختلف فيه أمر الكافر المكذب عن أمر المؤمن المتقى .

أخبر تعالى أنه إذا ما جاء يوم القيامة الذى أعظم الدواهى التى تصيب الكافر، وهو اليوم الذى يتذكر فيه كل شخص ما كان منه فى حياته، يخلق الله فيه ذاكرة تتذكر، أو يرى هذا فى صحيفة عمله، والذى تظهر فيه الجحيم بأمره تعالى فيراها كل من تتأتى منه الرؤية، فإن شأن الذين عتوا فى دنياهم وتمردوا على الطاعة وجاوزوا الحد فى العصيان فكفروا، واختاروا الحياة الدنيا وزينتها وفضلوها على الآخرة، يكون أن الجحيم تكون هى المكان الذى يأوون إليه، لايأوون إلى غيره. ويكون شأن الذين خافوا مقامهم عند ربهم يوم القيامة فكان منهم أن نهوا أنفسهم عن اتباع أهوائها فلم يعصوا الله جهدهم، فإن شأنهم أن تكون الجنة هى المأوى الذى يصيرون إليه.

يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾

التفسـير:

القول ـ فى الآيـات ـ هو فى يوم القيامة الـذى يكذب به منكرو البعث، يخبر تعـالى رسوله ﷺ عن واقـع سؤال المنكريـن إياه عن وقتهـا متى يكون إرسـاؤه بمعنى متى تقـوم، والسؤال منهم هو إنكار معزز بتعجيز عن استعجال وقتها.

ثم إنـه تعالى ينكـر عليهم سؤالهـم ببيان أنهم سـألوا من لا يحيـط بوقتها علمـا، إذ يقول تعالى لرسوله مـا معناه «من أنت حتى تعلم وقتها فتخبر به» فإذا كـان خير البشر لا يعلمه فإنه ليس لأحد أن يكون له به علم.

ولهذا جـاء قوله تعـالى «إلى ربـك منتهاها» بمعنـى أن اكتمال العلم بهـا هو عنـد الله وحده، ثـم بين لـرسوله ﷺ أنـه ليس إلا منذر بهـا من قـدر له أن تكون منـه خشـيتها فـاختار الإيمان.

ثم إنه لما كان من المكذبين بها من يبقى على تكذيبه فإنه تعالى أثبت وقوع القيامة حتما ببيان أن هؤلاء المكذبين سيشهدون الساعة لا محال.

ثم بيـن أنهم يوم يـرونها و يتيقنون أنهم يخلـدون فى العذاب يحسبـون أن حياتهم الـدنيا لقصر زمـانها لم تكن غيـر عشية يوم وضحـى يوم آخر، أو إنهـا لم تدم إلا وقت عشيـة أو وقت ضحى من يوم واحد. فيكون القول وعيدا للمكذبين بالعذاب فيه يخلدون .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة عبس

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾
أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ
تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾
وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ ﴿١٠﴾ كَلَّآ إِنَّهَا تَذۡكِرَةٞ ﴿١١﴾ فَمَن
شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ ﴿١٣﴾ مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ ﴿١٤﴾ بِأَيۡدِي
سَفَرَةٖ ﴿١٥﴾ كِرَامِۭ بَرَرَةٖ ﴿١٦﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ الأعمى : المراد به في معنى القول هو ابن أم مكتوم، عمرو بن قيس بن زائدة بن جندب، وهو ابن خال خديجة رضى الله عنهما .

٢ ـ من استغنى : المراد به ـ في معنى القول ـ من استغنى عما لدى رسول الله ﷺ من العلم، وقيل من استغنى بماله وثروته عن الهدى والإيمان. وهم الذين كانوا عند رسول الله ﷺ من عتاة قريش: عتبة وشيبة ابنا ربيعة، وأبو جهل، والعباس بن عبد المطلب، وأمية بن خلف،

والوليد بن المغيرة .

ثانيا : التفســـــير:

بدأ تعالى القول معاتبا رسوله ﷺ على أفعال فعلها هى أنه ﷺ عبس وجهه وأعرض دون أن يعر التفاتا حين جاءه الأعمى - وهو ابن أم مكتوم - جاء رسول الله ﷺ وعنده صناديد كفار قريش يحادثهم داعيا إلى الإسلام، فساء رسول الله ﷺ أن يقطع عليه حديثه ابن أم مكتوم وأعرض عن طلبه أن يعلمه رسول الله مما علمه الله شيئا. وربما كانت الإشارة إلى ابن أم مكتوم بذكر عاهته - وهى ضعف - أريد بها الحض على البر بالضعفاء وملاطفتهم على وجه الخصوص. ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أن عبوسه وإعراضه قد يكونان سببا لتفويت مصلحة دينية هى أن يطهر الأعمى نفسه من الإثم حين يلم بأحكام الشرع، أو أن يكون له فيما يتعلم ما يتذكره فيتجنب به المعاصى ويعمل به بالطاعات، فينتفع بهذا .

ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه بحفاظه على دوام محادثة صناديد الكفر فى قريش إنما كان مقبلا على الذين استغنوا بأموالهم عن الإيمان وعما لدى رسول الله ﷺ من العلم، كما بين له أنه ﷺ حرص على دوام محادثتهم رغم أنه ليس عليه من ذنوبهم شىء إذا هم لم يطهروا نفوسهم بالإسلام وبقوا على كفرهم .

ثم عاد تعالى لذكر ما كان منه ﷺ مع الأعمى - فى مقارنة بما كان منه مع صناديد الكفر - فأخبر عن الأعمى أنه جاء إلى رسول الله ساعيا إلى العلم النافع وهو يخشى الله، وأخبر عن فعل رسول الله ﷺ معه بأنه الانشغال عنه، وربما جاء التعبير عن هذا بالتلهى لبيان أنه لايجدى مع صناديد الكفر شىء يجعلهم يؤمنون .

ثم إنه تعالى بين اعتراضه على فعل رسوله ﷺ بقوله «كلا» ثم أتبع هذا بإخباره عن القرآن العظيم بأنه تذكرة، يرسخ فى الأذهان فيتعظ به ويعمل. ثم جاء الحث منه تعالى على الإيمان بالقرآن والمداومة على قراءته وذكره والعمل به بقوله تعالى «فمن شاء ذكره» فبين أن الإفادة منه تكون لمن شاء أن يؤمن به. ثم كان منه تعالى تعظيم شأن القرآن ببيان أنه فى صحف منسوخة من اللوح المحفوظ، أو أنه فى صحف اللوح المحفوظ، وعلى الحالين فهو

فى صحف مكرمة من الله تعالى، وصفها تعالى بأنها مرفوعة القدر منزهة عن الدنس، وأنها إنما تنسخ من اللوح المحفوظ بأيدى ملائكة يكتبون الأسفار - وهى كتب الله - من صفاتهم أنهم مكرمون من الله تعالى معظمون، وأنهم أتقياء بررة، لا يضيفون إليها شيئا، ولا هم منها شيئا ينقصون .

قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ ﴿٢٣﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

الإنسان : المراد به - فى معنى القول - هو الإنسان الكافر، وقيل إن القول الكريم أنزل فى عتبة بن أبى لهب، كان قد أسلم فلما نزلت «والنجم» بعث إلى رسول الله ﷺ أنه كفر برب النجم، وقيل إنه كفر بالسورة .

ثانيا : التفسير :

دعا تعالى على الكافر باللعن يكون فيه هلاك روحه وجسده، وربما جاء التعبير عنه بالقتل لأن الكافر لا يرى ضررا يصيبه أشد من أن يموت مقتولا. وجاء بيان تماديه فى الكفر بالتعجيب منه «ما أكفره»، ثم بين تعالى أن هذا التمادى فى الكفر هو بإحلاله الكفر محل الشكر؛ ولهذا فإنه تعالى بين نعمه عليه، فبدأ ببيان أنه خلقه من نطفة من ماء مهين، وأنه هيأه وشكله فى بطن أمه ليكون على الهيئة التى تكفل له تحقيق مصالحه. جاء التعبير عن هذا باستفهام - تشويقا لمعرفة الإجابة - «من أى شىء خلقه»، وجواب «من نطفة خلقه فقدره» وفى القول بيان لانعدام الموجب للاستكبار، إذ ليس لمن خلق من ماء مهين أن يعلو فى نفسه ويتكبر. ثم بين تعالى أنه سهل له السبيل للخروج من رحم أمه إلى الحياة. بوضعه فى

الرحم على هيئة معينة وفتح الرحم، وتمكين جسد الأم من إخراجه وحدها أو بمساعدة الغير، ويتصور أن يكون المعنى أنه تعالى يسر له الاختيار بين طريق الهدى وطريق الضلال. ثم إنه تعالى يميته، ثم لا يتركه مطروحا في الأرض، وإنما يقبره في جوف الأرض تكريما لآدميته، إذ الأمر بالدفن قائم منه تعالى منذ أن قتل ابن آدم أخاه. ثم يكون منه تعالى إذا جاء وقت النشر الذى تحدد بإرادته تعالى بعثه من الموت إلى الحياة ونشره.

ثم إنه تعالى اعترض على كفر الإنسان نعم ربه بقوله «كلا»، ثم بين أن إنسانا ما من خلق آدم إلى أن تقوم الساعة لا يقضى ما أمره الله به كاملا غير منقوص، ويتصور فى القول أن يكون فى الكافر فيكون المعنى أنه لم يؤد ما أمره تعالى به وهو الإيمان والتوحيد .

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا
ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا
وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ القضب : هو ما إذا قطع من النبات وترك جذره فى الأرض عاد ونما مثل القت، والكراث والقصب. وقيل هى الرطبة. أو هو كل ما يقال عنه أنه يتكاثر بالعقلة.

٢ ـ الغلب : فى قوله تعالى «وحدائق غلبا» جمع، مفرده «الأغلب» وهو ـ فى الأصل ـ الغليظ العنق، يقال للرجل، كما يقال للأسد، والمراد به ـ فى معنى القول ـ صفة العظم والضخامة للأشجار.

٣ ـ الأب : فى قوله تعالى «وفاكهة وأبا» قيل هو ما تأكله البهائم من العشب، وقيل هو كل ما تنبته الأرض ولا يأكله الناس. وقيل هو الثمار الرطبة، وقيل هو التين الرطب .

ثانيا : التفسير:

لما كان تعالى قد ذكر نعمه على الإنسان المتعلقة بخلقه وتسويته وإكرامه بعد موته بالدفن، ثم أثبت أنه لا يقضى ما أمره الله به، فإنه تعالى أتبع هذا بذكر نعمه عليه الخارجة عن ذاته ليبين أن الإنسان لا يقضى حق النعم من الشكر. ذكر تعالى نعمة المأكل فأمر الإنسان أن ينظر إلى طعامه الذى به حياته، خرج بخلق سببه وهو الماء الذى صبه تعالى من السحاب من جهة العلو صبا عجيبا، ثم كان منه تعالى أن شق الأرض بالنبات شقا بديعا ليخرج منه، ثم يكمل نمو النبات فمنه ما يخرج حبا، ومنه يكون الكرم ويكون القضب الذى يتكاثر بالعقلة، وكلما قطع نما، ويكون الزيتون والنخل، ومنه تتكون الحدائق والرياض العظيمة الأشجار، ومنه تخرج الفاكهة ويخرج كل ما لا يأكل الإنسان، فيكون ما يخرج من الأرض متاعا يتمتع به الناس وتتمتع به أنعامهم. فيكون مما لا يأكل الإنسان ما تأكله الأنعام، وليكون غير المأكول ظلا أو ريحا طيبا يستمتع به .

فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾
وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ ﴿٤٢﴾

أولا : الأسماء :

١ - الصاخة : المراد بها - فى معنى القول - هو الصيحة أو النفخة الثانية تصيخ الأسماع، بمعنى أنها تصمها.

٢ - المسفر: فى قوله تعالى «وجوه يومئذ مسفرة» هو المضىء المتهلل، يسفر عن نور.

٣ - القترة : فى قوله تعالى «ترهقها قترة» هى السواد والظلمة .

ثانيا : التفسير:

القول - في الآيات - هو في مصير الناس أو جنس الإنسان في الآخرة، يقول تعالى إنه إذا كانت النفخة الثانية التي هي صيحة القيامة الداهية العظيمة. فإنه يكون قد جاء اليوم الذي يعرض كل إنسان عمن كان يحبه في الدنيا، فيعرض الأخ عن أخيه، ويعرض الابن عن أمه وأبيه، ويعرض كل امرىء عن زوجه وعن أبنائه، إذ يكون كل امرىء منشغلا عن غيره بنفسه. ثم يذكر تعالى مصير الناس في هذا اليوم بما يبين منه أنهم يكونون فريقين، جاء بيان مصير كل منهما ببيان أثره على وجوه أصحابه، فقال تعالى إنه تكون هناك وجوه مضيئة متهللة هي وجوه السعداء، ترى ضاحكة مستبشرة خيرا مما شاهدت من علاماته أو عرفت من قراءة صحفها، كما تكون هناك وجوه يعلوها الغبار والكدر، يغشاها السواد وتظلها الظلمة، يشير إليها تعالى مخبرا أن أصحابها هم الكفرة الفجرة، بمعنى أنهم الذين جمعوا بين الكفر والفجور.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكوير

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ
﴿٣﴾ وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ ﴿٤﴾ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ
سُجِّرَتْ ﴿٦﴾ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾ وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ﴿٨﴾
بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ ﴿٩﴾ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتْ
﴿١١﴾ وَإِذَا ٱلْجَحِيمُ سُعِّرَتْ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ٱلْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ﴿١٣﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ ﴿١٤﴾

أولا : الأسـمـاء :

العشار: هى النوق الحوامل، واحدتها «عشراء»، وقيل هى السحاب - فى معنى القول - وقيل هى الأرض، وقيل هى الديار.

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - جملة شرطية تصف أحداث القيامة، أداة الشرط فيها «إذا» وفعلها جملة أفعال أولها تكور الشمس، قيل إن معناه هو ذهاب ضوئها، وقد يكون معناه - والله أعلم - هو طيها إيذانا بانتهاء مهمتها، والمعروف علميا أن الشمس وسائر النجوم تنقبض متكورة عند شيخوختها ووفاتها، وثانى الأفعال هو انكدار النجوم، قيل إن معناه هو انقضاء النجوم وسقوطها، بمعنى أن النجوم تهوى منكمشة على نفسها وينحسر ضوؤها، وثالث الأفعال أو الأحداث هو تسيير الجبال، وهو ما يكون من تسييرها فى الفضاء من بعد رفعها من الأرض، ورابع الأفعال والأحداث هو تعطيل النوق العشار بمعنى إهمالها، وهو ما يكون من انشغال أصحابها عنها حين يرونها، والمراد هو إثبات إهمال أمر مهم كان العرب ينشغلون به فى دنياهم وهو رعاية النوق العشار، وخامس الأفعال أو الأحداث هو حشر الوحوش والمراد هو حيوان البر الذى لايستأنس أو جنس الحيوان عموما يتم جمعها - قيل إنه يكون ليقتص لبعضها من بعض، ثم يقال لها كونى ترابا فتموت - وسادس الأفعال أو الأحداث هو تسجير البحار، بمعنى أنها تشتعل بالنار، وسابع الأفعال أو الأحداث هو تزويج النفوس، بمعنى قرن بعضها بالبعض، فيقرن الرجل الصالح بالرجل الصالح، ويقرن الرجل السوء بالرجل السوء، وقيل تقرن نفوس المؤمنين بأزواجهم من الحور، وتقرن نفوس الكافرين بالشياطين. وثامن الأفعال أو الأحداث هو سؤال البنت التى دفنت حية عن سبب قتلها على هذا النحو، وفى القول تعريض بما كانت العرب تفعله من وأد البنات خوف الفقر أو خوف أسرهن إذا ما كبرن فى إغارة قبيلة على قبيلة، وسؤال الموؤودة دون الوائد مع كونه الجانى فيه تحقير له ببيان أنه ليس أهلا لأن يوجه إليه السؤال. وتاسع الأفعال أو الأحداث هو نشر الصحف وهى صحف الأعمال التى تطوى عند الموت ثم تنشر يوم القيامة لتقع كل صحيفة فى يد صاحبها، وعاشر الأفعال أو الأحداث هو كشط السماء، وهو إزالتها إزالة الغطاء عن الشيء ، أو إزالة الجلد عن الذبيحة، والفعل الحادى عشر هو تسعير الجحيم بإيقادها إيقادا شديدا، والفعل الثانى عشر هو إزلاف الجنة - بمعنى تقريبها من المتقين - وهو ما يكون

بتقريب المؤمنين المتقين منها . وجواب الشرط فى الجملة جاء به قوله تعالى «علمت نفس ما أحضرت» والمعنى أنه ما من نفس من الأنفس إلا تكون قد علمت ما عملت فى دنياها من خير ومن شر.

فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ﴿١٧﴾
وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي
ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ ﴿٢٢﴾

أولا : الأسماء :

١ - الخنس : جمع، مفرده «خانس» من الخنوس وهو الاختفاء، والمراد بها - فى معنى القول - هو النجوم والكواكب، لأنها تختفى فى النهار فلا ترى مع وجودها - بسبب ضوء النهار.

٢ - الكنس : جمع، مفرده «الكانس، والكانسة» وهو ما دخل الكناس - وهو بيت الحيوان البرى - من الوحش، وصف تعالى النجوم والكواكب به، لأنها تختفى فى نور النهار كما يختفى الحيوان البرى فى الكناس فلا يُرى.

ثانيا : التفسير:

مفاد قوله تعالى - فى الآيات - أنه تعالى يقسم بالنجوم والكواكب التى لا ترى فى النهار مع وجودها، ثم وصفها بأنها الجوارى الكنس لبيان أنها تجرى فى أفلاكها وتجرى فى مجراتها لمستقر لها، فيكون القول مظهرا علة القسم بها وهو عظمة القدرة الإلهية على خلقها وعلى إجرائها فى أفلاكها. ثم أقسم تعالى بالليل إذا عسعس، بمعنى أدبر، أو أقبل، وفى كل آية عظيمة من آيات قدرته تعالى، وأقسم بالصبح إذا تنفس، بمعنى أنه بدأ خافتا له ريح خاص ونسيم، ثم يمتد نوره إلى أن يصبح نهارا، وهو أيضا من دلائل عظم قدرته تعالى .

وجواب القسم هو قوله تعالى «إنه لقول رسول كريم، ذى قوة عند ذى العرش مكين، مطاع ثم أمين» أخبر فيه تعالى عن القرآن العظيم بأنه ما قاله جبريل عليه السلام لرسول الله ﷺ، وصف تعالى جبريل فيه بأنه رسول من الله كريم عليه، ثم بين أن القرآن منه تعالى بإخباره عنه أنه تنزيل من رب العالمين، ثم عاد إلى وصف جبريل عليه السلام فذكر أنه ذو قوة ـ ودليل هذا معروف من أنه قلع مدائن قوم لوط بقوادم جناحه ـ وأنه ذو مكانة رفيعة عند ذى العرش جل وعلا، وأنه فى السماء مطاع من الملائكة ـ ومن دلائل هذا أنه ـ فى المعراج ـ قال لرضوان خازن الجنان «افتح» ففتح، وقال لمالك خازن النار «افتح» ففتح، كما وصفه تعالى بأنه أمين، ائتمنه تعالى على الوحى فحفظه، وأداه إلى رسول الله ﷺ .

ومن جواب القسم أيضا ما جاء بقوله تعالى «وما صاحبكم بمجنون» وفيه يعود الضمير فى «صاحبكم» إلى كفار مكة الذين نعتوا رسول الله ﷺ بالجنون، مع كونه ﷺ أرجح الناس عقلا، رد تعالى عليهم قولهم وأبطله، وأثبت كذبهم وبهتانهم .

وَلَقَدْ
رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ
شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٧﴾
لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ
رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الضنين : هو البخيل، وقيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو «الظنين» وهو المتهم بشىء .

٢ ـ الأفق المبين : هو الأفق من قبل المشرق يكون مبينا لأن من جهته ترى الأشياء، وقيل هو أقطار السماء ونواحيها، وقيل من جهة أجياد مشرق مكة .

ثانيا : التفسير:

أكد تعالى صحة المخبر عنه تأكيد القسم بقوله «ولقد»، ثم أخبر عن رسول الله ﷺ أنه رأى جبريل عليه السلام بالصورة التي خلقه الله عليها وهو بالأفق الأعلى من ناحية المشرق، ثم جاء قوله تعالى «وما هو على الغيب بضنين» ـ وفيه جاء التعبير عن القرآن العظيم بأنه الغيب ـ يتصور أن يكون فى جبريل عليه السلام، فيكون المعنى أنه لايبخل بشىء من القرآن لايبلغ به رسول الله ﷺ، لأنه لايقصر فى التبليغ، ويتصور فيه أن يكون فى رسول الله ﷺ، فيكون المعنى أنه ليس محلا لأن يتهم باختلاق القرآن، فيكون القول إبطالا للذين كذبوه ﷺ. ثم نفى تعالى أن يكون القرآن قول شيطان رجيم، فيه تكذيب لقول الكافرين إن شيطانا كان يأتيه ﷺ فى صورة جبريل فيخبره بما استرق إليه السمع فى السماء.

ثم إنه تعالى بين إمعان المكذبين فى الضلال بقوله لهم «فأين تذهبون» بمعنى إلى أى مدى بعيد فى الضلال تذهبون إذ تنكرون أن القرآن العظيم موحى به من الله. ثم أثبت تعالى للقرآن صفته الأساسية وهى أنه ذكر للعالمين، بمعنى أنه عظة وتذكير لجميع المكلفين من الإنس والجن، ثم بين أنه لايتعظ به ويتذكر فينفعه هذا إلا من أراد أن يكون على طريق الله المستقيم .

ثم إنه لما كان البعض قد يتصور أن أمر الهدى معلق بإرادة المكلف وحده، فإنه تعالى بين أن مشيئة الفرد هى أثر لمشيئته تعالى، فلولا أنه يشاء الهدى لمن اهتدى، لما كان له أن يهتدى، وصف تعالى ذاته فى القول بأنه رب العالمين، لبيان أنه يهدى إلى الطريق المستقيم بحكم ربوبيته، وأنه يهدى المكلفين من الإنس والجن أجمعين .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الانفطـــار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انتَثَرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾ وَإِذَا الْقُبُورُ بُعْثِرَتْ ﴿٤﴾ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾

التفســـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ ورد فى شكل جملة شرطية، أداة الشرط فيها «إذا» وفعل الشرط يتمثل فى جملة أحداث، هى انفطار السماء، بمعنى تشققها لنزول الملائكة، وانتثار النجوم، وهو تساقطها متفرقة، وتفجر البحار يكون بتفجر بعضها فى بعض وزوال ما بينها من حواجز، ثم يكون ذهاب ماؤها وتيبسها، وبعثرة القبور، بمعنى أن يقلب ترابها ويزال تهيئته لإخراج ما تحته، فيكون القول مشيرا إلى البعث. وجواب الشرط ـ فى الجملة ـ هو قوله تعالى «علمت نفس ما قدمت وأخرت» والمعنى أنه يكون محققا أنه عندما تنشر الصحف من بعد البعث أن كل نفس تعلم ما كان منها من خير أو شر عملته فى حياتها، أو خلفته وراءها بعد موتها فعمل به، لتجزى به خيرا كان أم شرا.

يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَّا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾

التفســـــير:

خاطب تعالـى ـ فى الآيات ـ جنس الإنسـان فأنكر عليه ـ بالاستفهـام الإنكارى ـ تجرؤه على عصيانه تعالى ، وصف تعالى ذاته بأنه رب الإنسان الكريم لبيان أن البعض قد يغتر بما علم من كـرمه تعالى فيمعـن فى مقارفة المعاصـى مرجئا التوبة طمعـا فى كرمه تعـالى حتى يموت علـى العصيان. ثـم إنه تعالـى وصف ذاتـه بأنـه الذى خلق الإنسـان بأن أوجـده من العدم، والـذى سوى أعضاءه لتنـاسب ما أعد لـه من المهام، وعـدل بعضها ببعض فـاعتدل قوامه، فكـان أن أصبح على الصورة التـى قضت بها مشيئته تعـالى وحكمته. ووصفه تعـالى ذاته بهذا أريـد به بيان انعدام سبب انخداع الإنسـان فى ربه وتجرئه عليه، لأن مـن فعل هذا يكون قادرا على التعذيب على عصيانه.

كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾

التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآيات ـ فى الفئة مـن المتجرئين على الله التى بلغ بهـا الأمر حد الكفر ردعهم تعالى شأنه عن الاغترار به والتجرؤ على عصيانه بقوله «كلا» ثم بين أنهم يزيدون على عدم الارتداع تكذيبهـم بالدين، يتصور فيه أن يكـون هو تكذيبهم بيوم الديـن، ويتصور فيه أن يكون هو تكذيبهم بالإسلام دين الله الحق.

ثم بين تعالى أنهم يعذبون بتكذيبهم هذا ببيان أن عليهم ملائكة يحفظون عليهم أعمالهم ليجازوا بهـا، وصف تعالـى هؤلاء الملائكـة بأنهم كرام لـديه تعالـى وبأنهم يكتبـون أعمال المخاطبيـن بالقـول، كما وصفهم بـأنهم يعلمـون جميع أفعـال المخاطبين التـى يدونـونها عليهم، بما يعنى أنهم إنما يدونون عليهم الحق الذى علموه علم الشاهد والمعاين .

إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ
لَفِي نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِغَآئِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ
ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾

التفسير:

بدأ تعالى قوله - فى الآيات - ببيان نتيجة تدوين الأعمال الذى يكون للناس جميعا، وإن كان تعالى قد خاطب به - من قبل - المكذبين بالدين.

فذكر أن الذين أبروا الله بالإيمان والعمل الصالح يكون جزاؤهم هو النعيم، وأن الفجار يكون جزاؤهم أن يلقوا في الجحيم، يكون حالهم أنهم يصلونها يحترقون بحرها يوم الدين.

ثم أخبر تعالى عن دوامهم فيها بذكره أنهم لايغيبون عنها. ثم جاء تفخيمه تعالى يوم الدين الذي يصلى فيه الفجار النار بقوله تعالى «وما أدراك ما يوم الدين ثم ما أدراك ما يوم الدين» فيه تفخيم له وتعجيب من أمره، وجاء تكريره تأكيدا لبيان مدى هوله الذى لايدرى به سيد الخلق عليه الصلاة والسلام ذاته .

ثم أخبر تعالى عن يوم الدين بأنه اليوم الذى لاتملك نفس لنفس شيئا، فبين أن نفس أحد من خلقه ولو كان ملكا من الملائكة أو رسولا من الرسل لاتملك بذاتها أن تفيد نفسا أخرى بشىء، ثم أعقب تعالى هذا ببيان اختصاصه وحده بالحكم فى هذا اليوم، بذكره أن جميع الأمر يكون مرجعه إليه وحده .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المطففين

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ ١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكۡتَالُواْ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسۡتَوۡفُونَ ٢ وَإِذَا
كَالُوهُمۡ أَو وَّزَنُوهُمۡ يُخۡسِرُونَ ٣ أَلَا يَظُنُّ أُوْلَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبۡعُوثُونَ ٤
لِيَوۡمٍ عَظِيمٖ ٥ يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦

أولا : الأسماء والأعلام :

المطففون : فى قوله تعالى «ويل للمطففين» جمع، مفرده «المطفف» وهو من يتكرر منه فعل التطفيف، وهو الأخذ خلسة من حق الغير الشيء الطفيف، من «طف الشيء» وهو جانبه. قيل إن القول نزل فى أهل المدينة كانوا يطففون الكيل والميزان حين قدم المدينة رسول الله ﷺ، فلما نزلت الآية رجعوا عنه، وقيل إنه نزل فى رجل يعرف بأبى جهينة، واسمه عمرو.

ثانيا : التفسير:

قيل إن الويل فى قوله تعالى «ويل للمطففين» هو العذاب الشديد فى الآخرة، وقيل هو واد فى جهنم توعد به تعالى المطففين، وعموم اللفظ يدخل فيه كل من ينقص فى شيء يكون فيه وفاء، ومنه الوضوء، والصلاة ، والحديث. ثم خص تعالى بالقول ـ من بين عموم المطففين ـ الذى يطففون فى حقوق العباد ببيان أنهم الذين إذا اكتالوا من الناس استوفوا

عليهم الكيل أو الميزان، فاستوفوا منهم حقوقهم، والذين إذا كالوا للناس أو وزنوا لهم أخسروهم الكيل أو الميزان بمعنى أنهم الذين ينقصون ـ فيما هو مستحق للناس من المكيل أو الموزون ـ بعضه .

ثم إنه تعالى أنكر علي المطففين فعلهم وعجب منه بقوله تعالى «ألا يظن أولئك أنهم مبعوثون ليوم عظيم» فيكون المراد هو إثبات أنهم فعلوا فعل من ينكر البعث والحساب يوم الدين. وقد يكون المعنى ـ والله أعلم ـ هو بيان أن فعلهم أشد جسامة منه لو فعله الذين لا يؤمنون بالبعث والحساب أو الذين يشكون فيه، فيكون معنى «ألا يظن» هو تحقق علمهم بأنهم مبعوثون للحساب والجزاء، وتكون شدة جسامة فعلهم مستمدة من إقدامهم على التطفيف مع علمهم بالبعث والحساب، وصفه تعالى بأنه يوم عظيم، ثم بين أن فيه يقوم الناس خاضعين لحكم الله تعالى وقضائه فيهم. وتبلغ عظمة التعبير أقصى مدى يتصور لغويا، إذا ما عرفنا أن القيام يفترض فيه الانتصاب، وأن «اللام» في «لرب العالمين» تفيد الخفض والخشوع، فيكون قيام الناس وانتصابهم هو خفضهم أنفسهم وإذلالها لله، وربما لهذا كان العبد على أشد ما يكون عليه الإحساس بعلو القدر حين يضع جبهته على الأرض ساجداً لله خاشعا شاعرا بحلاوة العبودية لله .

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ
ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾
وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا
يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

سجين : قيل هو اسم علم لكتاب جامع هو ديوان الشر، تدون فيه أسماء الكفرة والفجرة

من الإنسان والجن، وتدون أعمالهم، وقيل إنه يهبط به إلى الأرض السابعة آخر سلطان إبليس فيوضع فيها، وقيل هو خد إبليس يوضـع تحته، وقيل هو محبس أو سجن فى الأرض السابعة، وقيل هو كناية عن حبس النفس وضيقها الشديد .

ثانيا : التفســـــير:

جاءت «كلا» فـى مبتدأ القول لردع المطففيـن عما هم عليه مـن التطفيف، ثم جاء قـوله تعالى «إن كتاب الفجار لفى سجين» دالا على أن المطففيـن يدخلون فى زمرة الفجار أو إنهم يكون لهم ذات حكمهـم، ومنه أن أسماءهم وأفعـالهم تكون مدونـة فى سجين، ثم خـاطب تعالى رسولـه ﷺ فقال «وما أدراك ما سجين» فأثبـت أنه ﷺ لم يكن له به علـم من قبل، ثم بينه تعالى بـأنه كتاب مرقوم، والمعنى أنه كتـاب رُقم لهم بالشر تضمن أسمـاءهم وأعمالهم، قيل إنه يكـون سجينا فى الأرض السابعة، وقيل تحـت خد إبليس ـ وليس فى النـص ما يشير إلى هـذا ـ غايـة ما فى الأمـر أن إثباته تعـالى أن كتـاب الفجار يكون فـى سجين،ثم تعـريفه «سجين» بـأنه كتاب مـرقوم، قد يكـون مفيدا أن صحف أعمـال الفجرة لا تقبل فـى السماء، فتعود بها الملائكـة إلى الكتاب المدون سلفا المثبتة فيـه أسماؤهم وأعمالهم شبه الـرقم فى الثوب لا يمحي، والذى جعله الله فـى مكان مثل السجن ـ تدليلا على أنـه لا يتم فيه تغيير ولا تعديل ـ فما كتب لهم فيه من شر لابد أن ينالهم .

ثم إنه تعالى توعد بالعذاب ـ من بعد ـ المكذبين، ثم بين أنهم الذين يكذبون بيوم الدين، ثم أثبت صفـة لازمة لكل من يكـذب بيوم الدين هـى صفة المعتدى الأثيم، أى أنـه يتجاوز حدود النظـر والاعتبار، ويكثر مـن مقارفة الآثام، فيكـون إنكاره يوم الـدين لإقناع نفسـه أنه لا يعذب بأفعاله.

ثم يذكر تعـالى فعلا غالبا له يكون منـه دائما، وهو أنه إذا ما تليت عليـه آيات الله المنزلة، قال فيها إنها أساطير الأولين، أباطيلهم وقصصهم .



إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ
ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ
عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا
ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿١٧﴾

التفسير:

جاءت «كلا» لردع كل معتد أثيم عن التكذيب بيوم الدين، ثم بين تعالى سبب تكذيب المكذبين بذكره أنه قد طمس قلوبهم ما علاها من وسخ كفرهم ـ شبهه تعالى بالرين وهو الصدأ ـ فلم تبصر الحق ولم تتبصره، فأدى هذا إلى أن قالوا كلمة الكفر فى القرآن بوصفه أنه أساطير الأولين . ثم جاءت «كلا» فى قوله تعالى «كلا إنهم عن ربهم يومئذ لمحجوبون» بمعنى «حقا» لإثبات استحقاقهم المذكور وهو أنهم يحرمون رؤية ربهم يوم القيامة، فيكون القول دليلا على أن المؤمنين يرونه تعالى يوم القيامة، فإذا نظر إليهم سبحانه وتعالى كانت نظرته إليهم نظرة غضب، وأعقب تعالى هذا بتأكيد أنهم يصلون الجحيم يقاسون نارها فيكون عذابا ثانيا من بعد تعذيبهم بعدم رؤية وجهه الكريم تعالى شأنه. ثم ذكر تعالى أنه يقال لهم ـ لدى معاناتهم حر الجحيم ـ إن هذا هو ما كنتم به تكذبون، فيكون القول تقريعا لهم وتوبيخا.

كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾
وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ عليون : فى قوله تعالى «إن كتاب الأبرار لفى عليين» قيل هى السماء السابعة تكون

فيها أرواح المـؤمنين، وقيل هـى سدرة المنتهـى، وقيل هى فـوق السماء السابعـة عند قـائمة العرش اليمنى، وقيل هى لوح معلق بالعرش، مكتوبة فيه أعمال المؤمنين، وقيل هم الملائكة الملأ الأعلى.

٢ ـ المقربون : قيل إن المراد بهم ـ فـى معنى القول ـ هم مقربو كل سمـاء من الملائكة، وقيل هو إسرافيل .

ثانيا : التفســـــير :

جاءت «كلا» فى مبتدأ القـول بمعنى «حقا» ثم أخبر تعالى عن كتاب الأبـرار الذين يوفون الناس حقـوقهم ـ مـؤكدا ـ أنـه فى عليين، والمعنـى هو أن أعمالهـم تكون فى كتـاب الله فى السماء، أو إنه عنـدما تصعد الملائكة بأرواحهـم بعد أن يقبضوا يأتيهم كتـاب من الله مختوم بأمانهم من العـذاب ثم خاطب تعالى رسوله ﷺ قائلا «وما أدراك مـا عليون» فبين أنه ﷺ لم يكن له بذلك علم من قبل. ثم بينه تعالى له فقال «كتاب مرقوم، يشهده المقربون» وفى معناه قيل إن : «كتاب مرقوم» ليس تفسيرا لعليين، بل تـم الكلام عند «عليون» ثم ابتدأ بقول «كتاب مرقـوم» أى كتاب الأبرار كتاب مـرقوم. ونرى ــ والله أعلم ـ غيـر هذا، وهو أنه يصعـد بصحف أعمال الأبرار إلى عليين متى قبلها الله لموافقتها ما فـى قلوبهم من إخلاص، فتوضع فيه وهو الكتاب المرقـوم الذى كتب فيه تعالـى منذ الأزل أسماء السعداء وأعمالهـم، كما دون أسماء أهل الشقـاء وأعمالهم فـى سجين، فيكـون معنى قولـه تعالى «يشهـده المقربـون» مفيدا أن أعمال الأبرار يشهدها أثناء صعودها الملائكة المقـربون فى كل سماء، وأنها متى وضعت فى عليين الكتاب المرقوم شهدها الملائكة المقربون حيث هو فى سماء أو فى الجنة.

إِنَّ
ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ
نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي
ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيۡنٗا يَشۡرَبُ بِهَا
ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾

أولا : الأســـــماء :

١ ـ الرحيـق : فى قـوله تعالى «يسقـون من رحيق مختوم» قيـل هو أجود الخمر، وقيـل هو الخمر الصافية النيرة .

٢ ـ تسنيم : أصل التسنيم فى اللغة هو الارتفاع؛ ولهذا قيل إن التسنيم عين تجرى فى هواء الجنة بقدرة الله فتنصب فى أوانى أهل الجنة .

ثانيا : التفســــــير :

أخبر تعالى عن الأبرار وهم أهل البر والطاعة الذين يوفون الناس حقوقهم بأنهم يكونون فى نعيم، والمعنـى أنهم ينعمـون فى الجنـة بنعمها، ثـم ذكر مـن أحوالهـم أنهم يجلسـون على الأرائك ينظرون إلى ماشملهم به الله من كرمه، وبين تعـالى ما تكون عليه نفوسهم من الرضاء من ذكره أن من ينظر إليهم يشاهد على وجوههم غضارة النعيم ونوره، ثم ذكر من نعيمهم أنهم يسقون من رحيـق مختوم، ختامه مسك، بمعنى أنهـم يسقون خمرا صافية مختـومة بمعنى أن آخر طعمها يبقـى فى الفم، أو بمعنى أنهـا ممزوجة بشىء آخـر، ثم بين أن آخر طعمهـا الذى يبقى فى الفم هو طعم المسك، أو أن ما يمزج بها هو المسك، ثم عقب تعالى على هذا بقوله «وفى ذلـك فليتنافس المتنـافسون» بمعنـى أنه فيما وصـف من أمر نعيـم الجنة الـذى يكون للأبرار ليرغـب الراغبون، وليعمل العاملون، فـالقول تحريض على العمل الـذى يورث الجنة ونعيمها. ثم عـاد تعالى إلى وصـف الرحيق الذى يشربـه الأبرار فى الجنة فبيـن أن له مزاج، وذلك بذكره أن المزاج هو من تسنيم، وبين ماهية هذا التسنيم فأخبر أنه عين فى الجنة يشرب بها المقربون، قيل إنهم السابقون يكون شربهم من هذه العين، أما الأبرار فإنه تمزج لهم خمر كؤوسهم منها فقط .

إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ﴿٢٩﴾
وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ
﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ
حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى
ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾

التفســـــير:

أخبر تعالى عن الكافرين الذين أجرموا فى حق الله تعالى ورسوله ﷺ وفى دينه، وفى حق أنفسهم بأنهم كانوا يضحكون من المؤمنين استهزاء بهم فى الدنيا. قيل إن هذا كان فعل مشركى مكة أمثال أبى جهل والوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل بفقراء المسلمين مثل عمار وصهيب وبلال. ونرى أن الحال قائم فى كل زمان أو مكان يعلو فيه سلطان الكافرين، كما ذكر تعالى أنهم كانوا - إذا ما مر بهم المؤمنون أثناء سيرهم - يتغامزون عليهم سخرية بهم واستهزاء، وأنهم - أى الكافرون - إذا رجعوا إلى أهلهم رجعوا منتشين سعداء بسخريتهم من المؤمنين، وأنهم إذا رأوا المؤمنين فى مكان قالوا فيهم إنهم ضالون. ثم أثبت تعالى انعدام حق المجرمين فى أن يقولوا فى المؤمنين كلمة سوء، وذلك بنفيه تعالى أن يكونوا قد أرسلوا عليهم من جهته تعالى حافظين موكلين بحسابهم والشهادة برشدهم أو ضلالهم .

ثم بين تعالى تغير حال الفريقين فى الآخرة، فذكر تعالى أنه يوم القيامة أو فى كل وقت من زمان الحياة الآخرة يكون من الذين آمنوا أنهم يضحكون من الكفار إذ يرونهم فى ذل العذاب وهوانه يرسفون، يضحكون منهم حال كونهم جالسين فى الجنة على الأرائك ينظرون إلى الكافرين وما يعانون من صنوف العذاب .

ثم يجىء قوله تعالى - بعد بيان حال الكافرين فى الآخرة - «هل ثوب الكفار ما كانوا يفعلون» يتصور فيه أن يكون خطابا للمؤمنين الذين كان الكافرون يسخرون منهم فى الدنيا، فيكون المعنى هو «هل نال الكافرون جزاء سخريتهم بكم جزاءهم الحق، سخريتكم بهم وهم أذلاء». ويتصور فيه أن يكون من قبيل التهكم بالكافرين فيكون المعنى هو «هل نال الكافرون خيرا جزاء لهم على كفرهم وسخريتهم بالمؤمنين فى الدنيا» .

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الانشقاق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾
وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾

التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى أحداث يوم القيامة، جاء ذكرها أو وصفها فى شكل جملة شرطية، أداة الشرط فيها «إذا» وفعل الشرط هو جملة الأفعال أو الأحداث التى وردت فى الآيات الخمس، وهى انشقاق السماء، أو تشققها بالغمام.

كما جاء بقوله تعالى «ويوم تشقق السماء بالغمام» أو تشققها من هول يوم القيامة، وسماعها أمر ربها وانقيادها له وطاعته مأخوذة بالحق وبالحقيقة التى جبلت عليها وهى الطاعة، وهى امتداد الأرض، بمعنى زيادة انبساطها وسعتها، ونرى ـ والله أعلم ـ أنه ما يكون من زيادة مساحة اليابسة نتيجة لتبخر مياه البحار ولاشتعالها بالنار فيبقى فقط قاعها الصلب، وهى إلقاء الأرض ما فيها وتخليها عنه، قيل إنه يتعلق بإلقاء الموتى.

وزاد البعض فقال إلقاء ما فيها من كنوز، ونرى والله أعلم أنه لما كان باطن الأرض نارا ملتهبة، فإنها تنفجر بإذن ربها يوم القيامة فتلقى ما فى جوفها من معادن وأحجار وتتخلى عنه، فتكون قد سمعت أمر ربها وأطاعت مأخوذة بالحق وبالحقيقة التى جبلت عليها.

■■■■■

يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ
إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ
بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا ٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ
مَسۡرُورٗا ٩ وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ ١٠ فَسَوۡفَ يَدۡعُواْ
ثُبُورٗا ١١ وَيَصۡلَىٰ سَعِيرًا ١٢ إِنَّهُۥ كَانَ فِيٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا ١٣ إِنَّهُۥ
ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ١٤ بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرٗا ١٥

التفسير:

جاء قوله تعالى «يا أيها الإنسان إنك كادح إلى ربك كدحا فملاقيه» تمهيدا لذكر جواب الشرط، نادى تعالى جنس الإنسان أو كل فرد من أفراده وأخبره عن واقع حاله وهو أنه جاهد مجد فيما يعمل في دنياه من خير أو من شر باذلا غاية جهده، وهو في هذا يجاهد للقاء ربه بالموت الذي يمضي إليه مقتربا كلما اجتهد في عمله ممضيا وقتا في هذا، ثم أثبت تعالى أنه ملاق ربه حتما من بعد كدحه هذا .

ثم يأتي جواب الشرط في شكل جملة شرطية، فيذكر تعالى أن من يؤتى كتابه بيمينه، فإنه يحاسب حسابا يسيرا، بمعنى أنه لا يناقش وأنه يتجاوز فيه عن سيئاته، ثم يكون أن يعود إلى أهله المؤمنين مبتهجا يقول «هاؤم اقرؤوا كتابيه» وقيل ينقلب إلى من أعده الله له في الجنة من الحور كما يذكر تعالى أن من يؤتى كتابه وراء ظهره بشماله يكون منه أنه يدعو الثبور ـ وهو الهلاك ـ ويناديه، وأنه يقاسي حر السعير. ثم بين تعالى أن حاله هذه كانت جزاء على فرحه بكفره وظلمه في الدنيا بذكره أنه كان في أهله فرحا بطرا لا يشغل باله بأمر الآخرة ولا يخشى

عذابها، كما يبين علة اغتراره بالدنيا و إهماله الآخرة ببيان أنه اعتقد أنه لن يرجع إلى الله فى آخرة. والمعنى أنه كذب بالبعث فعمل بالهوى. ثم عقب تعالى على عقيدته بعدم الرجوع بقوله «بلى» والمعنى هو إيجاب أنه يعود إلى ربه، ثم بين أنه كان به بصيرا، فدل على أنه محاسبه ومعاقبه بجميع ما كان منه .

فَلَآ أُقْسِمُ
بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ
طَبَقًا عَن طَبَقٍ ﴿١٩﴾ فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ
لَا يَسْجُدُونَ ﴿٢١﴾

أولا : الأسماء :

الشفق : هو الحمرة التى تكون عند مغيب الشمس، فإذا غابت وجبت صلاة العشاء.

ثانيا : التفسير:

جاءت «لا» فى قوله تعالى «فلا أقسم» صلة، فيكون المعنى هو «أقسم»، وقسمه تعالى كان بالشفق وهو الحمرة التى تكون عند الغروب وتستمر إلى وقت صلاة العشاء، وكان بالليل وما وسق بمعنى ما جمع من أصناف الوحش والحيوان والطير والإنسان فيه يكون سكنهم من بعد انتشار فى النهار، وكان بالقمر إذا تم واستوى وصار بدرا. وجواب الشرط جاء به قوله تعالى «لتركبن طبقا عن طبق» قيل فيه إن الخطاب هو لرسول الله ﷺ أخبره ربه أنه سيركب سماء بعد سماء، ويقترب من الله رتبة بعد رتبة، وقيل إن الخطاب هو لجنس الإنسان يقول له تعالى إنه سيركب فى الدنيا حالا بعد حال بدءا من كونه نطفة إلى أن يموت، وقيل إنه له فى الآخرة يخبره تعالى أنه سيركب حالا من بعد حال من شدائد يوم القيامة ونرى - والله أعلم - أن ورود القول من بعد قوله تعالى «والقمر إذا اتسق» يتضمن ضمن ما يتضمن من معان

تصريحـا بركوب الإنسـان طبقات الفضـاء الجوى ـ غيـر هذه الممتلئة بشـواظ من نـار ومن نحاس ـ ليصل إلى القمر.

ثم إنه لمـا كان شىء قد ذكـر من أفعال الشرط ومـن جوابه هو فـى حد ذاته آية مـن آياته تعالى الدالة على قدرته، وكان المشهود يخبر بصحة المتلو والمقروء من آياته تعالى فى قرآنه ويدل على أنها من الخالق القادر، فقد جاء قـوله تعالى «فما لهم لا يؤمنون» بمعنى أى شىء يمنع الكـافرين أن يؤمنـوا، فالاستفهام إنكـار لعدم إيمانهـم وتعجيب منه، ثم شمـل الإنكار والتعجيب ما يكـون منهم حين يتلى عليهم القـرآن فلا يكون منهم السجود خشـوعا لله لعدم تـأثر قلـوبهم بـه وقيـل «لا يصلون» فيكـون الإنكـار متعلقا بعـدم إيمانهـم ثـم بعدم أدائهـم الفـرائض.

• بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٢٥﴾

التفســـــير:

ذكر تعالى واقع حال الذين كفروا مبينا علـة عدم سجودهم لدى قراءة القرآن عليهم، فبين أنهم يكذبون بـالقرآن وبرسول الله ﷺ، ثم بين تعـالى أنه أعلم بما وعت صـدورهم من حقد وكراهية لرسول الله ﷺ أدى بهم إلى الإصرار على البقـاء على الكفر رغم ظهور الحق لهم، ثم أمر تعالـى رسوله ﷺ أن ينذرهم بـالعذاب الأليم جزاء علـى ما فى قلوبهم مـن حقد أو جزاء على كفـرهم، جاء التعبير عـن الإنذار بالتبشير تهكمـا بهم أو مراعـاة لرحمته ﷺ بالنـاس فلم يأمره تعـالى بأن ينذر قـومه بالعذاب تطييـا لقلبه. ثم استثنى تعـالى من المنذريـن بالعذاب الأليم الذين يؤمنون ويعملون الصالحات، وعدهـم تعالى أن يكون لهم أجر المؤمنين جميعا

وهو الثواب الدائم نعيمه فى الآخرة، لا يكون له انقطاع .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البـروج

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ٣
قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ ٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ ٥ إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ٦
وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن
يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ٨ ٱلَّذِي لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ
عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٩

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **البـــروج** : سبق بيـانها، وفـى إيجاز فـإنه يتصـور أن يكون المـراد بها أشكـال بعض تجمعات النجوم التـى رآها الأقدمون وأعطوا لها أسمـاء تتمشى مع مهنتهى الرعـى والزراعة، وقسموها اثنى عشر برجا بعدد شهور السنة، تبدأ بظهور برج الحمل فى ٢١ مارس، ويتصور أن يكون المراد بها هو منازل القمر، وقد سبق بيانها :

٢ ـ **الأخدود** : هو الشق العظيـم المستطيل فى الأرض كالخنـدق، والمراد به ـ فـى معنى القول ـ هو الأخدود الذى ألقـى فيه ملك كافر بالذين آمنوا لغلام هـدى إلى الحق بعد أن كان

الملك يعده ليخلف كاهنا كافرا، وذلك بعد أن أوقده نارا، وقد سبق ذكر قصته.

ثانيا : التفســـــير:

أقسـم تعالـى بـالسماء ووصفهـا بأنهـا ذات البـروج، يتصور فـى معنـى البروج أن يكـون المقصود بها البروج التخيلية لأشكال مجموعـات النجوم، ويتصور أن يكون المراد بها منازل القمر. ولعـل القسم بهـا يدل علـى أن النتائج العملية المستخلصـة منها فـى شئون الـزراعة والرعي صحيحة، وإن لـم تكن هناك بروج مشيدة فى هيئـة كيانات مادية، كما أقسـم تعالي باليوم المشهود وهو يوم القيامة، ومن حضره فشاهد أحداثه وما شوهد فيه من أحداث وأهوال، فيكـون المراد بـالقسم إرهـابا لمنكـري البعث والقيـامـة، وقيل إن الشـاهد هـو يوم الجمعـة والمشهود هـو يوم عرفة، وقيـل إن الشاهد هو الله لقـوله تعالـى «وكفى بالله شهيدا»، وقيـل هو رسول الله ﷺ لقوله تعالى «وجئنا بك على هؤلاء شهيدا». وجواب القسم هو قوله تعالى «قتل أصحاب الأخـدود» ويتصور فيه أن يكون إخبـارا تقريرا بواقـع لعنه تعالى أصحـاب الأخدود، وهم الملـك الكافر الـذى ألقى المؤمنيـن فى أخدود أوقدة نـارا ومن عاونـوه على هذا ـ فى القصة المعـروفة السابق ذكـرها ـ ويتصـور فيه أن يكون دعـاء عليهم باللعنة والهـلاك. وعلى الحالين فـإن القول يكون توعـدا لكفار مكة الذيـن عذبوا ضعفاء المسلميـن المقيمين بينهم بالهـلاك على ما حـدث فى بدر وبـالطرد من رحمتـه تعالى. ثـم عاد تعالـى إلى بيان مـاهية الأخدود فى القصة، والمشبه بـه فعل الكافرين بضعفاء المسلمين، فبين أنـه النار ذات الوقود وهو الحطب الـذى تشتعل به نار الدنيا، والنـاس والحجارة وقود نار الآخرة، ثم ذكـر تعالى أن اللعنـة قد حلـت بأصحـاب الأخدود الكـافريـن أثناء قعـودهم حـول النار مشـرفين عليهـا، يحضرون مشاهدين عـرض بعضهـم البعض الكفر على المؤمنين لئلا يلقـوا بهم فى الأخدود، أو أنهم كان بعضهم يشهد لبعض عند الملك بالتزام أوامره بإلقاء المؤمنين فى الأخدود .

ثم ذكر تعالى علة اشتداد نقمة أصحاب الأخدود على المؤمنين. وهى إيمان المؤمنين بالله العزيـز الحميد، فيكون القول مبينـا أنه لـم تكن بـالمؤمنين علـة تبرر التنكيل بهم علـى النحو الذى كان، وأن العلة إنمـا كانت كفر الكافرين وظلمهـم، ثم وصف تعالى ذاته بـأنه الذى له

ملك السماوات والأرض، فبين أن المؤمنين الذين ألقوا فى الأخدود قد آمنوا بهذا. ثم أتبع تعالى هذا بقوله «والله على كل شيء شهيد» بيانا لأنه معذب أصحاب الأخدود بفعلهم ومجازى المؤمنين الشهداء جزاء الشهداء الذين جاهدوا فى سبيله.

إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ
يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٠﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟
وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ذَٰلِكَ
ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴿١١﴾ إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ
وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ
لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول - فى الآيات - بأن أخبر عن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا عما فعلوا وعن الكفر ويندموا، يتصور فيهم أن يكونوا أصحاب الأخدود، ويتصور فيهم أن يكونوا كفار مكة الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات بالعذاب ليرتدوا عن الإسلام، ومثلهم الكافرون فى كل زمان ومكان الذين يفتنون المؤمنين والمؤمنات بأسباب كثيرة ليرتدوا عن الإسلام. والذى أخبر به تعالى عنهم هو أنه يكون لهم فى الآخرة عذاب جهنم، ويكون لهم فوقه عذاب الحريق فى نار أخرى والقول - على هذا النحو - فيه إطماع للذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات فى نيل العفو عنهم بالتوبة الصحيحة وبالإيمان .

ثم أخبر تعالـى عن المؤمنين الذين قرنـوا إيمانهم بعمل الصالحات، فبيـن أنه تكون لهم فى الآخرة جنـات تجرى فيها الأنهار، ووصف ما يكـون لهم فى الآخرة بأنه الفـوز الذى يكون صغيره هو المستحق أن يدعى فوزا، بما يعنى أنه لايعدله فوزآخر، ثم وصف ما يكون لهم منه بأنه كبير. وعموم لفظ «الذين آمنوا» يشمل المؤمنين عموما بما فيهم الذين تابوا وآمنوا من بعد فتنتهم المؤمنين والمؤمنات.

ثم إنه تعالى عاد إلـى توعد كفار مكة الذين فتنوا المؤمنين والمـؤمنات بالعذاب الشديد، بأنه خاطب رسولـه ﷺ مخبرا أن بطشه بالكافرين الظالمين شديد، ثـم دلل على قدرته على البطش بهم بالتـذكير بأنه الذى يبدأ الخلـق، والذى يعيده فى الآخرة بعد فنـائه، ثم أتبع هذا بفتح السبيـل أمام الكافريـن للخلوص من بطشه بهـم بالإخبار عـن ذاته بأنه الغفـور الودود، والمعنى أنه يغفـر لمن تاب منهم وآمـن، وأنه يكون ممن يحبهم مـن التائبين الذيـن يدخلون بتوبتهم وإيمانهـم فى عداد عباده الصالحين. ثـم وصف تعالى ذاته بأنـه ذو العرش المجيد وبأنه فعـال لما يريد، بين مـدى عظمته ببيان أنه مـالك العرش الذى هو أعظـم المخلوقات وبأنه المجيد بذاته، فدل على عدم احتياجه إيمان المؤمنين أو انتفاعه بإيمانهم، وعلى أنهم هم الـذين يفيدون مـن إيمانهم، وأثبـت أنه تعالى هـو الذى يفعل مـا يريد بمجـرد المشيئة، فيكون المستفاد أنه تعالى كان قادرا على أن يقسر الكافرين على الإيمان، فإذا كان قد خيرهم بين الإيمـان والكفرـــ مع علمـه بما يكـون منهم ـــ فلكى يقيـم عليهم الحجـة من أنفسهـم بعذابهم، ثم إن القول يؤمل التائبين فى المغفـرة لدخولها فى محيط الأعمال التى يقدر عليها تعالى شأنه بمشيئته.

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ
هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ ﴿٢٢﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أن بطشه بالكافرين شديد وأنه فعال لما يريد، فإنه تعالى خاطب رسوله ﷺ فأخبره بطريق التلميح أنه معذب الذين يصرون على تكذيبه من قومه كما عذب المكذبين من قبل، فدلل له على ذلك بتذكيره بما كان منه تعالى مع الجنود، فالاستفهام فى قوله تعالى «هل أتاك حديث الجنود» هو لإقرار أنه ﷺ قد أتاه حديثهم، ثم بين تعالى أن الجنود المعنيين بالقول هم فرعون وجنوده وثمود.

ثم أخبر تعالى رسوله ﷺ أن الذين كفروا من قومه قد ماثلوا فرعون وجنوده وماثلوا ثمودا فى التكذيب فاستحقوا جزاءهم. ثم أعقب هذا بذكر قدرته تعالى على إهلاكهم بقوله «والله من ورائهم محيط» فدل على أنهم لا يملكون منه فرارا إن أراد أن يهلكهم بعذاب.

ثم بين ضلالهم عن الحق ببيان أن ما كذبوا به هو قرآن مجيد. فهو كلام الله المحفوظ فى الصدور والمقروء، وهو المجيد بذاته الذى لا يبلغ قدر شرفه وبركته شىء، حفظه الله قبل أن يحفظه فى الصدور وفى المصاحف فى اللوح المحفوظ، ثم نزل محفوظا إلى خير خلق الله، ليبقى محفوظا كما كان فى اللوح المحفوظ.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الطـارق

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ﴿٢﴾ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ﴿٣﴾

إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾

أولا : الأسـماء :

الطـارق : قيل هو زحل الكوكب الذى فى السماء السـابعة، وهو ما نراه غير صحيح ـ والله أعلم ـ فـزحل ليس بنجم وإنمـا هو كوكب، ثـم إنه من مجموعـة كواكب الشمس التـى هى أقرب النجوم إلينا فلا يتصور أن يكون فى السماء السابعة، وقيل هو الثريا. وقل هو نجم رمى به تعالى الأرض فامتلأت نـورا فزع منه أبو طالب وكان جالسا فـى حضرة رسول الله ﷺ، فقال له ﷺ: هذا نجم رمى به.

وإذا صح الخبر فإنه يكون نيزكا ولا يكون نجما. والـذى نراه ـ والله أعلم ـ أنه تعالى قد بين ماهيته بذكره أنـه النجم الثاقب، فيكون هو النجم الميت الـذى يسمى «الثقب الأسود» يبتلع بشدة جـاذبيته أى جرم يقترب منـه وهو ثاقب لأنـه يثقب الفضاء الكونـى أثناء جريانـه، فهو يكنس جـاذبا إليه كل مـا يصادفه مخلفا وراءه نفقـا أو ثقبا عظيما خـاليا من المادة والطـاقة فيكون ثاقبا الفضاء فعلا.

ثانيا : التفسـير:

أقسم تعالى بالسماء قسما وبالطارق قسما آخر، ثـم بين لرسوله أنه لم يكن يعلم شيئا عن الطارق، ثم بينه له بذكر ماهيته وهو أنه النجم الثاقب ـ على ما بينا آنفا ـ ثم جاء جواب القسم فى قوله تعالـى «إن كل نفس لما عليها حافظ»، بمعنى أن كل نفس مـن أنفس البشر قد وكل بها حفظة من الملائكة يحفظون عليها رزقها وعملهـا وأجلها، وقيل إن المراد بالحافظ هو الله تعالى، وقيل عقل الإنسان يرشده إلى صالحه ويبعده عن ضرره .

فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾
خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُۥ عَلَىٰ
رَجْعِهِۦ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ ﴿١٠﴾

التفسـير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في حث الناس على العمل للآخرة بتذكر ما يكون فيها من حساب وجزاء، بدأ تعالى بتذكير كل فرد من جنس الإنسان بكيفية خلقه أو بطلبه منه أن يتفكر في هذا، ثم بين ما يفترض أن يستخلصه كل فرد وهو أنه خلق من منى يتدفق من الرجل في المرأة فيمتزج ببويضة تكون منها ليكون مبدأ خلق الفرد من جنس الإنسان - فيما خلا عيسى عليه السلام الذى لم يخلق من ماء رجل - ثم بين تعالى أن الحيوان المنوى الذى يكون فى ماء الرجل يجد مصدره فيما يكون بين صلب الرجل وهو ظهره، وفيه إشارة إلى دور حبال الأعصاب ودور النخاع العظمى، وبين ترائبه وهى عظام صدره، ويتصور فى القول أن يكون المراد به أن مبدأ الخلق يكون باختراق الحيوان المنوى للرجل الذى يكون مصدره صلب الرجل ببويضة المرأة التى يكون مصدر وجودها من جهة ترائبها. وأتبع تعالى هذا بذكره ما يجب أن يخلص إليه كل فرد من جنس الإنسان، وهو أنه تعالى قادر على أن يبعثه للحساب والجزاء من بعد موته. ثم بين تعالى أن هذا البعث والرجوع إليه تعالى يكون يوم اختبار ما خفى فى القلوب من العقائد والنيات، إذ يكون الحساب على الأعمال بمدى موافقتها النيات المعقودة عليها القلوب. وهذا اليوم هو اليوم الذى لا يكون للإنسان قوة من نفسه يدفع بها ما قدره الله له من عذاب إن كان من المعذبين، ولا يكون له ناصر من الغير، أو من خارج نفسه.

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ
فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ
كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا ﴿١٧﴾

أولا: الأسـماء:

١ - الرجع: هو المطر، لأن السماء ترجع به مرة بعد مرة، أو لأن السحاب يكون من ماء الأرض ثم يكون رجوعه إليها مطرا.

٢ ـ **الصدع** : هو الشق العميق ـ فى الأصل ـ واستعمل فى كل شق ولو كان هينا بسيطا مثل ما يكون فى الأرض بخروج النبات منها .

٣ ـ **الرويد** : فى قوله تعالى «أمهلهم رويدا» تصغير «رود» وهو الإمهال، فيكون الرويد هو الإمهال القليل .

ثانيا : التفســـير:

أقسم تعالى بالسماء ــ والمراد بها الغلاف الجوى للأرض ـ التى يكون منها المطر، وبالأرض التى يكون فيها الصدع أو الشق بفعل النبات ـ على ما قيل ـ يخرج منه. ونرى ـ والله أعلم ـ أن المراد به هو الشق العظيم الذى يصبح بحرا مثل البحر الأحمر الذى هو فلق حدث فى قشرة الأرض، ومثل المحيط الذى فصل استراليا عن العالم، وقبله الصدع العظيم الذى فصل القارات عن بعضها، فيكون قوله تعالى مشيرا إلى الدورة المسخرة المستمرة بين المحيطات والبحار والأنهار وبين سحب الغلاف الجوى والمطر. وجواب القسم هو أن القرآن هو القول الفصل فى كل ما اختلف فيه لكونه الحق الذى لاينا له شك. وهو بهذا الفيصل بين الحق والباطل، ثم إنه تعالى نفى عن القرآن أن يكون منطويا على هزل، وقد يكون المراد ـ والله أعلم ـ هو بيان علو شأنه عن أن يكون مادة هزل ومزاح من الفجار أو سخرية من جانب الكفار على نحو ما كان من التتارحين اقتحموا مساجد بغداد واعتدوا على قدسية المصاحف. ومثل ما يحدث من أعداء الله من اجتراء على تمزيق المصاحف فى الأقصى ومساجد فلسطين فيكون مفاد القول أنه تعالى ينتقم من كل من لايرعى قدسية القرآن العظيم.

ثم جاء قوله تعالى «إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا» مثبتا أن الكافرين يكيدون لإطفاء نور الله الذى يتلألأ به قرآنه، وأنه تعالى يكيد لهم، قد يكون بإرخاء العنان لهم ليزدادوا إثما فيكون أخذه إياهم أخذا وبيلا؛ ولهذا فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ، والأمر يسرى على كل من ولى أمر المسلمين فى كل آن يمهل الكافرين، بعدم تعجل الانتقام منهم، وأن يكون إمهاله إياهم قليلا، فيكون القول بمثابة توجيه إلى عدم تعجل فعل الانتقام وإمهال الكافرين إلى أن يتم الاستعداد الجيد لقتالهم، دليل هذا أنه بعد نزول النص أمر تعالى رسوله بقتال الكافرين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأعلى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ ﴿٢﴾ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ ﴿٣﴾ وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ الغثاء : هو ـ في الأصل ـ ما يرمى به السيل على جانب الوادى من الحشيش والنبات، والمراد به ـ فى معنى القول ـ هو المختلط، المتعدد الأنواع .

٢ ـ الأحوى : هو ما مال لونه إلى السواد، أو ما به سمرة من «الحوة» وهى السواد .

ثانيا : التفسير:

أمر تعالى رسوله ﷺ، والأمر ينصرف إلى كل مؤمن أن ينزه أسماء الله تعالى عما لا يليق بها، فمن ذلك مثلا عدم إطلاق اسم مما اختص تعالى به ذاته على أحد، مثل اسم الخالق، والرحمن، وعدم تأويل اسم بغير مقتض، وعدم إبقاء اسم على ظاهره إذا كان قد ذكر لأمر خاص لا يتعداه، وكان فى غيره لا يليق به تعالى، ومنه عدم النطق به فى محل لا يليق به. ثم وصف تعالى ذاته بأنه الذى خلق فسوى، بمعنى أنه الذى خلق كل نوع من أنواع خلقه، وسوى أعضاءه لتكون هى الأنسب لمباشرة شئون حياته، وأنه الذى قدر فهدى، بمعنى أنه الذى قدر الأقدار لكل خلق من خلقه ـ كبر أم صغر ـ ثم هداه إلى ما ينبغى أن يكون عليه سلوكه وتصرفه. وآية ذلك مثلا أنه قدر لحبة القمح أن يأكلها طير، فأسقطها فى الأرض، وأنزل

عليها المطـر، وهيأهـا لأن تنتفخ وتخـرج جذرها يثبتهـا فى الأرض، وليخـرج ساقهـا فيخترق التربـة، ثم ينمو ويخـرج سنبله يجف بفعـل الشمس وتذروه الـريح فيسقط علـى الأرض، ثم يجعل غريزة حـب الحياة تدفع طيرا بذاتـه إلى البحث فى الأرض فيجد حبة القمـح فيأكلها مهتديا إليها من الله . وأنه إذا قدر للإنسان أن يكون من المهتدين، فإنه يخلق له الظروف التى تهيىء له أن يستعمـل عقله على نحو صحيح فيكـون منه الإيمان، ونضرب مثلا لهـذا ما كان من «فاتك» الشـاعر الذى كان قاطع طريق، حيـن كان يعد سلاحه ليخرج به فـي إغارة له ثم سمع قارئا يتلو قوله تعالى «ألم يأن للذيـن آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله» فقال «بلا» ورمى سلاحه وتاب وأصلح. قدر له تعالى الهدى، فهـداه إلى أن يهتدى. ثم وصف تعالى ذاته بأنه الذى أخـرج مرعى الحيوان مـن الأرض وعدده ليكون خليطا مـن نباتات وحشائش متنـوعة، يأكلها الحيوان خضراء ويأكلها يابسة مال لونهـا إلى السواد. وقد يكون وصفه تعالى هذا هو بيان لهيمنته تعـالى على جميع خلقـه، حتى إذا كان قد اختـار لهم دينا وكتابـا، كان المتعين قبوله أنه اختيار من ينقطع كل قول إذا كان قوله.

سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾

التفســـير:

أعلم تعـالى رسـوله ﷺ أنـه سيقرئه القـرآن بمعنى أن جبـريل عليـه السلام سيقـرأه عليه وطمأنـه إلى أنـه لن ينساه، وإنمـا يحفظه فـى قلبه ليعلمـه المؤمنين بعـد أن يبشر بـه الناس أجمعين ، ثم جـاء قوله «إلا ما شاء الله» بمعنـى أنه إذا أراد الله أن ينسيك منه شيئـا، فعل ولم يشأ تعالى هذا. ونـرى ـ والله أعلم ـ أن الاستثناء هو من القراءة كـان القرآن العظيم قد تضمن

كل شيء إلا ما شاء الله أن يختص ذاته بعلمه - فإنه كان منه تعالى - أنه لم يقرىء به رسوله ﷺ، فكان هذا هو ما لم يشأ تعالى أن يعلمه به، ثم أخبر تعالى عن ذاته بأنه يعلم ما يجهر به ويفصح عنه من القول، وما أخفى في الصدور، والمعنى أنه تعالى يعلم أن ما يجهر به رسول الله ﷺ من القرآن على الناس يوافق ما أودعه الله في قلبه منه، فيكون القول زيادة في طمأنته ﷺ أنه لا ينسى من القرآن شيئا. ثم زاده الله طمأنة بأن أعلمه أنه سييسر عليه كل صعب ليكون الانتقال منه ميسرا إلى ما هو أيسر منه، فمن بعد تحفيظه القرآن يعلمه معانيه، ثم ييسر له الإبلاغ به. ومن بعد معاداة المشركين له، يكون من أبنائهم وإخوتهم من يؤمن له فتضعف شوكة الباقين على الكفر، فيسهل عليه إقناع البعض منهم بالدين، ويسهل عليه قتال الآخرين. ثم إنه لما كان من هذا التيسير أنه يعلم الناس بالقرآن العقيدة الصحيحة، والشريعة التامة الصلاح، الكاملة النفع، فإنه تعالى أمره أن يذكر بالقرآن، فيؤمن به من ينفعه هذا التذكير تبشيرا وإنذارا، وهو من يخاف وعيدا.

سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا الْأَشْقَى ﴿١١﴾ الَّذِي يَصْلَى النَّارَ الْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾

التفسير:

لما كان منه تعالى أن أمر رسوله ﷺ بالتذكير بالقرآن، فإنه أعلم رسوله ما سيكون من الناس مع هذا التذكير، فذكر له أنه سينتفع بهذا التذكير فيكون منه التذكر من كان من شأنه أن يخشى الله حق خشيته، وأنه سيتجنب الذكرى، ويعرض عن سماع آيات الذكر من كتب عليه الشقاء الأبدي، وهو الكافر المصر على الكفر، الذي يصم أذنيه عن السمع، وهو من قدر الله عليه بشقوته أن يصلى في الآخرة النار الكبرى - قيل إنها الدركة السفلى من دركاتها - يخلد فيها، لا يموت فلا يشعر بالعذاب، ولا يحيا حياة الناس التي يكون فيها الخير والشر، بل يحيا للعذاب وحده وفيه، فلا تكون حياته فيه حياة.

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْـَٔاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَـٰذَا لَفِى
ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾﴾

التفسير:

القول - فى الآيات - هو فى بيان ما يكون من الناس مع التذكير بالقرآن، وفى بيان أثر ذلك معهم. بدأ تعالى بإيراد الحكم العام وهو أن من تطهر من دنس الكفر والشرك بالإيمان بالقرآن، ورسخ فى قلبه الإيمان فاستقر فيه ذكر الله ثم نطق لسانه، ولم يفرط فى العبادات المأمور بها وأمها الصلاة ــ وهى صلاة المسلمين ــ فإنه يكون قد حقق الفلاح بنجاته من العذاب وظفره بالنعيم الموعود به فى القرآن .

ثم بين تعالى أنه لايكون من الناس جميعهم ما يكسبهم هذا الفلاح، لأن الناس قد جبلوا على حب الحياة الدنيا، فهم يسعون لكسبها دون الآخرة، فيكون من زكَّى نفسه بالتطهر من حب الدنيا هو الجدير أن يكون له خير الآخرة التى عمل لها؛ ولهذا جاء قوله تعالى «والآخرة خير وأبقى» تقريرا لواقع، وتوبيخا وعتابا للذين يؤثرون الحياة الدنيا وبيانا لفساد اختيارهم ووعدا للذين آثروا الآخرة بأن يكون لهم ثوابها الذى هو خير من ثواب الدنيا وأبقى لأنه يدوم ولا يفنى .

ثم إنه تعالى أخبر أن خيرية ثواب الآخرة على ثواب الدنيا فى النوع وفى الدوام، هو أمر قد أثبته تعالى فى الصحف الأولى التى أنزلها على رسله، فسرها وبينها أنها صحفه التى أنزلها على إبراهيم فبشر بها وأنذر هو ومن جاء بعده من الرسل، وأنها صحفه التى أنزلها على موسى عليه السلام، والتى بعث بها إلي فرعون وقومه. وهى غير التوراة التى بعث بها إلى بنى إسرائيل. فيكون المراد إثباته هو سبق إبلاغ الناس بهذه الحقيقة وثوارثهم العلم بها.

■■■■■

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ
نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ
إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ الغاشية : هى القيامة، تغشى الناس بأهوالهـا، وقيل هى النار يغشاها أهلها ويقحمون فيها .

٢ ـ الناصب : فى قوله تعالى «عاملة ناصبة» هو من نال منه التعب والإرهاق حد النصب.

٣ ـ الأنى : فى قوله تعالى «تسقى من عين آنية» هو ما تناهى حره .

٤ ـ الضريع : فى قـوله تعالـى «ليس لهم طعـام إلا من ضريـع» هو نبت ذو شـوك يسمى «الشبرق» إذا كان رطبا، فإذا ما يبس فهو الضريع .

ثانيا : التفسـير:

الخطاب ـ فى الآيـات ـ إلى رسول الله ﷺ ـ والاستفهام فى القول جاء للتعجيب مما فى القول وللتشويق إلى سماعـه. وهو فى شأن القيامة التى تغشى الناس أهوالهـا، ذكر تعالى أنه تكون فيـه وجوه أقـوام ذليلة كالحـة، وهى وجـوه الكافـرين والمكذبيـن، وقيل وجـوه اليهود والنصارى، وأنهـا تكون عاملة نـاصبة تعبة، والمـراد أن أصحابها يكـونون قائمين علـى أشق الأعمال من جر السلاسـل والأغلال صاعدين بها تلال النار تعبين مـرهقين. وقيل إن هذا هو شأنهم فـى الدنيا عملوا وتعبـوا فى عبادة غير الله وفقا لمـا ليس من دينه الـذى ارتضى لعباده

فلم تنفعهم عبادتهم ولم ينفعهم عملهم، ثم بين تعالى أن أصحاب هذه الوجوه يصلون نارا حميت فاشتد حرها، وأنهم يسقون من عين تناهى حر سائلها الذى يشربون، ثم أتبع تعالى هذا بذكره أنهم لايكون لهم طعام وقتذاك إلا من نبت الشوك الجاف المسمى بالضريع، قد يكون هو الغسلين والزقوم يتغير حاله من شىء إلى آخر، وقد يكون ضريعا فى وقت ويكون زقوما أو غسلينا فى وقت آخر. ثم وصفه تعالى بأنه لايفيد شيئا ـ والمراد أنه لايكون من وراء أكله إلا التعذيب به ـ فلا هو يسمن ولا هو يذهب الإحساس بالجوع .

وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾
لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا
عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ
مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **النمارق** : فى قوله تعالى «ونمارق مصفوفة» جمع، مفرده «نمرقة» وهى الوسادة .

٢ ـ **الزرابى** : فى قوله تعالى «وزرابى مصفوفة»، جمع مفرده «زربية» وهى البساط الذى فيه مخمل رقيق.

ثانيا : التفسـير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو فى ذكر أحوال أهل الجنة يوم القايمة عبر تعالى عن سعادتهم وبشرهم بما يكون على وجوههم من بهاء ونضارة كنى عنهما بالنعومة، ثم بين تعالى أن أصحاب هذه الوجوه كانوا بسبب سعيهم فى الدنيا من أجل الآخرة راضين بعاقبة أمرهم فى الآخرة، إذ رضى الله عنهم وأرضاهم، كما بين أنهم يكون لهم الرضا وهم مستقرون فى جنة عالية المكانة والمكان، لايقال فيها حديث لغو لايفيد «لاتسمع فيها لاغية» ثم وصف تعالى بعض ما هو كائن فى هذه الجنة، فذكر أن فيها عينا تجرى بالماء لاينقطع جريانه، وأن فيها سررا مرفوعة مكانة، ورفيعة قدرا أعدت لأهل الجنة، وأكوابا موضوعة بين أيديهم، ووسائد صف بعضها جوار بعض ليتكىء عليها أهل الجنة، كما أن فيها أبسطة مبسوطة متفرقة فى المجالس حيث يجلسون. والمراد بهذا هو الإخبار عن مدى تنعم أهل الجنة بذكر ما يعلمه الناس من مظاهر النعيم، ويبقى ما ليس لهم أن يدركوه مما يكون لهم مما لم تره عين ولم تسمع به أذن ولم يخطر على بال بشر.

أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ
خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾
وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو فى بيان مدى قدرته على الفعل التى لاحد لها، ذلك أنه لما نزل قوله تعالى فى بيان حال الكافرين والمؤمنين إذ تغشاهم الغاشية، تندر منكرو البعث على ما سمعوا أن السرر تكون مرفوعة بقولهم «كيف يصعد عليها» فجاء قوله تعالى «أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت» لإثبات أنهم لو كانوا أصحاب عقول لأدركوا قدرته تعالى على فعل كل عجيب بحكمة لامتناهية، ضرب لهم الأمثال بما يخبرونه ويعايشونه فى بيئتهم، فهذه الإبل الضخمة لو تأملوا فى خلقها وكيف جعلها الله تكتفى لطعامها بما يخرج فى الصحراء من نبات لاتأكله آكلات العشب، وتصبر على الظمأ صبرا ليس لغيرها من جنس الحيوان، ثم هى من ضخامتها وقوتها مذللة منه تعالى فتنقاد لطفل صغير، ثم إنها مع ارتفاعها تبرك ليركبها، أفلا يكون من فعل هذا قادرا على أن يذلل السرر العالية لأهل الجنة، ثم ذكر تعالى السماء التى لو تفكروا فى كيفية رفعها وإمساكها لأدركوا أن من خلقها ورفعها قادر على أن يبعث الأموات فينعم منهم المؤمنين ويعذب الكافرين، ثم ذكر لهم الأرض التى يعيشون عليها ويسيرون فى طرقها، لو تفكروا فى كيفية بسطها وتمهيدها ليسهل عليهم العيش عليها، لأدركوا أن الذى فعل هذا قادر على أن يحيى الموت، وأن ينعم منهم من يشاء ويعذب من يشاء.

فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ
عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ
ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾

التفسير:

بعد أن بين تعالى أن الكافرين لو نظروا وتدبروا لأدركوا أن ما يدعوهم إليه رسول الله ﷺ هو الحق، فإنه أمر رسوله أن يذكرهم بالقرآن العظيم، ليكون عليهم دليلا من آيات الله، ثم إنه تعالى بين لرسوله ﷺ أنه غير مكلف بغير هذا، وعلة هذا أنه ﷺ ليس بمتسلط عليهم وعلى قلوبهم يأمرهم بالإيمان فيؤمنوا. ثم بين تعالى أنه يفترض بعد أن ينذرهم رسول الله ﷺ أن يؤمنوا بقوله تعالى «إلا من تولى وكفر، فيعذبه الله العذاب الأكبر» جاءت «إلا» في القول بمعنى «لكن» لبيان أن من يكون منه بعد الإنذار بالقرآن الإعراض عن الإيمان والإصرار على الكفر، فإنه تعالى يعذبه العذاب الأكبر، وهو عذاب الآخرة .

إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ في الآيتين ـ تفسير لكيفية تعذيبه الكافرين العذاب الأكبر في الآخرة، فبين أن مرجعهم حين يبعثون من بعد الموت إنما يكون إليه تعالى، يحاسبهم على كفرهم وعلى أعمالهم على وجه حتمي بدلالة أنه تعالى شبهه بما هو واجب عليه، فيترتب على هذا الحساب تعذيبهم العذاب الأكبر.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفجر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾
هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ ﴿٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الفجر** : المراد بـه ـ في معنى القـول ـ جنس الفجر وليـس فجر يوم معين، وهـو الفجر الصحيح، أول انشقاق النور، وقيل عمود الفجر وضوؤه .

٢ ـ **الليالى العشر** : هى العشر الأوائل من الأضحى التى قال ﷺ إنـه ما من أيـام فيهن العمل أحب إلى الله من أيام العشر .

٣ ـ **الشفع** : قيل هو يوم النحـر، وقيل هو بعض الصلاة، وقيل هو الخلق لأنـه تعالى خلق من كل شىء زوجين .

٤ ـ **الوتر** : قيل هو يوم عرفة، وقيل هو بعض الصلاة، وقيل إنه تعالى هو الوتر .

٥ ـ **الحجر** : فى قوله تعالى «هل فى ذلك قسـم لذى حجـر» هو العقل يحجر صاحبـه ـ بمعنى يمنعه ـ عن التهافت على هوى النفس .

ثانيا : التفســـير:

أقسم تعالى بالفجر جنسه، وبالليالـى العشر الأوائل من الأضحى، وبالصلاة، الشفع منها والوتر، وبالليل إذا أدبـر، ثم بين فخامة المقسم به ببيان أن القسـم بهذه المذكورات العظيمة عظيم القدر لعظم المقسم به عند كل ذى عقل سليم.

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾
إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ ﴿٨﴾ وَثَمُودَ الَّذِينَ
جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ﴿٩﴾ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ طَغَوْا
فِي الْبِلَادِ ﴿١١﴾ فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ ﴿١٢﴾ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ
سَوْطَ عَذَابٍ ﴿١٣﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾

التفســـــير:

مضمون قولـه تعالى ـ فـى الآيات ـ هو جـواب القسم، وهو أنه تعـالى يعذب الكافـرين المكذبيـن فى الدنيـا مع تعـذيبهم فى الآخـرة العذاب الأكبر، جـاء بيان هـذا بذكره مـا فعل بالمكـذبين استشهد تعـالى بعلـم رسوله ﷺ بمـا فعله بقبيلة عـاد ـ وقـد سبق التعريـف بها وبيانها ـ ثم بيـن أن المراد هو عاد الأولى بقوله «إرم ذات العماد» بمعنـى أن القبيلة هى سبط إرم بن سام بـن نوح التى امتاز أفرادهـا بالعماد وهو طـول القامة ومتانة البنيـان مثل الأعمدة ـ وقيل هى دمشق ـ ثم وصفها تعالى بأنه لـم يخلق مثلها فى البلاد، بمعنى أنـه لم يخلق مثل أفراد القبيلة فى ضخامـة الأجسام والقوة آخرين فى البلاد، وقيل إنه لـم يخلق فى بهاء دمشق وجمالها بلدا آخر .

ثم استشهد تعـالى بعلم رسوله ﷺ بمـا فعل تعالى بقبيلـة ثمود ـ وقد سبق التعـريف بها وبيانهـا ـ وصـف تعالـى أفرادهـا بفعلهم وهو قطعهـم صخر الجبـال واتخاذهـم فيها بيـوتا منحوتة، وبيـن أن هذا كان بمكان يعـرف بالوادى ـ قيـل هو وادى القرى ـ وقيـل إنهم قطعوا الصخر بمعنى أنهـم شقوه وأجروا فيه واديا فيه المـاء يجرى، فيكون الفعل مظهرا مـن مظاهر قوتهم .

ثم استشهد تعـالى بعلم رسولـه ﷺ بما فعل بفرعـون، وصفه بأنه ذو الأوتـاد لكثرة جنوده الذين كانـوا ينصبون خيامهم كثيرة على أوتـادها. وقيل لأنه معذب عذاب مـن يقيد فى أوتاد أربعة لينال مطروحا من صنفوف العذاب ما ينال .

ثم وصـف تعالى هؤلاء الكـافرين المعذبيـن بأنهم الذيـن طغوا فى البلاد، بمعنـى أنهم أفرادا وجماعات قـد ارتكبوا الطغيان فى بلادهم، وبـأنهم أكثروا فى بلادهم الفسـاد بإشاعة الكفر ونشر العصيان .

ثم بين تعالى ـ فى إيجاز ـ فعله فيهـم بقوله «فصب عليهم ربك سوط عذاب» بمعنى أنه أنزل على كـل منهم صنفا من العـذاب، جاء تشبيه العذاب بـالسوط الذى يضرب بـه، لبيان استمرارية العذاب استمرار الضرب بالسوط إلى أن يكـون الهلاك بالتعذيب ثم بين تعالى أن تعذيبه المكذبين الكافرين هو أثر من آثار ترصده المكذبين بعذابه لايفلتون منه. والقول ـ بهذا المعنى ـ هو توعد للمكذبين من قومه ﷺ بالعذاب .

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾

التفسـير:

لما كان تعالى قد بين بقوله «إن ربك لبالمرصاد» أنه تعالى يحب من المرء أن يعمل لآخرته، فإنه أثبت فى الآيتين أن الإنسان لايهتم إلا بالدنيا، دلل تعالى على هذا بما يكون من الإنسان حين يبتليه ربه ويختبره بإكرامه وبالإنعام عليه بالخير فى جميع صوره وأشكاله، وبما يكون منه إذا ما كان ابتلاؤه واختباره بالإمساك عليه بأن يقدر عليه رزقه. فذكر تعالى أنه إذا ما كان الابتلاء بالخير فإن الإنسان يقول إن ربه أكرمه، لا يذكر أنه تعالى أنعم عليه وتفضل، فيكون الإكرام متصورا فيه أن يكون لأفضلية خاصة له عند ربه، وإذا ما كان الابتلاء بالشر، فإنه يكون منه أنه يقول إن ربه أهانه، والمعنى أنه لا يصبر، وأن سوء فكره يدفعه إلى اعتبار إمساك الرزق إهانة له، غافلا عما يكون وراء ذلك من حكمة.

كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

أولا: الأسـماء:

١ ـ التراث: هو الميراث. ٢ ـ اللمم: فى قوله تعالى «أكلا لما» هو الجمع.

التفسـير:

جاءت «كلا» لتكذيب قول الإنسان فى الحالين، حال اختباره بالنعمة، وحال اختباره

التفسير:

مضمون قوله تعالى - في الآيات - هو جواب القسم، وهو أنه تعالى يعذب الكافرين المكذبين في الدنيا مع تعذيبهم في الآخرة العذاب الأكبر، جاء بيان هذا بذكره ما فعل بالمكذبين استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعله بقبيلة عاد - وقد سبق التعريف بها وبيانها - ثم بين أن المراد هو عاد الأولى بقوله «إرم ذات العماد» بمعنى أن القبيلة هي سبط إرم بن سام بن نوح التي امتاز أفرادها بالعماد وهو طول القامة ومتانة البنيان مثل الأعمدة - وقيل هي دمشق - ثم وصفها تعالى بأنه لم يخلق مثلها في البلاد، بمعنى أنه لم يخلق مثل أفراد القبيلة في ضخامة الأجسام والقوة آخرين في البلاد، وقيل إنه لم يخلق في بهاء دمشق وجمالها بلدا آخر.

ثم استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعل تعالى بقبيلة ثمود - وقد سبق التعريف بها وبيانها - وصف تعالى أفرادها بفعلهم وهو قطعهم صخر الجبال واتخاذهم فيها بيوتا منحوتة، وبين أن هذا كان بمكان يعرف بالوادي - قيل هو وادي القرى - وقيل إنهم قطعوا الصخر بمعنى أنهم شقوه وأجروا فيه واديا فيه الماء يجري، فيكون الفعل مظهرا من مظاهر قوتهم.

ثم استشهد تعالى بعلم رسوله ﷺ بما فعل بفرعون، وصفه بأنه ذو الأوتاد لكثرة جنوده الذين كانوا ينصبون خيامهم كثيرة على أوتادها. وقيل لأنه معذب عذاب من يقيد في أوتاد أربعة لينال مطروحا من صنفوف العذاب ما ينال.

ثم وصف تعالى هؤلاء الكافرين المعذبين بأنهم الذين طغوا في البلاد، بمعنى أنهم أفرادا وجماعات قد ارتكبوا الطغيان في بلادهم، وبأنهم أكثروا في بلادهم الفساد بإشاعة الكفر ونشر العصيان.

ثم بين تعالى - في إيجاز - فعله فيهم بقوله «فصب عليهم ربك سوط عذاب» بمعنى أنه أنزل على كل منهم صنفا من العذاب، جاء تشبيه العذاب بالسوط الذي يضرب به، لبيان استمرارية العذاب استمرار الضرب بالسوط إلى أن يكون الهلاك بالتعذيب ثم بين تعالى أن تعذيبه المكذبين الكافرين هو أثر من آثار ترصده المكذبين بعذابه لا يفلتون منه. والقول - بهذا المعنى - هو توعد للمكذبين من قومه ﷺ بالعذاب.

فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ ﴿١٦﴾

التفسير:

لما كان تعالى قد بين بقوله «إن ربك لبالمرصاد» أنه تعالى يحب من المرء أن يعمل لآخرته، فإنه أثبت فى الآيتين أن الإنسان لايهتم إلا بالدنيا، دلل تعالى على هذا بما يكون من الإنسان حين يبتليه ربه ويختبره بإكرامه وبالإنعام عليه بالخير فى جميع صوره وأشكاله، وبما يكون منه إذا ما كان ابتلاؤه واختباره بالإمساك عليه بأن يقدر عليه رزقه. فذكر تعالى أنه إذا ما كان الابتلاء بالخير فإن الإنسان يقول إن ربه أكرمه، لايذكر أنه تعالى أنعم عليه وتفضل، فيكون الإكرام متصورا فيه أن يكون لأفضلية خاصة له عند ربه، وإذا ما كان الابتلاء بالشر، فإنه يكون منه أنه يقول إن ربه أهانه، والمعنى أنه لا يصبر، وأن سوء فكره يدفعه إلى اعتبار إمساك الرزق إهانة له، غافلا عما يكون وراء ذلك من حكمة.

كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ ﴿١٧﴾ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿١٨﴾ وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا ﴿١٩﴾ وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا ﴿٢٠﴾

أولا : الأسماء :

١ - التراث : هو الميراث. ٢ - اللمم : فى قوله تعالى «أكلا لما» هو الجمع .

التفسير:

جاءت «كلا» لتكذيب قول الإنسان فى الحالين، حال اختباره بالنعمة، وحال اختباره

بالإمساك عليه رزقه. وجاءت «بل» لبيان أن من أفعال الإنسان ما هو أشد سوءا من هذا القول الخاص. ذكر تعالى منها أن الناس لايكرمون اليتيم، والمعنى أنه حين ينعم الله عليهم بالمال، لاينفقون على اليتيم الذى يبين من القول أنه تعالى حث على إكرامه وتكريمه. وذكر تعالى منها أنهم لايتحاضون على إطعام المساكين، فبين أنه يفترض فى الناس أن يتناصحوا بإطعام المساكين. كما ذكر تعالى أنهم يأكلون الميراث بالسعى لجمعه لصوالحهم، يجمعون ما هو حق لهم فيه وما هو ليس لهم بحق، وما يكون ذلك منهم إلا لحبهم الدنيا وزينتها؛ ولهذا صرح تعالى بهذا بقوله تعالى «وتحبون المال حبا جما» بمعنى أنهم يحبون المال كثيرا فيجمعونه بالحلال والحرام ولا ينفقونه فى الأوجه الخيرة التى أمر تعالى أن ينفق فيها .

كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴿٢٢﴾ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٢٣﴾

التفسـير:

جاءت «كلا» لردع الناس عن الأفعال القبيحة التي أخذها ربهم عليهم، ثم بين لهم كيف أنها تكون وبالا عليهم فى الآخرة، بأن بين أنه إذا ما دكت الأرض دكا متتاليا متتابعا بالزلزلة الهائلة فلا يبقى عليها بنيان ولا جبل، وجاء أمره تعالى وجاءت الملائكة صفوفا، وجىء بجهنم يظهرها الله ويعلم المعذبين بها أنهم مواقعوها. يكون من الإنسان الذى قال ما قال عند الاختبار وفعل ما فعل من القبائح المذكورة أنه يتذكر خطأه وخطاياه، وما فرط فى حق الله وحقوق العباد، نادما على ما كان منه حين لاينفعه ندم ولاتقبل منه توبة، يفصح عن هذا قوله تعالى «وأنّى له الذكرى» والمعنى هو من أين تفيده الذكرى، فهى عقيمة لانفع لها.

يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي قَدَّمۡتُ لِحَيَاتِي ﴿٢٤﴾ فَيَوۡمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٥﴾ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ﴿٢٦﴾

التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أن من فرط فى حق الله وفى حقوق العباد يتذكر حين لاتنفع الذكرى يوم القيامة، بين تعالى أنه يبدى ندمه بتمنيه لو كان قد قدم لحياته فى الآخرة الأعمال الصالحة التى لم يأتها فى دنياه. ثم أعقب هذا ببيان أنه يعذب بعذاب الله الذى لا يعذب مثل عذابه أحد، وأنه يوثق ويقيد بالأغلال والأصفاد على نحو لا يماثله وثاق وتقييد من غيره تعالى.

يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ﴿٢٨﴾ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ﴿٢٩﴾ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ﴿٣٠﴾

أولا: الأسـماء:

النفس المطمئنة: قيل هى المطمئنة بثواب الله، وقيل هى النفس المؤمنة الموقنة.

ثانيا: التفسـير:

بعد أن ذكر تعالى أحوال أهل العذاب من الذين لم يشكروا عند النعمة ولم يصبروا عند الاختبار بإمساك الرزق، فإنه تعالى ذكر ما يكون لأصحاب النفوس المطمئنة إلى الله تعالى التى سلمت إليه أمرها وتوكلت عليه، والتى شكرت عند النعمة وصبرت عند النقمة، فبين تعالى أن الملائكة تناديها «يا أيتها النفس المطمئنة» بمعنى الموقنة بالله والراضية بقضائه فالنداء هو للنفوس والأرواح، يقال لها «ارجعى إلى ربك راضية مرضية» يتصور فيه أن يقال لها يوم القيامة فيكون معنى الرب فى قوله تعالى «ارجعى إلى ربك» هو صاحبها ترجع إلى جسده ويتصور فيه أن يقال لها حين تغادر الجسد عند الموت فيكون المعنى أنها ترجع إلى رب العزة وثوابه وكرمه، ثم يكون منها يوم القيامة أن تدخل فى أجساد أصحابها الصالحين، وصفهم تعالى بأنهم عباده «فادخلى فى عبادى». وقيل إن المعنى هو أن تدخل فى زمرة عباد الله الصالحين، ليكون بعد ذلك دخولها جنته تعالى التى هى مصير عباده تعالى الصالحين.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البلـد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

لَا أُقْسِمُ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ﴿٣﴾ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ ﴿٤﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ **البلد** : المراد به ـ فى معنى القول ـ هو مكة المكرمة .

٢ ـ **الوالد** : فى قوله تعالى «ووالد وما ولد» قيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو آدم عليه السلام، وقيل هو رسول الله ﷺ فهو لأمته فى مرتبة الوالد، وقيل هو كل والد.

٣ ـ **ما ولد** : قيل هم كل مولود من ذرية آدم، وقيل هم كل صالح من ذريته، وقيل هم جميع ولد إبراهيم، وقيل هم أمة رسول الله ﷺ. وقيل هو من لم يلد ولدا من ذرية آدم .

ثانيا : التفســير:

أقسم تعالى بمكة المكرمة البلد الحرام، أشار إليها وأخبر أنه يقسم بها، فتكون «لا» صلة، أو زائدة، بدلالة أنه تعالى قال «وهذا البلد الأمين» وهو قسم صريح بمكة، فلا يتصور أن يكون قد أقسم بها وأنه تعالى أخبر أنه لا يقسم بها.

ثم جاء قوله تعالى «وأنت حل بهذا البلد» جملة اعتراضية سبقت جواب القسم وفى معناه فإنه يتصور أن يكون «وأنت حالٌّ مقيم فى هذا البلد»، أو أن يكون «وأنت مستحل فى هذا البلد» بمعنى أنه تستحل حرماتك فى هذا البلد بالإساءة إليك من الكفار، ويتصور أن يكون «وأنت فى حل من التمسك بحرمة هذا البلد» فيكون تعالى قد أحل له قتل الكافر

والمنافق في الحرم. وقد استدل على أن هذا هو معنى القول بضربه ﷺ عنق عبد الله بن خطل وهو متعلق بأستار الكعبة، الذى ارتد وشنع على رسول الله ﷺ، وأنه ﷺ قال إنه أحل له هذا ساعة من نهار وأنها حرام إلى أن تقوم الساعة .

ثم أقسم تعالى بالوالد وما ولد، قيل إنه أقسم بآدم عليه السلام وبذريته، لما أودع فيهم من العقل، ففى خلقهم آية، وقيل غير هذا مما سبق بيانه فى معنى الوالد وما ولد.

وجواب القسم أنه تعالى خلق الإنسان فى كبد، والمعنى أنه خلقه تعالى ليكابد المشاق والشدائد في الدنيا، وقد يكون من المكابدة الاختيار بين الهدى والضلال .

أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ﴿٦﴾ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُ أَحَدٌ ﴿٧﴾

أولا : الأسماء :

اللبد: فى قوله تعالى «يقول أهلكت مالا لبدا» هو الكثير، من التلبد، وهو اجتماع الشىء إلى الشىء .

ثانيا : التفسير:

جاء قوله تعالى «أيحسب أن لن يقدر عليه أحد» من بعد قوله تعالى «لقد خلقنا الإنسان فى كبد» مشيرا إلى مكابدة رسول الله ﷺ من إيذاء المشركين، ومبينا أن منهم من غالى فى معاداته ﷺ وإيذائه كأنه يعتقد أن أحدا لن يقدر على الانتقام منه لهذا. قيل إنه أبو الأشد أسيد بن كلدة الجمحى، وقيل عمرو بن عبد ود، وقيل الوليد بن المغيرة. ثم ذكر تعالى ـ من تباهيه بعداوته رسول الله ﷺ وبتفضله على الناس ـ قوله إنه أهلك مالا كثيرا، فهو يتباهى بإنفاق المال فى عداوة رسول الله ﷺ وفى الإنفاق على الناس تباهيا واغترارا بدلالة وصفه إنفاقه المال بإهلاكه، لأنه لا يرتجي به ثواب الله .

وبعد هذا فإنه تعالى توعد هذا المشتد فى عداوة رسوله ﷺ بالانتقام منه بقوله «أيحسب أن لم يره أحد» والمعنى هو إثبات إحاطة علم الله بما كان منه من إنفاق المال فى سبيل إيذاء

رسول الله، وإنفاقه رئاء الناس، وإثبات أنه تعالى مجازيه بفعله وما أضمر فى قلبه.

أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾
فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾
أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا
ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟
بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾

أولا : الأسماء :

١ ـ **النجد** : فى قوله تعالى «وهديناه النجدين» هو الطريق المرتفع، والمراد به ـ فى معنى القول ـ هو الطريق إلى الهدى أو إلى الضلال. فالنجدان هما طريقا الخير والشر.

٢ ـ **المسغبة** : هى المجاعة، والمراد بها ـ فى معنى القول ـ هو الجوع، وقيل الجوع مع التعب.

٣ ـ **المتربة** : من التراب. والمراد بها ـ فى معنى القول ـ هو الافتقار لا يجد معه الفقير مأوى فيفترش التراب.

ثانيا : التفسير :

قوله تعالى هو فى الكافر الذى أنفق فى عداوة رسول الله ﷺ والذى أنفق رئاء الناس، قيل إنه تعالى أثبت له قدرته على العلم بأفعاله ومجازاته بها بتذكيره أنه خلق فيه عينين يبصر بهما، ولسانا ينطق به، وشفتين يستران ثغره. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن الاستفهام فى قوله تعالى «ألم نجعل له عينين، ولسانا وشفتين، وهديناه النجدين» هو لإثبات أنه تعالى أنعم عليه بهذه النعم، وأنه لم يؤد حقها من الشكر، بأن ينظر فى آيات الله فى الخلق فيؤمن، وأن

يبهج لسانه بذكر الله وحمده، وأن يتدبر آيات الله المنزلة فيختار طريق الهدى، ثم كان منه كفران هذه النعم بتوجيهها الوجهة الخاطئة باستعمالها فى المكر برسول الله ﷺ والمبالغة فى عداوته.

ثم جاء قوله تعالى «فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة» لبيان أن هذا الكافر الذى استعمل نعم الله فى معاداة رسوله ﷺ وأهلك ماله لإيذائه، لم يستعملها فى اقتحام العقبة ولم ينفق ماله فى اقتحامها، والقول ـ إلى هذا الحد ـ لا يبين إلا شيئا واحدا هو وجوب اقتحام العقبة ـ والاقتحام هو الرمى بالنفس فى الشىء المقتحم ـ لكنه لا يبين ماهية العقبة المقصودة؛ ولهذا جاء قوله تعالى «وما أدراك ما العقبة» ليعلم رسول الله ﷺ ماهيتها وهو ما تضمنه قوله تعالى «فك رقبة، أو إطعام فى يوم ذى مسغبة يتيما ذا مقربة، أو مسكينا ذا مترية» والمعنى أنها تخليص نفس من الأسر، وقيل من الرق، وذلك بأداء الفدية أو دفع الثمن. أو إطعام فى يوم عز فيه الطعام ـ على الناس عموما أو على الفقراء منهم ـ يتيما من ذوى قرباه، أو مسكينا بلغ به سوء الحال حد افتراش الطريق. وجاء قوله تعالى «ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة» لبيان أن اقتحام العقبة بالمعنى المذكور وهو الإنفاق فى الصدقات لا يقبل ولا يعد طاعة إلا إذا كان فاعله من الذين آمنوا، والذين تواصوا فيما بينهم على الصبر على الطاعات وعلى ما أصابهم من الشدائد، وتواصوا على الرحمة بالخلق، إذ أن هؤلاء هم الذين يبتغون بإنفاقهم فى الصدقات وجه الله، أما الكافر الذى ينفق فى الخير فلا يثاب على عمله فى الآخرة. ثم أشار تعالى إلى هؤلاء المؤمنين الذين أنفقوا فى الصدقات وأخبر عنهم أنهم أصحاب الميمنة، بمعنى أنهم الذين يؤتون كتبهم بأيمانهم، فأعلم بما يكون لهم من خير من سبق ذكره تعالى مصير أصحاب الميمنة فى الآخرة، ولهذا اكتفى فى النص ببيان أنهم يكونون منهم .

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ ﴿٢٠﴾

أولا : الأسماء :

المؤصدة : فى قوله تعالى «عليهم نار مؤصدة» هى المغلقة، وهى المطبقة على ما بها. من «أصد ـ يأصد إصادا» أو «أوصد ـ يوصد وصادا»

ثانيا : التفسير:

بعد أن أشار تعالى إلى حال المؤمنين الذين أنفقوا فى الصدقات فى الآخرة، ذكر حال الكافرين، وصفهم بأنهم الذين كفروا بآياته المنزلة بمعنى أنهم كفروا بالقرآن العظيم، وأخبر عنهم أنهم أصحاب المشأمة، أى أنهم أصحاب الشمال، ثم بين مقتضى كونهم أصحاب المشأمة فى قول موجز يرخى العنان للفكر فى تصور مدى ما يكون لهم من سوء المصير ومن العذاب بقوله تعالى «عليهم نار مؤصدة» بمعنى أنهم يكونون فى نار مطبقة عليهم مغلقة .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الشمس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالشَّمْسِ وَضُحَاهَا ﴿١﴾ وَالْقَمَرِ إِذَا تَلَاهَا ﴿٢﴾ وَالنَّهَارِ إِذَا جَلَّاهَا ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ
إِذَا يَغْشَاهَا ﴿٤﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَنَاهَا ﴿٥﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَحَاهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ
وَمَا سَوَّاهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ
خَابَ مَن دَسَّاهَا ﴿١٠﴾

التفسير:

أقسم تعالى - فى الآيات بجملة أشياء هى من عظائم أفعاله فى الخلق، ثم أورد جواب القسم. بدأ تعالى بأن أقسم بالشمس وبضوئها، أو بوقت الضحى الذى يكون عند تباعد الشمس عن الأفق الشرقى وبروزها للناظرين، وأقسم بالقمر يتبع الشمس بأن يلى طلوعه فى أول الشهر طلوعها من الأفق الشرقى، لكنه لايرى إلا بعد غروبها، ويلى طلوعه غروبها فى ليلة

البدر رابع عشر الشهـر، وأقسم بالنهار إذا جلى الشمس فأظهرهـا أو جلى الأرض بنوره، وأقسم بالليـل يغشى الشمس أو يغشـى الأرض بظلامه، وأقسـم بالسماء ومـن خلقها ـ وهـو الله جل وعلا ــ وأقسم بالأرض ومـن بسطها ــ وهو الله ـ وبـالنفس ـ يتصـور أن تكون نفـس آدم عليه السلام، أو أن تكون كل نفس لأحد من البشر ـ وبمن سواها فعدلها لتكون صالحة للتكاليف، ثم كان منه تعالى أن ألهمها بما أودع فيها من عقل ومن فطرة الإيمان التمييز بين الفجور وبين التقوى أو بين طريق الفجور وطريق التقوى .

ثم جاء جواب القسـم بقوله تعالى «قد أفلح مـن زكاها»، وقد خاب من دسـاها» وهو فى بيان الأثر المتـرتب علي إلهام النفس التمييز بيـن الفجور والتقوى، فبين تعالـى أن من اختار طريق التقوى فزكى نفسه بالطاعة وتجنـب المعاصى يكون قد أكسب نفسه الخير وزادها فيه، وأن من اختار طريق الفجـور يكون قد أهضم نفسه الخير وأنقصها ما جبلـت عليه منه بالفطرة فيكون من الخاسرين .

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ
لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ
عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴿١٥﴾

أولا : الأسـماء والأعلام :

١ ـ الطغـو : فى قوله تعالى «كذبت ثمود بطغـواها» هو الطغيان بمعنى مجاوزة الحد فى العصيان. وقيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو العذاب الذى توعدت به ثمود».

٢ ـ أشقى القوم: فى قوله تعالى «إذ انبعث أشقاها» هو أشقى الناس فى ثمود قيل إن اسمه هو قدار بن سالف .

ثانيا : التفسـير :

بعد أن بيـن تعالـى أن من اختار طـريق الفجـور يكون قـد ظلم نفسه بصيـرورته بهـذا من

الخاسرين، فإنه تعـالى ذكر من الخاسرين ثمود وفى ذكرهم وما حـاق بهم تحذير لمن اختار الفجور وطـريقه من قوم رسـول الله ﷺ بمصير يماثـل مصير ثمود. أخبـر تعالى عن ثمـود أنها كذبـت صالحا عليه السـلام رسول الله إليها طغيانـا منها، وقيل إنهـا كذبت بالعـذاب الذى توعدهـا به، ثم بين تعـالى آية هذا التكـذيب بذكره أن أشقـى أفرادها خرج مـن جموع أهلها ليقتل الناقـة فكان من صالـح عليه السلام أن أعاد عليهم تحـذيره من التعرض لهـا أو للأيام المخصصة لشربها بإيـذائها أو بحرمانها من الشرب فيها لئلا يتعرضـون لعذاب الله، ثم يذكر تعالى أن القـوم كذبوه بمعنى أنهـم كذبوا ما تـوعدهم به مـن العذاب إن هم آذوا الناقـة التى نسبها فى القـول إلى الله لبيان حرمتها، كما بيـن الصورة العملية التى اتخذها تكـذيبهم وهى عقرهم الناقة، عقرها أشقاهم بموافقتهم فنسب الفعل والجرم إليهم جميعا. ثم بين تعالى أنه أخذهـم بذنبهم بـأن أطبق عليهم عـذابه دفعات متتـالية على مـا يبين من: «دمـدم» والمراد بالذنب هو كفرهم وتكذيبهم رسولهم وعقرهـم الناقة، كما بين عاقبة أخذهم بالعذاب أو الأثر الذى ترتب عليه بقـوله «فسواها» بمعنى أنه تعالى سـوى بهم الأرض، أو سوى الأرض عليهم هلكى . ثم جاء قوله تعالى «ولا يخاف عقباهـا» وفيه قيل إن المعنى أنه تعالى لا يخاف عاقبة إهلاكه ثمـود بتحميله تبعة فعله، ونستغفر الله أن يظـن به تعالى خشية أحـد، وقيل إن المعنى هو أن صالحا لم يخش عاقبة العذاب أن يكـون من المعذبين. ونرى ـ والله أعلم ـ أن المعنى هو أن الفاجر الشقى لا يخشى عاقبة فعله، وأنه لهذا يأتيه، فيحق عليه العذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الليـــل

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴿١﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ﴿٢﴾ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ﴿٣﴾
إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ ﴿٤﴾

التفســـــير:

الآيات قسم من الله تعالى وجوابه. أقسم تعالى بالليل يغشى النهار ـ بمعنى يغطيه ـ أو يغشى الأرض، أو الأحياء عليها، وبالنهار إذا تجلى فوضح وظهر بضوئه خارجا عن ظلمة الليل، وأقسم بذاته العليا، فهو من خلق الذكر والأنثى، خلق آدم وحواء ذكرا وأنثى، وخلق جنس الإنسان ذكورا و إناثا، وخلق الحيوان ذكرا وأنثى. وجواب القسم جاء به قوله تعالى «إن سعيكم لشتى» والقول له معنيان: أولهما أن أعمال الناس وحرفهم ومهنهم فى الدنيا مختلفة بالضرورة لوجوب احتياج البعض إلى البعض ودوام العلاقات التبادلية بين الناس أفرادا وجماعات. والثانى أن سعيهم فى كسب خير الآخرة مختلف بينهم بالضرورة إذ يكون منهم من يختار طريق الضلال ليكون من الخاسرين، ويكون منهم من يختار طريق الهدى فيكون من الفائزين .

فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩
فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠

أولا : الأســـماء والأعلام :

من أعطى واتقى : قيل إن المقصود بالقول هو أبو بكر رضى الله عنه، كان يعتق فى إسلامه مسنين ونساء لا ينفعونه بعد عتقهم بشىء مبتغيا وجه الله .

ثانيا : التفســـير:

بعد أن بين تعالى أن الناس مختلفون فى سعيهم فى كسب رضاء الله أو استحقاق غضبه، فإنه تعالى بين أن من أعطى الصدقات مبتغيا وجه الله واتقى غضبه فتجنب المعاصى، وكان ذلك منه على إيمان صحيح فصدق بالجنة وعمل لها عملها ـ فهى الحسنى ـ أو صدق بكلمة التوحيد «لا إله إلا الله» فإنه يكون منه تعالى أنه ييسر له سبيل الحساب اليسير فى الآخرة بأن يرشده لأسباب الخير والصلاح الموصلة إلى الجنة، وييسر له العمل بها ليكون من

أصحاب النعيم .

ثم أخبر عمـن ضن بماله فلم ينفق منـه فى الصدقات وفى فعل الخيـرات، مستغنيا بهذا عما وعـد تعالى به المنفقيـن فى الخيرات من الأجـر العظيم فى الـدنيا والآخرة، ثم كـان من المكذبين بالحسنى بإنكاره البعث والثواب والعقاب، أو المكذبين بكلمة التوحيد فأشرك بالله ما لم ينـزل به سلطانا، أخبر عنـه تعالى بأنه ييسره للعسـرى ، بمعنى أنه تعالى ييسـر له سبيل الشر وأمـه النار يصـلاها يـوم القيامـة، يكون ذلـك بتهيئة السبيـل أمامـه للإمعـان فى مقـارفة المعاصى ليزيد الله من عذابه يوم القيامة .

وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ﴿١١﴾ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ﴿١٢﴾ وَإِنَّ لَنَا لَلْـَٔاخِرَةَ وَٱلْأُولَىٰ ﴿١٣﴾

التفســـــير:

بعد أن ذكر تعـالى أن الذى بخل بماله فلـم ينفق منه فى الخير مستغنيا عـن أجر المنفقين طاعة لله، وكان ـ مع بخله وضنه بالإنفاق ـ من المكذبين بالحسنى، فإنه تعالى أثبت واقع أن ماله الذى جمعـه وبخل بالإنفاق منه لايغنى عنـه شيئا إذا هلك بالموت، فهو لا يـدفعه عنه، كما أنه لا يغنى عنه شيئا من عذاب جهنم فى الآخرة إذا ما تردى فيها .

ثم أخبر تعالى عما جرى به قضاؤه فى النـاس وهو أن يبين لهم طريق الهدى، جاء التعبير عنه بتشبيهه بالواجب «إن علينا للهدى» لقوله تعالى «وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا» فهو تعالى لايعـذب الناس إلا من بعد أن يبين لهـم سبيل الهدى، والقول يبيـن أن الإنسان يختار بين طريق الهدى وطـريق الضلال، وأنه إذا كان تعالى يهدى من يشاء ويضـل من يشاء، فإنه يكون لجريان مشيئته تعالى بما هو فى علمه تعالى الأزلى باختيار الإنسان بين الطريقين .

ثم عقـب تعالى على هـذا بذكره أن لـه الآخرة والأولى، فهـو تعالى بحكم ملكيتـه الآخرة يثيب من اهتدى وأنفق فى الخيرات، ويعذب من كفـر وبخل عن الإنفاق، وهو تعالى بحكم ملكيته الأولى ـ وهى الحياة الدنيا ـ لم يضره ضلال الكافر، ولم ينفعه إيمان المؤمن .

فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾
لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ﴿١٥﴾ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا
الْأَتْقَى ﴿١٧﴾ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُ مِن نِّعْمَةٍ
تُجْزَىٰ ﴿١٩﴾ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾

التفســـير:

قوله تعالى - في الآيات - هو في بيان الآثار المترتبة على توليه تعالى أمر هداية الناس إلى الخير، الذي ثبت بقوله تعالى «إن علينا للهدى» أو في بيان ما ارتبط به، فذكر تعالى أنه كان منه أن خوف الناس بنار جهنم التي تتلظى، فيكون هذا هو الإنذار منه، ثم بين لهم من قدر له أن يصلاها ليعمل أصحاب العقول على ألا يكونوا منهم، فذكر أنه لا يصلاها إلا الأشقى، والمقبول أن المراد به هو الكافر لأنه أشقى من الفاسق، وقد بينه تعالى بالنص الصريح بأنه الذي كذب بالقرآن العظيم كتابا من الله، وبرسول الله ﷺ رسولا نبيا، وأعرض عن الإيمان بالإسلام دينا.

ثم ذكر تعالى أنه سيبعد بالأتقى عن هذه النار التي تتلظى - والمعنى أن النجاة منها هي أول خير الآخرة - ثم بين تعالى من هو «الأتقى»، فأخبر عنه بأنه الذي يؤتي ماله يتزكى، يطلب أن يكون عند الله زاكيا، أو ينفق ماله مبتغيا وجه الله الذي يزكي الحسنات بمضاعفتها، ثم أكد تعالى معنى ابتغائه بالإنفاق وجهه تعالى لا غير ببيان أن إنفاقه لم يكن بمثابة جزاء إحسان أحسن به إليه أحد، أو مقابل نعمة أنعم بها عليه - ومنه رد الهدية بمثلها أو بأحسن منها - ثم صرح تعالى بغاية الإنفاق لدى هذا الأتقى، من بعد الإرشاد إليها بمضمون القول، وذلك بقوله تعالى «إلا ابتغاء وجه ربه الأعلى» والمعنى أنه لم يستهدف بإنفاقه شيئا من أحد من خلقه تعالى، وإنما استهدف رضاء ربه والمعنى أنه لم يطمع في غيره ولو كان يعلم أنه تعالى يربي الصدقات؛ ولهذا جاء قوله تعالى «ولسوف يرضى» فأخبر تعالى أنه سيعطيه في الجنة ما يرضيه، لأنه ما رضي به ربه.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الضحى

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾
وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ ﴿٤﴾ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ
فَتَرْضَىٰ ﴿٥﴾

التفسـير:

أقسم تعالى بالضحى، والمراد به - فى معنى القول - هو النهار، قيل إن سبب تعظيمه والقسم به أنه الوقت الذى خر فيه سحرة فرعون سجدا. وقيل لأن الناس يحشرون ضحى، وقيل إن القسم هو برب الضحى، وأقسم تعالى بالليل إذا سكن، والمراد إذا ما سكنت الخلائق فيه، أو غطى بظلامه الخلائق. ثم جاء جواب القسم بنفى أنه تعالى ودع رسوله ﷺ أو قلاه. والمعنى أنه تعالى لم يتخل عن رسوله ولم يبغضه، وسبب نزول القول بجواب القسم هذا أن جبريل عليه السلام كان قد أبطأ على رسول الله ﷺ الهبوط بالوحى فقال الكافرون، وقيل قالت أم جميل زوج أبى لهب إن رب محمد ﷺ قد تركه وأبغضه، فنزل قوله تعالى مكذبا قول الكافرين، وقد ورد جواب القسم خطابا إلى رسول الله ﷺ، فكان - فى مقام أول - طمأنة لنفس رسوله ﷺ إلى واقع أنه تعالى لم يتخل عنه كما زعم المشركون. ثم أتبع تعالى هذا بأن بين له ﷺ أن له الخير فى الأولى وفى الآخرة، وأن الخير الذى يكون له فى الآخرة أفضل وأكثر خيرية منه فى الأولى. ومن ذلك مثلا أنه تعالى تفضل على رسوله ﷺ بالخير العظيم فى الدنيا ويكفى بنعمة الاصطفاء للنبوة خيرا لايدانيه فى الدنيا خير، إلا أنه يشوب هذا الخير ما يلقى ﷺ من عنت الكافرين وإيذائهم بالفعل والقول، على حين يصفو خير

الآخرة من مثل هـذا الأذى فلا يكون إلا خيرا محضا. وقيل إن المعنى أنه تعـالى يتفضل على رسوله ﷺ بالفلاح فى الدنيا وبالثواب فى الآخرة .

ثم جاء قولـه تعالى «ولسوف يعطيك ربك فترضـى» والقول يتعلق بما يؤتيه تعـالى رسوله ﷺ فى الآخـرة ـ على مـا يبين من «سـوف»، وهو تأكيـد لأنه تعالـى يعطى رسولـه ﷺ عطاء يفضل عطـاءه فى الـدنيا، وبيـان لأن هذا العطـاء يرضـى به ﷺ ويـرضاه، والـراجح فيـه أنه الشفاعة، وقيـل ـ تأكيدا لهـذا ـ أنه لما نـزل هذا القول قال ﷺ «إذا والله لا أرضـى وواحد من أمتى فى النار» .

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝١١﴾

التفسـيـر:

الخطاب ـ فـى الآيات ـ إلى رسول الله ﷺ، وهـو مجموعة من الأوامر أعقبـت ذكر أسباب تؤدى إليها لارتباطهـا بها بعلاقة سببية، ورغم أن الأسباب تخصه ﷺ إلا أن المـأمور به يسرى على جميع المؤمنين .

بدأ تعالى بتـذكير رسوله ﷺ بأنه كان يتيما صغيـرا فكان منـــه تعالـى أن آواه بأن كفلـه عمه أبو طالـب فكان بيته له مأوى، فالاستفهام فـى قوله تعالى «ألم يجدك» هـو لتقرير الخبر وإثباته، كمـا ذكر تعالى رسـوله ﷺ ـ مانـا عليه ـ بأنـه كان ضالا عن حقيقـة اصطفائه للنبوة غافـلا عن هذا، أو غافـلا عن الشرائع والأحكـام لا يحيط بها، فكـان منه تعالى أن هـداه إلى العلم الكامـل بما أوحى إليه من القرآن، وقيـل إن القول يتعلق بحادثة وقعـت له ﷺ إذ ضل طريقه فرآه أبـو جهل ورده إلى جده. كما ذكر تعـالى رسوله ﷺ ومنَّ عليه بفعلـه معه، إذ كان ﷺ فقيرا لا مال له فأغناه بتزويجه من خديجة، أو بما فتح الله على يديه من القرى .

ثم جاءت أوامره تعالى المرتبطة بالأحداث المذكورة بعلاقة سببية، والتى تسرى على جميع المؤمنين. أمره تعالى بعدم قهر اليتيم، وهو ما يكون بظلمه وعدم دفع حقوقه إليه، وأمره ألا يزجر سائلا، وألا يغلظ لسائل قولا، بل يكون منه الإعطاء أو الرد الجميل. كما أمره أن يحدث بنعمة ربه عليه، يعترف بها ويشكر الله عليها، ومنه له ﷺ ـ على وجه الخصوص ـ التبليغ بالقرآن، وأداء تكاليف النبوة، ولغيره أن يكون بإخبار الإخوان عما ناله من الخير أو عما عمل به منه .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الشرح

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ
ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾

التفسير:

الخطاب ـ فى الآيات ـ إلى رسول الله ﷺ، والاستفهام المنفى هو لإثبات وقوع المخبر عنه، وأول المخبر عنه هو أنه تعالى شرح صدر رسوله ﷺ وإفساحه ليدخل فيه الإسلام. وذلك لقوله تعالى «أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه»، وقيل إن المعنى هو أنه تعالى ملأ صدر رسوله ﷺ حكما وعلما. وقيل إن المراد به هو ما روى من أن ملكين جاءاه ﷺ، فتح أحدهما صدره وفتح الثانى قلبه وغسله. وثانى ما أخبر عنه تعالى هو حطه تعالى عن رسوله ﷺ ذنبه الذى كان منه قبل أن يوحى إليه، وهو ما كان يثقل عليه حمله، بمعنى أنه ﷺ كان يتألم لذكر هذا الذنب. والمعلوم أنه ﷺ لم يعبد قبل بعثته وثنا وأنه كان يعرف بالأمين؛ ولهذا فقد يكون وزره وذنبه ﷺ هو ما ذكره تعالى فى سورة الضحى من غفلة عن

الأحكام والشرائع قبل أن يوحى إليه، وهو ما كان ﷺ يراه ذنبا كبيرا. وثالث المخبر عنه فى القول هو أنه تعالى رفع لرسوله ﷺ ذكره. بذكره مع الله تعالى فى الشهادة والأذان والإقامة والتشهد ، ويوم الجمعة وفى غيرها، ومن قبل بذكره والإخبار عنه فى الكتب المنزلة من قبله ﷺ.

فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨

التفسير:

أخبر تعالى رسوله ﷺ أنه يكون مع العسر الذى يعانى منه يسر، والمعنى أنه يعقبه يسر. وفيه قيل إن العسر هو فقره ﷺ الذى عيره به المشركون حتى اقترحوا عليه أن يجمعوا له من أموالهم ليكف عن الدعوة، يعقبه اليسر بفتح البلاد على يديه. وقيل إن العسر هو فقر المؤمنين الأولين، وأنه تعالى وعدهم باليسر من بعده والاغتناء، وقيل إن تكرار القول هو لتأكيد المعنى، كما قيل إن ذكره الأول خاص برسول الله ﷺ، وتكراره خاص بالمؤمنين، وقيل إن ذكره الأول خاص بالدنيا وتكراره متعلق بالآخرة ، وقيل إن القول تضمن ذكر يسرين وعسرا واحدا وأن عسرا واحدا لا يغلب يسرين. والذى نراه ـ والله أعلم ـ أن القول يثبت معاناة المؤمنين وقت نزول النص من العسر، يدخل فيه عسر العيش للفقر ونقصان الموارد ويدخل فيه عسر المعاناة من أذى المشركين، وأنه يطمئن المؤمنين إلى أنه يعقب هذا العسر يسر منه اغتناؤهم فى الدنيا بما يفتح الله على أيديهم من القرى والبلاد ومنه انتصارهم على الكافرين، وأن التكرار أريد به تأكيد المعنى والوعد، أو إثبات أنه يكون لهم فى الآخرة يسر الحساب حين يعانى الكافرون عسره.

وبعد هذا فإنه تعالى أمر رسوله ﷺ بوصفه المثل والقدوة للمسلمين بمداومة عبادة الله، وذلك بأمره أن يكون منه إذا فرغ من أداء عبادة أن يقبل على عبادة أخرى، أو أن يكون منه إذا فرغ من أداء الفرض أن ينصب على أداء النفل والتطوع، وأن يكون فى جميع فعله راغبا التقرب من الله راجيا رضاءه عنه، بمعنى أن يكون مبتغيا وجه الله بعبادته وفعله.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التين

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ③ لَقَدْ
خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ⑤
إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ⑥

أولا : الأســـماء :

١ ـ **التين** : الراجح أنه الثمرة المعروفة، قيل إنه تعالى أقسم به لأنه من فاكهة الجنة، وقيل لأن ورقه كـان ستر آدم فى الجنة. وقيـل هو مسجد نوح عليـه السلام على الجودى، وقيـل هو مسجد دمشق، وقيل هو مسجد أصحاب الكهف .

٢ ـ **الزيتون** : الراجح أنه الـزيتون المعروف الذى يعصر منه الزيت، وقيـل هو مسجد بيت المقدس، وقيل المسجـد الأقصى، وقيل مسجد إيلياء، وقيل إنـه تعالى أقسم به لأنـه مثل به إبراهيم عليه الصلاة والسلام فى قوله تعالى «يوقد من شجرة مباركة زيتونة» .

٣ ـ **طور سينين** : الراجح أنه جبل سيناء أو طور سيناء، وأنه تعالى أقسم به لأنه تعالى نادى منه موسـى عليه السلام. وقيل إن معنى سينين هـو الحسن أو المبارك، وقيل هو كـل جبل فيه شجر مثمر، وقيل هو شجر واحدته سينينية .

ثانيا : التفســــير:

أقسم تعالى بالتين ــ وهو الثمرة المعروفة على الراجح ـ وبالـزيتون، وبجبل سيناء أو طور سينين الذى نـادى منه موسى عليه السلام، وبمكـة المكرمة «وهذا البلد الأمين» أثـر إبراهيم

ودار محمد عليهما صلوات الله وسلامه. والمقسم عليه أو جواب القسم أنه خلق الإنسان فى أحسن تقويم، معتدلا مستويا، له لسان يعبر به وعقل يميز به بين الخير والشر، وبين الهدى والضلال، سميعا بصيرا، مدبرا حكيما، وذلك لأن المعروف أنه تعالى خلق آدم على صورته. ثم كان منه تعالى ـ بعد هذا ـ أن رده أسفل سافلين، يكون بالنسبة للعامة برد من يبلغ به العمر أرذله إلى الهرم بعد الشباب والضعف بعد القوة فيعود كالصبى ـ ويكون بالنسبة للكافر أنه يطغى بما حباه الله من جليل الصفات، معتقدا أن قضاءه صادر من نفسه، فيرده الله إلى الضلال وإلى النار.

ثم إنه تعالى استثنى من الرد أسفل سافلين هؤلاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فهم ـ لدى من قال إن الرد هو الخرف فى أرذل العمر والعودة لجهل الطفولة ـ لايخرفون ولا تذهب عقولهم. وهم ـ لدى القائلين إن الرد يكون إلى الضلال والنار ـ تكتب لهم حسناتهم وتمحى عنهم سيئاتهم، ويكتب لهم ثواب العبادات التى عجزوا عن أدائها فى شيخوختهم؛ ولهذا جاء قوله تعالى «فلهم أجر غير ممنون» فهم يؤتون أجر عبادات لم يؤدوها بسبب عجزهم عن أدائها، وهو أجر يدوم مادامت حياتهم لا ينقطع.

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِالدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ۝٨﴾

التفسير:

يتصور أن يكون الخطاب موجها إلى رسول الله ﷺ ويتصور أن يكون موجها إلى الكافر الذى كذب بما بلغ به رسول الله ﷺ. فعلى الأول يكون المعنى هو «فمن الذى يستطيع أن يكذبك فيما أبلغت به من أمر الدين» فهو إنكار لأن يكون فى مقدور أحد أن يكذب بالدين أو بالبعث والحساب من بعد إقامته تعالى الحجة مما أورد فى شأن خلق الإنسان فى أحسن تقويم ثم رده أسفل سافلين، على تكذيب رسول الله ﷺ فيما أبلغ به عن ثواب الله وعقابه بالحجة والدليل. وعلى الثانى فإن القول يكون توبيخا للكافر على تكذيبه بالدين الذى جاء به رسول الله ﷺ من ربه وقد قام الدليل واستقامت الحجة على أنه الدين الذى ارتضاه الله لعباده.

ثم جاء قوله تعالى «أليس الله بأحكم الحاكمين» مثبتا لرسوله ﷺ ما علمه ﷺ من أنه

تعالى يفعل كل شىء ويقضى فى كل شىء بموجب حكمته التى لاتدانيها حكمة، ومن مظاهرها خلقه الإنسان فى أحسن تقويم ورده الكافر أسفل سافلين، أو مثبتا للكافر أن قضاءه فيه برده أسفل سافلين بإضلاله وإلقائه فى النار هو القضاء بالحق والعدل الذى هو قضاء أعظم من يقضى بين العباد، وأكثرهم عدلا.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة العلق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ① خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ④ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ⑤

التفسير:

قيل إن الآيات هى أول ما نزل على رسول الله ﷺ من القرآن العظيم، وأول ما أقرأه جبريل عليه السلام منه فى حراء. وفيه الأمر بأن يبدأ ﷺ قراءة القرآن بذكر اسم ربه تعالى، وصف ذاته بأنه الذى خلق، والمعنى أنه الذى أوجد الخلق جميعه من العدم، ثم أتبع هذا بذكره أنه خلق الإنسان ـ وهو كل فرد من ذرية آدم، من علق. قيل إنه الدم الجامد، وقد أثبتنا من قبل أن المراد به هو البويضة المخصبة حين تستقر وتتعلق بجدار الرحم. ثم كرر تعالى أمره لرسوله ﷺ بالقراءة، رابطا بين الأمر وبين كونه تعالى هو الأكرم، وقد يكون المراد بهذا طمأنة رسوله ﷺ إلى أنه تعالى يحفظ القرآن فى قلبه، ويفهمه معانيه رغم كونه غير قارىء، بمعنى أنه لايعرف القراءة. وقد يكون لهذا صلة بقوله تعالى ـ من بعد ـ «الذى علم بالقلم»، لأنه ﷺ قدر له أن يقرأ القرآن وأن يحفظه فى قلبه فلا يضيع منه شىء، وأن يفهم معانيه دون الاستعانة

بمدونة كتبت بقلم. وهذا مع إفادة القول أن التعلم يكون فى الأصل بالكتابة التى تدون بالأقلام أى بالخط والكتاب والرسوم ذات المعانى، فيها علم الناس أخبار الذين سبقوهم من الأمم، وبها علم العباد ما لم يكونوا يعلمون. وقد يكون القول مشيرا إلى أن من كرمه تعالى أنه علم الناس بواسطة الكتابة، فيكون القول حثا للناس على طلب العلم يبدأ بمعرفة الكتابة ليكون انتقالهم من ظلمة الجهل إلى نور العلم .

ثم جاء قوله تعالى «علم الإنسان ما لم يعلم» وله من العموم ما يشمل تعليمه تعالى آدم الأسماء كلها، وتعليمه تعالى رسوله ﷺ ما لم يكن يعلم من أحكام الشريعة، وتعليمه جميع الناس ما لم يكونوا يعلمون .

كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۞ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۞ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ۞

التفسير:

جاءت «كلا» فى مبتدأ القول بمعنى «حقا» والحق المخبر عنه هو أن الإنسان يطغى ويجاوز الحد فيكون منه الظلم وعدم محاسبة النفس إذا هو استغنى بماله وولده وأتباعه عن غيره، فينسى أن المنعم عليه هو الله ويغتر بماله وولده وأنصاره فيكون منه الطغيان على ربه بعدم أداء حق المنعم من الشكر، وعلى العباد بظلمهم.

وقيل إن القول نزل فى أبى جهل، فهو المقصود بالإنسان فى معنى النص قال لرسول الله ﷺ: «يا محمد تزعم أن من استغنى طغى، فاجعل لنا جبال مكة ذهبا لعلنا نأخذ منها فنطغى فندع ديننا ونتبع دينك» .

وبعد هذا أثبت تعالى أنه يؤاخذ الطاغى بطغواه وطغيانه بذكره أن مرجع جميع الناس يكون إليه تعالى، والمعنى أنه يكون للحساب والثواب والعقاب، فيكون منه تعالى معاقبة الطاغى .

أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن
كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾
أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾

التفسير:

بدأ تعالى القول - في الآيات - مخاطبا رسول الله ﷺ في شأن أبي جهل الذي نزل فيه النص، والاستفهام في القول هو للتعجيب من فعله والزراية به، وفعله هو نهيه رسول الله ﷺ عن الصلاة لربه بقوله «إن رأيت محمدا يصلي لأطأن على عنقه». والقول يسرى على كل من ينهى مؤمنا عن أداء فرض ربه.

ثم انتقل تعالى بالخطاب إلى الناهي عن الصلاة بقوله «أرأيت إن كان على الهدى، أو أمر بالتقوى» والمعنى هو: أرأيت ما يكون عليه مصيرك أيها الناهي إذا ما كان محمد ﷺ، أو كل مقيم الصلاة على هدى من ربه، من أهل التقوى. فالقول - بهذا المعنى - هو توعد للناهي عن الصلاة بالعذاب أو الهلاك.

ثم عاد تعالى إلى مخاطبة رسوله ﷺ في شأن أبي جهل أو في شأن الناهي عن الصلاة بقوله «أرأيت إن كذب وتولى، ألم يعلم بأن الله يرى» وفي القول يستشهد تعالى برسوله ﷺ على تكذيب أبي جهل أو الناهي عن الصلاة بالحق وإعراضه عنه بإعراضه عن الإيمان، وهو ما يستدل عليه بنهيه المصلي عن إقامة الصلاة، وفيه أيضا توبيخ للناهي عن الصلاة وتوعد بالعذاب على فعله على المستفاد من تقرير علم الله تعالى بفعله علم من يرى، بما يعني المحاسبة عليه والتعذيب له.

كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾
نَاصِيَةٍ كَـٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ
﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾

التفسير:

جاءت «كلا» لردع الناهى عن الصلاة وزجره، ثم تهدده تعالى بإهانته وتعذيبه فى قوله لرسوله ﷺ إنه إذا لم ينته عن إيذائه ونهيه عن الصلاة فإنه يكون منه تعالى إذلاله فى الدنيا بأن يؤخذ من ناصيته ـ وهى مكان الشعر فى الرأس ـ ويسحب، وهو ما حدث لأبى جهل بعد أن قطع ابن مسعود رأسه وسحبه من ناصيته، أو يكون منه تعالى ذلك معه فى الآخرة على ما جاء بقوله تعالى «فيؤخذ بالنواصى والأقدام» ثم أخبر تعالى عن ناصية أبى جهل أو الناهى عن الصلاة عموما بأنها ناصية كاذبة خاطئة. والقول فيه مبالغة أريد بها بيان أنه لشدة ما جبل عليه من الكذب والخطأ، كان كل عضو من أعضائه كاذبا خاطئا .

ثم إنه تعالى تحدى أبا جهل أو الناهى عن الصلاة عموما أن يدعو أصحاب المنتدى الذى يرتاده ليرى إن كان فى مقدرتهم تخليصه من عذاب الهون الذى أعد له أم لا، ثم توعده بالعذاب ورهبه منه بقوله «سندع الزبانية» بمعنى أنه تعالى سيدعو ملائكة العذاب ليجروه إلى النار فلا يخلص من أيديهم .

ثم إنه تعالى طمأن رسوله ﷺ إلى أن هذا الناهى عن الصلاة لن يضره شيئا بقوله تعالى «كلا لا تطعه واسجد واقترب» بدأ القول بردع الناهى وزجره «كلا» ثم أمر رسوله ﷺ بالاستمرار على عصيان الناهى عن الصلاة، وبالمواظبة على صلاته دون أن يأبه له، فيكون منه السجود لله فى صلاته، يزداد فيه قربا من الله .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة القدر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾
لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا
بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾

التفسير:

ذكر تعالى أنه أنزل القرآن العظيم فى ليلة القدر، والمعنى أنه تعالى أنزله من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا في ليلة الحكم والتقدير التى يقدر فيها تعالى ما يشاء إلى مثلها فى السنة القادمة، ليكون بعد هذا نزوله منجما، على ما كان فى مدة ثلاث وعشرين سنة على الراجح.

ثم شوق تعالى رسوله إلى معرفة ماهية ليلة القدر، وأثبت عدم معرفته بها بقوله «وما أدراك ما ليلة القدر»، ثم أخبر عنها بأنها خير من ألف شهر، بمعنى أنها تفضل الدهر كله لأن نهاية العدد عند العرب هو الألف، وقيل إنها خير من ألف شهر ليس فيه ليلة القدر، وقيل إنه يقسم فيها خير يزيد على ما فى ألف شهر. ثم بين تعالى مناط فضلها على الألف شهر بذكره أن الملائكة والروح ـ قد يكون هو جبريل عليه السلام، وقد يكون ملك آخر ـ على ما سبق بيانه ـ ينزلون بإذن ربهم فى هذه الليلة من أجل كل أمر قدره الله تقديرا، وقيل إنهم ينزلون بالسلام على كل امرئ يتعبد ويقرأ القرآن يسلمون عليه ويدعون له .

ثم جاء ختام القول فى ليلة القدر «سلام هى حتى مطلع الفجر» بمعنى أنها كلها سلامة وخير أو أنه تعالى لا يقدر فيها إلا السلامة، وقيل إن كل مسلم ومسلمة يسلم فيها من الشيطان، وقيل إن الملائكة تسلم على أهل المساجد، يدوم هذا من مغرب الشمس إلى طلوع الفجر.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البينة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ
تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿١﴾ رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ﴿٢﴾ فِيهَا كُتُبٌ
قَيِّمَةٌ ﴿٣﴾ وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ﴿٤﴾

أولا : الأســــماء :

المنفكون : فى قولـه تعالى «لم يكن الذيـن كفروا من أهل الكتاب والمشـركين منفكين» جمع، مفرده المنفك وهو المنتهى عن شىء ما يعمله، وهو الزائل .

ثانيا : التفســــير:

يقول تعالى إنـه لم يكن للذين كفروا مـن أهل الكتاب من بعد رسلهم، مثـل المشبهة من اليهود والقائليـن بألوهية المسيـح أو نبوته لله من النصـارى، ولا للمشركين أن ينتهوا عمـا هم عليه من الكفـر أو من الشرك إلى أن تأتيهم البينـة، وهى دليل الحق والمرشد إليـه. وقد يكون قوله تعالـى ذكرا لقول الكافرين من أهـل الكتاب إنهم لن ينتهوا عما هـم عليه من عقيدة إلا بعد أن تأتيهم البينة المذكـورة فى كتبهم، وقد يكون المشركون شايعوهم فـى هذا القول تأثرا بهم. ثم بين تعـالى ماهية هذه البينة بذكـره أنها رسول من الله يتلو صحفا مطهـرة، يتلوها عن ظهر قلب دون أن يقرأ كتابا، وهى صحف مطهـرة من الكذب والتحريف والتبديل، ينبغى ألا يمسها إلا المطهرون، فيها كتب قيمة، بمعنى أن فيها أحكاما مستقيمة محكمة .

ثم بين تعـالى أن الكافريـن من أهل الكتاب حين أتتهـم هذه البينة التى كـان مفترضا أن يكون منهم عنـد مجيئها الاجتماع على الإيمـان، أو إنهم كانوا يقـولون هذا، كان منهـم حين جاءتهم هذه البينة ببعثـة رسول الله ﷺ وقع منهم التفرق بدلا من الاجتماع، ذلـك أنهم كانوا من قبـل مجمعين على أنـه يبعث الله رسولا على النحـو الموصوف فـى كتبهم، فلما جـاءهم رسول الله ﷺ كان منهم من أنكـر أنه النبى المبشر به بغيا وحسدا، وكان منهـم من تشكك فى دينه، ولا نستطيع أن نسلـم بأن التفرق كان بإيمان البعـض منهم، لأن قوله تعالـى «وما تفرق» هو ذم لهم جميعا، ولا يتصور أن يذم تعالى الذين آمنوا لرسول الله ﷺ.

وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾

التفســــير:

قوله تعالى ـ فى الآية ـ هو فى بيان ابتعاد الذين كفروا برسول الله ﷺ من أهل الكتاب عما

أمروا به فى كتبهم، فيذكر تعالى أنهم لم يؤمروا فى التوراة والإنجيل بغير عبادة الله وحده أى بتوحيده، وأن يخلصوا له الدين مائلين عن الباطل إلى الحق دين الإسلام، وأن يقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة، ثم وصف تعالى هذا الذى أمروا به فى كتبهم بأنه دين الملة المستقيمة :

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّـٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِىَ رَبَّهُۥ ﴿٨﴾

التفسير:

أخبر تعالى عن الذين كفروا من أهل الكتاب من بعد رسلهم بما جاؤوهم به بتحريفه أو بالانحراف عنه، والذين كفروا منهم - من بعد - برسول الله ﷺ، وعن المشركين الذين لم يتبعوا دينا من قبل وبلغتهم دعوة رسول الله ﷺ، بأن مصيرهم هو نار جهنم تكون لهم المأوى، وأنهم يخلدون فيها. ثم أشار إليهم تعالى وأخبر عنهم أنهم شر الخليقة، فيكون القول بمثابة تعليل لخلودهم فى النار.

ثم ذكر تعالى - فى المقابل - الذين آمنوا وعملوا الصالحات فأخبر عنهم أنهم خيار البرية فأعلم ما يكون لهم من دخول الجنة والخلود فيها بطريق الاستدلال العقلى، أو بمفهوم المخالفة ثم أفصح تعالى عن مصيرهم أو بينه بصريح العبارة فذكر أن جزاءهم على إيمانهم وعملهم الصالحات عند ربهم أنه تعالى يدخلهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار، وأنهم يخلدون فيها للأبد. ثم جاء قوله تعالى «رضى الله عنهم» وفيه يتصور أن يكون رضاؤه تعالى عنهم جزاء آخر لهم، أو زيادة لهم فى التكريم، ويتصور أن يكون بيانا لما تنعموا فيه فى

جنات عدن وكونه من رضاء الله تعالى عنهم. كما جاء قوله تعالى «ورضوا عنه» مبينا أنهم نالوا من الخيرات ما أرضاهم، ثم أشار تعالى إلى جميع هذا النعيم وأخبر عنه أنه يكون لمن خشى ربه، فبين أن ملاك الفوز بالنعيم الأبدى هو خشية الله، لأنها المانع من اتباع هوى النفس، وصدق تعالى القائل «إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ».

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الزلزلة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ١ وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ٢ وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا ٣

التفسير:

الآيات هى أداة شرط وفعله فى جملة شرطية، أداة الشرط «إذا» وفعلها جملة أحداث منها تحريك الأرض وهزها تحريكا عنيفا أو زلزلتها الزلزال الذى لايعد زلزالا مستحقا أن يطلق عليه أنه زلزال إذا ما قيس به، والمشهور أنه الزلزال الذى يكون عند النفخة الثانية وهو ما يبينه قوله تعالى «وأخرجت الأرض أثقالها» إذ تلفظ عند النفخة الثانية موتاها وما فى جوفها من المعادن، وهذا هو الحدث الثانى، والحدث الثالث من أحداث فعل الشرط فى الجملة الشرطية هو تساؤل الناس فيما بينهم أو قول كل منهم «مالها؟» أى ما للأرض حتى تزلزلت هذه الزلزلة وأخرجت ما فيها من الأثقال. والقول استعظام لشأن ما يرى كل فرد من أفراد جنس الإنسان.

يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ٤ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ٥
يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْا أَعْمَٰلَهُمْ ٦

التفسير:

قوله تعالى - فى الآيات - هو جواب الشرط فى الجملة الشرطية، والمعنى أنه فى هذا اليوم - وهو يوم الزلزلة وإخراج الأثقال - تتحدث الأرض مخبرة بالأخبار، وأن إخبارها هذا يكون بوحى الله إليها. قيل إنها تخبر عن أعمال العباد أفرادا وأمما على ظهرها، وقيل إنها تخبر أن أمر الدنيا قد انتهى وأمر الآخرة قد أتى، وأنه فى هذا اليوم يخرج الناس من قبورهم متفرقين بحسب أقدارهم، منهم الآمنون ومنهم الفزعون، أو منهم السعداء ومنهم الأشقياء، يخرجون ليبصروا جزاء أعمالهم خيرا كان أو شرا. قيل إن الرؤية تكون بصرية، وقيل هى رؤية الكتب أو الصحف.

فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨

التفسير:

مفاد القول على ظاهره أن المرء يرى جميع ما عمل من خيرات مهما ضؤل أو صغر ولو كان فى حجم الذرة من المادة، وأنه يثاب به، وأنه يرى جميع ما عمل من سيئات مهما ضؤل أو حقر، ولو كان فى حجم ذرة من المادة. إلا أن هذا الظاهر يخالف ما هو ثابت من أن الكافر لايثاب فى الآخرة بخير عمله فى الدنيا، ويخالف أيضا ما هو ثابت من أن المؤمن الذى اجتنب الكبائر لايعاقب بالصغائر، وأنه تعالى يكفرها عنه بعمله الصالح؛ ولهذا كان تفسير القول على ضوء قوله تعالى «يصدر الناس أشتاتا» فيكون المراد بمن يعمل مثقال ذرة خيرا هو السعيد الآمن، وبمن يعمل مثقال ذرة شرا هو الشقى الفزع، كان كل منهما قد أخذ وجهة غير وجهة الآخر حين خرج من قبره، ثم رأى كل منهما عمله على النحو الموصوف

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة العاديات

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا ۝١ فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا ۝٢ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝٣
فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝٤ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ۝٥

أولا : الأســـــماء :

١ ـ **العاديات** : هى ـــ فى الأصل ـ «العـادوات» من العدو وهـو الجرى، والمراد بها ـــ فى معنى القول ـ الخيل، وخيل الغزاة على وجه التخصيص لأنها تعدو مسرعة فى اتجاه العدو.

٢ ـ **الضبح** : فى قوله تعالى «والعاديات ضبحـا» هو صوت حمحمة الخيل حين تعدو أو صوت أنفاسها المتلاحقة .

٣ـ **الموريات** : جمع، مفرده «المورية» من «الإيراء» وهو إخراج النار من شىء يخرجها.

٤ ـ **القدح** : فى قوله تعالى «فالموريات قدحا» هو الضرب أو الصك .

٥ ـ **النقع** : فى قوله تعالى «فأثرن به نقعا» هو الغبار.

ثانيا : التفســـــير:

أقسم تعـالى ـــ فى الآيـات ـ بخيل الغـزاة فى سبيلـه، وصفها بعـدة أوصاف، أقســم بها بصفتها التى تعـدو فى اتجاه العدو مخـرجة ضبحها وهو صـوت أنفاسها المتلاحقـة، وبأنها التى تخرج شرر النـار نتيجة ضرب الحجر بحوافرها أثنـاء عدوها، وبأنها التى تغيـر بأصحابها فى وقـت الصبح على الأعداء لأخـذهم على غـرة فيكون منها أن تثيـر بعدوها وأثناء إغـارتها بأصحابهـا على الأعداء الغبار يـرى نهارا، ثم يكون منها أن تتـوسط بفرسانهـا جموع الأعداء الذين يجدون فرسان الله بخيلهم وسط معسكرهم أو وسط ديارهم .

إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾

أولا : الأســـــماء :

الكنــــود: هو الكفور الجحود .

ثانيا : التفســـــير:

قوله تعالـى ـ فى الآيات ـ هو جواب القسم، أخبـر تعالى فيه عن الإنسان بأنـه كفور لربه،

والمعنى أنه كفوربنعم ربه، ثم بين المراد بكفرانه نعم ربه بقوله «وإنه على ذلك لشهيد» بمعنى أنه يشهد على نفسه بكفران النعمة، وهو ما يكون ــ على الغالب ــ بلسان الحال إذ يكفر بنعمة السلطة والسلطان بأن يظلم ولا يعدل، ويكفر بنعمة المال بأن يمسك ولا ينفق فى الخير، فيكون قد شهد على نفسه بكفران النعمة، كما بينه بقوله «وإنه لحب الخير لشديد» والمعنى أنه من فرط حبه للمال ــ وهو الخير فى معنى القول ـ يكون شديدا فى الإنفاق، بمعنى أنه يكون بخيلا.

﴿أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ ۝٩ وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ ۝١٠ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ۝١١﴾

التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ تهديد ووعيد للكافرين نعم الله، الباخلين بأموالهم عن الإنفاق فى الخيرات، والقول يتصور فيه معنيان، أولهما أن يكون فى شأن الإنسان أو الواحد منه، أنكر عليه تعالى عدم عمله بما علمه من أنه حين يبعثر ما كان مدفونا فى القبور من الموتى، والمعنى أنه عند النشور، وحين يتم تمييز ما كان مخفيا فى الصدور فى الدنيا من النوايا الخيرة عما كان مخفيا فيها من النوايا الشريرة، أو حين يكشف تعالى عن دوافع الأعمال، أنه تعالى يكون قد أحاط بكل شىء عن ابن آدم متعلقا بذاته، وصفاته، وأعماله، ونواياه فيحاسبه بهذا ويجازيه ـ والمعنى الثانى يكون فيه القول متعلقا بالله تعالى، يكون القول قد أثبت فى مبتدئه أنه يعلم مآل كل فرد من أبناء آدم منذ أن يبعثر ما فى القبور، فيكون القول إنكارا لعدم علمه تعالى بهذا فى هذا الوقت وبعده فى وقت تحصيل ما انطوت عليه الصدور من النوايا والعزائم.

أتبعه تعالى بالإخبار مع التأكيد على إحاطته بجميع أمور العباد فى ذلك اليوم، فيكون القول تهديدا بالحساب والجزاء على ما كان من جاحدى النعم الباخلين بأموالهم عن الإنفاق فى أوجه الخير والصدقات.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة القـارعة



أولا : الأســـماء :

القارعة : اسم فاعل مؤنث من «قرع ـ يقرع قرعا» والقرع هو الضرب بشدة، والمراد بها ـ فى معنى القول ـ هو القيامة، تبدأ من النفخة الأولى، وتنتهى عند فصل القضاء بين الخلائق. وقيل هو صوت النفخة .

ثانيا : التفســـير:

ذكر تعالى القيامة فى افتتاح السورة باسم «القارعة» للإشعار بهولها، ثم جاء الاستفهام فى قوله تعالى «ما القارعة» للتشويق إلى معرفة ماهيتها، ثم جاء قوله تعالى «وما أدراك ما القارعة» ليثبت لرسوله ﷺ أنه لم يكن يعلم جميع أحوالها من قبل، كما جاء تفخيما لها.

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ﴿٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ الفراش : جمع، مفرده «الفراشة» وهى الحشرة الطائرة المعروفة التى تتحول إليها اليرقة ليكون بين ذكورها و إناثها التزاوج، ثم تضع الإناث منها البيض لمعاودة دورة حياة الحشرة، إذ تخرج من البيض اليرقات .

٢ ـ العهن : هو الصوف، وقيل هو الصوف المصبوغ .

ثانيا : التفسير:

القول هو الإخبار عن القارعة، والمعنى أنها تكون يوم يكون الناس مثل الفراش المنتشر فى أنحاء مختلفة ليس له وجهة واحدة، وهذا هو شأن الفراش، يتفرق فى طيرانه، وتكون الجبال فى هذا اليوم مثل الصوف الذى ينفش باليد أو بالآلة فيصير شعيرات خفيفة واهية تذروها الرياح فتصير هباء منثورا .

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ۝١١﴾

أولا : الأسماء :

الهاوية : فى قوله تعالى «فأمه هاوية» هى الجحيم، سميت هاوية لأن المعذب بها يهوى به فيها إلى قعرها .

ثانيا : التفسير:

قوله تعالى ـ فى الآيات ـ هو إجمال لأحوال العباد يوم القيامة، فيه قسم تعالى العباد فريقين، وصف فريق الأولين بأنهم الذين ثقلت موازينهم من الذين يحاسبون ـ لأن هناك عبادا لا يحاسبون منهم الأنبياء ـ على الأولى ـ ومنهم غيرهم مثل من أذن تعالى لرسوله ﷺ أن يدخلهم الجنة بغير حساب، ولأن أهل الصبر لاتوزن أعمالهم وإنما يصب لهم الأجر صبا ـ والذين ثقلت موازينهم هم الذين رجحت حسناتهم سيئاتهم من الذين آمنوا، وقد أخبر تعالى عن هؤلاء بأن الواحد منهم يكون فى عيشة راضية، بمعنى أنها تعطى الرضا من نفسها بما سخرها الله عليه، إذ تنيل من يحياها كل ما يريد دون جهد ولا تعب .

ثم ذكر تعالى فريق الآخرين بأنهم الذين خفت موازينهم وهم الذين لهم حسنات لم تقبل فلم يعتد بها، والذين رجحت سيئاتهم أعمالهم. أخبر عنهم تعالى بأن الواحد منهم

تكون أمه هـاوية، والمعنى أنه يسقط فى حضنهـا فتحتضنه كما يأوى الطفل إلـى حضن أمه فتأخذه فيه. ثم شوق تعالى رسوله ﷺ والناس إلـى معرفة ماهية هذه الهاوية بقوله «وما أدراك ما هيه» أى «وما هو مبلغ علمـك بما هى هاوية». ثم أخبر عنها بقوله «نـار حامية» بمعنى أنها نار شديدة الحرارة تتضاءل إلى جوارها نار الدنيا المعروفة لنا .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة التكـاثر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ① حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ②

التفســـير:

قيل إن قوله تعـالى نزل حين تفاخر بنو عبـد مناف مع بنى سهم فى أيهـم أكثر عددا، فلما عدوا الأحياء انتقلـوا إلى القبور ليعدوا مـوتى كل منهم. وعلـى هذا يكون الخطاب فـى القول إلى هؤلاء المتفاخريـن ومن حذوا حذوهم، ويكون معنى القول أن تفاخـرهم هذا قد شغلهم انشغال سعادة فكـان ضربا من اللهـو، كان من إمعانهـم فيه أنهم زاروا القبور ليعـدوا الموتى ليعرفوا لمن تكون الغلبة فى لهوهم الشاغـل. ويتصور فى القول أن يكون له معنى عام، فيكون الخطاب لكل من شغله التبـاهى بكثرة المال والولد فاستغرق عليه هـذا الانشغال حياته إلى أن مات مقصـرا فى حق ربه، يـدفن فيها ثم يبعـث منها فيكون فـى فترة مكثه فى القبـر مثل الزائر يقيم حينا ثم يبرح .

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ③ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ④

التفســـير:

قوله تعالـى ـ فى الآيتين ـ وعيد بعد وعيـد لمن لاينتهى عن التكاثر بالمـال والولد يشغله

عن ذكر الله والقيـام بحقوقه، ومعنى القـول هو للمخاطبين «إنكـم سوف تعلمون عاقبـة هذا» وتكراره لتأكيد الوعيد وتشديده. ويتصور أن يكـون العلم بالعاقبة الأول هو فى القبر، وأن يكون الثانى يوم القيامة .

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ۝٨

التفســـير:

قوله تعـالى ـ فى الآيـات ـ هو زيادة فى تـأكيد الوعيد وتشـديد فى التهديـد للصرف عن السلوك، فمعنـى قوله تعالـى «كلا لو تعلمون علـم اليقين» هو «إنكم لـو علمتم عاقبة أمـركم علمكم بما أنتم متيقنين منه من الأمور، لكان ما علمتموه قد شغلكم عن هذا التكاثر بالأموال والأنفس. ثم بين تعالى ما هو الأمر المتيقن منـه واللازم وقوعه، والذى من شأنه أن يشغل عن التفاخـر بالتكاثر بـالأموال والأنفس، وهو أنهـم سيرون الجحيم فـى الآخرة، سيراها المـؤمن والكـافر علـى ما جـاء بقولـه تعالـى «وما منكـم إلا واردها» فتكـون للمؤمنيـن ممرا، وتكـون للكافـرين دارا، ثم يراهـا الكافرون عيـن اليقين، والقول إخبـار عن دوام مقامهم فـى النار، إذ تكون رؤيتهم إياها دائمـة متصلة. وقيل إن المعنى هو إنكم لو علمتم فـى دنياكم علم اليقين مما وصفـت لكم فإنكـم ترون الجحيم بعيـون قلوبكم، فيشغلكـم هذا عن لهـوكم بالتكـاثر بالأموال والأنفس ، إلى الانشغال بما يجنبكم أن تكونوا من أهل الجحيم.

وقوله تعالى «ثم لتسألن يومئذ عن النعيم» يتصور فيه أن يكون توبيخا للكفار واستهزاء بهم إذ يسألون لـدى دخولهم الجحيم أو إلقائهم فيهـا عن رأيهم فى هذا النعيم الـذى أعد لهم. ويتصور فيه أن يكـون توبيخا لهم على انشغـالهم بأمر نعيـم الدنيا الذى ألهاهـم عن ذكر الله، فيكون الارتباط بينه وبين افتتاح السورة قائما واضحا .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة العصـــر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَالْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا
وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ﴿٣﴾

أولا : الأســـماء :

العصـر: قيل إن المراد به ـ فى معنى القول ـ هو صلاة العصر، أقسم بها الله لفضلها ولأنها الصلاة الوسطى. وقيل هو «بكرة، وعشيا»، وقيل هو عصر النبوة، شرف برسول الله ﷺ.

ثانيا : التفســـير:

أقسم تعالى بالعصر، والراجح بشأنه أن المراد به هو صلاة العصر، أقسم بها تعالى لفضلها، وجواب القسم هو إن الإنسان فى خسران، إذ يسعى فى عمله قصد النجاح فيه وكسب المال معتقدا أن ربحه فى عمله هو الفلاح، فيأخذه سعيه للربح ويشغله عن ذكر ربه. ثم استثنى تعالى من جنس الإنسان الذين آمنوا بالله وأخلصوا إيمانهم لله تعالى، وقرنوا ذلك بعمل الصالحات، وتواصوا فيما بينهم بالحق وهو الإيمان بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، كما تواصوا فيما بينهم بالصبر على شهوات النفس والمعاصى، والصبر على الطاعات. ومعنى الاستثناء هو أن تجارتهم تكون هى الفوز المبين، لأنهم فى تجارة لا تبور.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الهمـــزة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ الَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ
أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ ﴿٣﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الهمزة** : هو المشاء بالنميمة، وقيل هو العياب فى المواجهة بالكذب .

٢ ـ **اللمزة** : هو الباغى على البرىء بالعيب فيه. وقيل هو من يغتاب المرء من خلفه، وقيل هو الذى يتغامز على جليسه.

ثانيا : التفسـير:

توعد تعالى بالخزى والعذاب والهلاك كل مشاء بنميم يسعى للإفساد بين الناس، وكل عياب فى الغيبة أو متغامز على جليسه للحط من شأنه. وتوعد بذات الشرور من جعل جل همه جمع المال وانشغل بإحصاء عدده أو فاخر بكثرته، أو أعده لمن يرثه من ورثته. أخبر تعالى عنه بأنه يحسب أن ماله أخلده، بمعنى أنه يزيد فى عمره، إذ يعتقد البعض أنه بماله يستطيع أن يسخر الطب لمد أجله، أو أنه يكون فى استمرار أعماله التى يستثمر فيها ماله امتدادا لحياته بعد موته، فجاء القول لإثبات أنه لا يخلد ، وأن ماله يفنى .

كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ
مَا ٱلْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ۝٦ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ۝٧

أولا: الأسـماء :

الحطمة : هى النار، قيل إنها سميت «الحطمة» لأنها تحطم ما يلقى فيها وتهشمه.

ثانيا : التفسـير:

جاءت «كلا» لرد من حسب أن ماله يخلده عن توهمه، ثم أثبت تعالى أنه بكفره وما توهم يطرح ويلقى منبوذا فى الحطمة، شوق تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين العلم بها وفخم من أمرها بقوله «وما أدراك ما الحطمة» ثم أخبر عنها بأنها نار الله الموقدة دائما التى لا تخمد، ثم ذكر من أوصافها أنها تتطلع على الأفئدة، بمعنى أنها بعد أن تأكل أجساد المعذبين فيها ثم بلغت أفئدتهم خلقوا خلقا جديدا، فكان منها مع قلوبهم الاطلاع عليها، ومع باقى أجسادهم أكلها مع تكرر هذا .

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ ۝٩﴾

التفســـير:

مفاد قـوله تعالـى ـ فى الآيتيـن ـ هـو أن النار تكون علـى الملقون فيها مطبقـة مغلقة، وأن غلقها يكون بعمد ممـددة بها يتم إحكام الغلق والإطباق على أهل النـار. وقيل إن العمد هى الأغلال التى تكون فى أعناقهم والقيود التى فى أرجلهم، وقيل هى عمد يضربون بها.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفيـــل

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ
فِي تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾

أولا: الأســماء والأعلام:

١ ـ **أصحاب الفيل**: المراد بهم أبرهة الذى ولى اليمن مـن قبل نجاشى الحبشة فى زمنه، بنى كنيسـة فى اليمن لأنه كـان نصرانيا وأراد أن يصرف النـاس عن الكعبة إليها، وكتـب إلى نجاشـى الحبشة بذلك، فقـام رجل من العـرب إلى كنيسة أبـرهة فأحدث فيهـا فاتجه أبـرهة بجيشه لهدم الكعبة، دعى وأصحابه وجيشه بأصحـاب الفيل لأنهم نقلوا على مراكبهم حين أتوا من الحبشة أفيالا لم تكن للعرب معرفة بها فأنزلت الرعب فى قلوبهم.

٢ ـ **الأبابيل**: فى قوله تعالى «وأرسل عليهم طيـرا أبابيل» هى المجتمعة بعضا إلى بعض، أو المتابعة مجموعة فى إثر مجموعة.

٣ ـ العصف: فى قولـه تعالى «كعصف مأكول» هـو قشر القمح تعصف به الريـح لفــرط خفته.

ثانيا : التفســـير:

قولـه تعالى فـى السورة هو فـى بيان مدى قدرتـه تعالى علـى الانتقام ممن اعتـدى على حرماته ومقدساته. خاطب تعالى رسـوله ﷺ بقوله «ألم تر» والاستفهام أريد به إثبات أنه ﷺ قد أخبر بمـا هو موضوع الاستفهـام وعلم ، فكأنه رأى. وموضـوع الاستفهام هو ما فعـل تعالى بأصحاب الفيل وهـم أفراد جيش أبرهة الذيـن تقووا بالأفيال لدى محاولتهـم اقتحام الكعبة البيت الحرام لهـدمها وتحويل النـاس عنها إلى كنيسة بنـاها أبرهة فـى اليمن. ثم إنه تعـالى أثبت أنـه جعل كيد أفـراد جيش أبرهـة فى تضليل، بمعنـى أن ما كادوا بـه لقريش مـن أخذ نفوسها بـالقتل والسبى، وأموالها بالاستـلاب، وما كادوا لبيت الله الحرام من تخـريب وهدم، كان مصير كل هذا إلى الضياع والإبطال، ثم بين تعالى كيف كان منه أمر جعل عاقبة كيدهم ضياعا لهم أرواحا وأموالا، فذكر أنه أرسل عليهم طيرا من السماء مجتمعة فى إغارات متتالية، كانـت ترميهم بحجارة مـن طين قيل إنها طبخـت بنار جهنم وإن كـل حجر منها كان مـدونا عليه اسـم من يصيبه فيقتله، ثـم بين تعالى عـاقبة رمى أصحـاب الفيل بهذه الحجارة بقـوله تعالى «فجعلهم كعصف مأكول» والمعنى أن أجسادهم قد ماثلت غلاف القمح أو قشره من بعد استخراج الحب منه لأكله، والمعنى أنها درسـت وتفتتت إلى أن لم يصبح لها وزن حتى إن الريح تعصف بها.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة قريش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا
رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾

أولا : الأسماء والأعلام :

١ ـ الإيلاف : فى قوله تعالى «لإيلاف قريش» هو الاجتماع مع الالتئام. وهو الائتلاف.

٢ ـ قريش : سبق بيانه والتعريف به، والراجح فى القول أنه فهر بن مالك بن النضر بن كنانة، سمى قريشا تشبيها له بسمكة القرش لشدته، فكل من هو من ولده فهو قرشى.

ثانيا : التفسير :

بين السورة وبين قوله تعالى فى سورة الفيل السابقة عليها فى ترتيب المصحف علاقة فى المعنى، إذ يكون القول أنه تعالى أهلك أصحاب الفيل لكى تأتلف قريش على أمر واحد لا تختلف هو شكره تعالى على إنعامه عليهم بالأمن لا تغير عليهم القبائل فى رحلاتهم التجارية ولا قطاع الطرق احتراما لكونهم أصحاب البيت، فلما أغار أبرهة وجيشه على البيت، وقبل أن يقربه استولى على مائتى بعير لعبد المطلب سيد قريش كان منه تعالى أن أهلك أبرهة وجيشه. ثم بين تعالى هذا الإيلاف أو بين مظهرا له نتيجة الشعور بالأمن وهو بقاؤهم على ما ألفوه من الخروج رحلتين فى السنة، رحلة الشتاء إلى اليمن، ورحلة الصيف إلى بصرى فى أرض الشام . ثم إنه لما كان من قريش ـ بدلا من شكر الله على نعمه وعبادته ـ أنهم انصرفوا عن عبادته فكان منه تعالى أن أمرهم أن يعبدوا الله رب الكعبة التى حماها الله من أصحاب الفيل، الذى أطعمهم من هاتين الرحلتين من جوع كانوا عليه من قبل، أو كان مصيبهم لو لم يخرجوا إليهما، والذى آمنهم من إغارة الأقوام عليهم فى بلادهم بإقامتهم على البيت الحرام، ومن الخوف الذى نالهم من أصحاب الفيل .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الماعون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ① فَذَٰلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ②
وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ الْمِسْكِينِ ③ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ④ الَّذِينَ هُمْ
عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ⑤ الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ ⑥ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ⑦

أولا : الأسماء والأعلام :

١ - **الذى يكذب بالدين** : هو المكذب بيوم القيامة، قيل إن المراد به - فى معنى القول - هو العاص بن وائل السهمى، وقيل هو الوليد بن المغيرة، وقيل أبو جهل، وقيل أبو سفيان.

ثانيا : التفسير :

الاستفهام فى قوله تعالى «أرأيت» هو لتشويق السامع إلى معرفة صفات المكذب بالدين أو بيوم القيامة للاحتراز منه، ثم بين تعالى أنه ذلك الذى يدع اليتيم بدفعه يقوه ويزجره بعنف إذا سأله طعاما لأنه لا يرجو بالإطعام وجه الله، فإن أطعم فرياء، ولا يحث أحدا على إطعام المسكين بقول أو بجعل نفسه قدوة. ثم إنه لما كان الدين هو ما وقر فى القلب وصدقه العمل وليس منه المراءاة بالفعل، فإنه تعالى توعد بالعذاب المصلين الذين يغفلون عن الصلاة ولا يبالون بها فتفوتهم أو يخرج وقتها، والذين يراؤون بها يتركونها سرا ويؤدونها علانية، والذين يمنعون الماعون، بمعنى أنهم لا يخرجون الزكاة. ولا شك أن المرائى بصلاته والذى يمتنع عن أداء الزكاة، هو كافر إن جحد الصلاة أو الزكاة، وفاسق إن فعل هذا غير مبال بتقصيره، مستحق ما توعد به من العذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ﴿٣﴾

أولا : الأسماء :

١ - **الكوثر** : قيل هو نهر أعطاه الله رسوله فى الجنة، وقيل هو حوض له عليه الصلاة والسلام فى المحشر، وقيل هو الفضائل الكثيرة التى اتصف بها ﷺ.

٢ - **الشانىء** : فى قوله تعالى «إن شانئك هو الأبتر» هو المبغض.

٣ - **الأبتر** : هو الذى لا عقب له، لا يبقى له نسل يذكر به، ولا عمل حسن يذكر. فينقطع صيته بموته.

ثانيا : التفسير :

أخبر تعالى رسوله ﷺ أنه تفضل عليه بإعطائه الكوثر، نهرا فى الجنة أو حوضا فى

المحشر، أو الفضائل التى جعلها الله خلاله وصفاته، ثـم جاء أمره تعالى المترتب على هذا الإنعام بـالصلاة لربـه شكرا لأنعمه، وبنحـر البُدْن باسمـه تعالى وبـالتصدق بها علـى أهل الحاجة. ثم كان منه تعالى أن أخبر رسوله ﷺ أن يبقى على بغضه ﷺ لا يؤمن مستبدلا ببغضه حبا ينقطع ذكره من بعد موته فلا يبقى له نسل.

ويلاحظ أن فى الصورة مقابلة بين المنافق المـوصوف فى سورة الماعون وبين المؤمن، إذ وصف تعالـى المنافق فى سورة المـاعون بالبخل، وتـرك الصلاة، والرياء، ومنع الـزكاة، وفى السورة قابـل بخل الكافر بعطائه تعـالى أكرم الأكرمين، وقـابل ترك الصلاة بالمـداومة عليها، وقابـل الرياء بالصـلاة لله وليس لغيره رضاه، وقـابل منع المـاعون بالنحر والتصـدق. وقيل إن المراد بالصلاة صلاة العيد، وبالنحر التضحية .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الكـــافرون

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥

التفســـير:

أمر تعالى رسوله ﷺ أن ينادى قوما من الكافـرين معينين بذواتهم علم تعالى أنهم يموتون على الكفر قيل هم الوليد بن المغيرة، والأسود بن المطلب، والعاص بن وائل، وأمية بن خلف ـ كـانوا قد عرضـوا على رسول الله أن يعبد مـا يعبدون وأن يعبدوا مـا يعبد ثم يروا أيهمـا على الحق. وأمره أن يقول لهم «لا أعبد ما تعبدون، ولا أنتم عابدون ما أعبد، ولا أنا عابد ما عبدتم، ولا أنتم عـابدون ما أعبـد». قيل فـى التكرار إنهم كـرروا قولهم فكـان منه تعـالى ومن رسـوله

التكرار، وقيل إن التكرار للتغليظ. وقد يكون الصحيح هـو ما قاله الزمخشري من أن «لا أعبد» أريد به نفي العبادة في المستقبل - لأن «لا» تدخـل على مضارع في معنى المستقبل - فيكون المعنى أنه ﷺ لا يفعل في المستقبل ما يطلبونه منه من عبادة آلهتهم، كما أنهم ليسوا فاعلين في المستقبل ما يطلبه منهم من عبادة إلهه - لأن «ما» تدخل على المضارع في معنى الحال، ويكون باقي المعنى أنه ﷺ ما كان عابدا في الماضي ما عبدوا، وأنهم ما عبدوا في وقت ما هو على عبادته.

لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾

التفســـير:

القول ختام قوله ﷺ للكـافرين المعنيين بالقول، قيل إنه تهديد لهـم بمعنى أنه لكم جزاء دينكم ولنا جزاء ديننا. وقيـل هو تقرير لقوله ﷺ السابق، بمعنـى أن إشراكهم محصور فيهم لا يتجاوزهم إليه ﷺ، وأن توحيده ربه مقصور عليه والذيـن قدر تعالى أنهم يؤمنون لا يتجاوزهم إليهم.

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النصـــر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِى دِينِ ٱللَّهِ
أَفْوَاجًا ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا ﴿٣﴾

التفســـير:

يقول تعالـى لرسوله ﷺ أنـه متى جاءك العون منه تعـالى ونصرك على عـدوك كفار مكة -

وقيل فـى النصر هو صلـح الحديبية ــ ثم فتح الله على يـديك مكة ــ وقيل إن الفتح هـو فتح المدائن ـ ورأيت الناس يدخلون فى دين الله فـوجا من بعد فوج، وذلك لأن الناس لما وجدوا أنه تعالـى أهلك جيش أبرهة حين حـاول اقتحام البيت، ثم رأوا رسول الله ﷺ يدخلـه فاتحا آمنوا أنه رسول الله فدخلوا فى الإسلام أفواجا متـلاحقة، يقول له تعالى متى رأيت هذا فليكن منك أن تكثر من الصلاة ومن التسبيح لله حمدا لـه وثناء عليه، وليكن منك استغفاره، ثم أخبر عن ذاته أنـه التواب، يتوب على التائبين التـوابين ويغفر لهم. والأمر يعـم جميع المسلمين، لأنه إذا شمل المعصوم عـن الخطايا، الموعود مغفرة الـذنب، فإنه يشمل من بـاب أولى من هم دونـه ﷺ. وقيل إن قوله تعـالى «إذا جاء نصر الله والفتـح» كان إخبارا له ﷺ بـأن مجىء نصر الله والفتح هو علامة موته، ولهذا طلب منه الإكثار من تسبيح ربه واستغفاره.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة المســـد

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾
سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى
جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾

أولا : الأســـماء والأعلام :

١ ـ أبو لهب : هو عبد العزى بن عبد المطلب عم رسول الله ﷺ وأعدى أعدائه.

٢ ـ امرأة أبى لهب : فى قولـه تعالى «وامرأته حمـالة الحطب» هم أم جميـل بنت حرب أخت أبـى سفيان زوج أبـى لهب، كـانت تحمـل الحزمـة من الشـوك والحسك والسعـدان

فتنشرها ليلا فى طريقه ﷺ ليطأه بقدميه الشريفتين .

٣ـ المسد : فى قوله تعالى «فى جيدها حبل مـن مسد» هو ما فتل من الحبال فتلا شديدا من ليف المقل .

ثانيا : التفسـير:

خص تعالى يدى أبى لهب فى مبتدأ القول بالـدعاء عليها بالهلاك أو بالإخبار عن هلاكها المقدر أن يكون، لأنه حين أنذر ﷺ عشيرته الأقربين قال له أبو لهب «تبا لك، ألهذا جمعتنا» ثم أخذ حجرا بيديه ليرميه به. ثم دعا عليـه تعالى بالهلاك كله، أو أخبر عن هذا. والمعلوم أن أبا لهب هلك بمرض العدسة أصاب يديه ثـم انتقل إلى جسمه كله فمات، وترك حتى أنتن، ثم دفن رجما بالحجارة خوفا من الاقتراب منه للعدوى.

ثم إنه تعـالى أثبت أن أموالـه وما اكتسب لا يغنيان عنه شيئـا مما قدرله مـن الهلاك على هذا النحو. وأتبع تعالى هذا بالإخبار بأنه فى الآخرة سيدخل نارا ذات اشتعال وتوقد .

ثم إنه تعالى ذم امرأة أبى لهب بما يهينها وهـو أنها تحتطب من شدة غناها، إظهارا لشدة بخلها أو لسعيها بين الناس بالنميمة، أو لاكتسابها الأثام والذنوب.

ثم زاد تعالى فى إهانتها وتخسيس حالها بذكر حالها وقت الاحتطاب وهو ربطها حبلا من مسد فى جيدها .

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الإخلاص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾

أولا : الأســــماء :

الصمــد : هـو من يصمـد إليه، أى الـذى يقصد إليـه ويلتجأ عنـد الحاجـة، وهو السيـد العظيم.

ثانيا : التفســـير :

أمر تعالى رسولـه ﷺ ـ بصفته رأس المؤمنين ـ أن يقول بلسانه عن قلبـه إن ربه هو الواحد الوتر الذى لاشبيه له، وأنه الذى يصمد إليه ويلتجأ عند الحاجة، والذى لم يلد ولم يولد، لأنه لا يموت، وكل مـن يلد ويولد هـو للموت. وأن يبين أنه ليـس كمثله شىء، بنفى أن يكـون له شبيه ولا عدل. وقيل إن القول كان إجابة لطلب المشركين من رسول الله أن ينسب لهم ربه.

بسم الله الرحمن الرحيم
سورة الفلــق

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾
وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴿٥﴾

أولا : الأســـماء :

١ ـ **الفلق** : قيل هـو سجن فى جهنم، وقيـل بيت فيها، وقيل هـو الصبح، وقيل هو الـرحم ينفلق بالمولود. وقيل هو كل ما انفلق عن خلق من خلقه تعالى.

٢ ـ **الغاسق** : في قوله تعـالى «ومن شر غاسق» ، قيل هو الليـل، والغسق أول ظلمته، وقيل هو البارد .

٣ ـ **النفاثات** : هن الساحرات ينفثن فى عقد الخيط حين يرقين عليها .

ثانيا : التفسـير:

أمر تعـالى رسوله والمـؤمنين بالتعوذ بـه وصف ذاته بأنـه رب الصبح أو كل ما انفلـق عن مخلوق، مـن شر إبليس وذريتـه وكل ذى شـر من خلقه، ومـن شر الليل تخـرج فيه الـوحوش الضوارى ويخـرج شرار الناس للقتـل والسلب، ومن شـر الساحـرات اللائى ينفثن فـى عقد الخيط تاليات عبارات السحر، ومن شر الحاسد الذى يتمنى زوال نعمة المحسود.

والمفهوم من القول أنه تعالى يعيذ من استعاذ به عن إيمان .

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النـاس

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾

أولا : الأسـماء :

١ ـ **الوسواس** : هو ذو الوسواس الذى يوسوس للنفس. وقيل هو الشيطان .

٢ ـ **الخناس** : هو المختفى من بعـد ظهور. وقيل هو ابن لإبليس جاء بـه إلى حواء لتكفله فقطعه آدم أربعة أجزاء، ثم ناداه إبليس «يا خنـاس» فقام، فأعاده لحواء. فحرقه آدم وذراه فى البحر، فناداه إبليس «يا خناس» فقام، فأعاده إلى حواء، فذبحه آدم وشواه وأكله وحواء، فجاء إبليس وقال هذا ما أردت، يكون مسكنه صدر بنى آدم .

ثانيا : التفســـــير :

أمر تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين بالتعوذ بـه، وصف ذاته بأنه رب الناس، بمعنى أنه راعيهم والمتولـى أمورهم، وبأنـه ملكهم مهما عظموا فهـو ملك ضعفائهـم وملك ملوكهم، وبـأنهم إلههم المستحق وحـده العبادة فهو الرب الملك الإلـه. والمتعوذ منه هو الـوسواس الخناس، وهو حـديث النفس تـوسوس بالشـر دون أن يظهر المـوسوس به، ثـم بين تعالـى أن المسوس للنفس هـو الشيطان المخفـى فى الصـدر أو الذى يجـرى فى الإنسـان مجرى الـدم، فتكون وسوسته فى الصدور.

ثم بيـن أن الشيطان شيطانان شيطـان الجن الذى يـوسوس فى الصدور وشيطـان الإنس الذى يأتى فى العلن، يبث وسوسته فتسكن فى صدر الموسوس له ولهذا أمر تعالى بالتعوذ من هذا ومن ذاك .

تم بعون الله وحسن توفيقه



بسم الله الرحمن الرحيم

فهرسة المجلد الخامس من النفيس فى معانى الأسماء وبيان الأعلام بتفسير القرآن

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ١٤٤ ﴿للبث فى بطنه﴾	١٨٥	الآية ١٧٨ ﴿وتول عنهم حتى حين﴾	١٩٤
الآية ١٤٥ ﴿فنبذناه بالعراء﴾	١٨٦	الآية ١٧٩ ﴿وأبصر فسوف يبصرون﴾	١٩٤
الآية ١٤٦ ﴿وأنبتنا عليه شجرة﴾	١٨٦	الآية ١٨٠ ﴿سبحان ربك﴾	١٩٤
الآية ١٤٧ ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾	١٨٦	الآية ١٨١ ﴿وسلام على المرسلين﴾	١٩٤
الآية ١٤٨ ﴿فآمنوا فمتعناهم إلى حين﴾	١٨٦	الآية ١٨٢ ﴿والحمد لله رب العالمين﴾	١٩٤
الآية ١٤٩ ﴿فاستفتهم ألربك البنات﴾	١٨٨	تفسير سورة ﴿ص﴾	
الآية ١٥٠ ﴿أم خلقنا الملائكة إناثا﴾	١٨٨	الآية ١ ﴿ص والقرآن ذى الذكر﴾	١٩٦
الآية ١٥١ ﴿ألا إنهم من إفكهم ليقولون﴾	١٨٨	الآية ٢ ﴿بل الذين كفروا فى عزة وشقاق﴾	١٩٦
الآية ١٥٢ ﴿ولد الله وإنهم لكاذبون﴾	١٨٨	الآية ٣ ﴿كم أهلكنا من قبلهم من قرن﴾	١٩٧
الآية ١٥٣ ﴿أصطفى البنات على البنين﴾	١٨٩	الآية ٤ ﴿وعجبوا أن جاءهم منذر﴾	١٩٧
الآية ١٥٤ ﴿مالكم كيف تحكمون﴾	١٨٩	الآية ٥ ﴿أجعل الآلهة إلها واحدا﴾	١٩٧
الآية ١٥٥ ﴿أفلا تذكرون﴾	١٨٩	الآية ٦ ﴿وانطلق الملأ منهم﴾	١٩٨
الآية ١٥٦ ﴿أم لكم سلطان مبين﴾	١٨٩	الآية ٧ ﴿ما سمعنا بهذا﴾	١٩٨
الآية ١٥٧ ﴿فأتوا بكتابكم﴾	١٨٩	الآية ٨ ﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾	١٩٩
الآية ١٥٨ ﴿وجعلوا بينه وبين الجنة نسبا﴾	١٩٠	الآية ٩ ﴿أم عندهم خزائن رحمة ربك﴾	١٩٩
الآية ١٥٩ ﴿سبحان الله عما يصفون﴾	١٩٠	الآية ١٠ ﴿أم لهم ملك السموات والأرض﴾	١٩٩
الآية ١٦٠ ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾	١٩٠	الآية ١١ ﴿جند ما هنالك مهزوم﴾	١٩٩
الآية ١٦١ ﴿فإنكم وما تعبدون﴾	١٩١	الآية ١٢ ﴿كذبت قبلهم قوم نوح﴾	٢٠١
الآية ١٦٢ ﴿ما أنتم عليه بفاتنين﴾	١٩١	الآية ١٣ ﴿وثمود وقوم لوط﴾	٢٠١
الآية ١٦٣ ﴿إلا من هو صال الجحيم﴾	١٩١	الآية ١٤ ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾	٢٠١
الآية ١٦٤ ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾	١٩١	الآية ١٥ ﴿وما ينظر هؤلاء﴾	٢٠١
الآية ١٦٥ ﴿وإنا لنحن الصافون﴾	١٩١	الآية ١٦ ﴿وقالوا ربنا عجل لنا قطنا﴾	٢٠٢
الآية ١٦٦ ﴿وإنا لنحن المسبحون﴾	١٩١	الآية ١٧ ﴿اصبر على ما يقولون﴾	٢٠٢
الآية ١٦٧ ﴿وإن كانوا ليقولون﴾	١٩٢	الآية ١٨ ﴿إنا سخرنا الجبال معه﴾	٢٠٢
الآية ١٦٨ ﴿لو أن عندنا ذكرا من الأولين﴾	١٩٢	الآية ١٩ ﴿والطير محشورة﴾	٢٠٢
الآية ١٦٩ ﴿لكنا عباد الله المخلصين﴾	١٩٢	الآية ٢٠ ﴿وشددنا ملكه﴾	٢٠٢
الآية ١٧٠ ﴿فكفروا به﴾	١٩٢	الآية ٢١ ﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾	٢٠٣
الآية ١٧١ ﴿ولقد سبقت كلمتنا﴾	١٩٣	الآية ٢٢ ﴿إذ دخلوا على داود﴾	٢٠٣
الآية ١٧٢ ﴿إنهم لهم المنصورون﴾	١٩٣	الآية ٢٣ ﴿إن هذا أخى﴾	٢٠٥
الآية ١٧٣ ﴿وإن جندنا لهم الغالبون﴾	١٩٣	الآية ٢٤ ﴿قال لقد ظلمك﴾	٢٠٦
الآية ١٧٤ ﴿فتول عنهم حتى حين﴾	١٩٤	الآية ٢٥ ﴿فغفرنا له ذلك﴾	٢٠٨
الآية ١٧٥ ﴿وأبصرهم فسوف يبصرون﴾	١٩٤	الآية ٢٦ ﴿يا داود إنا جعلناك خليفة﴾	٢٠٩
الآية ١٧٦ ﴿أفبعذابنا يستعجلون﴾	١٩٤	الآية ٢٧ ﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما	
الآية ١٧٧ ﴿فإذا نزل بساحتهم﴾	١٩٤	باطلا﴾	٢١٠

الآيات	الصحيفة	الآيات	الصحيفة
الآية ٤٥ ﴿كالمهل يغلى فى البطون﴾	٤١٥	الآية ١٦ ﴿ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب﴾	٤٢٦
الآية ٤٦ ﴿كغلى الحميم﴾	٤١٥	الآية ١٧ ﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾	٤٢٦
الآية ٤٧ ﴿خذوه فاعتلوه﴾	٤١٥	الآية ١٨ ﴿ثم جعلناك على شريعة﴾	٤٢٧
الآية ٤٨ ﴿ثم صبوا فوق رأسه﴾	٤١٥	الآية ١٩ ﴿إنهم لن يغنوا عنك﴾	٤٢٧
الآية ٤٩ ﴿ذق إنك أنت العزيز الكريم﴾	٤١٥	الآية ٢٠ ﴿هذا بصائر للناس﴾	٤٢٧
الآية ٥٠ ﴿إن هذا ما كنتم به تمترون﴾	٤١٦	الآية ٢١ ﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾	٤٢٨
الآية ٥١ ﴿إن المتقين فى مقام أمين﴾	٤١٦	الآية ٢٢ ﴿وخلق الله السموات والأرض﴾	٤٢٨
الآية ٥٢ ﴿فى جنات وعيون﴾	٤١٦	الآية ٢٣ ﴿أفرأيت من اتخذ إلهه هواه﴾	٤٣٠
الآية ٥٣ ﴿يلبسون من سندس﴾	٤١٦	الآية ٢٤ ﴿وقالوا ما هى إلا حياتنا الدنيا﴾	٤٣١
الآية ٥٤ ﴿كذلك وزوجناهم﴾	٤١٦	الآية ٢٥ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾	٤٣١
الآية ٥٥ ﴿يدعون فيها﴾	٤١٧	الآية ٢٦ ﴿قل الله يحييكم﴾	٤٣١
الآية ٥٦ ﴿لا يذوقون فيها الموت﴾	٤١٧	الآية ٢٧ ﴿ولله ملك السموات والأرض﴾	٤٣٢
الآية ٥٧ ﴿فضلا من ربك﴾	٤١٧	الآية ٢٨ ﴿وترى كل أمة جاثية﴾	٤٣٣
الآية ٥٨ ﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾	٤١٨	الآية ٢٩ ﴿هذا كتابنا﴾	٤٣٣
الآية ٥٩ ﴿فارتقب إنهم مرتقبون﴾	٤١٨	الآية ٣٠ ﴿فأما الذين آمنوا﴾	٤٣٤
تفسير سورة الجاثية		الآية ٣١ ﴿وأما الذين كفروا﴾	٤٣٤
الآية ١ ﴿حم﴾	٤١٨	الآية ٣٢ ﴿وإذا قيل لهم﴾	٤٣٤
الآية ٢ ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾	٤١٨	الآية ٣٣ ﴿وبدا لهم سيئات ما عملوا﴾	٤٣٦
الآية ٣ ﴿إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين﴾	٤١٩	الآية ٣٤ ﴿وقيل اليوم ننساكم﴾	٤٣٦
الآية ٤ ﴿وفى خلقكم﴾	٤١٩	الآية ٣٥ ﴿ذلكم بأنكم اتخذتم آيات الله هزوا﴾	٤٣٦
الآية ٥ ﴿واختلاف الليل والنهار﴾	٤١٩	الآية ٣٦ ﴿فلله الحمد﴾	٤٣٧
الآية ٦ ﴿تلك آيات الله﴾	٤٢٠	الآية ٣٧ ﴿وله الكبرياء﴾	٤٣٧
الآية ٧ ﴿ويل لكل أفاك أثيم﴾	٤٢١	**تفسير سورة الأحقاف**	
الآية ٨ ﴿يسمع آيات الله﴾	٤٢١	الآية ١ ﴿حم﴾	٤٣٨
الآية ٩ ﴿وإذا علم من آياتنا﴾	٤٢١	الآية ٢ ﴿تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم﴾	٤٣٨
الآية ١٠ ﴿من ورائهم جهنم﴾	٤٢١	الآية ٣ ﴿ما خلقنا السموات والأرض وما بينهما إلا بالحق﴾	٤٣٨
الآية ١١ ﴿هذا هدى﴾	٤٢٢	الآية ٤ ﴿قل أرأيتم﴾	٤٣٩
الآية ١٢ ﴿الله الذى سخر لكم البحر﴾	٤٢٣	الآية ٥ ﴿ومن أضل ممن يدعوا من دون الله﴾	٤٣٩
الآية ١٣ ﴿وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض﴾	٤٢٣	الآية ٦ ﴿وإذا حشر الناس﴾	٤٣٩
الآية ١٤ قل للذين آمنوا يغفروا﴾	٤٢٤	الآية ٧ ﴿وإذا تتلى عليهم آياتنا﴾	٤٤١
الآية ١٥ ﴿من عمل صالحا فلنفسه﴾	٤٢٤		

الآيات	الصحيفة
تفسير سورة الطلاق	
الآية ١ ﴿يا أيها النبى إذا طلقتم النساء﴾	٧٠٨
الآية ٢ ﴿فإذا بلغن أجلهن﴾	٧٠٨
الآية ٣ ﴿ويرزقه من حيث لا يحتسب﴾	٧٠٨
الآية ٤ ﴿واللائى يئسن﴾	٧١٠
الآية ٥ ﴿ذلك أمر الله﴾	٧١٠
الآية ٦ ﴿أسكنوهن من حيث سكنتم﴾	٧١١
الآية ٧ ﴿لينفق ذو سعة﴾	٧١١
الآية ٨ ﴿وكأين من قرية﴾	٧١٣
الآية ٩ ﴿فذاقت وبال أمرها﴾	٧١٣
الآية ١٠ ﴿أعد الله لهم عذابا﴾	٧١٤
الآية ١١ ﴿رسولا يتلو عليكم﴾	٧١٤
الآية ١٢ ﴿الله الذى خلق سبع سموات﴾	٧١٥
سورة التحريم	
الآية ١ ﴿يا أيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك﴾	٧١٦
الآية ٢ ﴿قد فرض الله لكم﴾	٧١٦
الآية ٣ ﴿وإذ أسر النبى﴾	٧١٧
الآية ٤ ﴿إن تتوبا إلى الله﴾	٧١٧
الآية ٥ ﴿عسى ربه﴾	٧١٧
الآية ٦ ﴿يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم﴾	٧١٩
الآية ٧ ﴿يا أيها الذين كفروا لا تعتذروا﴾	٧١٩
الآية ٨ ﴿يا أيها الذين آمنوا توبوا إلى الله﴾	٧٢٠
الآية ٩ ﴿يا أيها النبى جاهد﴾	٧٢١
الآية ١٠ ﴿ضرب الله مثلا للذين كفروا﴾	٧٢١
الآية ١١ ﴿وضرب الله مثلا للذين آمنوا﴾	٧٢١
الآية ١٢ ﴿ومريم ابنة عمران﴾	٧٢١
سورة الملك	
الآية ١ ﴿تبارك الذى بيده الملك﴾	٧٢٣
الآية ٢ ﴿الذى خلق الموت والحياة﴾	٧٢٣
الآية ٣ ﴿الذى خلق سبع سموات﴾	٧٢٤
الآية ٤ ﴿ثم ارجع البصر﴾	٧٢٤
الآية ٥ ﴿ولقد زينا السماء الدنيا﴾	٧٢٦
الآية ٦ ﴿وللذين كفروا بربهم﴾	٧٢٦
الآية ٧ ﴿إذا ألقوا فيها﴾	٧٢٦
الآية ٨ ﴿تكاد تميز من الغيظ﴾	٧٢٦
الآية ٩ ﴿قالوا بلى﴾	٧٢٦
الآية ١٠ ﴿وقالوا لو كنا نسمع﴾	٧٢٦
الآية ١١ ﴿فاعترفوا بذنبهم﴾	٧٢٦
الآية ١٢ ﴿إن الذين يخشون ربهم﴾	٧٢٨
الآية ١٣ ﴿وأسروا قولكم﴾	٧٢٨
الآية ١٤ ﴿ألا يعلم من خلق﴾	٧٢٨
الآية ١٥ ﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا﴾	٧٢٩
الآية ١٦ ﴿أأمنتم من فى السماء أن يخسف بكم الأرض﴾	٧٢٩
الآية ١٧ ﴿أأمنتم من فى السماء أن يرسل عليكم حاصبا﴾	٧٢٩
الآية ١٨ ﴿ولقد كذب الذين من قبلهم﴾	٧٢٩
الآية ١٩ ﴿أولم يروا إلى الطير﴾	٧٣١
الآية ٢٠ ﴿أمَّن هذا الذى هو جند﴾	٧٣١
الآية ٢١ ﴿أمن هذا الذى يرزقكم﴾	٧٣١
الآية ٢٢ ﴿أمن يمشى مكبا﴾	٧٣١
الآية ٢٣ ﴿قل هو الذى أنشأكم﴾	٧٣٤
الآية ٢٤ ﴿قل هو الذى ذرأكم﴾	٧٣٤
الآية ٢٥ ﴿ويقولون متى هذا الوعد﴾	٧٣٤
الآية ٢٦ ﴿قل إنما العلم عند الله﴾	٧٣٤
الآية ٢٧ ﴿فلما رأوه زلفة﴾	٧٣٤
الآية ٢٨ ﴿قل أرأيتم إن أهلكنى الله﴾	٧٣٥
الآية ٢٩ ﴿قل هو الرحمن﴾	٧٣٥
الآية ٣٠ ﴿قل أرأيتم إن أصبح ماؤكم غورا﴾	٧٣٥
سورة القلم	
الآية ١ ﴿ن والقلم﴾	٧٣٦
الآية ٢ ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾	٧٣٦
الآية ٣ ﴿وإن لك لأجرا﴾	٧٣٦
الآية ٤ ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾	٧٣٦
الآية ٥ ﴿فستبصر ويبصرون﴾	٧٣٨
الآية ٦ ﴿بأيكم المفتون﴾	٧٣٨
الآية ٧ ﴿إن ربك هو أعلم﴾	٧٣٨

تمت الفهرسة